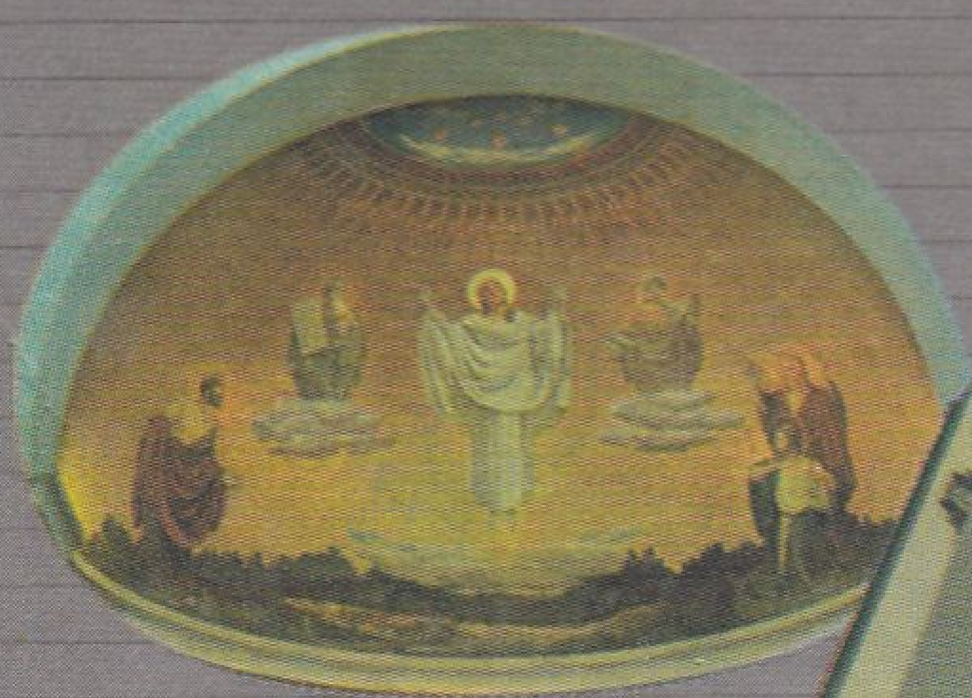
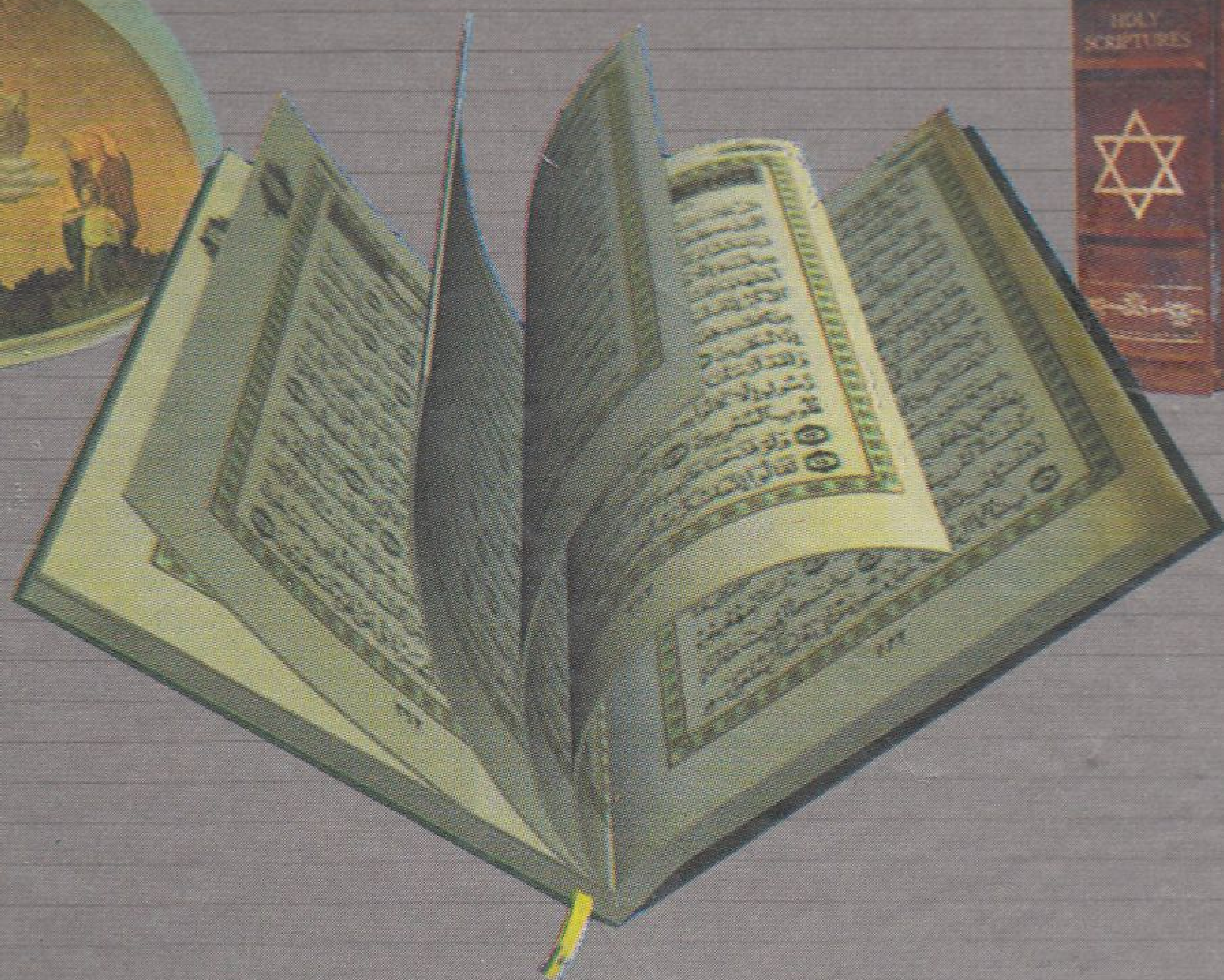
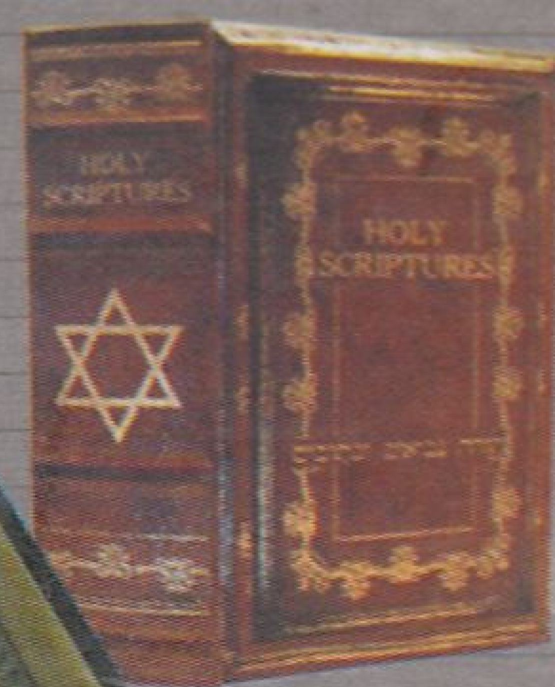
عقائد أهل الكتاب

كما يصورها القرآن الكريم

دراسة مقارنة







الدكتور

محمد خليل محسن الديسي

محاضر الشريعة الإسلامية بكلية الشرطة - أبو ظبى

الأستاذ المساعد للشريعة الإسلامية بكلية القانون

جامعة العين للعلوم والتكنولوجيا - أبو ظبى

الأستاذ المساعد للشريعة الإسلامية والعلوم التربوية

بجامعة القدس المفتوحة فرع أبو ظبى سابقاً



دار الجامعة الجديدة

عقائد أهل الكتاب

كما يصورها القرآن الكريم

(دراسة مقارنة)

عقائد أهل الكتاب

كما يصورها القرآن الكريم

دراسة مقارنة

الدكتور

محمد خليل محسن الديسي

محاضر الشريعة الإسلامية بكلية الشرطة - أبو ظبي

الأستاذ المساعد للشريعة الإسلامية بكلية القانون

جامعة العين للعلوم والتكنولوجيا - أبوظبي

الأستاذ المساعد للشريعة الإسلامية والعلوم التربوية

بجامعة القدس المفتوحة فرع أبو ظبي سابقا

2010

دار الجامعة الجديدة للنشر

٣٨ شارع سوتر - الأزاريطة - الاسكندرية ت ، ٤٨٦٨٠٩٩

E-mail.: darelgamaaelgadida@hotmail.com

قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا
وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا
يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ
فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤

آل عمران / ٦٤

الإهداء

إلى الذين ضربوا أروع الأمثلة في البطولة والفداء..
و إلى الذين جادوا بأنفسهم، وهو أقصى غايات
البذل والعطاء..و إلى أرواح كل الشهداء من أبناء
أمتي..
و إلى روح والدي طيب الله ثراه الذي كان مثال
التضحية والفداء.
و إلى والدتي مثال الأصالة والعطاء التي وجدت
عندها من الحكمة ما لم أجده فيما قرأت...
و إلى زوجتي التي شاطرتني رحلة البحث والعناء...
و إلى أبنائي خليل وحنين وريم.والى كل من علمني
حرفا أو أسدى لي نصيحة ...
أهدي إليهم جميعاً عملي هذا

الباحث/محمد خليل محمد سلمان محسن الديسي

عقائد أهل الكتاب
كما يصورها القرآن الكريم
(دراسة مقارنة)

مقدمة :-

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وأنزل القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، وحفظه من التحريف والتبديل والعبث البشري ٠

وبعد : فهذه دراسة تبحث في عقائد أهل الكتاب كما يصورها القرآن الكريم ، وهي دراسة مقارنة تبين مدى تواطىء الأصولية المسيحية مع الأصولية اليهودية والحركة الصهيونية في حربها ضد الإسلام والمسلمين وخاصة بعد ما ظهر ما يعرف بالنظام الدولي الجديد وبعد أحداث ١١ سبتمبر .

ولا شك في أن إدراك الأبعاد الحقيقية لفكر أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات ، لا بد من دراسة عقيدة تلك الأمة تلك العقيدة التي تشكل نظرتها للحياة ومنظومتها الفكرية (عالم أفكارها) أي الإنتاج الفكري الذي يضع الأوعية الفكرية المستمدة من تلك العقيدة ، والذي يمثل الاتجاهات والمحددات الرئيسة لحركة الأمة ، وصناعة تاريخها الذي يحدد لنا بدقة نصيب العقيدة من التطبيق في الواقع ، أي أثر العقيدة في صياغة الأمة وتشكيلها الثقافي وتنظيم حركة الحياة فيها ، فمن هنا كان لا بد لي وأنا أقدم هذه الدراسة أن أبين عقائد أهل الكتاب لمعرفة مدى تأثير هذه العقائد في تسيير دفة الصراع العربي الإسرائيلي والصراع القائم منذ زمن بعيد بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية.

ولا شك في أن دراسة عقائد أهل الكتاب في ضوء معايير علمية حديثة وواقعية تعطينا القدرة على التعامل الصحيح مع أتباع هذه الديانات ، وتحديد الأبعاد

والمداخل الصحيحة التي تمكننا من معرفة ما يدور من حولنا من آحداث وبالتالي التعامل معها بذكاء وحذر والحكم على الأمم والشعوب والحضارات، ذلك أن المعرفة المحيطة بالوجه الآخر أصبحت اليوم من الأبجديات والحواس التي لا يستغني عنها باحث أو دارس أو سياسي أو مثقف أو صاحب قرار ، وبناء عليه فقد اخترت هذه الدراسة لا لبيان عقائد أهل الكتاب فحسب بل لبيان مدى تأثير هذه العقائد في الصراع القائم منذ أمد بعيد بين الإسلام وأهل الديانات الأخرى وخاصة اذا علمنا أن هذا الصراع قد أخذ أبعادا أيديولوجية جديدة في النصف الثاني من القرن العشرين ومستهل القرن الواحد والعشرين، فأتطلع في هذه الدراسة أن أقدم للدارس الخرائط الفكرية التي تمكن من العمل والتعامل مع أهل الديانات الأخرى ومراكز القرار ، ومؤسسات التهويد والتنصير والتجسس والتحكم التي تقودها الحركة الصهيونية مدعومة من الأصولية المسيحية في الغرب ودول أوروبا .

وبالرغم من أن المسلمين في هذا العصر يملكون الرصيد الفكري والتاريخي عن اليهود والنصارى، إلا أنني أظن وفي حمأة الصراع العنيف الذي تشهده المنطقة العربية والعالم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر أن الكثير من المسلمين لا يزالون يتعاملون مع الصراع العربي الإسرائيلي عل غير هدى وموعظة وعلم، وذلك بسبب التشكيل الثقافي الخاص الذي فعلته مناهج التربية والتعليم والمؤسسات الإعلامية الخارجة عن النسق الإسلامي، والتي لم تكن أصابع اليهود والنصارى بعيدة عن التمهيد والتخطيط لها .

ولا شك في أن المساحة التعبيرية الكبيرة والمتكررة التي أولاها القرآن الكريم لتاريخ بني إسرائيل، والتي تحكي لنا قصة وتاريخ النبوة مع البشر في مجال العقيدة والعبادة والسلوك، يمكن أن تعتبر منجما فكريا ومعينا لا ينضب للبيان والهدى والموعظة والوقاية للأمة المسلمة التي أورثت الكتاب وانتقلت إليها القيادة الدينية

للعالم بعد بني إسرائيل.

وقصة اليهود العملية في السيرة وفي الظروف المختلفة تعطي المسلم أيضا آفاقا وأشكالا للتعامل مع أهل الديانات الأخرى كما تمنح ضرورة الحذر واستصحاب الرصيد التاريخي الذي لا يجوز أن يحمل إلى مواقع الظلم والتعصب .

وحتى يكون الدارس على بينة من أمره سأبين في هذه الدراسة مسألة تسلل اليهود إلى الأديان والأفكار والأحزاب والعقائد والتنظيمات والجماعات والتنظير لها والحماسة لأهدافها، وتوزيع المواقع والأدوار والمراهنة عليها جميعا في وقت واحد، وقد لا نأتي بجديد إذا ذكرنا دور اليهود في تخريب الديانة النصرانية إلى أن وصلوا إلى وثيقة التبرئة المشهورة _ تبرئة اليهود من دم المسيح _ وإبطال العقيدة والعبادة النصرانية من خلال تحالفهم مع البروتستانت والكاثوليك، وإذا أدركنا ذلك كله أدركنا البعد الديني الذي يتحرك فيه اليهود عالميا للنيل من الإسلام والمسلمين وخاصة في فلسطين .

مشكلة الدراسة:

صراع اليهودية والنصرانية مع الإسلام صراع قديم يعود تاريخه إلى بعثة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، يشهد بذلك كتب التاريخ والسير، فما من عام يمر حتى يظهر هذا العداء بصورة جديدة، وقد أخذ هذا العداء أنماطا متعددة، وازداد ضراوة في بداية القرن الحادي والعشرين وبخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وبناء عليه فان مشكلة البحث تتحدد في الإجابة على الأسئلة الآتية :-

١ - ما المقصود باليهودية وما أهم عقائدها وكتبها المقدسة.

٢- ما أهم الفرق اليهودية وما مدى علاقتها بالصهيونية والنازية والشيوعية.

٣- ما علاقة اليهود بالإرهاب الدولي.

٤- ما المقصود بالنصرانية، وما أهم عقائدهم وفرقهم.

٥- ما شكل العلاقة بين الأصولية اليهودية والأصولية المسيحية.

٦- ما دور الأصولية اليهودية في تخريب العقيدة المسيحية.

٧- ما دور الأصولية المسيحية في الصراع العربي الإسرائيلي.

٨- ما هي الجذور التاريخية للصهيونية المسيحية، وما علاقتها بالصهيونية اليهودية.

٩- ما هو مفهوم السلام في الفكر اليهودي.

أهداف الدراسة :-

تهدف هذه الدراسة إلى بيان عقائد أهل الكتاب (اليهود والنصارى) انطلاقا من علمنا أن هذا الصراع قد أخذ أبعادا أيديولوجية جديدة في النصف الثاني من القرن العشرين ومستهل القرن الواحد والعشرين، فأتطلع في هذه الدراسة أن أقدم للدارس الخرائط الفكرية التي تمكن من العمل والتعامل مع أصحاب العقائد المختلفة ومراكز القرار، ومؤسسات التهويد والتنصير، والتجسس والتحكم التي تقودها الحركة الصهيونية مدعومة من الأصولية المسيحية في الغرب ودول أوروبا.

وبالرغم من أن المسلمين في هذا العصر يملكون الرصيد الفكري والتاريخي والواقعي عن اليهود والنصارى، إلا أنني أظن وفي حمأة الصراع العنيف الذي تشهده المنطقة العربية والعالم بعد أحداث ١١ سبتمبر أن الكثير منهم - المسلمين - لا يزالون يتعاملون مع قضية اليهود بدون مستوى تحليلي حضاري معرفي يتجاوز السرد التاريخي والمستوى السياسي المباشر، فهي في الحقيقة تهدف للاستفادة من ذلك كله في بيان أثر عقائدهم في إذكاء الصراع بينهم وبين المسلمين .

وتهدف كذلك إلى زيادة المعرفة الإنسانية والعربية بقضية إنسانية شائكة تتعلق بقضية الصراع العربي الإسرائيلي، ومدى تحالف الأصولية المسيحية مع الأصولية اليهودية في قتل وتشريد الفلسطينيين وتهويد المقدسات الإسلامية في فلسطين، فمثل هذه

الدراسة مسألة ضرورية وملحة في هذه الأيام وذلك بسبب الفوضى الفكرية التي تحيط بهذه القضية والتي تروج لها وسائل الأعلام الغربية ومن يدور في فلكها.

كما وتهدف هذه الدراسة إلى بيان دور اليهود في تخريب الديانة النصرانية من خلال تحالفهم مع البروتستانت والكاثوليك، كما تهدف هذه الدراسة إلى كشف جرائم اليهود ضد الإنسانية والتي دفعتهم إليها عقيدتهم العنصرية ورؤيتهم الدينية التوراتية، كما تهدف هذه الدراسة إلى بيان العلاقة بين اليهودية والحركات العنصرية الهدامة كالماسونية والشيوعية وغيرها، كما تبين دور اليهود في خلق ونشر القرصنة والإرهاب الدولي.

كما تهدف هذه الدراسة إلى المساهمة في إعادة تشكيل الشخصية المسلمة وتبصير أبناء الأمة برسالتهم ووظيفتهم وموقعهم الحضاري، وفك قيود التحكم الثقافي ومعالجة أسباب التخاذل، ودراسة التاريخ العام بأبجدية سليمة لحماية تاريخ الأمة من النهب الثقافي والحضاري، ومن ثم صياغة التاريخ في ضوء سنن الله الفاعلة في الأنفس والآفاق •

أهمية الدراسة:-

تنبع أهمية هذه الدراسة في أنها تتناول عقائد أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وتحليلها ومناقشتها ونقدها وبيان بطلانها حتى يكون الناس على بينة من أمر دينهم، ومعرفة ما يكنه لهم أعدائهم من عداوة وبغضاء، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان هذه الدراسة تبرز الخلفيات الدينية والعقدية للصراع الدائر بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية، إضافة إلى أن هذه الدراسة تبرز الخلفيات الدينية والعقدية للصراع العربي الإسرائيلي، وتنبع أهمية هذه الدراسة كذلك في أنها تفيد الدارسين في مجال مقارنة الأديان والمهتمين بقضايا الفكر والسياسة.

مبررات اختيار الموضوع:ـ

هناك مبررات كثيرة دعتني لاختيار هذه الدراسة أجملها فيما يلي :-

١ـ بيان عقائد اليهود والنصارى والإطلاع على أسرار مذاهبهم وأصول معتقداتهم ومناقشتها وتحليلها، وخاصة أن هناك حقائق جديرة بالدراسة والتوضيح .

٢ـ توضيح عقائد اليهود والنصارى وعلاقة هذه العقائد بالصراع العربي الصهيوني.

٣ـ عرض وتحليل الاتجاهات الصهيونية في الحركة المسيحية الأصولية، وبيان العلاقة بينها وعلاقة ذلك بالصراع العربي الصهيوني.

٤ـ ومن الأسباب التي دعتني لاختيار هذه الدراسة ما نراه كل يوم من مؤامرات تحاك ضد المسلمين في فلسطين بالتواطيء مع الأصولية المسيحية في الغرب .

حدود الدراسة :ـ

تتحدد هذه الدراسة في بيان عقائد اليهود والنصارى كما يصورها القرآن الكريم ، وأبعاد الصراع بينهم وبين المسلمين .

منهج الدراسة :ـ

المنهج المتبع في هذه الدراسة سيكون المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن إضافة إلى المنهج التاريخي .

مصطلحات البحث :ـ

العقيدة :- هي الفكرة الكلية عن الكون والإنسان والحياة وما قبل الحياة الدنيا وما بعدها وعلاقتها بما قبلها وما بعدها .

أهـــل الكتـــاب :- هم الأقوام الذين خصهم الله برسالة سماوية وهم اليهود والنصارى

القرآن الكريم :- هو ذلك الكتاب المنزل على سيدنا محمد المعجز المنقول إلينا تواترا المبدوء بسورة الفاتحة والمنتهي بسورة الناس .

الباب الأول
الديانة اليهودية

الفصل الأول

مفهوم الديانة اليهودية

الديانة اليهودية نشأة وتاريخا

الفصل الأول

الديانة اليهودية

المبحث الأول

مفهوم اليهودية ونشأتها

المطلب الأول

مفهوم اليهودية

تطلق كلمة اليهودية اليوم على الملة التي يدين بها اليهود، وقد أطلقت على أتباع موسى عليه السلام، ولكن كلمة اليهودية هل هي كلمة عربية مشتقة من الثلاثي (هَوَدَ)؟ أم هي مأخوذة من اسم (يهوذا) ؟ وهو المَعنى المراد من كلمة اليهودية اختلف الباحثون في ذلك :

١- فمنهم من يرى أن اليهودية تعود إلى جذرها الثلاثي " هَوَدَ " واليهود هو التوبة وهاد يهود هودا، وتهود إذا تاب ورجع إلى الحق فهو هائد، وهود هو جمع " هائد " وهود الرجل حولَه إلى ملة اليهود " ابن منظور " لسان العرب ". يؤيد هذا المفهوم ما ورد في قوله تعالى في سورة الأعراف ـ على لسان موسى عليه السلام ـ لما كان مع السبعين الذين اختارهم للميقات وأخذتهم الرجفة {إِنَّا هُدْنَـــا إِلَيْكَ }.

٢- ومنهم من يرى أنها سميت بذلك الاسم نسبة إلى يهوذا الابن الرابع ليعقوب عليه السلام من زوجه لائقة وقال البيروني مؤيداً لهذا القول " وإنما سموا باليهود نسبة إلى يهوذا أحد الأسباط، فإن الملك استقر في ذريته وأبدلت الذال المعجمة دالا مهملة لأن العرب كانوا إذا نقلوا أسماء معجمة إلى لغتهم غيروا بعض حروفها[1]".

٣- وقيل سموا بذلك لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة.

٤- وقيل من المهاودة أي المواعدة، وذلك من قوله تعالى في سورة

---

(١) محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص ١٩.

الأعراف:{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً} وبغض النظر عن هذه الأسباب لأصل التسمية، فقد بات يطلق على كل من يعتنق اليهودية بغض النظر عن جنسه وعرقه. وعلى مدار التاريخ أطلق اليهود على أنفسهم تسميات كثيرة، فتارة يسمون أنفسهم العبرانيين وتارة يسمون أنفسهم بني إسرائيل أو الساميين أو الموسويين[1]. ولكل من هذه الأسماء معناه وسببه الذي من أجله أطلق على اليهود، فالعبرانيون كلمة مأخوذة من العبور "عبور الصحراء أو عبور النهر " أو من انحدارهم من نسل فالج بن عابر بن سام بن نوح[2].

ويميل بعضهم إلى القول بأن لفظة عبراني أو عبري ليست إلا تحريفاً لكلمة " خبيرو " وهو اسم كان يطلق منذ الألف الثاني قبل الميلاد وما سبقه على طائفة من نثار قبائل ظهرت في شمال جزيرة العرب وبادية الشام لم تكن تجمعهم قرابة لأنهم كانوا يشكلون مجموعات من اللاجئين المهجرين عن أوطانهم، جمعت بينهم ظروف وأغراض مشتركة فتحولوا إلى عصابات من المشاغبين الخارجين على القانون، ثم شكلوا واحدة من المجموعات التي عرفها التاريخ باسم الهكسوس وهي كلمة يونانية تعني " الرعاة "[3]. ولعل تسميتهم لمدينة الخليل باسم "حبرون" وكذلك " خيبر " لها علاقة بهذه التسمية.

والجدير بالذكر أن التوراة تتحدث عن العبرانيين حين تذكرهم بأسمائهم بصفتهم غرباء عن اليهود وبني إسرائيل وليسوا في الأصل منهم[4]. أما بنوا إسرائيل، فهي التسمية التي يرغب اليهود أن يطلقوها على أنفسهم مع أنها في

---

[1] داود سنقرط، القوى الخفية لليهودية العالمية (الماسونية)، ص ١٣.

[2] سفر التكوين، ١٠ /٢٤ـ ٢٥.

[3] أحمد سوسه، العرب واليهود في التاريخ، ص ٢٤٢.

[4] داود سنقرط، مرجع سابق، ص ١٥.

الأصل مقتصرة على نسل أسباط يعقوب بن اسحق بن إبراهيم وكلمة " إسرائيل " هي التي تعني القوي في اللغة العبرية التي أطلقت على يعقوب عليه السلام، وتزعم اليهود في توراتهم المحرفة أن سبب تسميته بذلك عائد إلى أنه صرع الإله يهود فأطلق عليه اسم إسرائيل أي القوي، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

والحق أن بني إسرائيل الذين هم من نسل أسباط يعقوب ليسوا إلا نسبة ضئيلة من يهود اليوم، وأن غالبية اليهود في العالم من يهود الخزر الذين اعتنقوا اليهودية في القرون الوسطى، ورفض حاخامات اليهود آنذاك الاعتراف بهم، وظلوا كذلك إلى أن جاءت الفلسفة الصيهونية. فتبنتهم وجعلت منهم أساساً للتجمع اليهودي على فكرة أرض الميعاد في فلسطين. ومن بلاد الخزر انتشرت اليهودية في أوروبا الشرقية ومنها انتشر اليهود في أوروبا الغربية ثم هاجروا إلى أمريكا بعد اكتشافها، وهؤلاء هم زعماء الحركة الصهيونية وهم رجال المال والأعمال في أمريكا وأوربا وهم حكام الكيان الصهيوني اليوم. ولقد حاول اليهود قديماً وحديثاً هدم الفوارق والحدود بين هذه التسميات موهمين العالم أنهم جميعاً من نسل الأنبياء ومن أبناء إبراهيم عليه السلام أبي الأنبياء، مؤكدين بذلك زعمهم وادعائهم بأنهم الأشراف جنساً ونسباً وأنهم شعب الله المختار ومن عداهم من الأغيار "الجوييم" ما خلقوا على هيئة البشر إلا ليخدموهم، وقد نصت توراتهم المزيفة على هذا الادعاء في مواضع كثيرة منها " أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب "[1]. وجاء في سفر التكوين " وليستعبد لك شعوبا وتسجد لك قبائل "[2].

وخلاصة القول فإن اليهودية دين له أتباعه بين الشعوب والأمم وليس من

---

[1] سفر اللاويين، الاصحاح، ٢٠.

[2] سفر التكوين، الاصحاح، ٢٧.

المقبول أو المعقول أن جميع يهود العالم من نسل أسحق كما يدعون، ونحن نرى في يهود اليوم الأحمر والأبيض والأصفر والأسود، ونرى الروسي والبولوني والهندي واليمني والمغربي والإيراني والسنغالي، نرى جميع أمم الأرض وقد قدموا إلى فلسطين من أكثر من مائة قطر في العالم ومن المستحيل أن يكون هؤلاء جميعاً على ألوانهم من بني إسرائيل.

المطلب الثاني
نشأة اليهودية

اليهودية في أصلها دين سماوي توحيدي أوحى الله تعالى به إلى أنبياء بني إسرائيل ابتدأت عقيدة موحدة تؤمن بالله الواحد الأحد رب العالمين وتسير على منهج أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي هاجر بدينه من بلاد الكلدانيين قاصداً أرض كنعان في فلسطين التي كان يسكنها الحثيون واليبوسيون والكنعانيون سكان فلسطين الأصليين، وفيها تزوج من سارة وأنجبت له إسحق " عليه السلام " ومنه كان يعقوب " عليه السلام " الملقب بإسرائيل الذي أنجب الأسباط الإثنى عشر.

إلا أن هذا المنهج النبوي التوحيدي لم يبق مستمراً ثابتاً في تاريخ اليهودية، فلم يكن اليهود في كل عصورهم موحدين ولم يأخذوا بالتوحيد دوماً، وعرض تدرج الديانة اليهودية خلال التاريخ صعب وشاق لعدم وضوح مراحل تطورها التاريخي وعدم وجود فكرة واضحة عن تاريخ اليهودية في الأبحاث التي كتبها أهل الملل والنحل، إلا أنه من المؤكد أن التاريخ اليهودي يتسم بالغموض وعدم الاستقرار على الثوابت الدينية ذلك لأنه اختلطت وارتبطت فيه عوامل التاريخ الاجتماعي والسياسي مع معطيات العقيدة الدينية واتجاهات الأخلاق، واختزل فيه الدين ليكون خاصاً بشعب معين دون غيره، وليكون الله تعالى إله لبني إسرائيل فقط.

وتاريخ اليهودية منذ نشأتها وحتى ظهور المسيح عليه السلام، مر بمراحل ثلاث سأبينها في الصفحات الآتية :

المبحث الثاني
اليهود في التاريخ

المطلب الأول
مرحلة الهجرة إلى فلسطين

تبدأ هذه المرحلة بهجرة أبي الأنبياء إبراهيم " عليه السلامَ " من أرض أور الكلدانية ومن معه من الكلدانيين الذين آمنوا بدعوته ومن التحق بهذه القبائل التي شاركت في موجات حركة الانتقال ولارتحال إلى بلاد الشام وسيناء وتسمى باسم "العبرانيين" صفة لهم أو نسبة إلى عبورهم البادية والصحراء أو لعبورهم نهر الأردن أو الفرات[1].

ولم تكن إقامة إبراهيم عليه السلام في فلسطين طويلة ، بل كانت رحلة عابرة ، ولعل السبب الرئيسي في عدم استقراره فيها أنه لم يجد استجابة لدعوته وذلك لأن سكان فلسطين من الكنعانيين كانوا قد قطعوا شوطاً في طريق التقدم الزراعي والصناعي والتجاري ، فلما جاءهم إبراهيم عليه السلام ، بدعوة الله ، لم يتقبل الكنعانيون هذه الدعوة وأنفوا من الجماعات العبرية المهاجرة التي لم تكسب شيئاً بعد من تقاليد الحضر فاعتزلوا وقد نظر الكنعانيون إلى إبراهيم عليه السلام على أنه واحد من هؤلاء العبرانيين المهاجرين ولم يستجيبوا له تماماً ، فكان على إبراهيم عليه

---

[1] صبري طعيمه ، التاريخ اليهودي ، ج١ ، ص ٧.

السلام أن يرتحل سريعاً من أرض فلسطين إلى بلد آخر فكانت مصر محطته الثانية[1].

فحياة إبراهيم عليه السلام في فلسطين هي حياة مهاجر لم يرد أن تكون له فيها ممتلكات أو إقامة، ويوضح سفر التكوين هذه الحقيقة مبيناً " أنه كان يبني خيمته وهو في سن الخامسة والسبعين شرقي بيت ايل ثم ارتحل نحو الجنوب متجهاً إلى مصر لما أصاب المنطقة مجاعة[2].

وكذلك الأمر عند عودته من مصر، حيث تذكر التوراة قصة وفاة زوجته سارة، فقد ذهب إبراهيم عليه السلام إلى أهل القرية التي توفيت فيها زوجته، قرية حبرون " الخليل " في فلسطين وكلم أهلها من الحثيين قائلاً لهم " أنا غريب ونزيل عندكم، أعطوني ملك قبر منكم لأدفن ميتي من أمامي " فقالوا له: " في أفضل قبورنا ادفن ميتك " وطلب من أحدهم أن يعطيه مغارة المكفيلة بثمن كامل، فقال له: يا سيدي الحقل وهبتك إياه والمغارة التي فيه لك وهبتها[3]". وفي هذه الرحلة كانت رحلة إبراهيم عليه السلام السريعة إلى مصر، حيث أهديت له هاجر أم إسماعيل عليه السلام وقد ارتحل بها بناء على أمر ربه إلى أرض مكة وتركها هناك مع ولدها إسماعيل، حيث وعدها الله تعالى أن يكثر نسل ولدها وأن يجعل منه أمة عظيمة فكانت أمة العرب التي بعث منها نبينا محمد ﷺ ، حيث انتقلت الرسالة والعهد من بني اسحق إلى بني إسماعيل، ونحن نعلم أنه لا دخل لأبي الأنبياء عليه السلام بالتاريخ اليهودي لأن اليهودية بدأت بعد إبراهيم عليه السلام، في عهد أبنائه عليهم السلام وبالذات ابنه اسحق ومن بعده يعقوب عليهما السلام كان بداية التاريخ اليهودي.

---

[1] نفس المرجع، ص ٧.

[2] سفر التكون، ١٢/ ٨ـ ١٠.

[3] سفر التكوين، ٢٣/٤- ١١.

وظل بنو إسرائيل من الأسباط وأبناءهم في هذه المرحلة في فلسطين، حيث آمن بدعوتهم التوحيدية عدداً ممن سموا بالعبرانيين ممن عبروا مهاجرين إلى فلسطين في أثناء موجات الهجرة إلى بلاد الشام. كانت هذه المرحلة مرحلة استقامة في تاريخ بني إسرائيل بمعنى أنهم كانوا دعاة توحيد وإيمان والتزام بوصية أبي الأنبياء لأبنائه ووصية يعقوب كذلك لأبنائه، تلك الوصية الإيمانية الواردة في القرآن الكريم: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۞ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }[1].

وعلى الرغم من هذه المبادئ السامية التي حملها أبناء أسحق ويعقوب إلا أنه لم يكن لهم تأثير كبير على الشعوب الوثنية المحيطة بهم، فكما أرتحل إبراهيم عليه السلام من بين الكلدانيين عبدة الكوكب وعبدة الأصنام واختار لنفسه العزلة عنهم، كان الأمر كذلك أمام الفلسطينيين سواء من الكنعانيين أم من الشعوب المهاجرة إليها، فكان شعاره: "{ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيّاً }[2]. ولعل هذا كان سبباً يضاف إلى القحط والمجاعة التي أصابت المنطقة ودفعتهم إلى الهجرة من فلسطين إلى مصر.

---

[1] سورة البقرة، آية: ١٣٢، ١٣٣.

[2] سورة مريم، آية: ٤٨.

المطلب الثاني
مرحلة
الهجرة إلى مصر

بداية هذه المرحلة من تاريخ بني إسرائيل تبدأ من تآمر أبناء يعقوب عليه السلام على ابنه يوسف بإلقائه في غيابة الجب ليأخذه السيارة المسافرون عبر ذلك الممر التجاري إلى مصر، وتكون رحلة البحث عن الغذاء بعد سني المجاعة التي أصابت المنطقة سبباً في عثور أخوه يوسف عليه لتكون نهاية القصة برحيل يعقوب عليه السلام وأبنائه إلى مصر { فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ } "[1].

كانت هذه الرحلة إلى مصر في عهد الهكسوس وهم من العرب العمالقة الذين غزوا مصر في بداية القرن الثاني قبل الميلاد، وقد أصاب القحط أرض كنعان فاستأنف العبرانيون تحركاتهم تجاه مصر، وهذا يدلنا على أن أرض كنعان لم تكن هدف العبرانيين وقد كان وجود الهكسوس بمصر فرصة للعبرانيين لأن الهكسوس كانوا يميلون للتعامل مع الأجانب ضد المواطنين شأن كل المستعمرين في كل زمان ومكان[2].

ووجد بنو إسرائيل في مصر ترحابا وحياة رغدة وطلبوا من عزيز مصر أن يسكنهم في أرض جاسان " في منطقة الرقية " فاستجاب وقال ليوسف " أبوك وأخوتك جاؤوا إليك أرض مصر قدامك في أفضل الأرض أسكن أباك وأخوتك ليسكنوا في أرض جاسان فأسكن يوسف أباه وأخوته وأعطاهم ملكا في مصر في أفضل أرض وكان تعداد بيت يعقوب آنذاك سبعين نسمة "[3].

---

[1] سورة يوسف، آية: ٩٩ .

[2] أحمد شلبي، اليهودية، ص ٢٧.

[3] سفر التكوين، ٢٧/٦٤.

وعاش بنو إسرائيل في مصر ونعموا بأمن واستقرار وحياة رغدء بعض الوقت، إلا أن هذه النعمة لم تدم طويلاً، فبعد أن طرد الفراعنة المصريون والهكسوس نظروا إلى بني إسرائيل بارتياب نتيجة العزلة التي أحاطوا أنفسهم بها والامتيازات التي نعموا بها فلما قامت الأسرة التاسعة عشرة ومن ملوكها رمسيس الثاني، ظهر الشعور العدائي ضد إسرائيل لأنهم نالوا أطيب خيرات مصر على حساب المواطنين المغلوبين على أمرهم وكان الحاكم الجديد يخشى أن يتآمر بنو إسرائيل عليه[1]". وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه العلاقة المتأزمة بين بني إسرائيل والمصريين مبيناً أنها علاقة كانت تقوم على أساس أن الفراعنة هم السادة وأن بني إسرائيل هم العبيد وعانى بني إسرائيل من الفراعنة أشد المعاناة ورأى الفراعنة ضرورة إيقاف تكاثرهم فقرروا قتل كل المواليد الذكور منهم: {وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ }[2].

ويصور القرآن الكريم هذه الغطرسة الفرعونية التي كانت تمارس ضد المستضعفين من بني إسرائيل، فيقول سبحانه وتعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ }[3]. ومن هنا كانت أحد المطالب الأساسية لموسى عليه السلام من فرعون: {أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ }[4].

---

[1] أحمد شلبي، مرجع سابق، ص ٥٩.

[2] سورة الأعراف، آية: ١٢٧.

[3] سورة القصص، آية: ٤ — ٥.

[4] سورة الشعراء، آية ١٧.

وكان خروج موسى عليه السلام بني إسرائيل من مصر التي عدت بالنسبة إليهم أرض الذل والعبودية ، كان ذلك خلاصاً لهم من هذا الذل، ومنه أمتن الله تعالى بها عليهم : {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۞ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ }[1].

كما أن قصة ميلاد موسى عليه السلام وطفولته التي صورها القرآن الكريم تبين مدى المضايقة والمعاناة التي كان يتعرض لها بنو إسرائيل في مصر على يد الفراعنة وعلى الرغم من أن موسى عليه السلام عاش طفولته في كنف فرعون مصر.

ومرحلة إقامة بني إسرائيل في مصر بدأت بالتفاؤل والرضا وانتهت بالتشاؤم والسخط وقد اعتاد بنو إسرائيل ألا يعيشوا في ظل حكم سياسي إلا واستغلوه لتحقيق مطابعهم الاقتصادية فما أن تضاءل نفوذ يوسف عليه السلام وفقد الإسرائيليون مركزهم الذي كان يحقق لهم الثراء دون جهد حتى سخطوا على مصر وفرعون وشعبها، وقد أحاطهم يوسف عليه السلام بعنايته ورعايته وأكرمهم فرعون إذ رأى يوسف يهتم بهم وتذكر التوراة أن هذا الإكرام والاهتمام أدى إلى زيادة عددهم وثروتهم " أما إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً وامتلأت الأرض منهم "[2].

ولكن هذه الرعاية لم تدم طويلاً بل تبدلتْ إلى إذلال واستعباد وفي ذلك يقول سفر الخروج " ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف.. واستعبد

---

[1] سورة البقرة، آية: ٤٩- ٥٠.

[2] سفر الخروج، ١٠٦.

المصريون بني إسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل [1]. وانتقل الإسرائيليون من حياة الرغد والتجارة وصياغة الذهب إلى العمل اليدوي في أعمال البناء والزراعة والري شأن عامة المصريين.

ولم تعجبهم هذه الحياة فراحوا يتآمرون واكتشف شعب مصر أن بني إسرائيل يتآمرون عليه ووصل التآمر إلى عمل ضد سلامة الدولة وثاروا ثورة عاتية ضد الفرعون "منفتاح "فزحف عليهم.. وقُرئت على عمارة في طيبة أنشأها " منفتاح الأول " أنشودة له ذكر فيه تنكيله ببني إسرائيل بسبب ثورة قاموا بها ضد السلطان المصري[2].

وبناء على هذه النهاية وعلى هذا الاضطهاد الذي ظل يطارد بني إسرائيل في مصر إلى أن أخرجهم موسى عليه السلام من ذل العبودية، فإن العرف الشائع بين العبريين أنهم يتشاءمون تشاؤماً تقليداً بالأيام التي قضوها في مصر فيعدونها محنة المحن في تاريخهم كله[3].

المطلب الثالث
مرحلة الخروج والتيه
والعودة إلى فلسطين

يذكر المؤرخون أن هذه المرحلة قد بدأت بالنجاة والخلاص من عهد الذل الذي عاشه الإسرائيليون في ظل الفراعنة في مصر وقصة الخروج كانت أشبه ما تكون بثورة قادها موسى عليه السلام حيث كانت دعوته تقوم على قضيتين أساسيتين هما: الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد وإثبات بطلان دعوى فرعون بالألوهية.

---

(1) نفس المصدر، ١/٨- ١٤.

(2) أحمد شلبي، اليهودية، ص٥٩.

(3) صبري طعيمة، التاريخ اليهودي العام، ص٣٩.

وإخراج بني إسرائيل وتحريرهم من ذل العبودية وقد التف بنو إسرائيل حول نبيهم موسى عليه السلام في هذه القضية وتعاملوا معه فيها على أنه زعيم سياسي أكثر من كونه مرسلاً من ربه ولهذا فإنهم سرعان ما أنقلبوا عليه بعد الخروج أمام أيام من الشدة والتعب في صحراء سيناء وتنكروا لكل معروفه وجهوده وراحوا يقولون له ولأخيه هارون " ليتنا متنا في مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع، فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع [1].

ورحلة الخروج هذه يسردها سفر الخروج مفصلة ويبيّنها القرآن الكريم موضحاً مدى المعاناة التي لاقاها موسى عليه السلام منهم ومدى تعجيزهم له ومطالبهم المستمرة له ومدى صبره عليهم ودعائه المستمر لربه أن يكشف عنهم الرجز ويصرف عنهم السوء والنعم المتواصلة التي أنعم الله بها عليهم: {وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }[2].

ومع كل هذه النعم الإلهية عليهم وكل هذا الصبر المتواصل من موسى عليه السلام على كثرة مطالبهم إلا أنهم لم يقابلوآ ذلك كله بالشكر والعرفان بل قابلوه بكل جحود ونكران وبكل مخالفة وعصيان وعتوا عن أمر ربهم ويبين لنا القرآن الكريم قصة الانحراف التي قام بها بنو إسرائيل في أثناء الليالي الأربعين التي ناجى فيها موسى عليه السلام ربه على جبل الطور وترك فيهم هارون عليه السلام

---

[1] سفر الخروج، ١٦ / ٣.

[2] سورة الاعراف، آية: ١٦٠

يصرعهم ويقارعهم وتغلوا عليه وخرجوا على أمره وراحوا يعبدون عجلاً من الذهب المسبوك من حلي نسائهم: {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ }[1].

ويبين لنا القرآن الكريم قصة المكابرة والمجاهرة بالانحراف من السبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام ليخرجوا معه إلى ميقات ربه ويشهدوا بأنفسهم كلام الله تعالى ووصاياه.

ويمضي موسى عليه السلام يسير بقومه تجاه فلسطين ولكن فلسطين كانت عامرة بالسكان.. ووقف أهلها في وجه بني إسرائيل يردونهم عنها وهكذا أصبحت محاولة دخولها تعني الحرب بين بني إسرائيل وبين هؤلاء السكان وكان بنو إسرائيل يخافون الحرب فقد تمكنت منهم الذلة والصغار فصاحوا بموسى عليه السلام{قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ }[2].

ومع كل محاولات الإغراء بالنصر والغلبة لهم فقد أعطوا قرارهم القاطع: {قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ }[3].ولم يقف مع موسى في محنته أحد غير أخيه هارون عليه السلام: {قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ }[4]. فكان حكم الله تعالى فيهم أمام حالة الذل هذه: {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ

---

[1] سورة الأعراف، آية: ١٤٨.

[2] سورة المائدة، آية: ٢٢

[3] سورة المائدة، آية: ٢٤

[4] سورة المائدة، آية: ٢٥

سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ }[1].

ويبدو أن مرحلة التيه في الصحراء كانت ضرورية لهم لصياغة نفوسهم من جديد تلك النفوس التي تعودت على الحياة المنعمة حتى لو كانت في ظل العبودية فكان لا بد لهذه النفوس أن تتغير وتتعرض لمحن وفتن تصهرها من جديد وتجعلها قادرة على مواجهة القتال والأعداء فكان هذا التيه الذي ضرب عليهم عقوبة لهم من جهة وتهيئة لنفوسهم من جهة أخرى. ومات هارون ثم موسى عليهما السلام في فترة التيه ، ودفن هارون في جبل هور ودفن موسى في كثيب أحمر حيث كان يرى أرض فلسطين دون أن يدخلها ويذكر بعض الباحثين أن الذين عاصروا موسى عليه السلام هلكوا جميعاً في الصحراء ولم يدخل منهم فلسطين إلا اثنان كان يوشع واحداً منهما[2]. وتولى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام وكان من المقربين لموسى عليه السلام ويبين سفر العدد هذا فيقول " فقال الرب لموسى خذ يوشع بن نون رجلاً فيه روح وضع يدك عليه وأوقفه أمام الكاهن وقدام كل الجماعة وأوصه أمام أعينهم وأجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كل جماعة بني إسرائيل[3].

وبهذه التهيئة والوصية له بالقيادة يسير يوشع بن نون وهدفه الأساسي دخول الأرض المقدسة التي أصبحت أمام أعينهم. ويوشع بن نون هذا هو فتى موسى الذي ذكره القرآن الكريم في سورة الكهف: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً }[4].

---

[1] سورة المائدة، آية: ٢٦.

[2] أحمد شلبي، مرجع سابق، ص ٦٩ ـ ٧٠

[3] سفر العدد / ٢٧: ١٨ — ٢٠.

[4] سورة الكهف، آية: ٦٠.

وقد ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام البخاري رحمه الله[1] ومع أن موسى عليه السلام لم يكتب له أن يدخل الأرض المقدسة إلا أنه ودون شك كان قد بذل جهدا شاقا وطويلا

من أجل دخولها.وقد ذكر سفر العدد شيئاً من هذه الجهود والمحاولات " أصعدوا من هنا إلى الجنوب وأصعدوا إلى الجبل وانظروا الأرض ما هي والشعب الساكن فيها أقوى أم ضعيف قليل أم كثير وكيف هي الأرض جيدة أم ردية.. وعادوا بعد أربعين يوماً ليقدموا إلى موسى بعض ثمار فلسطين ويطلعوه على نتيجة استطلاعهم لطرق وتحصينات فلسطين والتي وجدوها جيدة وأخبروه بأن العَمَّاليق يسكنون جنوب فلسطين وأن الحثيين واليبوسيين والعموريين يسكنون الجبال في حين يسكن الكنعانيون على ساحل البحر[2].

ويبدو أن نتيجة الاستطلاع هذه هي التي أخافت بني إسرائيل ودفعت بهم إلى أن يرفضوا أوامر موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة لأن أهلها أقوياء جبابرة وأنهم غير قادرين على دخولها ما دام هؤلاء فيها فكانت عقوبة التيه التي بينها القرآن الكريم وذكرها سفر العدد كذلك بما نصه " فحمي غضب الرب على إسرائيل وأتاههم في البرية أربعين سنة حتى فني كل الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب[3].

وتمكن يوشع بن نون من عبور نهر الأردن ودخول مدينة أريحا وتذكر التوراة أنه قتل كل من فيها من إنسان أو حيوان وحرق المدينة كلها ولم ينج من سكان المدينة إلا امرأة زانية تدعى راحاب وأهلها حيث أن بيتها هو الذي خبأ الجاسوسين اللذين

---

(1) صحيح البخاري، باب العلم، ص ١٢٢.

(2) سفر العدد، ١٣ / ١٧ ـ ٢٨.

(3) سفر التثنية، ٢/٧.

أسلهما يوشع بن نون لاستطلاع أوضاع المدينة[1]. وحكم يوشع على أريحا الخراب واللعنة قائلاً " ملعون قدام الرب الرجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة أريحا[2]".

ومن أريحا انطلق بنو إسرائيل إلى بقية الأرض المقدسة لكنهم لم يستطيعوا أن يمدوا سلطانهم إلى كل فلسطين ووقفوا عند منطقة التلال الداخلية أما منطقة الساحل فقد ظلت في أيدي السكان الأصليين[3]. وتقع ضمن هذه المرحلة فترة مهمة جداً في تاريخ اليهود وهي فترة حكم فلسطين وقد شهدت هذه الفترة ثلاثة عهود هي: عهد القضاة. وعهد الملوك وعهد الانقسام والزوال. وفيما يلي بيان لكل عهد من هذه العهود بشكل مقتضب:

أولا: عهد القضاة

يمتد هذا العصر من " ١١٢٥ ق.م- ١٠٢٥ ق.م " كان الحكام قضاة من الكهنة ينتخبهم كبراء الشعب وكان نظام الحكم لا يقوم على أساس الدولة بل أساس الحكم الأبوي في الأسرة فكان شيوخ العشائر يجتمعون في مجلس من الكبراء هو الحكم الفصل في شؤون العشيرة وهو الذي يتعاون مع زعماء القبائل الأخرى[4].

وفي هذا العهد وضع الأساس للحياة اليهودية وبدأت حياتهم تتغير خلال عهد القضاة رويداً رويداً فبدأوا يتنقلون من حياة البدو إلى حياة الاستقرار كما بدأوا يعرفون الزراعة بجانب الرعي[5]. لكن هذا التغير الاجتماعي في حياة بني إسرائيل في هذا العهد لا يعني استقراراً سياسياً أو رضى من سكان البلاد الأصليين بهذا

---

[1] سفر يشوع، ٢ / ١ - ٢، يشوع، ٦ / ٢٢ - ٢٥.

[2] سفر يشوع، ٦ / ٢٦.

[3] أحمد شلبي، مرجع سابق، ص ٨٥.

[4] ول ديوارنت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، ج٢، ص٣٢٩.

[5] أحمد شلبي، مرجع سابق، ص٧٣.

الاحتلال اليهودي لأرضهم أو وحدة سياسية بين الإسرائيليين أنفسهم.

وبعد وفاة يوشع بن نون اشتدت الأزمات وسادت الفوضى بين بني إسرائيل في فلسطين وارتد كثير منهم إلى الوثنية وتشربوا كثيراً من عادات الكنعانيين وطقوسهم الدينية فنهض عدد من الزعماء وحاربوا المحليين وتصدوا لذلك وحاربوا دفاعاً عن الكيان الديني والاجتماعي وهؤلاء هم القضاة الذين سميت هذه الحقبة من التاريخ اليهودي التي تلت غزوهم لفلسطين بنحو قرنين من الزمان، وفي هذه الأثناء شن الفلسطينيون هجوماً كبيراً بدأ من المنطقة الساحلية وانتهى إلى داخل فلسطين وحاربوا بكل قوة وهزموا بني إسرائيل[1].

ثانياً : عهد الملوك

وأما العهد الثاني من هذه المرحلة فهو المسمى بعهد الملوك، ويبدأ هذا العهد بعد شيوع الفساد في عهد القضاة، ويحكي الإصحاح الثامن من سفر صموئيل الأول قصة الانتقال من عهد القضاة إلى عهد الملوك فيقول: " وكان لما شاخ صموئيل أنه جعل بنيه قضاة لإسرائيل.. ولم يسلك أبناؤه طريقه بل ما لا وراء المكسب وأخذوا رشوة وعوجا القضاء، فاجتمع كل شيوخ إسرائيل وجاءوا إلى صموئيل إلى ا لراحة وقالوا له: هو ذا أنت شخت وابناك لم يسيرا في طريقك فالآن اجعل لنا ملكاً يقضي لنا[2]".

ويطلق سفر صموئيل الأول على هذا الملك اسم شاؤل بينما يذكر القرآن الكريم هذه القضية ويسمي الملك فيها بـ طالوت، كما في قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

---

[1] عبد العليم وراشد، اليهود في العالم القديم، ص٧٢، صموئيل الأول: ١/٨- ٥ .

[2] صموئيل الأول: ١/٨- ٥ .

قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۞ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[1].

وقد قادهم شاول في المعارك بشجاعة وكان داود عليه السلام أحد رجاله ويحكي سفر صموئيل الأول بروز جلبات قائد الفلسطينين الذي يسميه القرآن الكريم جالوت كما جاء في قوله تعالى: {قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ }[2]، ويسجل القرآن الكريم هزيمة جالوت وجنوده أمام طالوت وقائد جيشه داود في قوله تعالى: {وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۞ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ }[3]. وبذلك يبدأ عهد مهم وشهير في عهد الملوك وهو عهد الملك النبي داود عليه السلام وولده الملك النبي سليمان عليه السلام.

ويعد هذا العهد العصر الذهبي بالنسبة لليهود في فلسطين ظهرت فيه غلبتهم على الفلسطينيين الذين قاوموا وجودهم من البداية وتوسعت فيه دولتهم لتشمل

---

[1] سورة البقرة، آية : ٢٤٦ – ٢٤٧ .

[2] سورة البقرة، آية : ٢٤٩.

[3] سورة البقرة، آية : ٢٥٠- ٢٥١ .

غالبية أراضي فلسطين وكونوا مملكة فيها ، لقد كان هم داود عليه السلام توحيد مناطق فلسطين في مملكة يهودية وكان قد اتخذ من مدينة حبرون " الخليل " عاصمة لملكه مدة سبع سنين ثم استطاع ولأول مرة في تاريخ اليهود أن ينتزع القدس من أصحابها اليبوسيين سنة ١٠٤٩ ق.م وأن يتخذها عاصمة لملكه(١).

وتذكر التوراة أن اليهود لم يستطيعوا أن يطردوا سكان فلسطين في هذه الفترة فسكنوا بين اليبوسيين في القدس والحواريين في شكيم " نابلس " والفرزيين في بيت لحم والزيديين في يافا وتزاوجوا معهم وعبدوا آلهتهم الوثنية(٢).

لقد توج داود ملكاً على اليهود بعد مقتل شاؤل "طالوت" وقد مضت سنتان قبل مبايعة جميع بني إسرائيل له ملكاً وكان داود محارباً شجاعاً أحرز انتصارات عديدة وقد أحبه الشعب وساسهم بالحسنى وبعد انتزاعه أورشليم من أيدي اليبوسيين اتخذها عاصمة له وأتى إليها بصندوق العهد " التابوت " وخطط لبناء هيكل فيه إلا أن الرب منعه(٣) وقد ورد هذا المنع في أخبار الأيام الأول / ٢٨ : ٣ بما نصه " ولكن الله قال لي لا تبن لي بيتاً لأسمي لأنك أنت رجل حروب وقد سفكت دماء".

وأما من حيث " صندوق العهد " المسمى بالتابوت فقد ورد الحديث عنه في سفرالخروج / ٢٥ وفي سفر التثنية / ١٠ وسفر العبرانيين /٩ وسفر يشوع /٦ وسفر صموئيل / ٤ وخلاصة ما في هذه الأسفار أنه صندوق مستطيل قائم الزوايا مثل هيكل الخيمة ، وكان هذا الصندوق مصنوعاً من خشب صلب غشى بالذهب وضعت فيه ألواح الوصايا العشر ، وفيه عصا هارون وقد وضع صندوق العهد في قدس الأقداس وكان رمزاً إلى سكنى الله وحضوره ، وكان التابوت يحمل أحياناً إلى

---

(١) ظفر الاسلام خان ، تاريخ فلسطين القديم ، ص٤٣ .

(٢) يشوع ، ٣/١١ .

(٣) بطرس عبد المللك ورفاقه ، موسوعة الكتاب المقدس ، ص١٤٨ .

المعركة رمزاً للحماية الإلهية، وقد وقع مرة بأيدي الفلسطينيين واستعادة داود منهم. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التابوت في قوله تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }[1].

وأما بالنسبة إلى مملكة داود عليه السلام فقد ذكر سفر الملوك الأول ٢/١١ إلى أن الزمان الذي ملك فيه داود على إسرائيل أربعين سنة في حبرون " الخليل " سبع سنين وفي أورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين سنة. ولقد كان نجاح داود في تأسيس مملكته نجاحاً محدوداً وذلك لقصور همة شعبه عن مجاراة همته العالية فلم يكن الشعب الذي حكمه شعباً واحداً متجانساً بل كان خليطاً متناثراً من إسرائيليين وكنعانيين بينهم جيوب آرامية في الشمال وجيوب فلسطينية في الساحل وقبائل عربية صريحة في الجنوب والشرق هذا بالإضافة إلى أن الإسرائيليين كانوا متباغضين متحاربين فيما بينهم[2].

وعلى الرغم من ذكاء وحنكة داود عليه السلام إلا أنه لم يستطع توحيد مملكته السياسية وطول مدة حكمه ولقد كان اختياره للقدس عاصمة لدولته محاولة واضحة للوصول إلى وحدة دولته فهي تتمتع بمزايا كثيرة من أهمها أنها ذات موقع استراتيجي على تل مرتفع وسط فلسطين وهي مدينة محايدة لا تنتمي لأي من الأسباط الاثني عشرة مما جعله لا يظهر أمام بني إسرائيل بمظهر الملك القبلي الذي يحاول أن يفرض نفوذه عليهم.

وقد حاول داود عليه السلام أن يحافظ على التماسك القبلي لأسباط بني إسرائيل حيث كان لكل سبط أقليم معين بالإضافة إلى دخوله القدس وإحضار تابوت العهد إليها لتكون مركزاً دينياً ومع كل هذا فلم يحدث اندماج حقيقي بين

---

[1] سورة البقرة، آية: ٢٤٨.

[2] داود ستقرط، جذور الفكر اليهودي، ص١١٢.

الأسباط الشمالية والجنوبية [1]. وبقي هذا الانفصال قائماً في ضمائرهم حتى أن سياسة التوسع التي اتبعها داود عليه السلام " وإن كانت التوراة تبالغ في هذا التوسع والامتداد لمملكة داود عليه السلام " هذه السياسة لم تستطع تماماً القضاء على عوامل الانهيار داخل مملكته مما فجر الثورة التي تزعمها ابنه أبشالوم ضده وعمق أسباب الخلاف والتمزق بين الشمال والجنوب مما أضطر داود إلى الفرار إلى ما وراء نهر الأردن لينجو بنفسه[2]. إلا أن أبشالوم الذي تمرد على أبيه في مؤامرة للاستيلاء على الملك هزمه رجال داود وبينما كان فاراً على ظهر بغل علق رأسه بأغصان بطمة عظيمة فقتله يوآب قائد جيش داود[3] بعد موت داود خلفه ابنه سليمان (٩٢٢ - ٩٦١ ق.م) على عرش بني إسرائيل وقد توسعت في زمنه المملكة التي أسسها والده داود عليهما السلام.

وقد أدرك أن مملكته الصغيرة لن تدوم إلا بتدعيم علاقاته الودية مع الدول التي تحيط به فوثق العلاقة التي أقامها أبوه مع ملك صور وتزوج ابنة فرعون مصر أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين وأهدى له مدينة جازر " وهي إحدى المدن الكنعانية تقع على الطريق من يافا الساحلية إلى أورشليم، كانت ملكاً لمصر فترة إلى أن وهبها أحد الفراعنة لأبنته التي تزوجها الملك سليمان[4]. وقد بدأ سليمان عليه السلام ببناء سور يحيط بجبل الموريا في القدس وهو الجبل الذي تزعم أسفار عهد القديم أنه موقع هيكل سليمان وأرض بيدر اليبوسي[5].

ثم أخذ في بناء المعبد المركزي. ويشير العهد القديم إلى أن بناء الهيكل استغرق

---

[1] مصطفى كمال و سيد فرج ، اليهود في العالم القديم، ص٧٧.

[2] صموئيل الثاني، ١٥/ ١٩.

[3] نفس المصدر، ١٥/ ١٩.

[4] بطرس عبد الملك ورفاقه، موسوعة الكتاب المقدس، ص٩٧.

[5] أخبار الأيام الثاني، ٣/ ١.

سبع سنوات بينما استغرق بناء قصر سليمان وملحقاته ثلاثة عشر عاماً. وراحت أسفار العهد القديم تتحدث عن هذا الهيكل وطوله وعرضه وارتفاعه ونجد وصفاً وافياً لكيفية بناء الهيكل وتأثيثه في سفر الملوك الأول / ٥ ـ ٧". وفي هذا السياق لا بد من الإشارة إلى أن هذا الهيكل المزعوم لا وجود له في منطقة المسجد الأقصى وهذا ما دلت عليه أعمال الحفر والتنقيب حول المسجد الأقصى فلم يثبت شيء من ذلك رغم كثرة الحفريات والأنفاق التي بدأ اليهود العمل بها من سنة "١٩٦٧" وإلى يومنا هذا.

بدأ سليمان عليه السلام يمارس أعمال الحكم ووالده على فراش مرضه وأدرك أنه أمام قوى متناقضة وعديدة فاستصدر ما يشبه الأمر الملكي يتنازل داود عن عرشه لأبنه سليمان ويبدأ يقوم بجولات وزيارات ويقيم مهرجانات للتأكيد والالتفاف حوله وأوصى داود لولده سليمان ومضى سليمان بعد وفاة أبيه على نهج والده واتسعت دولته وامتد نفوذها إلى ملك بلقيس في اليمن. لقد عرف اهتمام سليمان عليه السلام بالبناء والقصور ووصف عهده بالبذخ والترف بل تذكر أسفار التوراة أن حالة من الثورة والتمرد كانت ضده نتيجة هذا السرف والبذخ الذي كان يقتضي فرض الضرائب على الناس حتى أن سكان المنطقة الشمالية من مملكته التي كانت تتخذ من شكيم " نابلس " عاصمة لها كانوا يرون في معبده في القدس مركزاً للجباية. وقد أشار القرآن الكريم إلى اتساع نفوذ سليمان عليه السلام وما سخر الله تعالى له:

{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ۝ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}[1].

---

[1] سورة سبأ، آية: ١٢- ١٣.

وكان سليمان عليه السلام قد نجح في إيجاد حالة من الازدهار الاقتصادي للبلاد واستطاع أن يوطد حسن الجوار مع فرعون مصر الذي زوجه إحدى بناته حتى يؤمن له ميمنته الشرقية من هجوم الأعراب عليه عبر سيناء كما تفاهم مع بلقيس ملكة سبأ على تأمين طريق التجارة البري من اليمن عبر الحجاز إلى فلسطين[1]. وبوفاة سليمان عليه السلام ينتهي عهد الملوك ليبدأ عهد جديد في هذه المرحلة من تاريخ بني اسرائيل وهو عهد الانقسام والزوال. ويبدو أن بدايات الضعف والضياع السياسي قد بدأت في أواخر عهد سليمان عليه السلام.والتوراة حين تتكلم عن مملكة داود وسليمان عليهم السلام تتكلم بفخر زائف لا أساس ولا سند له.

والحقيقة التي لا مراء فيها أن مملكة داود وسليمان التي تبجحت التوراة بها كثيراً فجعلتها تمتد من الفرات إلى النيل لم تكن تشمل غير يهوذا والسامرة فقط أي المنطقة الجبلية الممتدة بين مدينتي الخليل ونابلس وكلها مدن كنعانية يبوسية بدليل أنها انقسمت بعد موت سليمان إلى مملكتي يهوذا وإسرائيل لقد كانت مملكة من خمسين مملكة عايشتها فلسطين[2].

هذا ولقد أشارت بعض النصوص التوراتية إلى بداية الضياع السياسي في عهد سليمان عليه السلام فيقول " وأنام الرب خصماً لسليمان "هدد الأدومي" كان من نسل الملك في أدوم- وقام له خصماً آخر "رزون" وكان خصماً لإسرائيل كل أيام سليمان[3]. ومع أن التوراة لم تقدم تفصيلاً موسعاً عن مدى الصراع الذي حل بجماعات إسرائيل أيام سليمان حين تمرد عليهم الثائر "هدد" إلا أنه من الثابت توراتياً أن "هدد" لم يكن أول ولا آخر القوى المضادة التي حملت على عاتقها

---

(1) داود سنقرط، جذور الفكر اليهودي، ص١١٣٢.

(2) أحمد سوسة، العرب واليهود عبر التاريخ، ص١٢٦.

(3) صبري طعيمة، التاريخ اليهودي العام، ج١، ص٢٤٧.

أن تثير الفتن والقلاقل في مجتمع إسرائيل مؤملة في تحقيق مصالح شخصية ونستطيع أن نقول أن هذا المجتمع لم يسلم من القلاقل والاضطرابات وكل مظاهر الفوضى والتخريب [1]. وكانت الأيام التي ملك فيها سليمان في أورشليم على كل إسرائيل أربعين سنة [2] .

ثالثا : عهد الانقسام والزوال

بعد وفاة سليمان عليه السلام انتهى نفوذ العبريين السياسي في فلسطين وطفت على السطح مظاهر الانفصال والشقاق القديم بين بني إسرائيل من الأسباط الشمالية والأسباط الجنوبية . وتبنت القبائل الشمالية في إسرائيل موقفاً سلبيا.

وبعد وفاة سليمان عليه السلام حوالي سنة ٩٣٥ ق.م أعلن أبنه رحبعام نفسه ملكاً على دولة اليهود وبايعه سبطا يهوذا وبنيامين في أورشليم على ذلك ثم أتجه "رحبعام" إلى الشمال لأخذ البيعة من باقي الأسباط فاجتمع حوله شيوخ بني إسرائيل في شكيم "نابلس" ومعهم أخوة "يربعام" الذي كان قد ثار على أبيه وفشلت ثورته فهرب إلى مصر وعاد إلى فلسطين بعد وفاة سليمان ورفض شيوخ الأسباط في الشمال أن يبايعوه وبايع الأسباط العشرة يربعام ملكاً وأراد رحبعام أن يحارب أخاه ولكن النبي شمعيا نصحه بالعدول عن الحرب[3].

وهكذا انقسمت المملكة إلى مملكتين جنوبية اسمها يهوذا وعاصمتها أورشليم " القدس " وشماليه أسمها إسرائيل وعاصمتها شكيم "نابلس". وقد شهدت السنة الخامسة من حكم رحبعام غزو فرعون مصر " ششنق " الذي اكتسح مملكتي يهوذا وإسرائيل سنة ٩٢٤ ق.م واتخذ من مدينة غزة مركزاً لتجمع قواته التي شكل منها

---

[1] صبري طعيمة، التاريخ اليهودي العام، ج١ ، ص٢٤٧.

[2] سفر الملوك الأول، ١١/٤٢.

[3] أحمد شلبي، اليهودية، ص٨١.

ثلاث حملات شملت معظم أرجاء فلسطين من شمالها إلى جنوبها وقد استولى على شكيم نفسها وقد سجل شيشنق أعمال حملته في فلسطين بعد عودته إلى مصر على الحائط الجنوبي الغربي لمعبد أمون من الكرنك كما حدد الأماكن التي قام بغزوها[1]. ويتحدث سفر الملوك الأول والثاني وسفر الأيام بإفاضة عن المعارك التي تكاد تكون متصلة بين دولتي اليهود من جانب ومجاوريهم من جانب آخر وكذلك عن الوقائع الغادرة بين دولة يهوذا ودولة إسرائيل وطالما استعانت إحدى هاتين الدولتين على الأخرى بدولة مجاورة وكان وقوع دولتي اليهود بين مصر من جهة وأشور وبابل من جهة أخرى مضاراً لحروب طويلة كانت فلسطين ميدانها حتى يمكن القول بأن عهد الانقسام كان عهد دماء تسيل وأرواح تزهق وأنين ينبعث . ويبدو أن حالة الصراع هذا بين الدولتين وما يحيط بهما من دول كبيرة أدت إلى سقوطها فقد سقطت مملكة إسرائيل بسقوط عاصمتها السامرة على يد الملك الأشوري سرجون الثاني سنة " ٧٢٢ ق.م "واعتقل آخر ملوكها ونفاه مع عدد من رجاله إلى مملكته وأقام عليها والياً يحكم باسمه .

وفي سنة "٦٠٨ ق.م " زحف فرعون مصر على مملكة يهوذا فاحتلها واستمر في زحفه فاحتل مملكة إسرائيل التي كانت قد سقطت بيد الأشوريين ، ثم جاء بختنصر ملك بابل الذي آل إليه السلطان على أشور من سنة " ٥٦٢ ـــ ٦٠٥ ق.م " وزحف على فلسطين فهزم فرعون مصر واستعاد مملكة إسرائيل ثم احتل مملكة يهوذا وقتل آخر ملوكها ونهب أورشليم ودمر وسبى أكثر السكان إلى بابل وانتهى بذلك ملك اليهود بفلسطين ودخل اليهود مرحلة جديدة من تاريخهم وهي " مرحلة السبى البابلي والشتات ".

---

[1] مصطفى كمال و سيد فرج ، اليهود في العالم القديم ، ص١٠٦.

ومعلوم أن بابل لم تكن الموئل الوحيد للعبرانيين الخارجين من فلسطين فقد عمل سرجون الثاني على إخراج ٢٧,٢٩٠ من سكان السامرة إلى مناطق بعيدة مثل حران وضفاف الخابور وفي أعقاب هزيمة المملكة الشمالية " السامرة " ونفي بعض القبائل اليهودية إلى أشور قام سرجون بنقل بعض القبائل العربية التي كان قد هزمها سرجون إلى شمال فلسطين بالإضافة إلى ذلك أتى ملك أشور بعناصر شتى من بابل وكون وحماة واسكنهم مدن السامرة[1].

إلا أن المنفيين إلى بابل على يد بختنصر كان لهم وضع خاص يختلف عن المنفيين كافة أو الخارجين إلى المناطق المختلفة، فقد سمح لهم بإقامة تجمع خاص بهم يمارسون فيه أشكال طقوسهم وحياتهم كافة بل سمح لهم بعد فترة أن ينصبوا عليهم أميراً منهم ولم يعاملوا معاملة العبيد ثم تحسنت أحوالهم المالية في بابل نتيجة انشغالهم بالتجارة هناك بعد أن كانوا يعملون بالزراعة في فلسطين[2].

وقد أشار سفر عزرا إلى أن يهود بابل أرسلوا مساعدات مالية من أجل معبد أورشليم ولمساعدة بقايا اليهود في فلسطين [3]. كما استطاع اليهود في المنفي تكوين مجتمع خاص بهم والحفاظ على شعائرهم الدينية ومن هنا ظهرت حركة روحية عميقة تجددت على أثرها فكرة المسيح المخلص وهي فكرة كانت قائمة بالفعل وخلال مدة السبي وفي ظل هذا الوضع المريح إلى حد ما ظل اليهود يعيشون التحنان إلى المجد الذي اكتسبوه خلال الفترة القصيرة التي أقاموا فيها مملكتهم وبخاصة أن المنفيين إلى بابل هم من مملكة يهوذا فكان التغني بأورشليم والحنين إليها جزءاً أساسياً من أدبياتهم.

---

[1] مصطفى كمال و سيد فرج، اليهود في العالم القديم، ص١٥٣.

[2] نفس المرجع، ص١٦٩.

[3] سفر عزرا، ٢/٦٨- ٦٩.

وقد نجح اليهود في ربط هذا الحنين بالدين فقد حول الكهنة اهتمامهم إلى دراسة الشريعة دراسة منظمة وانشأوا في بابل مدرسة دينية يهودية عرفت باسم بيت المدارش وبيت الكنيست وقد كان هناك اتجاهات دينيان واضحان بين اليهود في السبي وأثناء الإعداد للعودة اتجاه له طابع دنيوي والآخر له طابع كهنوتي فالاتجاه الأول قريب ممن قبلوا الأمر الواقع في المنفي والثاني أكثر تعلقاً بالقومية وقد تفاعلت اليهودية بين الاتجاهين[1].

وبنى اليهود وبخاصة الحركة الصهيونية الحديثة على هذا السبي أمجاداً وخلدوا هذا التشريد وبنوا عليه أمل العودة وابتدعوا منه فكرة أرض الميعاد وتخيل شعراء اليهود حنين العودة وصاغوا منه شعراً ومن ذلك لئن نسيتك يا أورشليم فلتنسى يميني حذقها - أي مهارتها وقدرتها على العمل- وليلتصق لساني بسقف حلقي إن لم أذكرك يا أورشليم وإن لم تكوني لدي خيراً من أفراحي[2].

وعلى الرغم من قصر مدة هذا النفي إلى بابل وهي مدة لم تكمل خمسين سنة بدأت سنة ٥٨٦ وانتهت سنة ٥٣٨ ق.م إلا أن اليهود جعلوا منها تأكيداً على عنصريتهم ونظرتهم المعادية للإنسانية كلها وقد تفجرت هذه العنصرية عن الحقد والكراهية للعالم وانبثقت جذور الصهيونية بمعنى التطلع السياسي والديني إلى العودة إلى ما سموها بأرض الميعاد[3].

وفي عهد قورش الفارسي الذي استولى على بابل سنة ٥٣٩ ق.م انتهى السبي البابلي لليهود فقد أصدر أوامره بعودة اليهود إلى فلسطين مع السماح لهم بإعادة بناء الهيكل كما أمر بإعادة الآنية المقدسة التي سلبها بختنصر ووضعها في بيت

---

[1] مصطفى كمال و سيد فرج، اليهود في العالم القديم، ص١٧١.

[2] أحمد شلبي، اليهودية، ص٩٧.

[3] عبد الغني عبود، اليهود واليهودية والاسلام، ص٦٦.

آلهته[1]. ومن الجدير بالذكر أن اليهود بعد عودتهم من السبي البابلي وبغض النظر عن عدد العائدين والتناقض الواضح بين أسفار العهد القديم في عددهم إلا أنهم لم يتمكنوا من إقامة دولة لهم في فلسطين، فلم تكن لهم سيادة ولم يكونوا أكثر من جالية في فلسطين يخضعون كما يخضع كل السكان إلى الحكم الفارسي، ويدفعون له الجزية ثم وقعوا تحت حكم اليونان حث حيث خضعت فلسطين ومصر للحكم اليوناني فترة من الزمن. ثم جاء العصر الروماني حيث بسط الرومان سيطرتهم على فلسطين وأصبحت تحت سيطرة الحاكم الروماني لسوريا وخلال هذا العصر كان التركيز على السامرة لا على يهوذا فقد تمتعت السامرة بقدر من الحرية السياسية وبخاصة في عهد الإمبراطور الروماني جافينوس (٥٥ ـ ٥٧ ق.م) فقد أصدر أوامره بإعادة بناء كل المدن التي دمرت من قبل ومن بينها مدينة السامرة.

وقسم الإمبراطور الروماني فلسطين إلى أقاليم تحكم ذاتياً وكان من أهدافه في هذا التقسيم تسهيل جمع الضرائب وتفتيت الكيان اليهودي والجديد على اليهود في العصر الروماني أن الإمبراطور الروماني أغسطين قد عين هيرودس ملكاً تابعاً له على ما بقي من اليهود في فلسطين وحكم من سنة "٤- ٣٧ ق.م" وهكذا جلس على العرش ملك وصفه الشعب استهجاناً بأنه ملك نصف يهودي لافتقاره إلى الجذور الدينية القومية .. وكان هيرودس الذي كان ينتمي إلى أصل أدومي قد اعتنق الديانة اليهودية إلا أن اليهود عدوه أجنبياً .

وهيرودس هذا هو الذي اقتحم القدس سنة ٣٧ ق.م بعد أن أحكم عليها الحصار وقصفها بالمنجنيقات حتى تحطمت أسوارها واتخذ من السامرة عاصمة له وأطلق عليها اسم سبسطيه تكريماً للإمبراطور أغسطس سبستيان ولكي يكسب تأييد ما بقى من اليهود في فلسطين مع علمه بكراهيتهم له أعاد تخطيط مدينة القدس

---

[1] سفر عزراء ١/٧- ٨.

ودعم أسوارها وجمع اليهود في السنة الثانية عشرة لحكمه واخبرهم عن عزمه بإعادة بناء الهيكل[1].

وفي هذا العهد وبالتحديد في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد عاش اليهود في ظل الدولة الرومانية فترة هادئة استطاعت فيها الجماعات الدينية اليهودية أن تتحرر وتمارس دورها في الإشراف على المجتمع اليهودي وهذه الطوائف التي كانت تسيطر على الجماعات الدينية قسراً وقهراً كانت تمارس تسلطها وطغياناً في ظل سيادة الدولة الرومانية فقد كانت هناك طوائف دينية وسياسية ولكل منها في أمور الدين كهانة وأسلوب خاص يعيش به على أوهام التاريخ المدعي ويكون به مذهباً في انتظار مسيح مخلص موعود وكان الفريسيون أشهر هذه الجماعات وأكثرها تعصباً وادعاء بالتميز وظلوا على هذا السلوك حتى أصبحوا فيما بعد حين جاء السيد المسيح عليه السلام هدفاً لهم يندد بما هم عليه وينكر عليهم شعبيتهم القائمة على الزيف والنفاق[2]. وفي ظل مرحلة الانفتاح هذه مع الدولة الرومانية انبثقت المسيحية اليهودية وظهر السيد المسيح عليه السلام من قبل المجتمع اليهودي من خلال الفرق الكثيرة التي انحرف بعضها انحرافاً كبيراً استدعى حركات إصلاح وصيحات نذير فكانت رسالة المسيح عليه السلام تمثل هذه الصيحة لتصحيح المسار في المجتمع الإسرائيلي نفسه.

ولم تدم اجواء الارتياح لليهود في ظل الدولة الرومانية فقد قاموا بثورتهم على الإمبراطورية الرومانية سنة ٦٦م إلى ٧٠م حيث تمكن تيطس (Titus) ابن الإمبراطور فسبازيان من إخماد ثورتهم واقتحام مدينة القدس وتدمير هيكلها

---

[1] مصطفى كمال و سيد فرج، اليهود في العالم القديم، ص٢٣٢.

[2] صبري طعيمة، التاريخ اليهودي العام، ج١، ص٢٦٥.

والقضاء على الكيان اليهودي الذاتي في فلسطين.

والملاحظ في هذه المرحلة التاريخية أن اليهود قد قاوموا دعوة المسيح عليه السلام مقاومة شديدة ووجدوا فيها خطراً على الامتيازات التي أعطيت لهم من قبل الرومان وتسلطوا بواسطتها على المجتمع اليهودي ولذلك فقد استعان اليهود بالدولة الرومانية واستغلوا سلطاتها وجبروتها في سبيل مقاومة دعوة المسيح. وكان أباطرة الرومان يضطهدون أتباع المسيح عليه السلام ويطاردونهم بإيعاز وتأليب من اليهود وتذكر أسفار العهد الجديد أن هيرودس أمر بقتل صبيان بيت لحم جميعاً حتى لا يظهر المسيح ، وأن انتيباس الملقب بهيرودس رئيس الربع حبس يوحنا المعمدان وان هيرودس الملك قبل يوحنا بن زبدي وسجن بطرس[1].

المبحث الثالث
تطور الديانة اليهودية عبر التاريخ

مرت الديانة اليهودية بمراحل متعددة ، ففي هذا المبحث سنتحدث عن تطور الديانة اليهودية عبر المراحل ألتاريخه التي مرت بها اليهودية ونشير في البداية إلى أن اليهودية تلقت عدة تسميات خلال تاريخها الطويل ، ففي المرحلة الأولى من نشأتها سميت بديانة الآباء والمقصود بالآباء مجموعة الشخصيات النبوية التي تبدأ بآدم عليه السلام وتنتهي بموسى وهارون عليهما السلام.

ووفقا لمراحل التاريخ اليهودي العام فإن "ديانة الآباء" تشتمل على تاريخ الديانة في المرحلة العبرية التي تبدأ بإبراهيم عليه السلام، ولا تدخل هذه المرحلة تحت

---

[1] بطرس عبد الملك ورفاقه ، موسوعة الكتاب المقدس ، ص٩٧.

مسمى المرحلة العبرية إنما مدرجها المؤرخون اليهود داخل عصر الآباء ودياناتهم، وتنتهي المرحلة العبرية بإطلاق اسم إسرائيل على يعقوب عليه السلام وبداية المرحلة الإسرائيلية الممتدة من عصر يعقوب عليه السلام وحتى القرن السادس قبل الميلاد حين ظهرت التسمية الجديدة "الديانة اليهودية" في فتره السبي البابلي. وهى التسمية المستمرة حتى الآن.

وقد أدى خضوع الديانة للتاريخ إلى تعرضها للتغير المستمر، وفي هذه الدراسة عرض لأهم المراحل التاريخية التطورية لليهودية وقد اتصفت الديانة أيضا بالطابع القومي فأصبحت ديانة قومية خاصة، وفسرت مفاهيمها ومعتقداتها تفسيرا قوميا.

ويعنى وصف الديانة اليهودية بالتطور أنها عقيدة وشريعة لم تولد كاملة ولكنها أتت إلى الوجود ناقصة، وبدأت تدخل في مراحل من التطور وصلت بها في النهاية إلى درجة معينة من الاكتمال، ولا يزال الباب مفتوحا أمامها في المستقبل لكي يتم تطورها وهذا يعنى أن العوامل التاريخية لها دورها الكبير في صياغة الديانة اليهودية إلى الحد الذي يمكن الحكم معه على الديانة اليهودية بأنها ديانة تاريخية تتحكم فيها مسيرة التاريخ اليهودي قديما وحديثا. ويلعب العامل التاريخي دورا أساسيا في بنائها، و هذا يعنى أيضا أن اليهودية بدأت في التاريخ ديانة بسيطة ثم تطورت تاريخيا الأمر الذي أضاف إلى بنيتها الأساسية البسيطة تغيرات وتعديلات أدت إلى أن تصبح على درجة من التعقيد ابتعدت بها عن بساطتها القديمة. ولكي يتضح ما نقصده بهذا الحديث نقارن وضع اليهودية هنا كعقيدة وشريعة بوضع الإسلام فالإسلام كعقيدة وشريعة ولد كاملا منذ بدايته، ولم يمر بمراحل تطور في التاريخ كما حدث لليهودية [1]. فالعقيدة الإسلامية نص عليها القرآن الكريم وأخذت

---

[1] محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، ص ١٨٩.

شكلها النظري والعملي كاملة في عهد الرسول ﷺ وكذلك أيضا بالنسبة للشريعة الإسلامية التي أخذت شكلها الكامل نظريا وعمليا في عصر الرسول ﷺ.

وقد نشأت المذاهب الفقهية فيما بعد لشرح الشريعة وتفسير وسائل تطبيقها وكانت قواعدها و أصولها مستقرة كاملة منذ العصر الإسلامي الأول. أما اليهودية فالوضع معها يختلف تماما. فهي لا تزال إلى يومنا هذا تتعرض لأشكال من التعديل والتغيير التي تواكب الظروف التاريخية والمتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية للجماعات اليهودية في العالم. ويعطينا تاريخ تدوين العهد القديم " كتاب اليهود المقدس" دليلا واضحا على كون اليهودية ديانة متطورة عقيدة وشريعة.

فالعهد القديم وهو المصدر الأساسي للديانة اليهودية قد استغرق تأليفه وتدوينه قرابة ألف عام وهذا يعني أن اليهودية عقيدة وشريعة قد تطورت داخل العهد القديم نفسه لمدة ألف عام من القرن الثالث عشر قبل الميلاد إلى القرن الرابع قبل الميلاد. وظلت الديانة تتطور خارج فترة العهد إلى يومنا هذا.

ولا شك في أن هذا التطور التي تتصف به اليهودية هو الذي سمح لبعض اليهود في العصر الحالي بربط الصهيونية باليهودية واعتبارها حلقة من حلقات تطور اليهودية و إن زعموا أنها الحلقة الأخيرة و التطور أيضا هو الذي سمح لبعض اليهود اعتبار الصهيونية دينا بديلا لليهودية وإن ظل هذا اعتقادا لفئة قليلة متطرفة في فكرها الصهيوني.

ولعل من أهم الأسباب التاريخية التي أدت إلى اتصاف اليهودية كعقيدة وشريعة بصفه التطور هذه وقوع اليهود في فلسطين وخارجها تحت حكم دول وإمبراطوريات متعددة أثرت على الديانة اليهودية كما أثرت على التشريعات اليهودية بصفه خاصة. فقد وقع العبريون والإسرائيليون القدامى تحت حكم المصرين والآشوريين والبابليين، والفرس واليونان والرومان والمسيحيين والمسلمين وكل شعب من هذه الشعوب أثر

حضاريا في الإسرائيليين وتركت ديانته ونصوصه التشريعية أو القانونية أثرها الدائم على اليهود، فأخذ الإسرائيليون قديما عن القوانين التي ظهرت في بلاد النهرين خاصة قانون حمورابى الشهير، كما تأثروا بالديانة المصرية القديمة. وكان لفترة السبي البابلي " ٥٣٨- ٥٨٦ ق.م " أيضا تأثيرها على الدين اليهودي. وفي العصر الفارسي تأثروا بديانات فارس وبخاصة ديانة زرادشت.

وفي العصر اليوناني تأثروا بالفلسفة اليونانية في تفسير العقيدة والشريعة. وفي العصر الروماني تأثروا بالقوانين الرومانية كما كان للنقد المسيحي لليهودية تأثيره في قيام حركات إصلاحية لليهودية. وكذلك كان للنقد الإسلامي أثره في مزيد من التطور لليهودية وشريعة وهكذا كان للعامل التاريخي دائما هذا الدور المباشر في تعديل اليهودية وتطويرها[1].

والسبب الثاني الهام – والذي يعتبر في حقيقة الأمر نتيجة نهائية للسبب الأول – هو سيادة ظاهرة الشتات على التاريخ اليهودي العام والتي كان من نتيجتها العامة تشتيت اليهود إلى جماعات متعددة تعيش في بلدان متفرقة تحت ظروف سياسية واجتماعيه واقتصادية متباينة الأمر الذي كان له تأثيره الحاسم في تكيف اليهودية كعقيدة وشريعة مع الظروف الزمانية والمكانية التي تواجه كل جماعه يهودية على انفراد، الأمر الذي نتج عنه تباين الجماعات اليهودية واختلافها أيضا على مستوى العقيدة والشريعة.

والشتات اليهودي العام يؤرخ له اليهود ببداية السبي الروماني عام ٧٠م والذي نتج عنه الشتات العام الذي استمر إلى يومنا هذا. ولكن الحقيقة أن الشتات كظاهرة في التاريخ اليهودي أقدم من تاريخ السبي الروماني فقد جربه اليهود من قبل زمن

[1] أنظر محمد خليفة حسن، مرجع سابق، ص١٩٠ .

السبي الآشوري عام ٧٢١ق.م، وزمن السبي البابلي ٥٨٦ق.م، بل أن بعض المؤرخين اليهود يعتبرون فترة الوجود العبري في مصر من بين فترات الشتات في التاريخ اليهودي رغم اختلاف الظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية للحياة العبرية في مصر.

ووفقا لهذا الرأي الأخير يعود الشتات اليهودي في التاريخ إلى القرن الثامن عشر أو السابع عشر قبل الميلاد. ولكن يبقى حقيقة هامة وهي أن السبي الروماني في ٧٠م هو الذي سبب في الشتات النهائي والعام لليهود في بلاد العالم. ولعل من أهم نتائج الشتات العام خلق جماعات يهودية متباينة تعيش في ظل ظروف مختلفة باختلاف الأمم الأوربية، وخضوع هذه الجماعات اليهودية لقوانين هذه الأمم وتشريعاتها الأمر الذي أجبر هذه الجماعات على التغيير والتطوير في شرائعها الخاصة لكي تساير قوانين الأمم الأوروبية المختلفة. وفي هذا المبحث سأتحدث عن تطور الديانة اليهودية عبر التاريخ وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول

تاريخ اليهودية من عصر "الآباء" حتى العصر الإسلامي

مرت الديانة اليهودية في هذا العصر بمراحل عديدة وأول هذه المراحل مرحلة ديانة الآباء، و يقصد بالآباء مجموعة الشخصيات التي سبقت موسى عليه السلام في التراث القديم. ومن أشهر الآباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام وأبناء يعقوب المكونين لأسباط بنى إسرائيل. ويرى بعض المؤرخين اليهود أن آدم ونوح يعدون من ضمن مجموعة الآباء وذلك لتبرير الروايات التوراتية الخاصة بهما في سفر التكوين بالإضافة إلى التأكيد على عودة سلسلة الأنساب الخاصة ببني إسرائيل إلى بداية الخليقة. ومع ذلك فالآباء الذين يركز عليهم التراث الإسرائيلي هم إبراهيم

وإسحاق عليهما السلام ثم أبناء يعقوب عليه السلام وينهي بعض المؤرخين سلسلة الآباء هذه بموسى عليه السلام بينما يعتبر معظم المؤرخين موسى بداية لمرحله تاريخية ودينيه جديدة في التراث الاسرائلي.

والشخصية المحورية في عصر الآباء هي شخصية إبراهيم الذي ينسب إليه عصر ديني مستقل يبدأ به التاريخ و الدين الاسرائيلى القديم. وينسب إليه أول العهود الدينية المقطوعة مع الرب بالوفرة والكثرة و أن يصبح على حسب نص التوراة أبا لجمهور من الأمم، ويطلق على الإله الذي عبده الآباء الاسم "يهوه" (وله ألقاب متعددة تشير إلى اندماج في البيئة الكنعانية منها إيل عليون وإيل عولام، وإيل شداى و إيل بيتيل[1]. والتسمية "يهوه" تسمية متأخرة وعبادته المطلقة منسوبة إلى عصر موسى عليه السلام بالتحديد. والأرجح أن ديانة الآباء كانت ديانة توحيدية بسيطة. و هناك رأى يعتبر ديانة العبريين القديمة ديانة وثنية عرفت تعدد الآلهة قبل أن يستقر الأمر على عبادة يهوه والذي يرجح أنه كان واحدا من هذه الآلهة المتعددة التي عبدها العبريون. ومن المرجح أيضا أن ديانة الآباء كانت قبلية ترتبط فيهما القبيلة بإلهها في رباط قومي ودموي[2].

ويمكن تلخيص طبيعة هذه المرحلة الأولى من مراحل تطوير اليهودية في أن ديانة الآباء العبريين كانت ديانة بسيطة غير معقدة يغلب عليها الطابع البدوي الصحراوي كديانة العرب قبل الإسلام، وأنها لم تكن تشتمل على بناء عقائدي متكامل، وأن المفهوم الديني الوحيد الذي بدأ بدوره خلال هذه الفترة هو مفهوم

---

(1) MICHAEL GRANT' THE STORY OF ISRAEL,WEIDEFELD AND NICOLSON,P,34.10

(2) G. W. ANDERSON, THE HISTORY AND RELIGION OF ISRAEL,P 15-20.

التوحيد والذي لم يبدأ توحيدا خالصا. لكنه توحيدا شق طريقه وسط نظام تعددت فيه الآلهة التي يعتقد أن العبريين القدامى قد عبدوها إلى أن تم تركيز "الآباء" المذكورين على عبادة "يهوه" والذي لم يعرف بهذا الاسم الذي أصبح علما عليه إلا في عصر موسى عليه السلام.

وبهذا تكون ديانة العبريين الأساسية ديانة تعدد وثنية ولم تظهر بشائر التوحيد إلا على يد بعض "لآباء" ومن أهمهم إبراهيم عليه السلام الذي يعتبر عصره بداية التوحيد وبالتالي بداية التاريخ الديني التوحدي وأن الفترات السابقة على عصر إبراهيم عليه السلام كانت بالتأكيد فترات وثنية تعدديه[1].

وكما أن ديانة "لآباء" خلت من العقائد المنظمة فقد خلت أيضا من الشرائع المنظمة لحياة العبريين في ذلك الوقت الذي اعتمدت فيه حياتهم على بعض العادات والتقاليد القبلية ، وبعض التشريعات البدوية أو شبه البدوية.

والحقيقة أن تركيز المؤرخين اليهود على عدم وجود وحي مكتوب يعود إلى عصر الآباء. هو الذي كون لديهم فكرة عدم وجود بناء عقائدي وتشريعي متكامل لهذه الفترة من تاريخ اليهودية. وأن العبادة ذاتها كانت عبادة بسيطة قليلة الطقوس ، كما أن الطبيعة البدوية الغالبة على الحياة العبرية لم تسمح بقيام نظام معقد للطقوس كما لم تسمح بنشأة بيوت أو هياكل مستقرة للعبادة بالإضافة إلى أنها جعلت العلاقة بين الإله المعبود والشعب الذي يعبده علاقة عصبية قبليه الأساس وعبرت عن نفسها من خلال فكرة الوعد و العهد التي ستصبح فيما بعد أساسا دينيا لليهودية. وتعد شخصية إبراهيم عليه السلام الشخصية الدينية الأساسية في مرحلة "الآباء" فهو المتلقي للوحي الإلهي ، والمستجيب للأوامر الإلهية في طاعة تامة ، و المتلقي أيضا

---

[1] أنظر محمد خليفة ، مرجع سابق ، ص١٩٤ .

للوعد الإلهي المحدد لمستقبل المصير الإسرائيلي، والذي تعد حياته نموذجا لحياة الإيمان والطاعة وهو أول من نبذ عبادة الأصنام معترفا بالله واحد.

المطلب الثاني
ديانة موسى عليه السلام

ديانة موسى عليه السلام هي المرحلة الثانية من مراحل تطور الديانة اليهودية كعقيدة وشريعة، وتعد أهم مرحلة في هذا التطور باعتبارها الفترة التي تم فيها الاعتماد على الوحي المكتوب كمصدر أساسي للعقيدة والشريعة. والبداية الحقيقية للديانة الموسوية يؤرخ لها من تاريخ الوجود العبري في شبه جزيرة سيناء ولطبيعتها الصحراوية والبدوية فقد طبعت ديانة موسى عليه السلام ببعض الصفات البدوية الصحراوية التي ميزتها قبل دخول أرض كنعان وبداية التغير الاجتماعي والاقتصادي و الديني في حياة العبريين و الذي ينتج عن الاندماج في حضارة الكنعايين، وما تبع ذلك من مؤثرات دينية على الديانة الإسرائيلية بعد عصر موسى عليه السلام. وبالرغم من التقدم على مستوى التفكير الديني الفطري للموسوية فقد ظلت ديانة بسيطة في طبيعتها وطقوسها.

وخلال هذه الفترة تم التعرف على الإله "يهوه" في صورة واضحة، وتم الإعلان عن اسمه "يهوه" لأول مرة على الرغم من إعلان المؤرخين اليهود أن "يهوه" هو إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام فقد خلت التوراة من النصوص الدالة على ذلك كما خلت الآثار الدالة على ذلك في التراث الديني اليهودي[1].

كما أنه لم يتم اكتشاف الاسم "يهوه" في نصوص تنتمي إلى الفترة السابقة على عصر موسى عليه السلام وهكذا كله يدل على أن "يهوه" لم تنشأ حوله عبادة منظمة قبل موسى عليه السلام ويظهر تأثير الفترة السينائية في تبلور اليهودية في بعض

---

[1] وردت الاشارة الى ذلك في سفر التكوين، ٤/٦٢، ١٥/٧، ٢٤/٣.

الإشارات الواردة في سفر التثنية وسفر القضاة والتي يوصف فيها اله "يهوه" بأنه "إله سيناء"[1]. ويؤكد بعض المؤرخين على أن يهوه قد عرفت عبادته في شبه جزيرة سيناء بين بعض القبائل العربية هناك خاصة بين أهل مدين، وأن موسى قد عرف الإله يهوه عن طريق يثرون "شعيب عليه السلام" والذي كان موسى عليه السلام قد تزوج ابنته. وهناك إشارات دالة على ذلك في التوراة تؤكد على أن يثرون كان كاهنا وعابدا ليهوه ومضحيا له[2].

ويؤكد بعض الدارسين أن يهوه كان إلها لأجداد موسى، وأنه اتخذ منه إلها رسميا لجماعته محتفظا بنفس التسمية "يهوه" وبصرف النظر عن هذه الإشارات فاليهودية أصبحت بالفعل ديانة الإسرائيليين على يد موسى الذي أعطاها محتواها الذي أصبحت معروفة به[3].

فالعقيدة الأساسية التي تمت بلورتها خلال عصر موسى عليه السلام هي عقيدة التوحيد ولكن كما يبدو من صفحات التوراة فإن هذا التوحيد كان توحيدا خاصا بالإسرائيليين وذلك لأن هناك إشارات إلى وجود آلهة أخرى لأقوام آخرين غير الاسرائيلين. وهذا يعني أن الإله الإسرائيلي لم يكن الإله الوحيد الموجود أو صاحب الوجود فهناك آلهة أخرى ولكنها لا تخص الإسرائيليين[4].

وربما كان الاعتقاد السائد هو الاعتراف بوجود آلهة أخرى كحقائق مشاهده مع عدم الاعتراف بها كآلهة على نفس المستوى الذي عليه الإله "يهوه" فهو اعتراف بواقع وإنكار لكونها آلهة حقيقية لها دور في الخلق أو وظيفة في الكون، أو سيطرة على الأحداث. ولأول مرة أيضا يتم وضع طبيعة خاصة للألوهية من أهم عناصرها

---

[1] سفر التثنية، ٢/٢٣، القضاة، ٤/٥، المزامير، ٨/٦٨.

[2] محمد خليفة، مرجع سابق، ص١٩٦.

[3] نفس المرجع، ص١٩٦.

[4] سفر الخروج، ١١/٨، القضاة، ٢٤/١١، صموئيلالول، ١٩/٢٦.

أن الإله لا يمكن تصويره أو تجسيده في صورة من الصور، أو في شكل من الأشكال كما فعل الوثنيون بآلهتهم، فقد نصت الوصية الثانية من الوصايا العشر على: "لا تصنع لك تمثالا منحوتا و لا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض"[1]. وقد أعطت هذه الوصية شكلا ميتافيزيقيا للإله بمعنى أنه إله منزه عن الطبيعة التي خلقها ولا يمكن تصويره في أي صورة من صور الطبيعة المخلوقة. إنه إله غير طبيعي لا ينتمي إلى الطبيعة، ولكنه فوق الطبيعة لأنه خالقها وفي الوصية الأولى نص عقائدي آخر يؤكد على صفة أساسية في الألوهية وهي صفة التوحيد "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي"[2]. وتعطي مقدمة الوصايا صفة أخرى للألوهية وإن لم تأت في شكل وصية ألا و هي صفة السيادة على التاريخ وأحداثه فالإله إله التاريخ المحرك لأحداثه، والمسيطر على مسيرته؛ فمقدمة الوصايا العشر في سفر الخروج تذكر الإسرائيليين بالفعل الإلهي الذي تم في التاريخ ألا وهو تخليص الإسرائيليين من العبودية المصرية: "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية"[3]. وهي عبادة تكاد تعرف الإله من خلال عمله في التاريخ. هذا وقد وصف الإله في الوصايا أيضا بأنه "إله غيور" يحل غضبه على من لا يمتنع " من الإسرائيليين طبعا" عن عبادة الأوثان المصنوعة: " لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور"[4].

وإلى جانب هذه الصفات المتعددة للألوهية هناك صفة هامة وأساسية ألا و هي الصفة الأخلاقية للإله. وهي صفة جديدة لم تكن معروفة في المرحلة السابقة أو على

---

[1] سفر الخروج، ٢٠/٤.

[2] سفر الخروج، ٢٠/٣.

[3] سفر الخروج، ٢٠/٢.

[4] نفس المصدر، ٢٠/٥.

الأقل لم يتم النص عليها. وتتضح هذه الصفة الأخلاقية في مجموعة الوصايا الأخلاقية التي تلي مباشرة مجموعة الوصايا العقائدية. وقد قصد من ترتيب الوصايا العشر على هذا الشكل أن يتم الربط بين عقائد الدين وأخلاقياته في شكل يجعل من العقيدة مصدرا للأخلاق ويعطى للدين عامة صفه أخلاقية عملية.

ولعل عبارة: "لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي. وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي "[1]وقد تشير هذه العبارة تشير إلى مفهوم غامض وغير مباشر للثواب والعقاب الذي يجعل من الوصايا الأخلاقية التالية أمرا منطقيا. فالإله إله وصايا عقائدية وأخلاقية واجبة الطاعة المستحقة للثواب بينما عدم طاعتها يؤدى حتما إلى العقاب.

وهنا يبرز مفهوم الطاعة كأساس للعلاقة بين الإله صاحب الوصايا والعبد المخلوق المنفذ لهذه الوصايا. وقد ترتبت الوصايا الأخلاقية بعد الوصايا العقائدية على النحو الآتي: "أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك لا تقتل. لا تزن. لا تسرق لا تشهد على قريبك شهادة زور. لا تشته بيت قريبك. لا تشته إمرأة قريبك ولا عبده و لا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك"[2]. ويقع بين الوصايا العقائدية والأخلاقية نوع آخر من الوصايا الخاصة بالعبادة والتي يمكن أن نسميها تجاوزا بالوصايا الطقوسية. وتشتمل هذه على وصية تحريم النطق باسم الإله باطلا: "لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا"[3].

---

[1] نفس المصدر، ٢٠/٥.

[2] سفر الخروج، ٢٠/١٢- ١٧.

[3] نفس المصدر، ٢٠/٧.

والوصية الثانية من هذا النوع تختص بتقديس يوم السبت وما يتعلق بهذا التقديس من طقوس: "اذكر يوم السبت لتقدسه ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك. وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك. لا تصنع عملا ما أنت وابنك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. واستراح في اليوم السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت و قدسه"[1].

وهكذا نلاحظ في نص الوصايا العشر شموله على ثلاثة أنواع من الوصايا المكونة للبناء الديني للديانة الإسرائيلية زمن موسى عليه السلامَ، الوصايا العقائدية المركزة على المفاهيم الدينية خاصة ما يتعلق بطبيعة الإله وصفاته، والوصايا الطقوسية المشيرة إلى اتخاذ عبادة الإله شكلا عمليا من خلال الطقوس المكونة للعبادة.

والوصايا الأخلاقية المشيرة إلى كون الإله إلها أخلاقيا، وكون الدين دينا عمليا يتحقق من خلال السلوك الأخلاقي وارتباط هذه الأخلاق بالدين، أي عدم الفصل بين العقيدة و الأخلاق، واعتبار الأولى مصدرا للثانية، ويظهر بين الوصايا مفهوم غير مباشر للثواب والعقاب كعبارات "أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء.. وأصنع إحسانا.. لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا..لكي تطول أيامك على الأرض".

ومن العقائد التي تبلورت في المرحلة الموسوية من تطور الديانة اليهودية عقيدة العهد. فقد كانت لها بدايات في مرحلة "الآباء" إلا أنها لم تتطور لكي تصبح إحدى عقائد اليهودية إلا من بعد الفترة الموسوية مع عمليات ربط تاريخية عادت بفكرة

---

[1] نفس المصدر، ٢٠/٨- ١١.

العهد إلى عصور سابقة بل آن بعض عمليات الربط هذه قد عادت بالفكرة إلى آدم عليه السلام، أي إلى بداية الخلق. فالإله يوصف في هذه المرحلة بأنه إله العهد: "وتوصف جماعته التي تعبده بأنها جماعة العهد"[1]. وقد اعتقدت الجماعة العبرية الخارجة من مصر بعد وقوف إلهها إلى جانبها خلال أحداث الخروج أنها مختارة من عند هذا الإله لكي تكون جماعته.ويلاحظ أن هذا الاختيار نعمة إلهية وليس لصفات خاصة في هذه الجماعة . وفكرة العهد فكرة قديمة ربما نعود إلى تلك الرابطة القوية التي كانت تربط القبائل بآلهتها. فهناك شبه عهد مقطوع بين الإله والقبيلة التي تعبده وهو عهد بإخلاص العبادة له بمفرده دون آلهة القبائل الأخرى[2].

وهو أيضا عهد بحماية هذا الإله لقبيلته وعنايته بها، وتدبيره لمئونتها، وقيادته لحروبها ضد أعدائها. وهكذا فالنظام الديني القبلي يفترض وجود هذا النظام للعهد. ولعل هذا ما حدث بالضبط بعد عصر موسى عليه السلام وعند اتحاد القبائل الإسرائيلية بعد الاستيطان في كنعان فقد أعلن شيوخ قبائل بنى إسرائيل وهم يستمعون إلى تلاوة أعمال "يهوه" معهم من عصر "لآباء"وحتى الاستيطان في كنعان، الدخول في رابطة قبلية تجمعهم وهم يؤدون اليمين أن يكونوا شعبا للإله "يهوه" وأن يكون ولاؤهم له وحده[3].

وبناء على ما تقدم فإن النظام القبلي الإسرائيلي أو الاتحاد القبلي الذي تم قد تم من خلال عهد مع "يهوه" تعود أصوله إلى أحداث الخروج والتدخل الإلهي فيها وأحداث سيناء وما ترتب عليها من تكوين أساسي لجماعة الرب. وتعد الفترة الموسوية من أهم فترات تطور الديانة اليهودية، فهي الفترة التي

---

(1)JOHN BRIGHT' AHISTORY OF ISRAEL; P 144-152.

(2) الخروج، ١٥/١- ٨. العدد، ٢٣/٩. التثنية، ٢٨/٣٣، القضاة، ٥/١١.

(3) انظر محمد خليفة، مرجع سابق، ص٢٠٠ .

أعطت لليهودية قواعدها وأصولها الأساسية على مستوى العقيدة والتشريع، وعلى مستوى العبادة. وقد استندت هذه القواعد والأصول إلى الوحي الإلهي كمصدر أساسي للعقيدة والشريع. واتضحت معالم الديانة وانتظمت في بناء ديني أخلاقي ربما لأول مرة في تاريخ اليهودية.

وعلى مستوى التشريع نجد أن الفترة الموسوية شهدت تطور العديد من التشريعات التي نشأت مرتبطة بعقيدة العهد. فالعهد هو في شكله وصياغته عهد تشريعي يشتمل على قوانين واجبة التنفيذ تتمثل في مجموعة من الأحكام المنظمة لحياة الإسرائيليين وعلاقاتهم بإلههم وعلاقاتهم ببعضهم البعض. ويشتمل سفر الخروج على نص قانوني يسمى بكتاب العهد (الإصحاحات ٢٣، ٢٢، ٢١) وهي مجموعة أحكام قانونية متنوعة تحولت بعد تطبيقها في الحياة الإسرائيلية إلى تراث تشريعي ثابت. وقد اتخذت تشريعات التوراة عامة شكلين أساسيين فيما يتعلق بصيغتها. فهناك التشريعات التي اتخذت الشكل الشرطي كما تمثله صيغة: "إذا اشتريت عبدا عبرانيا فست سنين يخدم وفي السابعة يخرج حرا مجانا[١]". وهناك الصيغة الأميرية التي ترد فيها التشريعات في شكل أمر ونهي مثل: "لا تسرق. لا تزن. لا تسب الله [٢]"، ولا تنقل خبرا كاذبا...ابتعد عن كلام الكذب... ولا تقتل البريء والبار... ولا تأخذ رشوة...[٣]".

وهناك الكثير من التشريعات الواردة في سفر الخروج والتي طبقت عمليا في عصر موسى عليه السلام حسب رواية التوراة التي نصت في أكثر من موضع على أن موسى كان يجلس ليقضي للشعب من خلال هذه الأحكام.وهكذا تتطور الشريعة

---

[١] سفر الخروج، ٢/٢١.

[٢] نفس المصدر، ١٦/٢٠، ٢٨/١٥.

[٣] نفس المصدر، ١٣/١٨- ١٧.

جنبا إلى جنب مع تطور العقيدة . في هذه المرحلة الثانية الزاخرة بالعقائد الجديدة نشأت الأحكام التشريعية كنتيجة من نتائج تطور العقيدة ، فنص الوصايا العشر مثلا نص عقائدي أخلاقي في المقام الأول. ولكنه يعطى في صورة قوانين سميت بالوصايا.

وكذلك عقيدة العهد أدت إلى تطور شكل قانوني للعهد يتمثل في الأحكام المعطاة لتنظيم علاقة الإسرائيليين ببعضهم البعض وتنظيم علاقتهم بإلههم في نفس الوقت. وهكذا فان التطور التشريعي هو نتيجة من نتائج التطور العقائدي في الديانة اليهودية.

المطلب الثالث
تطور اليهودية من بعد موسى وحتى انقسام المملكة

بالرغم من البناء الديني والأخلاقي الذي كان أساسا لديانة موسى عليه السلام إلا أن هناك عقائد ومفاهيم دينية قد أضيفت بعد عصر موسى وذلك بسبب اختلاط الإسرائيليين بعدد من الشعوب الأجنبية في بيئة الشرق الأدنى القديم كان لها تأثيرها الديني والحضاري على الإسرائيليين ، وكان الكنعانيون من أول الشعوب التي احتك بها الإسرائيليون بعد تمام خروجهم من مصر واستيطانهم في أرض كنعان وقد كان التأثير الكنعاني سلبيا في معظم الأوقات فالبيئة الكنعانية بيئة زراعية وثنية تعددت آلهتها الطبيعية وقد بدأ تأثير البيئة الوثنية الكنعانية مع الاندماج التدريجي للإسرائيليين في حضارة الكنعانيين وإضافة أوصاف جديدة ليهوه مأخوذة عن النظام الديني الكنعاني. ويمكن القول بشكل عام أن الفترة الكنعانية لم تؤد إلى تطور إيجابي في الديانة الإسرائيلية بل أدخلت فيها كثيرا من العناصر الوثنية التي أصبحت موضوعا دائما للنقد النبوي فيما بعد[1].

---

[1] أنظر محمد خليفة ، مرجع سابق ، ص٢٠٢.

ويبدوا التأثير الكنعاني في عدة مظاهر من أهمها أن الإسرائيليين اضطروا إلى التكيف مع البيئة الزراعية الكنعانية والحياة المدنية بعد أن كانوا بدوا قبل دخول كنعان. كما اضطر الإسرائيليون إلى الحياة إلى جانب الكنعانيين وداخل مجتمعاتهم. ومن مظاهر التأثير أيضا نظام الملكية فقد أخذه الإسرائيليون عن كنعان وبسببه دخلوا في علاقات وتعرضوا لتأثيرات أجنبية. وأخيرا يأتي تأثير الديانة الكنعانية الطبيعية على مستوى فهم طبيعة "يهوه" في صراعه مع الآلهة الكنعانية وعلى مستو ى الطقوس والعبادات وبخاصة نظام الأضحيات[1].

أما الفترة ذات التأثير الحقيقي في الديانة اليهودية فهي فترة الاحتكاك بحضارة بلاد ما بين النهرين والتي يمكن أن يؤرخ لها منذ انقسام المملكة ووقوع الجزء الشمالي من فلسطين والمسمى "إسرائيل" تحت الحكم الآشوري عام " ٧٢ ق.م "وقد اكتمل سقوط الإقليم تحت الحكم البابلي عام "٥٨٦ ق.م" وحتى بداية العصر الفارسي عام "٥٣٨ ق.م" والذي يعتبر في حد ذاته امتدادا من حيث التأثير الديني للعصرين الآشوري والبابلي.

وحتى يمكننا التعرف على العقائد الجديدة التي دخلت في اليهودية خلال هذه المرحلة من تطور الديانة اليهودية لابد من التعرف على الأسباب التي أدت إليها. فقد انتهت أحداث الخروج والاستيطان إلى تطور نظام سياسي جديد للإسرائيليين . وتحول الإسرائيليون بالتدريج من جماعة قبلية بدوية في شبه جزيرة سيناء إلى تكوين إتحاد قبلي بين القبائل الإسرائيلية في عصر القضاة. واستمر هذا النظام السياسي إلى أن انتهى إلى تكوين نظام دولة لأول مرة في تاريخ بني إسرائيل ولاشك أن البيئة

---

[1] G. W. ANDERSON, THE HISTORY AND RELIGION OF ISRAEL,P 15-20

الكنعانية لها أثرها في هذا التحول السياسي في تاريخ بني إسرائيل فهي بيئة زراعية أدى اندماج الإسرائيليين في نظامها الثقافي إلى تحولهم من بدو رحل إلى أقوام مستقرين واتخذ استقرارهم شكل الاتحاد القبلي أولا وانتهى إلى اتخاذ شكل الدولة. وقد استغرق هذا التطور ما يقرب من ثلاثة قرون منذ دخول كنعان في القرن الثالث عشر إلى قيام مملكة داود وسليمان في القرن العاشر قبل الميلاد. وقد كان لمملكة داود وسليمان عليهما السلام أهمية خاصة بالنسبة إلى الديانة اليهودية. فهذا الحدث التاريخي الهام قد فسر دينيا على أنه يعني تحقيق العهد المكتوب من الرب سابقا وهو الوعد بالأرض.

كما أن قيام هذه المملكة اعتبر دليلا على العناية الإلهية التي هي جزء لا يتجزأ من أسس العهد مع الرب. فالوعد بالأرض والوفرة والذي منح للآباء السابقين وتجدد على أيام موسى أصبح الآن حقيقة أو كما عبر بعض الباحثين "أن العهد المعطى لإبراهيم عليه السلام قد تحقق في داود" وقد استغل داود وسليمان عليهما السلام هذه الظروف لإعطاء شرعية لاهوتية للمملكة التي نجحا في إقامتها.

وقد قاما ببعض الأعمال المؤكدة لذلك ومن بينها نقل التابوت " تابوت العهد " إلى أورشليم وتشييد الهيكل فيها، وتنمية المشاعر الدينية حول العاصمة الجديدة، وتقوية الاعتقاد في أن المملكة الداودية و بيت داود هما الوريث الشرعي للنظام الإسرائيلي القديم. وسرعان ما تطور الاعتقاد الديني في أن وصول داود "وكذلك سليمان " إلى الملك معبرا عن إرادة إلهية، وأن الإله "يهوه" قد اختار صهيون كمكان لإقامته الدائمة، و أنه أقام عهدا مع داود باستمرار الملك في ذريته وبيته. وتكون على هذا الأساس بناء لاهوتي حول ملك داود ومملكته فحواه أن الاختيار الإلهي لصهيون، ولبيت داود اختيار أزلي، وأن الملك يحكم نيابة عن الإله يهوه، كابن له

فهو بكره ومسيحه[1].

وطور العهد الداودي على نفس النمط الذي اتخذه العهد مع الآباء فهو عهد مبني على وعود "يهوه" كما أنه عهد غير مشروط فهو بمثابة منحة أو نعمة إلهية أسبغها الرب على مسيحه. وتم تدعيم الملكية بدعائم لاهوتية وبأعمال طقوسية وأصبح داود مثالا للملك، و مملكته نموذجا للملك وتم تكامل الدولة والعقيدة من خلال هذه الدعائم اللاهوتية والطقوسية وفهم العهد لداود وسكن يهوه في الهيكل على أنه ضمان استمرار الدولة. والأزمة التي سببها هذا البناء اللاهوتي لمملكة داود وبيته أن سقوط هذه المملكة أو انقسامها كما حدث فيما بعد اعتبر بمثابة نقض إلهي للعهد المقطوع مع داود وذريته(٢). وقد أدى انقسام المملكة بعد موت سليمان إلى تبلور اعتقاد جديد يقف إلى جانب الاعتقاد القديم في قداسة مملكة داود. وفحوى هذا الاعتقاد الجديد رفض دعاوى البيت الداودي في الحكم الأبدي، ورفض فكرة الأساس الإلهي للمملكة واعتبارها مملكة أرضية واقعية عرضة للانقسام على نفسها والسقوط[3].

وقد كان هذا هو الرأي السائد لدى الشماليين الذين انعزلت قبائلهم كلية عن البيت الداودي و قد حاول يروبعام (٩٢٢- ٩٠١ ق.م) أن يقاوم هذا الأساس اللاهوتي للبيت الداودي فأراد أن يحول أنظار الشماليين بعيدا عن السلطة الدينية لأورشليم فأقام مركزين دينين منافسين لأورشليم في بيتيل ودان مدعيا للمركز الأول أصولا من عصر "الآباء" وكهنة ينتسبون إلى بيت لاوي أو ربما إلى بيت هارون مباشرة بينما ادعى لكهنة دان العودة إلى موسى نفسه وقد اختفي المركز الذي أ[illegible]

---

[1] أنظر المزامير، ١٣٢/٨٩، ١١/٣- ١٤ ، والمزامير ، ٢٧/٨٩ ، ٢/٢ .

[2] أنظر م.ا. خليفة ، مرجع سابق ، ص٢٠٤ .

[3] نفس المرجع ، ص٢٠٥ .

دان بينما ظل مركز بيتيل كمقر ملكي وهيكل ومعبد قومي للشماليين ينافس المركز الجنوبي في أورشليم هذا وقد ادعى يرويعام لنفسه حقا إلهيا في الملك وجعل لنفسه نصيبا في العهد.

وقد كانت هذه البداية الحاسمة للتدهور السياسي و الديني الذي نتج عنه انقسام المملكة إلى "إسرائيل" الشمالية و "يهوذا" الجنوبية. فقد انفكت الوحدة السياسية والدينية السابقة و فقدت أورشليم مكانتها كمركز ديني موحد.

وفي ظل الانقسام تسربت بعض العناصر الدينية الوثنية خاصة إلى المملكة الشمالية خاصة في عهد آحاب بعد زواجه من إزابيل الكنعانية التي نشرت عبادة آلهتها الكنعانينة بين الشماليين ويترحيب من آحاب الذى اعتقد أنه لا يستطيع الاعتماد على اليهودية اعتمادا كليا فسمح للوثنية الكنعانية بالانتشار خلال إعطاء مواقع رسمية ووظائف في بلاطه لأنبياء البعل و هو الأمر الذي استدعى تركيز أنبياء هذه الفترة على مقاومة الوثنية بكل ما أوتوا من قوة خاصة إيليا واليشع ومن بعدهم أنبياء القرن الثامن وبخاصة عاموس وهوشع الذين يبدأ بهما عصر النبوة الكلاسيكية في تاريخ الديانة اليهودية[1].

المطلب الرابع
اليهودية في فترة السبي وعصر النبوة الكلاسكية

بعد الأحداث السياسية المتتالية، وبعد انقسام مملكة داوود وسليمان عليهما السلام سقطت المملكة الشمالية في يد الآشوريين عام ٧٢١ ق.م وسقطت المملكة الجنوبية في يد البابليين عام ٥٨٦ ق.م وفي تلك الفترة ساءت الأوضاع في مختلف الأصعدة السياسية والدينية وبرز عاملا جديدا كان له تأثير كبير في تطور الديانة

[1] محمد خليفة حسن، ظاهرة النبوة الإسرائيلية، ص ٦٢.

اليهودية، وهو بداية ظهور النبوة بمفهومها اليهودي وتطورها حتى أضحت هي الظاهرة الدينية الأساسية خلال فترة السبي الاشوري والبابلي. ولهذا يطلق على هذه الفترة عصر النبوة الكلاسيكية وذلك لتمييزها عن العصور الدينية السابقة واللاحقة.

والنبوة الإسرائيلية حسب الفهم اليهودي ظاهرة تاريخية في المقام الأول. فهي استجابة دينية أو رد فعل ديني تجاه الأحداث السياسية التي بدأت بعد انقسام المملكة، والآثار الدينية التي ترتبت بسبب هذا الانقسام، ولأنها رد فعل ديني فالنبوة الإسرائيلية لم تتوقف عند حدود وظيفتها الدينية الأساسية لكنها اكتسبت وظيفة سياسية هامة بسبب تدهور النظام السياسي الإسرائيلي من ناحية، أو غياب الحكم بعد سقوط المملكتين على وجه الخصوص.

فحكام أو ملوك "إسرائيل" و "يهوذا" لم يتمكنوا من الصمود أمام الأحداث السياسية الهائلة التي صاحبت الغزوين الآشوري والبابلي على التوالي، فاشترك الأنبياء في النشاط السياسي وانطلقوا لكي يصدروا أحكامهم الدينية على مسيرة التاريخ الإسرائيلي آنذاك، كما اشتركوا في كتابة تاريخ هذه الفترة الهامة بما تركوه من كتابات دينية تشتمل على تحليل ديني وتفسير لاهوتي لأحداث التاريخ الإسرائيلي والعالمي[1].

وعلى المستوى الديني فقد اهتم الأنبياء، بديانة موسى عليه السلام وعدوها فترة الازدهار الديني وهي فترة نموذجية في تاريخ الدين وطالبوا بالعودة إليها، والإقتداء بمفاهيمها الدينية الأساسية، فدعوتهم تلك هي دعوة سلفية قاومت التدهور الديني ودعت إلى العودة إلى مفاهيم العصر الموسوي. وبالرغم من هذه الصفة السلفية للحركة النبوية في القرن الثامن والسابع والسادس والخامس ق

---

[1] أنظر محمد خليفة، مرجع سابق، ص٢٠٤.

الميلاد، إلا أن الأنبياء لم يتوقفوا عند حد العودة إلى وضع ديني مثالي قديم، ولكنهم طوروا في الديانة اليهودية وأدخلوا عليها كثيرا من العقائد الجديدة التي لم تكن موجودة من قبل. ومن أهم هذه العقائد عقيدة البعث والثواب والعقاب، والمسيح المخلص، فبالإضافة إلى التركيز الشديد على البعد الأخلاقي للديانة اليهودية.وفيما يتعلق بعقيدة البعث فلم تشر التوراة إلى إمكانية أو عدم إمكانيته فقد أهملت هذه العقيدة كلية دون أن تؤكدها أو تنفيها. والباحث عن أدلة عن البعث عادة ما يبحث عنها في كتابات الأنبياء حيث جاءت الإرهاصات الأولى عن البعث في أسفار بعض الأنبياء السابقين على السبي أمثال هوشع واشعيا[1].كما وردت بعد ذلك إشارات أخرى في سفري يونان وأيوب[2].

ولا شك في أن الأوضاع السياسية التي عاشها بنو إسرائيل قد ساعدت في ظهور فكرة البعث بالإضافة إلى إمكانية تأثر يهودية السبي بديانات منطقة بلاد الرافدين وبلاد فارس التي عرفت فكرة البعث منذ القدم. وفيما يتعلق بدور الأوضاع السياسية فقد أدى سقوط مملكتي إسرائيل ويهوذا على التوالي إلى التفكير في إمكانية بعث المملكة من جديد في مستقبل الأيام.

هذا بالإضافة إلى أن فكره البعث قد ارتبطت بتغيير النظرة الدينية إلى العالم عند الأنبياء، فالمعنى الديني للحياة الإنسانية على الأرض قد لا يتحقق داخل الحياة ذاتها، ولكن في عالم آخر هو عالم ما بعد الموت وهكذا جمع الأنبياء بين النظرة التاريخية المستقبلية بإمكانية تحقيق الخلاص في المستقبل القريب وبين إمكانية تحقق هذا الخلاص ولكن في شكل مطلق في عالم أخروي.

---

[1] هوشع، ٦/١- ٢، أشيعا، ١٩/٢٦ .

[2] أنظر يونان، ٦/٢- ١٠ .

أما عن فكرة الثواب والعقاب فقد أشارت الوصايا العشر إلى تلك الفكرة. إلا أن تلك الفكرة لم تتطور لتصبح إحدى العقائد الثابتة في اليهودية إلا خلال فترة السبي وعصر النبوة الكلاسيكية. فقد ناقش الأنبياء في شكل مباشر مبدأ المسئولية الفردية عن الأعمال الإنسانية، واعتبروا الفرد مسئولا عن أعماله مسئولية مباشرة أمام الخالق.

وفي مقابل حرية الإرادة الإنسانية كان من الضروري أن يتطور مفهوم الثواب والعقاب الدنيوي والأخروي كواحد من الأسس الدينية الجديدة المحددة لعلاقة الإنسان بالإله الذي اكتسب هذه الصفة الأخلاقية من قبل كما يتضح من الوصايا "الأخلاقية في نص الوصايا العشر، وعلى يد الأنبياء أصبح الإله إلها شخصيا أخلاقيا له مطالبه الأخلاقية على عباده[1]. والعقيدة الثانية التي تطورت على يد الأنبياء وبدوافع نابعة من طبيعة السبي هي عقيدة المسيح المخلص. فقد بدأت الفكرة المسيحانية في الظهور بعد سقوط مملكة داود وسليمان وسقوط المملكتين الشمالية والجنوبية كمحاولة دينية لتعويض سقوط المملكة الأرضية، وتقوم على الاعتقاد في قدوم مسيح مخلص في مستقبل الأيام يحقق الخلاص لقومه على المستويين السياسي والديني، وقد جعل نسب هذا المسيح المخلص في بيت داود لأنه البيت الذي أسس الملكية، كما قلنا أصبح نموذجا أو مثالا للملك كما أن مملكته نموذج للملك في التاريخ السياسي والديني للاسرائيليين. وقد انتشرت الأفكار المسيحانية في كتب الأنبياء مثل عاموس وهوشع وإشعياء وارميا وحزقيال. وغيرهم[2].

ويمكن القول أن الأنبياء قد ركزوا التفكير حول شخصيتين محوريتين هما موسى وداود عليهما السلام فأرادوا استعادة المثال الديني الموسوي من خلال التمسك

---

[1] انظر محمد خليفه حسن، ظاهرة النبوة الإسرائيلية، ص ٦٥.

[2] نفس المرجع، ص ٦٩.عاموس، ١١/٩- ١٥.هوشع، ٤/٣- ٥.أشعياء، ٣/٥٥- ٤.

بالشريعة والوصايا، وبعث المملكة القديمة المثالية مملكة داود فجمعوا في شخص موسى وداود الرغبة في إمكانية تحقيق الخلاص الديني والسياسي معا، وإصلاح الأوضاع الدينية والسياسية المتدهورة بالتمسك بمثال قديم للدين والحكم هو المثال الموسوي والمثال الداودي.

وقد أضاف الأنبياء إلى دعوتهم بعدا أخلاقيا وذلك من أجل إصلاح الفساد الاجتماعي والاقتصادي الذي ألم بالإسرائيليين في فترة السبي، وهذا البعد الأخلاقي ليس من خلق فترة النبوة الكلاسيكية فهو بعد قديم، ولكن الأنبياء صاغوه صياغة جديدة ارتبطت بالوظيفة الاجتماعية للنبوة بعد أن طمست التعقيدات الكهنوتية معالم التعاليم الأخلاقية بالتركيز الشديد على الطقوس والشعائر الدينية وإهمال التطبيق الأخلاقي لمبادئ الدين في السلوك الإنساني. وقد كان للأنبياء في فترة السبي الفضل في بعث الروح الأخلاقية في الديانة اليهودية من خلال الربط الواعي والعميق بين السلوك الاسرائيلى العام والمصير السياسي والديني للإسرائيليين.

ومن خلال هذه التعاليم الجديدة للأنبياء برز مفهوم جديد للعهد وبخاصة عند إرميا الذي يتحدث عن عهد جديد مختلف عن العهد القديم مع الآباء حين أخرجهم من مصر، وعن تابوت عهد جديد و عن أورشليم جديدة حيث يقول: " ها أيام تأتى يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم... اجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلها وهم يكونون لي شعبا... وأقطع لهم عهدا أبديا أنى لا أرجع عنهم لأحسن أليهم وأجعل مخافتي في قلوبهم فلا يحيدون عني"[1]. ومضمون هذا العهد الجديد الاعتراف بما يشبه أصالة الخطيئة الإنسانية وأن طاعة الشعب للإله أصبحت غير

---

[1] Games Asanders, Tora and Canon, Fortress Press, Philadephia, 1972,,p .5 .

مضمونة بسبب النقض المستمر للعهود، وأن الضمان الوحيد لاستمراره وهو بالتدخل الالهي لتغيير طبيعة الإنسان وتوجيهه إلى طاعة الإله قسرا عن طريق زرع مخافة الإله في قلوب الإسرائيليين زرعا وجعل الشريعة في قلوبهم.

وأما على المستوى التشريعي فقد تمسك الأنبياء بتشريعات موسى خاصة الوصايا العشر وتشريعات كتاب العهد، هذا وقد بدأت جهود تدوين الشريعة خلال فترة السبي وبعده وبالتأكيد في عصر عزرا الذي عاد من بابل إلى أورشليم في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد أو بداية القرن الرابع قبل الميلاد خلال فترة الحكم الفارسي لفلسطين[1]، وقد تم تثبيت الشريعة حسب ورودها في التوراة التي دونها عزرا وثبّتَ نصوصها.

المبحث الرابع
الديانة اليهودية في العصر اليوناني
والمرحلة التلمودية

المطلب الأول
الديانة اليهودية في العصر اليوناني

بعد انتهاء العصر البابلي أصبحت الديانة اليهودية ديانة شبه كاملة فمن خلال تأثير الأنبياء والبيئة البابلية والفارسية تم إدخال مجموعة العقائد الـ[illegible] الذكر والمكملة للعقائد الموروثة من عصر موسى عليه السلام. وتم أيضا تدوين التوراة وتثبيتها وبالتالي تثبيت الشرائع الواردة فيها. ويعد العصر الفارسي (٥٣٨-٣٣٢ق.م) عصر استقرار لليهودية كعقيدة وشريعة واكتمل هذا الاستقرار بتحسين الأوضاع السياسية لليهودية في العصر الفارسي بعد السماح لهم بالعودة إلى فلسطين ووضع نهاية للسبي البابلي وإعادة بناء الهيكل وعودة الحياة الدينية إليه من جديد

---

(1)Norman Sanaith, Jews from VYRUSTO Herod, Abingdo Press, N.T,1956 P.15-17 .

وعودة أورشليم كمركز ديني للحياة اليهودية[١].

ومع نهاية العصر التي وضعتها فتوحات الاسكندر الأكبر للشرق الأدنى القديم بدأت مرحلة جديدة ومختلفة تماما عن المراحل السابقة في تطور الديانة اليهودية وهى تعد من أخطر المراحل التي مرت بها اليهودية ففي المراحل السابقة لم تتعرض اليهودية كعقيدة وشريعة لخطر أجنبي رئيسي ولم تتعرض عصور المصريين والآشوريين، والبابليين، والفرس سوى بعض الآثار القليلة في الديانة اليهودية وذلك بسبب الطبيعة الوثنية لديانات هذه الشعوب.

ولكون اليهودية أكثر تقدما على المستوى الديني من هذه الديانات فتمكنت من مقاومة الأفكار الدينية الكنعانية والمصرية والآشورية والبابلية والفارسية ولكنها وقفت عاجزة أمام الغزو الفكري اليوناني. والسبب في هذا العجز أن اليونان لم يأتوا إلى الشرق بدين جديد ينافي اليهودية أو يهددها بالخطر ولكنهم أتوا بمنهج للتفكير مختلف عن المنهج اليهودي. فالمنهج اليهودي منهج ديني أساسه الوحي الذي يعتبر المصدر الأول والأخير للمعرفة. أما المنهج اليوناني فهو منهج عقلي لا يعترف إلا بالعقل كمصدر للمعرفة وينكر الوحي ودوره كمصدر للمعرفة[٢]. وتتمثل المشكلة في أن الأخذ بالعقل اليوناني معناه إخضاع الوحي لمقولات العقل رغم اختلافي المصدر، فالأول مصدره إلهي بينما الثاني مصدره إنساني. وأمام هذه المشكلة الخطيرة انقسم اليهود على أنفسهم واختلفت ردود أفعالهم تجاه الثقافة اليونانية العقلانية ففريق منهم رفض الثقافة العقلية اليونانية رفضا مطلقا تعصبا لليهودية واعتقادا في عدم إمكانية الاستفادة من العقل اليوناني أو خطورة ذلك على الديانة

---

[1] Games Asanders, Tora and Canon, Fortress Press, Philadephia,1972,,p .50

[٢] تاريخ الديانة اليهودية ، مرجع سابق، ص٢١٣.

اليهودية والفريق الثاني رحب بالثقافة اليونانية واعتبرها مخرجا لليهودية من دائرتها الدينية المحددة ومن الجمود الفكري الذي أصابها على يد رجال الدين والكهنة(١).

أما القسم الثالث فقد حاول أن يوفق بين الجانبين فتبنوا موقفا توفيقيا بين الفلسفة اليونانية والفكر الديني اليهودي، أو بمعنى آخر بين العقل والوحي كمصدرين للمعرفة وحاولوا الاستفادة من المنهج العقلي في شرح اليهودية وتفسيرها تفسيرا عقليا. وقد ظهرت آثار التفكير اليوناني في بعض أسفار العهد القديم خاصة سفر الجامعة الذي تسيطر عليه نزعة عقلية تشاؤمية لا تتناسب مع الرؤية الدينية العامة لكتاب العهد القديم. وظهر الأثر اليوناني كذلك في مجموعة الكتب غير القانونية المسماة بالأبوكريفا بالإضافة إلى أثرها الواضح في بعض الكتابات التلمودية(٢).

وكان الهدف من استخدام التفكير اليوناني شرح اليهودية شرحا فلسفيا، والحصول على أدلة برهانية على المفاهيم والعقائد اليهودية خاصة عقيدة الألوهية مستعينين في ذلك بالمصطلحات الفلسفية اليونانية ووصل الأمر عند بعض المتحمسين للعقل اليوناني أن أبدلوا المفاهيم اليهودية بأخرى يونانية كما يظهر هذا عند الفيلسوف اليهودي فيلون في القرن الأول الميلادي (٢٥ ق.م _٤٥م) الذي رأى أن اليهودية تحتوى على نظام أو نسق فسلفي كامل .

واستخدم فيلون المجاز أو التأويل في شرح الأجزاء التاريخية التشريعية من التوراة بالإضافة إلى تفسيره العقلي للعقائد ومحاولته التوفيق بين المعرفة الإنسانية والمعرفة الإلهية التي يمثلها الوحي.

---

(1)Norman Sanaith, Jews from VYRUSTO Herod, Abingdo Press, N.T,1956, P.15-17.

(2).D. S.RUSSELL, BETWEEN THTESTAMENTS, FORTRESS PRESS, PILADELPHIA,1972, P. 25-27.

المطلب الثاني
الديانة اليهوديـــة
في المرحلة التلمودية

تمتد هذه من القرون الأخيرة قبل الميلاد (الثالث ق.م) إلى نهاية القرن الخامس الميلادي ونظرا لأهمية هذه المرحلة في تطور الدين اليهودي فكثيرا ما تسمى يهودية هذه المرحلة باليهودية التلمودية والتي تطورت في فلسطين وبابل وتعود أهمية التلمود إلى أنه سجل للتشريعات الدينية المنظمة للحياة اليهودية. فمن خلاله أخذت الجوانب الشعائرية والتشريعية الدينية شكلها النهائي واستمرت حية حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي .

وفي مقابل الاهتمام بالنواحي الخاصة بالعبادة من طقوس وشعائر و مناسبات دينية وأحكام تشريعية فإن التلمود لم يهتم بصياغة العقائد المفاهيم الدينية في مصطلحات عقائدية ثابتة ومحددة و اختلاف طبقات التلموديين في هذا الجانب أبرز من اختلافاتهم في الجوانب الشعائرية والتشريعية. ومع ذلك فاليهودية التلمودية تقوم على أسس متينة من يهودية العهد القديم[1].

وفيما يتعلق بالألوهية والتوراة والوصايا الأخلاقية ، والعلاقة الأخلاقية بين الخالق والمخلوق ، وفكرة الاختيار ، والوعد المسيحانى بمملكة الله ، والاعتقاد في العبارات الأنثروبومورفية الموصوف بها الإله في العهد القديم والاعتقاد القديم في أهميه الوصايا الإلهية وأن التوراة هي تجسيد للإرادة الإلهية .

والمحافظة على وصاياها هي المهمة التي كلفت بها جماعة بنى إسرائيل ، وكذلك الاعتقاد في الوعود المسيحانية للأنبياء والاعتقاد في البعث والعالم الآخر ، وهذه

---

(1) Joseph Bansirven, S.J.Palastinian Judaismin the time of Jesuschrist, hol t☐ Rinehart and Winston, N.T. P.V II.

المعتقدات التلمودية كلها تعتمد على تصورات قديمة. ولم يبذل التلموديون جهدا في سبيل تنظيم هذه المعتقدات في بناء ديني متكامل على الرغم من أنهم أخضعوا الأفكار الدينة والأحكام القانونية للتأمل النظري. ووصلوا فيما يتعلق بالأخلاق إلى درجة كبيرة من التجريد أو الفكر النظري المجرد[1]. وهكذا أن التلمود لم يعط بنية دينية لاهوتية منسقة ومنطقية للعقائد على الرغم من وجود بعض التأملات اللاهوتية المتناثرة[2]. ويمكن القول إن التلموديين عجزوا عن الوصول إلى محتوى واضح للدين عن طريق الصياغة اللاهوتية العقائدية لهذا المحتوى.

المطلب الثالث
الديانة اليهودية
في العصر المسيحي

إذا نظرنا تاريخيا إلى العلاقة اليهودية المسيحية نجد أنها على الدوام كانت علاقة متوترة رغم الأصول التاريخية والدينية الرابطة بين الديانتين باعتبار أن عيسى عليه السلام يعد أحد أنبياء بنى إسرائيل، إضافة إلى اعتراف المسيحية بمحتويات الديانة اليهودية واعترافها بالكتب اليهودية المقدسة بل إنها ضمت كتاب العهد القديم إلى العهد الجديد في كتاب واحد هو "الكتاب المقدس"، ومع هذا الارتباط الديني والتاريخي إلا أن العلاقة بين الديانتين لم يكتب لها الاستمرار، إذ استقلت الديانة المسيحية عن الديانة اليهودية وذلك بسبب الاختلاف العقدي بينهما.

وأساس هذا الاختلاف هو حول شخصية عيسى عليه السلام فقد رفض اليهود

---

(1) Bonsirven, P.V II .

(2). LEO AUERBACH, ED, THE BABYLONIAN, TALMUD, PHILOSOOPHICAL LIBRARY, N.T., 1956. P. 8.

الاعتراف بكون عيسى هو المسيح المخلص المنصوص عليه في كتبهم كما رفضوا فيما بعد الاعتقاد في ألوهية المسيح. ومع كل ذلك فان اليهودية استفادت من النقد المسيحي لها وإن لم تظهر هذه الاستفادة في شكل فوري ومباشر.

ومن أهم هذه الانتقادات سيطرة الطقوس والشعائر على الحياة الدينية اليهودية الأمر الذي أدى إلى، إصابة الدين اليهودي بالجمود وغياب الروح الدينية. وكذلك سيطرة الكهنوت على الحياة الدينية وانهماك اليهود في الحياة المادية الدنيوية على حساب الحياة الأخروية، وسيطرة التعصب الديني والعنف، ويلاحظ في تعاليم المسيح عليه السلام أنها كانت في بداية الأمر ردود فعل تجاه هذه النقائص في الحياة اليهودية. وقد استفادت اليهودية من النقد المسيحي لها. وحاولت إصلاح نفسها على فترات زمنية وربما لدوافع من داخل اليهودية[1].

المطلب الرابع
الديانة اليهودية في
العصر الإسلامي

في الوقت الذي توترت فيه العلاقات اليهودية المسيحية في القرون المسيحية الأولى كانت العلاقات اليهودية الإسلامية علاقات جيدة منذ البداية باستثناء الفترة التي نشب فيها الصراع بين اليهود والمسلمين خاصة في المدينة المنورة. حيث أن أسباب هذا الصراع القصير لم تكن دينية ولكنها كانت في حقيقتها سياسية.

فالإسلام منذ البداية منح اليهود حرية التدين، ولم يجبرهم على الدخول فيه بالإكراه ودون اقتناع وبمجرد أن انتهت المشاكل السياسية بدأت اليهودية تنتظم و تستقر داخل المجتمع الإسلامي الذي تكفل دينيا وتشريعيا بحماية اليهودي لأنه من

---

[1] تاريخ الديانة اليهودية، مرجع سابق، ص٢١٥.

أهل ذمة. وازدهرت الحياة اليهودية في البيئة الإسلامية على كل المستويات وبخاصة على المستوى الثقافي الفكري حيث شارك اليهود مشاركة فعالة في الحياة الثقافية الإسلامية وتأثروا وقلدوا مدارس الفكر الإسلامي في الأدب واللغة و الدين و الأخلاق والعلوم التجريبية[1].

وفي ظل هذا التسامح الديني بدأ اليهود يدرسون ويتعمقون في فهم النقد الإسلامي لليهودية خاصة النقد القرآني لها، ويحاولون إصلاح اليهودية وقد أدى رد فعل اليهودية تجاه هذا النقد الإسلامي إلى انقسام اليهود إلى فريقين دينين كبيرين: فريق الحاخاميين وفريق القرآنيين وكان الفريق الثاني أكثر استجابة للنقد الإسلامي، وبنى اعتقاده على أسس مناهضة للحاخاميين ومتأثرة بالفكر الإسلامي.

ولا شك في أن النقد الإسلامي لليهودية كان له تأثيره في تطور الديانة اليهودية خاصة فيما يتعلق بمحاولات وضع اليهودية في بناء ديني متكامل وهو الأمر الذي لم ينجح فيه اليهود من خلال التاريخ الطويل لديانتهم. إضافة إلى فشل علماء التلمود في هذا المجال رغم نجاحهم في الجوانب الشعائرية والتشريعية حيث نسقوا وبوبوا المواد القانونية والتفاصيل الخاصة بالعبادة وشعائرها في نسق واضح. والباحث عن المحتوى العقائدي لليهودية في التلمود وغيره لا يخرج بنسق واضح للدين اليهودي. وقد انبهر يهود العالم بالنجاح الذي لاقاه المسلمون في هذا المجال. فقد لاحظوا أن القرآن الكريم اشتمل على بناء واضح ومباشر للعقيدة الإسلامية وللشريعة الإسلامية سهل على علماء المسلمين استخراجها وشرحها في أمهات كتب العقيدة والشريعة منذ بداية الإسلام في الوقت الذي خلت فيه كتبهم المقدسة وعلى رأسها العهد القديم والتلمود من بناء عقائدي للدين ونسق واضح للشريعة.

---

[1] محمد خليفة، تاريخ الديانة اليهودية، ، ص٢١٧.

ومن هنا انطلقوا إلى دراسة كتبهم المقدسة دراسة جديدة واعية بهدف الوصول إلى هذا النسق الديني على مستوى العقيدة و الشريعة وكان نبراسهم في هذا القرآن الكريم وأمهات كتب العقيدة والشريعة في الإسلام، وقد سهل لهم ذلك معرفتهم العميقة باللغة العربية وبالثقافة الإسلامية على اختلاف أشكالها [1].

هذا وقد نجح اليهود أخيرا وبفضل المسلمين والعالم الإسلامي في وضع بناء عام للدين اليهودي متأثرين في ذلك بالبناء العام للدين الإسلامي الذي وضع على أساس من القرآن الكريم والسنة النبوية، ولم يشعر العالم اليهودي بحرج في ذلك بسبب القرابة الدينية الواضحة بين اليهودية والإسلام. وهكذا ساعد الإسلام اليهودي على فهم يهوديته ووضعها في إطار عقائدي وتشريعي منسق.

وقد كان هنالك محاولتين يهوديتين في هذا الصدد لصياغته ما يمكن تسميته بأركان الإيمان في اليهودية المحاولة الأولى قام بها العالم اليهودي المصري سعديا بن يوسف الفيومي في القرن العاشر الميلادي، والمحاولة الثانية والأخيرة قام بها العالم اليهودي موسى بن ميمون، والذي عاش أيضا في مصر في القرن الثاني عشر الميلادي و الذي يعتبر تنظيمه للعقائد اليهودية في بناء ديني كامل التنظيم السائد بين جموع اليهود إلى يومنا هذا [2].

وقد اعتمد موسى بن ميمون على محاولة سعديا الفيومي وأكملها وحدد عقائد اليهودية في ثلاثة عشر عقيدة هي الاعتقاد في وجود الخالق، ووحدانيته، وتنزيهه، وأزليته وتخصيص العبادة له وحده، والاعتقاد في الوحي النبوي وفي أن موسى أعظم الأنبياء والوحي بالشريعة إلى موسى في سيناء وثبات الشريعة، والاعتقاد بأن الله عالم، والاعتقاد في الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، والاعتقاد في قدوم المسيح المخلص، والاعتقاد في بعث الموتى [3].

---

[1] أنظر تاريخ الديانة اليهودية ، ص٢١٧ .

[2] انظر تاريخ الديانة اليهودية ، مرجع سابق ، ص٢٢٠.

[3] نفس المرجع، ص ٢٢١ .

الفصل الثاني

الأصول العقدية

في الديانة اليهودية

الفصل الثاني
الأصول العقدية في الديانة اليهودية

المبحث الأول
عقيدة اليهود في الإله

لاشك في أن العقيدة الأصلية لبني إسرائيل كانت الإيمان بالله الواحد، وهذه هي العقيدة التي جاء بها رسلهم الكرام عليهم السلام، وتعاقبوا فيهم لتثبيتها وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً }[1].

ولكن اليهود لم يستقروا على عبادة الإله الواحد الذي دعا له الأنبياء، بل كانو يتجهون دائماً إلى الوثنية والبدائية الدينية وتقليد الأمم الوثنية المجاورة في العبادة. يقول الدكتور أحمد شلبي نقلاً عن (ويلز): "إن اليهود كانوا في مطلع ظهورهم على مسرح التاريخ بدوا رحلاً، تسيطر عليهم الأفكار البدائية كالخوف من الشياطين، والاعتقاد في الأرواح، وكانوا يعبدون الحجارة والأغنام والأشجار[2]"، ويصور لنا القرآن الكريم محاولات موسى عليه السلام لتثبيت أركان التوحيد عند بني إسرائيل، وخروجهم على هذه العقيدة أكثر من مرة في حياته ويبدو حتى من خلال نصوص العهد القديم أن موسى - عليه السلام - كان أكثر أنبيائهم جهدا تثبيت عقيدة التوحيد في نفوسهم.

ومن الملفت للنظر أن بعض كتاب المسلمين ذهبوا مع المؤرخين الغربيين الذين اعتقدوا أن موسى قد استعار القول بالوحدانية من أخناتون، وأول من نادى بهذه

---

(1) سورة النساء، آية: ١٦٣.

(2) أحمد شلبي، اليهودية، ص ١٨٠ – ١٨١.

الفكرة من الغربيين الفيلسوف اليهودي فرويد، ويعتمد فرويد وغيره من الباحثين في ذلك على التشابه بين كلمة "أتون" وكلمة "أدون" أو "أدوناي" بالعبرية التي تعني الرب أو السيد كما أن تشابه الاسمين ليس الشيء الوحيد الذي يعتمد عليه هؤلاء الباحثون لتحديد الصلة الوثيقة بين الديانتين اليهودية والمصرية القديمة، فإن سفر الخروج في تعاليمه ووصاياه المدققة يكاد يتبع نموذج التعاليم والوصايا الدينية المصرية "كما جرى اكتشافها في القرن الماضي"، وليس فقط تعاليم اخناتون التوحيدية، ومعظم هذه التعاليم والوصايا نقل إلى العبرية في العهد القديم كما هو تقريباً، والوصايا الشهيرة ليست النموذج الوحيد من ذلك[1].

ومن الذين ذكروا هذه النظرية، الدكتور أحمد سوسة في كتابة "العرب واليهود والتاريخ" وقد قام بجمع الوقائع التاريخية التي يستند إليها الباحثون في اعتبار النبي موسى مصرياً، وأن ديانته التوحيدية أنما هي ديانة أخناتون بعينها، حيث بلغت هذه الوقائع اثنتي عشرة واقعة[2].وعلى الرغم من كل هذا التشابه فإن عقيدة التوحيد التي جاء بها موسى عليه السلام كان مصدرها الوحيد: هو الوحي، وهي عقيدة لم ينفرد بها موسى وحده دون غيره من الأنبياء والمرسلين.

فالتشابه قد يكون ناتجاً عن تسرب بعض المعتقدات، أو حتى الألفاظ والمصطلحات الأخناتونية لأسفار التوراة بعد موسى عليه السلام، كالذي نشاهده في ذلك الشبه الواضح بين ترتيلة أختاتون إلى قرص الشمس "أتون"، والمزمور الرابع بعد المائة من سفر المزامير من العهد القديم، بحيث يكاد يكون المزمور المذكور نسخة طبق الأصل لترتيلة أخناتون ، وكما قال الأستاذ سهيل ديب بعد ذكره للنصين المتماثلين:

---

[1] سهيل ديب، التوراة بين الوثنية والتوحيد، ص٤٦ .

[2] أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص٤٧٠ – ص ٤٧٣ .

" والظاهر هو أن شخصاً ما حفظ النشيد الأخناتوني لفترة من الزمن، ثم حاول إعادة كتابته لإعجابه به بلغة جديدة، وبشروط دينية جديدة لها طقوسها واستعمالاتها الخاصة، فلم تسعفه شاعريته كثيراً[1]". ولقد تعرض اليهود لله تعالى بصور مشوهة لا تليق بالكمال الإلهي وهذا ما سأبينه في المطالب الآتية :

المطلب الأول
تشويه
صورة الإلـــــه

ترسم أسفار التوراة صورة بشرية هزيلة للإله تجعله يتصف بصفات البشر وتصوره التوراة في مواضع متعددة أنه يندم ويبكي ويصرعه إسرائيل، ويتحسر ألماً على شعب إسرائيل، ويمرض ويتألم ويقول: " أحشائي أحشائي توجعني، جدران بطني، يئن في قلبي، لا أستطيع السكوت لأنه قد خربت كل الأرض[2]. وتنسب له التوراة الألم مرة أخرى في " حيث يقول: لذلك امتلأت حقواي "مثنى الحقو هو الخصر ومشد الإزار من الجنب"، وجعاً وأخذني مخاض كمخاض الوالدة تلوَّين حتى لا أسمع، اندهشت حتى لا أنظر، تاه قلبي بعثني الرعب "[3] ومثل هذه الصفات لم يقلها بها إنسان حتى عبدة الأوثان منهم.

ومن عقائد اليهود التي تشوه صورة الإله قولهم: " **بالبداء على الله تعالى** " فالبداء كما هو معلوم: هو" التغير في العلم من حال إلى حال "، كالظهور بعد الخفاء كقوله تعالى: {لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[4].

---

(1) سهيل ديب، التوراة بين الوثنية والتوحيد، ص.٥٩.

(2) سفر أرميا ، ٤ / ١٩ — ٢٠

(3) سفر أشعيا ، ٣/: ١٢- ٤.

(4) سورة البقرة، آية : ٢٨٤.

وقوله: { وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ }[1]. أي: ظهر لهم من الله ما لم يكونوا يتوقعونه، وكاستحداث رأي جديد وإنشائه، كقوله تعالى: { ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ }[2]. بمعنى: ثم نشأ لهم للإنسان ما كان خافياً عليه، أو نشأ له رأي جديد قيل في حقه: " قد بدا له ".

أما بالنسبة لله فإن التغير في العلم " البداء " بمعنييه السابقين لا يصح نسبته إليه، بل إن ذلك كفر والعياذ بالله، وذلك أن البداء يستلزم أن يكون مسبوقاً بالجهل، والجهل صفة نقص ينزه الله تعالى عنها، لأنه يناقض صفة علم الله المحيط بكل شيء، والشامل لكل شيء، والسابق على كل شيء، والذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه جهل ولا نسيان، والقول بالبداء مستلزم لوصف الله بالجهل والعياذ بالله من ذلك، فكان القول به في حقه سبحانه كفراً. فاليهود يطلقون على الله تعالى صفة الندم والحزن فهم يزعمون: -

أولا: أن الله أراد إهلاك بني إسرائيل وبينما الملك يهلك ندم الله على ذلك وأمر الملك بالكف عن ذلك.

ثانيا: أن موسى عليه السلام راجع الله عندما أراد أن يهلك بني إسرائيل فرجع الله عن ذلك.

ثالثاً: أن الله نصب شاول ملكا على بني إسرائيل ثم ندم وتأسف على ذلك.

رابعاً: أن صفة الندم لا تنفك عن الله فهو دائما يندم على البشر. ومن المعلوم أن من ندم أو حزن أو تأسف على فعل شيء أو رأى مسألة معينة فلا بد من أن يمر بمرحلتين: المرحلة الأولي: تغير الرأي في تلك المسألة. والمرحلة الثانية: أن يحصل له

---

[1] سورة الزمر، آية: ٤٧.

[2] سورة يوسف، آية: ٣٥.

من العلم ما يعلم به خطأه في المسألة السابقة فيندم، وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما علماء اللغة في معنى البداء وهما محالان على الله تبارك وتعالى .

المطلب الثاني
اسم إلـــه
اليهـود واختـلافهم فيـه

يبدو من خلال النصوص المقدسة عند اليهود أن الإجماع غير حاصل على تحديد اسم الإله الذي يعبده اليهود، ويرى سهيل ديب أن ذلك يعود لأمرين: **الأول:** الزمن الطويل جداً بين تأليف التوراة وتحريرها بشكلها النهائي و**الثاني:** أن فترة المخاض الطويلة جداً بين التعددية والتوحيد، وقد دامت ما لا يقل عن أربعمائة سنة، جعلت اسم الإله مسألة ثانوية ريثما يتم الإجماع على التوحيد، وهذا هو السبب الذي يرجحه سهيل ديب، وقد رأى أن الصعوبة قد وقعت في تحديد الاسم عند الذين تعودوا على التعدد، وعبدوا آلهة شتى قبل أن يصلوا إلى التوحيد فكانت المسألة لا تتعدى في نظرهم انتصار أحد الآلهة على الآخرين[1]. وقد ذكر الأستاذ ديب بعض هذه الأسماء ومنها :

١. إيل: ومعناها بالعبرية "الله"، وهو التسمية التي استخدمها الموحدون الحقيقيون، وهم أقلية بين واضعي الشريعة بنصها الذي نعرفه اليوم .
٢. إيلوهيم: أي الآلهة بصيغة الجمع، ولعلها التسمية التي أطلقها التعدديون الذين عدّدوا أن التوحيد إنما هو انصهار الآلهة بعضها ببعض لتشكل إلهاً واحداً، وهذا هو الاسم الدارج عند اليهود اليوم.
٣. آدوناي: أي سيدي باللغات السامية، وهو اللقب الذي كان الكنعانيون يطلقونه على الإله "تموز"، والذي أصبح " أدونيس" عندما انتقل إلى

---

[1] سهيل ديب ، التوارة بين الوثنية والتوحيد، ص ١٥ .

اليونانيين، ولعله الإله الذي عدّه القادمون من شمالي سورية أنه هو الذي انتصر.

٤. يهوه: وهو اسم الإله القبلي لليهود، إذ يعتقد اليهود أن هذا الإله ربهم وحدهم وليس للأمم "الجوييم" الحق بتسميته إلهاً لها، انه رب إسرائيل وحدها، وقدوس إسرائيل الأوحد ولذلك يرد في سفر التثنية " انك شعب مقدس للرب إلهك وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على الأرض"[1] وكذلك ما ورد في سفر الخروج " أنا الرب إلهك الذي فرزكم من بين الأمم"[2].

ومن هنا فقد صور " يهوه" بأنه مقاتل باطش ينادي بالسحق والتشريد، ولا يؤمن بترك أي من الأعداء حياً ولذلك خاطب العابرين نهر الأردن قائلاً لهم: " إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم، تملكون الأرض، وتسكنون فيها لأني قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها.. وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم، ومناخس في جوانبكم، ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها"[3].

كما يصور الرب الحاقد الغاضب، فتقرأ في سفر أشعيا: " هو ذا الرب يأتي من بعيد غضبه مشتعل، والحريق عظيم شفتاه ممتلئتان سخطاً، ولسانه كنار آكلة، ونفخته كنهر غامر يبلغ إلى الرقبة، لغربلة الأمم بغربال السوء"[4]، والقارئ لهذه النصوص وأمثالها - وهي كثيرة في العهد القديم - يعلم أن اليهود صاغوا إلههم

---

[1] أنظر سهيل ديب، مرجع سابق، ص ٢٠.

[2] سفر أرميا، ٤ : ١٩/ ٢٠.

[3] سفر أشيعا، ١٢ / ٣ - ٤.

[4] نفس المصدر، ١٢/٣- ٤.

بأيديهم، وحددوا له صفات موافقة لصفاتهم واتجاهاتهم . وفي ذلك يقول ول ديورانت: " يبدو أن الفاتحين اليهود عمدوا إلى أحد آلهة كنعان، فصاغوه في الصورة التي كانوا هم عليها، وجعلوا منه إلهاً، ويؤيد ذلك أن من بين الآثار التي وجدت في كنعان سنة ١٣٩١ م قطعاً من الخزف من بقايا عصر البرونز (٣٠٠٠ق.م)، عليها اسم إله كنعان يسمى: ياه أو ياهو"[1]

المبحث الثاني
تعدد
الآلهة عند اليهود

لقد عقد اليهود خلال تاريخهم الطويل آلهة متعددة بالإضافة إلى الإله الواحد الذي لم يتفقوا على أسمه، وتعارض نصوصهم في تحديد صفته وقد تأثروا في ذلك بالشعوب التي كانت من حولهم، حيث عبدوا آلهتها، ومن هذه الآلهة المستعارة التي عبدها اليهود، والتي ذكرها الدكتور اليهودي رافائيل باتاي في كتابه " آلهة اليهود" هي [2] :

١. الإلهة عشيرة: وقد عبدها العبرانيون اعتباراً من احتلال أرض كنعان، وحتى النفي إلى بابل سنة ٦٧٥ ق.م، واسمها الآخر هو اللاة أو اللاتو وكانت الآلهة الرئيسية لدى كنعانيي أوغريت في رأس شمرا.
٢. الآلهة عشتروت: أناة أو مناة، وهي ابنة الآلهة عشيرة، وكان الكنعانيون يعبدونها إلى جانب "اشتار" نجمة الصبح أو العزى، وقد أتي ذكر هذه الإلهية في التوراة مرات متعددة، كآلهة عبدها العبرانيون حتى عام ١٢٦ ق.م وهذه الأسماء "اللات والعزى، ومناة" تذكرنا دون ريب بالآية الكريمة: {أَفَرَأَيْتُمُ

---

[1] ول ديورانت، كتاب قصة الحاضرة، ج٢، ص ٣٤٠.
[2] أنظر سهيل ديب ، مرجع سابق ، ص ٧٤- ١٥.

اللَّاتَ وَالْعُزَّى ۝ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى }[1].

٣. الكروبيم: وهي صور أو منحوتات ذات أشكال بشرية مجنحة تشكل جزءاً من الهيكل قبل تحريم عبادتها، ورغم تحريمها فقد بقيت هذه الصور آلهة عبادها ممن سموا "بالقبليين" ومن الذين ساعدوا على بقاء هذه العبادة الفيلسوف الأندلسي اليهودي موسى بن ميمون في القرن الثاني عشر للميلاد.

٤. الشخينة: من " شخن" بمعنى سكن، أي مسكن الله، وقد جعل منها التلموديون ومن بعدهم القبليون، إلهة أنثى.

٥. ماترونيث: وهي مشتقة من " ماترون" أي السيدة أو الشفيعة، وهي الابنة أي الآلهة الرابعة لدى القبليين، وهي تمثل الطهارة والاختلاط الجنسي والأمومة والحرب.

٦. ليليت: وهي مأخوذة من مجمع آلهة السومريين، وهي تمثل الشر، وقد دامت عباداتها لدى "القبليين" واليهود "الحسيديم" أي المتزمتين حتى هذا القرن.

٧. السبت أو السابات: أي نهار الراحة الأسبوعي، وقد جعل بعض فئات اليهود منه آلهة تمثل الجنس والعلاقات الجنسية، فالمعاشرة الجنسية تكتسب قيمة دينية خاصة إن تمت بعد دخول يوم السبت، فتقام وليمة مساء يوم الجمعة تتخللها ألوان مختلفة من الطعام والمشروبات وصلوات وأناشيد موجهة إلى الآلهة " سابات" التي تتمثل العروس بها، وتنتهي هذه الوليمة عند منتصف الليل وهو الوقت المحدد تلموديا للمعاشرة.

ويذكر الدكتور "باتاي" أن بعض كتب التعاليم الدينية المعاصرة تحوي نماذج عن هذه الصلوات والأناشيد الموجهة إلى الآلهة " سابات" ويذكر أن هناك فئات من

---

[1] سورة النجم ،آية :١٩- ٢٠ .

اليهـود مـا زالـت تعتقـد بهـذا الإلـه، وتقيـم شـعائر عبـادة لهـا، ومـن هـذه الفئـات التلموديون والقبليون والفلاشا، وهي فئة اليهود الأحباش ذوي البشرة السوداء[1].

وخلاصة القـول فـان بعـض أجزاء العهـد القـديم قـد اشتملت على تـصور للإله يقترب من التصور الإسلامي، فهـم يرون أنـه الـه واحـد لا يتجسد ولا تدركـه الأبصار، خالق الطبيعة المادية والتاريخ الإنساني، ولكنه يتجاوزهمـا، فقـد وصـل التيار التوحيدي إلى قمته في كتب الأنبياء "خاصة كتاب أشعيا" الذين طهروا التصور اليهودي للإله من كل الشوائب الوثنية فصار أكثر إنسانية وشمولا وسمـوا، فهـو الـه عـادل لا يفـرق بـين الـشعوب ولا يتبنـى مقـاييس أخلاقيـة، بـل يحكـم علـى اليهـود وغيرهم بمقياس واحد.

ولكن بجانب هـذا التـصور يوجـد تـصور آخر للإله داخـل الإطـار الحلـولي ووحدة الوجود أبعـد مـا يكـون عـن التوحيـد، والحلوليـة ووحـدة الوجـود تعنيـان أن الإلـه الخـالق يحـل في مخلوقاتـه ويتوحـد بهـا، بحيـث يـصبح العـالم مكونـا مـن جـوهر واحد. وفي حالة وحدة الوجود اليهودية يحل الإله في الشعب اليهـودي فيتألـه الـشعب ويصبح في منزلـة الإلـه، والإلـه في هـذا الإطـار الحلـولي يتصف بـصفات البـشر فهـو يأكل ويشرب ويتعـب ويـستريح ويغـضب ويـضحك ويبكـي ويحـب ويكـره، بـل انـه يحس ويندم[2]. وإذا كان من أهم صـفات الإلـه في الإطـار التوحيـدي أنـه يعـرف كـل شيء ففي الإطار الحلولي الإله نجده لا يعرف كل شيء، ولـذا يطلـب مـن اليهـود أن يرشدوه بأن يصبغوا أبواب بيوتهم بالدم حتى لا يهلكهـم مـع أعـدائهم مـن المصريين عن طريق الخطأ[3]. وهو كذلك اله يتجسد في أشكال مادية محسوسة فهـو يسكن في

---

[1] أنظر سهيل ديب، مرجع سابق، ص ٥١.

[2] سعد الدين صالح، العقيدة اليهودية، ص٣١٣- ٣١٤.

[3] حسن الباش، القرآن والتوراة، ص٩٩- ١٠٠.

وسط اليهود ويحملونه في خيمة العهد[1]. كما أنه يسير أمام اليهود على شكل عمود دخان في النهار كي يهديهم الطريق، أما في الليل فانه يتحول إلى عمود نار كي يضيء لهم، وهو اله الحروب يعلم داوود القتال، وهو اله قاس يأمر شعبه المختار بقتل جميع الذكور في المدن البعيدة عن أرض الميعاد.

أما سكان هذه الأرض نفسها فمصيرهم الابادة ذكورا كانوا أم إناثا أم أطفالا، ومقاييس هذا الإله تختلف باختلاف الزمان والمكان ولذلك فهي تتغير بتغير الاعتبارات العملية، ولذا يأمر اليهود بالسرقة ويطلب من كل امرأة يهودية أن تطلب من جارتها المصرية " أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا حتى يسلبوا المصريين "[2].

وهو في نهاية الأمر إلها قوميا خاصا مقصورا على الشعب اليهودي، بينما نجد أن للشعوب الأخرى آلهتها "[3]. وهكذا شوه اليهود صورة الإله بصورة بشعة لا يقبلها منطق ولا يقرها عقل. ومن النصوص التوراتية التي تبين مسيرة التجسيم والتجسيد والتشبيه ما جاء في التوراة أن الله قد سار أمام بني إسرائيل عندما هربوا من فرعون وجنوده، في طريقهم إلى سيناء: "وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلا في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهارا وليلا لم يبرح عمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا من أمام الشعب"[4].

وكما جسد كاتب التوراة الله في عمود سحاب وعمود نار، فانه يتجاوز ذلك مع تطور تصوره، فلا حدود تمنعه من هذا التجاوز، ولا عقيدة توحيدية تسعفه في الحد من الغلو الذي يقع فيه فتقول التوراة في هذا السياق: " لأنه في اليوم الثالث

---

[1] أنظر حسن الباش، مرجع سابق، ص١٠٧- ١١١. بتصرف.

[2] نفس المرجع، ص١١٢- ١١٣، بتصرف.

[3] أنظر سعد الدين صالح، مرجع سابق، ص٣١٠- ٣١٢، بتصرف.

[4] نفس المرجع، ص٣١٤، بتصرف.

ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء" وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل إلى الجبل وصوت بوق شديد جدا فارتعد كل الشعب لملاقاة الله... وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار وصعد دخان كدخان الآتون. وارتجف كل الجبل جدا.. ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل "[1] . فالنصوص التوراتية هذه لا مجال لتفسيرها تفسيرا مجازيا كما يدعي بعض اللاهوتيين، فنزول الرب نزول مادي، وعيون الشعب أيضا ليست رؤيا أو بصيرة، وصوت البوق والرعود والبروق والسحاب الثقيل وملاقاة الله، وجبل سيناء يدخن، ونزول الاله بالنار ودخانه ثم نزول الرب على رأس الجبل، كل ذلك لا يمكن تفسيره تفسيرا مجازيا بل هو غاية التجسيد والتشبيه.

وتقول التوراة كذلك: " ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعين من شيوخ إسرائيل ورأوا اله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا[2]".

ولا شك في أن هذا تجسيد واضح وتشبيه لا خفاء فيه. ومن النصوص التوراتية التي تعبر عن مظاهر الشرك بالله في الديانة اليهودية: " فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما وقال الرب وهو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل، والآن لا يمتنع عليهم ما ينوون أن يعملوه هلم ننزل ونبلبل هنا كلسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض، فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض فكفوا عن بنيان المدينة[3]". فالناظر في هذا النص يلمس

---

[1] نفس المرجع، ٣١٦- ٣١٧، بتصرف.
[2] أنظر حسن الباش، مرجع سابق، ص١٠٧، بتصرف.
[3] نفس المرجع، ص١٠٩، بتصرف.

فيه أكثر من مظهر للإشراك بالله مثل[1]:

١. نزول الله من عليائه ليرى ماذا يبني هذا الإنسان. و يتضح ذلك من خلال النص أن بني آدم لو ظلوا على لسان واحد وعمل واحد لفعلوا المعجزات التي من شأنها الخروج عن قدرة الله وتسييره للكون.

٢. غيرة الله من بني البشر لأنهم لسان واحد و يريدون بناء مدينة عظيمة.

٣. قول التوراة " هلم ننزل... " فأما أن كلمة هلم هي قول الرب لنفسه بينه وبين ذاته أو أنها قوله لجنده وأمر بالهبوط من السماوات العلى إلى الأرض.

٤. يفترض هذا النص أن الله ليس له علم مسبق بما سيؤول إليه الإنسان وعمله في الأرض، وهذا أيضا يفترض أن الله لم يكن قبل أن ينظر إلى الأرض يعلم أن بني البشر راحوا يسعون لبناء مدينة وبرج في بابل. وبمعنى آخر فانه كان ساهيا أو غافلا أو ما شابه ذلك.

وهذا يدل دلالة قاطعة على الشرك بالله والكفر بعظمته وقوته المطلقة، والمتمعن لنصوص التوراة يلمس ظهور الوثنية بشكل كبير في ثناياها. ويظهر أن تعدد الآلهة كان سمة بارزة لدى الشعوب آنذاك فمنذ النبي يعقوب عليه السلام تبدأ نصوص التوراة بالحديث عن الآلهة الأخرى من دون الله، وكأنها أمر مسلم به، وكأن الإله واحد من هذه الآلهة، فقد جاء في سفر التكوين: " فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم "[2]. وجاء في سفر الخروج: "الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة "[3].

---

[1] نفس المرجع. ص١١٢.

[2] سفر التكوين، ٣٥/٢.

[3] سفر الخروج، ١١/١٨.

وجاء في سفر الخروج كذلك: "من مثلك بين الآلهة يا رب من مثلك معتزا في القداسة مخوفا بالتسابيح "[1]. وعلق عباس محمود العقاد على ذلك بقوله: " إن الوحدانية التي كان يدركها بنو إسرائيل في ذلك الزمن لم تكن وحدانية تفكير، ولكنها وحدانية تغليب لرب من الأرباب على سائر الأرباب، ولم يخط اليهود خطوة غير هذه الخطوة وهي أن لليهود إلها يعلو على آلهة غيرهم من البشر[2]". و جاء في سفر التثنية: لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم لأن الرب إلهكم غيور في وسطكم لئلا يحمى غضب الرب إلهكم عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض"[3].

هذا هو التصور اليهودي للإله، فهو تصور يجرد الإله من كل كمال، وينزله منزلة يتساوى بها مع الخلق، فأسفار التوراة ترسم للإله صورة بشرية هزيلة تجعله يتصف بصفات البشر ويتسم بأخلاقهم، فتصفه بما لا يليق بذاته تصفه بالسرقة والأمر بالقتل والسلب والنهب والظلم وسائر ما يتنزه عنه الإله سبحانه وتعالى. ولا شك في أن هذا التصور في حقيقته يخالف التصور الإسلامي للخالق عز وجل، فالإسلام دين التوحيد، إذ أن العقيدة الإسلامية جوهرها الأيمان بالله تعالى منزها عن الشرك، فالله واحد لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فهو سبحانه رب العالمين خالق الكون ومدبره، وهو المستحق للعبادة وحده. وعبر عن ذلك القرآن الكريم بقوله: {وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ }[4]. وقال تعالى: {اللَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ

---

[1] سفر الخروج، ١١/٥.

[2] عباس محمود العقاد، ابراهيم أبو الأنبياء، ص٦٠.

[3] سفر التثنية، ٦/ ١٤- ١٥.

[4] سورة البقرة، آية : ١٦٣.

مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ }(1).

وقال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ }(2).وقال تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}(3).وقال تعالى: {أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ۞ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ }(4). والتوحيد كان عبادة الأنبياء، وما من نبي إلا قال لأمته: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }(5).

وفي قصة عيسى عليه السلام يقول تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ۞ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }(6).

وقال تعالى: {قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ

---

(1) سورة البقرة، آية : ٢٥٥.

(2) سورة الاخلاص، آية: ١- ٤ .

(3) سورة المؤمنون، آية: ٩١ .

(4) سورة الأنبياء، آية: ٢١- ٢٢.

(5) سورة المؤمنون، آية: ٢٣.

(6) سورة المائدة، آية: ١١٦- ١١٧ .

سَبِيلاً ۞ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً }[1]. وقال تعالى: { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ }[2].

وبشأن توحيد الربوبية – الاعتقاد بأن الله وحده هو الخالق للعالم، وهو وحده المتصرف فيه بالرزق، والإحياء، والإماتة، والشفاء والمرض، وغير ذلك، فليس لغير الله خلق في أي شيء من الأشياء يقول تعالى: { قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ }[3]. ويقول تعالى: { هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ }[4].

أما توحيد الألوهية: فهو إفراد الله تعالى وحده بالعبادة والتوجه إليه بالدعاء، فكما عرفنا القرآن الكريم أن معظم المشركين الذين بعث فيهم الرسل عامة والرسول ﷺ خاصة كانوا ممن يؤمن ويعترف بوحدانية الربوبية، فيعتقد أحدهم بأن الله هو وحده الخالق الرازق، المحيي، المميت، وان بيده كل شيء، وعبر عن ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ

---

[1] سورة الاسراء، آية: ٤٢- ٤٣.

[2] سورة المؤمنون، آية: ٩١.

[3] سورة الرعد، آية: ١٦.

[4] سورة فاطر، آية: ٣.

وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ }[1]. وقال تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ۞ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ }[2].

وأما بالنسبة لتوحيد الألوهية – وهو استحقاقه وحده للعبادة _ فقد حاج القرآن الكريم أولئك الذين كانوا يشركون مع الله غيره في العبادة، مع اعتقادهم أن ما يتخذونه إلها من دون الله لا يخلق ولا يرزق فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۞ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ }[3].

ولقد نبه الله سبحانه وتعالى بذلك إلى أنه لا يستحق العبادة إلا من انفرد بالخلق والإيجاد فهو القادر، وغيره العاجز، ومن يساوي بين الخالق والمخلوق والقادر والعاجز لا يكون إلا فاقدا للعقل أو ضعيف الرأي، ولكن المشركين أرادوا أن يوجدوا مهربا من هذا الإلزام، وعذرا يقيمونه لأنفسهم في عبادتهم الأصنام وغيرها فقالوا: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ }[4].

---

[1] سورة العنكبوت، آية: ٦١.

[2] سورة يونس، آية: ٣١- ٣٢.

[3] سورة الحج، آية: ٧٣.

[4] سورة الزمر، آية: ٣.

المبحث الثالث
النبـوة
في العقيـدة اليهودية

الإيمان بالرسل جميعا ركن من أركان الإيمان في الإسلام، فيجب على المسلم الإيمان بهم جميعا دون تفريق بينهم قال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}[1].

وبناء عليه فمن آمن ببعض الأنبياء ولم يؤمن بالبعض الآخر فقد كفر كفرا صريحا بنص القرآن الكريم قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۞ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا}[2].

ولما كانت التوراة المحرفة قد شوهت صورة الأنبياء بأن رمتهم بكل ما لا يليق بهم فان الإسلام على النقيض من ذلك حيث أثبت لهم كل كمال، ونفى عنهم كل نقص، باعتبار أن الرسالة سفارة والرسول سفير بين الله وعباده، وعليه فقد اختارهم الله من صفوة خلقه لتبليغ شريعة الله وهداية الناس إلى الصراط الحق، ولذلك لا بد لأن يجتمع فيه من الصفات ما يؤهله للقيام بهذا الواجب، فقال تعالى: {وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ}[3].

---

[1] سورة البقرة، آية : ٢٨٥ .

[2] سورة النساء، آية : ١٥٠- ١٥١ .

[3] سورة الأنعام، آية : ١٢٤.

وإن مما أجمعت عليه المصادر الدينية وأثبته القرآن الكريم هو أن بني إسرائيل أكثر أمة بعث الله تعالى لها الأنبياء، والرسل الخمسة والعشرين الذين ذكروا بأسمائهم في القرآن الكريم معظمهم من بني إسرائيل أو بعثوا فيهم والقرآن الكريم حين يتحدث عن أنبياء بني إسرائيل إنما يتحدث عنهم على أنهم جزء من موكب الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، الذي بعثهم الله تعالى لهداية البشر وتصحيح انحرافهم ودعوتهم إلى عبادة الله وحده واجتناب الطاغوت الذي عبده البشر من دون الله ظلماً وزوراً بأشكاله وعلى اختلاف أسمائه كافة: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ }[1] وقال تعالى: {وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ }[2]، وقال تعالى: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً }[3].

وقال تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }[4]. وقال تعالى: {قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

---

[1] سورة النحل، آية: ٣٦.

[2] سورة الزخرف، : آية ٦.

[3] سورة مريم، آية : ٥٨.

[4] سورة البقرة، آية : ٢١٣.

مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }[1]

فهذه الآيات وغيرها من الآيات الكريمة تدل دلالة واضحة على مهمة الأنبياء، من جهة، والتكريم الإلهي لهم من جهة ثانية ووجوب الإيمان بهم جميعاً دون استثناء من جهة ثالثة، وبين هؤلاء الأنبياء الكرام أنبياء، بني إسرائيل دون أي تمييز لا في الوصف ولا في المهمة والوظيفة.

فالعهد القديم يذكر لنا في أكثر من موضع أن هناك أنبياء حقيقيين وأنبياء كذبة محترفين والغريب أن الصورة التي قدمها حتى للأنبياء الحقيقيين ليست صورة كريمة تليق بمن اصطفاهم الله تعالى وفضلهم على عباده، فلم يتورع العهد القديم في قصصه عنهم من أن ينسب لهم صفات الرذيلة التي لا يليق ولا يجوز لأي إنسان عادي أن يتصف بها فكتبة الأسفار قد جعلوا سلوك أنبياء بني إسرائيل حتى من عرفوا منهم بأنهم الأنبياء الكبار أو الحقيقيون لم يختلفوا كثيراً في بعض المواقف عن سلوك الأنبياء المحترفين[2].

ومفهوم النبوة في العهد القديم غير واضح، فهناك خلط بين مصطلحات الرائي والنبي، ورجل الله، فقد جاء في سفر صموئيل " قديماً في إسرائيل، هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله، هلم نذهب إلى الرائي لأن النبي اليوم كان يدعى سابقاً الرائي، فقال شاول لغلامه كلامك حسن، هلم نذهب فذهبا إلى المدينة التي فيها رجل الله "[3].

وقد جعل معظم الباحثين المحدثين من هذا النص التوراتي - وقد جاء حاشية ضمن سياق قصة - أساساً تقوم عليه كل أبحاثهم في تاريخ النبوة وتطورها عند بني إسرائيل واستنتجوا منها أن الاسم "نبي" مستحدث في حقبة من الحقب التي

---

[1] سورة البقرة، اية : ١٣٦.

[2] أحمد عبدالوهاب، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والاسلام، ص ٢٢ – ٢٣ .

[3] سفر صموئيل الأول، ٩: ٩ - ١٠

سبقت عصر الكاتب لهذه الحاشية وانه قبل ذلك لم تكن تسمية "النبي" معروفة في إسرائيل، وأن رجل الله إنما كان يدعى ويوصف بلفظة "الرائي" وصموئيل نفسه كان يدعى ويدعو نفسه "الرائي" لا النبي " أما التحول الذي حدث في تسمية رجل الله من الرائي إلى النبي بعدما اتسع شأن رجال الله وقوي في أيام إلياس واليسع" وفي هذا العصر تغيرت صفات رجل الله ووظائفه "[1]

كما أسندت أسفار التوراة إلى الأنبياء وظائف مختلفة، ففي سفر الخروج "١/٧" يقول الله لموسى: انظر أنا جعلتك ربا "الوهيم" لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك، ووظيفة هارون إلى جانب موسى مشروحة في مكان آخر من سفر الخروج "٦١/٤" " وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فما، وأنت تكون له ربا "الوهيم" ومن ذلك نعلم أن النبي هو فم ربه الذي به يتحدث إلى الشعب فيسمعه كلام الرب، كما كان هارون بمثابة نبي لموسى، عليه أن يكون فمالموسى يبلغ كلامه إلى الشعب وإلى فرعون "[2].

فهذا النص بلا ريب خلط توراتي فموسى عليه السلام لم يعينه الله تعالى ربا لفرعون، وإنما أرسله نبياً ورسولاً يدعوه إلى عبادة الله، وهارون عليه السلام أرسله الله تعالى نبياً مساعداً لأخيه يشد من أزره في مواجهة فرعون ثم يتحدث العهد القديم عن وظائف أخرى للنبي وهي انه وسيط بين الشعب وبين الله، والصلاة من أجل الأفراد والجماعات الذين يلجأون إليه طالبين المغفرة أو قضاء حوائجهم من الله، فقد ورد في حق إبراهيم عليه السلام أنه نبي يصلي من أجلك فتحيا "[3] فصلى إبراهيم إلى الله فشفى الله أبي مالك وامرأته وجواريه فولدن"[4]، "تضرع

---

[1] حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، ص ٦٢.

[2] نفس المرجع، ص٧٠.

[3] سفر التكوين، ٧/٢٠/.

[4] نفس المصدر، ١٧/٢.

إبراهيم كذلك مراراً إلى الله كي لا يخسف سدوم[1]. وعند حديث أسفار التوراة عن وظيفة الأنبياء في المعابد لم تفرق كثيراً بينهم وبين الكهنة فقد كان معهوداً للأنبياء لا أن يؤموا الصلاة فحسب ؛ بل أن يقوموا بالإنشاد والموسيقى والرقص، وعندما تولى شاول الملك التقى بزمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودف وناي وعود وهم يتنباؤن"[2].

وقد أطلق سفر أخبار الأيام على: اللاويين الذين كانوا يقومون بالإنشاد في المعبد على آلات الموسيقى أسم الأنبياء كما دعا فعلهم هذا عمل النبوة وهذا الافتراض المتعلق بوظيفة الأنبياء في الطقوس الدينية التي كانت تقام في المعابد والهياكل يوضح لنا هذا الازدواج بين الأنبياء والكهنة.

وبناء على ما تقدم نجد أنه لا يوجد معيار حقيقي لتمييز حقيقة الظواهر التي اقترنت بكل من الأنبياء الحقيقيين والأنبياء الكذابين لأن كل من جاء بخارقة أو ادعى أنه يتكلم عن الله سمي نبيا. فالظاهرة المشتركة لكل الأنبياء في العالم القديم هو دعواهم أنهم يتكلمون بسلطان من إلهم، وكأن النبي هو الشخص الذي يتكلم بالنيابة عن آلهة.. ولقد استخدم لفظ النبي دون تحفظ حتى أنه أطلق على أولئك الذين تكلموا باسم آلهة الوثنيين مثل أنبياء البعل الأربعمائة والخمسين الذين استخدمتهم ايزابيل[3]. وأنبياء السواري الأربعمائة الذين جاهدهم إيليا فوق جبل الكرمل[4].

وفي ختام الحديث عن النبوة والأنبياء عند اليهود من الضروري أن نتوقف قليلاً للإطلاع على الصورة المشوهة المؤلمة التي قدمها العهد القديم عن الأنبياء الحقيقيين

---

[1] نفس المصدر، ١٨/٣٢- ٣٣.

[2] صموئيل الأول، ١٠/٤.

[3] سفر الملوك، ١٠/٤.

[4] سفر الملوك الثاني، ١٣/٣.

منهم والكاذبين على السواء أنها صورة الأمة التي لا احترام عندها لنبي ونحن لا نستهجن هذا الأمر ولا نستغربه وقد رأينا الصورة المشوهة نفسها عن الله تعالى وسأكتفي بإيراد بعض النماذج من هذه الصورة المزرية ومن هذه الاتهامات العجيبة التي أطلقتها أسفار العهد القديم على كبار أنبياء بني إسرائيل ومن لهم خطوة ولهم أثر كبير في التاريخ اليهودي، وهم داود، وسليمان، ولوط . فداوود عليه السلام النبي الملك صاحب الفضل الكبير على التاريخ اليهودي مؤسس أول مملكة لهم ومخلص تابوت العهد من يد الأعداء كل هذه المزايا لم تشفع لداود عليه السلام عند كتبة أسفار التوراة الذين اتهموه بالزنا، فقد زنا بامرأة "أوريا" قائد جيشه وحملت بالزنا منه وقتل زوجها بالمكر والخديعة وأخذها زوجة له، فقد جاء في سفر صموئيل الثاني " وأما داوود فأقام في أورشليم.

وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جداً فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بنت البصام امرأة أوريا الحثي؟ فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود فقالت إني حبلى..

وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوآب وأرسله بيد أوريا وكتب فيه يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت.. فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثي أيضاً.. فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات ندبت بعلها، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا، وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب[1].

---

[1] صموئيل الثاني ، ١/١١- ٢٦.

وأما سليمان عليه السلام فقد نسبت له التوراة المحرفة أنه ارتد في آخر عمره ، وكان يعبد الأصنام بعد الارتداد وبني المعابد لها ، هذا ما يقوله سفر الملوك الأول" وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم... وكان له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه ، وكان في زمان شيخوخة سليمان ان نسائه أملن قلبه ، وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه ، فذهب سليمان وراء عشتروت إله الصيدونيين "أهالي صيدا" وملكوم رجس العمونيين ، وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه"[1].

وأما لوط عليه السلام فقد نسبوا له ما يتردد المرء أن ينسبه لأي منحرف ساقط ، فقد نسبه له سفر التكوين أنه مارس فاحشة الزنا مع ابنتيه بعد أن سكر وثمل ، و إلى ذلك أشار سفر التكوين " وصعد لوط وسكن في الجبل وابنتاه معه.. وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض ، هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلاً ، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما ، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب وهو أبو المؤابيين إلى اليوم ، والصغيرة أيضاً ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمي ، وهو أبو بني عمون إلى اليوم[2]

---

[1] سفر الملوك الأول : ١١/١- ٦

[2] سفر التكوين ١٩/٣٠ - ٣٨

الفصل الثالث
اليوم الآخر
بين الإسلام واليهودية

الفصل الثالث
اليوم الآخر بين الإسلام واليهودية
المبحث الأول
الإيمان باليوم الآخر في الإسلام

يتكون الإيمان من ستة أركان لا ينفصل بعضها عن بعض، فلا تكتمل عقيدة المؤمن إلا بهذه الأركان الستة وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، وموضوع بحثنا هو الإيمان باليوم الآخر. والإيمان باليوم الآخر ركن مهم من أركان الإيمان الستة، ولذلك لا يصح إيمان المؤمن إلا به، ومن أنكر هذا الركن أو جحد وجوب الإيمان به أو جعله من الخرافات وظن أن الدنيا باقية وأنه لا حياة بعدها فقد كفر بإجماع المسلمين[1]. فقال تعالى:{وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً }[2] .. وقوله تعالى: { اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ}[3].

أما معنى الإيمان باليوم الآخر فباستطاعتنا أن نقول: إن الإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بكل ما أخبرنا به ربنا في كتابه الكريم وأخبر به رسولنا محمد مما سيكون بعد الموت من فتنة القبر وسؤاله ونعيمه وعذابه والبعث والحشر والحساب والجزاء والعقاب والحوض والصراط والميزان والشفاعة والجنة والنار[4].

---

(1) انظرابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٤، ص٧. وابن تيمية، العقيدة الواسطية بشرح ابن عثيمين، ج٢، ص ١٣١.

(2) سورة النساء، آية: ١٣٦.

(3) سورة النساء، آية: ٧- ٨.

(4) انظر محمد نعيم ياسين، الأيمان أركانه وحقيقته ونواقضه، ص٧٣. وانظر عبدالباقي عطالله، اليوم الآخر في الكتاب والسنة، ص ١٥.

وأما سبب تسميته باليوم الآخر فلأنه آخر أيام الدنيا ولا يوم بعده، وهو آخر المراحل والحياة فيه خالدة لا نهاية لها[1]. أما حكمة الإيمان باليوم الآخر والبعث والحاجة إليه فهي تكمن في العدالة الإلهية العظيمة والمجازاة وأن الله سبحانه وتعالى لم يخلق هذا العالم عبثًا ولا سفهًا، وكل شيء خلق بحكمة وغاية، والإنسان الذي لا يأخذ نصيبه في هذه الحياة فلابد من الحياة الأخرى حتى تتحقق العدالة الإلهية، وأن يكون هناك دافع للإنسان يدفعه إلى عمل الخير وينهاه عن فعل السيئات وأن يكون هناك الجزاء والعقاب على أكمل صورة وأتم وجه[2]. ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ }[3]. ويلاحظ في الآية أن الخلق والإعادة مقترنان بمجازات المؤمنين بالعمل الصالح ومجازات الكافرين بعملهم السيئ.ومن البدهي أنه لا مساواة بين المؤمن والكافر والطائع والعاصي والصالح والطالح والمستقيم والفاجر، وهذا لا ينسجم مع العدالة الإلهية.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى:{ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ }[4]. ويقول تعالى: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ}[5]. ويقول

---

[1] انظر ابن تيمية، العقيدة الواسطية بشرح العثيمين، ص ١٠٦.

[2] انظر محمد نعيم ياسين، الإيمان أركانه وحقيقته، ص ٧٤، وانظر أحمد علي داود، عقيدة التوحيد، ص ١٥٣.

[3] سورة يونس، آية: ٤.

[4] سورة القلم، آية: ٣٥ - ٣٦.

[5] سورة ص، آية: ٢٨.

تعالى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ }[1].

أسماء اليوم الآخر كما وردت في القرآن الكريم:

لليوم الآخر أسماء كثيرة وعديدة وكلها تشير إلى ما سيحدث فيه أو إلى الغاية منه، ومن هذه الأسماء ما يلي[2]:

1. **يوم القيامة:** سمي هكذا لأن جميع خلق الله سيقومون من القبور ويقفون أمام الله سبحانه وتعالى لسماع حكمه. يقول تعالى: { أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً }[3].
2. **يوم البعث:** هو اسم يشير إلى بعث الناس مرة ثانية وإلى عودة الحياة إلى الجسد بعد موته. يقول تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }[4].
3. **يوم الدين:** سمي بهذا الاسم لأنه سيكون في ذلك اليوم مجازات الناس على أعمالهم. قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ}[5].
4. **يوم الفصل:** وسمي بهذا الاسم لأن الله يفصل بين الناس بالقسط والعدل

---

[1] سورة الجاثية، آية: ٢١.

[2] انظرالسيد سابق، العقائد الإسلامية، ص ٢٦١، داود و محمد علي أحمد، عقيدة التوحيد، ص ١٥١- ١٥٢.

[3] سورة الكهف، آية: ١٠٥.

[4] سورة الروم، آية: ٥٦.

[5] سورة الانفطار، آية: ١٧- ١٩.

ويفصل بين الحق والباطل وبين الصالح والطالح. يقول الله تعالى: {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ }[1].

٥. **يوم الحساب**: يشير إلى أن الناس سيحاسبون على أعمالهم التي قدموها في الحياة الدنيا. يقول تعالى: {هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ }[2].

٦. **الساعة**: سميت بهذا الاسم لسرعة حسابها أو لأنها عند الله كساعة، (من الساعة عند الخلق) . يقول تعالى: {يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ }[3]. وقوله تعالى: { وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[4].

٧. **يوم الخروج**: يدل على خروج الناس من قبورهم إلى الحياة الأخرى. يقول الله تعالى: {يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ }[5].

٨. **يوم الحشر ويوم الجمع**: سمي بذلك لأن الناس سيحشرون ويجمعون أمام الله ليحاسبهم على أعمالهم. يقول تعالى: {وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ }[6]. ويقول تعالى: {يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ }[7].

٩. **الغاشية**: يقول الله: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ }[8]. وسمي بذلك لأنها تغشى الناس بأهوالها.

---

[1] سورة الصافات، آية: ٢١.

[2] سورة ص، آية: ٥٣.

[3] سورة الحج، آية: ١.

[4] سورة النحل، آية: ٧٧.

[5] سورة ق، آية: ٤٢.

[6] سورة المائدة، آية: ٩٦.

[7] سورة التغابن، آية: ٩.

[8] سورة الغاشية، آية: ٣.

١٠.يوم الوعيد: سمي بذلك لأن فيه يتحقق وعيد الله للذين كفروا بالقيامة وأنكروها. يقول الله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ}(١).

١١.الحاقة: دعي كذلك لأنه يحق فيها ويظهر ما أنكر من البعث والجزاء والحساب ولأنه يظهر الحق ويزهق الباطل. يقول الله تعالى: {الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۞ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ}(٢).

١٢.يوم الخلود: سمي بذلك لأن الحياة فيه ستكون خالدة. يقول تعالى: {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ}(٣).

١٣.الواقعة: يدل على حتمية وقوع القيامة. يقول تعالى: {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۞ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۞ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ}(٤).

١٤.الطامة: سميت بذلك لشدة هولها. يقول الله تعالى: {فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ}(٥).

١٥.الصاخة: سمي هكذا لأنها تصم الآذان من شدتها. يقول الله تعالى: { فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ }(٦).

١٦.يوم التلاق: سمي بيوم التلاق لأنه سيكون هناك لقاء عام مثل لقاء الخلق للخالق وما إلى ذلك. يقول الله تعالى: { رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي

---

(١) سورة ق، آية: ٢٠.

(٢) سورة الحاقة، آية: ١ –٣.

(٣) سورة ق، آية: ٣٤.

(٤) سورة الواقعة، آية: ١- ٣.

(٥) سورة النازعات، مكية، آية ٣٤.

(٦) سورة عبس، آية: ٣٣.

الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ }[1].

١٧ يوم الفرار: سمي بذلك لأن كل واحد يفر من الثاني حتى الإنسان يفر من أمه وأبيه لأنه يهتم بنفسه لا بغيره. يقول تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۞ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ }[2].

١٨. الآزفة أو يوم الآزفة: أطلق عليه هذا الاسم دلالة على قرب وقوعها بالنسبة إلى عمر الدنيا الطويل. يقول تعالى: {أَزِفَتِ الْآزِفَةُ }[3]، { وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ..}[4]. وهناك أسماء أخرى لليوم الآخر وكلها تشير إلى ما سيحدث في ذلك اليوم وإلى الغاية منه [5]. وأما بالنسبة إلى الأدلة النقلية والعقلية والحكمة من اهتمام القرآن الكريم باليوم الآخر، والآثار المترتبة على الإيمان باليوم الآخر فسوف أتحدث عنه في المطالب الآتية:

المطلب الأول
الأدلة النقلية والعقلية
على اليوم الآخر

استدل العلماء على اليوم الآخر بما ورد في الكتاب والسنة وبأدلة عقلية، أما ما ورد في الكتاب فقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى عن ذلك بقوله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ◆ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}[6]، وقوله تعالى: {وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ

---

[1] سورة غافر، آية: ١٥.

[2] سورة عبس، آية: ٣٤ – ٣٦.

[3] سورة النجم، آية: ٥٧.

[4] سورة غافر، آية: ١٨.

[5] انظر عبدالحميد كشك، ما بعد الموت، ص ٧٩، ٨٠.

[6] سورة الرحمن، آية: ٢٦، ٢٧.

هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ }[1]. فقد أمر الله سبحانه وتعالى نبينا محمد ﷺ أن يقسم على حقيقة البعث في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ .. }[2]. أما السنة النبوية الشريفة فقد اشتملت على أحاديث عديدة تحدثت عن اليوم الآخر ومشتملاته ومن تلك الأحاديث:

١. ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة من حديث جبريل المشهور الذي سأل فيه نبينا محمدًا عن الإيمان والإسلام والساعة، وفيه أجاب رسول الله ﷺ بقوله: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمنَ بالبعث.." [3].
٢. ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً" قلت يا رسول الله الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال " ﷺ يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض"[4].
٣. ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله كان ﷺ يخطب وهو يقول: "إنكم ملاقوا الله مشاة حفاة عراة غرلاً[5]".

---

[1] سورة يونس، آية: ٥٣.
[2] سورة التغابن، آية: ٧.
[3] صحيح البخاري، كتاب الإيمان، ج١، ص ٢٠، دار الجيل. وانظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ج١، ص٣٧.
[4] انظر صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الحشر، ص٤٥، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجنة ونعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ج ١٧، ص ١٩٠.
[5] انظر صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنة ونعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، وصحيح البخاري، ج٨، ص ١٣٦.

٤. عن ابن عمر عن النبي ﷺ في قول الله تعالى: { يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}[1] قال: "يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه"[2].

٥. ما روى مسلم بسنده مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال: "والله ما الدنيا في الآخرة إلى مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم فأشار يحيى بالسبابة وفي رواية أشار إسماعيل بالإبهام فلينظر بم يرجع[3]".

٦. وقال الإمام النووي: "ومعنى الحديث ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها ودوام الآخرة، ونعيما إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر[4]".

٧. ما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي أنه ﷺ قال: "قال الله تعالى في الحديث القدسي: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك. وشتمني ولم يكن له كذلك. فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته[5]".

٨. ما رواه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني كنت مكانك[6]".

---

[1] سورة المطففين، آية: ٦.

[2] انظرصحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ٤٧ .

[3] انظرصحيح مسلم، كتاب الجنة ونعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة.

[4] انظرشرح صحيح مسلم للنووي، ج١٧، ص ١٩٠.

[5] انظرصحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة قل هو الله أحد، باب ١، و انظر سنن النسائي، بشرح السيوطي، كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين، ج٤، ص ١١٢ .

[6] أحمد بن حنبل، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٣٦، صحيح البخاري، ومسلم في صحيحه، الفتن، باب ١٨، ج٤، ص ٢٢٣.

٩. قوله ﷺ: "لا تقوم الساعة إلا على حثالة الناس[1]".

أما الأدلة العقلية فتتلخص فيما يلي [2]:

١. صلاح قدرة الله على إعادة الخلائق بعد فنائهم إذ أن إعادتهم أسهل وأيسر من خلقهم وإيجادهم على غير مثال سبق، يقول الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[3].

٢. إن العقل يقبل فكرة اليوم الآخر لأن العقل لا يرفض إلا ما كان مستحيلاً كاجتماع الضدين والنقيضين، والبعث والجزاء والعقاب كل هذا من الأمور التي لا تقع تحت المستحيل، إذ هي مقبولة عقلاً وليست مرفوضة.

٣. إن قدرة الله وحكمته مبثوثتان في مخلوقاته فإن تلك المظاهر التي نجدها في الكون تمنع عدم وجود البعث واليوم الآخر. وحكمة الله ترفض أن تكون حياة الإنسان بلا غاية أو هدف، وترفض أن تكون حياته بلا معنى، فلابد أن يجد الإنسان ما قدمه في هذه الحياة في اليوم الآخر.

٤. إن العقل يقضي بأنه لابد من وجود يوم تتحقق فيه العدالة الإلهية المطلقة، ويأخذ كل ذي حق حقه، ويقام الميزان بني الناس بالقسط، وتستعاد الحقوق السماوية في الدنيا وإلا كان الحديث عن العدل الإلهي عبثًا ونوعًا من الكذب.

٥. إيمان الملايين من الناس والعلماء باليوم الآخر وهل يعقل أن يذهب إيمانهم عبثًا؟

---

[1] أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج٣، ص ٤٩٩.

[2] عبدالباقي عطاالله، اليوم الآخر في الكتاب والسنة، ص ٤٦ – ٥٥، وانظر محمد عطية، العقيدة الإسلامية، ص ٢٨٩.

[3] سورة الروم، آية: ٢٧.

المطلب الثاني
الحكمة من اهتمام
القرآن الكريم باليوم الآخر

اهتم القرآن الكريم باليوم الآخر اهتمامًا بالغًا ونبه إليه وأكد وقوعه وذلك لحكم عديدة ويمكن حصرها في النقاط الآتية [1]:

١. **أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يبين أن الإيمان باليوم الآخر يعدل الإيمان بالله:**

أي أنه لا يمكن الفصل بينهما ولا تكتمل عقيدة المؤمن بالله إلا مع إيمانه باليوم الآخر، أي أن شأن اليوم الآخر شأن عظيم. يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ }[2]. فحصول البر مقترن بالإيمان بالله واليوم الآخر.

٢. **انضباط سلوك الإنسان في حياته الدنيا:**

فالإنسان إذا علم أنه مجزي على أعماله سواء كانت خيرًا أو شر كان له أثر عظيم في انضباط سلوكه في هذه الحياة فيعمل الصالح ويترك السوء. يقول الله سبحانه وتعالى: {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ }[3].

٣. **تقوية النزعة الدينية عند المؤمنين:**

فالإنسان إذا علم ما سيناله في الآخرة من الجزاء فإنه يقبل على التضحية بكل ما يمتلك من النفس والمال، وكل ذلك في سبيل عقيدته ونصرة دينه، ويتجنب

---

[1] العقائد الإسلامية، سيد سابق ص ٥٦٤، ٥٦٥، وأحمد فائز، اليوم الآخر في ظلال القرآن، ص ١٣- ١٥.

[2] سورة البقرة، آية: ١٧٧.

[3] سورة الأعراف، آية: ٧ - ٩.

الشر ويقبل على فعل الخيرات، لا خوفًا من سلطة القانون، بل يفعل ذلك عن قناعة ورضا وبأن الله يراه ويراقبه.

٤. **التذكير الدائم للعباد بهذا اليوم العظيم دفعًا للغفلة عن هذا الركن العظيم:**

من الطبيعي أن يغفل الناس عن هذا الركن العظيم لأنهم بطبيعتهم يميلون إلى الشهوات والملذات وحب الدنيا، وحتى نبتعد عن هذه الملذات وتفكيرنا في هذه الحياة يذكرنا الله سبحانه وتعالى باليوم الآخر والمتعة الدائمة والرضوان الكبير. يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ}[1].

٥. **إن اليوم الآخر كان ولا يزال يثير استغراب الكفار وتعجبهم:**

فالكفار ينكرون أن الإنسان إذا ما تحول إلى التراب سوف يبعث مرة ثانية، وكان المشركون من العرب ينكرونه إنكارًا شديدًا. يقول تعالى: {ق ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۞ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۞ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ}[2]. ويقول عن المشركين: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}[3].

٦. **بيان التصور الصحيح لليوم الآخر وأحداثه:**

وذلك لأن أهل الكتاب وإن كانوا يؤمنون باليوم الآخر إلا أن تصورهم له يختلف عن تصور الإسلام له فالنصارى مثلاً يؤمنون بالمسيح الذي سيخلصهم يوم القيامة من عقوبة الخطايا، وعقيدة اليهود كذلك لا تقل في فسادها وضلالها عن عقيدة النصارى.

---

[1] سورة التوبة، آية: ٣٨.

[2] سورة ق، آية: ١- ٣.

[3] سورة الجاثية، آية: ٢٤.

المطلب الثالث
الآثار المترتبة
على الإيمان باليوم الآخر

للإيمان باليوم الآخر آثار عظيمة في حياة الفرد والمجتمع ومن تلك الآثار ما يأتي[1]:

١ـ الأثر الفكري:

الإيمان باليوم الآخر يعطي للإنسان صورة واضحة عن هذه الحياة والكون وما إلى ذلك بدون أية ألغاز وإيهام. فالإيمان باليوم الآخر يقدم للفرد والمجتمع مقدمات مفهومة المعاني ونتائج واضحة المعالم، فعقيدة اليوم الآخر تفسر للإنسان وجود الظلم والفقر والخوف والآلام والمجاعات، وكذلك وجود العدل والأمن وما شابه ذلك. وبناءً على هذا فإن الظالم إذا مات دون أن ينال العقاب فإن عقابه ينتظره في الآخرة، أما المظلوم إذا مات دون أن يأخذ حقه في هذه الحياة فإن حقه مدخر في تلك الحياة الباقية الخالدة الأبدية.

٢ـ الأثر النفسي:

لا شك في أن المؤمن باليوم الآخر لا يشعر بأية كآبة ولا بعدم الرضا، بل يتمتع بالسعادة والبهجة والطمأنينة والرضا، فالمؤمن باليوم الآخر يكون أكثر اطمئنانًا وراحة من غير المؤمن به لأن المؤمن باليوم الآخر لا ينظر إلى هذه الحياة إلا على أنها فانية ويرى هذه الدار دار ابتلاء ومحن وأنها دار العبور وليست دار الاستقرار، وبناءً على هذا يصبر على المصائب والمحن والابتلاءات، فهو سعيد راض في السراء والضراء.

---

[1] أحمد فائز، اليوم الآخر في ظلال القرآن، ص١٧- ٢٣، وفاروق أحمد الدسوقي، محاضرات في العقيدة الإسلامية، ص ١٤١– ١٤٥ .

٣ـ الأثر الخلقي:

الإيمان باليوم الآخر ينعكس على خلق الفرد والمجتمع، فالمؤمن باليوم الآخر لابد أن يتحلى بالأخلاق الحميدة والفاضلة التي تقوم على العدل والحق والخير والصدق والكرم والشجاعة والعفة والإحسان والأمانة. وهو يعرف أن الله سبحانه وتعالى سيحاسبه على كل صغيرة وكبيرة، لأنه – على سبيل المثال- إذا لم يقم بالعدل فإنه سيحاسب على ذلك، فإذا عرف أن هناك خالدة فإن ذلك يجعله أكثر جرأة وقدرة على التحمل والاستهانة بالأخطار، فيكون أكثر شجاعة وتضحية بحياته في سبيل الله.

المطلب الرابع
علامات الساعة
بين الإسلام واليهودية

أولا :علامات الساعة وأشراطها في الشريعة الإسلامية

لم يخبرنا الحق تبارك وتعالى عن وقت الساعة ولكن أخبرنا عن قربها ودونها، وكذلك أخبرنا الرسول ﷺ عن أشراط الساعة، يقول تعالى: { فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ }[1]. وتنقسم أشراط الساعة إلى قسمين: الأشراط الكبرى والأشراط الصغرى وفيما يلي بيان ذلك :

أولا :العلامات الصغرى كما جاءت في الحديث الشريف[2]

أخبرنا رسول الله ﷺ عن أشراط الساعة الصغرى، ومن الأحاديث التي تبين علامات الساعة الصغرى ما يأتي:

---

[1] سورة محمد، آية ١٨.

[2] انظر أحمد عصام، عقيدة التوحيد في فتح الباري، ص ٤٤٢ . والتذكرة للقرطبي، ص ٧١٠ .

١- أخرج البخاري ومسلم أن رسول الله قال: ﷺ "بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى[1]". فهذه علامة من علامات الساعة قد تحققت والرسول ﷺ بعث وختمت النبوة والرسالة به. ويقول السيد سابق: "والمراد بهذا التشبيه أنه ﷺ ليس بينه وبين الساعة نبي آخر، فهي تليه وتأتي بعده، وهذا علم بقربها، ولا يستلزم العلم بوقت مجيئها، فإن العلم بوقت المجيء لا يعلمه إلا الله[2]".

٢- أخرج البخاري ومسلم في حديث جبريل عندما سأل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة، العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان[3]".

٣- أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله أن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى تقتتل طائفتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان.

وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهوا لقتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان. وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني كنت مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس يعني آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها

---

[1] انظر صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ٢٩، صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب رفع الصوت في الخطبة حديث رقم ٢٠٠٢.

[2] سيد سابق، العقائد الإسلامية، ص ٢٤٥.

[3] رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب ٣٧، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الايمان والاسلام والاحسان، حديث رقم ٩٣.

خيرًا، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها[1]".

٤- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيﷺ قال: "من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل، ويظهر الزنا وتكثر النساء، ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد[2]".

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبيﷺ وقال: "متى الساعة؟ فقال رسول الله: " فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال كيف إضاعتها ؟ قال: إذا سند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة [3]".

٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر.

٧- اليهود[4]". وهناك أحاديث كثيرة عديدة تتحدث عن أشراط الساعة ولكن لا مجال لسردها كلها وأكتفي بهذا القدر من أدلة أشراط الساعة الصغرى.

ثانيا: العلامات الكبرى ليوم القيامة

جاء ذكر علامات الساعة الكبرى في بعض الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ حيث يخبرنا أن اليوم الآخر لن يكون إلا بعد أن يرى الناس عشر علامات

---

[1] رواه البخاري، كتاب الفتن. ص٢٩ ، ٧٤/٩ .

[2] رواه البخاري كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، ج١، ص ٣٥. حديث رقم ٨١ .

[3] رواه البخاري، كتاب العلم، ج١، ص ٢٦، حديث رقم ٥٩ .

[4] صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ... ج٤، ص ٢٢٣٩ حديث رقم ٨٢. والبخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود، حديث رقم٢٩٢٥ .

قبله، وهذه العلامات العشر كما ذكرها حذيفة بن أسيد الغفاري قال: "اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، وتطرد الناس إلى محشرهم[1]". ومن علامات الساعة الكبرى ما يلي[2]:

١- **طلوع الشمس من المغرب:**

عند دنو الساعة وقربها سيحصل هناك التغير في الكون وسيرى الناس أشياء غير معتادة ومألوفة، مثل طلوع الشمس من المغرب وليس من المعتاد أن تطلع الشمس من المغرب. ودليل ذلك ما جاء في حديث رسول الله ﷺ عن عبدالله بن عمرو بن العاصر أن النبيﷺ قال: "إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها قريب[3]". وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل[4]".

٢- **خروج الدابة:**

وقد ذكرت هذه العلامة في القرآن الكريم، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب الآيات التي تكون قبل الساعة، ٢٣٤/١٨.

[2] أحمد عصام، عقيدة التوحيد في فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ص.٤٧٧ وما بعدها وإبراهيم الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، ص ٣٨٩- ٣٩٦.

[3] صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب الفتن، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ٢٨٠/١٨. وانظر أبا داود، كتاب الملاحم والفتن، باب أمارات الساعة الفتن.

[4] صحيح البخاري، بشرح فتح الباري، كتاب التفسير، باب سورة الأنعام.

كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ }[1]. أما أوصاف هذه الدابة فمن أمور الغيب ومما لا ينبغي أن يبحث فيه، فكل ما جاء من الأوصاف الغريبة فيها لا يمكن قبوله لأنه لم يرد فيه نص صريح من كتاب ولا سنة، حيث لم يرد إلا خروج الدابة وتكليمها الناس من أشراط الساعة وأماراتها[2].

٣- ظهور المهدي ونزول عيسى عليه السلام:

سيظهر المهدي في آخر الزمان واسمه محمد بن عبدالله أو أحمد بن عبدالله، وأنه من أهل البيت ومن ولد فاطمة، ودليل ذلك قول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه عنه عبدالله بن مسعود قال: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطولِ الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا[3]".

أما المسيح عليه السلام فإنه ينزل في آخر الزمان أثناء وجود الدجال ينزل ليقيم العدل والقسط، ويقضي بشريعة الإسلام ويقتل الدجال ثم يبقى ما شاء الله أن يبقى ثم يموت ويصلى عليه، وقد بين رسول الله ﷺ بيانًا واضحًا نزول عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة.

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقول أميرهم تعال صل بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه

---

(1) سورة النمل، آية: ٨٢.

(2) العقائد الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٤٩.

(3) سنن أبي داود، كتاب المهدي، ج٤، ص ١٠٦، ١٠٧، حديث رقم ٤٢٨٢، وانظر سنن الترمذي، ٥٠٥/٤، كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي، رقم الحديث ٢٢٣١، ورواه أحمد، ج١، ص٨٤.

الأمة[1]". وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد[2]". والأحاديث في هذا الموضوع تتحدث عن نزول المسيح وظهور المهدي عليهما السلام وما روي في شأنهما كثير. وأما بالنسبة إلى الحكمة من نزول عيسى بن مريم عليه السلام فيمكن إجمالها فيما يلي:

١- الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى بن مريم، فبين الله تعالى كذبهم، وأنه هو الذي يقتلهم ويقتل زعيمهم الدجال.

٢- أن عيسى عليه السلام وجد في الإنجيل فضل أمة محمد كما في قوله تعالى(ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه)، فدعا الله أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه، وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان مجددا لأمر الإسلام، وقال الإمام مالك رحمه الله: (بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا) .

٣- أن نزول عيسى عليه السلام من السماء لدنو أجله، ليدفن في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها.

٤- أنه ينزل مكذبا للنصارى فيظهر زيفهم في دعواهم الأباطيل، فإنه يكسرالصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية.

٥- إن خصوصيته بهذه الأمور المذكورة لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه البخاري: " أنا أولى الناس بعيسى بن مريم، ليس بيني وبينه نبي " .

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حكمًا بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ج١، ص١٣٧ حديث رقم ٢٤٧.

[2] نفس المصدر، رقم الحديث ٢٤٢، وانظر صحيح البخاري، ٣/ ١٠٧، وسنن الترمذي، باب الفتن، ج٩، ص ٧٦.

٤- خروج المسيح الدجال:

لقب بالدجال لشدة تدجيله وكذبه ولكنه له قدرة خارقة على تغطية الحق بالباطل وهو من أصل يهودي من جهة الشرق ويدعي الصلاح والاستقامة بين الناس ويدعي الألوهية ويتبعه الكثير من الناس معظمهم من اليهود، فينزل عيسى عليه السلام ويقتله[1]. والأحاديث التي ورد فيها ذكر الدجال كثيرة نذكر بعضها:

١- أخرج البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر قال: "قام رسول الله ﷺ فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: "إني لأنذركموه ما من نبي إلا قد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكن أقول فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، تعلمون إنه أعور وإن الله تبارك وتعالى ليس بأعور[2]".

٢- روي حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماء أبيض والأخرى رأي العين نار تتأجج، فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه نارًا وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد، وإن الدجال ممسوح العين، عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينه كافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب[3]".

٥- خروج يأجوج ومأجوج:

وقد أخبرنا عن يأجوج ومأجوج ربنا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم حيث قال: {حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ }[4]. وقال

---

[1] انظر إبراهيم الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، ص ٣٩٠.

[2] صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، ج٤، ص ٢٤٥. وانظر صحيح البخاري، كتاب الفتن، ج٩، ص ٧٥.

[3] صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم الحديث ٤١٠٥، ج٤، ص ٢٢٤٩.

[4] سورة الأنبياء، آية: ٩٦.

تعالى: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ۞ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً ۞ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً ۞ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً ۞ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً ۞ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً }[1]. وهناك أحاديث تدل على خروج يأجوج ومأجوج منها:

١- ما رواه البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ قال: "لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث"[2].

٢- ما رواه مسلم والترمذي وابن ماجة وأحمد عن النواس بن سمعان من الحديث الطويل ما نصه: ".. ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدبٍ ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء.."[3]. أما فيما يتعلق بالدخان والخسوف الثلاث والنار التي ستطرد الناس إلى المحشر، فقد سبق ذكرها في الحديث النبوي وهي ثابتة بهذا الحديث.

---

[1] سورة الكهف، مكية، الآيات من ٩٢ — ٩٨.

[2] صحيح البخاري، كتاب الفتن، ج٤، ص ٢٤١، ج٩، ص ٦٠، ص ٧٦. صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، ج٤، ص ٢٢٠٨ .

[3] صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، ج٤، ص ٢٢٥٠ — ٢٢٥٥. وانظر المسند للامام أحمد بن حنبل، ، ج٤، ص ١٨١- ١٨٢.

المطلب الخامس
مفهوم
الموت في القرآن و التوراة

الموت حقيقة لا يمكن لإنسان أن ينكرها ، ولقد بين القرآن الكريم أن لكل نفس أجل وميعاد فإذا جاء أجل المؤمن وانتهى عمره انتقل من هذه الحياة إلى حياة أبدية أخرى ، وأما بالنسبة إلى أثر الموت كواقع في حياة المؤمن[1] ، فلا شك في أن الموت حقيقة محسوسة مشاهدة لا مفر منه ، وكل إنسان لابد أن يتذوق الموت وبهذا يخبرنا عز وجل في كتابه العظيم ، حيث يقول: { كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ }[2]. وقوله سبحانه وتعالى: { أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ }[3]. وقال تعالى: { قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }[4].

أما حكمة الموت والحياة فإنها تكمن في كشف المحسن والمسيء والمصلح والمفسد، وذلك الأمر يؤكده سبحانه وتعالى حيث يقول: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ..}[5]. وحتى يستقيم سلوك المرء عليه أن يتذكر الموت دائمًا ، فإن تذكر الموت يبعده عن ملذات الدنيا ويوجهه إلى الله ، وحتى يتحقق ذلك عليه أن يتذكر قول الله تعالى: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }[6]. ويقول ﷺ : " أكثروا من ذكر هادم

---

[1] انظر، مصطفى الخن، مبادئ العقيدة الإسلامية، ص ٣٢١ .

[2] سورة آل عمران، آية: ، ١٨٥.

[3] سورة النساء، آية: ، ٧٨.

[4] سورة الجمعة، آية: ٨.

[5] سورة الملك، آية: ٢.

[6] سورة النحل، آية: ٣٢.

اللذات – يعني الموت"[1]

وأما ذكر الموت في التوراة فقد تحدثت التوراة عن الموت في سفر التكوين، وترى التوراة أن آدم عليه السلام قد حكم على نفسه بالموت عندما خيره الله بين: أكل ثمر الشجرة المخلدة وبين عدم أكلها، واختار آدم أكل ثمرة الشجرة، شجرة المعرفة، فلذلك عصى آدم ربه فطرد من الجنة وأصبح معرضا للموت وأشار إلى ذلك سفر التكوين: " من جميع شجر الجنة تأكل أكلا، أما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت[2]". وتؤكد التوراة في بعض أسفارها أن الموت لا يسلم منه إنسان " يسلم الروح كل البشر جميعا ويعود الإنسان إلى التراب[3]".

ويفسر صاحب كتاب السنن القويم هذا النص: " بأن الله إذا ترك الإنسان لحظة واحدة بدون عناية، فان الإنسان يعود إلى التراب، ويستنتج من هذا بأن وجود الإنسان حيا ودوام الخير بما يثبت وجود الله[4]". أي أن عناية الله هي التي تضمن له الحياة وإذا لم يعتن الله بالبشر فإنهم يموتون جميعا. ولا شك في أن هذا الاتجاه في التفسير غير سليم إذ أن عناية الله بالإنسان مستمرة حال حياته وبعد مماته. وتبين التوراة كذلك بأن للموت أجل معلوم ووقت محدد: لكل شيء زمان ولكل أمر تحت السماوات وقت وللولادة وقت)[5].

---

(1) رواه الترمذي كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت .

(2) سفر التكوين، ٢/١٦- ١٧ .

(3) السنن القويم، مجموعة من اللاهوتين صدر عن مجمع كنائس الشرق الأدنىفي بيروت، ج٥، ص٢٤٧ .

(4) سفر أيوب، ٣٤/ ١٥ .

(5) سفر الجامعة، ٣/١- ١٨ .

وهذا النص يدل دلالة واضحة أن للموت أجلا معلوما ووقتا محددا كما أن لكل شيء على الأرض وقتا معلوما وزمنا محددا، ولا شك في أن هذا يتفق والرؤية الإسلامية في هذا الموضوع. وتربط التوراة بين الموت والخطيئة، فترى أن الخطيئة سبب الموت، وقد أكثرت التوراة من النصوص التي تربط الموت بالخطيئة وجاء في سفر التكوين: وأما ثمرة الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا[1]". وورد في سفر حزقيال الربط بين الموت والخطيئة: "النفس التي تخطىء هي تموت[2]".

وإذا كان العهد القديم قد تعرض للموت باعتباره نهاية كل حي إلا أن العهد القديم لم يقدم أي صورة عن حالة خروج الروح أثناء الموت بالنسبة لليهودي، وأما ما ورد في الفكر اليهودي في هذا السياق فقد تحدث عنه " سعديا الفيومي " في كتابه الأمانات والاعتقادات عن حالة خروج روح اليهودي فيقول: "إن الآباء عرفونا أن الملاك الذي يبعث به الخالق ليفرق بينها — بين النفس والجسم — " يظهر للإنسان في صورة نار صفراء مملوءة عيونا من نار زرقاء، وفي يده سيف مصلط يقصده به، إذا رآه كذاك انزعج وفارقت روحه جسمه[3]". ولقد وردت أمثلة في التلمود تبين كرب وألم بعض الحاخامات من منظر الموت وهم يعتبرون أنفسهم بأنهم لا أمل لهم من الخلاص" النجاة " خائفين أن يلقى بهم في الجحيم[4]". وهذا ما يفسر لنا كراهية اليهود للموت وحرصهم على الحياة فيقول تعالى مخاطبا اليهود: {قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ

---

[1] سفر التكوين، ٣/٣ .

[2] سفر حزقيال، ٣٤/١٨ .

[3] سعديا الفيومي، الأمانات والاعتقادات، ص٣٠٣ .

[4] ظفر الاسلام، التلمود تاريخه وتعاليمه، ص ٨٥ .

الآخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمينَ ۞ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ }[1].

ويقول تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۞ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }[2].

وخلاصة القول فان الموت في عقيدة التوراة كما يتضح في نصوصها ليس إلا نهاية الإنسان الحي ونهاية كل حي، وفي المنظار الظاهري فإن الموت نهاية لهذا الجسد، ولم يكن التوراتيون على يقين بأن الموت مرحلة، وهذه المرحلة لا بد لها من مرحلة أخرى قادمة.

المطلب السادس
سؤال القبر عذابه ونعيمه

الإيمان بسؤال القبر واجب، وهذه هي المرحلة الأولى من مراحل اليوم الآخر، فإن الميت وهو في قبره لابد أن يُسأل عدة أسئلة: يسأل عن ربه ونبيه ودينه. والدليل على سؤال القبر من القرآن هو[3]:

❖ قول الله سبحانه وتعالى: { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ

---

[1] سورة البقرة، آية: ٩٤- ٩٦.

[2] سورة الجمعة، آية: ٦- ٨.

[3] انظر إبراهيم الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، ص٣٦٥، وابن تيمية، العقيدة الواسطية بشرح العثيمين، ج٢، ص١٠٨، والتذكرة للقرطبي، ص ١٥١.

الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}[1]. ويقول النسفي في تفسيره لقوله تعالى: { وَفِي الآخِرَةِ } "الجمهور على أن المراد به في القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب[2]".

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "إن العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه – حتى يسمع قرع نعالهم – أتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدًا في الجنة. قال النبي: فيراهما جميعًا.

وأما الكافر – أو المنافق– فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال له: "لا دريت ولا تليت ثم يُضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين[3]". ولقد أجمع أهل السنة على وجوب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه ما عدا المعتزلة المتأخرون والخوارج [4]. لذا فيجب أن يؤمن المؤمن بعذاب القبر ونعيمه، وقد وردت نصوص تثبت ذلك ومن تلك النصوص ما يأتي:

- قوله تعالى: {فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۞ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ }[5]. ففي هذه الآية نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا عن نوعين من

---

[1] سورة إبراهيم، آية: ٢٧.

[2] تفسير النسفي، ج١ ، ص ٦٥٢.

[3] انظر صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب الجنائز، وصحيح مسلم بشرح النووي، ج١٧، ص ٢٠٣.

[4] انظر شرح المواقف في علم الكلام للايجي، ص٣٨، وانظر الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري، ج٢ ، ص ٢٤٧.

[5] سورة غافر، آية: ٤٥ - ٤٦.

العذاب تعرض لهما آل فرعون أولهما قبل أن تقوم الساعة وهو شدة العقاب في القبر صباحًا ومساءًا، وثانيهما بعدها وهو أكثر إيلامًا من عذاب القبر[1]. ويقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية: "والجمهور على أن هذا العرض في البرزخ .. وهذه الآيات تدل على عذاب القبر في الدنيا، ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}[2].

❖وقوله سبحانه وتعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ}[3]. فهذه الآية تخبرنا أن الظالمين يتلقون عذابًا شديدًا سواء كان ذلك مع قبض أرواحهم أو بعد ذلك في القبر بمطارق الحديد ويقول البيضاوي في تفسيره{اليوم } : "ويريد به وقت الإماتة أو الوقت الممتد من الإماتة إلى ما لا نهاية له"[4].

❖وقوله سبحانه وتعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}[5]. ويقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية: "هذا الضرب يكون عند الموت وقد يكون يوم القيامة حين يصيرون بهم إلى النار"[6]. أما الأحاديث النبوية التي تثبت عذاب القبر فهي كما يأتي:

❖ أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "مر النبي ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير. ثم قال: بلى أما

---

[1] تفسير البيضاوي، ص ٦٢٤.
[2] تفسير القرطبي، ج١٥، ص ٣١٨، ٣١٩.
[3] سورة الأنعام، آية: ٩٣.
[4] انظر البيضاوي، ص ١٨٤.
[5] سورة الأنفال، آية: ٥٠.
[6] انظر تفسير القرطبي، ٢٨/٧.

أحدهما فكان يسعى بالنميمة وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله.."[1].

❖ أخرج البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة"[2]. وأما فيما يتعلق بتفاصيل العذاب ونعيمه فإنه لم ترد أدلة قاطعة واضحة كما هي واضحة وقاطعة في سؤال القبر، وقد ذهب الجمهور إلى أن الروح والجسد معًا يتعرضان للعذاب والنعيم"[3]. والأحاديث الكثيرة تخبرنا عن عذاب القبر ونعيمه، فهذا ابن القيم الجوزية ينقل جواب الإمام ابن تيمية عن سؤال يطرح نصه: هل العذاب في القبر يكون جسميًا أو روحيًا أو روحيًا وجسميًا معًا؟ يقول: "وقد سُئل شيخ الإسلام في هذه المسألة ونحن نذكر لفظ جوابه فقال: بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن، وتنعم وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما تكون على الروح منفرده عن البدن[4]".

---

[1] صحيح البخاري شرح فتح الباري، ج٣، ص ٢٨.

[2] صحيح البخاري شرح فتح الباري، كتاب الجنائز، ج٣، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٧، ص ١٩٨.

[3] محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص ٢٥٥.

[4] الروح لابن القيم، ص ٥٣.

المطلب السابع
عذاب القبر
ونعيمه في الديانة اليهودية

جاء في قاموس الكتاب المقدس أن " الهاوية مقر الموتى " وهي ترجمة الكلمة العبرية " شئول[1]".وتعني هذه الكلمة حسب ما يراه العبريون " قبر أو موت "، وقد صور كتاب الأسفار المقدسة الجحيم كأنه مكان تحت الأرض[2]. وله أبواب[3]. وهو مكان مظلم مخيف، سكانه يشعرون وكأنهم في وجود بليد جامد[4]. وتذهب إليه نفوس الجميع[5]. وفيه القصاص، وفيه الثواب، ولا يمكن العودة منها إلى الأرض[6]. وهو مكان عريان أمام الله[7].

ويقول المرنم: إن الله هناك[8]. وان أرواح شعبه وحالتهم في ذلك المكان كانت تحت عينه الساهرة، وهذا التعليم عن معرفة الله لشعبه بعد الموت وحضوره معهم ومجيئه الدائم أهم.... اشتمل على الغبطة للأبرار والويل للأشرار بعد الموت، وأصبح لهم مقران: الأبرار يكونون مع الرب، والأشرار بعيدون عن وجهه[9]" ومن الملفت للنظر أن اليهود في عهد الرسول ﷺ يقولون بعذاب القبر ويتعوذون منه، فقد روي

---

[1] قصة الحضارة، مرجع سابق، ج٢، ص٣٤٥ . وقاموس الكتاب المقدس، مرجع سابق، ص٢٥٠ .

[2] سفر العدد، ١٦/٢٠-٢٣ .،

[3] سفر أشعيا، ٢٨/١٠ .،

[4] صموئيل الثاني، ٢٢/٦ . وحزقيال، ٦/٥ .

[5] سفر التكوين، ٣٧/٣٥ .

[6] صموئيل الأول، ٢٨/٨- ٩ .

[7] سفر أيوب، ٢٦/٦ .

[8] مزمور١٣٩/٨.

[9] قاموس الكتاب المقدس، مرجع سابق، ص٢٥٠ .

البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: " نعم عذاب القبر " قالت عائشة ما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة الا تعوذ من عذاب القبر[1]".

وخلاصة القول فان اليهود يعتقدون بأن هناك قصاصا بعد الموت في القبر الذي يطلقون عليه لفظ الهاوية، وأن هذا القصاص يترتب عليه الثواب والعقاب لروح الميت، ولكن هذا القصاص لم تبين أسفار العهد القديم صورته بشكل مفصل، ولكن التعاليم الشفوية أعطت بعض التفصيلات عن نعيم الروح وعذابها، ولا شك في أن فكرة القصاص في القبر عند اليهود بينها وبين عذاب القبر في الإسلام وجه شبه بين، إضافة إلى أن التصور اليهودي يتفق مع التصور الإسلامي في المصير النهائي للأرواح في فترة البرزخ.

ولكن اليهود يرون أن النعيم والعذاب يقع على الروح وحدها دون الجسد[2]. إضافة إلى أن البرزخ في التصور الإسلامي يتعرض فيه الميت لسؤال الملكين، وهذا لا يوجد في الديانة اليهودية. وكذلك تختلف الديانة اليهودية عن الإسلام فينما يتعلق بالروح فالتفصيلات التي وردت عن الروح وترددها على الجسد يوم السبت ورغبتها في الرجوع إلى الجسد ثم تراجعها بعد رؤيتها تغير الجسد كل ذلك لا يوجد في التصور الإسلامي.

---

[1] فتح الباري، ج٣، ص١٨٢- ١٨٣.

[2] سعديا الفيومي، مرجع سابق، ص٢٠٦

المبحث الثاني

اليوم الآخر في الديانة اليهودية

المطلب الأول

اختلاف اليهود في مسألة اليوم الآخر

اختلف اليهود فيما بينهم في مسألة اليوم الآخر إلى فريقين: فمنهم من يقر بالآخرة ويعترف بها. ومنهم لا يعترف بها ويعدّ جنته في الأرض بما يلاقيه من نعيم فيها وفيما يلي عرض لآراء تلك الفرق التي اختلفت حول هذه المسألة :

١- الذين يؤمنون بالآخرة: لقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك - يعني وجود يوم آخر في نظر بعض اليهود - فمن ذلك قوله تعالى: {وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }[1]. فالآية تشير إلى اعتراف بعض اليهود بالآخرة، ثم بينت الآية الكريمة احتكارهم الجنة لأنفسهم دون غيرهم من البشر. فهم أنانيون يرون أنفسهم فحسب أنهم أهل النعيم وغيرهم من باقي الأمم هم أصحاب الجحيم.

ثم بين القران الكريم مدى حرصهم على الحياة الدنيا فقال سبحانه : {قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ }[2]. فهذه الآية تشير إلى الحقائق الآتية : -

١- عدم صدق اليهود في ولايتهم لله.

٢- إن اليهود لا يسطيعون أن يطلبوا الموت لأنهم علموا ما قدمت أيديهم من فساد في الأرض ويدل هذا على أن عقيدتهم في الآخرة - وإن كانوا يؤمنون

---

[1] سورة البقرة، آية: ١١١.

[2] سورة الجمعة، آية: ٦ - ٧.

بوجودها - عقيدة فاسدة تضرهم ولا تنفعهم ومعتقداتهم في الآخرة فقد بينها التلمود على النحو الآتي: -

● انه لا يدخل الجنة إلا اليهود فقط وباقي الأمم في جهنم وهم وحدهم يشربون الخمور الفاخرة في الجنة.

● يري بعض الحاخامات أنه لا أكل في الجنة ولا شرب ولا زواج ولا تناسل ولا تجارة ولا حقد ولا ضغينة وإنما يجلس الصالح وعلى رأسه تاج ويستمتع برونق السكينة.

● بعض الحاخامات قالوا: إن الإسرائيليين الذين اقترفوا الذنوب سيذهبون مع الأجانب إلى نار جهنم وسيمكثون فيها أثنى عشر شهراً فقط. وجاء في التلمود أن الجنة تكبر المعمورة بستين مرة والجحيم أكبر من الجنة بستين مرة.

● أما عن جهنم فلها ثلاثة أبواب، باب في البرية وباب في البحر وباب في أورشليم[1] ومنهم الصدوقيون الذين ينكرون البعث والحياة الأخرى والحساب والجنة والنار ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا فالعمل الصالح يسبب لصاحبه الخير والبركة والعكس صحيح.

ويقول الدكتور دراز: إن الحقيقة التي أجمع عليها مؤرخو الأديان هي أنه ليس هناك مجموعة إنسانية بل أمة كبيرة عاشت ثم مضت دون أن تفكر في مبدأ الإنسان وفي مصيره وفي تعليل ظواهر الكون وأحداثه، وهنا نجد أن القرآن الكريم يذكر أنه ما من أمة إلا وأرسل الله إليها نبياً لينذرهم ويعلمهم تعاليم الله على رأسها وحدانية الله وعقيدة اليوم الآخر.

ولكننا نجد أن كثيراً من الأمم يعرض عندهم اليوم الآخر في صورة غير واضحة

---

[1] ظفر الإسلام خان، التلمود "تاريخه وتعاليمه"، ص ٧٨

وليست على الصورة التي جاء بها أنبياء الله إلى تلك الأمم، والسبب في ذلك أنه كان يحدث بعد كل رسالة أن ينحرف الناس عن استقامة العقيدة فيخلطوا بها "أو شاباً" من الوثنية وتصوراتها السابقة على الرسالات السماوية أو اللاحقة .

ومن هذه الأوشاب الخليعة كانت تتألف عقائد وثنية جديدة، وهذا ما يجده الدارس في كثير من الأصول العقائدية والأخلاقية التي أتت بها الرسالات السماوية لهذه الأمم[1]. ولقد كثر الحديث في العهد القديم عن جنات القصور في الدنيا ولم يرد الحديث عن جنة الله أو جنة الآخرة إلا ما أشار إليه سفر التكوين في حديثه عن قصة آدم عليه السلام وخروجه من الجنة " وغرس الرب الإله في عدن شرقاً، ووضع هناك آدم الذي جبله. وشجرة الحياة في وسط الجنة وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة[2]".وما أشار إليه سفر حزقيال من تشبيه لأرز لبنان بجنة الله " الأرز في جنة الله لم يفقه السرو.. كل الأشجار في جنة الله لم تشبهه في حسنه، جعلته جميلاً بكثرة قضبانه حتى حسدته كل أشجار عدن التي في جنة الله[3]".

وإذا كان الفريسيون هم الفرقة الوحيدة التي تؤمن بالبعث والجزاء الأخروي فإن أشهر فرقها التي ركزت على هذا الموضوع وآمنت به وبوضوح هي فرقة الحيسيديم الذين يرون أن هناك ثوباً وعقاباً بعد الموت حيث يعاقب المذنب على ما أفترفه من ذنوب ويثاب الصالح على ما عمل من خير[4].

---

[1] فرج عبدالباري، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ص ٢٧ — ٢٨ .

[2] سفر التكوين، ٢/ ٨- ١٠.

[3] سفر حزقيال، ٣١ /٨- ٩ .

[4] جعفر هادي، اليهود الحيسيديم، ص٦٧- ٦٩ .

المطلب الثاني
علامات الساعة
كما وردت في العهد القديم

لم تتحدث الكتب التي عالجت مسألة الديانة اليهودية عن علامات الساعة بطريقة مباشرة، ولكن مادامت فكرة المسيح المخلص أو المسيا مرتبطة بفكرة اليوم الآخر والبعث، فانه يوجد هناك علامات تسبق مجيء المسيح المخلص وكذلك النبؤات التي تتنبأ بما سيحدث في آخر الزمان، وهي التي اصطلح على تسميتها بأشراط الساعة، وتتلخص فيما يلي:

١- توحيد الأمة اليهودية وانقياد جميع الأسباط العشرة لملك واحد وامتثالهم له:

ورد في سفر حزقيال ما نصه: "واجعلهم أمة واحدة في جبال إسرائيل وملك واحد يكون ملكًا لجميعهم ولا يكنون من بعد أمتين ولا ينقسمون من بعد إلى مملكتين أبدًا. ولا يتنجسون من بعد بأصنامهم وبأرجساهم وجميع معاصيهم. وخلصهم من جميع مساكنهم التي أخطأوا فيها وأطهرهم فيكونون لي شعبًا وأكون لهم إلهًا[1]".

٢- هزيمة شعبي يأجوج ومأجوج:

ورد في السفر نفسه ما نصه: " يا ابن البشر اجعل وجهك نحو جولاج أرض مأجوج رئيس روش وماشك وتوبل وتنبأ عليه. وقل هكذا قال السيد الرب ها أنذا إليك يأجوج رئيس روش ماشك وتوبل. فأديرك وأجعل حلقته في فكك وأخرجك أنت وجميع جيشك خيلاً وفرسانًا من كل لابس ثيابه فاخرة جمعًا كثيرًا ذا مجانب ومجانٌ من كل قابض سيف[2]". ورد في السفر نفسه ما نصه: "وأرسل نارًا على مأجوج وعلى الساكنين في الجزائر أمنين فيعلمون أني أنا الرب[3]".

---

[1] سفر حزقيال، ٣٧: ٢٢- ٢٣.

[2] سفر حزقيال، ٣٨: ٢- ٥.

[3] المرجع السابق، ٣٩: ٦.

٣- **انشقاق وانفصال جبل الزيتون:**

ورد في سفر زكريا ما نصه: "وتقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون الذي قبالة أورشليم من الشرق فينشق جبل الزيتون من نصفه نحو المشرق ونحو المغرب وأديًا عظيمًا جدًا وينفصل نصف الجبل إلى الشمال ونصفه إلى الجنوب"(١).

٤- **جفاف وقحط وادي النيل** (٢):

ورد في سفر أشعياء ما نصه: "يبسل الرب لسان بحر مصر ويهز يده على النهر بريحه العاصفة ويشقه سبعة جداول فيعبر بالأحذية. ويكون طريق لبقية شعبه من بقى منهم من أشور كما كان لإسرائيل يوم صعد"(٣).

٥- **خروج ماء عذب في أورشليم ومن بيت المقدس:**

ورد في سفر حزقيال ما نصه: "ورجع بي إلى مدخل البيت، فإذا بمياه تخرج من تحت عتبة البيت نحو الشرق لأن وجه البيت نحو الشرق والمياه تنزل من تحت من جانب البيت الأيمن عن جنوب المذبح(٤)". وورد في سفر زكريا ما نصه: "ويكون في ذلك اليوم مياه حية تخرج من أورشليم نصفها إلى البر الشرقي ونصفها إلى البحر الغربي وتكون صيفًا وشتاءً(٥)".

٦- تمسك عشرة رجال من الشعوب المختلفة بذيل رجل يهودي، يعني بطرف ثيابه لأنهم سمعوا أن الله مع اليهود: ورد في سفر زكريا ما نصه: "هكذا قال رب الجنود إنه في تلك الأيام سيتمسك عشرة أناس من جميع ألسنة الأمم بذيل إنسان يهوذا قائلين إنا نسير معكم فقد سمعنا أن الله معكم"(٦).

---

(١) سفر زكريا، ١٤ : ٤.

(٢) هو وادي العريش في وقتنا الحاضر، وتقع العريش في شمال محافظة سيناء التي أعيدت إلى مصر عام ١٩٧٩م بموجب معاهدة كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل. انظر قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠٢٢.

(٣) سفر أشعياء، ١١ / ١٥، ١٦.

(٤) سفر حزقيال، ٤٧ / ١.

(٥) سفر زكريا، ١٤ : ٨.

(٦) نفس المرجع، ٨: ٢٣.

٧ـ هجرة الشعوب إلى أورشليم ليصلوا فيها لوجه الله:

ورد في سفر زكريا ما نصه: "هكذا قال رب الجنود سيأتي شعوب أيضًا وسكان مدى كثيرة. ويسير سكان الواحدة إلى الأخرى قائلين لنسر سيرًا لاستعطاف وجه الرب والتماس رب الجنود. وأنا أيضًا أسير فيأتي شعوب كثيرون وأمم أقوياء لالتماس رب الجنود في أورشليم واستعطاف وجه الرب" (١).

٨ـ تعييد الشعوب بالأعياد وذهابهم أيام الراحة إلى الصلاة وسجودهم للرب:

ورد في سفر زكريا ما نصه: " ويكون كل الذين أبقى عليهم من جميع الأمم القادمين على أورشليم يصعدون سنة بعد سنة ليسجدوا للملك رب الجنود وليعدوا عيد المظال"(٢).

٩ـ اجتثاث العبادات غير اليهودية والقضاء عليها لأنها عقيدة الأنبياء الكاذبين وروح النجاسة على الأرض: فقد ورد في سفر زكريا ما نصه: "في ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوح لبيت داود ولسكان أورشليم للخطيئة وللطمث. ويكون في ذلك اليوم يقول رب الجنود أني أستأصل أسماء الأصنام عن الأرض فلا تذكر من بعد وأزيل الأنبياء أيضًا والروح النجس عن الأرض"(٣).

١٠ـ سيادة العقيدة اليهودية على العالم:

ورد في سفر أشعياء ما نصه: "هكذا قال الرب لمسيحه كورش الذي أخذت بيمينه لأخضع الأمم بين يديه وأحل أحقاء الملوك لأفتح أمامه المصاريع ولا تغلق الأبواب. إني أسير قدامك فأقوم المعوج وأحطم مصاريع النحاس وأكسر مغاليق الحديد. وأعطيك كنوز الظلمة ودفائن المخابئ لتعلمي أنا الرب الذي دعاك باسمك إله إسرائيل "(٤). وورد في السفر نفسه ما نصه: "استيقظي استيقظي البسي عزك يا

---

(١) نفس المرجع، ٨: ٢ –٢٢.

(٢) نفس المرجع، ١٤ : ١٦.

(٣) المرجع السابق، ١٣ : ١ ، ٢.

(٤) سفر أشعياء، ٤٥ : ١- ٥.

صهيون البسي ثياب فخرج يا أورشليم يا مدينة القدس فإنه لا يعود يدخلك من بعد أغلف ولا نجس" [1].

١١ـ قيام دولة واحدة في العالم وهي دولة إسرائيل:

ورد في سفر أشعياء ما نصه: فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك. ارفعي طرفك إلى ما حولك وانظري كلهم قد اجتمعوا وأتوا إليك ..وبنو الذين عتوك يفدون عليك خاضعين ويسجد لأخامص قدميك كل من ازدراك ويدعونك مدينة الرب صهيون قدوس إسرائيل" [2]. وورد في السفر نفسه ما نصه: "هكذا قال الرب إني استجبت لك في وقت مرضتك وأعنتك في يوم خلاص وحفظتك وجعلتك عهدًا للشعب لتقيم الأرض وتورث المواريث المدمرة" [3].

١٢ـ انتشار السلام والاستقرار في العالم بعد حرب وهزيمة شعبي يأجوج ومأجوج:

جاء في سفر أشعياء: "ويحكم بين الأمم ويقضي للشعوب الكثيرين فيضربون سيوفهم سككًا وأسنتهم مناجل فلا ترفع أمة على أمة سيفًا ولا يتعلمون الحرب من بعد" [4]. وورد في سفر هوشع ما نصه: " وابت لهم عهدًا في ذلك اليوم مع وحش الصحراء وطير السماء ودبابات الأرض وأكسر القوس والسيف والحرب من الأرض وأريحهم في الدعة" [5].

١٣ـ سيادة السلام وانتشاره بين الحيوانات البرية والأليفة كاقامة الذئب مع الشاة:

وقد جاء في سفر أشعياء ما نصه: "فيسكن الذئب مع الحمل ويربض النمر مع الجدي ويكون العجل والشبل والمعلوف معًا وصبي صغير يسوقها. ترى البقر والدب معًا ويربض أولادهما معًا والأسد يأكل التبن كالثور. ويلعب المرضع على حجر الأفعى ويضع الفطيم يده في نفق الأرقم لا يسيئون ولا يفسدون في كل جبل قدسي

---

[1] المرجع السابق، ٥٢ : ١. انظر سفر زكريا، ٩ : ٩- ١١.

[2] سفر أشعياء، ٦ : ٣، ٤.

[3] المرجع السابق، ٤٩ : ٨. انظر سفر العدد، ٢٤ : ١٧- ١٩، سفر دانيال، ٧: ١٣- ١٨.

[4] سفر أشعياء، ٢ : ٤.

[5] سفر هوشع، ٢ : ١٨، انظر سفر ميخا، ٤ : ٣، سفر زكريا، ٩: ١٠.

لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغمر المياه البحر"[1].

١٤ـ طهارة إسرائيل:

وقد جاء في سفر التثنية ما نصه: "وأما مدن أولئك الأمم التي يعطيها لك الرب إلهك ميراثًا فلا تستبق منها نسمة. بل أبسلهم إبسالاً الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك"[2]. وورد في سفر حزقيال ما نصه: "وأخذكم من بين الأمم وأجمعكم من جميع الأراضي وآتي بكم إلى أرضكم. وأنضح عليكم ماءً طاهرًا فتطهرون من جميع نجاستكم وأطهركم من جميع أصنامكم"[3].

١٥ـ عدم وجود الآلام والأحزان على أرض إسرائيل:

ورد في سفر أشعياء ما نصه: "وابتهج يا أورشليم واسر بشعبي ولا يسمع فيها من بعد صوت بكاء ولا صوت صراخ"[4].

١٦ـ رجوع وعودة حب الله والحكمة والمعرفة إلى إسرائيل:

وقد جاء في سفر أشعياء: "ويخرج قضيب من جذر يسي وينمي فرع من أصوله ويستقر عليه روح الرب وروح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح العلم وتقوى الرب"[5].

١٧ـ مجيء النبي إيليا:

وجاء في ملاخي: "هاأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل أن تجيء يوم الرب العظيم الرهيب"[6].

---

(1) سفر أشعياء، ١١: ٦- ٩، ٦٥: ٢٥.

(2) سفر التثنية، ٢٠: ١٦، ١٧.

(3) سفر حزقيال، ٣٦: ٢٤، ٢٥.

(4) سفر أشعياء، ٦٥: ١٩.

(5) المرجع السابق، ١١: ١، ٢. وانظر سفر حزقيال، ٣٩: ٢٥، ٢٩، ٣٧: ٢٦، ٢٧.

(6) سفر ملاخي، ٤: ٥.

١٨ـ بناء معبد المستقبل حسب رأي وتخطيط حزقيال:

وقد جاء في سفر حزقيال: "وأنت يا ابن البشر فأخبر آل إسرائيل بالبيت وليخجلوا من آثامهم وليقموا الرسم. فإن خجلوا من جميع ما صنعوا فأعلمهم بصورة البيت وهيئته ومخارجه ومداخله وجميع أشكاله ورسومه وجميع سننه وشرائعه واكتبها على عيونهم وليحفظوا صورته كلها وجميع رسومه ويعملوا بها. هذه شريعة البيت الذي على رأس الجبل. إن جميع تخومه على محيطة هي قدس أقداس. هذه هي شريعة البيت"[١].

١٩ـ قيام الموتى:

وأشار سفر أشعيا الى ذلك: "ستحيا موتاك وتقوم أشلائي. استيقظوا وترنموا يا سكان التراب. نداك ندى النور الأرض تسقط الجبابرة"[٢]. وجاء في سفر دانيال: "وكثير من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون بعضهم للحياة الأبدية وبعضهم للعار والرذل الأبدي"[٣].

٢٠ـ تقسيم فلسطين بين الأسباط الإثنى عشر:

والى ذلك أشار سفر حزقيال: "هكذا قال السيد الرب هذه هي التخوم التي فيها ترثون الأرض على حسب أسباط إسرائيل الإثنى عشر وليوسف سهمان. ترثون كل واحد مثل سهم أخيه من هذه الأرض التي رفعت يدي. عليّ أن أعطيها لآبائكم فتقع لكم ميراثًا"[٤].

---

[١] سفر حزقيال، ٤٣: ١٠ — ١٢، انظر سفر حزقيال، الإصحاحات، ص ٤٠ —٤٥ يتكلمان عن أوصاف المعبد.

[٢] سفر أشعياء، ٢٦: ١٩.

[٣] سفر دانيال، ١٢: ٢ . انظر سفر الجامعة، ١٢: ٧.

[٤] سفر حزقيال، ٤٧: ١٤، ١٥.

المطلب الثالث
الاستدلال
على الآخرة عند اليهود

القارئ للتوراة الحالية والتي يتلوها اليهود يجد أنها قد خلت من الحديث عن اليوم الآخر، وأن ما ذكر في كتبهم المقدسة حول هذه القضية لا يزيد عن كونه إشارات عابرة في أسفار الأنبياء وهي محل خلاف بينهم، إلا أنه يمكن القول بأن هذه الإشارات تشكل أدلة على وجود اليوم الآخر ووقوعه ومن هذه الأدلة:

أولاً: أدلة الإمكان:

الناظر في أسفار الأنبياء ونصوص التوراة يجد أنها قد خلت من إشارات تدل على البعث في اليوم الآخر، وفي هذا المبحث سأعرض بعض النصوص الواردة في أسفار الأنبياء المتأخرين في العهد القديم والتي يمكن أن تكون استدلالاً على البعث من ناحية الإمكان ومن هذه النصوص:

- ما جاء في أشعياء «تحيا أمواتك، تقوم الجثث، استيقظوا ترنموا يا سكان التراب لأن طللك طل أعشاب، والأرض تسقط الأخيلة[1]». والنص وإن ذهب البعض [2]إلى أنه إشارة إلى القيامة السياسية لليهود، إلا أننا نرى أنه يشير إلى البعث لأنه شبه اليهود بعشب قد يبس ثم نزل عليه المطر أي نعمة الله فانتعش واستيقظ وبعث بعد الموت. وهذا النص يشبه إلى حد ما ورد في القرآن الكريم من أدلة على بعث الموتى من قبورهم بالقياس على خروج الزرع من الأرضَ الميتة بعد نزول المطر عليها.

---

[1] أشعياء ٢٦ /١٩.

[2] سفر أشعيا، جـ١، ص ٢٤٤ .

• وهنالك نص آخر في سفر حزقيال يشير إلى إمكان البعث بعد الموت وهو: « أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب. هكذا قال السيد الرب لهذه العظام: ها أنذا أدخل فيكم روحاً فتحيون، وأضع عليكم عصباً، وأكسوكم رحماً وأبسط عليكم جلداً وأجعل فيكم روحاً فتحيون وتعلمون أني أنا الرب » [1]. وهذا النص فسره البعض بأنه إشارة إلى قيامة اليهود سياسياً، إلا أننا نرى أن النص ظاهر الدلالة على الآخرة ويشبه إلى حد ما قوله تعالى: {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً }[2] . ويستدل علماء اليهود على إمكان البعث بأدلة القدرة والإبداع لا على مثال سبق. ويقول سعديا الفيومي في معرض استدلاله على البعث وإمكانه وعدم صعوبته على الله: « لا نعلم يهودياً يخالف هذه الأمانة » البعث بعد الموت « ولا يستصعب عند عقله كيف يحي ربه أنه خلق شيئاً من لا شيء فلا يجوز أن يتعسر له أن يعيد شيئاً من أشياء متفرقة[3]».

ويقول: « ورأينا إحياء الموتى، ولا شاهد يدفعه لأنه ليس نقول يحيون من ذواتهم وإنما نقول إن خالقه يحييهم، ثم لا العقل يرده من أجل أن إعادة شيء قد كان فتفرق أقرب من المعقول من اختراع شيء لا من شيء[4]. وبالنظر إلى استدلال سعديا الفيومي على إمكانية البعث بالقياس على النشأة الأولى للإنسان نجد أن هذا الاستدلال هو الذي ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[5].

---

[1] حزقيال ٢٧ / ٤ : ٧.

[2] سورة الإسراء، آية: ٥٢ .

[3] سعديا الفيومي، الأمانات والاعتقادات، ص ٢١١.

[4] نفس المرجع، ص ٢١٣.

[5] سورة الروم، آية: ٢٧.

وعلماء الكلام الأشاعرة يستدلون بالآية السابقة على البعث لأن الإعادة مرة ثانية أيسر من النشأة الأولى ويبدو أن الاستدلال بالنشأة الأولى على البعث عند الأشاعر « وسعديا الفيومي » جعل بعض الباحثين يذهبون إلى أن سعديا تأثر بعلماء الكلام في كتابه « الأمانات والاعتقادات » ويلاحظ « أنه اتخذ منهجه من الأشعرية ومادته من المعتزلة.

وقد كتب سعديا الفيومي فلسفته الكلامية في كتاب بالعربية اسمه « الأمانات والاعتقادات » والأمانات تشير إلى العقائد الدينية ، والاعتقادات تشير إلى المعارف المكتسبة بواسطة البحث العقلي ، ويذكر « فيدا » أن سعديا الفيومي تابع الكلام المعتزلي إن في تنسيق أبواب الكتاب وإن في مادته[1]». واستدلالات ، سعديا الفيومي واضحة الدلالة على تأثره بالفكر الإسلامي كما هو واضح في نصه السابق.

ثانيا: أدلة الوقوع

يتعرض العهد القديم لبعض الوقائع التي تعد برهانا عمليا على البعث من الموت ، وجاء في سفر الملوك الأول «وبعد هذه الأمور مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتد مرضه جداً حتى لم تبقى فيه نسمة ، فقالت لإيليا : مالي ولك يا رجل الله ، هل جئت إلي لتذكير إثمي وإماتة ابني ؟ فقال لها : اعطيني ابنك. وأخذه من حضنها وصعد به إلى العلية التي كان مقيماً بها وأضجعه على سريره ، وصرخ إلى الرب وقال : يا أيها الرب إلهي أيضاً إلى الأرملة التي أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك ابنها.تمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب وقال : يا رب إلهي لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه. فسمع الرب لصوت إيليا ، فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش[2]».

---

[1] الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية ص ٢١ ـ ٢٢ .

[2] سفر الملوك الأول ١٧ ـ ٧ ـ ٢٤.

ولا يتسع المجال هنا لمناقشة اليهود في التطاول على الله المتمثل في قول إيليا في مناجاته لله: « قد أسأت بإماتتك ابنها »، وإنما نحن بصدد الاستدلال بذلك النص على وقوع الحياة بعد الموت[1]» ومع أن النص لم يربط مباشرة بين إحياء الصبي من الموت في الدنيا والبعث في الآخرة إلا أنه يفهم من فحوى النص أنه يدل على وقوع البعث في الآخرة.وورد في سفر الملوك الثاني حالتان تدلان على البعث بعد الموت هما:

الحالة الأولى:

جاء في سفر الملوك الثاني « ودخل اليشع البيت، وإذا بالصبي ميت ومضطجع على سريره فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب ثم صعدوا، واضطجع فوق الصبي ووضع فمه على فمه وعينيه على عينيه ويديه على يديه وتمدد عليه، فحن جسد الولد ثم عاد وتمشى في البيت تارة إلى هنا، وتارة إلى هناك، وصعدا تمدد عليه فعطس الصبي سبع مرات ثم فتح الصبي عينيه، فدعي حيجزي وقال: ادع هذه الأم . فدعاها ولما دخلت إليه قال احملي ابنك. فأتت وسقطت على رجليه وسجدت إلى الأرض ثم حملت ابنها وخرجت » [2]. وهذه الواقعة تدل على إحياء اليشع للصبي الذي كان قد مات موتاً حقيقياً، وسجود أمه للرب، ولأنها رأت قوته في العمل، واعترفت أيضاً بأن اليشع نبي الله لأنه أحيا ابنها من الموت[3].

الحالة الثانية:

وهذه الحالة ليس فيها أن حيا أقام ميتاً ولكن الميت أقام ميتاً. ورد في سفر الملوك الثاني (ومات اليشع فدفنوه وكان غزاة موآب تدخل على الأرض عند دخول

---

[1] السنن القويم، جـ ٤، ص ٣٣١-٣٣٢ .

[2] سفر الملوك الثاني ٤٠ / ٣٢-٣٨.

[3] نفس المصدر، ٤٠/ ٣٢-٣٨ .

السنة، وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر اليشع فلما نزل الرجل ومس عظام اليشع عاش وقام على رجليه) [١].

ويفسر صاحب السنن القويم هذا النص بقوله: ((وفيما كانوا يدفنون إسرائيلياً فرأوا الغزاة، فلم يكملوا أعمالهم حسب المقصود، بل طرحوا الميت في القبر الذي كان أقرب من غيره وهو قبراليشع. وربما أن المقصود بهذه المعجزة التي ليست لها مثال في الكتاب المقدس أن يتذكروا تعليم اليشع وهوالحي، وأن يتذكروا أن الرب موجود وقوته غير المحدودة موجودة وإن كان نبيه قد مات، وأعظم شيء في هذه المعجزة أن الميت أحيا ميتاً)) [٢].

ولسنا أيضاً بصدد مناقشة كيف أن الميت أحيا ميتاً ولكن النص يدل على أن أحد الأموات قد بعث حياً بعد موته وقد حدث هذا أمام الناس، فالله الذي أحياه قادر على أن يحيي الناس أجمعين للقيامة. وهذه الحالات الثلاث في سفر الملوك الأول والثاني هي التي يستدل بها الأنبا يؤآنس على أن العهد القديم يذكر ثلاث حالات تضمن برهاناً عملياً على البعث من الموت)) [٣].

ثالثاً: الطريقة الوجدانية:

هناك بعد النصوص في المزامير من الممكن اعتبارها تمثل جانباً وجدانياً في معرض الاستدلال على الآخرة عند اليهود منها: ما جاء في المزامير " أما أنا فالبر أنظر وجهك أشبع إذا استيقظت بشبهك" [٤]، " لأنك لن تترك نفس في الهاوية، لن تدع تقيك يرى فساداً، فعرفني سبيل الحياة أمامك شبع وسرور في يمينك نعم إلى

---

[١] نفس المصدر، ١٣ /٢٠ـ ٢٢.

[٢] السنن القويم، جـ ٤، ص ٣٣١ـ٣٣٢.

[٣] انظر السماء للأنبا يؤانس، ص ٩٩.

[٤]. المزامير، ١٧ـ ٢٥.

الأبد "[1]". وجاء في المزامير " إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني[2]".

وجاء فيها أيضا " برأيك تهديني ، وبعد إلى مجد تأخذني ، من لي في السماء ومعك لا أريد شيئاً في الأرض"[3]. فهذه إشارات ضمنية عن البعث والنعيم عند الله يمكن اعتبارها طريقة وجدانية تحرك النفس البشرية للاعتقاد بالآخرة والعمل لها.

وخلاصة القول فمن خلال استعراض النصوص الواردة في كتب اليهود المقدسة والمتعلقة بقضية البعث يمكننا القول بأن هناك اتفاق بين اليهود والمسلمين في طريقة الاستدلال على امكانية البعث وتتلخص أوجه الاتفاق في النقاط الآتية :

أولا: أن بعض الإشارات الواردة عن البعث خاصة في سفري أشعياء وحزقيال تشبهان إلى حد ما ورد في القرآن الكريم عند الاستدلال على الآخرة، من قياس خروج الموتى على خروج الزرع من الأرض الميتة.

ثانياً: تشابه استدلال علماء اليهود على البعث مع استدلال علماء الإسلام ، من قياس النشأة الثانية وهوانها على الله على النشأة الأولى وهذا ما جعلنا نرجح تأثر اليهود بعلماء الإسلام في هذه القضية ، وأوضح مثال على ذلك « سعديا الفيومي » في كتابه ـ الأمانات والاعتقادات.

ثالثاً: أدلة الوقوع تشابه مع ما ورد في القرآن الكريم من نماذج عرضها الله عز وجل للذين بعثوا بعد موتهم ، وأيضاً الأدلة الوجدانية وهذا بدوره أي هذا التشابه لا يؤثر من قريب ولا من بعيد على ما جاء به القرآن الكريم فيما يخص هذه المسألة. وإتماما للفائدة سأتحدث عن مشتملات اليوم الآخر في الإسلام و في العقيدة اليهودية وذلك من خلال الفصول الآتية :

---

[1] نفس المصدر .

[2] المزامير٤٩/١٥.

[3] المزامير٧٣/ ٢٥.

الفصل الرابع
وقائع اليوم الآخر
بين اليهودية والإسلام

الفصل الرابع
وقائع اليوم الآخر بين اليهودية والإسلام

المبحث الأول
عقيدة البعث والنشر

المطلب الأول
عقيدة البعث والحشر في القرآن

البعث لغة: الإرسال والنشر. وشرعاً: إحياء الأموات يوم القيامة. والحشر لغة: الجمع. وشرعاً: جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم. والبعث والحشر حق ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين قال الله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ }[1].

وقال تعالى: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ }[2]. وقد ذكر الحشر في مواضع عديدة من القرآن الكريم فقال تعالى: { يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۞ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا }[3]. وقال جل شأنه: {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا }[4].

---

[1] سورة الزمر، آية: ٦٨.

[2] سورة التغابن، آية: ٧.

[3] سورة مريم، ٨٥.

[4] سورة الكهف، آية: ٤٧.

وفي ذلك اليوم – أي يوم الحشر – ستحدث أهوال عظيمة، ومن تلك الأهوال دنو الشمس من الخلائق حتى تكون على مقدار ميل منهم. ودليل ذلك ما جاء في حديث رسول الله ﷺ عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ أنه قال: "تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم من العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا"[1]. أما كيفية حشر الناس فقد بينه النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها حيث قالت: سمعت رسول الله ﷺيقول: "يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً" قلت يا رسول الله الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض"[2]. وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}[3]. ألا إن أول الخلائق يكسى إبراهيم عليه السلام، ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: كما قال العبد الصالح[4]{وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[5]. قال يقال لي: إنهم لم

---

(1) صحيح مسلم، ج٤، ص ٢١٩٦.

(2) رواه البخاري ومسلم.

(3) سورة الأنبياء، آية: ١٠٤.

(4) مقصود به عيسى عليه السلام.

(5) سورة المائدة، آية: ١١٧ – ١١٨.

يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم"[1].

أما حالة الأرض في يوم الحشر فإنها تتبدل ويختل نظام الكون، فالأرض والكواكب تنتثر. يقول الله تعالى: { يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } [2]. أما كيفية التبديل فقد اختلف فيها العلماء على رأيين[3]:

الرأي الأول: تغيير صفات الأرض واستقامة هضباتها والجبال تتعرض للنسف والأرض تستقيم لا يرى فيها عوجًا ولا أمتًا. وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "تبدل الأرض غير الأرض فيبسطها ويمدها مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا .. "[4]. وتبديل السماء معناه أن يتخذ القمر والشمس شكلاً كرويًا والنجوم تتناثر والسماء أحيانًا تكون كالمهل وأحيانًا كالدهان.

الرأي الثاني: أن الأرض والسماء الحاليتين تختفيان وتتبدلان بغيرهما، وهناك أحاديث تذكر صفات الأرض التي يحشر الناس عليها. ومن هذه الأحاديث ما رواه البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص نقي ليس فيها علم لأحد"[5]. وقال النبي ﷺ: "يحشر الناس يوم القيام على أرض بيضاء عفراء كالقرص النقي ليس فيها علم لأحد".

---

[1] صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب الجنة وصفة نعيمها، ج ٤، ص١٩٤.

[2] سورة إبراهيم، آية: ٤٨.

[3] تفسير القرطبي، ، ج٩، ص ٣٨٣، مصطفى الخن، مبادئ العقيدة الإسلامية، ص ٣٥٩.

[4] نفس المصدر، ج٩، ص ٣٨٣، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص ٥٢٥.

[5] متفق عليه.

وقد أجمع المسلمون على ثبوت الحشر يوم القيامة. ويحشر الناس حفاة لا نعال عليهم، عراة لا كسوة عليهم، غرلاً "لا ختان فيهم" لقوله تعالى: : { كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ} وقول النبي ﷺ: "إنكم تحشرون حفاة، عراة غرلاً، ثم قرأ: { كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ }[1]. وأول من يكسى إبراهيم"[2]. وفي حديث عبد الله بن أنيس المرفوع الذي رواه أحمد: "يحشر الناس يوم القيامة عراة غرلاً، بهماً. قلنا: وما بهماً ؟ قال: ليس معهم شيء[3]".

المطلب الثاني
البعث
في العقيدة اليهودية

لم تتحدث التوراة بشكل واضح عن اليوم الآخر وأن الإشارات الواردة عن ذلك قد أتت عابرة في أسفار الأنبياء ومختلف حولها، وفيما يلي بيان لبعض الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء والتي يرجح أنها تشير إلى البعث، لنرى هل هذه الإشارات تشير إلى البعث الجسدي والروحي أو سوى ذلك ؟ إضافة إلى أنني سأذكر بعض النصوص لمفسري اليهود لبيان حقيقة البعث عندهم. فقد جاء في سفرأشعيا: " تحيا أمواتكم تقوم الجثث، استيقظوا، ترنموا يا سكان التراب لأن طلك طل أعشاب والأرض تسقط الأخيلة[4]".

وورد سفر حزقيال " أيتها العظام اليابسة، اسمعي كلمة الرب. هكذا قال السيد الرب لهذه العظام: هاأنذا أدخل فيكم روحاً فتحيون، وأضع عليكم عصباً،

---

[1] سورة الأنبياء، آية: ١٠٤.

[2] متفق عليه.

[3] رواه أحمد.

[4] سفرأشعياء١٩/٢٦.

وأكسبكم لحماً، وأبسط عليكم جلداً، وأجعلفيكم روحاً، فتحيون وتعلمون أني أنا الرب"[1]. فهذان النصان يشيران إلى البعث الجسدي والروحي معاً لليهود في الآخرة.

يقول سعديا الفيومي: ((إن إحياء الموتى الذي عرفنا ربنا أنه يكون في الدار الآخرة للمجازاة فذلك مما أمتنا مجمعون عليه[2])). ويقول: ((ورأينا إحياء الموتى، ولا شاهد يدفعه؛ لأنه ليس نقول يحيون من ذواتهم، وإنما نقول إن خالقهم يحييهم ثم لا عقل يرده، من أجل أن إعادة شيء قد كان فتفرق أقرب من المعقول من اختراع شيء لا من شيء[3])).

ويقول عن مصير الروح بعد الموت: ((إن مدة مقامها متفرقة تكون إلى أن تجتمع جميع النفوس التي أوجبت الحكمة من البارئ. خلقها وذلك يكون إلى آخر مقام الدنيا، فإذا تم عددها واجتمعت جمع بين النفوس وأجسامها)) [4]. وهذا النص صريح في البعث الجسدي، والروحي عند اليهود، ويقول أيضاً عن الثواب والعقاب((أما الثواب والعقاب على الجسد والنفس جميعاً إذ هما فاعل واحد)) [5]. فهذه النصوص تبين أن البعث يكون بالجسد والروح، والثواب والعقاب يقعان على الجسد والروح، إذ أنهما فاعل واحد للحسنات والسيئات.

والذي ذهب إليه سعديا الفيومي من بعث الجسد والروح يوم القيامة عكس ما ذهب إليه أحد فلاسفة اليهود وهو فيلون الاسكندرى، الذي يرى أن الإنسان لا يكتسب الخلود إلا بالتحول إلى عقل بحت خالص. وهو يرى أن الخطأ الاعتقاد بخلود

---

[1] سفر حزقيال، ٣٧/٤- ٧.

[2] سعديا الفيومي، الأمانات والاعتقادات، ص٢١١ .

[3] نفس المرجع، ص٢١٣ .

[4] نفس المرجع، ص٢١٣ .

[5] نفس المرجع، ص٢١٤ .

الإنسان ما لم تتجرد نفس الإنسان من كل ما فيها من فان ودنيوي، وموطن الحياة الخالدة للإنسان بعد تجرده من الحسيات هو العالم المعقول الذي يتكون من الكائنات العاقلة.

ويرى فيلون أن عودة إبراهيم إلى آبائه معناها عودة النفس غير القابلة للفساد إلى الجواهر الروحانية التي تسكن في العالم الإلهي، والتي تسمى الملائكة. والبعث عند فيلون عبارة عن ولادة جديدة للإنسان في شكل نبي. وهذه الولادة الجديدة تختلف عن الولادة الأولى؛ لأن الولادة الأولى جسدية لصدور الإنسان فيها عن آباء فانين، أما البعث الذي يعتبره الولادة الثانية فالإنسان فيه بسيط ومجرد من الخلط. فلن يكون الإنسان في بعثه الثاني عن أم بل عن أب هو أبو العالم. وتتم هذه الولادة حسب الحكمة ويكون النبي الذي يعود، فيولد مقابلاً للإنسان الدنيوي الذي خلق أولاً.

وهذا المولد الجديد ليس مولداً بمعنى الكلمة بل هو إعادة توالد عودة إلى الشباب. وهذه الإشارة المجازية عن البعث والخلود التي استخدمها فيلون السكندري كانت تلقى سخرية مستمرة من اليهود في هذا الوقت. ويذهب بعض الباحثين إلى أن هذه الإشارات المجازية تأثر فيلون بها من الفلسفة الرواقية وبعض المدارس الفلسفية الأخرى، خاصة بما ورد عن المصريين القدماء وكتاب الموتى على وجه الخصوص[1]. ولا شك في أن هذه الإشارة المجازية عن البعث والخلود في الحياة الأخرى يختلف عن ما ذهب إليه سعديا الفيومي من علماء اليهود. ويبدو أن إشارات فيلون المجازية والتي تأثر بها من الفلسفات السائدة في عصره كانت موضع سخرية عند اليهود كما يقول إميل بريهيه[2]. خاصة إذا كان يصور البعث في صورة عقليه

---

[1] سعديا الفيومي، مرجع سابق، ص ٢٦٤.

[2] نفس المرجع، ص ٢٦٤.

بحتة ، لا تناسب مع الإشارات التي وردت في العهد القديم هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنها تتصادم مع التصور الحسي الملموس الذي صبغ به اليهود كل شيء تقريباً. وليس بين أيدينا مصادر تصور حقيقة البعث عند اليهود أكثر مما جاء في نصوص العهد القديم، وما ذكره سعديا الفيومي، وما أورده إميل بريهية عن فيلون الاسكندرى فيما يتعلق بالخلود والحياة الأخرى[1].

المبحث الثاني
الحساب
في العقيدة الإسلامية واليهودية

المطلب الأول
مفهوم الحساب
في العقيدة الإسلامية واليهودية

الحساب لغة: العدد وشرعاً: إطلاع الله عباده على أعمالهم. وهو ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين. قال الله تعالى: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ }[2]. وكان النبي ﷺ يقول في بعض صلاته: " اللهم حاسبني حساباً يسيراً. فقالت عائشة رضي الله عنها: ما الحساب اليسير؟ قال: أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه "[3]. وأجمع المسلمون على ثبوت الحساب يوم القيامة. وصفة الحساب للمؤمن: أن الله يخلو به فيقرره بذنوبه، حتى إذا رأى أنه قد هلك. قال الله له: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته.

---

[1] سعديا الفيومي، مرجع سابق، ص ٢٦٤.

[2] سورة الغاشية، آية: ٢٥- ٢٦.

[3] رواه أحمد.

وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق " هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين "[1]. والحساب عام لجميع الناس إلا من استثناهم النبي ، صلى الله عليه وسلم، وهم سبعون ألفاً من هذه الأمة منهم عكاشة بن محصن يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب. وروى أحمد من حديث ثوبان مرفوعاً أن مع كل واحد سبعين ألفاً "[2].

وأول من يحاسب هذه الأمة لقول النبي ﷺ : " نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق "[3] . وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله الصلاة لقول النبي ﷺ " أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله " [4]. وأول ما يقضى بين الناس في الدماء لقول النبيﷺ : " أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء " [5].

الحساب في العقيدة ا ليهودية :

من خلال البحث في أسفار التوراة تجد أن هناك إشارات إلى الحساب في اليوم الآخر فقد جاء في سفر الجامعة : " افرح أيها الشاب في حداثتك ، وليسرك قلبك في أيام شبابك واسلك في طريق قلبك وبمرأى عينيك ، واعلم أنه على هذه الأمور كلها يأتي بك الله إلى الدينونة ، فانزع الغم من قلبك ، وابعد الشر عن لحمك ، لأن الحداثة والشباب باطلان " [6].

---

[1] متفق عليه .

[2] رواه البخاري ومسلم .

[3] متفق عليه .

[4] رواه الطبراني .

[5] متفق عليه .

[6] متفق عليه.

وجاء فيها: " فلتسمع ختام الأمر كله، واتق الله، وأحفظ وصاياه، لأن هذا هو الإنسان كله، لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي وان كان خيرا أو شرا " [1]. وأحبار اليهود وعلمائهم يقرون أن الله هو الديان والمحاسب يوم القيامة، وجاء في التلمود: " إن كل معصية يرتكبها الإنسان في دنياه توجد شيطانا يصعد أمام كرسي الديان ويهتف دائما: أنا خلقت من معصية فلان ابن فلان، ارتكبها في اليوم الفلاني " [2].

وتحدثت التوراة السامرية في نص صريح " أن الله هو الذي يتولى الحساب والجزاء: " أليس مجموعا عندي في خزائني إلى يوم الانتقام والمكافأة وقت نزول أقدامهم، إذ قريب يوم تعنتهم، وتسرع المستعدات إليهم، إذ يدين الله وعن عبده يصفح" [3]. ويعلق اليهود على هذا النص بقولهم: " إن قوله " إلى يوم الانتقام والمكافأة " يدل بوضوح وصراحة على قيامة الناس من القبور للقاء الله، فيجزيهم في أعمالهم في الحياة الآخرة " [4]. وبالرغم من إشارات العهد القديم والتلمود إلى الحساب وأن الله هو الذي يتولى الحساب والجزاء، إلا أن تلك الإشارات جاءت عابرة فلم تبين أحوال الناس وطبقاتهم بشكل مفصل كما هو الحال في الإسلام.

---

[1] سفر الجامعة، ١١/ ٩- ١٠.

[2] نفس المصدر، ١٣/١٢- ١٤ .

[3] شمعون يوسف مويال، التلمود أصله وتسلسله وآدابه، ص ٦٣.

[4] التوراة السامرية، تحقيق محمد السقا، ص٣٩٢- ٣٩٣.

المطلب الثاني
الشفاعة في
العقيدة اليهودية والإسلامية

لم يتعرض العهد القديم إلى مسألة الشفاعة والتي تعد من مشتملات اليوم الآخر، ولم تتعرض كتابات اليهود إلى مثل هذه القضية إلا أن القرآن الكريم قد أشار في بعض آياته الى تلك المسألة إذ بين أن اليهود يعتقدون ـ وهم في الدنيا ـ أنهم لن تمسهم النار إلا أياماً معدودات، ويعتقدون أيضاً أنهم أبناء الله وأحباؤه، فهم ليسوا كبقية الناس يوم القيامة.

ومن خلال الآيات القرآنية يمكن أن نقدم تصوراً ولو بسيطا عن ادعائهم عدم المكث في النار إلا فترة قليلة، وتكذيب الله لهم في ذلك. يقول الله تعالى: {وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ۞ بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[1] ويقول تعالى"{وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}[2].

ولقد بين القرآن الكريم كذبهم في زعمهم هذا فقال تعالى:{وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ۞ بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[3].

---

[1] سورة البقرة، آية: ٨٠ـ ٨١.

[2] سورة المائدة، آية: ١٨.

[3] سورة البقرة، آية: ٨١.

وبهذا الرد الإلهي أبطل القرآن الكريم حجتهم على وجه أعم شامل لهم ولسائر الكفار، كأنه قال بل تمسكم وغيركم دهرا طويلا، وزمانا مديدا لا كما تزعمون"[1].

وإذا ما بحثنا في كتب العقيدة الإسلامية نجد أن الإسلام قد بين هذه المسألة بيانا واضحا لا لبس ولا غموض فيه حيث ثبت ذلك بالنص والإجماع قوله تعالى: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ }[2]. ويقول تعالى: {وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى }[3]. ويقول عز وجل " { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى }[4]. ويقول ابن كثير: وهذا من عظمته وكبريائه عز وجل، أنه لا يتجاسر أحد أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة"[5]. ويقول تعالى: {يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً }[6].

ويستدل ابن حزم بهذه الآية على أن الله تعالى نص على أن الشفاعة يوم القيامة تنفع عند من أذن له الرحمن فيها ورضي له قولاً. ويقرر أنه لا أحد أولا بذلك من محمدٍ ﷺ لأنه أفضل ولدِ آدم عليه السلام [7].

ويوفق ابن حزم بين الآيات التي تثبت الشفاعة في القرآن الكريم والآيات التي تنفيها بقوله: "صحت الشفاعة بنص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فصح يقيناً أن الشفاعة التي أبطلها الله عز وجل هي غير الشفاعة التي أثبتها عز وجل، وإذ لا شك في ذلك فالشفاعة التي أبطل الله عز وجل هي الشفاعة للكفار

---

[1] تفسير الفخر الرازي، ج٣، ص١٥٨- ١٦٠.

[2] سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

[3] سورة النجم، آية: ٢٦ .

[4] سورة الأنبياء، آية: ٢٨.

[5] تفسير ابن كثير، ج ١، ص٣٠٩.

[6] سورة طه، آية: ١٠٩.

[7] الفصل لابن حزم، ج٤ ، ص٥٣.

الذين هم مخلدون في النار"[1].

ويوفق القرطبي بين الآيات التي تبين خزي من دخل النار يوم القيامة وبين الآيات التي تثبت الشفاعة والأحاديث التي تدل على الشفاعة للعصاة لإخراجهم من النار بقوله: "إن قال قائل: كيف تكون الشفاعة لمن دخل النار والله تعالى يقول: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[2].

ويقول: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾[3]. ويجيب بأن الآية الأولى معناها ـ كما قال أنس بن مالك ـ أن معنى" من تدخل النار" من يخلد، وبهذا قال سعيد ابن المسيب فإن الآية جاءت خاصة في قوم لا يخرجون من النار، بدليل قوله تعالى في آخر الآية"وما للظالمين من أنصار" أي الكفار. ويبين القرطبي الوجه الثاني للآية بأننا إذا قدرنا أن الآية في العصاة من الموحدين فيحتمل أن يكون الخزي بمعنى الحياء، ولهذا الاحتمال وجه عند أهل المعاني ويكون خزي المؤمنين في استحيائهم في دخول النار من بين سائر أهل الأديان إلى أن يخرجوا منها.

أما خزي الكافرين فهو هلاكهم في النار من غير موت، أما المؤمنون العصاة فيموتون في النار. فافترقوا في الخزي والهوان عن الكفار؛ لأن عصاة المؤمنين يخرجون من النار بشفاعة من أذن الله له في الشفاعة، والآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾[4] فيذهب القرطبي إلى أن معناها. أن الله لا يعذب رسوله ولا يعذب الذين آمنوا وإن عذب الله عصاة المؤمنين فإن الله

---

[1] الفصل لابن حزم، ج٤، ص٥٣.

[2] سورة آل عمران، آية: ١٩٢، وانظر القرطبي، التذكرة، ج٢، ص ١٤٤ .

[3] سورة التحريم، آية: ٨ .

[4] سورة التحريم، آية: ٨ .

يخرجهم من النار بشفاعة الرسول ﷺ [1].

المطلب الثالث
أقسام الشفاعة

من خلال الحديث عن الشفاعة ومعانيها يمكن تقسيمها إلى عدة أقسام كما قسمها العلماء[2]:

١- **الشفاعة العامة**: وهي تتناول جميع الخلائق وتكون للنبي ﷺ وهي من خصائصه، وتكون هذه الشفاعة بعدما يشتد هول الموقف على الناس، عندئذ يسأل رسول الله ﷺ ربه أن يقضي بين الخلق ليستريحوا من هول الموقف، فيستجيب الله له بعدما يعتذر جميع الأنبياء عن هذه الشفاعة، وهذا هو المقام المحمود الذي وعد الله به نبيه الكريم بقوله تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً}[3].

ويقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية: "اختلف في المقام المحمود على أربعة أقوال: الأول – وهو أصحها – الشفاعة للناس يوم القيامة.[4]". وروى البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضي بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقامًا محمودًا يحمده أهل الجمع كلهم"[5]. والشفاعة لن تكون فقط لرسولنا محمد ﷺ

---

[1] الامام القرطبي، التذكرة، ج٢، ص ١٤٤.

[2] انظر الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، ص٤٣، والسفاريني، لوائح الأنوارالسنية ولواقح الأفكارالسنية، ج٢، ص ٢٤٧- ٢٤٩.

[3] سورة الإسراء، آية: ٧٩.

[4] انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج١، ص ٣٠٩.

[5] صحيح البخاري، ج٢، ص ١٥٣.

بل ستكون للأنبياء والعلماء والشهداء والصالحين[1].

ودليل ذلك ما جاء في حديث رسول الله ﷺ أنه قال: "يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء "[2]. والقرآن الكريم ينص على أن الشفاعة تكون لغير النبي محمد ﷺ حيث يقول الله عز وجل: { يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا } [3]. ومن الجدير بالذكر أن من مات كافرًا لا نصيب له في الشفاعة[4]، ودليل ذلك قول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا }[5] . والشفاعة محدودة في نصوص الشريعة بما يأتي[6]:

١- الشفاعة تدخل فيما يسمى بالكرم أي أن الله يكرم عباده بهذه الشفاعة ويعطيها لمن يشاء.

٢- أنها لا تقبل من المشرك ولا للذي لا يؤمن بالله ولا لمنكر ألوهية الله سبحانه وتعالى، ودليل ذلك ما جاء في القرآن الكريم: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ}[7]، وقوله تعالى: { وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ }[8].

٣- أما قبول الشفاعة من قبل غير المشرك والجاحد فإنها تقع تحت مشيئة الله

---

(1) انظر الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، ص ٤٣٢.

(2) الهندي، كنز العمال، ج١٤، ص ٤٠١، الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد.

(3) سورة طه، آية: ١٠٩.

(4) مصطفى الخن، مبادئ العقيدة الإسلامية، ص ٤٦١.

(5) سورة النساء، آية: ٤٨.

(6) انظر عبد الرحمن حبنكة، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص ٦٦١ - ٦٦٢.

(7) سورة النساء، آية: ١١٦.

(8) سورة غافر، آية: ١٨.

وإرادته فإن شاء قبلها وإن شاء رفضها، يقول الله سبحانه وتعالى: { وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ۞ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا } [1].

٤- أنها متوقفة على الإذن من رب العالمين ورضاه، أي من يأذن له الرحمن بالشفاعة ويرضى له قولاً. يقول الله سبحانه وتعالى: { يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا }[2]، ويقول جل وعلا: { وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ } [3].

٢ـ الشفاعة الخاصة:

الشفاعة الخاصة محصورة بأمة الرسول حيث يقوم بإدخال المؤمنين الجنة بغير حساب، وكذلك يخرج الذين قالوا لا اله إلا الله من النار ويدخلهم الجنة، ويرفع بهذه الشفاعة الدرجات في الجنة.

المطلب الرابع
الميزان والصراط في
العقيدة الإسلامية و اليهودية

أولا : الميزان والصراط في العقيدة الإسلامية :

الموازين جمع ميزان، وهو لغة: ما تقدر به الأشياء خفة وثقلاً. وشرعاً: ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد. والعقل قاصر عن إدراك كيفيته، وقد ثبت الوزن والميزان بالنص فقال تعالى: {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ }[4]. وقال تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ

---

[1] سورة مريم، آية: ٨٦ - ٨٧.

[2] سورة طه، آية: ١٠٩.

[3] سورة النجم، آية: ٢٦.

[4] سورة الأعراف، آية: ٨- ٩.

نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ }[1]. وقال النبي ﷺ : " كلمتان حبيتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده العظيم [2].

وقد أجمع السلف على ثبوت ذلك.

والميزان ميزان حقيقي، له كفتان، لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ في صاحب البطاقة قال: " فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة " [3].

وقد اختلف العلماء هل هو ميزان واحد أو متعدد؟ فقال البعض :هو ميزان واحد لأنه ورد في الحديث مفرداً، وأما جمعه في القرآن فباعتبار الموزون وكلا الأمرين محتمل. والله أعلم.

وأما من حيث ما يوزن في الميزان فيرى العلماء أن الذي يوزن هو العمل وذلك لظاهر الآية السابقة والحديث بعدها. وقيل : صحائف العمل لحديث صاحب البطاقة، وقيل: العامل نفسه لحديث أبي هريرة أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة". وقال اقرؤوا:{فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً }[4]. وجمع بعض العلماء بين هذه النصوص بأن الجميع يوزن، أو أن الوزن حقيقة للصحائف وحيث إنها تثقل وتخف بحسب الأعمال المكتوبة صار الوزن كأنه للأعمال، وأما وزن صاحب العمل فالمراد به قدره وحرمته. وهذا جمع حسن والله أعلم.[5]. وأما من حيث فوائد الميزان فهي متعددة فإضافة إلى أنه وسيلة توزن بها الأعمال يوم القيامة بالنسبة للمؤمنين والكفار

---

[1] سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

[2] متفق عليه.

[3] رواه الترمذي وابن ماجه.

[4] سورة الكهف ،آية: ١٠٥.

[5] سليمان خميس، محاضرات في العقيدة، ص١٦٢.

فانه كذلك علامة لأهل السعادة إذا كانت موازينهم ثقيلة ويكون علامة لأهل الشقاوة الذين خفت موازينهم.

وفي الميزان تعريفا للعباد بما لهم وبما عليهم وإقامة للحجة عليهم. وإظهار لعدل الله عز وجل يوم القيامة، وفيه بيان للطف الله ببعض الناس يوم القيامة حين يتجاوز عن سيئاتهم ويدخلهم الجنة بفضله ورحمته. والميزان له فائدة تتعلق بالمكلفين، وهذه الفائدة هي تنبيه المكلفين إلى أداء الواجبات وترك المنكرات، إذا علموا أن أعمالهم ستعرض عليهم وتوزن على رؤوس الأشهاد يوم القيامة [1].

ثانيا : نشر الدواوين وفوائدها

النشر لغة: فتح الكتاب أو بث الشيء. وشرعاً: إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة وتوزيعها. والدواوين: جمع ديوان وهو لغة: الكتاب يحصى فيه الجند ونحوهم. وشرعاً: الصحائف التي أحصيت فيها الأعمال التي كتبها الملائكة على العامل.

فنشر الدواوين إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة، فتتطاير إلى الأيمان والشمائل، وهو ثابت بالكتاب، والسنة، والاجماع. قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴿﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ﴿﴾وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً ﴿﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً ﴿﴾وَيَصْلَى سَعِيراً}[2].{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ }[3]. وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ : " هل تذكرون أهليكم ؟ قال: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله، أم وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين

---

[1] نفس المرجع ، ص٦٣ .

[2] سورة الانشقاق ، آية : ٧- ١٢

[3] سورة الحاقة ، آية : ٢٥

ظهرائي جهنم حتى يجوز"[1] . ولقد أجمع المسلمون على ذلك.

وأما بالنسبة إلى الميزان في العقيدة اليهودية فلم يرد نص في العهد القديم أو التلمود أو مصادر اليهود الأخرى ما يتحدث عن ذلك. ويشير القرافي إلى ذلك بقوله: " كثر التنبيه على أحوال الآخرة في شرعنا أكثر من التوراة والإنجيل حتى لم يكثر الله تعالى ذكر شيء في القرآن أكثر من ذكر البعث "[2]. ويقول كذلك: " فلذلك لا نجد علم تفاصيل البعث والحشر والصراط والميزان وأحوال أهل الجنان والنيران وما يتفق في المحشر من الوقائع وما يكون في القبور قبل ذلك وما علم منه فإنه علم من أخبار هذه الأمة "[3].

ثالثا : الصراط بين القرآن والتوراة

الصراط لغة: الطريق . وشرعاً: الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة. وهو ثابت بالكتاب والسنة وقول السلف. قال الله تعالى: {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً }[4]. وقد فسرها عبد الله بن مسعود، وقتادة، وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط [5]. وفسرها جماعة منهم ابن عباس بالدخول في النار لكن ينجون منها. وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: " ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون : اللهم سلم " [6].

وأما صفة الصراط فقد بين ذلك الرسول ﷺ فقد سئل عن الصراط فقال: " مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب، وحسكة مفلطحة لها شكوة عقيفاء، .

---

[1] رواه أبو داود والحاكم.

[2] القرافي ،الأجوبة الفاخرة ص١٠٦ بهامش الفارق بين المخلوق والخالق.

[3] نفس المصدر ص١٠٨.

[4] سورة مريم، آية: ٧١.

[5] تفسير بن كثير، ج٣، ص١٣٢.

[6] متفق عليه .

تكون بنجد، يقال لهـ السعدان " [1]. وله من حديث أبي هريرة: " وبه كلاليب مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله يخطف الناس بأعمالهم".

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: بلغني أنه أدق من الشعر، وأحد من السيف. وأما عبور الصراط وكيفيته فقد ورد ذكر ذلك في السنة النبوية الشريفة إذ جاء فيها أنه لا يعبر الصراط إلا أهل الإيمان والتقوى وكل على قدر عمله لحديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه: "فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ويخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم. ومرور الناس يكون بحسب أعمالهم، فمنهم من يجتازه كالبرق، ومنهم كالريح، ومنهم كأجاويد الخيل، ومنهم من يمشي. وعليها كلاليب كأشواك السعدان تخطف من أُمرت بخطفه. وإذا ما عدنا إلى نصوص التوراة فإننا لا نجد ذكرا للصراط وأحواله وبذلك يكون القرآن الكريم قد قدم للعقل البشري إجابات شافية مقنعة لكل ما يطرأ عليه من أسئلة واستفسارات

المطلب الخامس
الحوض في
العقيدة الإسلامية واليهودية

من الأشياء التي انفرد يها الإسلام عن النصرانية واليهودية: الحوض الذي يشرب منه المؤمنون الذين عملوا الصالحات من أمة محمد ﷺ . والحوض ثابت بالكتاب والسنة. فمن الأمور السمعية الحوض[2]. قال تعالى " **إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وانحر**"[3].

[1] رواه البخاري.

[2] انظر المقاصد للسعد، ج٢، ص ١٦٤.

[3] سورة الكوثر، آية: ١- ٣.

وفي سبب نزول سورة الكوثر أورد الإمام ابن الكثير حديثا عن أنس مالك قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة فرفع رأسه مبتسما. إما قال لهم وإما قالوا له: لما ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ "إنه أنزلت على آنفا سورة" فقرأ "إنا أعطيناك الكوثر" حتى ختمها فقال: هل تدرون ما الكوثر ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم، فأقول يا رب إنه من أمتي، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك "[1].

ولقد وردت الأحاديث الصحيحة عن الحوض وعظم قدره. روى الإمام مسلم بسنده عن أبي حازم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " أنا فرطكم على الحوض، من ورد شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا، وليردن على أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم " قال أبو حازم: سمع النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا الحديث فقال: هكذا سمعت سهلا يقول ؟ قال: فقلت نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيقول: " إنهم منى. فيقال إنك لا تدري ما عملوا بعدك. فأقول سحقا سحقا لمن بدل بعدى" [2]. والحديث يدل على أن رسول الله ﷺ يقف على الحوض، وسيرد عليه أقوام من أمته، ولا يستطيعون أن يتقربوا من الحوض أو يشربوا منه، فيسأل رسول الله ﷺ عنهم ، فيقال له إنهم بدلوا وغيروا بعدك فيوافق رسول الله على بعدهم وقد وردت أحاديث أخرى تبين عظم قدرة الحوض، فقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبي مليكة قال: قال عبدالله بن عمرو بن العاص: قال رسول الله ﷺ : " حوض مسيرة شهر، وزواياه سواء، ماؤه أبيض من الورق — الفضة - ، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا "[3].

---

[1] رواه أحمد.

[2] رواه مسلم.

[3] رواه مسلم.

وروى البخاري بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء"[1] ، ويقول كمال الدين بن همام: "ومن السمعيات الكوثر.وهو حوض الرسول صلى الله ﷺ ، يكون له يوم القيامة، يرده الأخيار، ويذاد عنه الأشرار.وردت به الأخبار الصحاح فوجب قبوله والإيمان به"[2].

وحول ورود الأحاديث الصحيحة عن الحوض فإن ابن حجر ينقل عن القرطبي قوله: " مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبينا محمد ﷺ بالحوض المصرح. باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي، إذ روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين. منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك، مما صح نقله واشتهرت رواته، ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم، ومن بعدهم أضعافهم وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف " [3].

وقد اختلف العلماء حول الحوض. هل هو قبل الصراط أو بعده. فيرى القرطبي أن الحوض قبل الصراط والميزان. وذهب آخرون إلى أنه بعد الصراط والميزان. وحجة القرطبي أن كون الحوض قبل الصراط مما يقتضيه الموقف يوم القيامة، لأن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم [4]. وذهب القاضي عياض إلى أن الحوض بعد الصراط، لأن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار، لأن ظاهر حال من لا

[1] فتح الباري، ج١١، ص ٣٩٣.
[2] ابن الهمام، المسايرة في علم الكلام، ص ١٥٠.
[3] فتح الباري، ج١١، ص ٣٩٣.
[4] القرطبي، التذكرة، ج٢، ص ١٩٩.

يظمأ ألا يعذب بالنار [1]. فالحوض بعد الصراط على الأرجح فقد روى الإمام أحمد والترمذي عن أنس قال: " اطلبني أول ما تطلبني على الصراط" قلت: فإن لم ألقك؟ قال: " أنا عند الميزان " قلت: فإن لم ألقك ؟ قال: " أنا عند الحوض " [2] . فهذا الترتيب من النبي ﷺ وهو المرجح، لأنه ما دام أن الذي يشرب منه لا يظمأ أبدا فلا بد وأن يكون من المؤمنين الناجين من النار. وأما الحوض في العقيدة اليهودية فلم يرد له ذكر، وهذا يعني أن الحوض من خصائص الأمة المحمدية.

المبحث الثالث
الجنة والنار في
العقيدة الإسلامية و اليهودية

المطلب الأول
مفهوم الجنة في العقيدة الإسلامية

قدم الإسلام للبشرية تصورا واضحا وشاملا عن كل ما يتعلق بالغيبيات بما في ذلك الجنة والنار بأسلوب رائع وتصوير دقيق يريح النفس الإنسانية، فتحدث القرآن الكريم عن الجنة ونعيمها بأسلوب جذاب يأسر العقل أثناء القراءة وخاصة فيما يتعلق بالجزاء الذي أعده الله للمتقين يوم القيامة فبين وأفاض في الحديث عن الجزاء الحسي كالحديث عن الجنات وما فيها من الخيرات والمساكن الطيبة والأزواج المطهرات، والأنهار من العسل واللبن والخمر.وبين درجاتها وأبوابها وخزنتها وأنواع الجزاء فيها.

فالجنة مخلوقة الآن ومعدة للمؤمنين فيقول تعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن

---

[1] فتح الباري، ج١١، ص ٣٩٩.

[2] فتح الباري ج١١ ص٣٩٣.

رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ }[1]. ويقول تعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}[2]

وروى مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم، قال الله للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي" [3]. وأما عدد الجنة ودرجاتها متعددة ورتبة حسب استحقاق العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان "[4]. وعدد جنات المؤمنين يوم القيامة أربع ورد ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية فيقول تعالى في سورة الرحمن: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}. وعد الله صفات هاتين الجنتين فذكر أنهما: {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ}[5]، وذكر أن المؤمنين فيها: {مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ}[6]، وذكر الله عز وجل أن {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ}[7].

وروى الترمذي بسنده عن عبادة ابن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، وفيها تفجر أنهار الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون عرش

---

(1) سورة ال عمران، آية: ١٣٣.

(2) سورة الحديد، آية: ٢١.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٧، ص١٦٦.

(4) الأيجي، شرح المواقف، ج٢، ص٤٤٥.

(5) سورة الرحمن، آية: ٤٨.

(6) سورة الرحمن، آية: ٥٤.

(7) سورة الرحمن، آية: ٥٦.

الرحمن، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس"[1]. وبين القرآن الكريم أبواب الجنة وخزنتها وجاء ذلك في قوله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}[2]

وأما من حيث جزاء المؤمنين فقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في آيات كثيرة ومنها قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[3]، وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[4]. وعدد أوصافها فقال تعالى: {مُدْهَامَّتَانِ} وقال: {فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ} وقال: {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} وقال: {فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ} وقال: {حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} وقال تعالى: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} وقال تعالى: {مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ}.

وأما بالنسبة درجات ومنازل الجنة التي هيأها الله لعباده المتقين فقد بين القرآن الكريم أن تلك الدرجات تتفاوت بتفاوت الأعمال فقال تعالى: {لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ۞ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً}[5]. وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ

[1] رواه الترمذي. وانظر تحفة الأحوذي، ج٧، ص٢٣٧.

[2] سورة الزمر، آية: ٧٣.

[3] سورة البقرة، آية: ٨٢.

[4] سورة هود، آية: ٢٣.

[5] سورة النساء، آية: ٩٥- ٩٦.

قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ }[1].ويقول تعالى: {انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً }[2].وغالبية المفسرون يرون أن تلك الدرجات مقصود منها منازل الآخرة ودرجات الجنة "[3].

وأما بالنسبة إلى خلود الجنة ونعيمها وخلود أهلها فقد أجمع أهل السنة على أن الجنة باقية ونعيمها لا يزول وأهلها كذلك، وفي هذا السياق يقول الإمام الأشعري: " أجمع أهل الإسلام جميعا أن نعيم أهل الجنة دائم لا انقطاع له"[4]. وهذا ما قرره القرآن الكريم والسنة النبوية، فقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۞جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ }[5].

ويقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ۞خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً}[6]. ويقول تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ}[7]. وقد جاء في السنة ما يدل على خلود أهل الجنة في الجنة، فقد روى

---

[1] سورة الأنفال ، آية : ٢- ٤ .

[2] سورة الاسراء ، آية : ٢١ .

[3] الزمخشري ، الكشاف ، ج١ ، ص٤٧٦.

[4] الأيجي ، شرح المقاصد ، ج٢ ، ص١٦٧ .

[5] سورة البينة، آية: ٧- ٨ .

[6] سورة الكهف ،آية: ١٠٧- ١٠٨

[7] سورة هود ، آية: ١٠٨

البخاري بسنده عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : " إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادى مناد: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم. ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم "[1].

المطلب الثاني
مفهوم النار
في العقيدة الإسلامية

وأما الحديث عن النار فقد أكثر الحق تبارك وتعالى من ذكرها في القرآن الكريم وذكر صفاتها وعدد أهلها حتى يتقي الناس عذابها وذل ومهانة أهلها. ويبين القرآن الكريم أنها مخلوقة الآن ومعدة لأهلها، فيقول تعالى:{فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ }[2]،فهذه الآية وغيرها كثير في القرآن الكريم يدل على أن النار الموصوفة معدة للكافرين، ويدل على أنها مخلوقة، لأن قوله تعالى: " أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ " صريح في أنها مخلوقة ومعدة الآن [3] .

وتحدث القرآن الكريم عن سعة جهنم وبعد مقرها فيقول تعالى : {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً }[4]. فالآية تبين أن الحق تبارك وتعالى قد توعد الكفار بنار هائلة وأحاط بهم سرادقها،

---

[1] انظر فتح الباري، ج١١، ص٣٥١ .

[2] سورة البقرة، آية: ٢٤ .

[3] انظر تفسير الرازي، ج٢، ص١٤١- ١٤٦ .

[4] سورة الكهف ، آية : ٢٩ .

وهو الحاجز الذي يكون حول القسطاط، يحيط بهم من جميع الجوانب فلا يستطيعون أن يتخلصوا منها لأنها محيطة بهم من كل جانب(1).

وقد بين الرسول ﷺ سعة جهنم وعظم قعرها فيروي مسلم عن أبي هريرة قال: "كنا مع رسول الله ﷺ اذ سمع وجبة فقال: "تدرون من هذا ؟ قال: قلنا: ألله ورسوله أعلم .. قال: " هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفا، فهو يهوي في النار حتى الآن حتى انتهى الى قعرها "(2). ولقد بين القرآن الكريم أبواب جهنم وخزنتها فيقول تعالى: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ } لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ } (3).

ويقول تعالى: { قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ}(4). وحمل بعض العلماء بعض صفات جهنم على أنها أبواب لها، مثل لظى، والحطمة، الجحيم، السعير، وسقر، وفي هذا يقول القرطبي: ذكر عن بعض أهل العلم في قوله تعالى:{ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ}(5). أي من الكفار والمنافقين والشياطين، وبين الباب والباب خمسمائة عام، والباب الأول يسمى " جهنم " يسمى جهنم لأنه يتجهم في وجه الرجال والنساء فيأكل وجوههم.

والباب الثاني: يقال له " لظى " نزاعة للشوى يدعو من أدبر وتولى عن التوحيد، والباب الثالث يقال له: " سقر" لا يبقي ولا يذر من جسم الكافر شيء، والباب الرابع يقال له: " الحطمة " وهي تحطم العظام وتحرق الأفئدة، والباب الخامس

---

(1) أنظر تفسير روح المعاني للألوسي، ج15، ص267- 268.

(2) رواه مسلم، ج2، ص535.

(3) سورة الحجر، آية: 43- 44.

(4) سورة الزمر، آية: 72.

(5) سورة الحجر، آية: 44.

يقال له: " الجحيم "، والباب السادس يقال له: السعير " وانما سمي السعير، لأنه يسعر بهم، وفيه ... الحزن الذي تستعيذ منه الخلائق من حره، والباب السابع يقال له: " الهاوية " من وقع فيه لم يخرج منه أبدا [1].

وأما عن خزنة جهنم فقد أشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله تعالى: { وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ }[2].

وأما التسعة عشر الوارد ذكرهم في قوله تعالى: {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ}[3]، فقد ذهب معظم المفسرين إلى أن التسعة عشر هم خزنة جهنم، ولقد ذكر القرآن الكريم كذلك أن لجهنم سبع طبقات فقال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً}[4]. وأما صفة النار فقد وصفها القرآن الكريم بصفات عديدة ومتنوعة ومخيفة فهي نار تلظى فيقول تعالى:{فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى}[5]. وهي نارموقدة:{كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ }[6]. وهي نار حامية: {وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ }[7]. وأما وقودها فهم الناس والحجارة فيقول تعالى: {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ

---

[1] القرطبي، التذكرة، ج٢، ص٤٦٣- ٤٦٤.

[2] سورة الزمر، آية: ٧١.

[3] سورة المدثر، آية: ٣٠.

[4] سورة النساء، آية: ١٤٥.

[5] سورة الليل، آية: ١٤- ١٦.

[6] سورة الهمزة، آية: ٤- ٦

[7] سورة القارعة، آية: ٨- ١١.

الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ }[1].

وأما أصناف العذاب في متعددة ومتنوعة كذلك فتحدث القرآن الكريم عن ثياب أهل النار وسلاسلهم فقال تعالى: {فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۞ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۞ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۞كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}[2]. وعن سلاسلا وأغلال أهل النار قال تعالى: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ }[3].

وقد تحدث القرآن الكريم عن طعام أهل النار وشرابهم، فطعامهم هو الزقوم: { أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ۞ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۞ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ۞ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِّنْ حَمِيمٍ } [4]. ويقول تعالى:{إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ۞ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۞ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۞ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ۞ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۞ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۞ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ }[5].

ويصف الرسول ﷺ الزقوم بقوله: " لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه "[6]. وأما عن شراب

---

[1] سورة البقرة، آية: ٢٤.

[2] سورة الحج، آية: ١٩- ٢٢.

[3] سورة الحاقة، آية: ٣٠- ٣٢.

[4] سورة الصافات، آية: ٦٢- ٦٧.

[5] سورة الدخان، آية: ٤٣- ٤٩.

[6] رواه الترمذي، ج٧، ص٣٠٧.

الحميم فيقول ﷺ : " إن الحميم ليصب على رؤوسهم، فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرقه من قدميه، وهو الصهر، ثم يعاد كما كان "[1]. ومعنى يسلت ما في جوفه أي يقطع ويمسح، من سلت القصعة إذا مسحها من الطعام، وهو المشار إليه في قوله تعالى: {يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُود} [2]. والغساق الذي يشرب منه أهل النار هو ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم. وقيل ما يسيل من دموعهم، وقال عنه ﷺ فيما يرويه الترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن قال: { لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا}[3] .

وأما بالنسبة إلى خلود الكفار فقد بين القرآن الكريم أن أولئك الكفار الذين ماتوا على كفرهم مخلدون في النار أبدا، لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها، وهم الذين قال الله عنهم: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً }[4].

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ }[5]. وبالنسبة إلى التأبيد والخلود فيقول تعالى: {وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً }[6]. ويقول

---

[1] نفس المصدر، ج٧، ص٣٠٨.
[2] سورة الحج، آية : ٢٠ .
[3] تحفة الأحوذي، ج٣٦، ٧.
[4] سورة النساء، آية :٥٦.
[5] سورة فاطر، آية : ٣٦.
[6] سورة الجن، آية : ٢٣.

تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً }[1].

هذا هو التصور الإسلامي لمسألة الجنة والنار، فالقرآن الكريم لم يترك شيئا فيما يتعلق بهذه المسألة وإلا وقد وضحه إلى العقل البشري حاميا إياه من الضياع والتشتت الذهني الذي يقع فيه أتباع الديانات الأخرى. فالقرآن الكريم قدم تصورا واضحا ودقيقا عن عالم الغيبيات بصورة مقنعة تسوقه إلى الإيمان الخالص الذي لا يتطرق إليه شك أو وهم وهذا ما افتقرت إليه الديانة اليهودية عندما تناولت المسائل الغيبية بما في ذلك الجنة والنار وما يتعلق بهما.

المطلب الثالث
مفهوم الجنة
في العقيدة اليهودية

جاء في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة فردوس: "الفردوس الأصلي الذي رتبه الله للإنسان قبل سقوطه [2]، ووضع في وسطه شجرة الحياة، وأطلقت الكلمة على كل بستان في قصور الملوك [3]. وجاء فيه تحت كلمة جنات: "جنات بساتين معده للانشراح واللذات، منها جنات الملك سليمان [4] وفيها سواقي وينابيع [5]، وكانت هذه الجنات مصونة لكي لا يدخلها الغريب "[6]. والقارئ للعهد القديم يجد أنه لم يتعرض للحديث عن الجنة والنار ولم يشر من قريب أو بعيد إلى أنها المكان الذي يثاب فيه الصالحون يوم القيامة، واليهود يعترفون بذلك، ويعتبرون أن خلو

---

[1] سورة النساء، آية: ١٦٨ - ١٦٩.

[2] سفر التكوين، ١٣/٢، ١٠/١٠.

[3] قاموس الكتاب المقدس ص٢٧٥.

[4] سفر الجامعة، ٥/٢، ونشيد الإنشاد ١٣/٤

[5] سفر العدد، ٦/٢٤، وسفر الجامعة، ٥/٢.

[6] قاموس الكتاب المقدس، ص٢٧٥ - ٢٧٦.

التوراة من الحديث عن الثواب والعقاب لا يضره [1].

وبالرغم من أن العهد القديم لم يتحدث عن الثواب للصالحين في الآخرة إلا أن هناك بعض النصوص في التلمود التي تتحدث عن جزاء الصالحين يوم القيامة. فعن مساحة الجنة ورد في التلمود " مساحة مصر أربعمائة ميل طولاً وعرضاً، وأرض المللوريين تكبر مصر ستين مرة، والمعمورة تكبر أرض مصر ستين مرة، والجنة تكبر المعمورة ستين مرة " [2].

وعن نعيم الجنة جاء فيه " الجنة ليست مثل هذه الأرض، لأنه لا أكل فيها ولا شرب ولا زواج ولا تناسل ولا تجارة ولا حقد ولا ضغينة ولا حسد بين النفوس، بل الصالح سوف يجلس وعلى رأسه تاجر ويستمع برونق السكينة " [3]. يقول سعديا الفيومي مؤكداً النص السابق: " نقلوا لنا - أي الآباء - أن دار الآخرة إنما الحياة فيها بالنور، وليس مع ذلك طعامٌ ولا شرابٌ ولا غشيان ولا تناسل ولا شراء ولا بيع ولا سائر الأمور التي في الدنيا، وإنما ثواب من نور الخالق عز وجل " [4]. ويقول: " دار الآخرة إذ لاغذاء فيها ولا تكسب، فلا معنى لرياض ولا لنبات ولا للأنهار ولا للجبال ولا للأودية ولاشيء من هذه " [5]. ولكن إذا كان علماء اليهود يقررون أن الجنة لا طعام فيها ولا شراب فقد كان اليهود على عهد رسول الله ﷺ يسألون عن طعام أهل الجنة وشرابهم ليروا مدى صدقه ﷺ.

وقد روى الإمام مسلم بسنده عن ثواب مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائماً

---

[1] ابن كمونة، تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث، ص٤٢- ٤٠.

[2] ظفر الاسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ص٧٨.

[3] التلمود تاريخه وتعاليمه، مرجع سابق، ص٧٨.

[4] الأمانات والاعتقادات، مرجع سابق، ص٢٦٣.

[5] نفس المرجع، ص٢٦٣.

عند رسول الله فجاء حبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعه كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني ؟ فقلت: ألا تقول رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله فقال رسول الله ﷺ : " إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي " فقال اليهودي " جئت أسألك. فقال رسول الله ﷺ : " أينفعك شيء إن حدثتك " قال: أسمع بأذني. فنكث رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: " سل " فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ : " هم في الظلمة دون الجسر " قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: " فقراء المهاجرين ". قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: " زيادة كبد النون " قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: " ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها ". قال فما شرابهم عليه؟ قال: " من عين فيها تسمى سلسبيلا " قال: صدقت [1].

ونحن نجد من خلال أسئلة اليهودي لرسول الله ﷺ أنه يسأل عن الجنة وطعام أهلها وشرابها، وكلما أجاب الرسول ﷺ قال اليهودي صدقت ؛ لأن إجابة الرسول كانت موافقة لما يعتقده، فهل كان اليهود على عهد الرسول ﷺ يعتقدون في نعيم الحسى في الجنة ؟ من الجائز، ويكون حديث التلمود والأمانات والاعتقادات يصور اعتقاد فرق من اليهود غير الذين كانوا على عهد الرسول ﷺ . هذا جائز أيضاً أو هو التبديل والتحريف الذي مارسه اليهود على اختلاف العصور للكتب التي أنزلها الله على أنبيائه؟.

ومن الملاحظات الهامة التي يجب الانتباه إليها أن حديث القرآن الكريم عن نعيم الجنة إنما هو خبر لا نسخ فيه ولا يحتمل إلا الصدق، وعليه فيكون نعيم الجنة الذي

---

[1] صحيح مسلم، ج١، ص١٤٢.

أخبر الله به موسى نفسه الذي أخبر به عيسى، هو الذي صدق الرسول ﷺ فيه. ولكن اليهود والنصارى حرفوا وبدلوا، وكان نعيم الجنة وعذاب النار مما حرفوا فيه، أولم يقولوا: "{وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }[1]. وقولهم هذا أكبر دليل على تحريفهم، ولذلك كذبهم الله وقال: "{ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [2].

المطلب الثاني
النار في
مفهوم العقيدة اليهودية

صور كتاب الأسفار المقدسة الجحيم كأنه مكان مظلم تحت الأرض، وله أبواب، وهو مكان مظلم مخيف، بسكانه يشعرون، ولكنهم في وجود بليد جامد، تذهب إليه نفوس الجميع، فيه القصاص[3].

ومع أن التوراة قد خلت من الحديث عن الثواب والعقاب، فإن التلمود تحدث عن بعض أوصاف الجحيم الذي يعذب فيه العصاة فمن الحاخامات من يرى أن الجحيم له أبواب ثلاثة: باب في البرية، وباب في البحر، وباب في أورشليم، ويعلم التلمود أيضاً أن نار جهنم لا سلطان لها على مذنبي بني إسرائيل، ولا سلطان لها على تلامذة الحكماء الحاخامات.

ولكن بعض الحاخامات قالوا: إن الإسرائيليين الذين اقترفوا الذنوب سيذهبون مع الأجانب إلى نار جهنم، ويمكثوا فيها إثنى عشر شهراً وسوف تحرق روحهم،

---

[1] سورة البقرة، آية: ١١١.

[2] سورة البقرة، آية: ١١٢.

[3] انظر سفر العدد، ١٦/ ٢٠ - ٣٣.. وأشعياء، ١٠/٢٨. وصموئيل الثاني، ٦/٢٢، و مزامير ٥- ٦ .وسفر التكوين، ٣٥/٣٧. و قاموس الكتاب المقدس، ص٢٥٠ .

وسوف تثير الرياح أجراءهم تحت نعال الصالحين [1]. وورد في التلمود أيضاً " يعلم الشيوخ أن إبراهيم يجلس عند بوابة جهنم ويمنع أي شخص مختون من دخول بينما يسقط غير المختونين في قرار الجحيم " [2]. ونظراً لاعتقاد اليهود بأنهم أبناء الله وأحباؤه فإنهم لا يمكثوا في النار أبـداً، وإنما هي فترة وجيزة يخرجون بعدها إلى الجنة. وورد في التلمود " أن مصير الجميع من أبرار وأشرار إلى النعيم الخالد، فالأبرار ينعمون به بعد الوفاة مباشرة، والأشرار بعد استيفائهم الجزاء الذي حكم به عليهم، لأن القصاص الأبدي لم يفرض سوى على جرائم معدودة كالانتحار وتظليل الأمة"[3].وهذا الرأي مع سابقه يصوره القرآن الكريم بقوله: {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ }[4].

ويقول صاحب تفسير المنار عن الآية: " قال الأستاذ الإمام ": والجملة عبارة استسهال العقوبة والاستخفاف بها، اتكالا على اتصال نسبهم بالأنبياء، واعتمادا على مجرد الانتساب إلى الدين، وكانوا يعتقدون أن ذلك كاف في نجاتهم، ومن استخف بوعيد الدين زاعماً أنه خفيف في نفسه أو أنه غير واقع بمن يستحقه حتماً تزول حرمة الأوامر والنواهي في نفسه، فيقدم على ارتكاب المحارم بال مبالاة، ويتهاون في الطاعات المحتمة، وهكذا شأن الأمم عندما تفسق عن دينها وتنتهك حرمانه، ظهر في اليهود ثم في النصارى [5]. تلك هي مسألة الجنة والنار في العقيدة اليهودية، وبناء عليه فان العقيدة اليهودية لم تقدم تصورا واضحا عن الجنة والنار يطمئن إليه العقل البشري .

---

[1] التلمود تاريخه وتعاليمه، مرجع سابق، ص٧٩.

[2] فضح التلمود ، تعاليم الحاخامات السرية، ص٩٨. بقلم الأب أي بي برانتيس إعداد زهدى الفاتح .

[3] شمعون يوسف موبال، التلمود أصله وتسلسله وآدابه، ص١٤٣

[4] سورة آل عمران، آية : ٢٤.

[5] تفسير المنار ج٣ ص٩، ٢٠، ٢٢.

المطلب الخامس
المسيح المخلص في
العقيدة اليهودية وعلاقته باليوم الآخر

يؤمن اليهود بفكرة المسيح المخلص ويطلقون عليه " المسيا " وهي كلمة عبرية تعني الممسوح، وفحوى هذا الأمل اليهودي أن الله سوف يرسل ذات يوم مسيا، ملكاً عظيماً يثبت ملكه الأبدي على الكون كله [1]. ويبدو أن فكرة المسيا المخلص قد ارتبطت في ذهن الشعب اليهودي منذ الأسر البابلي حيث أنهم كانوا ينتظرون من يخلصهم مما هم فيه من ذل واضطهاد في خيال مسيا يصاحب اليهود أينما حلوا، فقد تحدثت عنه البروتوكولات ورأته خصماً لعيسى بن مريم، ورآه شهود يهوه كامنا في الهيكل.

أما أقطاب الصهوينة فقد رأوا أنفسهم نوابا عنه يمهدون لقيام دولة له تستقبله، ورآه هيرتزل في منامه يقول: أعلن، أعلن أني آت قريباً، وأما بن غوريون فانه رآه درعاً يدفع عن اليهود المحن" [2] وعندما جاء المسيح عليه السلام رأى أتباعه فيه أنه المسيا الذي بشرت فيه التوراة إلا أن اليهود رفضوا ذلك رفضاً قاطعاً واتهموا المسيح عليه السلام بالكذب وطاردوه وتآمروا عليه وحكم عليه مجلسهم "الستهدرين " بالموت شنقاً على خشبة الصليب لولا أن الله تعالى نجاه منهم ورفعه إليه{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ۝ بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً }[3] .

---

[1] بطرس عبدالملك ورفاقه، موسوعة الكتاب المقدس ، ص ٢٩٤ .

[2] داود سنقرط ، القوى الخفية لليهودية العالمية "الماسونية" ، ص ١١٩.

[3] سورة النساء آية : ١٥٧ — ١٥٨ .

وكان من الممكن لليهود أن يعدو نبينا محمداً ﷺ المسيا المخلص الذي بشر به أنبياؤهم ولكنهم استمروا في غيهم وضلالهم وظلوا ينتظرون مسياهم الذي يبدو أنه المسيح الدجال ورد ذكره في الأحاديث الصحيحة يقول ابن القيم رحمه الله فالمسلمون يؤمنون بالمسيح الصادق الذي جاء من عند الله بالهدى ودين الحق الذي هو عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، والنصارى إنما تؤمن بمسيح دعا إلى عبادة نفسه وأمة وأنه ثالث ثلاثة وأنه الله أو ابن الله، وهذا هو أخو المسيح الكذاب لو كان له وجود " كما أن اليهود إنما ينتظرون خروج مسيح فعوضهم الشيطان من الإيمان به بعد مجيئه انتظاراً للمسيح الدّجال وهكذا كل من أعرض عن الحق يعوض عن الحق يعوض عنه بالباطل [1]. وقد ورد التصريح بيهودية المسيح الدجال في الأحاديث الصحيحة ومنها ما جاء في صحيح مسلم، عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال فيه " انه يهودي وإنه لا يولد له ولد، وانه لا يدخل المدينة ولا مكة " [2].

ومع إنكار اليهود أن يكون المسيح المنتظر هو يسوع المسيح ورغم الحملة التي شنها التلمود اليهودي على المسيح عليه السلام وذكره أن المسيح ابن مريم وأمه موجودان في لجات الجحيم ورغم ذلك كله إلا أن اليهود استطاعوا أن يجدوا لهم من بين صفوف النصارى الغربيين وبخاصة الأمريكيين من يؤمن بعلهم بفكرة المسيح المنتظر الموعود الذي لابد من ظهوره بعد خراب الهيكل الثالث، ومن هؤلاء جماعات شهود يهوه من النصارى الذين تهودوا وقدسوا السبت.

وفي التلمود توجد الصفات التي يعدها اليهود خاصة بمسيح اليهود فجاء فيه سيأتي المسيح الحقيقي ويحصل النصر المنتظر ويقبل المسيح وفتتذ هدايا كل الشعوب

---

[1] رواه مسلم، كتاب الفتن.

[2] ظفر الإسلام خان، التلمود: تاريخه وتعاليمه، ص٨٥.

وتكون الأمة اليهودية إذا ذاك في غاية الثروة لأنها تكون قد حصلت على جميع أموال العالم.. وحين يأتي المسيح تطرح الأرض فطيرا وملابس من الصوف وقمحاً حبه بقدر كلاوي الثيران الكبيرة، وفي ذلك الزمن ترجع السلطة إلى اليهود وجميع الأمم تخدم ذلك المسيح وسوف يملك كل يهودي ألفين وثلاثمائة عبد لخدمته، ولن يأتي المسيح إلا بعد اندثار حكم الشعوب الخارجة عن دين بني إسرائيل [1].

وعبر أجيال متتابعة كان في كل جيل يظهر من اليهود من يدعي أنه المسيح المنتظر، ولما وقعت أحداث الاضطهاد في بولونيا سنة "١٦٤٨م "قيل عنها أنها بشير لليهود بقرب مجيء المسيح، وقد ظهر شاب يهودي يدعى ساباتاي زيفي من أزمير بتركيا وادعى أنه المسيح المنتظر وتبعه عدد من اليهود المتحمسين، وكذلك ادعى الإسلام ويعد من أشهر دعاة حركة الدونمة التي أطاحت بدولة الخلافة العثمانية[2].وفكرة المسيح المنتظر أو المسيح المخلص كانت تتجلى عند اليهود كلما تلقى اليهود أمواجًا من العذاب والعنت والقهر والاضطهاد، أي كلما حل بهم نوع من القهر والتعذيب والتشريد والشدة كانوا يفكرون في المسيح المخلص أو المسيا الذي سيأتي ليخلصهم مما هم فيه[3].

فالظروف التي مر بها اليهود كان لها أكثر كبير في دفعهم للنظر إلى المستقبل، يقول الدكتور القس فهيم عزيز: "وقد بلغ بهم هذا الأمر مبلغًا جعلهم في بعض الظروف يعيشون ذلك المستقبل، وتبلورت انتظاراتهم هذه إلى عقائد واسعة أطلق عليها اسم "علم الأخرويات" Esch Atology وكانت أهم عقيدة في هذا العلم

---

[1] نفس المرجع، ص٨٨.

[2] عبدالعزيز مصطفى، قبل أن يهدم الأقصى، ص ٧٣١.

[3] الشرقاوي، محمد عبدالله، (مرجع سابق)، ص ١٩٥. انظر مهدي، فالح، (البحث عن المنقذ)، ص ١٢٣.

هي عقيدتهم في مجيء المسيا أو المسيح وهو المخلص الذي بواسطته يخلصهم الله من هذا العالم الشرير ويرفعهم إلى مرتبة المجد"[1]. ففكرة المسيح المخلص غير واردة في الأسفار الخمسة بالمعنى الاصطلاحي، وإنما يفهم من ذلك المعنى الحرفي اللغوي " الممسوح الملك "، وبناءً على هذا فإن المصطلح يحمل في طياته معنيين:

١- " تجاوز بني إسرائيل لمحنة غارضة في هذه الدنيا بقيادة مخلص منقذ.

٢- مظهر أخروي يسبق سيادة عصر السلام والعدل والأمان الشامل قبل قيام الساعة. وهكذا ينحسر المدلول الأول ويختفي في فترات السيادة والرخاء، ولا يبقى من المصطلح والمبدأ إلا دلالته الأخروية"[2]. ولما تعرض اليهود للسبي البابلي بدأوا يفكرون في الأمور الميتافيزيقية، فكرة المسيح المخلص. يقول الدكتور حسن ظاظا: " لقد كان تفكير اليهود في الغيبيات بعد أن تعرضوا للسبي البابلي، ثم للتشتت في الأرض على أيدي الرومان، يتخذ اتجاهين محدودين هما:

١- نهاية العالم

٢ - الخلاص على يد المسيح المنتظر[3]. ففكرة اليوم الآخر وفكرة المسيح المنتظر صنوان لا يفترقان عند اليهود، لأن اليوم الآخر يعني ظهور المسيح أو المسيا الذي سيقيم مملكة لا تنقرض أبدًا[4]. وورد في الموسوعة الأمريكية ما نصه: "اليهودية مع ذلك تبقى دين هذا العالم، والهدف من ذلك هو خلق أو إيجاد المملكة الإلهية على هذه الأرض . وهذا الموقف نحو المستقبل مصوغ جزئيًا أو إلى حد ما مع الإيمان بأن المملكة الإلهية تقام على الأرض مع ظهور المسيا وهو واحد مدهون بالزيت،

---

[1] المدخل إلى العهد الجديد، ص ٥٤.

[2] عرفان عبدالحميد فتاح ، (اليهودية عرض تاريخي عام)، ص ٢٢.

[3] حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص ٩٥.

[4] أحمد السقا، حقيقة النصرانية في الكتب المقدسة، ص ٢٠٩.

المنحدر من الملك الداودي، وهو الذي سيؤسس من جديد الأسرة الداودية التي تسود في إسرائيل وستبني من جديد الهيكل المدمر، وعصر المسيح سيكون وقت الأخوة الكاملة الذي ستعرف الشعوب كلها فيه السلطة العليا الإلهية والصالحون من الأجيال الماضية سيلاقون البعث"[1].

فيوم الرب هو يوم نجاة بني إسرائيل من الاضطهاد والقهر والذل، وفي ذلك اليوم تتجدد أمة اليهود لتصير جديرة بالله ويرجع لهم المجد والسلطان وكل ذلك يكون على يد المسيح الملخص[2]. ولكن من خلال نصوص التوراة نرى أن ذلك اليوم ويوم الدينونة والقصاص سيكون في الحياة الدنيا لا في الآخرة حيث ورد في سفر أشعياء ما نصه: "وفي هذا الجيل سيضع الرب الجنود لكل الشعوب مأدبة مسنات .. يقال في ذلك اليوم هو ذا إلهنا الذي انتظرناه وهو يخلصنا هو ذا الرب الذي انتظرناه فلنبتهج ونفرح بخلاصه"[3].

وخلاصة القول فان علاقة المسيح المنتظر باليوم الآخر علاقة وطيدة وبداية اليوم الآخر عند اليهود تبدأ مع ظهور المسيح المخلص حسب اعتقادهم .

---

(1) ENCYCLOPAEDIA AMERICANA, .156/16

(2) حسن ظاظا، مرجع سابق، ص ٩٨.

(3) سفر أشعياء، ٢٥ : ٦- ٩.

المبحث الرابع
رؤية الله تعالى في
العقيدة الإسلامية واليهودية

المطلب الأول
رؤية الله تعالى في العقيدة الإسلامية

أجمع الفقهاء وعلماء الشريعة الإسلامية على وقوع رؤية الله تعالى يوم القيامة وعدوها من أعظم درجات النعيم في الآخرة، وقد ثبتت رؤية الله عز وجل بالقرآن والسنة والإجماع، وسأتحدث عما ورد عن الرؤية الرؤية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. فيقول الله تعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ۝إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}."[1].

ويقول ابن كثير: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ} " من النضارة أي حسنة بهية مشرقة مسرورة"{إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } أي تراه عيانا، كما روى البخاري في صحيحة " إنكم سترون ربكم عيانا " وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله تعالى في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها " [2].

ويقول ابن حزم: " ورؤية الله عز وجل يوم القيامة كرامة المؤمنين، لاحرمنا الله ذلك بفضله " [3]. ويدلل الإمام البيجوري على وقوع الرؤية بقوله: " فالرؤية جائزة عقلاً دنيا وآخرة، لأن الباري سبحانة موجود، وكل موجود يصح أن يرى، فالباري عز وجل يصح أن يرى " [4]. ويحكم بوجوبها شرعاً في الآخرة بقوله: " وواجبه

---

[1] سورة القيامة، آية: ٢٢ - ٢٣.

[2] انظر تفسيرابن كثير، ح٤، ص٤٥٠.

[3] انظرالفصل لابن حزم، ج٣، ص٣.

[4] انظرالبيجوري على الجوهرة، ص١٣٩.

شرعاً في الآخرة، كما أجمع عليه أهل السنة بالكتاب والسنة والإجماع " [1]. وابن قيم الجوزية في كتابة " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح " ينقل الإجماع على رؤية الله تعالى في الآخرة ويقول: " اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون "[2]. ويستدل ابن القيم على ذلك بأدلة كثيرة من القرآن الكريم على وقوع الرؤية في الآخرة للمؤمنين [3]. ومن ذلك قوله تعالى: {لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}[4]. قال الطبراني: قال علي بن أبي طالب: هو النظر إلى وجة الإله عز وجل، وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره [5]. ويستدل أيضاً بقول الله تعالى: { كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ }[6].

ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه، فلو لم يره المؤمنون، ولم يسمعوا كلامه - كانوا أيضاً محجوبين عنه. وقد احتج بهذا الإمام الشافعي وغيره من الأئمة، فذكر الطبراني وغيره عن المزنى قال: سمعت الشافعي يقول في قوله عز وجل: { كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ } " فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة [7].

ومن الأدلة على وقوع الرؤية يوم القيامة قوله تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ }[8]. و يقول ابن كثير: " قد روى تفسير الزيادة من نظر إلى وجهه الكريم عن أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبدا لله بن عباس، وسعيد بن المسيب، و

---

[1] نفس المصدر، ص١٣٩

[2] ابن قيم الجوزية، حادي الأرواح، ص١٩٦.

[3] نفس المصدر، ص١٧٩- ٢٠٤.

[4] سورة ق، آية: ٣٥.

[5] حادي الأرواح، مصدر سابق، ص٢٠١.

[6] سورة المطففين، آية: ١٥.

[7] ابن قيم الجوزية، مصدر سابق، ص٢٠١.

[8] سورة يونس، آية: ٢٦.

عبدالرحمن بن أبي ليلى، وعبدا لرحمن بن سابط، ومجاهد، وعكرمة، وعامر بن سعد، وعطاء، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم من السلف والخلف، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم " [1].

المطلب الثاني
رؤية الله تعالى وكيفيتها
يوم القيامة من واقع السنة النبوية

تحدثت السنة النبوية عن رؤية الله تعالى يوم القيامة فقد روى الإمام مسلم بسنده عن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبره، أن ناسا قالوا لرسول الله ﷺ : هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ : " هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟. قالوا: لا يا رسول الله. قال: " هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ " قالوا: لا يا رسول الله. قال: " فإنكم ترونه كذلك " [2].

يقول صاحب فتح المنعم نقلا عن النووي: " تظافرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن يعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله ﷺ وآيات القرآن فيها مشهورة "[3]. وحول كيفية رؤية الله تعالى يقول الإمام البيجوري شارح جوهرة التوحيد: أن الرؤية قد تتحقق بأحد من الوجوه الآتية:

١- بحدقة العين فقط فقوله " بالأبصار " ظاهره أن الرؤية بالحدق فقط.

٢- أن الرؤية قد تقع بجميع الوجوه لظاهر قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ،

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ، ص .

[2] رواه مسلم، ج١، ص٩١.

[3] موسى شاهين لاشين، فتح المنعم على شرح صحيح مسلم، ج٢، ص٤٣٨.

إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾." [1].

٣- أن الرؤية قد تقع بكل جزء من أجزاء البدن " [2]. ويستدرك قائلا : " ولكن بلا تكيف للمرئي بكيفية من كيفيات الحوادث من مقابلة وجهة وتحيز وغير ذلك " [3]. والذي ذكره الإمام البيجوري " هو ما عليه أهل السنة والجماعة " يقول الإمام النووي عن كيفية الرؤية : " مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه، ولا يشترط فيها اتصال الأشعة، ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك " . ويقول: " ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات وجهه، تعالى الله عن ذلك، بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة ".

ومن أعظم ما قيل عن كيفية الرؤية في الآخرة ما ذكره الإمام الغزالي بقوله : " إن قلت فهذه الرؤية محلها القلب أو العين في الآخرة، فأعلم أن الناس قد اختلفوا في ذلك، وأهل البصائر لا يلتفتون إلى هذه الخلاف ولا ينظرون فيه، بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة، ومن يشته رؤية معشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت إلى رؤيته تخلق في عينه أو في وجبهته، بل يقصد الرؤية ولذتها، سواء كان ذلك بالعين أو بغيرها، فإن العين محل وظرف لا نظر إليه ولا حكم له، والحق فيه أن القدرة الأزلية واسعة فلا يجوز أن نحكم عليها بالقصور عن أحد الأمرين، هذا في حكم الجواز، فأما الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك إلا بالسمع. والحق ماظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الألفاظ الواردة في الشرع مجريا على ظاهره " [4].

---

[1] سورة القيامة، آية: ٢٢ - ٢٣. وانظر البيجوري على الجوهرة ص١٤٠.

[2] نفس المصدر، ص١٤١.

[3] نفس المصدر، ص١٤٢.

[4] انظر البيجوري على الجوهرة ص١٤٠.

المطلب الثالث
رؤية الله تعالى في
العقيدة اليهودية

عند قراءة الكتب المقدسة عند اليهود فإننا لا نجد تفصيلات كثيرة عن رؤية الله في الآخرة إلا أن هناك بعض النصوص وردت في العهد القديم أشارت إلى رؤية الله في الآخرة فقد جاء في سفر أيوب: " أما أنا فقد علمت أن وليي حي، والآخر على الأرض يقوم، وبعد أن ينفي جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله الذي أراه لنفسي، وعيناي تنظران، وليس آخر إلى ذلك تتوق كليتاي في جوفي "[1].

وجاء في تفسير هذا النص: " اشتاق إلى مصالح بينه وبين الله. " بدون جسدي " أي بعد موته فيكون جسدي تلاشى. " أرى الله وذلك بعد موته وبدون جسده ولا شك في أن معرفة أيوب بقيامة الجسد، ورؤية الله في السماء كمعرفة غيره من قديسين العهد القديم " [2].والنص السابق وشرحه صريحان في رؤية الله في الآخرة وأنها كانت معلومة عند الأنبياء. وورد في المزمور الثاني و الأربعين " عطشت نفسي إلى الإله الحي متى أجيء وأتراءى قدام الله [3]. ونص المزمور يبين أن صاحبه ينتظر رؤية الله وسعدياً الفيومي يذكر أن " دار الآخرة إنما الحياة فيها بالنور، وليس مع ذلك لا طعام ولا شراب ولا غشيان ولا تناسل، ولا بيع، ولا سائر الأمور التي في الدنيا، وإنما ثواب من نور الخالق جل وعز " [4]

---

[1] السنن القويم في التفسير العهد القديم، مرجع سابق، ج٥، ص٢١١.

[2] المزامير، ٤٢/ ٣.

[3] المزامير ٤٢/ ٣.

[4] الأمانات والاعتقادات، مرجع سابق، ص ٢٦٣.

المبحث الخامس
العوالم الغيبية بين الإسلام واليهودية
المطلب الأول
الملائكة
في العقيدة الإسلامية

الملائكة عباد مكرمون، مخلوقون من نور، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يسبحون الله في الليل والنهار بلا ضعف ولا سأم. والأيمان بالملائكة ركن من أركان الأيمان قال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [1]. وقال النبي ﷺ في حديث جبريل عليه السلام: " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره " [2].

وبناء عليه فان الإيمان بالملائكة مقترن بالإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وذلك كما جاء في الآية السابقة وكما و رد في آية أخرى: { وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً }[3] . ولم يرد في القرآن الكريم شيء عن حقيقة الملائكة، ولكن ذهب أكثر علماء المسلمين إلى أن الملائكة أجسام نورانية لطيفة أي من تكوين غير مادي قادرة على التشكل بأشكال مختلفة مستدلين على ذلك بأن الرسل كانوا يرونهم كذلك.

وروى الأئمة أحمد ومسلم والبيهقي رضي الله عنهم عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: " خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج

---

[1] سورة البقرة، آية: ٢٨٥ .

[2] رواه البخاري ومسلم .

[3] سورة النساء، آية : ١٣٦

من نار. وروى الأئمة أحمد ومسلم وابن ماجة رضي الله عنهم عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: " بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثوب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال ؟ صدقت . فعجبنا له ؟ يسأله ويصدقه ! ! قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. ثم قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. ثم انطلق فلبث مليا، فقال رسول الله ﷺ: يا عمر، أتدرى من السائل ؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم والملك إذا حضر مجلسا قد يراه البعض دون البعض الآخر بحسب حال الرائي في الصفاء والاستعداد وغير ذلك. ومعنى الإيمان بالملائكة التصديق بوجودهم، فالبشر في حالتهم العادية غير مستعدين لرؤية الملائكة أو الجن في صورتهم الحقيقة التي خلقهم الله عليها.

وقد كان سيدنا جبريل عليه السلام يتمثل لسيدنا رسول الله ﷺ على صورة أحد الصحابة وهو دحية الكلبي كما كان يأتي أحيانا في صورة غيره من الرجال - كما تمثل لسيدتنا مريم عليها السلام بشرا سويا ونزلت الملائكة في غزوة بدر على الخيول المسومة، وقد أسدلوا ذوائب عمائمهم على مناكبهم. والملائكة أقسام كثيرة فمنهم الملائكة " السماويون " ومنهم " الأرضيون" ومنهم " الصافون "والمسبحون "، كما أن منهم " المدبرون " الذين يدبرون الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به القضاء، وجرى به القلم الإلهي.

وقد أشارا لله تعالى إليهم في آيات كثيرة: فقال تعالى: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ۞ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ } (1). وقال تعالى: {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً ۞ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً ۞ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً۞ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً ۞فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً }(2).

وجاء في الأثر: " إن ملائكة الله تعالى طوائف شتى: منهم الموكلون بتدبير الكائنات، ومنهم الموكل بقبض الأرواح، وفريق منهم يكتب الحسنات والسيئات، وآخر يقوم بتنمية النباتات". وقد غصت بهم صفحات السماء، ويؤيد ذلك ما رواه الأئمة أحمد والترمذي وابن ماجة من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال " إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون. أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا. والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفراش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى ولا يعلم أحد إلا الله ما يكلف به الملائكة من أعمال، وما يوكل إليهم من أمور؟ فمنهم من يحمل العرش { وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ }(3).

ومنهم والمقربون الهائمون في جلال الله المستغرقون في التسبيح والتحميد والتهليل{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } (4). ويقول تعالى: {فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ } (5). يسبحون الليل والنهار لا

(1) سورة الصافات، آية: ١٦٥- ١٦٦ .

(2) سورة النازعات، آية: ١ - ٥ .

(3) سورة الحاقة، آية : ٦٩ .

(4) سورة غافر ، آية : ٧- ٨ .

(5) سورة فصلت ، آية : ٣٨ .

يفترون " ومنهم من يقوم بتنفيذ أوامر الله في العباد، وقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }[1].

ومنهم السياحون الذين قال عنهم رسول الله ﷺ إن لله ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام " وهم يستغفرون لمن في الأرض، ويرجون رحمة الله أن تتغمدهم، ويدعون لهم بالوقاية من المعاصي والذنوب، والنجاة من الخطايا والآثام. قال تعالى: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }[2].

ومنهم الموكلون بحفظ العبد في إقامته وسفره ونومه ويقظته، وفي جميع حالاته وهم المعقبات قال تعالى: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ }[3]. وكافة أقسام الملائكة عباد مكرمون بهم ليسوا ذكورا ولا إناثا ولا يأكلون، ولا يشربون، ولا ينامون، ولا يتناسلون، ولا يكتب لهم عمل، لأنهم هم الذين يكتبون أعمال العباد، فهم لا يحاسبون ؟ إذ ليس لهم سيئات يسألون عنها فلقد عصمهم الله تعالى ولا يعرف عدد الملائكة إلا الله قال تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ } [4]. وهم من الكثرة الهائلة بقدر ما يقومون به من أعمال جليلة وكثيرة لا حصر لها: من عبادة وتسبيح وتهليل وتحميد واستغفار وتمجيد، فضلا عما يكلفون به من تنفيذ أوامر الخالق جلّ وعلا في الحفاظ على

---

[1] سورة التحريم، آية : ٦ .

[2] سورة الشورى، آية : ٥ .

[3] سورة الرعد ، آية : ١١ .

[4] سورة المدثر ، آية : ٣١ .

مخلوقاته، ومعاونة الإنسان في الأرض، وتسهيل قضاء الله فيما أبدعه من أكوان، وتصريف شئون السماء والأرض - وفق حكمته وما قضت به مشيئته " ويخلق مالا تعلمون ".

وخلاصة القول فالملائكة مخلوقات غيبية عنا، ذات أجسام نورانية، قادرون على التشكل بالأشكال الجسمانية المختلفة المرئية لنا، ولا نراهم في الحالات العادية، وهم ذوو قدرات خارقة، لا حصر لهم مقربون إلى الله طائعون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يتناكحون ولا يتناسلون، ولا يأكلون ولا يشربون، إنما هم عباد مكرمون، يحملون رسالات ربهم في العالمين، ويؤدون وظائفهم في الأكوان بحسب مجرى الأقدار، على مراد الحق تبارك وتعالى العزيز الجبار.

عالم الملائكة في العقيدة اليهودية :

من المعروف أن ذكر الملائكة قد ارتبط بقصة خلق آدم عليه السلام، وهذا يعني أن الله قد خلق الملائكة قبل خلق آدم، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وخلال البحث عن هذه القضية في سفر التكوين الذي تحدث عن خلق الإنسان نجد أن هذا السفر قد خلا من الحديث عن الملائكة، فقد جاء فيه: " ففي اليوم السادس يخلق الله الإنسان بعد أن خلق السماوات والأرض والوحوش والنباتات... وتقول التوراة" وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا "[2]. فمن خلال نصوص سفر التكوين نجد أن لا وجود للملائكة في عالم خلق الله، إذ اعتبرت التوراة أن آدم أول مخلوق يتحدث أو يعقل، وهذا يدل على أن كتبة التوراة

---

[1] سورة البقرة، آية : ٣٠.

[2] سفر التكوين، ١/ ٢٦.

يتجاهلون خلق الملائكة ويعتبرون أن الإنسان الأول آدم العاقل هو الأساس في المخلوقات الحية العاقلة(١).

المطلب الثاني
الملائكة والوحي
في العقيدة الإسلامية واليهودية

بين القرآن الكريم في بعض آياته مهام الملائكة، ولما كان جبريل عليه السلام من الملائكة فقد كلفه الله تعالى بتبليغ رسالات السماء، ولقد ورد ذكر جبريل عليه السلام صراحة في الآيات الآتية:

١- في قوله تعالى: {قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ◆ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ }(٢).

٢- وفي قوله تعالى: {إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ }(٣). وقد وصف جبريل بعدة أوصاف في القرآن الكريم فهو الأمين، والروح القدس، والروح، والروح الأمين، قال تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ◆ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ◆ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ }(٤). ويقول تعالى: { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ }(٥).

ويقول تعالى: { يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ

---

(١) حسن الباش، مرجع سابق، ص٢٠٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ٩٧ – ٩٨.

(٣) سورة التحريم، آية: ٤.

(٤) سورة الشعراء، آية: ١٩٢- ١٩٥.

(٥) سورة النحل، آية: ١٠٢.

أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ }[1]. فهذه الأوصاف تطلق على جبريل عليه السلام. وأما من حيث الوحي " جبريل عليه السلام " فان التوراة لا تعترف به، فجبريل في نظرهم لم ينزل بالرسالة على أي من الأنبي اء. وبالرغم من أن التوراة تورد مرارا عبارات تبين أن الله تعالى قد كلم الأنبياء كقولها: وقال الله لنوح، وقال الرب لنوح، وكلم الله نوحا، وبارك الله نوحا وبنيه، إلا أنها لم تشر إلى وحي أو إلى الطريقة التي أوحي لنوح فيها. [2].

ولما كان من مهام الملائكة التبشير والإنذار فقد ورد في التوراة ما يوافق القرآن الكريم في ذلك فجاء في التوراة أن ملاك الرب كما تسميه التوراة لهاجر زوجة إبراهيم عليه السلام عند عين ماء في البرية: " فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية على العين التي في طريق شور وقال يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت والى أين تذهبين" [3]. وجا في التوراة كذلك: " فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم فقال هاأنذا " [4].

ومن أمثلة ما جاء في التوراة في سياق الإنذار ما جاء في قصة قوم لوط عند قدوم الملائكة إليه ينذرونه بأنهم سيعاقبون قومه: " وجاء الملكان إلى سدوم مساء وكان لوط جالسا في باب سدوم فلما رآها لوط قام لاستقبالها وسجد بوجهه إلى الأرض... ولما طلع الفجر كان الملكان يعجلان لوطا قائلين قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك باسم المدينة " [5].

---

[1] سورة النحل، آية: ٢.

[2] حسن الباش، مرجع سابق، ص٢١٢.

[3] سفر التكوين، ١٦/٧- ٨.

[4] نفس المصدر، ٢٢/١١.

[5] سفر التكوين، ١٩/١٥.

ومن مهام الملائكة التي بينها القرآن الكريم قبض الأرواح: {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}[1]. أما التوراة فلم تشر إلى مهمة الملائكة بقبض الأرواح، ولعل هذا مرده إلى الارتباط الضعيف بين اليهود وبين الإيمان بما بعد الموت. ومن النصوص التوراتية التي تعرضت إلى ذكر مواقف الملائكة " أن الله قد بعث رئيس الملائكة ليحارب مع جيش يشوع عند أريحا: " أنه رفع عينه ونظر وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده فسارع يوشع إليه وقال له هل لنا أنت أم لأعدائنا فقال كلا بل أنا رئيس جند الرب الآن أتيت "[2].

وهذا النص يشير إلى أن الملاك رئيس جند الرب أرسله الله للقتال إلى جانب يشوع. وتقول التوراة: " وكان رجل من صدعة من عشيرة الدانيين اسمه منوح وامرأته عاقر لم تلد فتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها ها أنت عاقر لم تلدي. ولكنك تحبلين وتلدين ابنا والآن فاحذري ولا تشربي خمرا ولا مسكرا ولا تأكلي شيئا نجسا "[3]. وتقول التوراة: " فتكلم دانيال مع الملك يا أيها الملك عش إلى الأبد، إلهي أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود فلم تضرني لأني وجدت بريئا قدامه وقدامك أيضا"[4]. ولقد أشارت التوراة إلى قوة الملائكة فتقول: " باركو الرب يا ملائكته المقتدرين قوة الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه "[5]. وهذا النص يشير في مضمونه على سرعة حركة الملائكة.

ولقد أشارت التوراة إلى بعض أسماء الملائكة، ومن ذلك ما جاء في سفر دانيال: " ورئيس مملكة فارس وقف مقابلي واحدا وعشرين يوما وهو ذا ميخائيل

---

[1] سورة السجدة، آية: ١١

[2] سفر يشوع، ١٤/١٣

[3] سفر قضاه، ١٣ / ٢- ٣.

[4] سفر دانيال، ٢١/٦- ٢٢.

[5] المزمور، ١٠٣: ٢٠.

واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتي " [1]. ويرد اسم الملاك ميخائيل في موضع آخر من التوراة " ولكني أخبرك المرسوم في كتاب الحق ولا أحد يتمسك معي على هؤلاء إلا ميخائيل رئيسهم " [2]. ومن خلال التدقيق في النصوص التي تتحدث عن الملائكة نجد أنها تبين مدى التجسيد لذات الله وملائكته، وهذا ما أشار إليه سفر حزقيال: " فقد رأى حزقيال السيد " أي الرب " جالسا على كرسي عال مرتفع وحوله الملائكة ذوو الأجنحة.

وهذا دأب التوراة بالتجسيد وبالتأثر بأساطير الشعوب القديمة التي تصنع من مخيلتها هالة ملموسة ومحسوسة حول الله ومعاونيه إضافة إلى أنها تخلط أحيانا بين أعمال الله وأعمال الملائكة " [3]. ومن الاختلاطات التي وقعت فيها التوراة بين ذات الله والملائكة ما ورد في سفر التكوين حين وصفوا الملائكة بأبناء الله: " وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسناوات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد " [4].

المطلب الثالث
عالم الجن في
العقيدة الإسلامية واليهودية

الجن لغة: مأخوذة من جن، وإنما سموها جنا لاستتارهم واختفائهم عن أبصارنا فقال تعالى: {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ [5].، وأما الجن في الشرع: أرواح قائمة في أجسام لطيفة

---

[1] سفر دانيال، ١٠/١٣- ١٤

[2] دانيال، ١٠ /١٢.

[3] حسن الباش، مرجع سابق، ص٢١١ -٢١٢.

[4] سفر التكوين، ٦/ ١- ٣.

[5] سورة الأعراف، آية: ٢٧.

نارية، قادرة على التشكل بصور مختلفة، يأكلون ويشربون، وفيهم الذكر والأنثى، ويتناكحون ويتناسلون، ويموتون طائفة بعد طائفة "[1]. وعندما يتحدث العلماء عن عالم الملائكة فإنهم يتحدثون بشكل تلقائي عن عالم الجن وذلك للشبه بين العالمين. ولقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى والرسول ﷺ بذلك، فعالم الجن جزء من الغيب الحقيقي الذي يجب أن نؤمن به.

ومن الأسباب الموجبة لدراسة هذا العالم أن خفائه أو عدم معرفة الناس به معرفة حقيقية يوقع الناس في كثير من اللبس والخرافات والانحرافات في العقيدة والتفكير والجن عالم من العوالم الذي خلقه الله سبحانه وتعالى مدركة عاقلة كالبشر، والعوالم العاقلة التي اخبرنا الله سبحانه وتعالى بها ثلاث البشر و الملائكة ثم الجن، ولقد أخبرنا القرآن الكريم أن البشر خلقوا من طين والملائكة من نور، أما الجن فقد خلقوا من نارٍ و لم يخبرنا الله سبحانه وتعالى في القران الكريم أن الملائكة قد خلقوا من نور وإنما الذي أخبرنا بذلك السنة النبوية الشريفة. أما الجن فقد جاءت نصوص كثيرة تبين المادة التي خلقوا منها وهي النار فقال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ}[2].

وقال تعالى: {خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۞ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ}[3]. والمارج مارج النار وهو طرف اللهب أو اللهب المختلط بالسواد. ويطلق الناس على الجن أسماء مختلفة وهي في الحقيقة واحدة المتعارف منذ القديم يطلقون على الجن أسماء مختلفة فيقولوا جني وقد يكون هذا الجني من الذين يسكنون مع

---

[1] عبدالله سراج الدين، حول عالم الجن، ص٢٤٣.

[2] سورة الحجر، آية: ٢٦.

[3] سورة الرحمن، آية: ١٤- ١٥

الناس في بيوتهم فيسمونه الناس عامق أو يسمونه عملاق فان كان يتعرض للأولاد والصبيان فيسمونه أرواح، فإذا كان خبيث سيء يسمونه شيطان وأما إذا كان هذا الشيطان فيه زيادة في أمره وتمرده يسمونه عفريت فكلها أسماء متقاربة مختلفة.

هذه مراتب الجن من حيث أسمائها و أما من حيث خلقهم فقد اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وقسمهم الرسول ﷺ إلى ثلاثة أصناف فقال في حديث صحيح " الجن ثلاثة أصناف فصنف يطير في الهواء وصنف حيات وعقارب وصنف يحلون ويظعنون" قبائل وعشائر هم أيضا مراتب في الصلاح وفي الفساد ليسوا على مرتبة واحدة في الصلاح والفساد وإنما هم مراتب فمنهم الصالحون ومنهم الكفرة المجرمون فهم مراتب كما اخبرنا الله سبحانه وتعالى حكاية عن الجن الذين استمعوا للرسول ﷺ: {وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً } [1].

وفي آية أخرى يقولون: { وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً{١٤}وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً } [2]. وبما أن القرآن الكريم قد أخبر عن هذا العالم فانه يجب الاعتقاد بوجود الجن فلا يجوز بحال من الأحوال أن ينكر مسلم عاقل الجن ثم يدعي الإسلام إذ ليس هناك مجال لإنكارهم وإنكار وجودهم يعني رد للقرآن والسنة المتواترة، وهذا هو الكفر بعينه.

الصفات المشتركة بين الإنس والجن:

هناك صفات مشتركة بين الإنس والجن ومن هذه الصفات:

١. أنهم يأكلون ويشربون، ويتناكحون ويتناسلون، وفيهم الذكر والأنثى، كما هو حال الإنس.

٢. أنهم مكلفون بالشرائع الإلهية، وتتناولهم الأوامر والنواهي الشرعية، وقد

---

[1] سورة الجن، آية : ١١.

[2] سورة الجن، آية : ١٤.

أشار القرآن الكريم إلى ذلك فقال تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ }[1].

٣. أنهم مشمولون بالتحدي مع الإنس في العجز عن معارضة المعجزات، والخروج من أقطار السماوات والأرض فقال تعالى: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً } [2]. ويقول تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ } [3].

٤- الجن أصناف متنوعة، فمنهم المسلم ومنهم الكافر، ومنهم الصالح، ومنهم الطالح كما هو الحال في عالم الإنس وأشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله تعالى: { وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً } [4].

٥- أنهم يحشرون يوم القيامة فيحاسبون على أعمالهم، فيثابون ويعاقبون، وأن مؤمني الجن في الجنة، وأن كفار الجن في النار يوم القيامة كالإنس قال تعالى: {وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقاً [5]. وقال تعالى: { وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [6].

ولقد كذب الحق تبارك وتعالى معرفة الجن للغيب، وكذب هذا الاعتقاد الفاسد فقال تعالى في شأن جهل الجن بموت سيدنا سليمان عليه السلام: {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ

---

[1] سور الأنعام، آية: ١٣٠ .

[2] سورة الاسراء، آية: ٨٨.

[3] سورة الرحمن ، آية : ٣٣

[4] سورة الجن، آية: ١١ .

[5] سورة الجن، آية : ١٣ .

[6] سورة هود ، آية: ١١٩ .

الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ } [1]. وقال تعالى حكاية عن الجن: {وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً} [2].

وقد زعم الكفار أن هناك نسب بين الجن وبين رب العزة سبحانه وتعالى ولا شك في أن هذا من الخرافات العقائدية التي نشأت بسبب عدم فهم الناس أو معرفة الناس معرفة صحيحة بعالم الجن فمشركوا العرب كانوا يزعمون أن الله سبحانه وتعالى تزوج من سروات الجن يعني من الأسر ذات النسب العريق في الجن وكان ثمرة هذا الزواج الملائكة وقد رد القرآن الكريم عليهم فقال تعالى: {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ◆ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ } [3].

المطلب الرابع
عالم الشياطين
بين الإسلام واليهودية

المراد بالشياطين: كفار الجن الذين خرجوا عن طاعة الله وأوامره، والشياطين جمع شيطان مأخوذ من شطن بمعنى بعد، والشيطان كل عات متمرد من انس أو جن. وأما إبليس فهو أول شيطان جني كافر كما قال سبحانه وتعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً }[4] فهو من الجن وليس من الملائكة ومن الأدلة على ذلك:

---

[1] سورة سبأ، آية : ١٤ .

[2] سورة الجن، آية: ١٠ .

[3] سورة الصافات، آية :١٥٨- ١٥٩ .

[4] سورة الكهف، آية: ٥٠.

١- أن إبليس مخلوق من النار والملائكة من نوركما جا في قوله تعالى: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ }[1].

٢- أن إبليس له ذرية كما جاء في قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً }[2]. وأما الملائكة فلا ذرية لهم لأنهم ليسوا ذكورا ولا إناثا ولا شهوة لهم.

٣- أن إبليس خالف أمر ربه بالسجود لآدم، أما الملائكة عليهم السلام فهم معصومون عن المخالفة والمعصية، وأما ما ورد في قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ }[3]. فقد أجاب العلماء بأنه استثناء من جنس المأمورين، لا من جنس الملائكة، فهو استثناء منقطع.

والاستثناء المنقطع هو ألا يكون المستثنى جنس للمستثنى منه كما تقول جاء القوم إلا حمار. فالحمار ليس من جنس القوم، لكن الحمار لم يأت كذلك، وهنا ليس المراد أن الشيطان كان من جنس الملائكة إنما هو استثناء منقطع الدليل، ومما يدلل على ذلك ما جاء في سورة الكهف {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً } [4]. وهذا دليل على جنسيته انه ليس من الملائكة والشيء الآخر أن الشياطين والجن مخلوقين من نار بينما الملائكة من نور وهذا فارق آخر، والذي حققه ابن تيمية في هذه المسألة أن الشيطان كان من الملائكة باعتبار صورته و

---

[1] سورة الأعراف، آية: ١٢.

[2] سورة الكهف، آية: ٥٠.

[3] سورة البقرة، آية: ٣٤.

[4] سورة الكهف ، آية، ٥٠ .

شكله وليس منهم باعتبار أصله ولا باعتبار أنسابه [1].

المطلب الخامس
عالم الجن والشياطين
في العقيدة اليهودية

لم تتحدث أسفار التوراة عن الجن أو الشياطين أو إبليس، إلا أن كتاب التوراة قد أتوا برموز تدل على تلك العوالم، فرمز كتاب التوراة إلى إبليس بالحية التي أغوت حواء فأكلت هي وزوجها من شجرة الخلد: " وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله فقالت للمرأة أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة فقالت المرأة للحية: من ثمر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا. فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله أعلم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكم وتكونان كالله عارفين الخير والشر " [2].

وهذه إشارة إلى سير سنن الأقدمين الذين كانوا يوحدون بين الضرر الحسي وبين الخطيئة الأخلاقية، وقبل أن تصبح الحية مجرد رمز إلى الشيطان نلاحظ فيه المشابهة بين نفث السم ونفث الشر على أسلوب المجاز [3]. وكذلك لا وجود في سفر التكوين ولا إشارة توحي بأن الله خلق الجن من مارج من نار، ولم ترد قصة سجود الملائكة لآدم وتمرد إبليس الجني على أمر الله تعالى. وليس هناك ما يشير إلى أن الجن أقوام وشعوب مثل الإنس، ثم لم يرد أنهم مكلفون بالإيمان وأن فيهم رسلا يدعونهم إلى عقيدة التوحيد، ثم لا وجود لذكر حسابهم في يوم الدين [4].

---

[1] محمد مكي، البيان في أركان الأيمان، ص ١٣٦.

[2] سفر التكوين، ٣/ ١- ٦.

[3] عباس محمود العقاد، ابليس، ص٩٤.

[4] حسن الباش، مرجع سابق، ص ٢١٨.

وقد أوردت التوراة قصة استعانة الملك شاؤل بامرأة عرافة تستعين بالجن وجاء في القصة: " فقال شاؤل لعبيده فتشوا لي عن امرأة صاحبة جان فاذهب إليها وأسألها فقال له عبيده هوذا امرأة صاحبة جان في عين دور، فتنكر شاؤل ولبس ثيابا أخرى فذهب هو ورجلان معه وجاءوا إلى المرأة ليلا وقال: اعرفي لي بالجان واصعدي لي من أقول لك فقالت له المرأة هوذا أنت تعلم ما فعل شاؤل كيف قطع أصحاب الجان والتوابع من الأرض فلم إذا تضع شركا لنفسي لتمينها."[1].

وقد جاء في التوراة حكم بالقتل على من كان به جان فتقول: " واذا كان في الرجل أو امرأة جان أو تابعة فانه يقتل بالحجارة يرجمونه دمه عليه "[2]. وجاء توصيات من الرب لموسى عليه السلام تحذره بأن لا يكون في قومه من يستعين بالجان " ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانا أو تابعه ولا من يستشير الموتى ".

المطلب السادس
فكرة شعب الله المختار
في العقيدة اليهودية

وضع اليهود في توراتهم جذور العنصرية والتعصب والانعزالية ورسخ في أنفسهم أنهم شعب الله المختار وأنهم أفضل شعوب الأرض قاطبة، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، بل وصل بهم الأمر أن يعدوا (يهوا) إلهاً خاصاً بهم وملأوا توراتهم بوعود كثيرة أعطاها لأنبيائهم، وكلها تؤكد على امتيازات خاصة لشعب إسرائيل دون غيره من الأمم.

وتشكل هذه الوعود التي تكررت عشرات المرات في التوراة حجر الزاوية في الخلق اليهودي المريض ويبدأ سيل الوعود في التوراة من أيام إبراهيم الخليل عليه

---

[1] سفر صموئيل الأول، ٢٨/٤٧ .

[2] سفر اللاويين، ٢٠/ ٢٧.

السلام يوم اجتاز الأرض إلى شكيم " نابلس" وكان يقطنها الكنعانيون وظهر الرب لأبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض [1]

وقال الرب لأبرام: " أرفع عينيك وأنظر في الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد، وأجعل نسلك كتراب الأرض" [2] في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً: " لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات" [3] ومن بعد إبراهيم عليه السلام إنهالت الوعود على ابنه إسحاق (وظهر له الرب وقال: لا تنزل إلى مصر، اسكن في الأرض التي أقول لك .. لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد" [4] ومن بعد إسحاق ابنه يعقوب: " الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك" [5] وتعطي التوراة وعودها المتلاحقة لموسى عليه السلام فقال الرب: " إني رأيت مذلة شعبي الذي بمصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم إني علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة واسعة إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً " [6]

ولم يكتف اليهود بهذه الوعود التي وضعوها بل وضعوا النصوص المباشرة التي تؤكد قدسية هذا الشعب جيث ورد في سفر التثنية لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب التي على وجه الأرض [7].

---

(1) سفر التكوين، ١٢ /٧ .

(2) نفس المصدر ، ١٣ / ١٤ - ١٦.

(3) نفس المصدر ، ١٥ / ٢٨

(4) سفر التكوين، ١٢ /٧ .

(5) نفس المصدر، ٢٨ / ١٢ .

(6) سفر الخروج ٣ : ٦ — ٨ .

(7) سفر التثنية : ١٤ /١.

ثم جاء التلمود فكانت حرية الشعب المختار القضية المركزية التي تمحور حولها ووضع كل الأنظمة والتشريعات المنبثقة عنها وزعم أنهم أبنا الله وأحباؤه " بنو إسرائيل أحباء الله لأنهم يدعون أبناؤه". وأظهر التلمود فكرة الجوييم " الأغيار" وأقترنت كلمة " جوي" العبرية في عقولهم بالزراية والاحتقار والهمجية والبربرية ولم يكشف التلمود بصب لعناته على الجوييم بل شملتهم تشريعاته التي تجيز لليهود أن يفعلوا أبشع الفواحش والمنكرات من سرقة وزنا وقتل وكذب في التعامل معهم.

أما البروتوكولات فتتميز بعنصريتها وخططها الجهنمية في الكيد للأغيار وتدمير أخلاقهم ومجتمعاتهم وسلب أموالهم وثرواتهم بل جاء في التلمود أن أحد رهبانهم قال لتلاميذه إذا جاء عيد الغفران في يوم سبت فإنه يباح في ذلك اليوم تهشيم رؤوس أبناء الأمم الأخرى لقتلهم، فقال تلاميذه: " يا مولانا قل بالأحرى إنه يباح ذبحهم فقال: لا لأن ذبحهم سيكلفنا أن نقرأ صلاة معينة "[1] وهكذا فان التراث اليهودي في التلمود والبروتوكولات يوصي بألوان من التعصب اليهودي ضد أمم العالم: ومن ذلك أنهم يحرمون أن ترضع المرأة الإسرائيلية طفلاً من غير اليهود حتى إن تعرض للموت من الحرمان من الغذاء، وتنصح بعض هذه التعاليم الطبيب اليهودي بأن لا يعالج مريضاً من الأمم الأخرى، بل تحرم على اليهودي كائناً من كان أن يصدق في النصيحة لغير اليهودي، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الفرية الكاذبة وهذا الادعاء الباطل الذي ادعاه اليهود لأنفسهم وذلك في قوله تعالى "{وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}[2]

---

[1] حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، ص ٩١١ – ٠٢١.

[2] سورة المائدة آية: ١٨.

المبحث السادس
المنظومة الأخلاقية في
العقيدة اليهودية

يعد كتاب التوراة مرجعا وحجة لكل ما يتعلق باليهود، وهو سجل حقيقي لبداوة ووحشية هؤلاء القوم، فهو يروي عنهم كل ما يخزي ويعيب عن الآلهة والأنبياء والربانيين والأحبار. وعن الملوك والقضاة، فالآلة "يهوه" - كما تذكر التوراة – كان يحرض أتباعه على اغتراف مباذل الحياة، وإشباع الغرائز الحيوانية، واحتقار القيم الأخلاقية والمثل الإنسانية، ويحضهم على تطبيق شريعة القتل عند المقدرة وينسب لمشاهير أسلافهم اعتماد الخداع والمكر والمراوغة في سبيل الكسب الحرام.

ويتهم ملوكهم بالاعتداء على أموال أتباعهم واستباحة أعراضهم، ويصف نسائهم المنقبات بالقدسيات، ويتعاطي الفسق والفجور مع أعداء قومهن .. وهو اله ظالم وقاس، يحب القتال والحرب والخصام ويريق الدماء، ويشتهي الذبائح والمحرمات، يرمي الفتنة بين أبناء البشر، ينحاز إلى شعبه الخاص، ويمقت الشعوب الأخرى لأنها تفوقه بالروح والعقل، وتعد التوراة مدرسة الشر والفساد، ولا يمكن أن يستفاد منها درس أخلاقي واحد، ولا يوجد فيها إلا الهدم الخلقي والتشجيع على الفحشاء والمنكر والبغي، ففي كل سفر منها توجيه لهم وإرشاد في كل أمورهم.

وتدل الأمثلة والشواهد التوراتية على ضعف البناء الخلقي عند بني إسرائيل وتصدعه، وفي كل شخصية توراتية تكمن بذور الانحطاط فتصل أعمالهم إلى أدنى الدرجات من المكر والخديعة والشهوات، فقد ورد في سفر أشيعا وصف الرب لهم ولأخلاقهم إذ يقول " صارت آثامكم فاصله بينكم وبين إلهكم، وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع، لان أيديكم قد تنجست بالدم وأصابعكم، وشفاهكم

تكلمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشر[1].

ويقول أيضا " أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الزكي "، إنهم يرتكبون الإثم والخطايا، ويسفكون الدماء، ويقولون الكذب ويفعلون الشر لبني البشر، ويخونون الله، ويعصون أوامره، ولذلك نقض الرب معهم كل عهد ووعد وأصبحت وعودهم باطلة.. فقد وصفهم الإله "يهوه" بالخيانة والتمرد والتردد فكرهم حتى أصبح لا يسمع لهم قولا... ويخاطبهم بقوله "حقا انه كما تخون المرأة قرينها، هكذا خنتموني يا بيت إسرائيل[2]".

فقد خانوا ربهم، وقتلوا أنبياءهم، وكل من أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، وتوضح التوراة خيانة إسرائيل العاصية، وخيانة يهوذا الزانية، فقد ذكرت على لسان الرب ما يلي: " قال الرب في ايام يوشيا الملك: هل رأيت ما فعلت العاصية إسرائيل ؟ انطلقت إلى كل جبل عال، والى كل شجرة خضراء، وزنت هناك، فقلت بعدما فعلت كل هذا: ارجعي إلي، فلم ترجع، فرأت أختها الخائنة يهوذا، فرأت انه لأجل كل الأسباب، إذا زنت العاصية إسرائيل فطلقتها وأعطيتها كتاب طلاقها .. لم تخف الخائنة يهوذا أختها، بل مضت وزنت هي أيضا وكان من هوان زناها إنها نجست الأرض، وزنت مع الحجر والشجر وفي كل هذا لم ترجع إلى أختها الخائنة يهوذا بكل قلبها، بل كذبت بقول الرب: فقال الرب لي: قد برزت نفسها العاصية إسرائيل أكثر من الخائنة يهوذا[3].

هذا ما تذكره التوراة بحقهم، وقالت التوراة عنهم كذلك: "اسمعي أيتها السماوات، وأصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلم: ربيت بنين ونشأتهم أما هم

---

[1] أشعيا، ٣.

[2] أشعيا/ ٤.

[3] نفس المصدر: ٤

فعصوا علي، الثور يعرف قانية، والحمار معلف صاحبه، أما إسرائيل فلا يعرف، شعب لا يفهم ويل للأمة الخاطئة، والشعب الثقيل الآثم، نسل فاعلي الشر، أولاد مفسدين. . تركوا الرب، استهانوا بقدوس إسرائيل. . وارتدوا إلى وراء.. كل الرأس مريض، وكل القلب سقيم... من أسفل القدم إلى الرأس، فالرب لا يستمع لكم لان أيديكم ملأى بالدماء، وكثر فيكم الزنا والقتلة... رؤساؤكم عصاة وشركاء للسارقين ، الكل يحب الرشوة ، لا ينصفون اليتيم والأرملة[1]".

ولنقرأ باقي القول " وأما انتم فاقتربوا إلى هنا يا بني السامرة، نسل المنافق والزانية ، بمن تسخرون ؟ وعلى من تفغرون أفواهكم ؟ وتلعنون بألسنتكم ؟ أنتم أولاد المعصية ونسل الزور ".إن مثل هذا الكلام الفاحش الذي تذكره التوراة عن بني إسرائيل لا يمكن أن يصدر عن اله مقدس له حق العبادة على البشر، فما هو إلا قول الربانيين والأحبار الذين وصفوا أخلاق أتباعهم بعدما درسوها وعرفوها ونسبوا ذلك إلى الرب زورا وبهتانا... يقول غوستباف لوبون معتمدا على روايات اليهود: " إن الصفحات التي عرفت أجيال الآدميين المتعاقبة تجد فيها أسمى مبادئ الأخلاق، إلا أخبار ما يتألف منه تاريخ اليهود من العهارة والذبح ، ومن جيل يعقوب ، وزنى لوط وسفاح داوود ، والبغاء في المشارف ، وضروب التقتيل بلا رحمة وما إلى ذلك من أنباء ذلك الشعب المتوحش التافه[2]". هذا هو الشعب "المدلل" عند الله الذي اختاره ليكون خاصتَه من بين كل الشعوب، يرتكب الرذائل، ويقترف الجرائم، ويسفك الدماء. فاليهود بطبيعة تكوينهم عدوانيون، قتلة بالفطرة، ليس على البشر فحسب بل على الأنبياء أيضا وتوراتهم مليئة بالأوامر الإلهية بالقتل والغدر وسفح

---

[1] أرميا/٣ .

[2] غوستاف لوبون اليهود في تاريخ الحضارة، ص٣٦.

الدماء، وهذا كل مافهموه من شريعتهم، وقد نسوا أوامر الله ووصاياه.

وتطاول اليهود على الأنبياء، فكان كلما جاءهم رسل من عند الله إما أنهم يكذبونهم أو يقتلونهم...وورد في القرآن الكريم كثير من الآيات التي تؤكد تطاول اليهود على الأنبياء وقتلهم إياهم بغير حق قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ}. وكذلك قال: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الِّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}.(1).

وعن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: "قلت يا رسول الله أيّ الناس أشد عذابا يوم القيامة؟ قال: رجل قتل نبيا، أو قتل من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر.. ثم قال رسول الله: يا أبا عبيدة قتلت بنوا إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مئة وسبعون رجلا من بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف، ونهوهم عن المنكر، فقتلوهم جميعا من آخر النهار من ذلك اليوم"(2).

وهؤلاء هم الذين ذكرهم الله عز وجل في القرآن الكريم إذ قال: {لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ}(3). وعن أنبياء بني إسرائيل قال أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "بعث الله ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف

---

(1) سورة آل عمران، آية: ٢١.

(2) رواه أبو داود وابن ماجة.

(3) سورة آل عمران، آية: ١٨١.

إلى بني إسرائيل، وأربعة آلاف إلى سائر الناس [1]. وفي حديث رواه البخاري قال: " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي" [2].

وجاء في إنجيل متى " هكذا أنتم من خارج تظهرون للناس أبرارا، ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثما وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء، فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء، فاملأوا مكيال آبائكم، أيها الحيات، أولاد الأفاعي، كيف تهربون من دينونة جهنم. لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة، فمنهم تقتلون وتصلبون، ومنهم تجلدون في مجامعكم، وتطردون من مدينة إلى مدينة لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض، من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح.. يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء، وراجمة المرسلين " [3].

فكثرة أنبيائهم دليل على طغيانهم وفساد أخلاقهم وانحرافاتهم.... ومن الذين قتلهم اليهود من الأنبياء "حزقيال": الذي قتله أحد قضاتهم لأنه نهاه عن منكرات فعلها.. و"أشعيا": قتله منسي أحد ملوك يهوذا إذ نشره على جذع شجرة في ٧٠٠ ق. م لأنه نصحة بترك الموبقات، ونهاه عن أعمال المنكرات..و" إرميا" قتله اليهود رميا بالحجارة لأنه وبخهم على منكرات أعمالهم وكبائر معاصيهم للخالق..

و"يحيى" : قتله هيرودس العبراني لأنه أردا أن يتزوج هيروديا ابنة أخيه وكانت ترغب في الزواج من عمها بتدبير من أمها، فعارض يحيى ونهى عن هذا الزواج الحرام وعند دخول الملك بابنة أخيه قال لها : تمني علي بعد أن ملكت مشاعره تماما فقال أريد رأس يحيى بن زكريا في هذا الطبق كما علمتها أمها. فاستجاب لطلبها وأمر

---

[1] رواه مسلم .

[2] رواه البخاري.

[3] إنجيل متى ،ف٣٤/٣- ٣٨ .

برأس يحيى، وقدم لها رأسه في الطبق والدم ينزل منه كان ذلك في ٣٠م ،وقتل معه كل من استنكر هذه الجريمة من العلماء والصالحين.

و"زكريا" قتله هيرودس أيضا لأنه دافع عن ابنه يحيى، وعارض في صحة الزواج من المحرمات. فاليهود لا يتورعون عن ارتكاب أفظع الجرائم الإنسانية متى تهيأت لهم الظروف والقدرة على التنفيذ متجاوزين كل القيم الأخلاقية والمثل الإنسانية، كما فعلو بالمسيح عيسى بن مريم الذي دل عليه أحد حوارييه لرجال الأمن الرومان، وظنوا أنهم قتلوه، وأنهم صلبوه ، وأنهم نفذوا مآربهم به.. وأما عن أخلاقهم الاجتماعية فقد وصفهم هتلر في كتابه " كفاحي " بقوله : لقد تلمست بنفسي تكتل الإسرائيليين، وتجمعهم في حي واحد، ومحافظتهم الشديدة على تقاليدهم وعاداتهم وطقوسهم وإذا ظهر بينهم انقسام فهو مصطنع، وهم بذلك يلعبون لعبة تعتمد على الكذب والرياء مما يتنافى والطهارة الخلقية .

وطهارة الذيل التي يدعيها اليهود وكل طهارة يدعيها اليهود هي ذات طابع خاص فقذارتهم كانت تصدم النظر منذ أن تقع العين على اليهودي، ويقول هتلر: " كنت أسد أنفي كل مرة ألتقي بأحد لابسي القفطان، لأن الرائحة التي تنبعث منهم تبعث على القرف، ولكن قذارتهم الجسدية ليست شيئا يذكر بالنسبة إلى قذارة نفوسهم، فقد أثبتت لي الأيام أن ما عمل مخالف للأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود فيها يد[1]".

واليهود بشهادة القرآن الكريم قد عرفوا بالكذب والإفساد في الأرض فقال تعالى: {وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }"[2]. ومن كذبهم ادعائهم

---

[1] أدلف هتلر ، كفاحي ،ص٣٨ .

[2] سورة آل عمران، آية :٥٧ .

بنسبهم وعرقهم.. فكيانهم من أساسه يقوم على كذبة كبيرة، وهي زعمهم أنهم طائفة دينية تنتمي في أصلها إلى إبراهيم الخليل..ثم بعد ذلك تقرأ كتابا مزيفا على الله هو التوراة الذي بدلوا كل ما جاء فيه من عند الله.

وكذلك التلمود الذي يحرضهم على اقتراف جريمة الكذب والنفاق للوصول إلى الهدف، ويعبر عن ذلك بقوله: " لابد لك أن تكذب وتمالئ وتنافق وتسرق بل وتقتل أيضا.. " فهذه الموبقات والمنكرات يحللها التلمود من اجل الوصل إلى الهدف الأعظم.

ولا شك في أن ذلك ذرائع باطلة يتخذها اليهود لهم لارتكاب كل المحرمات والفواحش ما ظهر منها وما بطن.. يقول روتشيلد: " يجب على الذين يرغبون في الحكم أن يلجأوا إلى الدسائس والخداع وتلفيق الحقائق لان الفضائل الاجتماعية الكبرى كالصدق والاستقامة والأمانة ليست سوى عيوب كبرى في السياسة" ويقول أيضا: " ليس هناك مكان في العالم لما يسمى بالحرية والمساواة والإخاء ليست هذه سوى شعارات كنا أول من تظاهر بتبنيها، ووضعناها في أفواه الجماهير لترددها كالببغاء" [1]. ومن كذبهم أيضا ادعاؤهم الديمقراطية وحب السلام.. فهم يكذبون الكذبة ويصدقونها ويدافعون عن صدقها المزيف منذ وعد إبراهيم في أرض فلسطين الذي كان وعدا مزعوما وحتى اليوم. قال تعالى: "{مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً}[2] ، ويقول جل شأنه فيهم: " {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[3].

---

[1] فوزي محمد، حقائق وأباطيل في تاريخ بني إسرائيل، ص١٣٣

[2] سورة الكهف، آية: ٥ .

[3] سورة المائدة، آية: ١٣.

وقد وصفهم "شوبنهور" بأنهم " أساتذة عظام في فن الكذب" • ويقول دزرائيلي : " لا بأسفي الغدر والكذب والوقيعة إذا كانت هي طريق النجاح" فالغاية عندهم تبرر الوسيلة.. [1]. وفي انجيل متى جاء : " احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة"[2].

وأما عن التعامل بالربا فهو من أعمال بني إسرائيل المفضلة ، ولكن اتجاه الأغيار من البشر.. فهم يحبون المال حبا جما ، وهو أهم الأسلحة عند اليهود ، والمال وحده هو المعبود عندهم ، ومن أجله ارتضوا على أنفسهم قذف التهم الباطلة إلى أسلافهم وزعمهم أنهم ارتكبوا أحط الأعمال وأقذر الأفعال..

ويذكر هتلر كيف يحصل اليهود على أموالهم فيقول : " بدأ اليهودي يرابي الناس بفوائد فاحشة ، وبعد أن احتكر اليهود التجارة وكل الأعمال المالية ، تجمعوا وسكنوا في المدن ، في أحياء خاصة بهم ، مشكلين بين بعضهم دولة ضمن دولة ، لكن الربا الفاحش الذي كانوا يأخذونه افقدهم عطف السكان ، وكثر النفور والاشمئزاز منهم لصفاقتهم.

ويلغت النقمة ذروتها عندما كانوا يسترهنون الأراضي الكبيرة فيتحكمون بمالكيها ويفلاحيها بشكل مخز ، مما جعل ضحاياهم يتألبون ضدهم ، وقد اكتشف في هؤلاء الغرباء طفيليات مزعجة وخطيرة ، فهم يستخدمون العنف وأعمال الانتقام ويوظفون الأموال للسيطرة على الشعوب . هذه واحدة من الطرق غير المشروعة التي يحصلون بها على أموالهم ، عدا عن الغزو المستمر للجوار ، والحصول على ثروات طائلة من غنائم الحروب وغير ذلك من الطرق الملتوية وغير

---

[1] حقائق وأباطيل في تاريخ بني إسرائيل ، مرجع سابق ، ١٣٣ .

[2] انجيل متى ، ٢/٦.

المشروعة. ومن مكائدهم أيضا ممارسة الرق والعبودية، وخاصة من غير اليهود الذين لم تكن لهم أي حقوق في شريعتهم. تقول توراتهم: " ومن الأمم التي حواليكم تقتنون العبيد والإماء". وفي مواقع كثيرة منها تأمرهم بقتل الناس أو اتخاذهم خدما وعبيدا.

وعن فساد الأخلاق اليهودية والانحرافات الخلقية التي أقرتها شريعتهم ففيها الشيء الكثير وهذا ما نراه في كتبهم ومن ذلك : ما جاء في التلمود: " أن الولد الإسرائيلي لا يعاقب إذا زنا بأمه الأرملة، بل يجب عليه في هذه الحالة أن يستمر على الزنا معها بعد زواجه، صيانة للحالة التي كانت عليها قبل زواجه، وان ذلك يعد حقا لها عليه.. " ، وجاء في التلمود أيضا أن الوالد إذا زنا بابنته بعد وفاة أمها لا يقام عليه الحد بل لا يعاقب ، ولا يزجر، لأنه بذلك يحفظ أمواله أن يبذرها مع العاهرات الأجنبيات، ويدرب ابنته على شؤون الزوجية!! وتقول كتبهم: " إن للمرأة اليهودية حرية التصرف بجسدها بغية الوصول لفائدة لها، أو لأبناء دينها"[1].

ومن فضائحهم استخدامهم للنساء للتأثير على ذوي السلطة والجاه لتحقيق أغراضهم الدنيوية والمادية وفيها قصص كثيرة يرددها اليهود في أسفارهم مثل سفر: استير، وسفر يهوديت لقد ذكر في التلمود عن كثير من الحاخامات أنهم كانوا ينادون في المدن التي يدخلونها عما إذا كان يوجد فيها امرأة تريد أن تسلم نفسها لهم عدة أيام[2]. وجاء في التلمود أيضا عن الربي" اليعازر " : انه فتك بكل نساء الدنيا، وانه سمع مرة أن امرأة تطلب صندوقا مليئا بالذهب كي تسلم نفسها، فحمل الصندوق وعبر سبع شلالات حتى وصل إليها .

---

(1) حقائق وأباطيل في تاريخ بني إسرائيل، مرجع سابق، ص١٣٤.

(2) نفس المرجع ، ص١٣٤ .

ويقول التلمود: "إن هذا الحاخام لما توفي صرخ الله في السماء قائلا : تحصل الربي اليعازر على الحياة الأبدية". لقد فتك الحاخام اليعازر بكل نساء الدنيا ـ بلا استثناء ـ ولم يحاسبه الرب ولم يحرقه بالنار وإنما كافأه بالحصول على الحياة الأبدية .. ومن ضمن التعليقات اليهودية أن التلمود يصرخ للإنسان اليهودي بأن يسلم نفسه للشهوات إذا لم يمكنه مقاومتها.. ولكنه يجب أن يفعل ذلك سرا لعدم الضرر بالديانة ... ومن آداب التلمود عند اليهود ما ورد في كتاب " الطور يورد" الذي ألفه الرباني يعقوب أحد أئمة اليهود بأنه محرم على اليهودي أن ينجي أحدا من بقية الأمم من البئر التي يقع فيها .. وعلى الطبيب اليهودي ألا يداوي اميا مطلقا ولو بالأجرة، إلا إذا أراد ضرره أو الانتفاع بماله، فإذا كان مبتدئا في الطب فليتعلم بمداواة باقي الأمم ويجوز إجراء المعالجة مجانا في هذه الحالة، ولا يجوز له إنقاذ أرواح الأجانب في مواسم الأمراض.. " تلك هي الإنسانية عند اليهود كما تذكرها كتبهم " المقدسة " ويعرفها الحاخامات والكهنة والأحبار ويعلمونها.. ويعملون بها. وعن فساد أخلاق اليهود يذكر هتلر لقد لمست الحقائق التي لا تخطر ببال للدور الذي يمثله اليهود في ترويج سوق الدعارة، والاتجار بالرقيق الأبيض، وقد اكتشفت أن اليهودي هو الذي يستثمر البغاء السري والعلني ويحوله إلى تجارة رابحة وذلك عن طريق العلاقات الجنسية مع الموظفات اليهوديات في المحلات التجارية والأندية العامة ويجدون الذرائع والمبررات في ما ورد في كتب التلمود والتوراة .

فاليهود يقترفون أبشع الجرائم الجنسية، وفي شريعتهم تعداد لدعارات عنيفة كسفاح ذوي القربى ، أي الزنا بالأخت والزنا بالأم، واللواط والمساحقة . وكانت مواقعه البهائم من أكثر الآثام التي كانت شائعة بين اليهود... وجرائمهم أكثر من أن تحصى ومنها :

ما رواه السيد هيبس في كتابه الأخير: صدر العدد المؤرخ في ١٩٣٩/٦/١٦م

من الجريدة الرسمية لبلدية باريس، وقد نشر فيه قرار صادر عن رئاسة بلدية مدينة نانسي ينص على ما يلي: " نظرا لاستفحال أمر ممارسة اللواط في المدينة هذه العادة التي يتعاطاها الغرباء اليهود" الذين وفدوا إلى البلاد على اثر تفاقم الوضع بيننا والجارة الألمانية، ولعجز السلطات عن وضع حد لهذا المرض المشين، قررت البلدية تطبيق نظام البغاء النسائي الساري المفعول على هؤلاء الغرباء وإخضاعهم لنصوص هذا النظام تماما مثل النسوة الخاضعات له، ومن ثم السماح لهم بتعاطي مهنتهم ضمن متطلبات النظام المذكور، على أن تعمل الشرطة المحلية على اجتثاث جذور هذا الداء الوبيل من البلاد بأقصى سرعة".

والمقصود بالغرباء هم اليهود الذين أجلاهم هتلر عن بلاده على اثر إصدار قانون تحريم اللواط في ألمانية، ومعاقبة ممارسيه بأشد العقوبات، فهرب اليهود من ألمانية متوجهين إلى فرنسا، ينشرون الويلات لشعبها المغلوب على أمره. هذه أسباب طرد اليهود وملاحقتهم قانونيا في ألمانية والحكم عليهم بأشد العقوبات فقد كانوا يتعاطون اللواط والمساحقة فيما بينهم ولذلك طردتهم الحكومات ولعنتهم الشعوب.

وقد وصف القرآن الكريم أخلاق اليهود وصفا دقيقا ومفصلا، وقد خصهم في كثير من آياته، فقد وصفهم بالكفر، والتجرؤ على حرمات الله ووصاياه ، والسكوت على انتشار الفواحشَ والمنكرات، ونعتهم بقسوة القلوب والتبجح والأنانية والترفع عن غيرهم ، وعدم الاندماج مع أحد، كما وصفهم بالتدليس والتضليل وسوء الأدب مع الله ورسوله ومع الناس ، ورفض التحاكم إلى كتاب الله والى كتابهم نفسه، ووصفهم بكتم الحق، وإلباس الحق بالباطل والمكابرة عليه. ووصفهم بالكذب على الله ونقض مواثيقهم مع الناس، وقتلهم الأنبياء بغير الحق، والعدوان على الآخرين ووصفهم بالغيرة والحسد واشتهاء أموال الآخرين، والتعامل بالربا

والخداع والغش والاحتيال، والفساد في الأرض، وإحلال الحرام وتحريم الحلال، كما وصفهم بالذل والمسكنة وعدهم أشد الناس عداوة للمؤمنين، قال تعالى: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ }[1].

وقال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}[2]. فما دمتم أحباء الله فلماذا يعذبكم بما اقترفتم من ذنوب وآثام؟ سيسألكم الله عن كل أعمالكم وجرائمكم وسيحاسبكم حسابا عسيرا، إنكم كغيركم من البشر أمام الله.

وهو منزه عن أن يتخذ أمثالكم أبناء له أو أحبة. ولن تفلتوا من عقابه إذ قال لكم: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ }[3]. ولقد أذلكم الله لكفركم به ولقتلكم الأنبياء والصالحين، ولعصيانكم وتمردكم على الله تعالى إذ قال تعالى: {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ }[4].

---

[1] سورة المائدة آية: ٨٢.

[2] سورة المائدة آية: ١٨.

[3] سورة البقرة آية: ٤٧- ٤٨.

[4] سورة آل عمران: ١١٢.

ولقد وصفهم نقاد التاريخ بأنهم وحوش ضارية متعطشة للدماء، دينها الحقد والغدر، لا تعترف بالحق ولا تحفل بالوفاء تحترف الكذب والغش والخداع والمراوغة.. فاليهود شعب متمرد ومتردد، وليس لهم سلوك اجتماعي معين، فهم تارة انس طيبون، ينزعون للهدوء، ويحتكمون إلى الحق، وأخرى يظهرون وقد استأسدوا، وتنكروا للفضل والمروءة، ثم يعودون ليتظاهروا بالخنوع والخضوع، ليصلوا إلى مقاصدهم وتحقيق مآربهم. ومرة أخرى تراهم يصبحون جبابرة عتاة لا يعترفون بالحق، ولا يعفون عن الطفل الرضيع والحيوان الأعجم.. فهم دائما يتفاعلون مع أوضاعهم السياسية، فعندما يشعرون بالقوة بأنفسهم فهم لا يعترفون بأية قيمة خلقية، وفي حالة العجز والضعف يتعلقون بكل المثل والقيم التي عرفت منذ الخليقة ليحتموا خلفها.. تقول التوراة: "مع الرحيم تكون رحيما، ومع الرجل الكامل تكون كاملا، ومع الطاهر تكون طاهرا، ومع الأعوج تكون ملتويا"[1].

وفي بروتوكولات حكماء صهيون "وكر الحقد الصهيوني ضد الإنسانية" يقول الصهاينة في البروتوكول التاسع متفاخرين: " تمكنا من تضليل الشبان من غير اليهود، وإفسادهم خلقيا، وحملهم على البلادة عن طريق تعليمهم المبادئ التي نعتبرها نحن باطلة على الرغم من إيحائنا بها ".

وفي البروتوكول الثالث عشر يقول الصهاينة: "لكي نبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية عن أن تكشف بأنفسها أي خط عمل جديد لنا، سنلهيها بأنواع شتى من الملاهي والألعاب.. " لقد افلحوا في كل ما وضعوه، فأفسدوا عقول الشباب. بما يشغل بالهم ويلهيهم عن بناء مستقبلهم فأصبحوا فريسة الأفكار الفاسدة، والعادات والتقاليد الدخيلة، وهم يسقطون في درك الغرائز البهيمية حتى يصبحوا أعضاء لا

---

[1] صاموئيل الثاني/٢٢.

نفع لهم في مجتمعاتهم بل يصبحون عبئا عليها، يلتهون بأشياء قشرية لا معنى لها متجاوزين كل ما هو ضروري.

وجاء في البرتوكول العاشر: علينا أن ننهك كل الناس، بالمنازعات، والعداوات، والحزازات والحروب والمجاعة وانتشار الأوبئة، والعوز والفاقة، حتى يجد غير اليهود انه لامناص لهم من مناشدتنا العون المادي والسلطان" هذه هي أخلاق اليهود، ظاهرها وباطنها، وهذه حضارتهم للبشرية ورسالتهم للإنسانية...

وجاء في كتاب " اليهودي العالمي" الذي أعده " هنري فورد" ما يوضح ممارسات اليهود: " أستغرب الناس كثيرا من أين تأتي هذه الموجات المتعاقبة من النفايات والقاذورات الموسيقية، التي غزت البيوت الكريمة والتي جعلت هذا الجيل يقلدون ما يقوم به المعتوهون من حماقات. فالموسيقى الشعبية الرخيصة هي احتكار اليهود، وليس موسيقى " الجاز " إلا من اختراع اليهود، وليست الحركات المثيرة بما فيها من قذارة والتي تنسق مع النغمات التي تبعث الغرائز إلا من عمل اليهود، فأحاديث القردة، وعويل الغابات، وشخير الخنازير، واللمسات التي تشبه عمليات الحب بين العجول كلها تتستر تحت ستار بعض الألحان الموسيقية المحمومة...فما من مفسدة تؤذي النفوس والمجتمع إلا ونجد وراءها جماعة من اليهود، فوراء الفساد في لعبة الكرة جماعة من اليهود، وراء الاستغلال المالي جماعة من اليهود.

وهم كذلك وراء الدعاية للمشروبات الروحية جماعة من اليهود، والسيطرة على السياسات القومية الحربية في أيدي جماعة من اليهود، والسيطرة على الصحافة والإعلام عن طريق الضغط المالي والتجاري في أيدي من جماعة من اليهود، وثمانون في المئة من مستغلي الحروب هم من اليهود.. تلك هي الرسالة الصهيونية للبشرية، وهذه هي الحضارة العبرية للإنسانية.. قال عنهم موسى عليه السلام أنا اعرف تمردكم وقلوبكم الصلبة، إنكم بعد مفسدون وتزيغون عن الطريق الذي

أوصيتكم ويصيبكم الشر في أخر الأيام ".

هذه صفحة أخرى من أخلاق اليهود وحضارتهم على سبيل الذكر لا الحصر على غير ارض العرب، فبعد أن تمكنوا من السيطرة على زمام الأمور الفرنسية بفضل الأساليب الشيطانية والخطط القذرة التي اتبعوها بمساعدة أنصارهم الماسون، والتي جردت الفرنسي من معتقداته ومثله العليا ، ومن عاداته وتقاليده ، فأصبح عبدا لشهواته بفضل الكتب الإباحية الملحدة التي أصدرها اليهود عن تخطيط وتصميم ، والتي قرأها الفرنسي بنهم وشراهة ... فقد ورد في كتاب " الزواج " لمؤلفه ليون بلوم[1] ما يلي:

" إن على الفتاة البالغة أن تنفق طاقاتها الجنسية في حينها، وتطلق لرغباتها العنان قبل الزواج، وأن لا تحرم نفسها من الاستفادة من المغامرات عندما تتوفر لها، لان فترة المراهقة هي فرصتها الحقيقية لاغتراف الملذات، فعليها أن تستغلها على أوسع نطاق، وعليها أن لا تتردد عن التعرف بأكبرعدد من الرجال لتطفي الشهوة العارمة التي تتأجج عادة في أعماقها في هذه الفترة... والفتاة الذكية هي التي تعرف كيف تنتقي الرجال الذين يمكن أن تتمرس على أيديهم، فعليها أن لا تتقاعس عن البحث عنهم، وإلا أضاعت نفسها أطيب ملذات العمر... إن الفتاة المتزمتة، التي تسعى لإرضاء ذويها على حساب ملذاتها فتاة خائبة، وعلى كل فتاة أن تنبذ السخافات والأوهام وتضرب بالتقاليد البالية عرض الحائط، كاحترام العذرية مثلا. وعلى الفتاة كذلك تحلق في أجواء شبابها دون تردد وإلا قد أضاعت إحدى فرصها الذهبية. ولتعلم الفتاة المراهقة إن خير التجارب التي تحتاجها عند زواجها هي التي تتعلمها في

---

[1] ليون بلوم ، يهودي ولد في بلغاريا، وهو من اليهود الماسون ورجل سياسة، ومن أشهر رجال الحكم في فرنسا ، اشتهر في كتاباته الإباحية التي تدعو إلى الانحلال والفساد .

أحضان الرجال المجرمين...إن منع الفتاة من الحمل لم يعد عسيرا...فلماذا نعمد إلى حرمانها من ملذاتها ؟ ولماذا نمنع الاتصال الجنسي بين الأخوة ؟ وما هو الغرض من التمسك بهذه السخافات ؟ .

تلك هي أقوال ليون بلوم فهي بلا شك دعوة صريحة للتحرر من كل القيم الخلقية والإنسانية وهي دعوة إلى الإباحية والانحلال الخلقي التي نادت بها أندية الماسونية والصهيونية. وقد كتب بللوكس في صحيفة " فرنسا المفيدة " في ١٩٣٩/١٢/١٣ حديثاً مطولا انتقد فيه سياسة اليهود في فرنسا ودورهم الفاحش جاء فيه : "لقد جعل اليهود من هذا الشعب قطيعا من الحيوانات البهيمية والتي لا هم لها إلا الحصول على حاجاتها الحيوانية البدنية ، ولم يعد فيه رجل واحد يشعر بالرجولة والشهامة حتى في الأوقات الحرجة التي وصل فيها الوطن إلى حافة الهاوية".

الفصل الخامس
القتـــل والإرهـاب
في العقيـدة اليهوديـــة

الفصل الخامس
القتل والإرهاب في العقيدة اليهودية

المبحث الأول
العنف في التوراة

جذور الإرهاب في العقيدة اليهودية قديمة بدأت منذ وجودهم على سطح الأرض، ولكي يفهم الإرهاب والعنف اليهودي وتفهم أبعاد، فإنه من الضروري مراجعة تاريخ بني إسرائيل في مصر باعتبار أن تلك الفترة كانت بداية ظهور العنف والإرهاب في الشخصية اليهودية، وخاصة بعد النبي يوسف عليه السلام، فبعد أن كانوا قبائل رحل، انتقلوا مع إبراهيم الخليل من أور في العراق، إلى فلسطين بدافع الجوع، والبحث عن الماء الكلأ، وبعد أن مرت على يعقوب وذريته مجاعات كبيرة في فلسطين، وذهاب يوسف إلى مصر بعد أن ألقاه أخوته في الجب والتقطته قافلة، ثم باعته في مصر إلى أن وصل إلى منصب، العزيز وكانت سنوات من الجوع قد مرت على مصر، فاخذ أموال المصريين مقابل إطعامهم، ثم اخذ مواشيهم ثم أراضيهم ثم منازلهم، واستعبدهم مما جعل المصريون يحقدون عليه وخاصة بعد أن قرب بني إسرائيل وقلدهم المناصب.

ويذكر التاريخ أن ملك مصر خشي من تعاظم نفوذ بني إسرائيل في دولته فجردهم من جميع السلطات والمناصب التي تقلدوها، ثم عمد إلى اضطهادهم وتسخيرهم في بناء مدن فيتوم ورعمسيس وتشغيلهم بالأعمال الشاقة الأخرى، ثم أمر بقتل كل ذكر يولد لهم خشية من ازدياد نسلهم، لدرجة يطغون فيها على أهل البلاد[1].

---

[1] محمد عزت دروزة ، تاريخ بني اسرائيل في أسفارهم ، ص٦٥.

وقد ازداد الاضطهاد الواقع على بني إسرائيل خاصة مع سقوط حكم الهكسوس في القرن السادس عشر ق.م وقيام الإمبراطورية المصرية، ويستدل من أوراق البردى المكتشفة في فلسطين أن تسخيرهم في أعمال البناء واضطهادهم، قد بلغ ذروته في عهد رمسيس الثاني أعظم ملوك الأسرة التاسعة عشرة التي حكمت في سنة ١٣٥٠ إلى ١٢٥٠ ق.م حسب تقدير بريستيد[1]. ومن سنة ١٤٦٢ إلى ١٢٨٨ ق.م حسب تقدير شاروييم[2]. حيث توطد خلال هذه الفترة التوجه التوحيدي للعبادة باتجاه الإله أتون ثم تأتي بعد ذلك عملية خروج موسى ببني إسرائيل من مصر بعد أن سرقوا ما خف وزنه وغلا ثمنه من ذهب وفضه ومطاردة فرعون لهم، وتلقي موسى الألواح التي حوت الشريعة عن ربه وكانت فكرت السطو على أموال المصريين منطلقا لفكرة التوراة في استحلال أموال غيرهم وسلبها بأي وسيلة.

ويرى الباحثون أن واقع خروج بني إسرائيل من مصر قد تمت في القرن الثاني عشر ق.م، وقد يسر لهم الخروج هربا ما كانت تعانيه الدولة المصرية من تنافس على العرش بين القوى المتنفذة والتمرد الذي حصل في الحبشة والشام، والغارات اليونانية المستمرة مما أدى إلى انهيار الأسرة التاسعة عشر ووصول الأسرة العشرين التي حكمت من سنة ١٢٠٠ إلى سنة ١٠٩٠ ق.م.

ومن الأسباب التي ساعدتهم على شن حروبهم ضد الأقوام المجاورة لمصر وخاصة ارض كنعان الارتباك الذي الم بالأسرة العشرين وقد أدى ذلك إلى تعاظم سلطات الكهنة، واخذوا يتدخلون في شؤون الدولة مما أدى إلى قيام ثورات عديدة في أنحاء الإمبراطورية وتجدد الغارات اليونانية ضد مصر[3].

---

[1] برستيد، تاريخ مصر من أقدم العصور، ترجمة حسن كامل، ص ٤٠٦.

[2] محمد عزت دروزة، تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم، ج٢، ١٦٦.

[3] محمد عزت دروزة، تاريخ الجيش العربي، ج٢، ص١٦٦، ص٦٩،

وذكرت المصادر التاريخية أن بني إسرائيل قد خرجوا من مصر في عهد الفرعون منفتاح الثاني، وان منفتاح الثاني سال بعض كهنته ومقربيه عن أفضل السبل للخروج من حالة الارتباك التي تعانيها الدولة، فأشاروا عليه بتطهير البلاد من أساس هذه ألبلبلة وهم بنو إسرائيل، فجمعهم في منطقة في الشمال وشدد عليهم الخناق، وفي هذه الأثناء ظهر موسى عليه السلام وانتهى الأمر بخروجهم تحت قيادته[1].

وكان بنو إسرائيل قد ثاروا على منفتاح الثاني، فزحف عليهم وقتل منهم الكثير مما سهل إقناعهم بالخروج، وقد سجلت الإصحاحات الخامس إلى الحادي والثلاثين من سفرالخروج مراحل خروج بني إسرائيل إلى سيناء، وما جرى لهم فيها كما حكى الإصحاح الخامس عشر تسابيح موسى الشكرية لله على إنقاذه لبني إسرائيل، فيما حكى الإصحاح السادس عن تذمر بني إسرائيل من موسى وهارون وقولهم: "ليتنا متنا في مصر كنا نشبع من الطعام" وسؤالهم لهما عما إذا كانوا قد أتوا بهم إلى هذه البرية ليقتلوهم جوعا، وأمثال هذا الموقف التذمري كثيرة ومتنوعة، وكذلك فإن رحلتهم من مصر إلى شرق الأردن تدل على ضعف مقاومتهم وروجهم التعجيزية، وإنزال المن والسلوى طعاما لهم خلال فترة التيه التي امتدت لفترة أربعين سنة حتى وصلوا إلى ارض كنعان[2]، ومن خلال ما تقدم نجد أن بني إسرائيل قد تعرضوا للجوع والاضطهاد نتيجة حبهم الشديد للمال والسيطرة عليه بدون وجه حق، وإتباعهم لمبدأ الغاية تبرر الوسيلة اللااخلاقية، كل ذلك دفعهم للوقوع في قبضة غيرهم من الأمم، ومقاساة ألوان الاضطهاد، وقد دفعهم ذلك إلى إتباع

---

(1) نفس المرجع، ص٦٩.

(2) محمد عزت دروزة، مرجع سابق، ص ٦٩.

جميع السبل المتميزة بالعنف وسفك الدماء، لتحقيق أهدافهم الأولى منذ زمن إبراهيم الخليل.

ونتيجة إلى هذه الصفة التي تميز بني إسرائيل فان أهالي البلاد التي نزلوا بها توجسوا الشر والخطر من قدومهم، وقد دلت الوقائع صدق حدسهم لان سيرتهم مع أهالي البلاد كانت أسوأ السير غدرا وعدوانا وكرها وقسوة وأنانية، حتى الذين سالموهم لم يسلموا من شرهم، وعلى الرغم من أن الرب لم يتخل عنهم بل هداهم في التيه بظلل من الغمام، وكان رزقهم يتنزل عليهم من السماء رغدا، وعذب الماء يتفجر لهم من الصخر الأصم، وقطع السحاب تظللهم من لفح الشمس ولهيبها، وعلى الرغم من كل ذلك كانوا كثيرا ما يتمردون وقليلا ما يشكرون.

وعندما ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه ثلاثين ليلة "فلما أتمها الله له أربعين" كفروا بموسى واله موسى، وقالوا ساخرين: "فان ذلك الرجل موسى الذي أخرجنا من مصر لا نعلم ماذا أصابه ثم اتخذوا لهم من الذهب اله يطوفون حوله، ويأكلون ويشربون ويلعبون، ويقول بعضهم لبعض: هذه الهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من مصر[1]، ولم يبالوا بنصح نبي الله هارون، فلما عاد موسى إلى قومه غضباناً أسفا، واشتد فيه اللوم على أخيه قال: {قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[2].

ولما اختلف بنو إسرائيل فيما بينهم تفرقوا في الأمصار والصحاري، فإذا حلوا بموضع فسدوا وافسدوا فيه، فقد أقاموا قريبا من المؤابيين في مناطق شرق الأردن وموسى وهارون فيهم، فلم يحفظوا دينا ولم يحسنوا جوارا حيث ذكر في التوراة أنهم

---

[1] ممدوح الزوبي، القتل في عقيدة يهوه، ص١٠٣.

[2] سورة الأعراف، آية: ١٥٠

فجروا مع المؤابيين وتعلقوا بأصنامهم ولم يكد موسى يأمر بقتل كل من ارتد عن دينه حتى اقبل رجل إسرائيلي "وقدم إلى إخوته امرأة مدينية على عيني موسى وعيون كل جماعة إسرائيل[1]". وانقضى أمد التيه أو كاد... وانقرض الجيل الشرير الذي توعد الرب على لسان موسى عليه السلام، أن لا يريه الأرض التي أمره بالدخول إليها من اجل عصيانه وتخلفه عن الجهاد، ومات كل من كان في بدء التيه فوق العشرين من العمر عدا رجلين كانا في الطليعة حين دخلوا ارض كنعان، ولم يجبنا كما جبن زملائهم احدهما يشوع بن نون الذي حارب عددا من المدن الفلسطينية وعلى يديه استطاعوا أن يقيموا بجزء من فلسطين، ولكنهم لم ينعموا بالاستقرار حيث ظلت الحروب والمنازعات بينهم وبين جيرانهم، لا تهدأ حتى تثور.

وطابع الحروب التي سجلاتها فصول التوراة فريدة في الإبادة والتدمير... ولما أمعنوا في غيهم وفسادهم ارتد كيدهم إلى نحرهم حيث أبيدت أعداد كبيرة منهم، وشردت الأعداد الباقية حتى طهرت الأرض المقدسة من بقايا أنجاسهم في القرن الأول من ميلاد السيد المسيح عليه السلام، وبقي الأمر هكذا حتى منتصف القرن العشرين، حين عادوا ثانية بدعم من القوة الغربية وعلى رأسها بريطانيا ليحتلوا جزء من فلسطين في عام ١٩٤٨م[2].

لقد كانت شرورهم بغير حدود، فقد شملت الحيوان والنبات والجماد أيضا، ولقد شارت التوراة إلى ذلك في سفر التثنية فبعد ذكر طلبهم من الملك سيمون المرور في أرضهم إلى أرض كنعان، وانه خافهم على ملكه وجمع لحربهم "تقول: فخرج علينا سيمون بجميع قومه للحرب إلى ياهص فأسلمه الرب إلهنا بين أيدينا فقتلناه هو

---

[1] ممدوح الزوبي، مرجع سابق، ص ١٠٤.

[2] ممدوح الزوبي، مرجع سابق، ص ١٠٤.

وبنية وجميع قومه وفتحنا جميع مدنه في ذلك واسلبنا كل المدينة ورجالها ونسائها وأطفالها لم نبق فيهم باقيا[1]".

وكذلك صنعوا بعوج ملك باشان وجميع مدنه وما فيها من الرجال والنساء والأطفال كما سجله الفصل الثالث من السفر المذكور[2]" فهذا هو التوراة الدستور اليهودي المقدس ذي التعاليم البالغة عنفا وقسوة ووحشية، حتى لا يكاد إنسان يتخيلها حقيقة وواقعة ما لم يره مدوناً ومسجلاً في كتابهم المقدس، بتفصيل وتأكيد وإصرار مع التهديد والوعيد بسوء مصيرهم إن هم أخلوا بتطبيقها أو تهاونوا في الأخذ بها. ومن خلال النظر في كتابهم المقدس الذي يدينون به نجد أنه يأمرهم إن يفرقوا بين الأمم القريبة والبعيدة في شئون الحرب، فالمدن في الأمم البعيدة التي تقدم اليهود لمحارتها يجب أن تقوم فروض الطاعة لهم وتدفع الجزية إن هي سالمت، فان حاربت وانتصروا عليها فعليهم أن يقتلوا كل ذكر بحد السيف ويغنموا باقيها. أما مدن الأمم القريبة فان لها شان آخر، فان على اليهود أن يستأصلوا كل نسمة فيها، ومحظور عليهم أن يقطعوا على سكانها عهدا، أو تأخذهم بهم رأفة أو شفقة، لان هذه الشعوب ميراث اليهود فان لم يفعلوا ذلك فقد حل عليهم غضب الرب، وعرضوا أنفسهم للإبادة.

فقد جاء في سفر التثنية الفصل العشرين ما يلي: " فإذا تقدمت إلى مدينة لتقاتلها فادعها أولا إلى السلم فإذا أجابتك إلى السلم وفتحت لك فجميع الشعب الذين فيها يكونون تحت الجزية ويتعبدون لك وان لم تسالمك بل حاربتك فحاصرتها وأسلمها الرب إلهك إلى يدك فاضرب كل ذكر بحد السيف وأما النساء والأطفال وذوات

---

(1) سفر التثنية، ١/ ٢٦.

(2) ممدوح الزوبي، مرجع سابق، ص١٠٥.

الأربع وجميع ما في المدينة من غنم فاغتنمها لنفسك وكل غنيمة أعدائك التي اعطاكها الرب إلهك هكذا تصنع بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن أولئك الأمم هنا[1]".

هذا بالنسبة للمدن البعيدة، " وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ماء بل تحرمها تحريما الحثيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك لكي لا يعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التي عملوا لآلهتهم فتخطوا إلى الرب إلهكم[2]".

ويبين نفس السفر بوضوح مدى الحقد والكراهية التي يكنها اليهود لباقي الأمم حيث جاء فيه: "متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، وطرد شعوبا كثيرة من أمامك الحثيين والجرجاشيين، والاموريين والكنعانيين، والفرزيين والحويين واليبوسيين، سبع شعوب اكبر وأعظم منك، ودفعهم الرب إلهك أمامك، وضربتهم فانك تحرمهم، لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم، ولا تصاهرهم، بنتك لا تعطى لابنه، وبنته لا تؤخذ لابنك، ولكن هكذا تفعلون بهم تهدمون معابدهم، لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا اخص من جميع الشعوب التي على وجه الأرض[3]".

وتمضي الأسفار التوراة لتعد اليهود بمزيد من الابادة والإفناء للغير، بعد أن يزيل الهم الخوف من قلوبهم، فلدى اليهود عقيدة بأن الرب يستأصل الأمم من بين أيديهم، ويدفع ملوكها إليهم، فقد ورد في التوراة: "إن قلت في قلبك هؤلاء أكثر

---

(1) ممدوح الزوبي، مرجع سابق، ص ١٠٦.

(2) سفر التثنية، ٢٠/١٠- ١٦

(3) نفس المصدر، ٢٠/١٦- ١٨.

مني، كيف اقدر أن اطردهم فلا تخف منهم، اذكر ما فعله الرب إلهك بفرعون وجميع المصريين، التجارب العظيمة التي أبصرتها عيناك والآيات والعجائب واليد الشديدة والذراع الرفيعة التي بها أخرجك الرب إلهك، هكذا يفعل الرب إلهك بجميع الشعوب التي أنت خائف من وجوهها، والزنانير أيضا يرسلها الرب إلهك عليهم حتى يفنى الباقون والمتخفون من أمامك، لا ترهب وجوههم لان الرب إلهك في وسطك اله عظيم ومخوف لا يقف إنسان في وجهك حتى تفنيهم[1]" .

هذا وان اضطر بنوا إسرائيل إلى التمهل في استئصال الأمم الموروثة قليلا فليس لهم أن يبقوا أحدا بين ظهرانيهم متى مكنتهم الفرصة من ذلك، لان بقاء احد من هذه الأمم وخز في عيونهم وحراب في جنوبهم، ومجلبة في لنقمة ربهم فتقول التوراة في هذا السياق: "وان لم تطردوا أهل الأرض من وجهكم كان من تبقونه كإبرة في عيونكم، وكحربة في جنوبكم يضايقونكم في الأرض التي انتم مقيمون فيها، فيكون أني كما نويت أن اصنع بهم اصنع بكم.[2]".

ولا يكتف اليهود مجرد القتل والابادة ولكنهم يتفننون في صنوف الإذلال والتعذيب وهذا كان واضحا في المذابح التي ارتكبوها في فلسطين عام ١٩٤٨م " في دير ياسين وفي قبية وكفر قاسم وغيرها من المدن الفلسطينية، وكذلك ما فعلوه عندما دخلوا بيروت، حيث كانت مجزرة صبرا وشاتيلا، ثم بعدها كانت مذبحة قانا ولا يزالوا يمارسون هذا الخلق الذميم في غزة وباقي المدن الفلسطينية في الضفة الغربية

وهذا ما عبر عنه الفصل الخامس من سفر الملوك إذ جاء فيه ذكر لمدينة لم تفتح لهم أبوابها فضربوها من كل صوب وجانب فجاء فيه: " وحينئذ ضرب مناحيم

---

[1] سفر التثنية، ٧/ ١- ٧.

[2] نفس المصدر، ٣٣ / ٥٥- ٥٦.

تفساح وكل ما بها وتخومها من ناحية ترصة لأنهم لم يفتحوا لها وشق جميع من بها من الحوامل"، ولا تخبوا نيران الحقد والكراهية طول الزمان وتعاقب الأجيال، بل تظل مشتعلة ومتأججة على من لم يحسن لآبائهم وأجدادهم فينتقمون منهم في بنيهم وأحفادهم "ولما ضرب كل بيت يربعام، لم يبق نسمة ليربعام، حتى أفناهم حسب كلام الرب الذي تكلم به عن يد عبده اخياء الشيلوني، لأجل خطايا يربعام، والتي جعل بها إسرائيل يخطى بإغاظته التي أغاظ بها الرب الإله إسرائيل"[1]. وفي نفس السفر يقول صموئيل النبي الذي أرسله الرب إلى الملك شاؤول " فهلم الآن واضرب عمالق وأبسل جميع ما لهم، ولا تعف عنهم بل اقتلوا الرجال والنساء والصبيان والرضع والبقر والغنم والإبل والحمي"[2] وأما سبب البلاء الذي حل بالعماليق، فتذكر التوراة أن سبب ذلك هو أن العمالقة كانوا قد اعترضوا آبائهم عندما خرجوا من مصر كما تقول نفس الفقرة "هكذا يقول رب الجنود قد افتقدت ما صنع عماليق بإسرائيل، وكيف وقفوا لهم في الطريق عند خروجهم من مصر"[3]. وفي خضم هذه الظروف فقد صنع ما درجوا عليه من الميل إلى سفك الدماء وعبادة الأموال وجمعها، فلم يلتزموا بوصية صموئيل، فبعد أن قضوا على شعب العماليق بالسيف، ابقوا على الملك ليساوموه كما ابقوا على الأغنياء من العماليق[4].

ومن المدن التي ابتليت بشرهم (أريحا) فقد أبادوا كل من في المدينة من الإنسان والحيوان، وأشعلوا النيران فيها، ولم يستثنوا منها سوى عاهرة وأهل بيتها بمساعدة جاسوسين لهم، وذلك بأمر من يشوع الذي خلف موسى في قيادة بني إسرائيل،

---

[1] سفر الملوك الأول، ١٥/٢٩- ٣١.

[2] اليهود في كتابهم المقدس، مرجع سابق، ص٤٧.

[3] روجيه جارودي، مرجع سابق، ص٩٠.

[4] سفر العدد، ٣١/١٤- ١٩.

وقد حكي سفر العدد أمر الرب لموسى بالانتقام من المدينيين قبل أن يموت، تنفيذا لوصية جاءت في آخر الإصحاح الخامس والعشرين، لمضايقة أهل مدين وضربهم لأنهم ضايقوا بني إسرائيل باحتيالاتهم التي احتالوا بها عليهم.

وفي معرض الحديث عن اليهود يقول والباحث الفرنسي روجيه غارودي مفندا أقوال التوراة ومبينا أن ما ورد في التوراة يذكي من روح الحقد والكراهية في نفوس اليهود: "إن هذه الآيات هي من صنع أولئك الذين يؤيدون أن يعلنوا إيمانهم برب لا يقهر رغم هزيمة شعبه، ونعطي مثلا واحد على هذا التلفيق لأساطير التوراة التاريخية وهو الاستيلاء على أريحا، فهذا الاستيلاء مختلق من أساسه، لان علم الآثار اثبت أن أريحا دمرت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، إذن لم تكن هذه المدينة موجودة في عهد يشوع "[1]. أما الإصحاح الحادي والثلاثين من سفر العدد، فيشير إلى انه بعد أن أمر الرب بالانتقام من مدين قبل أن يموت، انتدب موسى من كل سبط ألف محارب لقتل واستئصال أهل مدين كما قتلوا بلعام بن باعور وهو العراف الذي باركهم ولم يلعنهم خلافا لأمر بالاقر ملك مؤاب، وسبا بني إسرائيل نساء مدين وأطفالهم، ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم، وجميع حصنهم بالنار، واتوا إلى موسى واليعازر والكاهن والى جماعة بني إسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة.

وتعبر التوراة عن ذلك: " فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب، وقال لهم: هل أبقيتم كل أنثى حية، إن هؤلاء كن لبني إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرب فكان الوباء في جماعة الرب، فالآن اقتلوا ا كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر

---

[1] روجيه غارودي، ملف إسرائيل، ص٩٠

فاقتلوها، لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات[1].

وكانت الغنائم كثيرة منها ووزع النصف على المحاربين واثنين في المئة على الحراس ومما حكاه الإصحاح أن رؤساء الجيش ذهبوا إلى موسى فقالوا له: انه لم يفقد من رجال الحرب احد، وأنهم قرروا لذلك أن يقدموا ما دخل اليد كل واحد منهم من أدوات ذهبية تقدمة وكفارة للرب فبلغ وزن ذلك ١٦٧٥٠ مثقالا من الذهب فأخذها موسى وادخلها في خزائن الرب.

ولا شك في أن هذه العملية فيما لو كانت واقعية، فإنها عجيبة وظالمة وشديدة القسوة في أسبابها وفي كيفيتها وهذا النوع من العمليات قد تكرر كثيرا على صفحات التوراة، وخاصة في سفر يشوع وما بعده وما يستحق الذكر في هذا السياق أن مدين كانت الملجأ الذي لجأ إليه موسى عليه السلام، وكانت زوجته الأولى بنت النبي شعيب من أهله[2].

وقد ذكرت بعض إصحاحات سفري الخروج والعدد من خبر قدوم كاهني مدين الأب ثم الابن على موسى، وسرورهما وترحيبهما بنجاته ونجاة بني إسرائيل، ولم تتحدث أسفار التوراة سبب تبدل حالة الصداقة أو السلم إلى حالة العداء، خاصة وان الذريعة التي تذرع بها لغزو المدينيين والفتك بهم، وسلبهم وسبيهم وتدمير مدنهم بقسوة بالغة، إنما كانت أعذارا واهية وفردية. وأمثال هذه القصص غير معتبرة عند المسلمين وذلك لأن المسلمين ينزهون الله سبحانه وتعالى عن الأمر بها، وينزهون نبي الله موسى عليه السلام من هذه الجريمة التي نسبت إليه ظلما وبهتانا

---

[1] سفر العدد، ١٤/٣١- ١٩ .٢٠.

[2] القتل عقيدة يهوه وأتباعه، مرجع سابق، ص١٠٧.

ويعتبرون أن نسبتها إليه دليلا قاطعا على تلفيق الأساطير والقصص التوراتية من قبل الحاخامات والأحبار. وتدل هذه القصص والأساطير على مدى الحقد والغل الذي تكنه نفوس بني إسرائيل وكراهية تجاه غيرهم حتى ولو لم يكن بينهم حالة عداء، فنسبة مثل هذه الأمور إلى الله وتسجيل سخط موسى على الرسول لاستبقاء الأطفال والنساء فيه قسوة وبشاعة بالغة، ويدل على أن الهدف من رواية هذه الأسطورة وما شابهها هو تأصيل فكرة القسوة والعنف في نفوس بني إسرائيل، واليهود كما هو معروف تاريخيا على عداء مع الشعوب الأخرى، وفي قتلهم بلعام بن يعورا مظهر من مظاهر روحهم الجاحدة القادرة، حيث أنستهم ما كان من مخالفته لأمر ملكه ومباركته لهم بدلا من لعنهم، وفي تسجيل قتله أيضا تأصيل لروح الجحود والغدر فيهم ضد من يحسن إليهم[1].

وفي ذلك كله دلالة واضحة على التعطش التاريخي اليهودي للدماء، والتملك والسيطرة واستعباد الناس، والأنكى من كل ذلك دعواهم أنهم مأمورون بذلك... ولقد طبقوا تلك التعاليم الزائفة الواردة في التوراة المحرفة عن ابادة أهل الأرض التي زعموا أن الرب أورثهم إياها، تطبيقا لا هوادة فيه منذ دخولهم ارض فلسطين كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، فإذا حلو بقرية وافلت أهلها من الفناء التام فلعجز الإسرائيليين عن بلوغ مآربهم[2].

ويتحدث سفر يشوع وهو فتى موسى عليه السلام وخليفته وأحق الناس برعايته ما ورث عن نبي الله من العدالة والعلم والحلم حتى ليجري على يديه من المعجزات بعض ما جرى مثله على يدي موسى، ولكن الصورة التي يتحدث عنها

---

[1] نفس المرجع، ص١٠٩.

[2] القتل عقيدة يهوه وأتباعه، مرجع سابق ، ص١١٠ .

كتاب التوراة مخالفة لذلك، حيث لا ترى في سيرته إلا قتلا وحرقا وتدميراً واستئصالاً.

وكثيراً ما نجد أمثال العبارة الآتية: "لم يبقي منهم باقيا" في ختام الحديث عن كل مدينة دخلوها، ومثال ذلك: "وضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت، وأما ملك عاي فامسكوه حيا وتقدموا به إلى يشوع. و لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا، فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفا جميع أهل عاي.. ولم يرد يشوع يده بالحربة التي مدها حتى حرم جميع سكان عاي.

ولكن البهائم وغنيمه تلك المدينة نهبها إسرائيل لأنفسهم حسب قول الرب الذي أمر به يشوع واحرق يشوع عاي وجعلها تلالا أبدية خرابا إلى هذا اليوم وملك عاي علقه على الخشبة إلى وقت المساء [1]. وقد تكررت هذه الواقعة في نفس السفر عندما سيطر على مدينة مقيدة حيث "اخذ يسوع مقيدة في ذلك اليوم وضربها بحد السيف وحرم ملكها هو وكل نفس بها. لم يبقى شاردا وفعل بملك مقيدة كما فعل بملك أريحا" [2].

وتتكرر هذه الصورة في مدينه لبنه "وحارب لبنه فدفعها الرب هي أيضا بيد إسرائيل مع ملكها فضربها بحد السيف وكل نفس بها، لم يبق فيها شاردا وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا"، ثم " اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لبنه إلى لخيش ونزل عليها وحاربها فدفع الرب لخيش بيد إسرائيل، فأخذها في اليوم الثاني وضربها بحد السيف، وكل نفس بها حسب ما فعله بلبنه، حينئذ صعد هوارم ملك

---

[1] سفر يشوع، ٢٨/٨- ٢٩.

[2] نفس المصدر، ٢٨/١٠- ٢٩

جازر لإعانة لخيش وضربه يشوع مع شعبه حتى لم يبق له شاردا "(1).

وعبر سفر يشوع عن ذلك بقوله : " واجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لخيش إلى علجون فنزلوا عليها وحاربوها ، وأخذوها في ذلك اليوم وضربوها بحد السيف ، وحرم كل نفس بها في ذلك اليوم حسب ما فعل بلخيش ثم صعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون ، وحاربوها وأخذوها وضربوها بحد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها ولم يبق شاردا حسب كل ما فعل بعجلون فحرمها وكل نفس بها ثم رجع يشوع وكل إسرائيل معه إلى دبير ، وحاربها وأخذها مع ملكها ، وكل مدنها وضربها بحد السيف ، وحرموا كل نفس بها. لم يبقى شاردا ، كما فعل بحبرون مع ملكها ، كذلك فعل بدبير وملكها وكما فعل بلبنة وملكها "(2).

ثم رجع يشوع في ذلك الوقت واخذ حاصور وضرب ملكها بالسيف لان حاصور كان قبل راس جميع تلك الممالك ، وضربوا كل نفس بها بحد السيف. حرموهم ولم تبق نسمة واحرق حاصور بالنار "(3). وأما " الرجال فضربوهم جميعا بحد السيف حتى أبادوهم لم يبقوا نسمة "(4). والغريب في الأمر أن يشوع وموسى خلال حروبهم العنيفة هذه التي تميزت بالقسوة الفظيعة ، لم يأسروا مقاتلا واحدا ، بل لم تتحدث التوراة عن أسرى إنما تحدثت عن قتل الرجال ، اللهم إلا أولئك الذين سلموا أنفسهم ليشوع بعد أن حلفوا أنهم يسكنون بعيدا فحولهم يشوع إلى عبيد يخدموا بني إسرائيل في بيوتهم ، واعل اسرائيل اعتمدت على سفر يشوع في

---

(1) نفس المصدر ، ١٠/٣٠- ٣١. سفر يشوع ، ٢٨/٨- ٢٩.

(1) نفس المصدر ، ٢٨/١٠

(2) سفر يشوع ، ٣٢/١٠- ٣٣

(3) نفس المصدر ، ١٠ / ٣٤ – ٤٢.

(4) نفس المصدر ، ١١/ ١٠ – ١٣.

تبرير المجازر التي ارتكبتها ضد الأسرى العرب، وخاصة المصريين خلال حرب ١٩٥٦ حيث اعترف القادة الإسرائيليون بأقدامهم على إعدام العشرات من المقاتلين والجنود المصريين بعد أن استسلموا لهم ثم عمدوا إلى دفنهم في مقابر جماعية في سيناء .

وقد تكرر موضوع إعدام الأسرى في عام ١٩٦٧م وكذلك ١٩٨٢م عندما غزت القوات الإسرائيلية الأراضي اللبنانية، ووصلت إلى بيروت، وقد يتبادر إلى الأذهان أن بني إسرائيل امتلكوا فلسطين أو بعضا منها واستراحوا إلى وجودهم بها، إلا أن ما ورد في بداية الإصحاح الثالث عشر من سفر يشوع يقول غير ذلك فقد جاء فيه : " وشاخ يشوع وتقدم في الأيام. وقال له الرب أنت قد شخت. تقدمت في الأيام وقد بقيت ارض كثيرة جدا للامتلاك. هذه هي الأرض الباقية كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشيوريين من الشيخور الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون شمالا .... "[1].

ويموت يشوع والأرض التي قرروا أن يسلبوها كثيرة وباقية، ويمضي خلفاء يشوع كما مضى قسوة وفتكا وتعطشا إلى الدماء ولكنهم لم يصلوا إلى بغيتهم في ابادة السكان الأساسيين ليقيموا في ارض أعدائهم مطمئنين"[2] لكن يبقى سفر يشوع المرجعية الأساسية للحاخامية العسكرية الإسرائيلية في شن الحروب وارتكاب المجازر ضد العرب من الفلسطينيين واللبنانيين وغيرهم ودماء ضحايا مجزرة قانا موطن معجزات السيد المسيح عليه السلام لازلت عالقة في الأذهان، وكذلك ضحايا صبرا وشاتيلا في بيروت.

وكذلك يعد هذا السفر المرجع الأساسي لمناهج التربية اليهودية، حيث تأتي مادة

---

[1] نفس المصدر، ١١/ ١٠ – ١٣.

[2] كمال أحمد، مرجع سابق ، ص٥٦ .

التاريخ لتربط النصوص الدينية والتربوية بمعارك اليهود في التاريخ القديم ويتخذ الماضي رمزا للحاضر. ويلقن الطالب في المدارس اليهودية كل ما لقيه اليهود من اضطهاد الاضطهاد في أسبانيا وروسيا القيصرية وألمانيا النازية، فيشحن وجدانه بالعاطفة الجارفة ويصبح مستعدا للتنشئة الدموية وبالتالي استساغة القتل والوحشية الدموية. وقد قام العالم الأمريكي السيكولوجي جورج تاماران وكان أستاذا في جامعة تل أبيب خلال خمسينيات القرن الماضي بتجربة تبين أثر هذه التنشئة في نفسية الطالب اليهودي فقد وزع تاماران على أكثر من ألف تلميذ يهودي ابتداء من الصف الرابع الابتدائي إلى الصف الثامن حيث - تدخل دراسة سفر يشوع بالمناهج ومنه بالضبط حكاية تدمير أريحا على يد يشوع - استمارات تسأل التلاميذ السؤال التالي: لنفترض أن الجيش الإسرائيلي احتل قرية عربية في الحرب فهل يفعل مع أهلها ما فعله يشوع مع أهل أريحا ؟ وتراوحت الإجابات بنعم ما بين " ٣٠- ٦٠٪ " حسب الدراسة.

وكشف تاماران من خلال هذا الاستطلاع عن الوجه الحقيقي للمجتمع الإسرائيلي لذلك طرد من الجامعة [1]. وتزداد الروايات التوراتية غلظة وقسوة عندما يصلون عند الحديث عن حياة داود عليه السلام حيث كثرة المعارك بين اليهود وغيرهم مع الأساليب الوحشية التي يفخر كتابهم بنسبها إلى داود عليه السلام مثل تقطيع الشعوب بالمناشير أو الفؤوس فقد جاء في سفر أخبار الأيام الأولى عن قتال بني عمون ومدينتهم: " واخرج الشعب الذين بها ونشرهم بمناشير ونوارج حديد وفؤوس وهكذا صنع داود لكل مدن بني عمون [2].

---

[1] القتل عقيدة يهوه وأتباعه، مرجع سابق، ص١١٢

[2] سفر أخبار الأيام الأول، ٣/٢٠.

ثم بعد ذلك تتحدث التوراة عن الحروب التي كانت فيما بعد مع الفلسطينيين، وظلت الحروب مشتعلة لا تكاد تنتهي موقعة حتى تبدأ غيرها، وقد جاء في الإصحاح الحادي والعشرين من سفر صموئيل الثاني تسجيل لبعض الحروب التي وقعت في أواخر عهد داود عليه السلام.

وفي سفر القضاة وردة حرب اليهود ضد سكان يابيش وجلعاد حيث "أرسلت الجماعة إلى هنالك اثني عشر ألف رجل من بني الياس وأوصوهم قائلين: " اذهبوا واضربوا سكان يابيش جلعاد بحد السيف مع النساء والأطفال وهذا ما تعملونه. تحرمون كل ذكر وكل امرأة عرفت اضطجاع ذكر فوجدوا من سكان ابيش جلعاد ٤٠٠ فتاه عذارى لم يعرفن رجلا بالاضطجاع مع ذكر وجاءوا بهن إلى المحلة إلى شيلوة في ارض كنعان"[١].

وقد روى سفر أستير نموذجا مختلفا للعنف وذلك بالحيلة والخداع حيث كانت أستير هذه عاهرة لعوبا دفعت إلى قصر الملك الفارسي احشويروش لتهد أركانه، وتجعله ألعوبة في يدها تنفذ من خلاله رغبات اليهود الدموية آنذاك. وقد بلغ تقدير اليهود لهذه الشخصية التي لم تكن سوى عاهرة تمكنت من قلب الملك الفارسي الطائش بان خصصوا لها سفرا كاملا في التوراة ويذكر التاريخ أن نبو خذ نصر سبى اليهود وهدم الهيكل في سنة ٥٨٦ ق.م بعد أن غزا القدس وبعد أن تسرب الكثير من اليهود إلى الإمبراطورية الفارسية وتسللوا إلى القصر الإمبراطوري الفارسي، وذلك في عهد الإمبراطور الضعيف أحشو يروش بزعامة الحاخام مردخاي وكانوا في هذه الأثناء يدعون الصبية الحسناء أستير لتكون ملكة الجمال شكلا[٢].

---

[١] سفر القضاة، ٢١/١٠- ١٢.

[٢] الفضيحة والمؤامرة، مرجع سابق، ص١٤٣.

وكانت عناصر المؤامرة تقتضي أن تحل أستير هذه محل الملكة الفارسية (وشني) وان تحتل قلب الإمبراطور بفتنتها ودلالها بما اكتسبته من خبرة في عملها السابق كعاهرة لكي تتمكن من تنفيذ المخطط اليهودي القاضي بإبادة آباء اليهود ومبغضيهم في الإمبراطورية وبالتالي السيطرة عليها وعلى رأسهم هامان العماليقي، والعودة من ثم لاحتلال فلسطين والسيطرة عليها.

وتمكن مردخاي من إقناع الامبرطور أحشو يروش بان زوجته تخونه مع عبد لها، ودون تحقيق في الأمر قتل الملكة والعبد وبذلك أنجزت المرحلة الأولى من المؤامرة، وفي المرحلة الثانية أقام اليهود في مدائن الفرس ما يشبه في أيامنا هذه مسابقة لاختيار ملكة جمال البلاد وكن من شروط نجاح المتسابقة أن تكون مثقفة ومتعلمة وجميلة.

وكانت أستير قد اكتسبت خبرة وعلما واسعا من اختلاطها برجال عصرها مما أهلها إلى أن تصبح ملكة جمال فارس، ودفعت إلى قصر الإمبراطور بواسطة مورداخي ثم إلى مجلسه لتلفت نظره بجاملها وفتنتها فتهبه جسدها في لمرات عدة ثم تعلم بذلك مورداخي الذي يأخذ بدوره طرف الخيط ويشيع الفضيحة في البلاط ثم في أرجاء الإمبراطورية، وخوفا من تفاقم الفضيحة يقرر الإمبراطور الزواج منها ليصبح بذلك ألعوبة في يدها، وبالتالي بيد اليهود الذين تسربوا إلى البلاط وسيطروا على مراكز صنع القرار فيه مما جعل هذا الإمبراطور اضعف ملك تشهده فارس في تاريخها[1].

وقد جاء في الإصحاح السابع من سفر استير في التوراة: أن الملك احشوروش قال لاستير تحت الفضيحة المدوية: " ما هو سؤالك يا أستير الملكة فيعطى لك وما هي طلباتك ولو إلى نصف المملكة تقضي . فأجابت أستير الملكة وقالت: إن كنت قد

---

[1] القتل عقيدة يهوه وأتباعه، مرجع سابق، ص١١٤.

وجدت نعمة في عينيك أيها الملك وإذا حسن عند الملك فلتعط لي نفسي بسؤلي وشعبي يطلبني، لأننا قد بعنا أنا وشعبي للهلاك والقتل والابادة، فتكلم الملك احشويوروش وقال لأستير: من هو وأين هو هذا الذي يتجاسر على أن يعمل هكذا ؟ فقالت أستير: هو رجل خصم وعدو هذا هامان الرديئ، ولما خرجت الكلمة من فم الملك غطوا وجه هامان، فقال واحد من الخصيان الذين بين يدي الملك: هو ذا الخشبة أيضا التي عملها هامان لمردخاي الذي تكلم بالخير نحو الملك قائمة في بيت هامان ارتفاعها خمسون ذراعا فقال الملك. اصلبوه عليها فصلبوا هامان على الخشبة"[1].

وتتابع فصول المؤامرة الهادفة إلى إسقاط احشويروش في حبائلها حيث دفعت الملك طاخ خاتم هامان وزيرة إلى مردخاي وفي اللحظة التي كان فيها مخمورا طلبت أستير إليه أن يزيل الشر عن أفراد اليهود الموجودين في المملكة، فقال الملك مخاطبا أستير ومردخاي: اكتبا أنتما إلى اليهود ما يحسن في أعينكما باسم الملك واختماه بخاتم الملك فكتبوا رسائل إلى جميع الولاة طالبين أن يمكنوا اليهود من أعدائهم " أن يجتمعوا ويقفوا لأجل أنفسهم ويهلكوا ويقتلوا ويبيدوا كل شعب وقف ضدهم حتى الأطفال والنساء وان يسلبوا غنيمتهم "[2].

---

[1] القتل عقيدة يهوه وأتباعه، مرجع سابق، ص١١٤.

[2] سفر أستير، ٧/٢- ١٠.

المبحث الثاني

العنف والإرهاب

في التصور التلمودي

يتضمن التلمود توجيهات اجتماعية وأخلاقية تزيد من مشاعر العنف والعنصرية، وبالتالي تؤجج روح العنف في المجتمع اليهودي ومن ذلك: أن التلمود يحصر صلة القرابة بين اليهود أنفسهم فقريب اليهودي هو اليهودي فقط، أما باقي الناس فلا وزن ولا قيمة لهم بل يجب بغضهم بصورة سرية والعمل على إفنائهم وقتلهم. والقاعدة الأساسية في التلمود والذي يعتبره اليهود أكثر قدسية من التوراة، ويعتبرون كتبته أعلى منزلة من الأحبار والحاخامات، بل إنهم يتساوون في المنزلة مع الأنبياء الملائكة، بل إن اليهود يضعون كتبة التلمود في درجة تعادل درجة الألوهية ذاتها، فقد جاء في التلمود أن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، فإذا ضرب أمي إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية.

ويعتقد اليهود بأقوال حاخاماتهم والتي منها أن اليهودي جزء من الله، كما أن الابن جزء من أبيه، ولذلك ذكر في التلمود انه إذا ضرب أمي إسرائيلي فالأمي يستحق الموت، وانه لو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض، ولما خلقت الأمطار والشمس، ولما أمكن لباقي المخلوقات أن تعيش، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان في العرف التلمودي هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب لا يستثنى منها احد سواء كان مسيحيا أو مسلما أو وثنيا.

وقد جاء في تلمود أورشليم الصفحة الرابعة والتسعين: " أن النطفة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجية عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان، ويقول الرابي كر وفير في التلمود لا فرق بين الأجنبي والخارج عن دين اليهود، والغريب هو الذي لا

يختن ولا فرق بينه وبين الوثني[1] وقد ذكر التلمود أن الكلب أفضل من الأجانب، لأنه مصرح لليهودي أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجانب، وليس مصرح له أيضا أن يعطيه لحما.... بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم[2]. والأمم الخارجة عن دين اليهود ليست فقط كلابا بل حمير أيضا وقال الحاخام اباريائيل "الشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير". أما لماذا هم من الحيوانات على هيئة بشر فيقول الحاخام ابارابائيل: " المرأة غير اليهودية هي من الحيوانات وخلق الله الأجنبي على هيئة إنسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذي خلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لا يناسب لأمير أن يخدمهن ليلا ونهارا حيوان وهو على صورته الحيوانية، كلا ثم كلا فان ذلك منافي للذوق والإنسانية فإذا مات خادم ليهودي أو خادمة وكانا من المسيحيين، فلست مرغما أن تقدم له التعازي بصفة كونه فقط إنسانا.... ولكن بصفة كونه فقط حيوانا من الحيوانات المسخرة له" [3].

وتتطور دعوة التلمود العنصرية هذه إلى دعوة لابادة الشعوب والأمم الخارجة عن اليهودية بعد أن يؤكد أن الوثني هو الذي لا يتهود، والمسيحي هو الذي يبقى على دين المسيح لذا فهو عدوا الله، وبالتالي عدوا اليهود ولا يصح أن تستخدم معه الرأفة أو الشفقة، لان غضب الله موجه إليه. ويؤكد ذلك التلمود فقد جاء فيه: "غير جائز أن تشفقوا على ذي جنة " فيما قال الرابي جرسون: " ليس من الموافق أن الرجل الصالح تأخذه الشفقة على الشرير" وقال الحاخام اباراتيل: " ليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم "[4].

---

[1] الكنز المرصود في قواعد التلمود، مرجع سابق، ص٧٣.

[2] القتل عقيدة يهوه، مرجع سابق، ص١١٧.

[3] الكنز المرصود، مرجع سابق، ص٧٥.

[4] نفس المرجع، ص٧٦.

ويقول الرابي اليعازر: " يتميز اليهودي عن باقي الأمم بأفعاله الصالحة كما يتميز المغربي عن باقي الأمم بشكله وزيه "[1]. ولما كان اليهود يعتبرون أنفسهم على درجة مساوية للعزة الإلهية فالدنيا حينئذ بكل ما فيها من ممتلكاتهم، ولهم عليها حق التسلط ، ويصرح التلمود بذلك بقوله: " إذا نطح ثور يهودي ثور أمي فلا يلتزم اليهودي بشئ من الأضرار، ولكن إذا كان الأمر بالعكس يلتزم الأمي بجميع قيمة الضرر الذي حصل لليهودي، وذلك لأنه ذكر في التوراة أن الله سلط اليهود على الأجانب لما نظر أن أولاد نوح لم يحافظوا على الوصايا السبع المعطاة لهم فاخذ أموالهم وسلبها لليهود"[2].

وأولاد نوح حسب معتقدات التلمود هم الخارجون عن الدين اليهودي، أما اليهود فهم أولاد إبراهيم كما يقول الرابي ألبو في التلمود: "سلط الله اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم ويوضح التلمود ذلك بقوله: " إذا سرق أولاد نوح شيئا ولو كانت قيمته طفيفة جدا يستحقون القتل لأنهم قد خالفوا الوصايا التي أعطاها الله لهم، وأما اليهود فمصرح لهم أن يسرقوا ألامي، لأنه جاء في الوصايا لا تسرق مال القريب وفي هذا السياق يضرب الرابي عشي في التلمود مثالا لذلك ويقول: " إني نظرت كرما حاملا عنبا فأمرت خادمي أن يستحضر لي منه إذا ظهر انه عائد لأجنبي وان لا يمسه إذا ظهر انه عائد يهودي "[3]. وبناء على ما تقدم من أقوال فان الدنيا لا تزيد عن كونها من ممتلكات اليهود وعليه فلهم الحق في أخذها، والسرقة من الأجانب ليست سرقة، إنما استردادا لأموالهم التي يظنون أنها مغصوبة، وبناء عليه فلهم اختيار الطريقة التي يمكن من خلالها استرداد تلك الأموال ولو كانت

---

(1) نفس المرجع، ص٧٧.

(2) نفس المرجع، ص٧٩.

(3) الكنز المرصود، مرجع سابق، ص٩٢.

سرقة أو غير ذلك من الطرق التي يرونها مناسبة فالغاية عندهم تبرر الوسيلة.

ومن الملفت للنظر أن التلمود يهتم بالمسيحيين ويعتبرهم كغيرهم من الأمم الأخرى فيقول الرابي ففنكرف: " أموال المسيحيين مباحة عند اليهود كالأموال المتروكة أو كرمال البحر، فأول من يضع يده عليها يمتلكها[1]. ولا شك في أن التسلط الذي يمنحه التلمود لليهود على باقي الأمم يبرر لهم ارتكاب الجرائم بحقهم لدرجة الابادة حيث جاء في التلمود: " غير مصرح للكاهن أن يبارك للشعب باليد التي قتل فيها شخصا ولو حصل القتل خطأ أو ندم الكاهن بعد ذلك " [2]. وقد ذهب الحاخام شارة إلى ذلك فقال: " انه يمكن أن يبارك الشعب بتلك اليد إذا كان المقتول غير يهودي ولو حصل بقصد وسبق إصرار "[3].

ويستخلص مما سبق أن قتل غير اليهودي لا يعد جريمة في العرف التلمودي بل يعد قربة إلى الله. ودعوة التلمود إلى قتل كل من هو غير يهودي هي السمة الغالبة على فصول وصفحات كتاب التلمود ومن أقوال التلمود التي تشجع على قتل غير اليهود: " إن لحم الاميين لحم حمير ونطفتهم نطفة حيوانات غير ناطقة أما اليهود فإنهم تطهروا على طور سيناء، والأجانب تلازمهم النجاسة لثالث درجة من نسلهم، لذلك امرنا بإهلاك من كان غير يهودي"[4]. ويحث التلمود اليهود في كل صفحة من صفحاته عل قتل غير اليهود فيقول آمرا اليهود: " اقتل الصالح من غير الإسرائيليين ومحرم على اليهودي أن ينجي احد من باقي الأمم من هلاك أو يخرجه

---

[1] الكنز المرصود، مرجع سابق، ص٩٢.

[2] نفس المرجع، ص٩٢.

[3] نفس المرجع، ص٩٣.

[4] نفس المرجع، ص٩٤.

من حفرة يقع فيها لأنه بذلك يكون قد حفظ حياة احد الوثنيين) [1]. وقال ميم وند: " الشفقة ممنوعة بالنسبة للوثني فإذا رايته واقعا في نهر أو مهدد بخطر، فيحرم عليك أن تنقذه لان الشعوب السبعة التي كانت في ارض كنعان والمراد ابادتهم وقتلهم من قبل اليهود، لم يقتلوا عن آخرهم بل هرب بعضهم واختلط بباقي أمم الأرض، ولذلك يجب قتل الأجنبي لأنه من المحتمل أن يكون من نسل الشعوب السبعة، وعلى اليهودي أن يقتل من تمكن من قتله فإذا لم يفعل ذلك يخالف الشرع) [2].

وبناء على ما تقدم فان قتل الأجنبي في التلمود من الفضائل المحبذة بالنسبة للرب ويوضح التلمود ذلك بقوله: " إذا قصد يهودي قتل حيوان فقتل شخصا خطا أو أراد قتل وثني أو أجنبي فقتل يهودي فخطيئته مغفورة ملاحظة للقصد) [3] ومن المعرف أن قتل اليهودي جريمة لا تغتفر أيضا: ومن أقوال التلمود في هذا الصدد:" من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر لأنه من يسفك دم الكافر قربانا إلى الله "[4].

ويعرف التلمود الكفار بقوله: "إن الكفار كما قال الحاخام اليعازر هم يسوع المسيح ومن اتبعه". ويقول الرابي يهوذكيا: " إن هذه اللفظة تشمل الوثنيين على العموم" ومن الواجب في التلمود قتل كل من يخرج عن دينه وخصوصا النصارى لان قتلهم من الأفعال التي يكافئ عليها الله وإذا لم يتمكن اليهودي من قتلهم فالواجب عليه أن يتسبب في هلاكهم في أي وقت أو على أي وجه كان، ويعدون ذلك من العدالة، لأن التسلط على بني إسرائيل سيدوم مادام واحد من هؤلاء الكفار فلذلك جاء إن من يقتل مسيحيا أو أجنبيا أو وثنيا يكافئ بالخلود في الفردوس

---

[1] نفس المرجع، ص٩٤.

[2] الكنز المرصود، مرجع سابق، ص٧٧.

[3] نفس المرجع، ص٧٧.

[4] نفس المرجع، ص٧٨.

والجلوس هنالك في السراي الرابعة، أما من قتل يهوديا فكأنه قتل العالم اجمع، ومن تسبب في خلاص يهودي فكأنه خلص الدنيا بأسرها " [1].

وامتثالا لأوامر التلمود فقد سعى يهود العالم إلى تخليص قتلة الأب توما في دمشق خلال القرن الماضي، وكذلك فقد تسبب الحاخامات في روما في قتل عدد كبير من النصارى حيث يذكر كتاب "سد رخا دورت" وهو كتاب يحتوي شروحا حديثة للتلمود إن " الحاخام الرباني يهوذا كان محبوبا لدى الإمبراطور انطونين ليبو، واطلع على حيل الناصريين قائلا له إنهم سبب وجود الأمراض المعدية. وبناء على ذلك استطاع انتزاع أمر بقتل كل هؤلاء الناصريين الذين كانوا يسكنون روما سنة ٣١١٥ أي في سنة ١٥٥ بعد ميلاد المسيح)، كما جاء في الكتاب نفسه إن (الإمبراطور مارك أويل قتل جميع الناصرين بناء على وشاية من اليهود "، وجاء أيضا انه " في سنة ٣٩٧٤ في سنة ٢١٤ بعد ميلاد السيد المسيح قتل اليهود ٢٠٠ ألف مسيحي في روما وكل نصارى قبرص [2]. وقد ذكر كتاب (سفر يوكاسين) المطبوع في أمستردام سنة ١٧١٧م في الصفحة "١٠٨" انه في زمن البابا كليمان قتل اليهود في روما وخارجها جملة من النصارى كرمال البحر. وانه بناء على رغبة اليهود قتل الإمبراطور ديوكليسين جملة من المسيحين ومن ضمنهم البابوات كليس ومرسلينوس وكاييس واخة وزا" [3].

ويذكر أن اليهود كانوا مقربين من الإمبراطور نيرون لذلك سعوا لديه في إهلاك أهل روما عبر حرق المدينة وذلك عندما أكدوا له أن المسيحيين في المدينة يحاولون قلب حكمه وقتله، وينظر اليهود إلى المسيحيين على أنهم شعب يجب التخلص منهم

---

[1] نفس المرجع، ص٩٣.

[2] الكنز المرصود، مرجع سابق، ص٩٣.

[3] نفس المرجع، ص٩٣.

وقتلهم، حيث يستطيع اليهود بهلاكهم التحرر من الأسر الرابع لذلك " على كل يهودي أن يبذل كل ما في وسعه لتحطيم هذه الإمبراطورية العاقة غير التقية الخاصة بالايدومين التي تحكم العالم بأسره " وبناء على ما تقدم فان اليهود يعتقدون أن أموال الأجنبي وحياته ملك خاص لليهودي ويعبر عن ذلك التلمود: " إن حياة المسيحي وجميع قواه الجسدية هي ملك لليهودي "[1].

وحتى لا تصل هذه التعليمات المتطرفة والإرهابية إلى الأجانب، لكي لا يأخذوا حذرهم فان التلمود أمر أتباعه بقتل كل من يدرس قانون إسرائيل أي التلمود أو التوراة، ويعبر عن ذلك الرابي جو ناشان بقوله: " الغوي الذي يتقمص بفضول القانون مجرم يستحق الموت". ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد بل إن الدعوة إلى القتل تطال اليهود والذين لا يقتنعون بالتوراة أو التلمود، إذ يقول شوشين هام يشيان في التلمود: " اليهود الذين يصبحون ابيقوريين وينحرفون إلى عبادة النجوم والكواكب ويأثمون بخبث ومكر، وكذلك الذين يأكلون لحم الحيوانات الجارحة، أو الذين يرتدون الثياب هزؤا وبغير احترام يستحقون اسم ابيقوريين، علاوة على كل أولئك الذين ينكرون التوراة وأنبياء إسرائيل "[2].

ومن أقوال التلمود التي تؤجج من روح القتل والإرهاب في نفوس اليهود ضد الأمم الأخرى: " إن الجميع يجب قتلهم وعلى الذين بيدهم زمام الحياة والموت قتلهم وإذا لم يكن ذلك بالا مكان يجب تقديمهم إلى الموت بطرق مخادعة"[3]. وقد قدم الرابي ابن ميمون قائمة ذكر فيها أصناف الناس الذين ينكرون قانون التوراة

---

[1] فضح التلمود، مرجع سابق، ص١٢٤.

[2] القانون: هو التلمود ويعتبره اليهود القانون الشفهي الذي تلقاه موسى عليه السلام في جبل الطور.

[3] فضح التلمود ، مرجع سابق ، ص١٤٢ .

ويخالفون قواعده وأحكامه وقد صنفهم على النحو الآتي[1]:

١- أولئك الذين يقولون أن التوراة ليست من إلله ، بل هي من تأليف موسى عليه السلام .

٢- الذين يرفضون شرح التوراة أي القانون الشفوي للمشنا ولا يسلمون بسلطة علماء القانون كاتباع تسادوك أي الصدوقيون والباثيوس .

٣- الذين يقولون إن الله غير القانون بقانون آخر جديد وان التوراة لم تعد لها أي قيمة على الرغم من أنهم لا ينكرون بأنه منحة من الله حسب معتقدات المسيحيين والمسلمين كل هؤلاء ينكرونه قانون التوراة.

وقد يتساءل البعض لماذا كان التركيز على المسيحيين أكثر من المسلمين في التوراة ؟ والإجابة على ذلك أن التوراة عندما كتبت كانت المسيحية هي الديانة الوحيد التي تنافس اليهودية لليهودية ولم يكن النبي محمد ﷺ قد بعث برسالة الإسلام.... فمن هنا كانت الدعوة إلى القتل تنحصر في المسيحيين والوثنيين دون الأمم الأخرى.

وقد أشار التلمود إلى ذلك بقوله: " سكان عالم الحياة القانية من المسيحيين والوثنيين مكتوب عليهم أن يبادوا عن وجه الأرض " ويدعو التلمود في كثير من وصاياه إلى قتل أمراء المسيحيين ويعبر عن ذلك بقوله: " ليمحو ذكر الأما ليكابش وهم أمراء رومان لأنه في ذلك الوقت كان اليهود يعتقدون انه إذا استمر هؤلاء الأمراء بالحياة، فان أمل تحرير اليهود يصبح عقيما، وصلواتهم من اجل الانعتاق تصبح غير مجدية [2]. ويشير التلمود إلى ذلك بقوله: " من المؤكد أن أمرنا لن يدوم ما لم نحطم أمراء الأغيار الذين يعبدون الأوثان" [3].

---

[1] نفس المرجع ، ص١٤٣ .

[2] نفس المرجع ، ص١٤٨ .

[3] فضح التلمود ، مرجع سابق ، ص١٤٤ .

ويرغب التلمود أيضا بقتل المسبحين وذلك من خلال الوعد بالجنة ويعبر عن ذلك بقوله : " في قصور الجنة الأربع يعيش أولئك الذين تفجعوا على صهيون والقدس وجميع الذين أبادوا شعوب الوثنية .. والذين قتلوا شعبا يعبد الأوثان ارتدوا أثوابا أرجوانية ليتميزوا بها ويفخروا "[1].

وبناء على وعود التلمود بالجنة لكل من يقتل مسيحيا فقد سعى المتشددون من اليهود إلى إراقة الدماء وقتل العزل حتى في دور العبادة، ومن ذلك ما فعله الإرهابي اليهودي باروخ غول اشتاين في شباط من عام ١٩٩٦م مجزرة في الحرم الإبراهيمي الشريف في مدينة الخليل ضد المصلين المسلمين أثناء تأدية صلاة الفجر، حيث قتل وجرح منهم العشرات بدم بارد وتحت سمع وبصر الجنود الاسرائيلين الموكول إليه حراسة المسجد، بل إنهم قدموا له كافة التسهيلات التي تمكنه من تنفيذ مخططه.

والمتتبع لطقوس اليهود في العبادة يجد أنهم يؤدون صلوات يومية تتخللها ترانيم تدعوا بصراحة لابادة المسيحيين بشكل خاص، وبقية الأمم الأخرى من غير اليهود بشكل عام حيث يقولون: " إن مسيحنا المنتظر هو من سينزل الكوارث والفواجع لغير اليهود "،ويعدد التلمود ثلاث كوارث ستحل بالعالم عندما يجئ المسيح المنتظر[2] فيقول: " كل من يأكل ثلاث وجبات في يوم السبت سوف ينجوا من ثلاث فواجع، من انتقام الميسيا، ومن قصاص جهنم، ومن حرب الماغوغ[3] . لأنه مكتوب لاحظوا سوف ابعث إليكم الياس النبي قبل مجئ الرب ".

ومن ترنيماتهم في صلواتهم أيضا: " صبوا جام غضبكم على الشعوب التي لا تميزكم وعلى الممالك التي لا تتوسل باسمكم وصبوا عظيم سخطكم عليها ودعوا

---

[1] فضح التلمود مرجع سابق ، ص١٤٦ .

[2] ويسمونه تمييزا عن السيد المسيح عليه السلام " الميسياه ".

[3] الماغوغ: هم أقوام يأجوج ومأجوج وهذه هو المشهور لدى اليهود.

حنقكم الغاضب يستولي عليها اضطهدوها بغضب وحطموها من تحت سموات الرب "كذلك يقولون في صلواتهم " كم ستبقى قوتك أسيرة وجمالك كامنا بيد المضطهد يا رب برهن من ألان فصاعدا عن مقدرتك وحميتك ضد أعدائنا.... حطم قوتهم والعنهم " ويقولون أيضا: " اقطع رجاء الظالم ودع جميع المهرطقين يهلكون في وقت واحد.... استأصل وهشم وحطم المملكة المغرورة... إنا نحثك على جعل جميع الشعوب خاضعة في أيامنا "[1].

ولا شك في أن مثل هذه الترنيمات تتضمن دعوة صريحة للقتل وإرهاب الأمم الأخرى وابادتهم، فمن هنا يمكن القول بأن الإرهاب هو أصيل في الفكر اليهودي بل انه فلسفتهم التي تحدد علاقاتهم بغيرهم من الأمم، فمثل هذا الفكر وهذه الفلسفة لم يعرفها الفكر الإنساني حتى أن الديانات غير السماوية لم تعرفها قط.

وأمام هذا الفكر الإرهابي المنحرف نجد أن الإسلام يأبى مثل هذا الفكر، بل يرفضه ويحاربه ويدعو إلى الحرية والمساواة بين الأمم والشعوب وميزان التفاضل بين الناس هو التقوى فيقول الرسول ﷺ: " الناس سواسية كأسنان المشط" [2]، ويقول كذلك :" لافرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى" [3] ، والتقوى هي أس الفضائل والتي إن تمكنت في الإنسان ساقته إلى طرق الخير والهداية ونأت به عن طرق الشر والغواية والإضرار بالآخرين .

ومقابل الإرهاب اليهودي ودعوتهم إلى قتل غير اليهود نجد أن الديانة النصرانية قد نأت بجانبها عن هذا كله بل إنها أغرقت في الروحانيات ودعت إلى التسامح مع الآخرين مهما كانت الخطيئة التي ارتكبت، ومثال ذلك ما يذكره المسيحيون في

---

[1] فضح التلمود، مرجع سابق، ص١٤٩ — ١٦٨.

[2] رواه البخاري ومسلم.

[3] رواه البخاري ومسلم.

صلاتهم يوم الجمعة الحزينة السابقة لعيد الفصح، حيث يصلي البابا ويأمر كل مسيحي العالم للصلاة من اجل المهرطقين وأولئك الضائعين من اليهود ويقول: "دعونا نصلي لليهود الخائنين الغادرين بطبعهم ليرفع الله ربنا الغشاوة عن قلوبهم حتى يسلموا بيسوع المسيح أيها العلي القدير والرب السرمدي، يا من لا تمنع رحمتك حتى عن القدر اليهودي، تقبل صلواتنا التي نرفعها من اجل عمى هذا الشعب ذلك إنهم بعد أن يميزوا نور الحق الذي هو المسيح قد يتخلون عن عميهم من خلال يسوع المسيح "[1].

ويغض النظر عن صحة أقوال المسيحيين إلا أن هذا النص يبين لنا مدى التسامح الذي أبداه النصارى تجاه اليهود الذين لا يكلون ولا يملون في الدعوة إلى قتل النصارى وابادتهم كما تحدث عن ذلك التلمود في النصوص السابقة، ولكن الشيء المثير للجدل أنه رغم العداء الذي يكنه اليهود للنصارى إلا أن اليمين المسيحي المتصهين لا زال يقدم كل العون والمساعد لليهود ويبذل نصارى أوروبا جهدا كبيرا في سبيل إرضاء اليهود.

ولما كان التلمود يزخر بالدعوة إلى القتل والتدمير والنهب والغش والخداع فان اليهود يبذلون جهودا كبيرة ليخفون تعاليم التلمود، وعلى الرغم من الحذر والحيطة الشديدين فقد تسربت هذه الأسرار إلى غيرهم من الأمم الأخرى، فكانت سببا في اضطهادهم وإثارة النقمة ضدهم[2]، ففي سنة ١٣٥٣م أمرا لبابا يوليوس الثالث بإحراق نسخ التلمود فاحرق الناس في مدن جل أهلها مسيحيون مثل برشلونة والبندقية وروما وجنوى وغيرها[3].

---

[1] فضح التلمود، مرجع سابق، ص١٥١.

[2] الدعاية الصهيونية، مرجع سابق، ص١٥٩.

[3] اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية، مرجع سابق، ص٦٠.

وكان البابا اينوسنتا عام ١٢٤٤م قد أصدر أمرا حرم على المسيحيين العمل عند اليهود وأوعز بإحراق التلمود برسالة موجهة جاء فيها: " إن ما يسميه اليهود تلمودا هو عندهم كتاب عظيم الأهمية، وهو يتضمن صراحة شتائم لله، ويحتوي على خليط وقصص وسوء تحريف وحماقات لم يسمع بمثلها، وقد فضح علماء كلية باريس هذا الكتاب فوجدوا فيه خرافات وترهات وافتراء لليهود احرقوها أمام الشعوب جميعا وأمام أرباب الكهنوت "[١].

المبحث الثالث
صور من
تاريخ الإرهاب اليهودي

الظاهرة الملازمة لحياة بني إسرائيل في سائر أطوار التاريخ ومراحله، أنهم حيث يكونون، يكون الشر والفساد، والفتن والمؤامرات. وإذا كان حكام إسرائيل يظنون أن الناس في العالم قد فقدوا ذاكرتهم فلم يعودوا يتذكرون ما شنه اليهود، عبر التاريخ من إرهاب وعدوان، فإنهم يكونون واهمون وحالمون، فالتاريخ هو ذاكرة الأمم، وألواح التاريخ حافلة بصور الإرهاب الذي أعلنه اليهود على سائر شعوب الأرض، وقد كتبت هذه الألواح بدماء هذه الشعوب التي سفكها اليهود بدون وجه حق، وظلما وعدوانا. وفي هذا المبحث سأتحدث عن الإرهاب اليهودي وذلك من خلال المطالب الآتية:

---

[١] فضح التلمود، مرجع سابق، ص١٥٢.

المطلب الأول
منظمات القتل اليهودية

استجابة لأوامر التلمود والتوراة الإجرامية عمد اليهود إلى تكوين منظمات تهدف في حقيقتها إلى خلق بؤر توتر في كل أنحاء العالم وذلك لتنفيذ مآربهم وأطماعهم فقاموا بإنشاء العديد من المنظمات المسلحة في العديد من دول العالم وخاصة في فلسطين حيث قامت هذه المنظمات بتنفيذ العديد من المجازر ومن أهم هذه المنظمات:

١ـ الهاغاناه:

تأسست فرقة الهاغاناة في عام ١٩٢٠م، وزاولت نشاطها الإجرامي في فلسطين إبان الانتداب البريطاني، وقد تجاوز عدد أعضائها في عام ١٩٣٩ م حوالي عشرين ألف عضو انتظموا في كتائب مسلحة مهمتها تنفيذ الأعمال الإرهابية ضد الفلسطينيين والبريطانيين وغيرهم [١]. ومن أهم ما قامت به من أعمال اغتيال الوسيط الدولي الكونت برنادوت وهو سويدي الجنسية جاء إلى فلسطين في محاولة للتوسط بين اليهود والعرب لحل القضية الفلسطينية فقتله أعضاء هذه المنظمة وكان ذلك في عام ١٩٤٧م.

٢ـ منظمة اتسل:

تأسست هذه المنظمة في عام ١٩٣٧ م، حيث كان أفرادها في بداية الأمر أضاء في منظمة الهاغاناة ثم انشقوا عنها فيما بعد، واتخذت لها شعارا يتمثل في يد تحمل بندقية، وقد شارك أعضاء هذه المنظمة في الأعمال العسكرية مع الجنود البريطانيين في الحرب العالمية أملا في كسب ود الإنجليز ومساعدتهم في احتلال فلسطين[٢].

---

[١] غازي السعدي، من ملفات الإرهاب الصهيوني، ص٣٠٥.

[٢] وجيه أبو ذكرى، الارهاب اليهودي، ص٤٠.

وقد قام أفراد هذه المنظمة بأعمال إرهابية عديدة كان من أهمها تفجير فندق الملك داوود، الذي نفذته فرقة تابعة لها، وكان قائد الوحدة التي نفذت هذه العملية إسحاق شامير رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق والذي أصبح فيما بعد على رأس الوفد الإسرائيلي في محادثات السلام في مدريد، وقد نفذت هذه العملية في عام ١٩٤٨ م.

٣ـ منظمة ليحي:

منظمة ليحي منظمة يهودية سرية زاولت نشاطها في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني، وأما مؤسسها فهو أبراهام اشتيرن بعد أن انشق عن منظمة استل، وكان ذلك في عام ١٩٤٠م، وقد قامت هذه المنظم بأعمال إرهابية متعددة كان من أبرزها القيام باغتيال المواطنين الفلسطينيين، وزرع العبوات الناسفة في أماكن تجمعهم، وخاصة في المقاهي حيث ذهب ضحية هذه العمليات عشرات القتلى والجرحى[١].

ولم يكن لتلك المنظمات الدور الفعال في هذا المجال لولا مباركة دولة الانتداب آنذاك وهي بريطانيا التي أسهمت بشكل أو بآخر بإيجاد منظمات أخرى مساندة ساندت الجيش الإسرائيلي في تنفيذ أهدافه الإرهابية ومن أهم هذه المنظمات:

١ـ منظمة كاخ :

مؤسس هذه المنظمة الإرهابية هو الحاخام اليهودي مئير كاهانا الذي ولد في الولايات المتحدة وهاجر إلى إسرائيل في مطلع الثمانينات، وأسس هذه المنظمة، ومن أبرز أعضاء هذه المنظمة كان باروخ غولد اشتاين الذي قام بتنفيذ مجزرة الحرم الإبراهيمي في الخليل، ومن المفارقات العجيبة أن هذا الرجل قد أدلى بحديث تلفزيوني قال فيه: "العرب مثل الوباء..سئمناهم..إنهم الجراثيم التي تنقل إلينا الأمراض إننا نخدع أنفسنا عندما نفكر انه من الممكن التعايش معهم.. انه أمر مستحيل [٢].

---

[١] مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٢٦ ، أكتوبر ١٩٧٣ .

[٢] صحيفة الاتحاد الإماراتية، العدد ٤٣٥٦، مايو ١٩٩٧.

٢ـ حركة دولة يهودا:

قام بتأسيس هذه الحركة أعضاء من حركة كاخ ... وعملت في بداية عام ١٩٩٠م على إيجاد استراتيجية تهدف إلى بناء بنية عسكرية واستحداث وسائل عسكرية قتالية بغية الاعتماد عليها في حالة انسحاب إسرائيل من المناطق المحتلة، وقد تولى قيادة هذه المنظمة وتأسيسها يكوتيال بن يعقوب، وقد قامت بالعديد من المهمات الإرهابية منها إطلاق النار على حافلة كانت تقل عمالاً عربا في عام ١٩٨٠ م إضافة إلى ثلاث عمليات اغتيال لفلسطينيين في الخليل في نيسان في عام ١٩٨٩م، وقتل مواطن فلسطيني وامرأته غداة اغتيال مئير كاهانا واغتيال ثلاث فلسطينيين في قرية تر قوميا في نوفمبر من عام ١٩٩٣م [١] . وقد تزعم هذه الحركة فيما بعد باروخ مارزل ويلغ عدد أعضائها عدة آلاف.

٣ـ منظمة كاهاناحي:

تأسست هذه الحركة عقب اغتيال الحاخام مئير كاهانا زعيم حركة كاخ في عام ١٩٩٣م. وقد قامت هذه المنظمة بأعمال إرهابية متنوعة ضد أبناء الشعب الفلسطيني وتنسب إليها عدة أعمال إرهابية منها مقتل أربعة مواطنين فلسطينيين في سوق اللحامين في مدينة الخليل.

٤ـ مشروع بركة توراة:

وهي حركة أسسها بنيامين كاهانا ابن الحاخام مائير كاهانا في عام ١٩٩٧ وتنسب إليها عدة أعمال تخريبية ضد ممتلكات المواطنين الفلسطينيين في مدينة الخليل.

٥ـ حاي وقيام:

يتزعم هذه الحركة يهودا عتصيون، وهو من زعماء التنظيم السري اليهودي، وتنادي بإعادة ملكوت " بيت داوود " [٢]. وتجاوز عدد أعضاء هذه الحركة في الوقت

---

[١] صحيفة الدستور الأردنية، ٣٠/١٠/١٩٧٣.

[٢] بيت داوود : بناء السنهدرين "هيئة المحكمة العليا في أواخر عهد الهيكل الثاني حوالي القرن الأول الميلادي وما بعده، وهي أعلى هيئة شرعية يهودية كانت تتألف من ٧١ من كبار علماء اليهود .

الحاضر عدة آلاف، وهي حركة تتسم بالتطرف والعنصرية تجاه كل من هو غير يهودي ومن تطلعاتهم العمل على هدم المسجد الأقصى المبارك والحرم الإبراهيمي الشريف.

٦- لجنة الأمان على الطرقات:

قام بتأسيس هذه اللجنة حركة كاخ وغالبية أعضائها من المستوطنين المسلحين، ولا زالت هذه اللجنة تمارس أعمالها حتى يومنا هذا وفلسفة هذه اللجنة تقوم على خلق الرعب بين صفوف الفلسطينيين وذلك من خلال إطلاق النار على منازل الفلسطينيين، والعمل على قمع الاحتجاجات الفلسطينية بأبشع الطرق والوسائل.

٧- وحدات المستعربين

وهي وحدات تطوعت للعمل مع أجهزة الأمن الإسرائيلية وهي مخولة بإطلاق النار وقتل الفلسطينيين.... وقد سميت هذه الوحدات باسم وحدات الموت لان أفرادها يدخلون القرى والمدن الفلسطينية متنكرين بزي مدني عربي ويطلقون النار باتجاه الفلسطينيين.

ومنذ بدء الانتفاضة الفلسطينية حتى عام ١٩٩٧م، سقط برصاص هذه الوحدات ١٥٩ فلسطينيا منهم ١٩ طفلا تحت سن ١٦ عام كما قتلت هذه الوحدات ثلاثين فلسطينيا منذ توقيع اتفاق المبادئ مع منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٩٣م حتى عـام ١٩٩٧ م، وكان آخرهم محمد عبد العزيز صالح حلو وعمره ٥٧ عاما من قرية حزمة قرب مدينة القدس، حيث قامت مجموعة من ثلاثة عناصر منهم في الخامس والعشرين من شباط ١٩٩٧م ، باقتحام قرية حزمة وإطلاق النار على المواطن حمزة صلاح الدين، وبعد انكشاف أمرهم امسكوا بمحمد عبد العزيز حلو كرهينة.

وقام احد الجنود بضربه على رأسه بجهاز الاتصال لمدة ٢٠ دقيقة مما أدى وفاته[1].

ولم يقتصر وجود هذه التنظيمات على فلسطين فقط إنما امتد إلى خارجها حيث يتواجد اليهود في أنحاء متفرقة من العالم، ومنها على سبيل المثال منظمة ايباك، الموجودة حاليا في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي تحولت إلى لوبي ضاغط على الإدارة الأمريكية من خلال أعضائها الذين دفعتهم إلى مراكز صنع القرار[2] . وهناك المنظمة الداوودية، التي أسسها ديفيد كورش والذي توفي حرقا في مزرعة القيامة في الحريق الذي أشعله مع أتباعه بعد حصار دام ٥١ يوما، وهنالك يهود الدونمة في تركيا الذين نظموا أنفسهم في حركة السبتائية التي أسسها سبتاي بن صفي، والتي خلطت بين التوجهات الدينية والعسكرية والسياسية حتى سيطرت على مراكز صنع القرار في تركيا والتي يقال: " إنها كانت وراء بزوغ نجم كمال أتاتورك كما كانت وراء التلاعب على مستوى مناصب السلاطين العثمانيين، حيث كانت تقتل سلطانا وتوصل آخر إلى مكانه، ويدعي أفرادها الإسلام حيث ينادون بالازدواجية تسهيلا للوصول إلى أهدافهم وسميت هذه الفرقة المليشيا المسلحة التابعة لها بجيش الله[3] .

المطلب الثاني
المجازر التوراتية

لقد كان بنو إسرائيل دائما حملة لواء الإرهاب والعدوان على مر العصور التاريخية، وقد أدركت الدولة الرومانية في السنة السبعين بعد الميلاد المسيح أن الإسرائيليين قد أصبحوا يمثلون في فلسطين بؤرة فساد وخطر على الناس، فعاقبهم الرومان أشد عقاب، وحرروا الأراضي الرومانية من شرورهم وعدوانهم، وانتشر

---

[1] صحيفة الدستور الأردنية ، ١٩٩٧/١٠/٣٠ .

[2] القتل عقيدة يهوه، مرجع سابق، ص١٣٣.

[3] القتل عقيدة يهوه، مرجع سابق، ص١٣٣.

بنو إسرائيل في أماكن عديدة متفرقة في العالم القديم، حيث عاشوا في جيوب يهودية يسمونها " الجيتو"، كانت بمثابة أوكار للدسائس والمكائد والانقلابات.

ولقد مال اليهود إلى حياة العزلة والانفصالية، فعاشوا في أوروبا في أحياء خاصة بهم، وفي هذه الأحياء نشأ المجتمع اليهودي بأسراره وخفاياه، وقام اليهود بوضع كتبهم السرية التي تحث على السيطرة على العالم، وبإنشاء الجمعيات الإرهابية في تحقيق وسائل هذه السيطرة، وأصبح لكل جمعية سرية كاهن أعظم يسمى" فراداي " يؤمن به اليهود ويأتمرون بأمره.

وقد أدت العزلة النفسية التي عاشها اليهود إلى اتصاف اليهودي بعقلية قاسية تميل إلى الشر والهدم وسفك الدماء فان هنا اتجه حاخامات اليهود وأحبارهم إلى جعل مبادئ القتل قاعدة انتقام لا لسبب إنما رغبه بالانتقام وإباده الشعوب الأخرى... والأخطر من ذلك أنهم جعلوا هذه القاعدة مقدسة من خلال إيرادها على لسان موسى في التوراة حيث يقولون: " وكلم الرب موسى قائلا: انتقم انتقام بني إسرائيل من المدنيين وبعد ذلك تنظم إلى أجدادك " [1]. وبناء على ما تقدم في ذلك النص فانه من الواجب على موسى أن يرتكب مجزرة جماعية ضد أهل مدين يختم فيها حياته.....وهذا يعني أيضا أن موسى بدأ حياته كرجل بالقتل وختمها بالقتل. ولتنفيذ أوامر الرب التي تقضي بان يختم حياته بجريمة شنعاء " كلم موسى الشعب قائلا ليجهز بعضكم أنفسهم للقتال وليخرجوا على مدين ليحلوا بهم انتقام الرب من كل سبط من أسباط إسرائيل ترسلون ألفا إلى القتال " [2].

وجاء سفر تثنية الاشتراع من التوراة ذكر لوصية موسى والتي جاء فيها: " إذا

---

[1] سفر العدد، ٣١.

[2] نفس المصدر، ٣١.

أدخلك الرب إلهك إلى الأرض التي أقسم لإبائك إبراهيم واسحق ويعقوب أن يعطيك إياها مدنا عظيمة حسنه لم بنها... وبيوتا مملوءة كل خير لم تملأها وآبارا محفورة لم تحفرها، وكرما وزيتونا لم تغرسها... وإذا أكلت وشبعت فاحذر أن تنسى الرب الذي أخرجك من ارض مصر من دار العبودية[1].

ولا شك في أن هذه الوصية المفتراة تمثل فكرا عدوانيا، وإنكارا لنعم الله عليهم، وهذه الوصية تؤكد حقيقة أساسيه وهي أن اليهودي إذا آكل وشبع لا يعود يعرف الله بل يتنكر له، حتى ولو كان الله هو الذي وفر لليهودي كل السبل لاغتصاب أملاك وأرزاق وأموال غير اليهود، فانه لن يتورع عن التنكر له وعصيانه والعودة إلى الوثنية وعباده الأصنام، واستنادا إلى هذه الحقيقة فقد عمد موسى إلى تحذير اليهود[2].

وهذه النفسية اليهودية ملازمه للشعب اليهودي في كل العصور والأزمان، وهو ما نجده في عصرنا الحالي حيث حصل اليهود على دعم كل الدول الغربية إضافة إلى الولايا ت المتحدة من اجل إقامة كيانهم المصطنع. ومع ذلك لم تسلم دوله من هذه الدول من إقدام اليهود على دس الدسائس لها والتآمر عليها لدرجة التجسس عليها، وسرقة كل ما تستطيع سرقته من أسرار إضافة إلى محاولة السيطرة على مراكز القوى والأموال للتحكم بالسلطة والمال. وهذا الأمر نشهده من خلال الدور الذي مارسه اللوبي اليهوذي على الإدارة الأمريكية في قمة رأسها وهو الرئيس بيل كلينتون الذي تعرض لحملة يهودية شعواء في قضيه مونيكا لونيسكي حيث تجاهل اليهود كل الدعم الذي قدمه كلينتون وإدارته لإسرائيل. ومثل هذه التجربة سبق أن

---

[1] سفر تثنية الاشتراع / ٥ .

[2] القتل عقيدة يهوه ، مرجع سابق ، ص١٣٥ .

وقعت فيها ألمانيا حيث التقت النازية واليهودية على هدف واحد هو إخراج اليهود من أوروبا. ففيما كانت ألمانيا تسعى إلى تنظيف أوروبا كانت المنظمات الصهيونية تسعى إلى تهجيرهم إلى فلسطين، وبدا الجانبان بشن حملة شعواء ضد اليهود سقط ضحيتها الآلاف. وقد كشف هذا الأمر عدد من قاده إسرائيل كان من أبرزهم بن غوريون وذلك في رسالة أرسلها في عام ١٩٣٨ م إلى المنظمة الصهيونية يحدد فيها الخيار بين اليهود والدولة اليهودية حيث جاء فيها ، "أن المشكلة اليهودية الآن غير ما كانت عليه في السابق .

ومصير اليهود في ألمانيا ليس النهاية بل البداية وهناك دول أخرى لا سامية ستتعلم من هتلر. ملايين من اليهود يواجهون احتمال الابادة. لذلك فان كل طاقات الشعوب ستتحول لإنقاذ اليهود من مختلف البلدان " [1]. إذن فرسالة بن غوريون هذه تكشف بوضوح انه صاحب نظريه إبادة اليهود وتسويقها في ألمانيا قبل بدء الحرب العالمية الثانية من اجل المحافظة على الصهيونية ، لان نجاح المحافظة على اليهود سيقود إلى تدمير الصهيونية ، وهو ما يرفضه قادتها وعلى هذا الأساس اختار إبادة اليهود حتى يقود هذا الأمر إلى اقامه إسرائيل.

وفي فلسطين ارتكب اليهود بدورهم مجازر بحق يهود هاجروا إليها لاستثاره الرأي العام الدولي والضغط على حكومة الانتداب البريطاني، ومن أهم المجازر اليهودية ـ اليهودية... قضيه السفينة تاتريا [2] ، المليئة باللاجئين اليهود الهاربين من ألمانيا والتي فجرت في الخامس والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٣٨ م. وكان ذلك بمثابة انتحار جماعي للاعتراض على القرار البريطاني القاضي بنقلهم إلى جزر

---

[1] صحيفة الشرق ، ١٩٩٤/٤/١٥ .

[2] صحيفة الشرق ، ١٩٩٤/٤/١٥ .

الموريس عوضا عن استقبالهم في فلسطين.

وفي الذكرى الثانية عشره لهذا الحادث قام الزعيم الصهيوني موسى شاريت هو وبن غوريون بإعلانهم شهداء للقضية الصهيونية. واعترف الاثنان بقتلهم حين قال شاريت " من الضروري في بعض الأحيان التضحية بالبعض من اجل إنقاذ المجموع [1] . وفي التفاصيل أن سفينة وصلت إلى ميناء حيفا، وعلى متنها عدد كبير من اليهود الهاربين من ألمانيا مع أطفالهم ونسائهم ولكن سلطات الانتداب البريطانية منعت الركاب من النزول إلى حيفا والدخول إلى فلسطين، قبل تفتيش السفينة التي شكت السلطات البريطانية بأنها تحمل على متنها أسلحة ومتفجرات، لكن اليهود رفضوا التفتيش لان السفينة كانت بالفعل محملة بكميات ضخمة من الأسلحة والذخائر والمتفجرات.

وتحت إصرار البريطانيين على التفتيش ولو بالقوة أصدر بن غوريون أوامره بتفجير السفينة سترا لعواقب الكشف عن هذه الذخائر من جهة، ولاستغلالها لحض الرأي العام العالمي على دعم تهجير اليهود إلى فلسطين من خلال تحميل بريطانيا مسؤولية مقتل اليهود الذين كانوا على متنها من جهة أخرى، والذين بلغ عددهم ١٩٠٠ يهودي وفي عام ١٩٤٢ م فجر اليهود الباخرة ستروما قرب سواحل تركيا وعلى متنها ٧٧٠ مهاجرا يهوديا.

وإذا كانت الجرائم اليهودية قد طالت الحلفاء، بل واليهود أنفسهم فليس من المستغرب أن تطال جرائم هؤلاء المجرمين من كل أشكال الإنسانية أناسا آمنين في أوطانهم وخاصة في فلسطين التي جعلها اليهود هدفا لسياستهم الاستيطانية. والحديث عن تاريخ القتل اليهودي الحديث في فلسطين يبدأ عادة من دير ياسين

---

[1] مجلة الكفاح العربي ، عدد ٩٣٠ .

وذلك لان قاده اليهود اعتبروا هذه المجزرة أساسا لقيام كيانهم، فعلى أنقاض هذه القرية أقيمت مستوطنه جعفات شاؤول التي تبعد ٢ كيلو متر عن مدينه القدس حاليا[١].

وقد بدأت فصول هذه المذبحة في تمام الساعة الثانية من فجر العاشر من نيسان من عام ١٩٤٨ م حيث دخلت العصابات اليهودية على قرية دير ياسين وراحت تذبح سكانها وتحرق البيوت وهم فيها نيام.. وقامت بابادة جميع سكان القرية تقريبا وألقت جثثهم في مقابر جماعية[٢].

وكان من بين القتلة اسحق شامير ومناحيم بيغن واسحق رابين وقد تبؤا الثلاثة منصب رئاسة الحكومة في إسرائيل فيما بعد.... وفي هذا الصدد يقول العقيد اليهودي "ديفيد سالتنيل " إن هذه المجزرة ارتكبت بموافقة بن غوريون ذاته [٣] . وعن هذه المذبحة يقول بيغن إنهم " كلما احتلوا منزلا فجروه بعد أن يهرب سكانه مذعورين طالبين النجاة لأطفالهم ونسائهم وعندها كانت عصابات شتيرن والارغون تصطادهم وتحصدهم في الطرقات [٤] .

ويضيف بان هذه العملية استمرت حتى ظهيرة العاشر من نيسان. وعندما انتهت العصابات اليهودية من تفجير منازل القرية ومسجدها وبلديتها جمعت من بقي حيا من السكان وقتلتهم بالرصاص ثم حفرت وحده من الهاغاناه قبرا جماعيا دفنت فيه ٢٥٤ جثة من النساء والأطفال والشيوخ والرجال فيما تقول مصادر أخرى أن العدد فاق ٣٦٠ جثة من اصل ٦١٠ أشخاص وهم سكان القرية، لكن مصادر أخرى

---

[١] مجلة الكفاح العربي، عدد ٩٣٠ .

[٢] صحيفة البعث السورية، ١٩٩٨/٥/١١.

[٣] نفس المرجع ، ١٩٩٨/٥/١١ .

[٤] صحيفة الكفاح العربي، عدد ٩٣٠.

تؤكد انه لم ينج من سكان القرية سوى أربعين شخصا معظمهم من الرجال هربوا إلى القرية المجاورة تاركين نساءهم وأطفالهم ظنا منهم أن اليهود لن يمسوا الأطفال والنساء [1].

وقد روى الناجون من المذبحة شهاداتهم للسلطات البريطانية حينها قائلين: عائلات كاملة تم إيقافها بجوار الحائط وأطلقت عليها النيران من البنادق.. بنات صغيرات تم اغتصابهن... امرأة حامل ذبحت ثم بقروا بطنها بسكين جزار... حاولت فتاه صغيره أخذ الجنين من بطنها فأطلقوا النار عليها... أعضاء من الارغون أحالوا الجثث إلى قطع بسكاكينهم.قطعت أيدي النساء وأذانهن لسرقة الأساور والأقراط.

وفي رواية لأحد الناجين ويدعى فهمي زيدان (١٢ سنه) كان قد أصيب في جنبه ونجا عندما اختبأ تحت جثث عائلته: يقول في روايته: أمر اليهود أسرتي بالوقوف ووجوهنا إلى الحائط وراحوا يطلقون النار علينا... قتلوا العائلة كلها ومزق الرصاص رأس أختي قدرية وعمرها أربع سنوات.... من بقي حيا من النساء والأطفال وضعوا في شاحنه وهم عراة وطافوا بهم في شوارع الأحياء اليهودية في القدس... وحيث أخذت مكبرات الصوت تنادي العرب بوجوب مغادره منازلهم والتوجه إلى البلدان العربية المجاورة والا فان المصير الذي ينتظرهم كمصير أهالي دير ياسين [2].

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل بلغت الوقاحة والاجرام اليهودية مداها من خلال الاشاده بهذه المجزرة حيث يقول مناحيم بيغن في هذا الصدد: " أن دير ياسين تمثل أحد الانتصارات الصهيونية السريعة "... وفي كتابه " التمرد " يقول بيغن " ان مذبحة دير ياسين خدمت استراتيجية الحركة الصهيونية باعتبار أنها تركت العرب يفرون مذعورين من فلسطين واتهم اليهود الذين تبرؤا منها بالرياء " [3]، وخاصة بن

---

(١) صحيفة البعث، ١٩٩٨/٥/١١.

(٢) صحية الحياة، عدد ١٢٩٢٥، ٢٥ نيسان، ١٩٩٨.

(٣) مجلة الكفاح العربي، عدد ٩٣٠، ١٩٩٦.

غوريون الذي تبرأ من هذه المجزرة واصفا دير ياسين بالقرية الوادعة [1] .

ويقول "أيشعر افير" أحد المشاركين في مجزرة دير ياسين: " ما أن دخلنا إلى دير ياسين حتى بدأنا بتنفيذ الأمر بتدمير كل البيوت وبالأحرى قتل كل سكان البيت " [2] . وفي مقال "القتل هواية يهوه " تنقل مجلة الكفاح العربي عن أنيس صايغ قوله [3] " إن الأسواق التجارية والشوارع الرئيسة والأحياء الشعبية في المدن الفلسطينية كانت هدفا سهلا للإرهابيين اليهود في عام ١٩٣٨م بشكل خاص فقد راح ضحية القنابل التي ألقيت في أكثر من عشر حوادث خلال سنه واحده أكثر من مائة قتيل مدني .

ولعل ابرز هذه الحوادث عمليه نسف مبنى فندق الملك داوَ ود في القدس حيث كانت مكاتب وإدارات الانتداب البريطاني في صيف عام ١٩٤٦ م وقد قتل عند تفجير هذا المبنى ٢٠٠ مدني معظمهم من العرب والإنكليز. وبنفس الأسلوب الوحشي البعيد عن أي معنى من معاني الانسانية وتطبيقا مباشرا لتعاليم التلمود الأسود والتوراة المحرفة توالت المجازر اليهودية فشملت الكثير من قرى وبلدات فلسطين ومن هذه المجازر:

١ـ مذبحة بلده الشيخ الواقعة في قضاء حيفا: التي هاجمها اليهود من الهاغاناه في الحادي والثلاثين من كانون الأول عام ١٩٤٧م، وبلغ عدد ضحاياها ثلاثين شهيدا وبعد تدمير القرية بشكل نهائي و أقيم على أنقاضها مستوطنه تل تحناه.

٢ـ مذبحة سعسع :التي تعرضت لهجوم اليهود في ليل الرابع عشر من شباط عام ١٩٤٨ م، حيث نسف اليهود عشرين منزلا على رؤوس سكانها مما أدى إلى مقتل وجرح العشرات.

٣ـ مذبحة أبو شوشة: وهي قرية تجاور دير ياسين هاجمها اليهود فجر

---

[1] صحيفة البعث، ١٩٩٧/٨/٣١.

[2] صحيفة البعث، ١٩٩٧/٨/٣١.

[3] مجلة الكفاح العربي، عدد ٩٣٧، ١٩٩٦.

الرابع عشر من أيار عام ١٩٤٨م وضربوا رؤوس سكانها بالبلطات... وأطلقوا النيران على كل من تحرك على أرضها بما فيها المواشي.

٤ـ **مذبحة اللد في الثاني عشر من تموز عام ١٩٤٨ م** حيث دخلها اليهود وأطلقوا النار على جميع المارة واعترف القتلة بأنهم قضوا على ٢٥٠ عربيا فيما يقول بعض المؤرخين: أن عدد القتلى وصل إلى ٥٠٠ فلسطيني.

٥ـ **مجزره بيت دراس:** وتقع هذه القرية في الشمال الشرقي من غزه حيث هاجمها اليهود في الحادي والعشرين من أيار ١٩٤٨م فدمروها وقتلوا ٢٦٠ من سكانها.

٦ ـ **مجزره قرية ناصر الدين** قرب طبريا هاجمها اليهود في نيسان ١٩٤٨م و أبادوا كل سكان القرية إلا أن أربعين منهم تمكنوا من الفرار.

٧ ـ **مجزره الداويمة:** فقد شنت الدبابات اليهودية هجوما على البلدة ثم دخلتها وقتلت ٧٥ مصليا في مسجدها ثم تعقبت المدنيين في منازلهم حتى وصل مجموع الضحايا إلى ٥٨٠ شهيدا قتلوا بوحشيه لا توصف بهدف حمل الفلسطينيين على الفرار من بلادهم وقد حصلت هذه المجزرة في السادس والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٤٨ م [1].

٨ ـ **مجزره الجودرة:** وهي مجموعة من القرى الفلسطينية دخلها اليهود في السابع والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٤٨م و أبادوا سكانها عن بكره أبيهم.

٩ ـ **مجزره كليبون:** وهي قريه فلسطينية غالبيه سكانها من المسيحيين وعندما هاجمها اليهود آب من عام ١٩٤٨ م هرب سكانها واحتموا بكنيسة القرية لكن عناصر العصابات اليهودية أعدمتهم داخلها.

هذه بعض المجازر التي ارتكبها اليهود في حق الشعب الفلسطيني في محاولة منهم

---

[1] مجلة شئون فلسطينية ، عدد ٢١ ، مايو ١٩٧٣ .

لتهجير سكان فلسطين واحتلالها، ولا شك في أن هذا هو الإرهاب بعينه والذي وجد مع وجود اليهود على وجه الأرض، وهو في الوقت نفسه إرهاب رسمي لأنه كان يتم بوصاية ورقابة من سلطة الانتداب البريطاني التي كانت لا تقل بشاعة عن اليهود في تعاملها مع أبناء الشعب الفلسطيني. وقد استمرت المجازر اليهودية في فلسطين وغيرها من البلدان العربية ومنها المجازر التي سبقت العدوان الثلاثي على مصر لمنع تأجج المشاعر العربية الفلسطينية لمساندة المصريين الذين تعرضوا لهذا العدوان خاصة وأن إسرائيل قد شاركت فيه ومن هذه المجازر:

١ـ مجزره قبية:

حدثت مجزرة قبية في الرابع عشر من تشرين الأول ١٩٥٣ م وكان عدد سكان تلك القرية ما يقارب ال ٢٠٠ شخص، وبعد اتفاقات الهدنة سنه ١٩٤٩م مارست إسرائيل العديد من الأعمال الإرهابية ضد السكان هذه القرية من قتل وخطف وسلب. ونسف منازل على رؤوس أصحابها وفي الساعة ٧,٣٠ من مساء الرابع عشر من تشرين الأول ١٩٥٣م قام حوالي ٦٠٠ جندي نظامي إسرائيلي بتطويق القرية بعد قصف مركز على منازلها ثم عزلت عن محيطها ودخلها اليهود وهم يطلقون النار في كل اتجاه.

وكان من نتيجة هذا الاعتداء أن قتلت وحدات المشاة السكان جميعا فيما قامت وحدات سلاح الهندسة بتدمير المنازل فوق رؤوس ساكنيها كما قام المشاة باصطياد من حاول الفرار ... وقد استمرت المجزرة ٣٢ ساعة متواصلة، وكانت حصيلتها ٦٧ شهيدا من الرجال والنساء والأطفال بينها أسر كاملة.. نفذت المذبحة الوحدة الخاصة رقم (١٠١) في الجيش الإسرائيلي بقياده ارئيل شارون رئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي ورئيس حزب الليكود حاليا والذي نفذت في ظله مجازر صبرا وشاتيلا ولا يزال يسير في هذا الطريق الموحش إلى هذه اللحظة حيث لا يمر يوم والا وهناك

اجتياح في غزة وفي رفح وفي كل مناطق الضفة الغربية.

٢ـ مجزره قلقيلية :

وقد كانت هذه المجزرة في العاشر من تشرين الأول ١٩٥٦ م حيث نفذتها مفرزة من الجيش الإسرائيلي، وكتيبه مدفعية وعشر طائرات مقاتله واستشهد خلالها سبعون شخصا.

٣ـ مجزره خان يونس:

وقد تمت هذه المجزرة على مرحلتين، ففي الثالث من تشرين الثاني ١٩٥٦ هاجمت وحدات من الجيش الإسرائيلي مخيم خان يونس وقتلت أكثر من ٢٥٠ شخصا، وبعد تسعة أيام أي في الثاني عشر من تشرين الثاني ارتبكت مجزره جديدة بلغ عدد ضحاياها ٢٧٥ فلسطينيا جميعهم من المدنيين. ومن المذابح كذلك مذبحه كفر قاسم التي قتل فيها المئات وغيرها من المذابح المؤرخة في الذاكرة وكتب التاريخ.

وهكذا فإن إبادة الآخرين هي من صلب عقيدة التوراة والتلمود اليهوديين وهي تعاليم نفذها اليهود [1] في مطلع تاريخهم وتابعها أولادهم وأحفادهم على مدار الأيام والسنين، إلا أنها اتخذت طابعا أكثر وحشية ويبدوا هذا واضحا من خلال المجازر التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي النظامي وخاصة خلال حربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧م. كمجزره صلما وهي من القرى اللبنانية السبع التي ضمها اليهود إلى كيانهم حيث تعرضت للهجوم في أيار من عام ١٩٤٨م من العصابات اليهودية قتلوا خلالها ٧٥ شخصا من أهالي القرية.

وفي قرية حولا اللبنانية وقعت مجزره أخرى من السابع عشر من تشرين الأول من عام١٩٤٨حيث دخل أفراد العصابات اليهودية إلى هذه القرية وقتلوا عددا كبيرا من سكانها بالفؤوس والبلطات، ثم جمعوا من بقي منهم حيا في عدد من المنازل ودمروها على رؤوسهم وقد بلغ عدد الضحايا في هذه القرية تسعين شهيدا. وكذلك قرية الغربية التي هاجمتها الطائرات في التاسع من تشرين الثاني ١٩٧٧ م

---

[1] القتل عقيدة يهوه وأتباعه، مرجع سابق، ص٤٦.

مع قرى دير قانون النهر وراس العين وارزاي وغيرها حيث سقط ٦٨ شهيدا في القريه وحدها.

ولا ننسى جميعا مشاهد السيارات المسحوقة مع ركابها بجنازير الدبابات الإسرائيلية ومئات المدنيين الذين سقطوا خلال اجتياح عام ١٩٩٢م وكانوا في ابنيه قصفتها القنابل الاسرائيلية إلا إن فظاعة المجازر كانت في صبرا و شاتيلا جنوب بيروت في ١٦ أيلول ١٩٨٢م حيث طالت هذه المجزرة الرضع والشيوخ والنساء واستخدمت فيها كافة وسائل القتل من رصاص وفؤوس وبلطات وكانت الحصيلة حوالي ١٠٠٠ شهيد.

وتأتي مرحلة السلام المزعوم لتزداد شراسة اليهود فيرتكبون العديد من المجازر. مثل مجزره الأقصى في عام ١٩٩٠م، التي وقعت عندما حاول اليهود هدم المسجد الأقصى لبناء الهيكل مكانه فهب المصلون لمنعهم فأطلقت العصابات اليهودية النار على المصلين الذين بلغ عددهم ما بين ٣- ٥ آلاف شخص، وساند حرس الحدود أفراد العصابات فاستشهد حينها ٢١ مصليا وجرح ١٥٠ آخرون.

وفي عام ١٩٩٤م وحين كان المصلون يؤدون صلاه الفجر في يوم الجمعة من جمع رمضان الكريم، وقبل أن يكملوا التسبيحية الثالثة من سجود التلاوة في الحرم الإبراهيمي في الخليل دوت أصوات انفجار القنابل اليهودية و زخات الرصاص في جنبات الحرم الشريف، واخترقت شظايا القنابل والرصاص رؤوس المصلين ورقابهم وظهورهم ليسقط اكثر من ٥٧٥ منهم بين قتيل وجريح في اقل من عشر دقائق[1] . وفي التاسع عشر من شباط ١٩٧٣ اسقط اليهود طائره مدنيه ليبية فوق السماء المصرية مما أدى إلى مقتل جميع ركابها البالغ عددهم ١٠٧ أشخاص.

وهكذا فان للإرهاب الصهيوني تاريخ عريق في البشاعة وحافل في الفظاعة، وهو طبعة راسخة في الشخصية الصهيونية، فالدموية، والعدوانية، والنزعة

---

[1] نفس المرجع، ص ٤٧-٤٦.

الإجرامية، من أبرز مقوماتها، والإرهاب سلوك عقائدي يعكس تلك الطبيعة العدوانية الإسرائيلية.

٤- مجزرة غزة :

أشد وأفظع مجزرة شهدتها البشرية فى القرن الحادى والعشرين مذبحة غزة والتى بدأت يوم السبت ٢٠٠٨/١٢/٢٧ وإستمرت ٢٢ يوماً لتنتهى فى ١٨ يناير ٢٠٠٩ ، وقام العدو الصهيونى خلالها بغارات متوالية على مدينة غزة بواسطة ١٠٠ طائرة مقاتلة صهيونية ألقت أكثر من مائة طن من القنابل على مدينة غزة الصغيرة ، ونفذت أكثر من ٢٠٠ غارة، فدمرت البيوت والمساجد والمبانى ، وقتل أكثر من فيها من الأطفال والرجال والنساء فى مشهد دموى يعيد للتاريخ مذابح اليهود فى دير ياسين ، كفر قاسم وصبرا وشاتيلا.

المبحث الرابع
الشعائر اليهودية

الشعائر اليهودية هي تلك الطقوس والعبادات التي تمثل جانباً هاماً من جوانب حياتهم والشعائر والطقوس لدى اليهود كثيرة ومتعددة، وفيما يلي عرض لأهم الشعائر اليهودية وذلك من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول
الصـــلاة

تطورت الطقوس والعبادات اليهودية جنباً إلى جنب مع تطور العقائد، ولقد كتب أحد علماء الشريعة اليهودية المصريين، الدكتور هلال يعقوب فارحي في معرض ترجمته لمجموع نصوص الصلوات اليهودية الذي سماه " سدّور فارحي"، يقول: ونرى أن تأدية الصلاة والعبادة كانت منذ أول وجود الجنس البشري، وذلك عندما أدرك بنو البشر وجود قوة إلهية فائقة، وضعف جنسهم . وأن حياتهم ووجودهم متوقفان عليه تعالى[1].

---

(1) هلال يعقوب فارحي ن سدور فارحي، ص٤- ٦ .

وأول تأدية شكر وعبادة من هذا القبيل كانت تقدمات قايبل وهابيل[1]. وسفر التكوين بذكر جملة صلوات متفرقة وعبادات من الآباء من هذا القبيل، وتذكر الأسفار التالية في الكتاب أنواع التقدمات والقرابين التي قرَّ القرار عليها رسمياً، وكانت تقسم على يد الكهنة، في أمكنة مخصوصة للعبادة، وتذكر أيضاً صلوات متفرقة لرجال الله وأنبيائه [2] .

والى ذلك العهد لم تكن الصلاة محددة وإجبارية، بل كانت تتلى ارتجالياً حسب الأحوال والاحتياجات الشخصية والعمومية. وعندما خرب الهيكل وسبي بنو إسرائيل من بلادهم إلى بابل وبطلت التقدمات والقرابين، وضعت الصلوات بدلاً منها إلى يومنا هذا. وهذه العبادات بالصلوات تفوق كثيراً العبادات القديمة بالذبائح والتقدمات. جاء في المشنا أن الصلاة أفضل من القرابين[3]. فإن العبادات بالتقدمات هي عبارة عن تقدمة شيء من مال الإنسان، أي مادة حسية أرضية على مذبح مادي، بخلاف العبادة الروحية بالصلوات، فإنها إظهار عواطف وإحساسات وتقدمة شكر روحية صادرة من نفس الإنسان على مذبح قلبه وعقلة وشهواته الجسدية.

وقد أظهر الحق سبحانه وتعالى إرادته ورغبته في أفضلية هذه العبادة على التقدمات بلسان أنبيائه، وبين لنا أن التوبة الحقيقية، والأعمال الخيرية الصالحة

---

(1) تكوين ٤/٣- ٤.

(2) تكوين ٢٣/١٨ و ١٢/٢٤ و ٢١/٢٨ و ٩/٣٢ و خروج ١١/٣٢ عدد ١٣/١٢ يوشع ٦/٧ صمويل الأول ١/٢ و ٢٣/١٢ الملوك الأول ٢٢/٨ و ٢٠/١٧ يوئيل ٢٠/٢ الملوك الثاني ٢/٢٠ دنيال ٤/٩ عزرا ٦/٩ نحميا ٤/١ ..... إلخ).

(3) البركات/ ٣٢.

وتجنب عمل الشر أفضل من التقدمات والذبائح ، وأن الصلاة تقوم مقامها [1] .

وما أفضل الإنسان الذي شعر بضعفه وبخطيئته واحتياجاته ، فيتكل عليه تعالى ، وعلى قدرته ومحبته ، ويظهر إحساساته له شخصياً رأساً ، ويقدم له الشكر على نعمه وخيراته ، ويكشف له قلبه وضميره ، ويعترف أمامه بذنوبه وخطاياه وعجزه ، ويطلب إليه المغفرة والعفو ، ويلتمس منه سد حاجاته والمعونة والمساعدة في أوقات الضيق والشدة ، ويلقي عليه رجاءه عالماً بأنه رحوم ورؤوف ، يقبل صلواته ، ويمنح طلباته بكثرة محبته ورأفته ورحمته ، ويقبل التائبين والخطاة ويساعد المحتاجين الذي يلجأ ون إليه ويدعونه ، ويعزي المصابين والحزانى ، وهو الصديق الوحيد في وقت الضيق ، وهو قريب أن يستجيب صلاة كل من يدعوه ، فإنه استجاب صلاة موسى ، ورفع الوباء عن مصر ، وشفى مريم ، وقبل صلاة إيليا وإليشع ، لأجل شفاء الأولاد وتوبة أهل نينوى ، وعفي عنهم....

والصلاة على نوعين : فردية أي شخصية ، ومشتركة ، أي عمومية.أما الفردية فهي صلوات ارتجالية من أفراد ، تتلى حسب الظروف والاحتياجات الشخصية ، ولا علاقة لها بالطقوس والمواعيد والمواسم ، ولدينا أمثلة متعددة من هذا القبيل في الكتاب المقدس ، مثل صلاة إبراهيم لأجل خلاص سدوم ، وأيضاً لأجل شفاء أبيمالك[2] . وصلاة يعقوب لأجل خلاصه من عيسو أخيه[3] ، وصلاة موسى لأجل بني إسرائيل[4] ، ولأجل شفاء مريم[5].

---

[1] - انظر إشعيا/١١- ١٢ ، وهوشع ٣/١٤.

[2] - تكوين ٢٣/١٨ — ٣٣ .

[3] - تكوين ٩/٢٢- ١٢ .

[4] - خروج ١٣/٢٢ — ٣٢ .

[5] - عدد ١٣/١٢- ١٤ .

وصلاة يشوع لأجل محاربة عاي(يوشع ٧/٦ – ٩) وهكذا صلوات صموئيل وإيليا وإليشع وداود ويونان (يونس) ودانيال وعزرا وهذا النوع من الصلاة يتلى في أي محل كان، فإن يونان صلى في جوف الحوت ودانيال في جُبِّ الأسود. والصلاة المشتركة هي صلوات تؤدى باشتراك جملة أشخاص علناً وعموماً، في أمكنة مخصوصة ومواعيد معلومة، حسب طقوس وقوانين مقررة من رؤساء الدين والكهنة.

ولم توضع الصلوات الطقسية عند الإسرائيليين إلا بعد تأسيس أمكنة العبادة، كخيمة الاجتماع والهيكل. وأول صلاة طقسية كانت عند تقديم باكورة الأثمار، وبعد أداء الأعشار (تثنية ٢٦/٥–١٠ و ١٣–١٥)، وعند تقدمة الذبائح كفارة عن الخطايا (لاويين ١٦/٢١). وبركة هارون وأولاده المثلثة كانت من نوع الصلاة الطقسية (عدد ٦٥/٢٢ – ٢٧). ويتضح من (إشعيا ١/١٥ و ٢٩/١٣ و ٥٨/٥) أن في عهد الأنبياء وضعت صلوات قانونية، ويستدل على أوقاتها من (دانيال ٦/١٠) فإنه كان يصلي ويركع ويشكر الله تعالى ثلاث مرات كل يوم وكذلك من المزمور ٥٥/١٧. وأحياناً مرتين كل يوم من أخبار الأيام الأول ٢٣/٣٠.

وكانت الصلاة مركبة غالباً من النثر ثم من النظم، وتتلى بالغناء في الابتداء. وبالتدريج صارت تستعمل آلات موسيقية قانونية، كما يتضح من سفر المزامير، وكان يخصص مغنون لهذا القصد، فإن عزرا يذكر في سفره أن بين الذين رجعوا من بابل من السبي كان مائتان من المغنين والمغنيات (عزرا ٢/٦٥). وكانت الصلاة فريضة واجبة على النساء والرجال (المشنا، البركات ٣/٣) وكانوا يصلون جلوساً ووقوفاً، ويركعون ويسجدون، ويبوّقون، ويصومون، ويبكون في تضرعاتهم واعترافاتهم حتى يومنا هذا. وفي أيام الضيقة كانوا يلبسون خيشاً ويذرون تراباً ورماداً على رؤوسهم، ويمزقون ثيابهم، ويحلقون شعور رؤوسهم(سفر إيخا، أو

المراثي، ١/٢٠، ويوشع ٦/٧).

وكانوا يحرصون بوجوب وضع الأيادي على الصدر مع حني الرأس قليلاً كوقوف الخادم أمام سيده، لزيادة الاحترام. ويقرا الصلاة الحَزّان (المنوب من الشعب) بصوت مرتفع، والعَاميدةِ بصوت منخفض، ويكررون العاميدة بصوت عال لكي يسمع الذين لا يعرفون القراءة. وكانوا يتجهون في صلواتهم إلى جهة أورشليم. وفي أورشليم إلى جهة الهيكل قبلة لهم (الملوك الأول ١٣/٨ و ٣٨ و ٤٤ و ٤٨) وهذه العادة متبعة ليومنا هذا.

وبناءً على نص الآية في (عاموس ١٢/٤) - " واستعد للقاء إلهك يا إسرائيل " كان الأتقياء والمتعبدون يصرفون نحو ساعة من الزمان استعداداً للصلاة فيما يخص النظافة واللبس وجمع الأفكار وما أشبه ذلك . وكان عزرا يوصي بوجوب غسل الجسم بكل دقة قبل العبادة (المشنا - البركات ٤/٣) .

وفي المجامع كانت أماكن الجلوس مرتبة حسب درجات الشعب ومراكزهم، من أمام الهيكل إلي الوراء: ولا يسمح الإسرائيليون بالوساطة والشفاعة في صلواتهم بينهم وبين الحق سبحانه وتعالى، قال ربي يهوذا: إذا التمست أو طلبت شيئاً من رئيس بشري فاستجابة طلبك كثيراً ما تتوقف على وساطة ومساعدة وسيط الرئيس، كاتباً كان أو صديقاً، خادماً أو حبيباً. وأن بينك وبين الله تعالى لا يلزم وساطة ميخائيل أو جبرائيل، بل افتح قلبك وضميرك له، واطلبه في أي وقت كان. وهو يستجيب دعائك، كما قال بلسان نبيه : " ويكون أن كل من يدعو باسم الرب ينجو" (يوئيل ٥/٣ في الأصل العبري = ٣٢/٢ في الترجمات)، غير أن علماء القبالة يعتقدون بوساطة بعض الملائكة، خوفاً لاعتقاد عموم الإسرائيليين.

أما ومن وضع الصلاة المستعملة في وقتنا الحاضر فيختلف حسب أقسامها. إنما القسم الأساسي والأهم فيها، وهو الشِمُونهِ عِسْرِهِ، ينسب إلى عزرا ومائة وعشرين

رجلاً من الشيوخ والعلماء، ومن ضمنهم النبي دانيال وحجي وزكريا وملاخي (بركات ٢/٤). فإن عزرا بعد خراب الهيكل الأول وإبطال الذبائح والتقدمات رأى وجوب وضع صلوات يومية للشعب لتقوم مقام هذه، ولتعزيهم في ضيقاتهم وبأسهم، فجمع هؤلاء الرجال المعروفين برجال الكنيسة الكبرى ووضعوا القسم الأساسي من الصلاة المذكور آنفاً. وهو المنبع عند كافة الإسرائيليين، ولم يتغير أساسياً إلى الآن إلا بعض التغييرات اللفظية، وإضافة بعض فصول وأناشيد منتخبة من التوراة والمشنا والتلمود ن وأغاني روحية مثل " أدُونْ عولام "[1].

وما أشبه لسلمون جابيرول وربي يهوذا الليفي، وإبراهيمَ وموسى عزرا[2]، لتلائم الأوقات والمواسم، أضيفت مؤخراً لغية الجيل السادس عشر. وقد وضعت الصلوات في اللغة العبرية لكي يقرأها الإسرائيليين أينما وجدوا، وهناك بعض صلوات خصوصية وضعت باللغة الكلدانية. وكتب سعدياً هجانون البعض بالعربية أيضاً، ومنذ الجيل السادس عشر ترجمت إلى كافة اللغات الغربية. وفيما يلي بيان لجزء من القسم الأساسي من الصلاة إتماماً للفائدة وذلك من خلال المطالب الآتية :

المطلب الثاني
الشمَــاع

الشماع هو أهم قسم من الصلاة، مأخوذ من سفر التثنية، رتبه مع البركة التي قبله وبعده عزرا وجماعته. وكلمة " شماع " أي " اسمعْ " هو أول كلمة من آية التوحيد عند الإسرائيليين : " اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا الربّ واحد "(تثنية ٦/٤). وهي أيضاً أول كلمة من مجموع آيات عقيدة الإسرائيليين. والشماع ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

---

[1] معناها " رب العالم ".

[2] كل أولئك من أدباء اليهود وشعرائهم في الأندلس الإسلامية في العصور الوسطى.

القسم الأول مأخوذ من التثنية ٦/٤-٩. يبتدأ بأية التوحيد، ثم يذكر وجوب محبة الله من كل قلوبنا ونفوسنا وأموالنا، ووجوب حفظ وصاياه، وتعليمها لأولادنا، ووجوب التكلم عنها دائماً، وربطها آية على أيدينا، وعصابة بين أعيننا، وكتابتها على قوائم أبوابنا.

القسم الثاني مأخوذ من التثنية ١١/١٣-٢١. يذكر وعد الله تعالى بمكافأتنا وبإطالة حياتنا عند إتمامنا وصاياه، وبالعكس تأديبنا إذا ارتكبنا المعاصي ولم نطع أوامره. ويكرر شيئاً من القسم الأول.

القسم الثالث مأخوذ من التثنية ١٥/٣٧-٤١. يذكر وصية الأهداب [1]، ليذكرنا بوجوب طاعة أوامر الله عندما نراها، ولكي لا نميل إلى شر قلوبنا وأميالنا. ويذكرنا أيضاً بخروجنا من مصر قديماً. وكان مراد رجال الكنيسة الكبرى أن يضيفوا إلى الشماع الآيات في العدد ٢٣/١٨-٢٤ ، ولكنها لم تضف خوف الإطالة (المنشا — البركات ١٢).

المطلب الثالث
شمونه عسره

مجموع تسع عشرة بركة (وكانت في الأصل ثمان عشرة) وهي أهم قسم في الصلاة بعد الشماع. وضعها عزرا ورجال الكنيسة الكبرى كما سبق. وقد قيل إنه نظراً لقلة استعمالها مع مرور الزمان رتبها ثانية شمعون الباقوُولي مع ربَّان جملئيل ، في يَبْنَة . ونظراً لانشقاق الإسرائيليين وتشتتهم إلى فئات صدوقيين وآسيين وغيرهما ، أضاف إلى هذه البركات شموئيل القَاطَان — إي الصغير— البركة الثانية عشر" وِلَمَلْشِينيم"ضد الصدوقيين (المشنا — بركات ٢٨). وقد حفظت اسمها الأصلي " شمونة عسره " إلى

---

[1] هي آداب الرداء المميز الذي يلبسه اليهود في الصلاة واسمه (طليت).

١٨ مع أنها صارت ١٩ بركة. وكانت تقرا غيباً من الواحد إلى الآخر إلى عهد الجأونيم، وقيل إنها لم تكتب إلى عند وضع " مَهبخِت سوفريم ". وقد وردت أكثر ألفاظها وعباراتها في الكتاب المقدس، وبعضها في المشنا مثل " تشُوبا نِيسمْ مَحَلُو هِحزِير شعي " وغيرها.

وتسهيلاً للذاكرة كانوا يتخذون آيات وجملاً تدل على عدد الكلمات في كل بركة. مثلاً الآية في الخروج ٣/٢٨ تحتوي على ١٧ كلمة، وهو عدد الكلمات في البركة الرابعة، والكلمات في إشعيا ٨/٥٥ أو ١٣/٦ يعادل عدد الكلمات في البركة الخامسة، وهو ١٥. وعدد الحروف في الأمثال ٢٢/٤ أو المزامير ٣/١٠٣ يعادل عدد كلمات البركة الثامنة، وهو ٢٧. وتنقسم البركات الثماني عشر إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: شِبَاحيم أي تسابيح، يشمل الثلاث البركات الأولى "رِيشُونُوت" ويحتوي على تسابيح وتعظيم لله تعالى.

القسم الثاني:بَقَاشوب أي طلبات أو توسلات. يشمل الثلاث عشرة البركة المتوسطة " إمصاعُيوتْ " ويحتوي على طلبات خصوصية وعمومية للشعب.

القسم الثالث: هُودَاؤُوت أي تشكرات. يشمل الثلاث البركات الثلاث الأخيرة " أحرونـوت " ويحتوي على تشكرات. والقسم الأول والثاني في هذه البركات لا يتغيران مطلقاً في كافة الصلوات في مدار السنة، وأما القسم الثالث فيتغير في أيام السبوت ورؤوس الشهور والمواسم والأعياد، ويبدل بما يلائم الأوقات. وفيما يلي بيان لعدد وأسماء هذه البركات بشيء من التفصيل، مع بيان محل ورود ألفاظها وعباراتها في الكتاب المقدس:

١. أبوت : أي الآباء ، سميت بالآباء لأنه ذكرت فيها أسماء الآباء ، وقد ورد ذكر ذلك في الأسفار: خروج ١٥/٣ ، تكوين ٩/١٤ ، تثنية ١٧/١٠ ، إشعيا ٢٠/٥٩ زامير ١١/٧ و ٣/١٨ و ٣٦ و ١٠/٨٤ ، تكوين ١/١٥.

جبوروت : أي القُوّات فيها تنسب الجبروت لله تعالى ، وتسمى أحياناً "تِحِيَّتْ هَمْيتيم" لأنه ذكر فيها قيامة الأموات. وجاء ذكر ذلك في مزامير ١٤٤/١٤ خروج ٢٦/١٥ مزامير ٦/١٤٦- ٧ دانيال ٢/١٢ صمويل الأول ٦/٢.

قِدُوشَت هشّيم : أي قداسة اسم الجلالة. مزمور ٤/٢٢ و ٣/١٦.

أَتَّهْ حُونين : وتعرف أيضاً بالطلبة لأجل الفهم والحكمة . إشعيا ٢٣/٢٩ إرميا ١٥/٣ مزامير ١٠/٤٤ . وقد وردت "أته حونن" بما يقارب الـ ١٠٠ مرة في المزامير.

تِشُوَبَة : أي التوبة. إشعيا ١٠/٦ و ١٣ إشعيا ٧/٥٥.

سِلِيحَة : أي العفو والسماح . إشعيا ٧/٥٥.

بركَت هَجْأُولَه : أي الخلاص . مزمور ١٤/٩ و ١٨/٢٥ و ١٥٣/١١٩- ١٥٤ و ١/٣٥ و ١/٤٣ و ٢٢/٧٤ و ٥٨/٣.

بركت هَاحُوليم : أي طلبة لأجل شفاء المرضى . إرميا ١٤/١٧ و ١٧/٣٠.

بركت هَشَّانيم : أي طلبة لأجل محصولات السنة. مزمور ٥/٤٥ و ١٢ و ٥/١٠٣ ارميا ١٤/٣١.

قبوص جلُيوت : أي طلبة لأجل جميع المَسْبِيِّين. إشعيا ١٣/١١ و ١٣/٢٧ و ٥/٤٣ و ٢٠/٤٥ و ٩/٦٠ إرميا ٢٧/٥١ تثنية ٤/٣٠ ميخا ٦/٤ مزامير ٢/١٤٧.

بركت هدِّين : أي طلبة لأجل الأحكام. إشعيا ٢٦/١ هوشع ٢١/٢ مزامير ٥/٣٣ و ٤/٩٩ إشعيا ٨/٦١. قابل : إشعيا ١٠/٣٥ و ١١/٥١ مزامير ١٠/١٤٦.

هَمَّلْشِرِنيم : أي طلبة ضد الصدوقيين . مزامير ٥١/٨١ إشعيا ٥/٢٥.

صِدِّيقيم : أي طلبة لأجل الصالحين . إرميا ٢٠/٣١ إشعيا ١٦/٦٣ مزامير ٦/٢٢ و ٢/٢٥ و ٥/٧١ و ٨/١٤٣ جامعة ٩/٦.

بنيان يروشليم : أي طلبة لأجل إعادة بناء أورشليم. زكريا. ٣/٨ مزامير ٢/١٤٧ و ٣٦/٨٩ – ٣٧ و ٥/١٢٢.

إت صيمَح : أي طلبة لأجل نسل داود. هوشع ٣/٥ إشعيا ٥٦/٧ مزامير ١/١٣ و ٩/١١٢ تكوين ١٨/٤٩ مزامير ٤/٨٩ و ١٨ و ٢١ و ٢٦ و ٥/٢٥ حزقيال ٧١/٢٩ و ٢٣/٣٤ مزامير ١٧/١٣٢ و ١٠/١٣٢ إرميا ٥/٢٣ و ١٥/٣٣.

تِفِلّة : أي طلبة لأجل قبول الصلاة. مزامير ٣/٦٥.

عَبُودَة : أي طلبة لأجل إعادة طقس العبادة في الهيكل. ميخا ١١/٤.

هُوَدأة : تحتوي على اعتراف وشكر. أخبار الأيام الأول ١٣/٤٩ صمويل الثاني ٣٩/٢٢ مزامير ١٣/٧٩ و ٦/٦٨ إرميا ٦/١٠.

شالوم : أي طلبة السلام. مزامير ١٠/٢٩ عدد ٢٧/٦ ميخا ٨/٦ مزامير ١٦٥/١١٩ و ٥/١٢٥. وقد اختصروا الثلاث عشرة البركة المتوسطة، أي القسم الثاني، وتعرف بكلمة "هبيتينو" تتلى عند كثرة المشغولية بدل العاميدة كلها على رأي ربي عقيبا (برايتا ٣/٤- ٤). وهذا الاختصار كما يأتي:

(١) امنحنا حكمة لنتعلم طرقك (٢) اجعل قلبنا يهابك (٣) اغفر خطايانا (٤) خلصنا (٥) احفظنا من الأمراض (٦) اكفنا من محصولات الأرض (٧) اجمع شملنا (٨) حاكمنا بحقك (٩) عاقب الأشرار (١٠) كافئ الأبرار (١١) ابن أورشليم والهيكل (١٢) لتحي مملكة وسلالة داود مسيحك (١٣) استجب لنا.

المطلب الرابع
كتاب الصلاة

إن أقدم كتاب يشمل مجموع صلوات السنة (السِّدور) هو "سِيدِرْ رَبْ عَمْرام" على اسم جامعه عمرام الجأن في "ماثه محسية" في بابل سنة ٨٤٦ و ٨٦٤. وهو يختلف قليلاً عن كتب الصلاة الحالية ويقرب من طقس السفاراديم أكثر من الإشكنازيم. وبقي ما يزيد عن ألف سنة بدون طبع، إلى أن اشترى كوروَنل نسخة من "حبون" وطبعها في وارسو سنة ١٨٦٥.

ثم قام بعده سعديا الجأون رئيس مدرسة سورا في بابل، ووضع سِدُّوراً سنة ٩٢٨- ٩٤٢ وجد مخطوطاً في الفيوم محل ميلاده، وكان يحتوي على صلاتين من وضعه، عَرَّبَ إحداهما بنفسه والأخرى عرّبها صيمحْ أبن يوسف.

وجمع ربي إلحانان "سيدر يِقون تِفلّة" في الجيل السادس عشر. ووضع موسى الميموني الشهير كتاب "سيدر تفلّوت كل هشّانا" في آخر كتاب له شهير معروف بـ "الْيَاد" وهو يطابق طقس السفاراديم تماماً وقد طبع مع ترجمته الألمانية في بطرسبرج سنة ١٨٥١. وأهم وأول كتاب لصلاة الإشكنازيم هو "مَحَزُور فِتريْ" وضعه حاخامو فرنسا سنة ١٢٠٨، وهو أكبر من سدّور عمرام بعشر مرات.

أما الاختلافات الموجودة في الصلوات بين طقوس السفاراديم والإشكنازيم فهي قليلة جداً، وتنحصر في الأغاني والملحقات، أما أساس الصلاة والبركات فلا اختلاف فيها. غير إن السفاراديم يكثرون من استعمال النعوت والمترادفات. ومنذ عهد العالم لُوريّا انتشر طقس أو منهاج السفاراديم في روسيا كثيراً، وبالأخص عند الفئة المعروفة بالحاسيديم.

وأول كتاب صلاة مطبوع ظهر في ٢ أيار عبراني سنة ٥٢٤٦ الموافق ٧ إبريل سنة ١٤٨٦ حسب منهاج يهود روما، والنسخة الوحيدة الباقية منه موجودة في مكتبة مدرسة اللاهوت الإسرائيلية في الولايات المتحدة بأمريكا. وأول كتاب صلاة للسفراديم طبع في فينيسيا(البندقية) سنة ١٥٢٤ دعي "تِمُونُوت، تِحِنّوت، تِفِلُّوت" أي تأملات وتوسلات وصلوات.

وأما كتاب صلاة القرائين فيختلف كثيراً عن سدور الإسرائيليين، وطبع أول مرة في فينسيا في الجيل السادس عشر في أربعة أجزاء. وأول ترجمة صدرت من العبرانية إلى اللغات الأخرى كانت إلى الإيطالية في رومية، بحروف عبرانية، سنة ١٥٣٨م وبعدها إلى الألمانية في ١٥٦٢م، وإلى الإنكليزية في ١٧٣٨م، وإلى الفرنساوية في

١٧٧٣م، وإلى البولاندية في ١٧٩٣م، ثم إلى جملة لغات أخرى في أوقات مختلفة.

المطلب الخامس
مواقيت الصلاة

من خلال شرح الدكتور هلال فارحي يتبين لنا أن أساس التدين اليهودي نفسه، وهو الصلاة الموسوية الموصوفة في كتب الشريعة اليهودية، لا تمت إلى ما كان من طقوس الصلاة الموسوية، ويجدر بنا أن نشير أيضاً إلى أن الأعياد الدينية الإسرائيلية ضعيفة الصلة كذلك بموسى وشريعته، بل أن كثيراً منها يرجع إلى مناسبات وذكريات تاريخها متأخر عن سيدنا موسى بزمن طويل. وفيما يلي بيان لبعض التفاصيل الخاصة بإقامة الصلاة اليومية التي أشار إليها الدكتور فارحي.

الصلاة الواجبة:

الصلوات الواجبة على اليهودي ثلاث مرات في كل يوم:

١- صلاة الفجر، ويسمونها صلاة السحر " شَخَاريت ". ووقتها حسب ما قررته المشنا منذ أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأزرق إلى ارتفاع عمود النهار.

٢- صلاة نصف النهار أو القيلولة " مِنْحَة "، وتجب منذ انحراف الشمس عن نقطة الزوال إلى ما قبل الغروب.

٣- صلاة المساء، ويسمونها صلاة الغروب " عَربيتْ "، ووقتها من غروب الشمس وراء الأفق إلى أن تتم ظلمة الليل الكاملة، إي ما يقابل وقت العشاء عند المسلمين.

المطلب السادس
طقوس الصلاة

وتبدأ الصلاة بشيء يقابل الضوء هو غسل اليدين فقط، ثم يوضع الشال الغير على الكتفين، أو الشال الكبير في الصلوات التي تتم جماعة في المعبد كصلاة السبت، والأعياد وهذا الشال يكون من نسيج أبيض مستطيل أو مربع وفي كل زاوية

من زواياه حلية مؤلفة من ثمانية أهداب من الخيط أربعة بيضاء وأربعة زرقاء[1]، رمزاً للتعرف على طلوع الفجر بتمييز الخيط الأبيض من الخيط الأزرق.

وهذا الأزرق مختلف فيه من حيث درجته في الزرقة، وإنما نهتم بذلك لدخوله حالياً في ألوان العلم الإسرائيلي. فنص المشنا في هذا الموضع يعبر عن الأزرق بالفظة العبرية المبهمة " تِكلِتْ " التي اختلف فيها الشراح من الأزرق الكحلي الداكن، إلى البنفسجي، إلى السماوي، إلى الأزرق الفاتح الضارب إلى الخضرة القريب مما يسمى في اللهجات العربية " الكرنبي " أو " اللوزي "، ويسمى عند شراح المشنا من اليهود " الكُرّاثي " أي، الذي لونه كلون الكُرّاث.

وقد مال سعديا الفيومي إلى ترجيح الأزرق السماوي، فكان يستعمل في ترجمته كلمة " أسمنجوني " من الفارسية " آسمان " بمعنى سماء و " كون " بمعنى لون. ومعظم اليهود يتعبون هذا الرأي الآن، كما تأخذ به إسرائيل في اللون الأزرق لرايتها. ولهذا الشال في طياته أحكام خاصة أهمها أنه لا تلمسه النساء، وهكذا يخصص له موضع معلوم في المنزل، ويجب على اليهودي لبسه منذ أن يبلغ سن التكليف بالعبادة وهو ثلاث عشرة سنة، ويبقى عنده إلى أن يموت فيكفن عادة فيه.

والصلاة اليهودية تجب فيها تغطية الرأس، وهي عموماً تقليد عندهم للتعبير عن الاحترام، إذا قرأوا في النصوص المقدسة، أو ذكروا اسم الله، أو قابلوا عظيماً من العظماء. كذلك يلبسون " التفّلين ". وهي عبارة عن علبة صغيرة من الخشب أو الجلد محفوظ بداخلها رقعة من رق الغزال أو الجلد مكتوب عليها " قراءة السماع " التي سبقت الإشارة إليها وهذه العلبة مثبتة في شريط من الجلد. ويجب وضعها عند الصلاة في وسط الجبهة بحيث يربط شريط الجلد حول الرأس وتوضع واحدة أخرى

---

[1] اسمها بالعبرية " صيصيت ".

على الكف اليسرى بحيث يربط شريطها حول اليد وتكون العلبة مثبتة عند أصل الإبهام. وإذا كان المصلي أشول أي ستعمل يده اليسرى، وجب عليه أن يربطها على الكف اليمنى، وقد اعتمد الفقه اليهودي في فرضه لهذه " التفّلين "على فهم حرفي ظاهري للآية (التوراة – سفر التثنية ٦/٨)، التي تقول عن كلمات الله: " وثبتها على يدك آية، ولتكن عصائب بين عينيك ".

وواضح أن المراد في المعنى المجازي وهو التمسك بها كما يتمسك الإنسان بشيء ثمين في يده، والاهتداء بها كما يجعل الإنسان العلامة التي تهديه أمام عينه دائماً. ونص قراء السماع بفقراته الثلاث هو: إسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا، الرب واحد. فتحب الرب إلهك بكل قلبك، وبكل نفسك، وبكل قوتك. ولتكن هذه الكلمات التي أنا موصيك بها اليوم على قلبك. وأروها لأولادك ن وتلفظ بها في إقامتك ببيتك وفي مشيك في الطريق وحين نومك وقيامك. وثبتها على يدك آية، ولتكن عصائب بين عينيك. واكتبها على مصاريع بيتك وعلى بواباتك (التوارة – سفر التثنية ٦/٤-٩).

فإذا سمعتم وصاياي التي أنا موصيكم اليوم سمعاً ن لتحبوا الرب إلهكم وتعبدوه بكل قلوبكم وكل نفوسكم، أعطيتُ مطر أرضكم المبكر والمتأخر في أوانه، فجمعت قمحك وخمرك وزيتك. وأعطيتُ بهائمك عشباً في حقلك فتأكل أنت وتشبع. واحترسوا من أن تزيغ قلوبكم فتنحرفوا وتعبدوا آلهة أخرى وتسجدوا لها، فيحمى غضب الرب عنيكم، ويغلق السماء فلا يكون مطر، ولا تعطي الأرض غلتها، فتبيدون سريعاً من الأرض الطيبة التي يعطيكم الرب. فضعوا كلماتي هذه على قلوبكم ونفوسكم وثبتوها آية على أيديكم، ولتكن عصائب بين عيونكم، وعلموها لأولادكم متكلمين بها عند الإقامة في بيوتكم وحين المشي في الطريق ووقت منامك وقيامك.

واكتبها على مصاريع بيتك وعلى بوابتك، لكي تكثر أيامك وأيام أولادك على الأرض التي أقسم الرب لآبائك أن يعطيهم إياها طيلة أيام السماء على الأرض.[1]

، وتكلم الرب موسى قائلاً: حدث بني إسرائيل وقل لهم أن يصنعوا لهم أهداباً في أطراف ثيابهم على أجيالهم ويجعلوا على هدب كل طرف فتيلا من الأسمانجوني. فتصير لكم هدباً فترونها وتذكرون كل وصايا الرب وتنفذونها ولا تدورون وراء قلوبكم ووراء عيونك إذ أنتم من ورائها تفسقون لكي تتذكروا وتنفذوا كل وصاياي وتكونوا مقدسين لإلهكم أنا الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر ليصير لكم إلهاً. أنا الرب إلهكم" سفر التثنية ١١/١٨- ٢٠.

وهذا الجزء من الصلاة اليهودية هو الوحيد المأخوذ كله من التوراة بينما البركات الثماني عشر التي تسمى عندهم "شمونه عسره" أو عاميدة" فقد وصفها النص الذي سقناه من الدكتور هلال فارحي وصفاً تفصيلياً، وأشار إلى أنها ترجع في تصنيفها إلى عزرا ورجال الكنيسة الكبرى وأن الحبر اليهودي صمويل الأصغر أقحم فيها ما يسمونه بالبركة التاسعة عشرة، وترتيبها في العاميدة الثانية عشرة وهي في الواقع ليست بركة ولكنها لعنة يصبونها على الفرق الأخرى من غير اليهود الربانيين، وبخاصة طائفة الصدوقيين، وصمويل الأصغر هذا من مدرسة "التنائيم" أي رواة المشنا كما هو معروف وأما العاميدة في صورتها النهائية هذه فإنها تبدو على النحو التالي[2]:

١. يا مولاي أفتح شفتي فيخبر فمي بتسبيحك.

٢. مبارك أنت يا رب إلهنا وإله آبائنا، إله إبراهيم، إله إسحق. وإله يعقوب. الإله

---

[1] سفر التثنية ١١/١٣- ٢١.

[2] انظر الدكتور هلال يعقوب فارحي، مرجع سابق، ص ٦٠ وما بعدها.

العظيم الجبال المهيب. الإله العالي، الواهب الانعامات الطيبة، مالك الكل، وذاكر فضائل الآباء، والآتي بمخلص لبني أبنائهم لأجل اسمه بمحبة. يضاف إليها في عشرة أيام التوبة اذكرنا للحية يا أيها الملك الذي يسر بالحياة. اكتبنا في سفر الحياة لأجلك أيها الإله الحي، الملك المعين المنجي والواقي. مبارك أنت يا رب يا مجنّ إبراهيم.

٣. أنت جبار إلى الأبد يا رب، أنت محيي الموتى، القادر على الإنقاذ (ويضيفون في الصيف) المنزل الندى (وفي الشتاء) مسير الريح ومنزل المطر. الكافل الحياة بفضله. المحيي الموتى بمراحم جليلة مقيم الساقطين، وشافي المرضى ومطلق الأسرى ومقيم أماناته للنائمين في التراب. من مثلك صاحب قدرات. ومن يشبهك ملكاً يميت ويحيي، وينبت النجاة.

وفي عشرة أيام التوبة يقال: " من مثلك أيها الأب الرحمن، الذاكر مخلوقاته برحمتة للحياة، وإنك لأمين على إحياء الموتى. مبارك أنت يا رب يا محيي الموتى. وعند تكرار العاميدة يضاف نقدسك ونعظمك كأنغام نطق محفل السرافيم المقدس، إذ يثلثون لك التقديس، فهكذا مكتوب على يد نبيك " وصاح هذا لهذا وقال: قدوس، قدوس، قدوس رب الجنود. ملء كل الأرض مجده "[1]. فيقابلونهم مسبحين وقائلين " مبارك مجد الرب في مقامه "(حزقيال ٣/١٢). والقول المكتوب في كلامك المقدس " يملك الرب إلى الأبد، إلهك يا صهيون من جيل لجيل. سبحوا الله".(مزامير ١٤٦/١٠).

٤. أنت قدوس، واسمك قدوس، والمقدسون في كل يوم يسبحونك سلاه. لأنك إله، ملك عظيم ومقدس. مبارك أنت أيها الرب الإله (في عشرة أيام التوبة يضاف بعد ذلك كلمة — الملك) المقدس.

---

[1] انظر الدكتور هلال يعقوب فارحي، مرجع سابق، ص ٦٠ وما بعدها.

٥. أنت تمد بني آدم بالمعرفة ، وتعلم الإنسان الفهم فتكرم علينا من لدنك بمعرفة وفهم وفطنة. مبارك أنت أيها الرب الواهب المعرفة.

٦. ارجعنا يا أبانا لتوراتك ، وقربنا يا ملكنا لعبادتك ، واردنا بتوبة كاملة إلى وجهك. مبارك أنت أيها الرب القابل التوبة.

٧. اغفر لنا يا أبانا لأننا قد أخطأنا. اصفح عنا يا ملكنا لأننا قد أذنبنا فإنك رب طيب غفور. مبارك أنت يا رب يا رؤوف يا واسع المغفرة.

٨. انظر إلى ذلنا ، وأيد دعونا ، وعجل بخلاصنا خلاصاً كاملاً من أجل اسمك ، لأنك رب مخلص قوي. مبارك أنت يا رب ، يا مخلص إسرائيل.

٩. داونا يا رب لنشفى. أنقذنا لننجو ، لأنك أنت تسبيحنا (إرميا ١٤/١٧) . وتعطف بدواء وشفاء لكل أمراضنا وكل آلامنا ولكل مصائبنا ، لأنك رب شاف رحمان وأمين. مبارك أنت يا رب شافي مرضى شعبه إسرائيل.

١٠.وهي بركة لمحصولات السنة ، يقال فيها في الصيف : " باركنا يا رب يا إلهنا في كل عمل أيدنا ، وبارك سنتنا بشآبيب الرضا والبركة والجود ، فيكون آخرها حياة وشبعاً وسلاماً كالسنين الطيبة المباركة ، لأنك أنت رب طيب ومحسن وتبارك السنين. مبارك أنت يا رب يا من تبارك السنين " .

ويقال في الشتاء : " بارك لنا يا رب يا إلهنا في هذه ، وفي كل أنواع غلتنا بالخير. وأنزل ندى ومطراً للبركة على كل وجه الأرض. وأرو وجه الثرى ، وأشبع العالم كله من خيرك ، واملأ أيدينا من بركاتك ومن سخاء عطايا يديك. احفظ هذه السنة ونجها من كل أمر رديء. ومن كل أنواع الآفات ، ومن كل صنوف الغضب. واجعل لها أملاً طيباً ونهاية آمنة. أشفق عليها ، وارأف بها ، وبكل غلتها وثمارها. وباركها بأمطار الرضا والبركة والجود ، فيكون آخرها حياة وشبعاً وسلاماً كالسنين الطيبة المباركة ، لأنك أنت رب طيب ومحسن وتبارك السنين. مبارك أنت يا رب يا من تبارك السنين.

١١.انفخ في بوق كبير لأجل حريتنا، وارفع علماً لجمع مشتتينا، واجمعنا من أركان الأرض الأربعة معاً إلى أرضنا. مبارك أنت يا رب، جامع مشردي شعبه إسرائيل.

١٢.أعد قضاتنا كما كان الأمر أولاً، وناصحينا كما في البداية، وأبعد عنا الضيق والكدر والأنين. وأملك علينا عاجلاً أنت وحدك يا رب برحمة وعدل وحكم. مبارك أنت يا رب، الملك المحب للعدالة والحكم. (ويقال في عشرة أيام التوبة) يا ملك الحكم.

١٣.هذه هي الدعوة التاسعة عشر التي أضافها صمويل الأصغر: " لا تكن رجاء للوشاة، بحيث يهلك كل البغاة تواً، ويستأصل كل أعدائك ومبغضوك عاجلاً، فتقتلع وتحطم وتعدم وتقهر وتدمر ملك الفساد عاجلاً في أيامنا. مبارك أنت يا رب كاسر الأعداء وقاهر البغاة.

١٤.لترفرف مراحمك يا رب يا إلهنا على الصالحين والأتقياء، وعلى بقية شعبك آل إسرائيل، وعلى شيوخهم، وعلى الناجين من عشيرة كتبتهم، وعلى دخلاء الصدق وعلينا. وأعط أجراً حسناً لكل المتكلين على اسمك بالحق. واجعل نصيبنا معهم فلا نخزى إلى الأبد، لأننا بك وثقنا، وعلى فضلك العظيم بالحق اعتمدنا. مبارك أنت يا رب يا سند الصالحين ومعتمدهم.

١٥.اسكن في وسط أورشليم مدينتك، حسب ما قلت. وثبت فيها كرسي عبدك داود عاجلاً، وابنها سريعاً في أيامنا بناءً أبدياً. مبارك أنت يا رب، باني أورشليم.

١٦.اجعل ذرية عبد داود تنبت عاجلاً، وارفع بفرجك، لأننا نؤمل في فرجك كل يوم. مبارك أنت يا رب مُنْبِتَ قرن النجاة.

١٧.اسمع صوتنا يا رب يا إلهنا الأب الرحمن. أشفق علينا وارأف بنا واقبل صلاتنا برحمة ورضوان، لأنك رب سميع للصلوات والدعوات ولا تردنا عن وجهك يا ملكنا خائبين. تحنن علينا، واستجب لنا، واسمع صلاتنا، لأنك أنت تسمع صلاة

كل فم .مبارك أنت يا رب يا سامع الصلاة.

وفي يوم الصيام يقال: " استجب لنا يا أبانا. استجب لنا في يوم صوم هذا الصيام لأننا في كرب عظيم. لا تلتفت إلى شرنا ولا تتوار يا ملكنا من دعائنا. كن قريباً لصراخنا. بل استجب لنا قبل أن نصرخ إليك. نتكلم وأنت تسمع، كالكلام الذي قيل: " ويكون أنني قبل أن يدعوا أجيب، وفيما هم بعد يتكلمون أنا أسمع "، (إشعيا ٥٦/٢٤). لأنك أنت يا رب فادٍ مخلّص، ومجيب وراحم في كل وقت كرب وضيق.(يقرأ الحزان وحده)[1] مبارك أنت يا رب المستجيب لشعبه إسرائيل في وقت الكرب ".

١٨. ارض يا رب يا إلهنا عن شعبك إسرائيل، وانظر إلى صلاتهم، وأعد العبادة إلى محراب بيتك، واقبل بمحبة ورضوان قاربين إسرائيل وصلاتهم عاجلاً، ولتكن عبادة إسرائيل شعبك دائماً مرضية. في أوائل الشهور القمرية وفي وسط عيدي الفصح والمظال يقال: " إلهنا وإله آبائنا، ليصعد ويأت ويصل ويظهر ويقبل ويسمع ويفتقد ويذكر أمامك ذكرنا، وذكر آبائنا، وذكر أورشليم مدينتك، وذكر المسيح ابن داود عبدك، وذكر كل شعبك آل إسرائيل، للنجاة والخير والعطف والإحسان والرحمة، (في أول الشهر) في يوم مستهل الشهر هذا، (في الفصح) في عيد الفصح هذا، (في المظال) في عيد المظال هذا، في يوم المحفل المقدس هذا، لترحمنا فيه وتخلصنا. اذكرنا يا رب إلهنا فيه للخير، وافتقدنا في للبركة، وخلصنا فيه لحياة سعيدة، وحسب الوعد بالفرج والرحمة أشفق علينا، وحن علينا، وأرأف بنا وارحمنا وخلصنا، لأن أعيننا نحوك، لأنك إله ملك رؤوف رحيم.

١٩. وأنت بحسب مراحمك الكثيرة تسر بنا وترضى عنا، فترى أعيننا رجوعك إلى

---

[1] هو الكاهن الذي يقوم بصلاة الجماعة في المعبد.

صهيون برحمة. مبارك أنت يا رب الذي يعيد سكينته إلى صهيون. ونشكرك لأنك أنت الرب إلهنا وإله آبائنا إلى الآبدين. صخرتنا »، صخرة حياتنا، ومجن خلاصنا هو أنت. جيلاً بعد جيل نشكر لك ونتحدث بحمدك من أجل حياتنا المودعة بيدك .وأرواحنا المحفوظة عندك، ومعجزاتك التي هي معنا كل يوم، وعجائبك وخيراتك التي هي في كل وقت مساء وصباحاً وظهراً.

أيها الطيب الذي لا تنتهي مراحمك، المشفق الذي لا تنقطع أفضالك، فإننا منذ الأزل وضعنا أملنا فيك. (ومن مأثورات هذه الفقرة) نشكرك لأنك أنت الرب إلهنا وإله آبائنا وإله كل البشر، خالقنا المصوّر في البداية. البركات والتشكرات لاسمك العظيم والمقدس لأنك أحييتنا وثبتنا. وكذلك ستحيينا وترأف بنا وتجمع المشتتين منا إلى دور قدسك ، لنحفظ فرائضك ونعمل ما يرضيك ونعبدك بقلب سليم، لهذا نحن نشكرك مبارك رب التشكرات.

وفي عيدي الحانوكة والفور يقال: نشكرك أيضاً على المعجزات والخلاص والأعمال العظيمة وعلى الفرج، وعلى الخوارق وعلى التعزيات التي صنعتها لآبائنا في غابر الزمان وفي هذا الوقت. (في عيد الحانوكة) في أيام متاتيا بن يوحنا الكاهن الأعظم الحشموني وأبنائه عندما وقفت مملكة اليونان الفاجرة ضد شعبك إسرائيل، لتنسيهم توارتك، وتجعلهم يخالفون فرائض إرادتك، وقفت أنت بمراحمك العظيمة معهم في وقت شدتهم، وأيدتهم في خصومتهم، وحكمت حكمهم وثأرت انتقاماً لهم، سلمت الجبابرة بيد الضعفاء، والكثيرين بيد القليلين، والمجرمين بيد الصديقين، والأنجاس بيد الأطهار والبغاة بيد المشتغلين بشريعتك فصنعت لك اسما عظيما ومقدسا في عالمك، وصنعت لشعبك إسرائيل نجاة عظيمة وخلاصاً في مثل هذا اليوم.

وبعد ذلك جاء أباؤك إلى محراب بيتك فنظفوا هيكلك، وظهروا مقدسك

وأوقدوا شموعاً في أفنية قدسك، وأقروا هذه الأيام الثمانية للحمد والشكر إذ أتيت معهم بمعجزات وعجائب فنشكر اسمك العظيم. سلاه. (وفي عيد الفور) في أيام مردخاي واستير، في العاصمة شوشن، عندما قام عليهما هامان المجرم، وطلب تدمير وقتل وإهلاك كل اليهود من الغلام إلى الشيخ والأطفال والنساء، في يوم واحد هو الثالث عشر من الشهر الثاني عشر، أي شهر آذار، ونهبهم غنيمة (استير ١٣/٣).

وأنت براحمك العظيمة أبطلت مشورته، وخيبت فكرته، ورددت جزاءه على رأسه، فعلقوه هو وأولاده على الخشب. هكذا صنعت معهم معجزات وعجائب. فنكشر اسمك العظيم سلاه. وعلى كل هذه ليتبارك ويتعال ويرتفع اسمك دائما يا ملكنا إلى أبد الآبدين وكل الأحياء يشكرونك سلاه. (في عشرة أيام التوبة) واكتب حياة سعدية لبني عهدك. وليمدحوا ويباركوا اسمك العظيم حقاً إلى الأبد لنه طيب إله نجاتنا وعوننا. سلاه. الإله الطيب. مبارك أنت يا رب الطيب الاسم، وبك يليق الشكر (وعند تكرار العاميدة يقول الحزان): إلهنا وإله آبائنا باركنا بالبركة المثلثة في التوارة، المكتوبة على يدي موسى عبدك المنطوقة من فم هارون وأبنائه كهنة شعبك المقدسين في قوله " يباركك الرب ويحرسك، يضيء الرب بوجهه عليك، ويرأف بك. يرفع الرب وجهه عليك، ويمنحك سلاماً، فيجعلون اسمي على بني إسرائيل وأنا أباركهم ". (عدد ٦/٢٤-٢٦).

٢٠. اجعل علينا سلاما وخيرا وبركة وحياة ونعمة وفضلا وإحسانا ورحمة وعلى جميع شعبك إسرائيل. وباركنا يا أبانا جميعنا معاً بنور وجهك. لأنه بنور وجهك أعطيتنا يا رب إلهنا شريعة وحياة ومحبة وفضلاً وإحسانا ورحمة وبركة وسلاما. ليكن حسنا في عينيك أن تباركنا وتبارك على شعبك إسرائيل بمزيد عزة وسلام، (في عشرة أيام التوبة يقال): وفي سفر الحياة والبركة والصلاة والقوت والجيد والفرج

والعزاء والأحكام الحسنة لنذكر ونكتب أمامك نحن وجميع شعبك إسرائيل لحياة سعيدة وسلام. مبارك أنت يا رب يا من يبارك شعبه إسرائيل بالسلام، آمين. لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضية أمام وجهك يا رب يا صخرتي وموئلي.(مزامير ١٩/١٥).

المبحث الخامس
التقويم العبري والأعياد اليهودية

المطلب الأول
التقويم العبري

التوقيت وهو حساب الليل والنهار والأيام والأسابيع والشهور والسنين، من أهم الأشياء التي وجه إليها اليهود عنايتهم في حياتهم الدينية. ولا عجب في ذلك، فقد شد انتباههم منذ القدم اهتمام الأمم الأخرى المتحضرة التي تقلبوا بين ظهرانيها بحساب الزمن. فالمصريون كانوا يؤلهون الشمس، ويرصدون حركاتها ويجعلون مدار السنة مرتباً مع دوراتها. وكانوا يحتفلون بالفصول الأربعة، ويربطون ذلك بأساطيرهم الدينية من ناحية، وبحياتهم الزراعية من ناحية أخرى. البابليون والأشوريون والكلدانيون، وكذلك الكنعانيون والسريان الآراميون، والعرب، كانوا يعرفون دقائق حركة الشمس والقمر كليهما، ودوران الكواكب على مر الأيام، ينظمون بذلك نشاطهم في الزراعة وانتجاع المراعي والسفر للتجارة. فحذا العبريون حذوهم، واهتموا بالتاريخ والتقويم.

والتاريخ اليهودي يجعل نقطة بدايته خلق السماوات والأرض وقد أخذ أحبارهم في حساب أعمار الأسلاف، وضم بعضها إلى بعض، منذ آدم ملتزمين في ذلك حرفية نص الكتاب المقدس، ولا شك بأن التاريخ بهذه الطريقة هو تاريخ خرافي

أسطوري متأخر جداً عن بدء الخليقة الذي لا يعلم إلا الله وحده. ويكفي أن نقول إن لدينا آثاراً من صنع يد البشر، وحضارات، وبقايا من أجسام إنسانية في نواح كثيرة متفرقة من العالم ترجع إلى ما قبل هذا التاريخ بأزمنة طويلة جداً، ومهما يكن من شيء فإن بدء التاريخ عند كل ملة من الملل إنما مسألة إصلاحية، متى ما اتفق عليها الناس فلا مشاحة فيها، إلا من حيث ارتباطها بحادثة إنسانية عامة ضخمة مثل بدء الخليقة، الذي يعتبر بلا تردد أضخم حوادث التاريخ.

وحساب الشهور في السنة العبرية يتبع دورة القمر، بينما حساب السنين يتبع دورة الشمس. ولذلك فقد كان لزاماً على اليهود حتى يتطابق الحسابان، القمري للشهور والشمسي للسنين، أن يكون هناك نسيء يكمل الفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية التي تقل بنحو عشرة أيام. هذا النسيء يجري عند اليهود بإضافة شهر كل ثلاث سنين، بحيث تكون سنتهم الكبيسة التي تأتي مرة كل ثلاثة أعوام مؤلفة من ثلاثة عشر شهراً، وشهر النسيء يقحم عندهم بعد شهر آذار اليهودي الذي يأتي في فصل الربيع، جزء منه في أواخر فبراير، وبقيته في شهر مارس، وهكذا يكون في السنة الكبيسة شهران هما آذار وآذار الثاني. ولما كانت الشهور اليهودية قمرية كما قلنا فإنها، كشهور السنة الهجرة، إما أن تكون ثلاثين يوماً أو تسعة وعشرين يوماً فقط. وهناك شهران اثنان فقط في السنة اليهودية يأتي كل منهما كاملاً (ثلاثين يوماً) أحياناً.وناقصاً(تسعة وعشرين يوماً فقط) أحياناً. وهذان الشهران هما " حشوان " الذي يقابل نوفمبر و " كسلو " الذي يقابل ديسمبر.وشهور السنة العبرة بحسب ترتيبها هي:

١- تشري — ٣٠ يوماً — (أكتوبر).

٢- حشوان — ٢٩- أو ٢٠ يوماً (آخر أكتوبر — نوفمبر).

٣- كسلو — ٢٩ أو ٣٠ يوماً — يوماً (آخر نوفمبر — ديسمبر).

٤- طبت — ٢٩ يوماً — (آخر ديسمبر — يناير).

٥- شباط — ٣٠ يوماً — (آخر يناير — فبراير).

٦- آذار — ٢٩ يوماً — (آخر يناير — فبراير).

٧- نيسان ٣٠ يوماً — (آخر مارس — ابريل).

٨- أيار — ٢٩ يوماً — (آخر ابريل — مايوا).

٩- سيوان — ٣٠ يوماً — (آخر مايو — يونيه).

١٠- موز — ٢٩ يوماً — (آخر يونيه — يوليه).

١١- آب — ٣٠ يوماً — (آخر يوليه — أغسطس).

١٢- أيلول — ٢٩ يوماً — (آخر أغسطس — سبتمبر).

وفي السنة الكبيسة التي يقحم فيها شهر آذار الثاني، يحسب آذار الأول ثلاثين يوماً، والثاني تسعة وعشرين يوماً. وكانت الطريقة القديمة للتقويم العبري، فيما يبدو، تجعل بدء السنة في فصل الربيع، بل ربما كان بدء التاريخ، إذ ذاك هو قصة خروج موسى من مصر في الفترة التي يقع فيها عيد الفصح، وهو شهر نيسان (إبريل) من شهور الربيع. ولذلك جرت عادة اليهود حتى الآن عندما يسردون أسماء شهور السنة أن يبدأوا بنيسان لا بتشرين فيقولون نيسان — أيار — سيوان — تموز — آب أيلول — تشري — حشوان — كسلو — طبت — شباط — آذار. والسنة اليهودية تنقسم إلى أربعة فصول، كل فصل منها طوله واحد وتسعون يوماً وسبع ساعات ونصف ساعة، وهي:

١- فصل الخريف، ويسمى عندهم "تقوفت تشري" ويبدأ في ٢٤ أو ٢٥ سبتمبر.

٢- فصل الشتاء، ويسمى عندهم "تقوفت طبت" ويبدأ في ٢٤ أو ٢٥ ديسمبر.

٣- فصل الربيع، ويسمى عندهم "تقوفت نيسان" ويبدأ في ٢٥ أو ٢٦ مارس.

٤- فصل الصيف، ويسمى عندهم "تقوفت تموز" ويبدأ في ٢٤ أو ٢٥ يونيه.

٥- وقد حدد الموقتون، طبقاً لحساباتهم الفلكية، أياماً محددة من الأسبوع يبدأ فيها كل شهر من الشهور وفيما يلي بيان لها: -

نسيان: الأحد والثلاثاء والخميس والسبت، ولا يكون أبداً: الاثنين أو الأربعاء أو الجمعة.

أيار: الاثنين والثلاثاء والخميس والسبت، ولا يكون أبداً: الأحد أو الأربعاء أو الجمعة.

سيوان: الأحد والثلاثاء والأربعاء والجمعة، ولا يكون أبداً: الاثنين أو الخميس أو السبت.

تموز: الأحد والثلاثاء والخميس والجمعة، ولا يكون أبداً: الاثنين أو الأربعاء أو السبت.

آب: الاثنين والأربعاء والجمعة والسبت، ولا يكون أبداً: الحد أو الثلاثاء أو الخميس.

أيلول: الأحد والاثنين والأربعاء والجمعة، ولا يكون أبداً: الأحد أو الثلاثاء أو الخميس أو السبت.

تشري: الاثنين والثلاثاء والخميس والجمعة، ولا يكون أبداً: الأحد أو الأربعاء أو السبت.

حشوان: الاثنين والأربعاء والخميس والسبت، ولا يكون أبداً: الأحد أو الثلاثاء أو الجمعة.

كسلو: الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة، ولا يكون أبداً: يوم السبت.

طبت: الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والجمعة، ولا يكون أبداً الخميس أو السبت.

شباط: الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والسبت، ولا يكون أبداً: الأحد أو الجمعة.

آذار: السبت والاثنين والأربعاء والجمعة، ولا يكون أبداً: الأحد أو الثلاثاء أو الخميس(وآذار الثاني مثله في السنة الكبيسة) [1].

المطلب الثاني
مواسم
اليهود وأعيادهم

تتنوع مواسم اليهود وأعيادهم على النحو الآتي:

١- السبت، وهو العيد الأسبوعي عندهم ومدته من غروب شمس يوم الجمعة إلى غروب شمس يوم السبت، وأهم شعائره الكف عن أي عمل، فبذلك جاء الأمر صريحا في الوصايا العشر، المنسوبة إلى موسى في التوارة. وقد سبق أن قلنا إن هذه الوصايا العشر تكررت بألفاظها تقريباً في الإصحاح العشرين من سفر الخروج، والإصحاح الخامس من سفر التثنية.

ومن المواضع التي اختلفت فيها الروايتان الموضع الذي تشرح فيه حكمة تعطيل العمل يوم السبت، فرواية الخروج تجعل ذلك لأن الله نفسه استراح في هذا اليوم بعد انتهائه من تكوين الخليقة، وتقول: " واليوم السابع سبت للرب إلهك، لا تصنع فيه عملا لك أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي في داخل أبوابك، لأن الرب في ستة أيام خلق السموات والأرض والبحر وجميع ما فيها، وفي اليوم السابع استراح، ولذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه".

وفي رواية سفر التثنية يبدو أن الحكمة في تقديس يوم السبت هي بكل بساطة تمكين الإنسان والحيوان من الراحة بعد أسبوع من العناء ولا يرتبط ذلك هنا بان الله استراح في اليوم السابع. بل ربما كان المفهوم من السياق هو ربط هذه الراحة بالتحرر من السخرة والعبودية، عندما كان قوم موسى ما يزالون في مصر عبيداً لفرعون يعملون بأمره ولا يحق لهم أن يستريحوا يوماً واحداً في الأسبوع.

فهذه الرواية تقول. " احفظ يوم السبت وقدسه كما أمرك الرب إلهك. في ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك. واليوم السابع سبت للرب إلهك، لا تعمل فيه عملا أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وسائر بهائمك ونزيلك الذي في داخل أبوابك، لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك، واذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد قوية وذراع ممدودة ولذلك أمرك الرب إلهك بأن تحفظ يوم السبت". وتفنن فقهاء اليهود في تفسير الكف عن العمل يوم السبت، فحرموا فيه كل ما من شانه أن يشعر بالسعي في الرزق أو الانشغال بحرفة أو صناعة أو إنتاج أو بذل جهد في تحقيق هدف معين. لذلك حرموا إيقاد نار يوم السبت، وإن كان أكثرهم قد أباح بقاء النار التي أشعلت قبل الدخول في يوم السبت، والانتفاع بها يوم السبت نفسه، كأن توقد الأنوار والشموع والقناديل والأفران ونيران المطابخ والدافئ والمواقد بعد ظهر الجمعة لاستخدامها ليلة السبت.

كذلك حرموا السفر في هذا اليوم، لتحريم ركوب الدواب قديماً، وتحريم إيقاد النار التي تنطبق الوصية بها على وسائل المواصلات الحديثة، كالقطار والسيارة والباخرة والطيارة، التي تعتمد كلها في سيرها على النار، وجعلوا من السفر عبور الجداول والأنهار أو الانتقال بحراً. كذلك يحرم في يوم السبت إنفاق النقود أو تسليمها، فهذا كله عمل أساسه البيع والشراء أو أنواع مشابهة من الاكتساب والأخذ والعطاء بين الناس.

ومما يحرم في يوم السبت الكتابة لأنها في عرفهم تكون لإبرام العقود وعقد الاتفاقات ونحوها مما يدخل في مفهوم الشغل، لذلك جرى العرف على ألا يخرج اليهودي المتمسك بتعاليم السبت من بيته إلا وقد تأكد أن جيوبه ليس فيها أقلام ولا أوراق ولا نقود ولا كبريت، وأكثرهم يخرج إلى المعبد وليس معه إلا التوارة أو كتاب الصلوات " السدور". وأما خوض الحرب في يوم السبت، فذلك أمر مرهون

بتوجيهات الكاهن اليهودي فإذا أعلن أن أهل هذه الملة في خطر اعتبرت الحرب دفاعية وجاز دورانها يوم السبت.

ولذلك نلاحظ أن قادة إسرائيل في الوقت الحاضر حريصون جداً على إظهار حروبهم أمام الرأي العام اليهودي والعالمي بشكل حروب دفاعية، حتى يتخلصوا من مشاكل السبت وغيرها من مشاكل الحرب الهجومية، كضرورة الحصول في حالة التعبئة للحرب الهجومية، على إذن باستنفار من يصلحون للقتال من المجلس الديني الأعلى. وهذا هو سر تسمه "جيش الدفاع الإسرائيلي".

٢- بداية الشهر القمري، وله طقوس وصلوات خاصة تؤدي عند رؤية الهلال كل شهر، وهم لا يعتمدون على الرؤية البصرية، ويأخذون الآن بالحساب الفلكي، ويسمى عيد الهلال عندهم "روش حودش" أي رأس الشهر. والاحتفال به يكون أحياناً يوماً واحداً، وأحياناً يومين.

٣- رأس السنة العبرية، ويسمى عندهم "روش هشانا" وتستغرق طقوسه ثلاثة أيام، منهما اليوم الأول والثاني من شهر تشري (في أوائل أكتوبر) ثم يستمر الاحتفال في اليوم الثالث بطريقة شعبية. أما اليوم الرابع من تشري فهو يوم صيام اسمه "صوم حدليا" وهو يوم حزن وحداد — ككل أيام الصوم عند اليهود. ومناسبته هو ذكرى قتل جدليا بن أحيقام الذي ولاه بختنصر ملك بابل على البقية الباقية من اليهود في فلسطين بعد الاستيلاء عليها ونقل من يصلح للخدمة من اليهود أسرى إلى بابل، وتقول القصة إن أعداء اليهود دبوروا مؤامرة لقتل جدليا في هذا اليوم حتى يتمكنوا من إتمام إبادة هذه البقية معه من بني إسرائيل.

٤- يوم الغفران، أي يوم الكفارة، وهو اليوم العاشر من شهر تشري ويبدأ هذا العيد قبيل غروب الشمس من اليوم التاسع من تشري، ويستمر إلى ما بعد غروب شمس اليوم التالي، فمدته حوالي ٢٧ ساعة، يجب فيها الصيام ليلا ونهارا وعدم

الاشتغال بأي شيء ما خلا العبادة، واسمه بالعبرية " يوم كبور ".

والظاهر أن بداية هذه الشعيرة ترجع إلى عصور العبريين الأولى، بل من الراجح أن الشريعة الموسوية نفسها قد قررت يوماً في السنة لحساب النفس، والندم على ما بدر من المؤمن من الخطايا، والتكفير عنها لا بالصوم فقط بل بالذبائح والصلوات والأموال ورد المظالم إلى أهلها وطلب الصفح من المعتدى عليهم. وكان اسمه قديماً " يوم هكبوريم " أي يوم الكفارات.

ولكن حدث صدفة أن بختنصر دمر أورشليم وأشعل فيها النيران ودخلتها جيوشه منتصرة في هذا اليوم (سنة ٥٨٦ ق. م). فاقترن هذا اليوم بتلك الذكرى السياسية الأليمة بالنسبة لليهود، وأصبح عندهم أكبر أيام الحداد. ومن الأشياء الهامة التي تجب الإشارة إليها هنا أن اليهود، على طول تعرضهم الاضطهاد من الأمم التي عاشوا بين ظهرانيها، قد جعلوا من يوم الغفران أو التكفير هذا يوماً يعلنون فيه نقضهم للعهود والمواثيق التي قطعوها لغير اليهود.

وأفتى فقهاء اليهود بأن الداعي إلى ذلك كان إكراه اليهود على تغيير دينهم وشاع بين عوام اليهود أن يوم الغفران هذا يجوز فيه أكل الديون التي على اليهودي وعدم أدائها، كما يجوز فيه الرجوع في كل وعد أو تعهد قطعه على نفسه طول السنة معتمدين في ذلك على نص يتعبدون به — باللغة الآرامية — يبدأ بعبارة " كل ندري وأساري وشبوعي....إلخ " التي معناها " كل النذور والتحريمات والأيمان إلى آخره " .

والنص ينهي ذلك بأنها ملغاة وأن النذور ليست نذوراً والتحريمات ليست تحريمات والأيمان لست إيماناً. وبلغ من انتشار ذلك بينهم أن كثيراً من رجال الدين اليهودي المعاصرين قاموا في وجه هذه البدعه فحاخام بروكسل دافيد برمان يقول: " في ذلك أنه يكون من الخطأ الجسيم أن تفهم من هذا النص إمكانية متاحة الإسرائيلي في عدم التمسك بما قطعه على نفسه من وعود فلا يمكن أن يكون هذا النص التعبدي

ملغياً لما جاء في الشريعة – (التوارة ، سفر التثنية ٢٣/٢٤) وأما ما خرج منشفتيك فحافظ عليه...".

٦- عيد الظلل ن واسمه بالعبرية " سكوت " والأصل في هذا العيد أنه عيد زراعي ، كان يحتفل فيه بتخزين المحصولات الزراعية الغذائية للسنة كلها في هذا الفصل وهو فصل الخريف. فكانوا يكدسون مؤونتهم من التمر والتين الجاف والزيتون والزبيب والنبيذ ، ولذلك يسمونه أيضاً بالعبرية " حج هاأسيف " أي عيد التخزين.

ويبدأ هذا العيد في اليوم الخامس عشر من شهر تشري ، ويكون الاحتفال به منذ غروب شمس اليوم الرابع عشر ، بحيث تكون هذه ليلة العيد.ومدته التقليدية تسعة أيام ، منها سبعة أيام هي عيد الظلل بذاته ، ويومان آخران هما الثاني والعشرون والثالث والعشرون من تشري ن ولهما لون آخر فالأول منهما يسمى الثامن الختامي " شميني عصيرت " لنه يختم عيد الظلل بأيامه السبعة ، بل يختم كل الأعياد المكدسة في الشهر الأول من السنة العبرية وهو شهر تشري. وأما اليوم الثاني من هذين اليومين الأخيرين فإنه يفتتح دورة مديدة من قراءة التوارة ولذلك يسمى عيد فرحة التوارة " سمحت توراة ".

أما سبعة أيام الظلل ، فاليومان الأولان منها عيد بكامل مظاهر البهجة والاحتفال ، والخمسة الباقية استمرار مخفف لهما ، والتقليد عند اليهود في هذا العيد أن يقيموا في أكواخ مصنوعة من أغصان الشجر التي لا تحجب عنهم رؤية السماء تماماً. وهذه الأكواخ النباتية التي تشبه ما نسميه في مصر " الخُصّ " ، أو ما يسمى في الأقطار الشامية " العرزال " أو "العريشة" لابد أن ترجع إلى أعياد زراعية ورعوية بدائية ، إذ بعد موسم الجفاف الطويل مدة شهور الصيف ينتظر الفلاحون والرعاة مع الخريف بواكير المطر ، ويحتفلون بها احتفالاً خاصاً.

ولذلك فإن اليوم السابع والأخير من عيد الظلل يسمى عند اليهود " اليوم الكبير

لطلب النجدة " وبالعبرية " هو شعناريا " ويبدو أنها في الأصل كانت صلاة استسقاء عندما يتأخر المطر. وقد جرى عرف اليهود الآن على أنهم في هذا اليوم يدخلون المعبد لهذه الصلاة وفي يد كل واحد منهم غصن من الأغصان التي تستعمل في تهيئة هذه الظلل فيضربون على الكراسي بهذه الأغصان حتى تتساقط أوراقها كلها ، ويعتقدون انه مع سقوط الأوراق تسقط عنهم ذنوبهم التي ارتكبوها في السنة. وبالطبع أصبح اليهود المقيمون في أوروبا وأمريكا لا يحتفون بعيد الظلل في الهواء الطلق لشدة البرودة، واحتمال سقوط الأمطار في هذه الأيام الأخيرة من تشري (أواخر أكتوبر). ولذلك فهم يكتفون بعلم مظلة صغيرة من السعف أو أغصان الصفصاف، ومعها غصن من الأترج ، وهو نوع من المولح معروف ، بحيث تنصب هذه المظلة في إحدى الشرفات بالمسكن ، ويتناولون فيها وجبات الطعام فقط ، ثم ينامون في فراشهم داخل بيوتهم.

٧- الحانوكة ، أو عيد التدشين وهو عيد له طبيعة سياسية وصهيونية وتاريخية في الخامس والعشرين من شهر كسلو ، الذي يقابل شهر ديسمبر. وهو بوضعه هذا يمكن أطفال اليهود من الاحتفال بعيد إسرائيلي في نفس الفترة التي يحتفل فيها المسيحيون بعيد الميلاد.ومناسبة هذا العيد ترجع إلى ١٦٥ ق. م. إذ كانت فلسطين هي وسائر بلاد الشام تحت الحكم اليوناني ، كما كانت مصر أيضاً.

وكان المتصرف في الأقطار الشامية هو انتيوخوس إيبفانس ، الذي حاول إرغام اليهود الواقعين تحت حكمه على ترك دينهم ، والدخول في الوثنية اليونانية. ولكن الكاهن الأكبر متاهيا أعلن المقاومة يعاونه في ذلك أحد أبنائه واسمه يهوذا المكابي ، وأملهما انتزاع المعبد اليهودي من الجيوش اليونانية السورية التي وجهها انتيوخوس ايفانس. وفي نفس هذه السنة أخرجت التماثيل اليونانية من الهيكل ، وزوده متاتيا وابنه يهوذا المكابي بمذبح طاهر جديد ، وأعيد فتحه للشعائر اليهودية. وهذا هو السر

في تسمية هذا العيد بعيد التدشين.

والطابع المميز للاحتفال بهذا العيد هو إشعال الشموع الكثيرة والأنوار المختلفة لمدة أسبوع كامل، كذلك تدخل في العبادة قصائد وأناشيد كثيرة كلها إشادة بالأعمال الجليلة البطولية التي تمت في هذه الفترة. وبالرغم من أن السفرين الخاصين بتاريخ المكابيين يعتبران من النصوص غير القانونية عند اليهود، فإن المثقفين منهم يقرأ ونهما عادة في هذه المناسبة. وتجعل الصهيونية من هذا العيد مناسبة دعائية لأفكارها معتقداتها، ويرى الحاخام البلجيكي "دافيد برمان" أن هناك دروساً وعبراً يمكن أن يستفيد منها اليهودي في هذا العيد من تلك الدروس والعبر[1].

أ - الإيمان والإمكانيات الخارقة التي يمكن أن يصنعها الإيمان، ويقول في هذا الصدد ما خلاصته إن أمراء الحشمونيين اليهود (المكابيين) لم يكونوا شديدي التمسك بالدين اليهودي أو التعصب له ولكن إيمانهم قوي إزاء رؤيتهم أصنام اليونان في داخل معبدهم. وإلى هذا التاريخ يرجع تحليل القتال عند اليهود يوم السبت.

ب- الشجاعة والبسالة، ويقول نفس المؤلف إن هؤلاء الحشمونيين لم يكونوا في الأصل من المحاربين المغاوير. ولكنهم اكتشفوا ذلك عندما تعرضوا للخطر، كما أنهم قرنوا الشجاعة بالبراعة السياسية والدبلوماسية.

ج- صعوبة اندماج اليهود. ويقول الحاخام برمان إنه طالما كانت الحضارة اليونانية قائمة على التسامح والحرية الدينية ة الاعتراف بالشخصية اليهودية المتميزة عن غيرها، ساير اليهود التيار وأخذوا ما يفيدهم من هذه الحضارة اليونانية محتفظين بمميزاتهم الخاصة. ولكن عندما أراد انتيوخوس إيبفانس حملهم على ترك يهوديتهم نهائياً وبالقوة، هبوا هبتهم هذه من جديد.

ويطول بنا القول لو أننا تتبعنا كل ما كتب شعراً ونثراً من أدب قصصي ومسرحي وغنائي وديني حول الحانوكة بأقلام اليهود المنتشرين في العالم، وما حظيت به شموع الحانوكة وقناديلها من إعمال فنية تشكيلية، وإنما أردنا أن نلفت نظر القارىء العربي إلى أن بعض القيم الروحية في اليهودية قد تحولت مع الصهيونية المعاصرة إلى قيم تعصبية سياسية وعسكرية.

٨- البوريم ، أو عيد الفور أو عيد النصيب . وكان الكتاب العرب يسمونه " عيد المسخرة " أو " عيد المساخر" والسبب في ذلك ما جرت به بعض تقاليد يهودية شعبية في هذا العيد من إسراف في شرب الخمر والسكر، ولبس الأقنعة والملابس التنكرية على طريقة المهرجان"الكرنفال".

وهذا العيد أيضاً لا يمت بصلة إلى رسول الله موسى عليه السلام، ولا إلى شريعته ، بل هو احتفال تذكاري متصل بملابسات ممهدة للعودة من السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد، بناءً على وعد صدر من ملك الفرس إلى ممثلي الجالية اليهودية المقيمة عند الكلدانية سيعيدهم إلى فلسطين. وبطبيعة الحال كان تقرير الاحتفال بتلك الذكرى وما علق بها من حكايات متأخراً بالنسبة لتلك الحوادث. وهو احتفال أشد التصاقاً بالسياسة منه بالدين ، ولذلك فإنه يحظى في ظل الصهيونية الحديثة باهتمام خاص، ويدور حول قصة اليهودية إستير. ويبدأ هذا العيد من ليلة الثالث عشر من شهر آذار من السنة اليهودية، ويكون يوم ١٣ آذار نفسه صوماً يسمى عندهم " صيام إستير " ، أما اليوم الرابع عشر فهو العيد الذي يستمر طيلة هذا اليوم ويطلق عليه "يوم بوريم " ثم يكون اليوم الذي يليه، وهو الخامس عشر من آذار، اليوم الصاخب، يوم الكرنفال، ويسمونه " بوريم شوشان" نسبة إلى مدينة "شوشان" أو"سوزة " الإيرانية.

وبالرغم من وضوح مناسبة هذا العيد من الناحية السياسية والتاريخية، فإن

التلمود يزعم أنه كان معروفاً محتفلاً به منذ أيام يوشع بن نون. لأسباب – مماثلة – كما يقول – للأحداث التي وقعت لليهود في السبي البابلي. ويقول الحاخام البلجيكي دافيد برمان [1] ، إن هناك دروساً تستفاد من ذكرى عيد (بوريم)منها:

أ- أنه يجب على اليهود أن يتجنبوا إشعال نيران العداوة ضدهم، أو ما يسميه معاداة السامية، عند الأمم الأخرى، إلا إذا كان ذلك أمراً لا يمكن تفاديه، كما حدث مع مردخاي قريب إستير.

ب- إذا حدث واشتعل عداء السامية ضد اليهود فمن الواجب على اليهود أن يواجهوه ويناضلوا ضده بشجاعة كما فعل مردخاي.

ت- أن الارتباط القائم بين أي يهودي وبني ملته لا يمنعه من الإخلاص والولاء العميق للحاكم الذي يعيش تحت سلطته ولو لم يكن يهودياً كما كان ' أنه مهما كان اليهودي مندمجاً في الأمة التي يعيش فيها، فعليه ألا ينسى ارتباطه بملته، فإن الظروف لن تتركه يعيش دون هذا الارتباط ، كما كان من أمر إستير." هذه هي أقصى ما يتصوره هذا الحاخام من وطنية اليهودي ".

ث- إذا أحدق خطر باليهود وجب على كل واحد منهم أن يتدخل في الوقت المناسب.

ج- أن أعداء اليهود يستندون إلى خلاف بينهم وبين أفراد من اليهود لكي ينادوا بإبادة اليهود جميعاً، فإن هامان وزير أحشويروش لم يكن يكره إلا مردخاي ولكنه جعل من ذلك ذريعة لمحاولة إهلاك كل بني ملته.

ح- أن معاداة السامية لا تكف أذاها عن اليهود مهما عظمت درجتهم في المجتمع.

خ- أن الدفاع الباسل من جانب اليهود هو أقوى سلاح لتصفية معاداة السامية.

---

[1] David Bemman ; intiiation au Judaisme ; paris – 1938 ; P. 148 ss

د- أن الصراع والانتصار والثأر الذي يناله اليهود من أعدائهم يجب ألا يكون مقترناً بسلب أو نهب أو رغبة في الغنيمة.

ذ- أنه في كل مناسبة مفرحة يجب على اليهودي أن يفكر فيما سبقها من آلام، وبالتالي يفكر في بؤساء ملته كلما أسعدته الظروف.

هذه الوصايا العشر الجديدة التي ينادي بها حاخام في أوروبا الغربية في القرن العشرين تبين أبعاد التعقيد الروحي والاجتماعي الذي تمتلىء به نفوس اليهود حيال الإنسانية كلها، رغم ما يبدو من رفع شعارات المسالمة، وهو أمر أصبح تقليداً في تاريخ التآمر اليهودي على الأمم الأخرى.

٩- عيد الفصح، وأول أيامه الخامس عشر من شهر نيسان من السنة اليهودية. ويسميه بعض المستعربين من علماء اليهود " الفسح " ومن هؤلاء سعديا الفيومي. والفصح هو عيد الربيع عند اليهود، فهم على غرار الأمم الأخرى في العالم، قد حرصوا على أن يكون لهم عيد كبير في الربيع. أعياد الربيع عند شتى الأمم تتقارب بالطبع في زمانها وتختلف في مناسبتها التاريخية. إلا أن اليهود يذكرون أن اليهود يذكرون أن هذا العيد كان للاحتفال بالربيع خاصة، وكان الشهر الذي يقع فيه يسمي في التوراة شهر " أبيب " وهي كلمة عبرية معناها الربيع.

ثم حدث أن تحددت أن هجرة بني إسرائيل من مصر مع موسى في هذا الوقت، فأصبح هذا العيد إحياءً لذكرى نجاة إسرائيل من فرعون، وخلاصهم من العبودية في مصر. ومن هنا جاء اختيار أمثال سعديا من علماء اليهود أن يسموه " الفسح " أي الفرج بعد الضيق. وقد اكتسب هذا العيد على مر العصور أكثر من اسم، لكل منها معناه ومغزاه، وأشهر هذه الأسماء: -

١- الفصح، أو الفسح كما قلنا، وأصل معناها القديم الخطو والمرور والعبور، وهذا الاسم يذكر اليهودي بأكثر من شيء:

(أ) مرور ملك العذاب فوق أرض المصريين دون المساس باليهود.

(ب) مرور الشتاء ليفسح المجال للربيع.

(ج) عبور اليهود من العبودية إلى الحرية.

(د) عبور البحر مع موسى.

٢- عيد الفطير، وبالعبرية "حج همصوت". لأن طقوسه توجب على اليهود أن يأكلوا فيه الخبز من عجين فطري، لا يدخله الملح ولا الخميرة تذكيراً بأنهم عند فرارهم مع موسى من وجه فرعون لم يكن لديهم الوقت ولا فراغ البال للتأنق في الخبز والانتظار على العجين حتى يخمر. وإن كان فطير الفصح قد أصبح المجتمعات اليهودية أكثر أناقة بكثير من الخبز العادي. ويضيف بعض شراح الدين اليهودي مع ذلك أن خبز الفطير هذا فيه تذكير اليهود بمعيشة البداوة، وبالبؤس وشظف العيش.

٣- موسم الحرية، بسبب الخلاص من نير الفراعنة، ويلفظ بالعبرية "زمن حيروتينو" أو زمن حريتنا.

٤- عيد الربيع، وبالعبرية "حج ها آبيب" وأبيب هنا ليس هو الشهر المعروف في التقويم المصري القديم، ولكنها كما قلنا كلمة عبرية معناها الربيع، ولذلك وقع هذا العيد عندهم في شهر نيسان اليهودي (مارس- إبريل).

ومدة هذا العيد ثمانية أيام، إلا أن فقهاء اليهود جعلوها تنقص يوماً لمن يحتفلون به في فلسطين، ويقولون إن السبب في هذا هو أن التقويم اليهودي لم يتم تحديده إلا في زمن متأخر جداً بالنسبة لموسى، وخشي المشرعون اليهود من وقوع غلط أو اختلاف عند بعد مكان إقامة اليهود بالنسبة لفلسطين، فكانوا يزيدون في الأعياد الكبيرة يوماً من باب الاحتياط، ولكي يتسنى للحجاج المسافرين أن يصلوا إلى الأراضي المقدسة في الموعد المحدد، وكذلك لعدم التمكن من إبلاغ ظهور الهلال — لأن الشهور اليهودية شهور قمرية كما سبق.

وتبدأ طقوس هذا العيد منذ الرابع عشر من نيسان وهو الذي يسمونه ليلة التفتيش عن الخميرة، ويجب فيه على اليهودي أن يتأكد من أن أية خميرة تصلح للخبز قد أبعدت عن البيت تماماً. أما أهم أيام هذا العيد فهي أول يومين وآخر يومين فيه، بينما الأيام الأربعة الوسطى تعتبر بين، إذ يلتزم فيها أكل الخبز الفطير، ولكن لا تقترن بطقوس احتفالية كبيرة.

ومن الجائز قطع العطلة في هذه الأيام الأربعة عند الضرورة. ولذلك جرى العرف عند اليهود على تسمية هذه الأيام الأربعة الوسطى " حول هموعد " ومعناها تحليل العيد، أو فك الإحرام عنه، أو وصفه بأنه "عيد صغير"، بينما اليومان الأولان واليومان الأخيران تؤلف "العيد الكبير". وفي مساء كل يوم من اليومين الأولين تكون طقوس الاحتفال قائمة بصورة أساسية حول أمرين: (أ) مائدة الفصح (ب) حكاية الفصح.

أما مائدة الفصح فإنها تحتاج إلى منضدة، يوضع أمامها مقعد مستطيل يسمح بالاضطجاع، وهذا المكان مخصص لرئيس العائلة يضطجع عليه معتمداً على ذراعه الأيسر الذي يستند إلى بعض الوسائد. وتوضع أمامه ثلاثة أرغفة من خبز الفطير على طبق، وبجانبها قطعة من العظم الذي يحيط به بعض اللحم مأخوذة من الغنم ومشوية، وحزمة من بعض النباتات المرة كالخس أو الشيكوريا أو الكبر أو الكرفس، وبجانب ذلك شيء من الفاكهة المهروسة أو المدقوقة في الهاون والمنقوعة في النبيذ.

وتوضع في نفس الطبق بيضة، وشيء من الخضر كالفجل أو الجزر، وكأس من الماء المالح أو المخلوط بالخل. ويفسر علماؤهم كل هذا بأنه من أنواع المأكولات الكريهة على النفس التي كان أسلافهم يأكلونها أثناء فرارهم في الصحراء.

وتقتضي الطقوس أن يبدأ رئيس العائلة بتذوق طرف من كل صنف ثم يشترك بقية أفراد العائلة في ذلك. ويجب مع تلك الوجبة شرب أربعة أقداح من النبيذ،

ووضع قدح خامس فيه نصيب من النبيذ، معدَ لأجل النبي إيليا عندما ينزل من السماء، معلناً اقتراب مجيء المسيح المخلص. وعلى هذه المائدة يبدأ رئيس العائلة فيقص حكاية الفصح، وهي أسطورة تحكي ما حدث لبني إسرائيل مع إبان خروجهم من مصر وهروبهم من عسف فرعون. وتقضي التقاليد بأن يعرّفها رب الأسرة للجميع، ولذلك فلها ثلاث صيغ، صيغة للكبار العقلاء المدركين، وهي طويلة مستفيضة. وصيغة للصغار الذين تبدو عليهم سمات حب الإطلاع وهي أقصر من سابقتها. والصيغة الأخيرة صيغة مسلية جداً، وقصيرة جداً أيضاً، تقال للأطفال وللأولاد الذين لا صبر لهم على الاستماع إلى حكايةَ طويلة. كذلك تكثر في هذا العيد القصص حول النبي إيليا والمسيح المنتظر كما تشيع الأغاني والأناشيد الجدية والهزلية، ومن أشهر هذه الأخيرة قطعة مكتوبة باللغة الآرامية عنوانها وأول مقطع فيها هو " حد جديا، حد جديا " أي جدي واحد.

وقد جرى اليهود على اتخاذ هذا العيد ذريعة لنشر المطامع الصهيونية في مجتمعاتهم، فتبادل التهنئة بهذا العيد بين اليهود يكون بقولهم " السنة القادمة في أورشليم ". ومهما يكن من أمر هذه المعايدة فإنها بدون شك لم تكن تنطوي في الأصل إلا على معنى ديني بحت، نظراً لأن عيد الفصح هو الوقت المختار للقيام بالحج إلى مدينة القدس عند اليهود قديماً " السنة القادمة في أورشليم " لم يكن يعني أكثر من قول المسلمين في عيد الأضحى " السنة القادمة على عرفات".

ولكن الصهيونية الحديثة استغلت ذلك كعادتها لتركز الأطماع على مدينة القدس الشريف، وأن تحول المعنى الروحي والديني إلى هدف سياسي وعسكري، وهو أمر من السهل على دعاة الحرب في كل زمان ومكان أن يتذرعوا به، كما حدث بالنسبة لتلك المدينة من جانب الصليبيين في العصور الوسطى، على الرغم من أن السيد المسيح عليه السلام كان من أعظم دعاة السلام، وكان أشد الداعين إلى الله

كراهية للحرب وسفك الدماء.

وعيد الفصح اليهودي هو عندهم عيد الضحية، كما أنه عيد خبز الفطير وموسم الحج. ويضحي فيه بحمل أو شاة أو جدي من الماعز أو نحوها. وهناك ظروف معينة تبيح تأجيل شعائر الفصح شهراً كاملاً لبعض الأفراد لا لمجموع الملة اليهودية كلها، بحيث تمكن الضحية وعجينة الفطير ورحلة الحج في الرابع عشر من أيار من السنة اليهودية، ويسمى عندهم (الفصح الثاني).

ولا يستطيع باحث في الفكر الإسرائيلي أن يذكر عجينة الفطير المفروضة في عيد الفصح دون أن يقف عند تهمة توجه إلى اليهود من كثير من أعدائهم في هذا العيد بالذات، هي التي اشتهرت في العالم باسم تهمة الدم. وخلاصتها أن خبز الفطير المفروض على اليهود في فصحهم قد جرت العادة أن يدخلوا في عجينته دماً بشرياً يأخذونه من ضحية يقتلونها من المسيحيين أو المسلمين. والظاهر أن هذه التهمة التي يوصم بها اليهود بدأت من عهد مبكر في التاريخ، ويبدو أنها جلبت على أماكن التجميع اليهودي في الشرق والغرب مشاكل كثيرة، فقد كان الحي الذي يسكنون فيه يهاجم، وينتشر فيه القتل والتنكيل بمجرد اختفاء طفل أو شخص من مجتمع غير يهودي مجاور في فترة عيد الفصح.

ويتضح ذلك في المرسوم البابوي الذي أصدره من الفاتيكان في الخامس والعشرين من سبتمبر سنة ١٢٥٣م البابا انوسنت الرابع، ويقول فيه: " إننا نحرم أيضاً اتهام اليهود باستعمال الدم البشري في طقوسهم، لأنهم مأمورون في العهد القديم بألا ينجسوا أنفسهم بأي دم على وجه العموم، فضلاً عن الدم البشري ". ومع ذلك فإن هذه التهمة بقيت تلاحق اليهود في كل زمان ومكان. فمن ذلك ما يقال من اختفاء طفلة عمرها سنتان يوم ٢٦ مارس سنة ١٩٤٧ م وذلك في فالرياس في منطقة " فوكلوز" بجنوب فرنسا، واسمها "ميا". وقد عثر عليها في اليوم التالي قتيلة،

ومسحوباً دمها من جروح عملت في الجبهة واليدين والرجلين.

ومن ذلك ما يروى من قتل اليهود للطفل المسيحي "هيوج" من مدينة لنكولن بإنجلترا في موسم الفصح سنة ١٢٥٥م. وسجل هذه التهم يطول تتبعه، كالذي قيل إنه حدث في لندن سنة ١٢٥٧م وفي "بفورتسهايم" بألمانيا سنة ١٢٦١ م، وفي فورثامبتون سنة ١٢٧٩م، وفي ميونخ بألمانيا سنة ١٢٨٥ م، وأويرنيتسل سنة ١٢٨٧م، وفي [1] برن بسويسرا سنة ١٢٨٧م، وفي كولمار سنة ١٢٩٢م، وفي كريمس سنة ١٢٩٣م... إلخ.

ويتساءل الإنسان إزاء سيل من مثل هذه التهم يغطي كل العصور الوسطى والجزء الأكبر من العصر الحديث، أهذه كلها إشاعات ؟ وهل من الممكن أن تنشأ إشاعة وتهمة ووصمة عار لها هذه الضخامة، فتغطي رقعة العالم كله، على مدى عشرات من الأجيال، دون أن يكون لها أدنى نصيب من الواقع ؟.

أما ما أشار إليه البابا إنوسنت الرابع من تحريم الدم عموماً — فضلاً عن الدم البشري — على اليهود فهو حق من وجهة النظر الشرعية البحتة. لكن يحدث كثيراً بسبب الجهل، وبسبب الحقد، وبسبب الرغبة العارمة في الإسراف في الثأر والانتقام، أن يخرق أي إنسان حدود القانون والشرع يهودياً كان أم غير يهودي. كم من مرة إلى هذا العصر الحديث دخلت قوات عسكرية أرضاً مغلوبة على أمرها فراح جنود هذه القوة يقتلون السكان العزّل الضعفاء الخائفين، ويسلبون ما يقع تحت أيديهم، وينتهكون الأعراض، مع أن التوراة تقول في الوصايا العشر: لا تقتل، لا تسرق، لا تزن. والمسيحيون والمسلمون يؤمنون بمثل هذا تماماً في شرائعهم. لكن جوهر الشريعة شيء، واحترام أهلها لها شيء آخر. ومن المحتمل جداً أن يكون جهلة اليهود في "الجتو" في جهات متفرقة من العالم، بتأثير قرون طويلة من الاضطهاد والاحتقار والفقر، والجهل والمرض، والخوف، وبتوجيه خاطئ من بعض القادة

الروحيين، الذين برعوا في التأويلات والاستنباطات الغربية، من التوراة والتلمود والقبالة وغيرها من الكتابات الصوفية الباطنية — من المحتمل جداً أن يكون هؤلاء الجهلة من اليهود قد استحدثوا هذه البدعة الوحشية، إشباعاً لما في نفوسهم من حقد على أبناء الملل الأخرى والمسيحيين بوجه خاص.

ولعل أعمق تهم الدم المنسوبة إلى اليهود أثراً في مجري التاريخ [1].حادثة دمشق سنة ١٨٤٠ يقول المحضر الذي حرر رسمياً بهذه الحادثة. " إنه في يوم الجمعة ٤ من ذي الحجة سنة ١٢٥٥ هـ (فبراير ١٨٤٠) حضر المسيو بودان، مترجم وسكرتير قنصلية فرنسا بدمشق، إلى ديوان الحاكم العام، وأبلغ أنه في يوم الأربعاء الثاني من نفس هذا الشهر من سنة ١٢٥٥هـ، خرج الراهب الأب توما حسب عادته بعد العصر، واتجه نحو حي اليهود، ليضع على باب المعبد اليهودي إعلاناً عن مزاد علني في منزل المرحوم "تيرانوفا".

وعند المغرب لا حظ خادم الأب المذكور أنه تأخر في العودة إلى الدير، فذهب للبحث عنه في الحي ولم يعد هو أيضاً. وقد تم استجواب الحلاق اليهودي سليمان، الذي عثر في حانوته على صورة من إعلان المزاد المشار إليه، ولكنه أنكر، حتى صدر الأمر بجلده بالسياط فاعترف بأن الحاخام بوخور يهودا، والحاخام أبو العافية، وداود هراري وأخويه إسحق وهارون، وكذلك يوسف هراري و يوسف لنيادو، دخلوا معاً شارع الثلاثج بين الظهر والعصر (ولم يحدد المتهم بدقة) يوم الأربعاء، وهو يوم اختفاء الأب توما، وكان الأب في صحبتهم. من هنا بدأ التحقيق في الحادثة بأمر من شريف باشا والي سوريا وبلاد الشام من قبل محمد باشا حاكم مصر.

وفي هذا الوقت كان المحامي اليهودي الفرنسي أدولف كريميه يقود حملة سياسية عدائية ضد العرب والمسلمين، بسبب حوادث دمشق في كل أنحاء أوروبا. واشترك معه مروجو الإشاعات. فبالغوا في وصف الفظائع التي حلت باليهود في منطقة

الشرق الأوسط، وفي دمشق على الخصوص، فقالوا إن شريف باشا أمر بالجلد بالكرباج لسبعة من الحاخامين ووجهاء الطائفة، مات أحدهم من العذاب، وأسلم آخر، وإنه بالغ في اضطهاد اليهود حتى قبض على ستين من أطفالهم تتراوح سنهم بين الثالثة والعاشرة ووضعهم في السجن، بل[1] ادعى اليهود في أوروبا ومن يصدقهم من غير اليهود الحاقدين على الشرق، أن حملات شعبية انطلقت في دمشق وغيرها من بلاد الشرق الأوسط لإبادة اليهود والتنكيل بهم.

ويقول الكاتب الصهيوني ميخائيل آساف في الحديث عن استغلال اليهود لهذا الظرف: فشأً عن تلك الحادثة المؤلمة في دمشق تجديد التضامن بين يهود فرنسا وإنجلترا والنمسا ومصر وسوريا أي أن تلك الحادثة عادت باليهود المندمجين الذين ابتعدوا عن حظيرة أمتهم شوطاً بعيداً- قد عادت بهم إلى أحضان أمتهم، فنشأ تضامن لم يكن يعرفه اليهود منذ أجيال.

أما ذلك التضامن فقد ارتكز على شعور جديد عند اليهود في مهاجرهم. حتى أن الطائفة اليهودية في الإسكندرية لما توجهت إلى محمد علي باشا بالشفاعة لضحايا دمشق، قالت له: إننا لا نطلب الرحمة لأبناء طائفتنا في الشام، بل نطلب العدل. ولما وصل إلى مصر وفد من يهود أوروبا برئاسة المثري الإنجليزي الطيب الذكر، موشي مونتيفيوري، والمحامي الفرنسي المشهور، كريميه لم يستطع محمد علي باشا معارضة رغبة ذلك الوفد، نظراً لما كان للوفد لدى قناصل دول أوروبا في مصر من النفوذ العظيم.

فعرض الباشا منح معتقلي دمشق العفو، ولكن كريميه رفض قبول العفو عنهم، وطلب إعلان براءتهم وإطلاق سراحهم بلا قيد ولا شرط، وهكذا كان. " وإننا نكرر القول بأنه كان لهذه الحادثة تأثير عظيم في تكوين تاريخ اليهود فيما بعد ". ومن هذه الحادثة فعلاً كان منطلق الصهيونية التي ظلت تعمل دائبة في فلسطين

والشرق الأوسط ، وفي أوروبا وأمريكا ، حتى إذا نضجت مخططاتها الجهنمية على مدى نصف قرن من الزمان ، اتخذت لنفسها صورة التنظيم السياسي العلني في المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في بال سنة ١٨٩٧م.

وعيد الفصح اليهودي يحدد بداية فترة خاصة عند اليهود مدتها خمسون يوماً يسمونها" عومر" تبدأ بعيد الفصح ، وتنتهي بعيد الحصاد أو ما يسمونه عيد الأسابيع. وهذه الفترة من المواسم الزراعية القديمة ، وهي الأيام التي تبدأ فيها سنابل القمح بالامتلاء بالحب إلى أن تنتهي بالحصاد. وكانت العادة الشعبية في هذه الفترة أن يخرج المعلمون بتلاميذهم إلى الحقول حيث تلقى الدروس في الهواء الطلق. ولعل سبب ذلك هو رغبتهم في حراسة محصول القمح ضد الجرد والعصافير، والدفاع عنه إذا حدث هجوم من الأعداء بقصد تدمير المحصول أو إحراقه. واستمرت هذه العادة متبعة على عهد المسيح نفسه.

٩- الثالث والثلاثون في العومر. وهو أهم أعياد فترة العومر هذه ، ويسميه اليهود(لج بعومر) لأن اللام في حساب الحروف عندهم بثلاثين ماالجيم بثلاثة . وهذا العيد يقع في الثامن عشر من أيار.

١٠- عيد الحصاد أو عيد الأسابيع ، وبالعبرية " شبوعوت " ويبدأ في اليوم الخمسين من العومر ، الموافق السادس من شهر سيوان (آخر مايو- أول يونيه) ومدة هذا العيد يومان أي السادس والسابع من شهر سيوان ، ويقابله في الأعياد المسيحية " عيد العنصرة ".

وأهم ما يتميز به عند اليهود أنهم يجعلون نزول الوصايا العشر على موسى في هذا التاريخ ومن ثم يقومون بحفلة زفاف للتوراة في داخل المعبد ، كأنها ، عروس ، ويبالغ بعضهم فيتمون قراءتها في يومي هذا العيد. وله في التراث الشعبي اليهودي خمسة أسماء هي:

أ) شبوعوت، أي الأسابيع، ومفهوم ذلك عندهم: "أسبوع الأسابيع"، أو الأسبوع الفضيل الممتاز على كل أسابيع السنة؛

ب) حج هقاصير، أي عيد الحصاد.

ج) حج هبكوريم، أي عيد البواكير أو أوائل الثمار.

د) حج هتوراه ، أي عيد التوراة، ويسميه بعضهم "زمن متن توراتينو" أي زمن منح شريعتنا.

هـ) عصريت، وهي كلمة عبرية معناها الإغلاق، لأنه كما قلنا العيد الذي يغلق الفترة المسماة بالمعومر والواقعة بعد الفصح، وزعم بعضهم أن الإغلاق هنا مقصود به إقفال المخازن على محصول القمح أو الشعير.

١١- صوم تموز، وهو يوم واحد يصومه اليهود في الثامن عشر من شهر تموز اليهودي (يوليه)، ويجعلون هذا الصيام حداد من أجل حوادث مختلفة أهمها: تحطيم ألواح التوراة، إبطال القربان اليومي صباحاً ومساءً، إحراق التوراة في أورشليم على يد القائد الروماني المدعوّ بوستهوموس، كما ورد ذلك في التلمود- كتاب الصيام "تعانيت" ٦/٨٤، وينسب ألى هذا الروماني ايضاً إقامة تمثال في هيكل اليهود مع علمه بأن ذلك محرم عندهم. كذلك يجعلون هذا الصوم ذكرى بداية مهاجمة "تيتوس" الروماني لأورشليم بقصد إبادة اليهود من فلسطين سنة ٧٠ ميلادية.

١٢- صيام التاسع من آب، وهو ذكرى سقوط أورشليم في يد تيتوس، وتخريب الهيكل الثاني الذي كان قد أقيم بعد العودة من السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد، على يد نحميا وعزرا وزروبابل. وكان هناك عيد في الخامس عشر من آب أيضاً، يحدد اقتراب الخريف، وتقدم فيه قرابين من الحطب إلى كهنة الهيكل، ولكنه تضاءل الاحتفال به تخريب تيتوس للهيكل، وإن كانت بعض طوائف اليهود تحتفل به إلى الآن، فهو مثلاً ما يزال مثبتاً في التقويم اليهودي لحاخامية اليهود المصريين.

ومما سبق يتبين أن أعياد اليهود معظمها لا يرجع إلى عهد موسى، بل هو أحدث من ذلك بكثير. وربما كانت أعياد الحج ترجع إلى أشياء تماثلها في الشريعة الموسوية القديمة. وأعياد الحج عندهم هي الفصح والحصاد والظلل.

الفصل السادس
مصادر العقيدة والفكر اليهودي

المبحث الأول
مصادر
العقيدة والفكر اليهودي

اعتاد المؤرخون على حصر مصادر العقيدة والفكراليهودي الباحثين في ثلاثة مصادر أساسية هي: التوراة وملحقاتها، و التلمود، و بروتوكولات حكماء صهيون. إلا أن هناك مصدر هام من مصادر العقيدة اليهودية وله أهمية كبيرة في تطور الديانة اليهودية وهو: التاريخ اليهودي بكل مراحله وأحداثه فقد كان من أهم المصادر التي لونت العقيدة اليهودية بلونها الخاص، وكانت هذه العقائد صدى لهذا التاريخ بمختلف مراحله.

ولقد قسا التاريخ على اليهود وشردهم وأذاقهم ألوان الذل والهوان، وذلك بأعمالهم الخسيسة وصفاتهم الدنيئة (لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب). وسوف أحاول فيما يلي عرض المصادر الأساسية لهذه العقيدة ممثلة في العهد القديم، والتلمود، والبروتوكولات، حيث سأقوم بالاشارة الى تلك المصادر بشيء من التفصيل وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول
العهـــد القديـــــم

يطلق العهد القديم على مجموعة المكتوبات التي يقدسها اليهود ويعتبرونها وحياً سماوياً. ويراد بكلمة العهد ما يراد بكلمة الميثاق، كأن هذه المكتوبات تمثل ميثاقاً أخذه الله عليهم. وكلمة القديم للتمييز عن العهد الجديد وهو التراث المقدس للنصارى من الأناجيل الأربعة وملحقاتها. ويتكون العهد القديم من تسعة وثلاثين كتاباً مقسمة إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: هو أسفار موسى الخمسة، وهي - سفر التكوين أو سفر الخليقة، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية وهذه الأسفار الخمسة هي التي يطلق عليها (التوراة) ومعناها: التعليم والشريعة وقد يطلق لفظ التوراة على مجموعة كتب العهد العتيق مجازاً[1].

القسم الثاني: يسمى بالأسفار التاريخية وهي اثني عشر سفراً تعرض لتاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعايين وبعد استقرارهم في فلسطين، وتفصل تاريخ قضاتهم وملوكهم وأيامهم والحوادث البارزة في شؤونهم وهي: أسفار يوشع، والقضاة، وراعوث، وصموئيل، والملوك، وأخبار الأيام، وعزرا، ونحميا وأستير وبعض هذه الأسفار ينقسم إلى قسمين مثل: صموئيل، والملوك، وأخبار الأيام.

القسم الثالث: يسمى بأسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية، وهي خمسة أسفار: أيوب، ومزامير داود وأمثال سليمان، والجامعة من أمثال سليمان، ونشيد الأناشيد لسليمان.

القسم الرابع: يسمى أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفراً، وهي أسفار: أشعياء / مراثي أرمياء، وحزقيال، ودانيال، وهوشع، ويوئيل، وعاموس، وعويديا، ويونس أويونان، وميخا وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجي، وزكريا، وملاخي[2].

ويلاحظ أن هناك خلافاً بين فرق النصارى واليهود في عدد أسفار الكتاب المقدس.فالسامريون من اليهود لا يؤمنون إلا بأسفار موسى الخمسة وسفري يوشع

---

[1] رحمة الله الهندي ، اظهار الحق ، ص١٥.

[2] علي عبد الواحد وافي ، الاسفار المقدسة في الاديان السابقة ، ص١٥.

والقضاة. والكاثوليك من النصارى يزيدون سبعة أسفار عن البروتستانت، فيصل مجموع الأسفار إلى ستة وأربعين سفراً [1]. وعلى أي حال فنحن لا يعنينا من هذه الأسفار إلا الأسفار الخمسة الأولى، وهي أسفار موسى فهي التي يطلق عليها اسم التوراة المذكور في القرآن الكريم، وما عدا هذه الأسفار الخمسة هو حشد من المؤلفات البشرية التي لم يخبرنا القرآن الكريم عنها شيئاً، وإن كان قد أشار إلى بعض الأنبياء التي نسبت إليهم هذه الأسفار، مثل: داوود وسليمان وأيوب ويونان (يونس).

ومما يدل على الخلط في هذه الأسفار وجود سفري أيوب ويونان بينهما، ذلك أن هذين السفرين لا صلة لهما على الإطلاق ببني إسرائيل، فأيوب من بني عيسو وليس من بني إسرائيل، ويونس أو يونان هو نبي مرسل إلى أهل نينوى لا إلى بني إسرائيل. ولذلك سوف أقوم بعرض وتحليل بعض نصوص التوراة المنزلة على موسى عليه السلام والمحصورة في الأسفار الخمسة الآتية:

السفر الأول: هو سفر التكوين أو سفر الخلق، وقد تعرض لقصة خلق العالم منذ البداية، فيذكر قصة خلق آدم وقصة نزوله إلى الأرض، ثم يعرض لحياة أبناء آدم وما حدث بينهم إلى أن يصل لنوح، فيعرض لقصة الطوفان وقصة إبراهيم ورحلاته وقصة أبنائه إسحاق ويعقوب، ثم يركز السفر على أولاد يعقوب وخصوصاً يوسف وما حدث بينه وبين إخوته إلى أن دخل مصر وأصبح أميناً على خزائن البلاد واستدعى إليه أباه وإخوته، ويموت يوسف ينتهي هذا السفر.

السفر الثاني: هو سفر الخروج وقد تعرض لقصة بني إسرائيل في مصر بعد يوسف وما حدث لهم من الإضطهاد إلى أن ظهر موسى وخرج بهم ن مصر ثم قصة

---

[1] احمد شلبي، اليهودية، ص٢٣٩.

بني إسرائيل مع موسى في صحراء سيناء وما حدث منهم، وفي هذا السفر كثير من المسائل التشريعية.

السفر الثالث: هو سفر اللاويين أو الأحبار: وهو عبارة عن تشريعات وأحكام ووصايا في شأن الزواج والأطعمة المحرمة والنذور والأعياد، وغير ذلك.

السفر الرابع: هو سفر العدد: وسمي بذلك لأنه حافل بالعدد والتقسيم لأسباط بني إسرائيل، كما يحتوي على قصة بني إسرائيل في سيناء بالتفصيل وما حدث بينهم وبين موسى من الصراعات والخلافات والاتهامات.

السفر الخامس: هو سفر التثنية: ومعناه الإعادة والتكرار، ففي هذا السفر عرضته الوصايا والتشريعات عرضاً مفصلاً واضحاً كما أعيد الكلام عن الأحكام التي سبق ذكرها في سفر اللاويين، ويتحدث هذا السفر عن انتخاب يوشع بن نون خلفاً لموسى، وينتهي السفر بخبر وفاة موسى ودفنه في جبال مؤاب.

ويعد هذا العرض لا بد من الإجابة على السؤال الهام وهو: ما الصلة بين التوراة المنزلة على موسى من السماء وبين الأسفار الخمسة الموجودة الآن في الكتاب المقدس؟ أو بمعنى آخر: هل التوراة هي الأسفار الخمسة الموجودة ضمن مجموعات الكتاب المقدس ؟ وهذا ما سوف أتحدث عنه في هذا المبحث والخاص بكيفية كتابة التوراة والكتاب المقدس.

تاريخ كتابة التوراة:

ذهب موسى للقاء ربه فأنزل الله عليه تعاليم الديانة اليهودية مكتوبة في ألواح{**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ**}[1]. ويرى بعض المفسرين أن

---

[1] سورة الاعراف، اية: ١٤٥

هذه الألواح كانت مشتملة على التوراة، بينما ذهب فريق آخر إلى أن الألواح قد أعطيها موسى قبل التوراة [1]. وبما أنه لم يرد عن رسول الله ﷺ قول فصل في هذه المشكلة فإننا نفوض العلم فيها لله، وسواء كانت التوراة هي الألواح أم غيرها فإنه من الواضح أن الألواح كانت شاملة وعامة لكل ما يحتاجه اليهود من الحكم والمواعظ والتشريعات والتوراة لن تخرج عن ذلك.

وقد أخذ موسى ما أوحي إليه من ربه وعاد إلى قومه وإذا بهم قد انتكسوا وغرقوا في الوثنية مرة ثانية، حيث عبدوا العجل الذهبي الذي صنعه لهم موسى السامري وما نجحت محاولات هارون في وقف هذه الردة العمياء، فغضب موسى وألقى الألواح من يديه فانكسرت، وعاقب أخاه وقومه وبعد أن هدأت ثورة غضبه جمع الألواح مرة ثانية وأخذ يعلم قومه ما فيها من هداية ورحمة.

وأمر موسى – عليه السلام – بأن يصنع اليهود للتوراة تابوتاً (صندوقاً) محكماً، فصنعوه وثبتوا في أعلاه أربع حلقات على جوانبه الأربعة وجعلوا له عصوين يحمله أربعة من اللاويين ويدعي اليهود أن موسى قد تلقى من الإله أوصافاً محددة لصنع التابوت، حيث جاء في سفر الخروج ما نصه: " فيصنعون تابوتاً من خشب السنط طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف وتغشيه بذهب نقي من داخل ومن خارج، وتضع عليه إكليلاً من ذهب حواليه، وتسبك له أربع حلقات من ذهب، وتجعلها على قوائمه الأربع على جانبه الواحد حلقتان وعلى جانبه الثاني حلقتان، وتصنع عصوين من خشب السنط وتغشيهما بالذهب وتدخل العصوين في الحلقات على جانبي التابوت ليحمل التابوت بهما، وتبقى العصوان في حلقات التابوت، لا تنزعان منها وتضع فيه الشهادة التي

---

[1] ابن كثير، تفسير القران العظيم، جـ٢، ص٢٤٦

أعطيك)[1].

وهكذا يعطينا هذا النص صفات التابوت التي أعتقد أنها من خيال كُتّاب التوراة، وذلك أن الوحي السماوي لا يمكن أن يهتم بمثل هذه التفاصيل الجزئية، وإذا قارنا بين حديث التوراة عن تابوت العهد وبين حديث القرآن عن تابوت أم موسى فإننا سنجد الفرق بين وحي السماء المقدس وبين خيال البشر. و قد أمر موسى اللاويين أن يقرءوا في التوراة للشعب اليهودي وظلت هذه النسخة الوحيدة من التوراة موضوعة في التابوت إلى أن مات موسى وهارون وتولى القيادة يوشع بن نون الذي قاد اليهود في معركتهم ضد الكنعانيين في فلسطين. وكان اليهود في حربهم يحملون التابوت تبركاً، وفي أحد المعارك انهزم اليهود وتركوا وراءهم التابوت الذي أخذه الكنعانيون[2]. ولا شك في أنهم لعبوا بالتوراة والألواح وعبثوا بكل ما في الصندوق من التراث الديني لليهود. ثم حاول اليهود أن يجمعوا أنفسهم تحت قيادة واحدة، فذهبوا إلى نبيهم (شاءول) لكي يقيم عليهم ملكاً وقائداً فاختار لهم طالوت، ولكنهم رفضوا الانصياع تحت لوائه بحجة أنه لم يكن أغنى منهم : { وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }[3].

ولكن النبي أظهر لهم معجزة كدليل على أحقيته بالملك والقيادة وهي أن يأتي بالتابوت مع بقية مما كان فيه من المقدسات المكتوبة. ولقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله

---

[1] سفر الخروج، اصحاح ٢٤، عدد ١٢

[2] السيد البهي الخولي، مقال بعنوان بنو اسرائيل قبل الاسلام ضمن المؤتمر السادس لمجمع البحوث الاسلامية، ص٣٦٩.

[3] سورة البقرة، اية : ٢٤٧

تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[1].

وبعد أن آل الملك إلى داود، نقل تابوت العهد إلى عصمة مملكته وبنى الهيكل ووضع التابوت في قلبه في مكان يسمى (قدس الأقداس). ولكن وقعت المفاجأة الكبرى لليهود حينما كشفوا الغطاء عن التابوت فلم يجدوا به من التوراة والألواح إلا النذر اليسير، وتحدد التوراة ما وجدوا بلوحين فقط بينما أكد الباحثون أن عدد الألواح كان ما بين [2] عشرة وسبعة ألواح على خلاف بينهما.

وما أصدق القرآن حين يؤكد أن ما عاد بالصندوق إنما هو بقية مما ترك آل موسى وآل هارون فليس في التابوت كل ما تركه موسى وهارون بل بعضه، ومن هذا يتبين علمياً أن التوراة الحالية ليست هي توراة موسى التي ألقاها الله عليه والتي وضعها في التابوت. وفي النهاية فقد وضعوا الصندوق بما بقي من التوراة في الهيكل، وكانت صلة الشعب اليهودي بالتوراة مقطوعة تماماً حيث لا يملك واحد نسخة منها ولم يحفظها جمهور الشعب، وإنما كان الكاهن يقرأ عليهم بين حين وآخر شيئاً مما يحفظه من هذه التوراة. وبناء على ما تقدم فيمكننا القول بأن سند التوراة قد انقطع منذ ضياع بعضها من الصندوق، لأن سندها كان مقرراً عن طريق الكتابة ولم يكن مقرراً برواية الحفاظ ثقة عن ثقة اكتفاء بنصها المحفوظ في التابوت، أي أنها منقطعة السند إلى موسى كتابة ورواية.

---

[1] سورة البقرة، اية: ٢٤٨

[2] عوض الله حجازي، مقارنة الاديان، ص٩٩

وحدثت بعد سليمان أحداث دينية عجيبة وصلت إلى الردة وعبادة الأوثان، وتعرض بيت المقدس والهيكل للسلب والنهب، وبنوا مذابح للأصنام في فناء بيت المقدس، ولم يعد هناك ذكر للتوراة ولا صلة بها إلى أن تولى الحكم ملك يدعى (يوشيا) سنة ٦٢٩ ق.م ومال إلى العودة إلى الإيمان وإتباع التوراة رجاء أن يكون في هذا إنقاذ لمملكته من الدمار، فانتهز كاهن يدعى (حلقيا) هذه الفرصة وادعى بعد ثمانية عشر عاماً من حكم يوشيا أنه عثر على التوراة في بيت المقدس وأعطاها (شاقان) الكاتب [1]. وكانت هذه هي المرة الأولى التي تظهر فيها التوراة منذ وضعها موسى في التابوت بعد أن ظلت مختفية ما يقرب من خمسمائة سنة لا يعرف أحد عنها شيئاً [2].

ولم تطل مدة بقاء التوراة إلا ثلاثة عشر عاماً بعد ظهورها حيث مات (يوشيا) وارتد اليهود إلى الكفر مرة ثانية. وكانت الطامة الكبرى حين دخل بختنصر إلى بيت المقدس ودمره تدميراً كملاً وانعدمت التوراة وكذا جميع كتب العهد العتيق. ويقول الشيخ رحمة الله الهندي: (وكتب التاريخ شاهدة بأن حال كتب العهد العتيق قبل حادثة بختنصر كان أبتر وبعد حادثته ما بقي لها غير الاسم "[3].

ولما انتهت مرحلة الأسر البابلي على يد بختنصر عاد اليهود إلى بيت المقدس وانتابتهم حالة أخرى من الإيمان، فظهر كاهن يدعى (عزرا) وحاول أن يعيد كتابتها من جديد اعتماداً على الذاكرة وعلى بعض وريقات متناثرة من التوراة، ولما أتم كتابتها بدأ يقرؤها على اليهود، وقد استغرقت مدة قراءتها أسبوعاً كاملاً ولكن يبدو أن توراة عزرا كانت غير توراة حلقيا، لما يقول المؤرخ العالمي ول ديورانت: " لم

---

[1] رحمة الله الهندي، اظهار الحق، ص٣٢٥

[2] عوض الله حجازي – مقارنة الاديان ص١٤١

[3] رحمة الله الهندي، مرجع سابق، ص٢٢٨

يكن هذا الكتاب – كتاب عزرا – هو بعينه كتاب العهد الذي قرأه (يوشيا) من قبل ، لأن هذا العهد قد جاء فيه بصريح العبارة أنه قرئ على اليهود مرتين كاملتين في يوم واحد ، على حين أن قراءة كتاب عزرا قد احتاجت إلى أسبوع "[1] .

وظلت توراة عزرا موجودة بين اليهود إلى أن تعرض بيت المقدس لحادثة التدمير الثانية على يد (أنثيوكس) الذي أحرق جميع نسخ العهد القديم ، وأمر بقتل كل من يوجد عنده نسخة منه ، وكانت هذه الحادثة قبل ميلاد المسيح بمائة وإحدى وستين سنة أو أربع وستين – على خلاف بين المؤرخين.

ثم وقعت على اليهود حادثة مشابهة على يد (تيطس) الرومي عام ٦٦م وهكذا أكدت الأحداث ضياع التوراة الحقيقية المنزلة على موسى – عليه السلام - ، وأن ما كتبه حلقيا أو عزرا اعتماداً على الذاكرة أو بعض أوراق منثورة هنا وهناك لا يمكن أن يمثل توراة موسى – عليه السلام - ، وهذا ما أكده الواقع حيث عثر الباحثون على أخطاء كثيرة فيما كتبه عزرا وصلت إلى حد الكذب والتناقض لدرجة دعت علماء اليهود أنفسهم إلى الاعتراف بذلك[2] .

وبناءً على ما تقدم فإننا نستنتج الأمور الآتية:

١- أن التوراة قد فقدت سندها وتواترها منذ أن فقدها اليهود مع التابوت إلى أن ظهرت على يد حلقيا .

٢- اختفاء التوراة خمسمائة سنة ثم ظهورها فجأة على يد حلقيا أمر يدعو إلى العجب والشك ، ذلك أن يوشيا الملك برغم تدينه ومحاولته إشاعة الوعي الديني بين اليهود لم تظهر التوراة إلا بعد سبعة عشر عاماً من حكمه ، فأين كانت هذه التوراة لو كانت في حوزة (حلقيا) حقيقة ؟ مع أن السلطان والرعايا كانوا في غاية الاجتهاد لإتباع ملة موسى – عليه السلام - .

---

[1] ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ص١٤٢

[2] المرجع السابق ، ص٢٢٨

وكان الكهنة يدخلون كل يوم إلى الهيكل طيلة هذه المدة ، فالعجيب أن تكون نسخة التوراة موجودة في الهيكل ولا يراها أحد إلا (حلقيا) .وغالب الظن أن حلقيا انتهز فرصة سبيل يوشيا إلى العودة إلى الدين والعمل بالتوراة ، فركب الموجة وجميع التوراة من الروايات اللسانية التي وصلت إليه من أفواه الناس سواء كانت صادقة أو غير صادقة طيلة السبعة عشر عاماً ، ثم أعلن اكتشافها بعد ذلك [1] .

٣- ويصرف النظر عن توراة حلقيا فقد فقدت هي الأخرى في حرب بختنصر ، ثم يأتي (عزرا) ويدعي كتابة توراة جديدة اعتماداً على الذاكرة حيناً وعلى بعض الشذرات التي بقيت من توراة حلقيا تارة أخرى.

ولا شك في أن هذه الأحداث تسقط عن الكتاب المقدس الموجود الآن تاج القداسة ، وإلا فما معنى أن يكتب عزرا توراة كبيرة الحجم لدرجة أنها تقرأ في أسبوع ويكتب حلقيا توراة صغيرة الحجم لدرجة أنا تقرأ مرتين في اليوم. فما حكم الزيادة التي وردت في توراة دون الأخرى ؟ وهل هي صحيحة أو غير صحيحة ؟ وإن كانت صحيحة فكيف تركها حلقيا ؟ وإن كانت غير صحيحة فكيف ذكرها عزرا ؟ فمن هنا يتبين لنا أن تاريخ التوراة هو خير شاهد على تحريفها وتغييرها وتبديلها. ومع كل هذا فسوف أعرض في الصفحات الآتية أدلة مادية من التوراة نفسها تبين مدى بطلانها وتحريفها.

المطلب الثاني
أدلـــة
تحـريف العهـد القديـم

هناك شواهد كثيرة تدل دلالة واضحة أن التوراة التي بين أيدي اليهود احتوت على أخطاء ومجافاة لوحي السماء ، وتناقضات لا تقع إلا في كلام البشر ، لذلك

[1] ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ص١٤٢

يمكن أن يوجه إلى هذا الكتاب الانتقادات الآتية :

أولاً : أنـه كتـاب بـشري كتبـه البـشر العـاديون بفكـرهم وأدخلـوا فيـه أهـواءهم ، فالأسفار الخمسة الموجودة الآن لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون هي التـوراة المنزلـة علـى موسـى ، نعـم قـد يكـون فيهـا بعـض العناصـر أو الأحـداث مـن تـوراة موسى ، ولكنها لا يمكن أن تكون هي التـوراة المنزلـة علـى موسى ، وذلك لأسباب كثيرة منها :

١ - أن هناك نصوصاً كثيرة تتحدث عن موسى بـصفة الماضـي الغائـب ، ومنهـا هـذا النص الذي ورد في سفر التثنية : " فمات موسى عبـد الرب في أرض مؤاب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم ".

وكـان موسى ابـن مائـة وعـشرين سـنة حـين مـات ولم تكـل عينـاه ولا ذهبـت نضارته ، فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات مؤاب ثلاثين يوماً ، فكملـت أيام بكـاء مناحة موسى ، ويوشع بن نون كان قد امتلأ روح حكمه ، إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنـو إسـرائيل وعملـوا كمـا أوصـى الـرب موسـى ولـم يقـم بعـد نبـي فـي إسرائيل مثـل موسـى "[1] . فهل من المعقول أن تكون هذه العبارة الطويلـة مـن تـوراة موسى ؟ وهل يعقل أن يتحدث موسى عن وفاته بصيغة الماضي ، من أنه مات ودفن وكان ابن مائة وعشرين وأنه لم يقم في بني إسرائيل نبي مثله ؟ وهـل يعقـل أن يقـول موسى هذا الكلام ؟ أم أن ذلك حكاية غيره عنه وبالتالي تكون التوراة الحالية مختلطة بالفكر البشري والكلام البشري وليست كلها وحياً سماوياً ؟

---

[1] سفر التثنية ، اصحاح ٣٤ ، عدد٥- ١٠.

ولا شك في أن ما سبق يعد برهانا عقليا لا يمكن أن يناقش فيه عاقل، بل إن مقارنة موسى بغيره من الأنبياء لا يمكن أن تكون من كلام موسى أو شخص آخر أتى بعده مباشرة، بل شخص عاش بعده بقرون عديدة، .ولا سيما أن الكتاب قد استعمل صيغة الفعل الماضي. وغير هذا النص السابق كثير تحدث الله مع موسى، " كان الله مع موسى وجهاً لوجه "، " وكان موسى رجلاً حليماً " [1] " فسخط موسى على وكلاء الجيش ". وهكذا فالحديث بضمير الغائب والحكاية، وهذا يدل على أن موسى ليس هو كاتب هذه الأسفار، وإنما كتبها وحكاها عنه غيره من البشر.

٢- جاء في مقدمة سفر التثنية نص يفيد أن موسى أخبرهم بهذا السفر بعد عبوره نهر الأردن " هذا هو الكلام الذي كلم به موسى جميع إسرائيل في عبر الأردن ". مع أن موسى لم يعبر نهر الأردن مما يدر على أن هذا النص ليس من كلام موسى وإنما من كلام غيره.

٣- إن توراة موسى قد نقشت كلها بوضوح تام على حافة مذبح واحد يتكون من اثني عشر حجراً كما جاء في كتاب سفر التثنية ومعنى ذلك أن توراة موسى كانت أقل بكثير مما هو موجود الآن [2] إذا فأسفار التوراة المنزلة على موسى لا يمكن أن تكون هي الأسفار الخمسة الموجودة الآن. والموجود الآن هو عبارة عن مجموعة من الروايات والقصص المشهورة بين اليهود جمعها أحبارهم بلا نقد أو تحر للحقيقة. وأما عن باقي الأسفار الخمسة فكون كتّابها من البشر العاديين لا يحتاج إلى دليل، وسوف نثبت ذلك بالكذب والتناقض الموجود بين هذه الأسفار.

---

[1] سفر العدد، ٣/١٢٥.

[2] اسبينورا، رسالة في اللاهوت والسياسة ص٢٦٦، ترجمة د. حسن حنفي، ١٩٧١.

ثانياً: الاختلاف والتناقض في حقيقة الأشخاص الذين نسبت إليهم هذه الأسفار، مع الاختلاف في تاريخ تدوينها، فهذه الأسفار تنسب إلى الأسماء التي ذكرناها مع كل سفر، ولكن الحقيقة أن هذه التسمية غير صحيحة، وأن هؤلاء الذين نسبت إليهم أو أكثرهم لم يكتبوها، بل إن بعض من نسبت إليهم الأسفار ليس لهم وجود في التاريخ، وإنما وضعت قصصهم وضعاً لهدف معين [1].

فسفر يوشع الذي يقع عندهم في المنزلة الثانية بعد الأسفار الخمسة، اختلف الباحثون فيه واحتاروا في نسبته إلى مؤلفه الحقيقي. فمنهم من قال: إنه من تصنيف يوشع. ومنهم من قال: إنه من تصنيف العازر.وقال بعضهم: إنه من تصنيف صموئيل.وقال آخرون: إنه من تصنيف أرميا، ولا شك في أن هذا اختلاف فاحش وخاصة أن بين يوشع وأرميا حوالي ثمانمائة وخمسين سنة.

وأما سفر القضاة الذي يقع في المرتبة الثالثة، فقد اختلف فيه اختلافاً بيناً، ولم يعلم بالتحديد مصنفه ولا تاريخ تصنيفه، فذهب البعض إلى أنه من تصنيف " فينحاس "، وذهب آخرون إلى أنه من تصنيف "أرميا"، ومنهم من قال: إنه من تصنيف "حزقيال"، ونسبه بعضهم إلى " عزرا "، مع أن بين عزرا وفينحاس ما يزيد عن تسعمائة سنة، مما يدل على أنها مجرد أقوال جزافية لا تعتمد إلا على التخمين المطلق.

وسفر أيوب حاله أشنع من حال الكتب السابقة، وفيه اختلاف من أربعة وعشرين وجهاً. وزبور داود حاله أشد شناعة من كل ما سبق، فلم يثبت بالسند الكامل أن مصنفه شخص معين، ولم يعلم زمان جمعه في مجلد واحد كما اختلف في عدد الزبورات الموجودة فيه اختلافاً بيناً، مما يؤكد أنه لا يمكن أن يكون وحياً

---

[1] احمد شلبي- اليهودية، ص٢٥٩.

سماوياً. وما يقال عن هذه الأسفار يقال كذلك عن الأسفار التسعة والثلاثين الأخرى فقد اختلف في الأشخاص المنسوبة إليهم واختلف في زمان تدوينهم، ولاشك أن هذا كله يلقي ظلالاً كثيفة من الشك عليها، مما يسقط قداستها واعتبارها وحياً سماوياً.

ثالثاً: التناقض والتعارض الموجود في هذه الأسفار هو أكبر دليل على تحريفها وبطلانها. ذلك أن التناقش من صفات الفكر البشري، ولا يمكن بأي حال أن يقع في الوحي السماوي إذ إن معناه الكذب والاختلاف والله لا يكذب ولا يختلف مع نفسه ولا يناقض نفسه، ولذلك حينما طعن المشركون في القرآن الكريم وقالوا: " إن هو إلا اختلاق من عند محمد " كان الجواب القاطع ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، والاختلاف هو التناقض والتعارض، الذي إن وقع في كلام البشر فلا يمكن أن يقع في كلام الله. وعلى هذا فإذا ما وجدنا التناقض في أي كتاب سماوي، فإننا نستطيع أن نجزم في يقين أن هذا الكتاب قد تدخل فيه العمل البشري بالزيادة أو النقصان أو الحذف أو التبديل.

وهذا ما يمكن تطبيقه على الكتاب المقدس فلو ألقينا، ألقينا نظرة عابرة على الكتاب المقدس، نجد أن التناقض والاختلاف والتعارض هو السمة السائدة فيه. لدرجة أنك قد تجد التعارض والتناقض بين نسخة وأخرى من نسخ هذا الكتاب، بل أنك تجد التناقض في النسخة الواحدة بين سفر وآخر، وأكثر من هذا إنك قد تجد الاختلاف في السفر الواحد بين إصحاح وآخر من إصحاحاته. والأغرب من هذا أنك قد تجد التناقض والكذب داخل الإصحاح الواحد بين صفحة وأخرى، وفيما يلي أمثلة لكل حالة من هذه الحالات:

أ- فمن نماذج التعارض بين النسخ المختلفة[1] ما يلي:

١- اختلفت النسخ الثلاث للتوراة في تحديد الزمان من خلق آدم إلى طوفان نوح عليهما السلام. فهو وفق العبرانية سنة ١٦٥٦. وعلى وفق اليونانية سنة ٢٢٦٢. وعلى وفق السامرية سنة ١٣٠٧. وهذا اختلاف بيّن، لأن نوح – عليه السلام – في زمان الطوفان كان ابن ستمائة سنة حسب كلام النسخ الثلاث، كما أن آدم قد عاش تسعمائة وثلاثين سنة فيلزم على وفق النسخة السامرية أن يكون نوح – عليه السلام – حين مات آدم ابن مائتين وثلاث وعشرين سنة، وهذا باطل باتفاق المؤرخين، لأن آدم مات قبل نوح بسنين عديدة قيل: إنها مائة وست وعشرون سنة، وقيل: سبعمائة واثنان وثلاثون سنة.

٢- إن الزمان من الطوفان إلى ولادة إبراهيم – عليه السلام – على وفق العبرانية ٢٩٢ سنة، وعلى وفق اليونانية ١٩٧٢ سنة، وعلى وفق السامرية ٩٤٢. وهو تناقض ظاهر. ولا شك أن نسخة من هذه النسخ صادقة والأخرى كاذبة فمن الصادق ومن غير الصادق ؟ لا يمكن أن نرجح أي نسخة بالصدق، ومن هنا سوف يظل الشك معلقاً بها جميعاً.

ومن نماذج التعارض والتناقض داخل النسخة الواحدة بين سفر وآخر ما يلي:

١- جاء في سفر حزقيال إصحاح الثامن عشر: " وأنتم تقولون: لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب، أما الابن فقد فعل حقاً وعدلاً وحفظ جميع فرائضي وعمل بها

---

[1] النسخ المشهورة للعهد القديم عند اهل الكتاب ثلاثة:

الاولى: العبرانية: وهي المعتبرة عند اليهود وعلماء البروتستانت.

الثانية: اليونانية: وهي التي كانت معتبرة عند النصارى الى القرن الخامس عشر الميلادي، وهي الى الان معتبرة عند الكنسية اليونانية وكنائس المشرق وهاتان النسختان تشملان على جميع الكتب من العهد القديم. والثالثة: النسخة السامرية وهي المعتبرة عند السامريين ولا تعترف الا باسفار موسى الخمسة وكتاب يوشع وكتاب القضاة فقط ويرفض السامريون باقي الاسفار.

فحياة يحيا، النفس التي تخطئ هي تموت الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون "[1].

بينما جاء في توراة موسى وفي أكثر من موضع أن الأبناء تؤخذ بذنوب الآباء إلى ثلاثة أجيال. فقل لي بالله عليك: كيف يكون هذا كتاباً مقدساً مع ما فيه من التناقض والإخلاف ؟! ومن الصادق ومن غير الصادق ؟ هل الصادق هو أسفار موسى الخمس؟ وكيف يخالفها نبي من أتباعه ؟ أعتقد أن الكل يسقط في مجال الاعتبار.

٢- ومن هذه التناقضات ما جاء في سفر صموئيل الثاني: أن داود عليه السلام جاء بتابوت العهد بعد محاربة الفلسطينيين، بينما جاء في سفر أخبار الأيام الأول: أنه جاء بالتابوت قبل محاربتهم.

٣- ومنه ما جاء من سفر الملوك الإصحاح الرابع " وكان لسليمان أربعون ألف مدود يربني عليها خيلاً للمراكب، واثنا عشر ألف فارس " مع ما جاء في السفر الثامن من أخبار الأيام الإصحاح التاسع " وكان لسليمان أربعة آلاف مدود واثنا عشر ألف فارس ". وهذا تناقض واضح في العدد، فكيف توفق بينهما ؟

٤- ومنها ما جاء في سفر صموئيل الثاني عن عدد بني إسرائيل في عهد داود — عليه السلام — " فدفع يؤاب جملة عدد الشعب إلى الملك فكان إسرائيل ثمانمائة ألف رجل ذي بأس مثل السيف ورجال يهوذا خمسمائة ألف رجل ". بينما في سفر الأيام الأول ما نصه: " فدفع يؤاب جملة عدد الشعب إلى داوود فكان كل إسرائيل ألف ألف ومائة ألف رجل مستلي السيف، ويهوذا أربعمائة وسبعين ألف رجل مستلي السيف. فمن الصادق من السفرين والاختلاف بينهما بمقدار ثلاثمائة ألف في عدد بني

[1] حزقيال، اصحاح ١٨ عدد١٦- ٢٠.

إسرائيل وثلاثين ألف في عدد يهوذا فهل من الممكن أن يكون هذا الكلام وحياً سماوياً مع وقوع التناقض فيه بهذه الصورة البشعة ؟ .

(ج) ومن نماذج التناقض داخل الإصحاح الواحد بين فقرة وأخرى ما يلي:

١- جاء في سفر التكوين الإصحاح التاسع عشر - الفقرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة: - أن الملكين الذين أرسلا لتدمير قريتي سدوم وعمورة قالا للوط: أخرج بنيك وبناتك المتزوجات وغير المتزوجات (وكان منهم اثنتان غير متزوجتين) وأصهارك (أزواج بناته) وكل من لك في المدينة لأننا سندمرها.

ثم ذكر في الفقرتين الخامسة عشر والسادسة عشر من الإصحاح نفسه أنه لما طلع الفجر كان الملكان يستعجلان لوطاً قائلين له: قم خذ امرأتك وبنتيك (غير المتزوجتين) واخرج بهن لأننا سندمر المدينة، ولما توانى أمسك الملكان بيد امرأته وبنتيه (غير المتزوجتين) وأخرجوهن.

ويتبين من ذلك: أن الملكين قد تناقضا في أمرهما المكلفين به من قبل الله (تعالى الله عن قولهم). فقد طلبا أولاً إلى لوط أن يخرج بنيه وأصهاره وجميع بناته المتزوجات وغير المتزوجات وجميع أهله، ولكنهما في المرة الثانية لم يطلبا إليه أن يخرج إلا امرأته وبنتيه غير المتزوجتين، ويظهر من هذا: أن بنيه وبناته المتزوجات وأزواجهن، قد هلكوا مع من هلك في المدينة وهذا يتناقض مع ما ذكره الملكان أولاً[1].

٢- ومن أفحش التناقض ما لاحظه ابن حزم في التوراة بين سفر وآخر فقد جاء في التوراة أن الله غضب على حام بن نوح، وأن نوح قد دعى عليه بأن يكون مستعبداً لأخيه سام، وأن يكون بدأ للساميين، ولكن بعد أسطر معدودة من هذا الكلام تذكر

---

[1] عبد الواحد وافي، الاسفار المقدسة، ص٥٠.

التوراة أن أولاد حام قد انتشروا في أرجاء المعمورة، وأنه قد خرج من نسلهم النمروز الذي كان جباراً في الأرض. ومعنى هذا: أن واحداً من بني حام صار ملكاً على إخوته الساميين وهذا مناقض لدعوة نوح عليه السلام [1].

(د) ومن نماذج التناقض داخل السفر الواحد بين إصحاح وآخر ما يلي:

أولا: تناقض سفرالتكوين في عرضه لقصة نوح – عليه السلام –، وقد ظهر هذا التناقض بين الإصحاحات السادس والسابع والثامن في موضوع هام ومشهور وهو موضوع (طوفان نوح) والرواية في عمومها تقول: "لما عم فساد البشر قدر الله تدميرهم مع كل المخلوقات الحية الأخرى فحذر نوحاً وأمره ببناء السفينة التي سيدخل بها وزوجته وأولاده الثلاثة بزوجاتهم الثلاث وكائنات حية أخرى".

- ثم تختلف الإصحاحات بالنسبة للكائنات الحية. فإصحاح يقول: إن نوحاً قد أخذ زوجاً من كل نوع، وآخر يقول: إن الله قد أمر بأخذ سبعة من كل نوع ذكر وأنثى من الحيوانات الطاهرة وواحداً من الحيوانات غير الطاهرة.

- وتختلف الإصحاحات بالنسبة لعامل الطوفان: فإصحاح يقول: إن عامل الطوفان هو ماء المطر. وآخر يقول: إنه ماء المطر مع الينابيع الأرضية.

- وتختلف الإصحاحات كذلك في مدة الطوفان، فمنها من يقول: إنها أربعون يوماً فقط. ومنها من يقول: إنها مائة وخمسون يوماً. وبعد هذا يلاحظ أن في رواية الطوفان كذباً لا يمكن تصديقه علمياً وعقلياً، فقد قالت التوراة: إن الطوفان عم الجنس البشري، وإن كل الكائنات الحية قد أعدمت على الأرض، ومعنى هذا أن البشرية قد أعادت تكوين نفسها ابتداء من أولاد نوح، بحيث إنه عندما يولد إبراهيم بعد ذلك بثلاثة قرون تقريباً فإنه يجد الإنسانية قد أعادت تكوين نفسها في مجتمعات

---

[1] ابن حزم، الفصل، جـ١، ص٩٩.

وأقامت حضارات !! فهل يعقل في هذه الفترة القصيرة أن تبني البشرية نفسها ؟ فالمعطيات التاريخية تثبت استحالة اتفاق هذه الرواية مع المعارف الحديثة. وذلك لأن مولد سيدنا إبراهيم محدد من ١٨٠٠ أو ١٨٥٠ ق.م تقريباً، فإذا كان الطوفان قد حدث قبل ذلك بثلاثة قرون – كما يقول سفر التكوين – فإنه يكون قد وقع في القرن العشرين أو الواحد والعشرين ق.م. وقد أثبت التاريخ القديم أن هذا القرن هو قرن ازدهار لحضارة الفرعونية القديمة في مصر والحضارة البابلية في العراق.

ومن المعروف جيداً أنه لم يحدث انقطاع في هذه الحضارات وبالتالي لم يحدث إعدام يخص البشرية كلها في هذا التاريخ، كما تدعي التوراة. وبالتالي لا يمكن أن تكون روايات التوراة في هذا الأمر صحيحة بل كاذبة فلا يمكن أن نقبلها كوحي سماوي، لأن الله لا يوحي بالكذب [1] .ولذلك نجد أن القرآن الكريم يقدم رواية الطوفان بصورة شاملة لا يمكن أن تثير أي نقد. فالقرآن لا يذكر الطوفان بصفته عقاباً للبشر جميعاً وإنما يذكره بصفته عقاباً خاصة بالكفرة من قوم نوح (وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا للظالمين عذاباً أليما) [2] .

كما أن القرآن لا يحدد زمن الطوفان ولا يعطي أية إشارة عن تاريخه ذلك أن هذه أمور لا تهم المسلم ولا تفيده في شيء كذلك نجد القرآن الكريم يحدد بشكل واضح وصريح محتويات سفينة نوح : {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ} [3] وهكذا نلاحظ الفرق بين الكتب السماوية التي لم تمسها يد التحريف وبين الكتب المحرفة والمبدلة.

---

[1] موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص٥٢

[2] انظر قصة نوح في سورة هود الايات ٢٥- ٤٩ ، وسورة الفرقان الاية ٣٧ وسورة الشعراء الايات ١٠٥- ١٢٠

[3] سورة هود، اية : ٤٠

ثانيا : ومن التناقض ما جاء في سفر التكوين في الإصحاح السادس من أن الله تعالى قد غضب على النوع الإنساني فجعل أعمار أفراده لا تتجاوز مائة وعشرين سنة، ثم ذكر بعد ذلك في الإصحاح الحادي عشر من نفس السفر أن سام بن نوح عاش ستمائة سنة، وإرفخشاذ بن سام عاش أربعمائة وخمساً وستين سنة، وشالح ابن إرفخشاذ عاش أرعبمائة سنة وثلاثاً وثلاثين سنة، وإبراهيم عاش مائة وخمسة وسبعين سنة وإسحاق بن إبراهيم عاش مائة وثمانين سنة ولاوي بن يعقوب عاش مائة وسبعة وثلاثين سنة. وغير هؤلاء كثيرين ذكرت التوراة أن أعمارهم تزيد عن مائة وعشرين سنة [1] .

ثالثا : ومن التناقض الذي ظهر بين إصحاحات السفر الواحد: ما جاء في الفقرة الثانية والثلاثين من الإصحاح الخامس من أن نوحاً حينما بلغ خمسمائة سنة ولد له (سام) وجاء في الإصحاح السابع أن الطوفان قد حدث حينما بلغ سام سن المائة، وجاء في الإصحاح الحادي عشر من نفس السفر أن سام حينما بلغ مائة سنة ولد له (إرفخشاذ) وأن ذلك كان بعد سنتين من الطوفان.

وهذا تناقض فاحش لا يخفى على من كان عنده أدنى ذرة من عقل، لأنه إذا كان نوح ولد له سام وهو ابن خمسمائة سنة، وبعد مائة سنة كان الطوفان، وبعد الطوفان بسنتين ولد له (إرفخشاذ) وحينئذ يكون عمر سام حين ولادة ابنه مائة واثنتين سنة، لا ابن مائة، كما تقول التوراة [2] . وقد بين العلامة ابن حزم مئات التناقضات في كتابه [3] الفصل كما استخرج الشيخ رحمة الله خليل الهندي [4] أعداداً

---

[1] ابن حزم، الفصل، ص٧.

[2] ابن حزم، الفصل، ص٩٩.

[3] ابن حزم، الفصل، ص١٦٦.

[4] رحمة الله الهندي، اظهار الحق، ص٨٧.

لا حصر لها من الكذب والتناقض الموجود في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، مما يغني عن الاسترسال في ذكر هذه التناقضات.

ومن الأهمية بمكان القول بأن الوحي السماوي لا يمكن أن يكذب نفسه، ولا يمكن أن يتعارض مع نفسه، لأن صفة العلم الإلهي صفة انكشاف تام لكل ما كان وما هو كائن وما سيكون، ومن هنا فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ويكون ما يوحي به إلى رسله هو الحق المطلق الذي لا كذب فيه ولا تعارض، فإذا ما وجدنا الكذب والتعارض في أي كتاب سماوي فإننا نسلم تماماً بتدخل الأمل البشري في هذا الكتابة.

رابعاً: انقطاع السند في العهد القديم وافتقاره إلى أبسط شروط التواتر: ذلك أنه لابد لكي يكون الكتاب سماوياً واجب التسليم أن يثبت أولاً بدليل تام أن هذا الكتاب كتب بواسطة النبي الفلاني، ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل، وهو ما يعرف بالتواتر. وبمعنى أوضح: لابد أن تكون نسبة الكتاب إلى الرسول الذي نسب إليه ثابتة بالطريق القطعي اليقيني، وهو طريق التواتر بحيث ينقله جمع يؤمن تواطئهم على الكذب عن مثلهم حتى تصل السلسلة من السامعين إلى الرسول الذي استند إليه الكتاب نفسه. ولا شك في أن التعهد القديم لا ينطبق عليه هذا الشرط، فقد تعرضت التوراة للسلب مع التابوت ولم يرجع منها إلا بقية لا يعلم قدرها. وبهذا ظل تواتر التوراة منقطعاً إلى أن جاء يوشيا بن آمون وظهرت في عهده نسخة بعد ثماني عشرة سنة من جلوسه على العرش؛ وهي نسخة لا يمكن الاعتماد عليها لانقطاع سندها من قبل، ومع ذلك لم تظل هذه النسخة كما هي وإنما تعرضت للحرق التدمير على يد بختنصر، ثم حاول عزرا أن يكتبها من جديد فتعرضت للحرق مرة ثانية في حادثة أنتيوكس[1].

---

[1] رحمة الله الهندي، اظهار الحق، ص٥٨.

وكل هذه الأحداث تثبت انقطاع سند التوراة قد ذكرنا فيما مضى الاختلاف والشك في حقيقة الأسماء التي أضيفت إليها أسفار العهد القديم حتى إن بعضها قد نسب لبشر عاديين ليسوا بأنبياء ولا رسل مما يسقط عن أسفارهم تاج القداسة ويضعها في عداد المؤلفات البشرية السمجة التي اختلط الحق فيها بالباطل وامتزج فيها الفكر البشري بالوحي السماوي امتزاجاً مخلاً واضحاً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

خامساً: وأكبر دليل على تحريف التوراة احتوائها على الكثير من العقائد الباطلة بالنسبة لله وسائر الأنبياء حيث نسبوا إليهم من الصفات ما لا يليق بهم على الإطلاق، كما أنكروا البعث والحياة الأخروية، وحرفوا قوانين الأخلاق.

- أما عن صورة الإله في العهد القديم: فهي صورة غريبة وإن عهدت عند السذج وعباد الأصنام والبدائيين إلا أنها لم تعهد في وحي السماء إطلاقاً.فقد وصفوا الإله بالضعف والعجز، والجهل، فهو يقوم بالعمل ثم يتعب فيستريح [1] . ويتخذ بعض القرارات ثم يبدو له خطؤها فيعدل عن قرار[2] ، إلى غير ذلك من الصفات التي ألحقها اليهود بالإله الخالق .

- وأما عن الأنبياء: فقد وصفتهم التوراة بأخس الصفات وأفحشها، حيث نسبت إلى أنبياء الله عليهم السلام الكذب والخداع والنفاق والرياء والمداهنة، بل نسبت إليهم شرب الخمر وعبادة الأصنام والسجود لغير الله والزنا [3] ، وغير ذلك من الصفات الذميمة التي لا تليق حتى بالبشر العاديين . كذلك من شواهد تحريف التوراة أنك لا تجد فيها دليلاً واضحاً على البعث الأخروي، ومن غير المعقول أن

---

[1] سفر التكوين، الاصحاح الثاني.

[2] سفر التكوين، الاصحاح الثالث.

[3] سفر التكوين، الاصحاح التاسع عشر.

تخلو رسالة سماوية صحيحة من عقيدة البعث مما يدل أوضح الدلالة على أن الأهواء قد لعبت بالتوراة.

- وإذا عدنا إلى الجانب الأخلاقي في التوراة، نلاحظ أن اليهود قد وضعوا لأنفسهم مجموعة من المبادئ الأخلاقية مثل: الأثرة والأنانية وحب الذات واستحلال ما حرم الله من السلب والنهب والقتل لكل من ليس يهودياً، وادعوا أن هذه أخلاقهم الموحى بها من السماء. وأعتقد أنه يكفي أن توجد مثل هذه الأشياء في العهد القديم لكي يحكم الإنسان بمجرد النظر العقلي عليها بالفساد والانحراف.

والغريب أن موسى – عليه السلام – قد تنبأ بما سوف يحدث للتوراة، ولذلك بعد أن أتم الأسفار الخمسة أعطاها للأويين وهو يحذرهم ويقول لهم " خذوا التوراة وضعوها في جانب تابوت عهد الرب ليكون شاهداً عليكم، لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة، وأنا معكم حتى اليوم صرتم تحاربون الرب فما بالكم بعد موتي " وحقت نبوءة موسى – عليه السلام – فحاربوا ربهم بأخس الحروب وأي حرب لله أخس من تحريف كلامه والكذب عليه ونسبة ما لا يجوز عليه من الصفات.

وخلاصة القول فإن العهد القديم لا يزيد عن كونه مجرد تراث شعبي لا سند له من وحي السماء إطلاقاً حيث يقول أدموند جاكوب: إن كل شعب يغني في مراحل تطوره البدائية وإن الشعوب تجمع هذا التراث الشعبي وتضفي عليه صفة القداسة بمرور السنين، وهكذا كانت التوراة [1].

فالتوراة بلا شك كتاب سماوي ولكنه تعرض للتحريف والتغيير ولا نقطع صلته بداية بالسماء، ففيه كثير من الأحداث التي لا يمكن إلا أن تكون وحياً سماوياً، وهي الأحداث الأساسية مثل: بدء العالم والطوفان وروايات موسى مع

---

[1] موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص٢٠.

فرعون وغيرها فكلها أحداث صحيحة في جوهرها العام لكن الخطأ هو في التفاصيل الجزئية لهذه الأحداث مما يؤكد أنها من صنع اليهود.

وتذكر كتاب التاريخ بأن التوراة الأصلية قد فقدت وحاول اليهود إعادة كتابتها من جديد، وهذا دليل على أن التوراة التي بين أيدي اليهود ليست هي التوراة التي أمر القرآن الكريم الإيمان بها، وإنما حكمها وحكم سائر كتب العهد القديم والجديد أن كل روايتها إن صدقها القرآن فهي مقبولة، وإن كذبها فهي مردودة، وإن كان القرآن ساكتاً عن التصديق والتكذيب نسكت عنه، فلا نصدق ولا نكذب كما علمنا رسولنا الكريم، مع ملاحظة أن الإسلام لا يعترف إلا بالتوراة التي أنزلها الله على موسى ولا يعترف بسواها من أسفار العهد القديم. قال تعالى: {اللَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۞ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۞ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ} [1].

كما يشير القرآن إلى الألواح: " {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} [2]. وسواء كانت الألواح هي التوراة أم شيئاً آخر، فإن القرآن الكريم لم يتعرض لسائر الأسفار الأخرى مع إشارته وتأكيده على أن اليهود قد حرفوا ما معهم من الكتب المقدسة {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [3].

وأن ما معهم الآن مكتوب بأيديهم ومنسوب خطأ إلى الله تعالى وقد توعدهم

---

[1] سورة ال عمران، اية: ٢- ٣.

[2] سورة الاعراف، اية: ١٤٥.

[3] سورة المائدة، اية: ١٣.

الحق تبارك وتعالى فقال جل شأنه : {فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ }[1] . وقال تعالى : { أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }[2] . وبهذا يتحدد موقف المسلم من كتب اليهود والنصارى ، فالطعن الموجه إلى اليهود هو موجه بالدرجة الأولى إلى النصارى ، لأن التوراة تشكل الجزء الأكبر من كتابهم الذي يزعمون أنه مقدس وسقوط التوراة بهذه الصورة يعد سقوطاً للنصرانية بأكملها ، لأنهم مطالبون بالعمل بتشريعاتها.

المطلب الثالث
من أخطاء التوراة

وفيما يلي بعض الأمثلة التي تدل على أخطاء قد وقعت في التوراة مما يؤكد أن اليد البشرية قد عبثت بالتوراة ونصوصها :

أولاً : من الأخطاء:

اتفق السامريون والعبرانيون على إعادة كتابة التوراة في مدينة " بابل " أيام سبى نبوخذ ناصر " سنة ٥٨٦ ق. م وشكلوا لجنة لهذا الغرض برئاسة " عزرا " الكاهن — الذي يسميه " ابن حزم " بعزرا الوراق — وقد جمعت هذه اللجنة معلومات من التاريخ القديم ، ومعلومات أرادوا ادخالها على النصوص الأصلية. وقبل أن تكمل هذه اللجنة عملها ، صدر الأمر الفارسي لهم بالرجوع إلى كنعان. فتعجلوا الرحيل ، وسروا به ، وانشغلوا عن التنقيح والتدقيق والتنظيم والترتيب ظانين أنهم في بلادهم يقدرون على ذلك.

---

[1] سورة البقرة ، اية : ٧٩.

[2] سورة البقرة ، اية : ٧٥. انظر السنن القويم ، مرجع سابق ، ص ٥٥.

وفي أثناء العودة، اختلف السامريون والعبرانيون على أمرين الأول: عاصمة الدولة والثاني: على المكان المقدس. واشتد العداء واستحكم. فتوقف العمل في استكمال أمر التوراة ولم يستطع أي فريق منهم أن يبدئ أو يعيد في تنقيح أو تنظيم، إلى يومنا هذا. ثم بعد مدة من الزمان نظر السامريون في التوراة "عزرا" وكتبوا فيها آيات العبرانية: "ظهر الرب لابرام" وفي السامرية: "تجلى ملاك الله لابرام".

وفي العبرانية: "وأنا قد وهبت لك سهماً واحداً فوق اخوتك. أخذته من يد الأموريين بسيفي وقوسي" وفي السامرية: "وأنا أعطيتك نابلس خصوصاً عن إخوتك، الذي أخذته من يد الأموري بسيفي وبقوسي". وفيما يلي ذكر لأمثلة من التوراة نفسها، تدل على تعدد المعلومات التي جمعتها اللجنة من مصادر مختلفة، ولما لم تستطع التوفيق بينها تعمدت الكذب فيها وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

المثال الأول: يقول الكاتب أن أدم وحواء لما أكلا من الشجرة "انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانين فخاطا أوراق تين، وصنعا لأنفسهما مآزر" (تك ٣: ٧) كيف خاطا آدم وحواء أوراق التين وورق التين صغير الحجم وهما لم يعرفا هذه الصنعة ؟ يقول بعض المفسرين "والصعوبة هنا، في قوله "خاطا" ومترجم السريانية انتبه لذلك، وصعب عليه إثبات أن حواء كانت تعرف الخياطة وتحكمها ولذلك ترجم العبارة بقوله "لصقا أوراق تين" والحق أن الكلمة العبرية تعنى عملاً أكثر من هذا"[1].

المثال الثاني: يقول الكاتب: أن طوفان نوح — عليه السلام — عم الكرة الأرضية كلها "كل ما في أنفه نسمة روح حياة. من كل ما في اليابسة مات. فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض: الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء فانمحت من الأرض وتبقى والذين معه في الفلك فقط "(تك ٧: ٢٢ — ٢٣). وهو يقصد بالذين معه أبناؤه وزوجات أبنائه.

---

[1] انظر السنن القويم، ص ٥٥.

وفي سفر التكوين: أن " لامك " ظل نسله دائماً لم ينقطع. ولامك لم يكن ممن دخل الفلك، لأنه لم يكن من أولاد نوح وإلكاتب يقول: أن الذي دخل الفلك هم أبناء نوح " اخرج من الفلك أنت وامرتك وبنوك ونساء بنيك معك، وكل الحيوانات "(تك ٨: ١٦ — ١٧) ولامك هو: ابن متوشائيل بن محويائيل ابن عيراد بن حنوك بن قايين بن آدم.

وهذا يدل على أنه قد دخل الفلك من آمن من الناس من غير نوح وأهله. كما جاء في القرآن الكريم " ومن آمن "(هـــود ٤٠) والا يكن ذلك صحيحاً. فكيف بقى نسل لامك وهم لم يكن من أولاد نوح يقول الكاتب: " واتخذ لامك لنفسه امرأتين. اسم واحدة عادة، واسم الأخرى صلة. فولدت عادة يابال الذي كان أباً لساكنى الخيام ورعاة المواشي واسم أخيه يوبال. الذي كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار، وصلة أيضاً ولدت توابل قابين الضارب كل آلة من نحاس وحديد"(تك ٤: ١٩ — ٢٢).

وقوله: " الذي كان أباً لساكني الخيام ورعاة المواشي " يدل على أن سلسلة النسب لم تنقطع بين هؤلاء الناس وبين لامك وكذلك قوله: " والذي كان أبا لكل ضارب بالعود والمزمار " فيلزم الاعتراف بأحد أمرين: إما أن يكون الطوفان خاصاً وهذا لا تنص عليه التوراة أو القرآن الكريم فقد جاء في القرآن: " ذرية من حملنا مع نوح[1]".

وأيضاً: " وجعلنا ذريته هم الباقين " سورة الصافات/ ٧٧ ، وإما أن يكون الكاتب قد نسى أن يذكر أن فريقاً من المؤمنين من غير أبناء نوح، قد دخل السفينة. ومنهم " لامك " — وهذا هو الصحيح — وبالإضافة إلى ذلك: فإن الكتب يذكر أن عدد الداخلين في الفلك: ستة أشخاص، ويخالفه " بطرس " في الإنجيل ويذكر أنهم كانوا

---

[1] سورة الاسراء، اية: ٣

ثمانية. يقول بطرس عن الله تعالى: " ولم يشفق على العالم القديم، بل إنما حفظ نوحا ثامناً، كابرزا للبر. إذ جلب طوفاناً على عالم الفجار"(بطرس الثانية ٢: ٥) .

المثال الثالث: قال الله لنوح " ومن كل حي من كل ذي جسد اثنين من كل تدخل الفلك لاستبقائها معك. تكون ذكراً وأنثى. من الطيور كأجناسها، ومن البهائم كأجناسها. ومن كل دبابات الأرض كأجناسها اثنين من كل تدخل الفلك لاستبقائها "(تك ٦: ١٩ – ٢٠) وفي الإصحاح التالي هذا النص: " من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكر وأنثى ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكراً وأنثى، لاستقائها على وجه كل الأرض "(تك ٧: ٢ – ٣) وهذا تناقض في مسألتين: الأولى: أنه أمر أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين. وهذا هو الحق لأن الغرض هو استبقاء النسل. وهو يحصل من ذكر وأنثى، ولأنه أو كان المقصود سبعة أزواج، لكان عدد الحيوانات الداخلة في الفلك كثيرة، يعجز نوح وأولاده عن الاعتناء بها، فضلاً عن عدم سعة الفلك. والثانية: أنه في النص الأول: أمر بأن يأخذ من جميع الحيوانات، سواء كانت طاهرة أو غير طاهرة.

وهذا هو الحق أيضاً. لأن كل الطعام كان حلا لنوح ومن معه. والتحريم من الحيوانات واعتبار المحرم نجساً لم يكن الا من يعقوب حرم ما على الفخذ، ومن شريعة موسى حيث حرمت الخنزير وكل ذي ضار وغير ذلك كثيراً. وهذا يؤكد كتابة التوراة بعد عصر موسى. يقول الله لنوح: " كل دابة حية تكون لكم طعاماً. كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع " (تك ٩: ٣) فكيف يقول: " الطاهرة والتي ليست بطاهرة ". والنص يقول: كل الطعام مباح ؟

المثال الرابع: " واستقر الفلك في الشهر السابع، في اليوم السابع عشر. من الشهر. على جبال أراراط وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً إلى الشهر العاشر. وفي العاشر في أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال " (تك ٨: ٤ – ٥) الآية الرابعة: تثبت أن سفينة

نوح عليه السلام استقرت في الشهر السابع على جبال أراراط. في التوراة العبرانية. وفي السامرية : " على جبال سرنديب ".

والآية الخامسة : تثبت أن ظهور الجبال كان في الشهر العاشر. فإذا كان ظهور رؤوس الجبال في العاشر فكيف استقرت السفينة في السابع والرؤوس لم تظهر بعد. والقرآن ينص على أن السفينة استوت على الجودى ، في قوله تعالى: " واستوت على الجودى"(هود ١٤) وليس على جبال أراراط أو سرنديب – وهذا هو الحق – ويدل عليه أمران : **الأمر الأول**: شك المفسرين من أهل الكتاب في أنه " أراراط " أو " سنرنديب " .

والأمر الثاني: أن الناس من بعد نوح ، قد ارتحلوا شرقاً "وحدث في ارتحالهم شرقاً. أنهم وجدوا بقعة في الأرض شنعار ، وسكنوا هناك "(تك١١: ٢) وأرض شنعار هي : كل أرض بلاد فارس ما بين نجلة والفرات[1]. فلو كانت السفينة في أراراط لكانت شنعار في الغرب لأن أراراط في بلاد أرمينية يقول المفسرون في(تك ٨: ٤). " أراراط : قال بعضهم في الآية الثانية من الاصحاح الحادي عشر: أن أولاد نوح سافروا شرقاً إلى شنعار ، وترجمه بعضهم " من الشرق " وعلى هذا لا يكون أراراط هو جبل أراراط المعروف في أرمينية ، والكلمة الاشورية تعني أرضاً ذات تلال ، أو نجداً. فيصح أن يكون أراراط نجداً من الانجاد " .

وجاء في سفر التكوين "٢/١١" كتب المفسرون : " وجاء في النبأ الكلداني : أن السفينة استقرت على جبل نيريز أو نزير ، أو الوند. شرقي أشور.ومع أن أراراط يمكن أريوبرات أي أرض مقدسة يصعب بيان نقل اسم الوتد ، إلى أرمينية بل يتعذر "[2] ،

---

[1] انظر السنن القويم ، مرجع سابق ، ص ٥٥.

[2] انظر السنن القويم ، مرجع سابق ، ص ٨٢.

وقولهم " يمكن أن يكون أريو برات أي أرض مقدسة " يدل على: أرض العرب. ففيها المكان المقدس وهو الكعبة المكرمة.

ولو كانت الأرض المقدسة بلاد الشام لهلل أهل الكتاب وكبروا. وهم لم يقولوا بذلك، لأن أرض شنعار ليست إلى الشرق من بلادهم. والقرآن ذكر: " **أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين** " (آل عمران ٩٦) .

والتوراة ذكرت " وبني نوح مذبحاً للرب. أخذ من كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح " (تك ٨: ٢٠) وعلى هذا الذكر فلماذا لا يكون بناء نوح هو أول بيت وضع للناس، ويكون استقرار السفينة في أرض الغرب، وحلم هو أبو كنعان، هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح. ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض " (تك :٩) .

المثال الخامس: " وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك سلماً وحلماً يانث وهذا يعني أن الله راض عن هذا التشعب. وأنه شيء طبيعي. ويدل عليه الاصحاح العاشر كله من التكوين، ففيه ذكر نسب أولاد نوح الثلاثة. وفي آخره " ومن هؤلاء تفرقت الأمم في الأرض بعد الطوفان ".

وفي الإصحاح الحادي عشر من التكوين يذكر الكاتب: إن هذا التشعب لم يكن عن رضا من الله. ولم يكن شيئاً طبيعياً، بل كان عقوبة من الله. ذلك لأنهم بنوا مدينة وبرجا رأسه في السماء " فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آثم ينونهما، وقال الرب: هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل، والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه. هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم. حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض. فبددهم الرب من هناك على وجه الأرض فكنوا عن بنيان المدينة، لذلك دعى أسمها بابل. لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض.

ومن هناك بددهم الرب على وجه الأرض ". (تك ١١: ٥ – ٩) وبالإضافة إلى

هذا التناقض، فإن بابل لم تسم كذلك بسبب بلبلة الألسن. بل لأن " باب " يعني باب كما في اللغة العربية و"آل " في الآرائية. الله. و " إلى " في الآشورية : الله. و(الاه) في العربية : الله و " الوهو " في السريانية : الله والمعنى على كل هذه اللغات " باب الله " وسميت من أجل ذلك لا بسبب بابلة الألسن[1].

لكن لماذا قال الكتاب أن اسمها بسبب بلبلة الألسن ؟ والإجابة على ذلك : أنه كان يكتب أثناء السبى البابلي واليهود ساخطون على أهل بابل، ويريدون الرجوع إلى أرض كنعان . فأراد أن يبرر سخطهم بأن هذه المدينة من قديم الزمان محل غضب الله. كما برر احتلالهم لأرض كنعان بقوله : " وحلم هو أبو كنعان ". ولم يذكر أولاد نوح الآخرين، ثم ذكر أن كنعان هذا ملعون لعنة أبدية، وأنه هو ونسله " عبد العبيد يكون يكون لاخوته " (تك ٩: ٢٥). هكذا قال الكاتب على لسان نوح لما استيقظ من شرب الخمر وعلم أن حلم ابنه أبصر عورته. وقال الكاتب : أن نوحاً لعن حلم واللعنة حلت على كنعان ابن حلم دون بقية اخوته وهكذا يبرر الكاتب لليهود احتلالهم لأرض كنعان، وأنهم مسخرون لخدمتهم من [illegible]. والدليل على كذبه :

١ - " أن هذه اللعنة لم ترافق نسله دائماً. فان الحثيين عظموا بين قدماء الأمم، واشتهر الصيدوثيون والفينيتيون بالتجارة لكنهم انحطوا كثيراً في الروحيات، فلعنوا بعبادتهم الأوثان وإذا كانوا قد انحطوا بسبب الأوثان، فإن اليهود قد عبدوا الأوثان. ففي سفر التكوين : " وأما لابان فكان قد مضى لبجزغنمه، فسرقت راحيل : أصنام أبيها "(تك ٣١: ١٩) ولا بأن هو خال يعقوب عليه وسلم، وراحيل هي زوجة يعقوب، وأم يوسف وبنيامين.

[1] انظر السنن القويم ، ص ١٠٤.

٢ – " بنو حلم: كوش ومصرايم، وفوط وكنعان " (تك ١٠: ٦) هؤلاء أربعة لحلم، فلماذا خصت العبودية لكنعان دون الثلاثة أن لم يكن الغرض كما ذكرنا فماذا يكوكن أوبنو كوش: هم في بلاد النوبة وبلاد الحبش. وبنو مصرايم هم في مصر العليا والسفلى وبنو لوط: هم شمالي أفريقيا وبنو كنعان هم: في ساحل البحر الأبيض المتوسط وفي أرض فلسطين[1]. أي ليسوا عبيداً لبني اسرائيل. كما كتب الكاتب. والتوراة تشهد: أن بني اسرائيل كانوا عبيداً للمصريين أولاد كنعان: ولم ينقذهم من العبودية إلا نبي الله موسى عليه السلام .

المثال السادس: " وعاش تاحور تسعاً وعشرين سنة وولد تارح وعاش تاحور بعد مئة وتسع عشرة سنة. وولد بنين وبنات. وعاش تارح سبعين سنة وولد ابرام وناحور وهاران وهذه مواليد تارح: ولد تارح: أبرام وناحور وهاران. وولد هاران لوطاً. ومات هاران قبل تارح أبيه في أرض ميلاده في أور الكلدانيين "(تك ١١ : ٢٤ – ٢٨).

ويقول الكاتب: " وكانت أيام تارح مئتين وخمس سنين. ومات تارح في حاران"(تك ١١ : ٣٢) وجاء في سفر الأعمال عند النصارى أن استفانوس قال لليهود: "فخرج حينئذ من أرض الكلدانيين وسكن في حاران. ومن هناك نقله بعدما مات أبوه إلى هذه الأرض التي أنتم الآن ساكنون فيها "(أعمال الرسل ٧: ٤) أي نقل الله إلى أرض فلسطين بعد موت أبيه في حاران. وجاء في سفر التكوين أنه: " كان أبرام ابن خمس وسبعين سنة، لما خرج من حاران " (تك ١٢: ٤) ومن هذه النصوص يتبين لنا ما يلي:

١. أن تارح ولد إبراهيم وله من العمر ٧٠ سنة ولما كان إبراهيم قد هاجر من حاران بعد وموت أبيه وكان عمره ٧٥ سنة ويكون سن تارح ١٤٥ سنة ويلزم على

---

[1] انظرالسنن القويم، مرجع، ص ٩٥ – ٩٩.

ذلك كذب الكاتب في قوله : " وكانت أيام تارح مئتين وخمس سنين " والدليل على كتبه أن كلام استفانوس موافق للتوراة السماوية السامرية وفيها أن تارح مات وله من العمر ١٤٥ سنة وأن ناحور مات في سن ١٤٤ فلا يرجح أن تارح يعيش أكثر من ذلك . لأن العمر كان يقصر بعد الطوفان . ولأن ابراهيم لما بشرته الملائكة بغلام عليم حسب من المحال أن يولد للانسان أولاد وهو في سن المائة ، ولو كان قد ولد وأبوه في سن المئة والثلاثين لم ينطق به (تك ١٧ : ١٧) .

٢. وقد صرح القرآن الكريم في سورة الأنعام/٤٧ ، بأن أب ابراهيم هو آزر واذا راعينا هذا الخلط الذي وقع فيه الكاتب وتناقض العبرانية والسامرية في عمر تارح لا نستبعد أن يكون "آزر" هو الأب الحقيقي لابراهيم ، لا تارح خاصة وفي اليونانية وحدها " قينان " في سلسلة النسب .

المثال السابع : قال الله لابراهيم : " أعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم ، ويستعبدون لهم . فيذلونهم أربع مئة سنة ، ثم الأمة التي يستعبدون لها أنا أدينها وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة . وأما انت فتمضي إلى آبائك بسلام ، وتدفن بشيبة صالحة ، وفي الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا " (تك ١٥ : ١٣ – ١٦).

والمراد بالأمة التي يستعبدون لها : أرض مصر . وفي سفر الخروج : " وأما اقامة بني اسرائيل التي أقاموها في مصر ، فكانت أربع مئة وثلاثين سنة ، وكان عند نهاية أربع مئة وثلاثين سنة في ذلك اليوم عنه أن جميع أجناد الرب خرجت من أرض مصر"(تك ١٢ : ٤٠ – ٤١) فقد زادت آيتي الخروج لفظ " ثلاثين سنة " .

ثم أن بولس في رسالته إلى أهل غلاطية : اعتبر مدة الأربع مائة والثلاثين ليست من دخول يعقوب أرض مصر ، إلى أن خرج بنو اسرائيل مع موسى ، بل اعتبر المدة المذكورة من زمن ابراهيم عليه السلام . أي أنه كتب النصين السابقين . أنه يقول : " وأما المواعيد متبلت في ابراهيم وفي نسله ، لا يقول وفي الأنسال كأنه عن كثيرين ،

بل كأنه عن واحد ، وفي نسلك الذي هو المسيح . وإنما أقول هذا : أن الناموس الذي صار بعد أربعمائة وثلاثين لا ينسخ عهداً قد سبق نتمكن من الله نحو المسيح حتى يبطل الموعد ، لأنه أن كانت الوراثة من الناموس فلم تكن أيضاً من موعد .ولكن الله وهبها لابراهيم بموعد "(غلاطية ٢ : ١٦ – ١٨).

وعبارة بولس هي الصحيحة . لأنه في التوراة السامرية واليونانية هكذا : " فكان جميع ما سكن بنو اسرائيل وآباؤهم وأجدادهم في أرض كنعان وأرض مصر: أربع مئة وثلاثين سنة "(خروج ١٢: ٤٠) ولأن التوراة العبرانية شاهدة على أن من دخول ابراهيم أرض كنهان ، إلى ولادة اسحق خمس وعشرون سنة(تك ١٢ : ٤ ، ٢١ : ٥) وأن اسحق كان ابن ستين سنة حين ولد له يعقوب(تك ٥٢ : ٢٦) وأن يعقوب لما دخل مصر كان ابن مائة وثلاثين سنة (تـك ٤٧ : ٩)، فالمجموع مائتان وخمس عشرة سنة . ويبقى على ذلك من مجموع الأربعمائة والثلاثين : وخمس عشرة من السنين .هي مدة اقامة بني اسرائيل في مصر .

المثال الثامن : " ولما كان عيسى ابن أربعين سنة اتخذ زوجة : يهودت ابنة بيري الحثي ، ويسمة ابنة أياون الحثى "(تك ٢٦ : ٣٤) " فذهب عيسى إلى اسماعيل ، وأخذ محلة بنت اسماعيل بن ابراهيم أخت نبليوت زوجة له على نسائه " (تك ٢٨ : ٩) " أخذ عيسى نساءه من بنات كنعان : عدا بنت أيلون الحثى ، واهو ليبامة على، بنت صبعون الحوى ، ويسمة بنت اسماعيل أخت نبايوت"(تك ٢٦ :٢ – ٣) .

فالكاتب وضع نصوصاً ، ولم يدر ما وضع أحقاً هو أم باطل ؟ فقد قال أن عيسى بن اسحق عليه السلام تزوج يهوديت ابنة بيرى ثم رجع فقال أنها ليست يهوديت ، بل عدا بنت أيلون . ثم قال أنه تزوج بسمة ابنة أيلون ثم رجع فقال أنها بنت اسماعيل عليه السلام . ثم رجع فقال لم يكن اسمها بسمة بل محلة ثم أضاف على نساء عيسى أهوليبامة . ويقول أصحاب السنن القويم في (تك ٣٦:٣١ – ٤٣) :

" ويظن أن ما في سفرالعدد ٣١ – ٤٣ زيد أي أضيف في عصر كتابة سفرى صموئيل. والذي زاده بعض الأنبياء . لأن الاسرائليين لم يخلو منهم فلا يعترض بمثل هذه الزيادة على قانونية الكتاب " .

المثال التاسع : يعقوب عليه السلام ولد من اسحق عليه السلام بعد أخيه عيسى ، وقد باركه أبوه ولم يبارك عيسى ، ولما خنق عليه أخوه ، فر هارباً إلى حاران . ولما وصل إلى حاران اتجه إلى بيت خاله لابان وخدمه سبع سنين ، وتزوج ابنة ابنته ، ثم خدمه سبع سنين أخرى وتزوج ابنته راحيل ، وبعد ولادة يوسف عليه السلام الابن الحادي عشر ، رجع يعقوب إلى أرض كنعان بعد عشرين سنة من مقامه مع خاله ، لقوله : "الآن عشرون سنة أنا معك "(تك ٣١ : ٣٨) .

وكان قد نذر أن أرجعه الله سالماً إلى حيث كان يقيم اسحق أبيه في حبرون يعطي لله العشر من كل شيء ، ولما رجع سكن في سكوت وفي بيت أيل ، وفي طريقه من بيت أيل إلى حيرون ، ولدت راحيل بنامين ، وماتت ودفنت في بيت لحم . وايام كان في شكيم : خرجت دينة ابنته "لتنظر بنات الأرض فرآها شكيم ابن حمور الحوى رئيس الأرض ، وأخذها واضطجع معها وأذلها "(تك ٣٤ : ١ – ٢).

وقام شمعون ولاوي ابني يعقوب وأخذا بثأر دينة وقتلا أهل المدينة وهدموها . أي هنا نقف ونقول :أن فرعون مصر سأل يعقوب لما دخل مصر عن سنة فقال يعقوب لفرعون : أيام سنى غربتي مئة وثلاثون سنة "(تك ٤٧ : ٩) ، فإذا عرفنا أن يعقوب حزن على ابنه يوسف اثنين وعشرين عاماً وسبعة عشر عاماً عمر يوسف وقت بيعه (تك ٣٦ : ٢) وسبعة أعوام خدم فيها يعقوب براحيل (تك ٢٩ : ١٨) يكون المجموع ٢٢ + ١٧ + ٧ =٤٦ لو طرحناها من ١٣٠ يتبقى ٨٤ عاماً فيكون يعقوب تزوج ليئة أو لى نسائه وله من العمر ٨٤ عاماً .

وفي المقابل ذلك كان عمر دينة ابنة ليئة وقت اغتصاب شكيم لها سبعة أعوام

لأنها ولدت بعد الأولاد الستة (تك ٣٠ : ٢١)، وكان عمر شمعون اثنى عشرعاماً ، لأنه ولد قبل دينة بخمسة أعوام ، وعمر لاوي أحد عشر لأنه ولد بعد شمعون بعام ولا يعقل اشتباه شكيم لدينة وهي في السابعة ، ولا قتل الصبيين شمعون ولاوي لأهل شكيم جميعاً وتدمير المدينة .

وفضلاً عن ذلك فإن سني يعقوب من بعد فراق يوسف إلى مجيئه إلى مصر ، تقدر باثنتين وعشرين سنة . أو زدنا عليهم سبعة عشر عاماً . هم عمر يوسف عند فراق أبيه ، يكون المجموع ٣٩ سنة . وقد ولد بنيامين بعد يوسف باربعة عشر عاماً أو ستة عشر . ذلك لأن يعقوب ترك لابان بعد ست سنين تقريباً من ولادة يوسف ، واستغرقت رحلته من العراق إلى بيت أيل ثمان سنوات أو عشر تقريباً فيكون عمر بنيامين يوم دخول يعقوب مصر ٢٥ سنة أو ٢٣ سنة .

وقد ذكرت التوراة : أن بنيامين أنجب عشر بنين(تك ٤٦ : ٢١) وأن ابنه بالع أنجب ولدين (تك ٢٦ : ٤٠) ومعنى ذلك : أن بنيامين وهو في زهرة العمر ، كان له أحفاد وهذا لا يقل في مناقضته للعقل عن الاعتداء على دينه .

ثم إن قلنا على هذا الحساب : أن يعقوب تزوج ليئة أولى نسائه في الرابعة والثمانين ودخل مصر المائة والثلاثين ، فإنه يترتب عليه : أنه في مدة ٤٦ سنة أنجب الأسباط الاثني عشر وهم بدورهم تزوجوا وأنجبوا وصار لهم بنين وحفدة وصل مجموعهم إلى سبعين في التوراة السامرية والعبرانية وخمسة وسبعين في التوراةاليونانية (تك ٤٦ : ٢٧) وأشد غرابة من ذلك كله : أن يهودا الابن الرابع قد أنجب عير ، وأونان ، وشيلة . وبعد ما كبر شيلة تزوج ثامار وأنجب منها فارص وزارح ، ثم فارص أنجب حصرون وحامول.(تك ٤٦ : ١٢) .

المثال العاشر : في قصة يهودا وثامار وقد بدأها الكاتب بقوله : " وحدث في ذلك الزمان أن يهودا نزل من عند أخوته : (تك ٣٨ : ١) يحكى الكاتب قصة يهودا

بن يعقوب في ثنايا حديثه عن يوسف عليه السلام .

وقوله : " في ذلك الزمان " يفيد الزمان البعيد عن زمان كاتب التوراة . ويقول في القصة : أن ثامار قد زنى بها يهودا ، فأنجبت منه فارص وزارح . وسبب زنى يهودا بثامار: هو أن ثامار كانت متزوجة بعير ابن يهودا ، ولما مات تزوجت من أخيه أونان . وذلك لينجب أونان ولداً وينسبه إلى أخيه عير لئلا ينقطع ذكره من بني اسرائيل . لكن أونان لكراهنة ذلك . كان يفسد على الأرض لكيلا يعطى نسلاً لأخيه . فعاقبه الله بالموت .

ثم قال يهودا لثامار : أقعدي أرملة في بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابني . ولما طال الزمان وكبر شيلة ولم يتزوج من ثامار . تعرضت ليهودا وأوهمته أنها زانية فزنى بها وهو لايعرفها . ولما ظهر حملها قال يهودا : " أخرجوها فتحرق " فلما أخرجوها أخبرته بما كان منه ، فعفا عنها (تك ٣٨) .

وهذه القصة باطلة بدليل : أنه من نزول يوسف عليه السلام لأول مرة ، حتى اجتماعه بيعقوب أبيه في مصر ، مدة اثنتين وعشرين سنة . ذلك لأن عمر يوسف كان سبعة عشر عاماً عندما باعه أخوته (تك ٣٦ : ٢) وكان عمره ثلاثين عاماً علماً عندما أخرجه فرعون من السجن (تك ٤١ : ٤٦) أي أنه مكث في مصر حتى الخروج من السجن ثلاثة عشر عاماً ٣٠ – ١٧ = ١٣ .

فإذا أضفنا إلى هذه السنين الثلاثة عشرة : سبع سنين من الرخاء (تك٤١: ٤٧) ، وسنتين من المجاعة (تك ٤٥ : ١ ١) يكون المجموع : اثنتين وعشرين سنة . وفي مدة اثنتين وعشرين سنة ، أو زيادة عليها سنوات معدودة هي الفرق ما بين يهودا الابن الرابع وبين يوسف الابن الحادي عشر . في هذه المدة البسيطة ، لا يمكن لأحد أن يتصور أن يصبح يهودا أباً لثلاثة أطفال على التوالي من المرأة الوحيدة التي تزوجها وهي ابنة شموع الكنعاني وأن يتزوج أكبر هؤلاء الثلاثة ثامارا ، عند بلوغه سن

الزواج ، وأن يتزوج ثامار من جديد بعد موت الابن الثاني ، وبعد موت الابن الثاني تنجب من يهودا ولدين ، هما فارص وزارح ، وأن ينجب فارص ولدين آخرين .

هذا وقد وضع الكاتب في هذه القصة حكمين من أحكام موسى عليه السلام وهما يثبتان أنها كتبت بعد نزول التوراة واستقرار التشريع . الحكم الأول : زواج الأخ من زوجة أخيه الذي يموت ولا ينجب نسلاً ، وإذا لم يفعل يدع ببيته بيت مخلوع النعل " إذا سكن أخوة معاً ، ومات واحد منهم ، وايس له ابن فلا تضر امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي . أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب أخي الزوج . والبكر الذي تلده يقوم باسم أخيه الميت ، لئلا يمحى اسمه من اسرائيل.. الخ " (التثنية ٢٥ : ٥ – ١٠) .

والحكم الثاني : حرق الزانية وهذا لا يكون إلا في نوعين من الزنا .

النوع الأول : " إذا اتخذ رجل امرأة وأمها فذلك رذيلة . بالنار يحرقونه ، واياهما لكي لا يكون رذيلة بينكم " (لا ٢٠ : ١٤).

والنوع الثاني: " وإذا تدنست ابنه كاهن بالزنى فقد دنست اياها . بالنار تحرق " (تث ٢٢ : ٢٣ – ٢٤) أما يهوذا وثامار فحكمهما الرجم معاً .

المثال الحادي عشر : في الاصحاح السادس والأربعين من سفر التكوين ذكر الكاتب جدول تاريخي للاسرائليين ثم ذكر أيضاً هذا الجدول في الاصحاح السادس من سفر الخروج ، ثم ذكره أيضاً في الاصحاح السادس والعشرين من سفر العدد ، وجاء ذكره في سفر الأخبار الأول في الاصحاح الأول والثامن وفي الجميع اختلافات شتى وفيما يلي أمثلة على ذلك :

١ – أولاد شمعـــون :

تكوين الأول	العدد	أخبار الأيام
١ – يموئيل	نموئيل	نموئيل
٢ – يامين	يامين	يامين
٣ – أوهد	(لم يذكر)	(لم يذكر)
٤ – ياكين	ياكين	يريب
٥ – صوحر	زارح	زارح
٦ – شاول	شاول	شاول

٢– أولاد يساكـــر :

تكـــوين	عــــدد	أخبـار الأيـــام الأول
١ – تولاع	تولاع	تولاع
٢ - فوه	فوه	فوه
٣ - يوب	ياشوب	ياشوب
٤ – شمرون	شمرون	شمرون

٣ – بنـو ليئـــة : ذكر في (تك ٤٦ : ١٥) أسماء ست بنين وثلاثة وعشرين حفيداً ودينة ويعقوب نفسه وترك أسماء بقية البنات ، والذين ذكرهم قال عددهم " ثلاث وثلاثون " وبعد دينةيكون المجموع أربع وثلاثون .

٤ – بنـو جـــاد : جاء بدل أصبون في التكوين اسم أزنى في العدد ، وجاء بدل أرودي في التكوين أرود في العدد بدون ياء .

٥ – بنـو أشيـــر : جاء ذكر يشوة في التكوين ، وحذف من سفر العدد .

٦ – بنـو بنياميـن : ذكروا في الأسفار على النحو الآتي:

تكوين (٤٦ : ٢١)	عدد (٢٦ : ٣٠ – ٤٠)	أخبار الأيام الأول ٦:٧	أخبار الأيام الأول ١:٨ـ٥
١ – بالع	بالع	بالع	بالع
٢ – باكر	- - - - -	باكر	- - - - -
٣ – اشبيل	اشبيل	يد يعئيل	اشبيل
٤ – جيرا	- - - - - -		ذكر حفيداً
٥ – نعمان	ذكر حفيداً		ذكر حفيداً
٦ – ايحى	أحيرام		أخرج ونوحه
٧ – روش	- - - - -		رافه
٨ – مقيم	أشفوفام		ذكر حفيداً
٩ – حفيم	حوفام		ذكر حفيداً
١٠ – أرد	ذكر حفيداً		ذكر حفيداً

٧ – بنــو نفتالــي :

جاء ياحصئيل بالألف في التكوين وبدون ألف في أخبار الأيام الأول . وجاء شايم بالياء في التكوين وشاوم بالواو في أخبار الأيام الأول . وفي النهاية يقول الكتاب " جميع نانوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون " (تك ٤٦ : ٢٧). وفي التوراة اليونانية خمس وسبعون ومنها استشهد استفافوس في سفر الأعمال " فأرسل يوسف واستدعى أباه يعقوب وجميع عشيرته خمسة وسبعين نفساً " (أعمال ٧ : ١٤) .

المثال الثاني عشر : في سفر الخروج . ذكر الكاتب : أن اسم كاهن مدين ، حمو موسى عليه السلام هو " رعوئيل "(خر ٢ : ١٨) وذكر أن اسمه " يثرون "(خر ٣ : ١) ، وفي سفر العدد . ذكر الكاتب أن اسمه "حوباب "(عدد ١٠ : ٢٩) وفي سفر القضاء

"حوباب"أيضاً (قضاء ٤ : ١١) وهذا تناقض .

المثال الثالث عشر : يقول الكاتب : أن " صفورة " ولدت لموسى عليه السلام " ابناً فدعا اسمه جرشون " (خروج ٢ : ٢٢) ويقول بعد ذلك بقليل " فأخذ موسى أمرأته وبنيه وأركبهم على الحمير ، روجع إلى أرض مصر " (خروج ٤ : ٢٠) . وقوله " بنيه" وهو لم يرزق إلا بجرشون خطأ . وهنا أشكال في التراجم . ففي الأصل العبري" وأركبهم على الحمار" وهذا يناسب الولد وأمه. وفي ترجمة الفولجات : " لكن غيره ولد له حديثاً " وهي عبارة ليست موجودة في التوراة العبرانية . ويناسبها " وأركبهم على الحمير " وفي السامرية " وابنيه " وفي اليونانية أنه أنجب ولداً ثانياً اسمه العازر .

المثال الرابع عشر : " فماتت جميع مواشي المصريين ، وأما مواشي بني اسرائيل فلم يمت منها واحد " (خروج ٩ : ٦) وفي نفس الاصحاح : " فالذي خاف كلمة الرب من عبيد فرعون هرب بعبيده ومواشيه إلى البيوت " (خروج ٩ : ٢٠) كيف يهرب عبيد فرعون بالمواشي ، وهي قد ماتت في النص الأول .

المثال الخامس عشر : وصف الكاتب المن الذي أنزله الله في سيناء بقوله " ولما ارتفع سقيط الندى إذا على وجه البرية شيء نقيق مثل قشور.دقيق كالجليد على الأرض " (خروج ١٦ : ١٤) ووصفه في موضع آخر بقوله " ودعا بيت اسرائيل اسمه منا ، وهو كبزر الكزبرة أبيض ، وطعمه كرقاق بعسل " (خروج ١٦ : ٢١) .

المثال السادس عشر :" فقال موسى ليشوع : اتنخب لنا رجالاً ...الخ "(خروج١٧ : ٩) يفهم من ذلك أن يشوع كان مسمى بهذا الاسم في ذلك الوقت عقب الخروج من مصر " (وانظر ١٧ : ١٢ / ٣٤ : ١٣ / ٣٧ : ١٧ / ٣٣ : ١١) والعدد ١١ : ٢٨ ويفهم من سفر العدد أن يشوع لم يسم بهذا الاسم إلا حين أرسله موسى ليتجسس أرض كنعان ففي سفر العدد " هذه أسماء الرجال الذين أرسلهم موسى ليتجسسوا

الأرض ،ودعا موسى هو شع بن نون : يشوع"(عدد ١٣ : ١٦) .

المثال السابع عشر : طلب الله من موسى لن يصعد جبل حوريب - طور سيناء - وأن يقدس الشعب ويطهرهم " ولينقدس أيضاًالكهنة " (خر ١٩:٢٢) وهم لم يسموا كهنة ،ولم يتم انتخابهم من سبط لاوى إلا بعد نزول الشريعة (خروج ٢٨: ١) .

المثال الثامن عشر (كتاب العهد) :

أ- في التوراة أن الله تعالى عاهد بني اسرائيل على أن يعملوا بالتوراة ، وأن موسى عليه السلام أخذ كتاب العهد وقرأه على بني اسرائيل " فقالوا : كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له "(خر ٢٤: ٧) . وكان هذا العهد في جبل حوريب ، أي جبل طور سيناء .

ب – وفي التوراة أن موسى عليه السلام شرح التوراة لبني اسرائيل ، ثم أخذ عليهم العهد بأن يظلوا خاشعين للتوراة هم وأبناؤهم من بعدهم وكان هذا العهد في أرض موءاب (تث ٢٩ : ١٤).

ت – وفي سفر يشوع أن بن نون– فتى موسى ووصيه–قد أخذ عهداً هو الآخر(يش ٢٤: ٢٥) ويقول " سبينوزا " أن العهود الثلاثة قد فقدت وضاعت . لأن " العهد " كان مكتوباً بجانب سفر التوراة التي كانت مع التابوت ، ونخالفه ونقول : أن العهد لم يفقد ولم يضع وبيان ذلك :

أما عن العهد الأول : فإن نصه مذكور في التوراة – وكان النص في زمان موسى مكتوباً على لوحين من الحجر ، فنقله كاتب التوراة فيها – وهو أن الله تعالى قال لبني اسرائيل " أن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي . تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب . فإن لي كل الأرض، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة " (خر ١٩ : ٥ – ١٦) " فجاء موسى ودعا شيوخ الشعب ، ووضع قدامهم كل هذه الكلمات التي أوصاه بها الرب . فأجاب جميع الشعب معاً . وقالوا : كل ما نكلم به

الرب نفعل " (خر١٩ : ٧ : ٨).

وعلى أثر هذا العهد ، نزلت التوراة بالوصايا العشر والتشريعات . لما قرأها على بني اسرائيل . ابتدأ في عمل مراسم هذا العهد . بأن بني مذبحاً ، وأقام اثنى عشر عموداً ، لأسباط اسرائيل الاثنى عشر . وذبح ثيراناً قرباناً إلى الله . وأخذ موسى نصف دم الثيران ووضعه في الطسوس ، ونصف الدم رشه على المذبح " وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب . فقالوا : كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له ، وأخذ موسى الدم ورش على الشعب . وقال : هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال " (خر ٢٤ : ٧ - ٨) .

وأما عن العهد الثاني : فإن موسى في نهاية حياته ، جمع بني اسرائيل ، وقال لهم " أنتم واقفون اليوم جميعكم أمام الرب الهكم ، رؤساؤكم ، اسباطكم ، شيوخكم ، وعرفاوكم ، وكل رجال بني اسرائيل ، وأطفالكم ونساؤكم وغريبكم الذي في وسط محلتكم ، ممن يحتلب حطبكم إلى من يستقي ماءكم ، لكي تدخل في عهد الرب الهك ، وقسمه الذي يقطعه الرب الهك معك اليوم . لكي يقيمك اليوم لنفسه شعباً . وهو يكون لك يكون إلهاً ، كما قال لك ، وكما حلف لابائك ابراهيم واسحق ويعقوب . وليس وحدكم أقطع أنا هذا العهد وهذا القسم . بل مع الذي هو هنا معنا ، واقفاً اليوم أمام الرب الهنا . ومع الذي ليس هنا ، هنا اليوم ... " (تث ٢٩ : ١٠) .

وأما عن العهد الثالث : وهوعهد يشوع — فقد قال يشوع لبني اسرائيل : " وإذا تركتم الرب وعبدتم آلهة غريبة ، يرجع شيء اليكم ويفنيكم ، بعد أن أحسن إليكم . فقال الشعب ليشوع : لا بل الرب نعبد . فقال يشوع للشعب : أنتم شهود على أنفسكم أنكم قد اخترتم لأنفسكم الرب لتعبدوه . فقالوا : نحن شهود . فالآن انزعوا الآلهة الغريبة التي في وسطكم ، وأميلوا قلوبكم إلى الرب اله اسرائيل . فقال

الشعب ليشوع : الرب الهنا نعبد ، ولصوته نسمع ، وقطع يشوع عهداً للشعب في ذلك اليوم ، وجعل لهم مريضة وحكماً في شكيم.وكتب هذا الكلام في سفر شريعة الله"(يش ٢٤ : ٢٠ – ٢٦) .

تلك هي النصوص عن العهود الثلاثة وهي بمجملها تدعو الى وجوب العمل بالشريعة ، ومن نصوصها أن يترك التوراة بنو اسرائيل ، إذا ظهر النبي المماثل لموسى . فالنبي المماثل لموسى يجب أن يسمع له بنو اسرائيل ويطيعونه ، لأن النصوص الدالة على مجيئه داخلة في الشريعة ، التي أخذ العهد عليها ككل . وقد أكد الله على مجيئه والسماع منه بقوله : " يقيم " أي يجعل الله لكم أمامنا ، يقيم لكم الدين ،كما أقامه موسى من قبل في هذا النص : " يقيم لك الرب الهك نبياً من وسطك من إخوتك ، له تسمعون ... " (تث ١٨ : ١٥) .

وأما العهد يشوع فأن الباعث عليه هو خوفه من أن يعبد بني اسرائيل الهاً غير الله – ولا كلام لنا في عهده – وكاتب التوراة قد ألغز المعنى في العهد . فقد كتب أن الوصايا العشر هي العهد . وأن العهد قد كتبه موسى على لوحين من الحجر ، ووضع اللوحين في التابوت .

يقول الكاتب : " فكتب على اللوحين كلمات العهد ، الكلمات العشر " (خر ٣٤ : ٢٨) . وهذا منه للبس الحق بالباطل ، لأن صبغ الوصايا جاءت بصيغ مختلفة ، في التوراة ، وفي ثلاثة مواضع ، ولأن موسى حين عرض الشريعة مرة أخرى . قال : "هذه هي كلمات العهد الذي أمر الرب موسى أن يقطعه مع بني اسرائيل في أرض مرآب ، فضلاً عن العهد الذي قطعه معهم في حوريب " (تث ٢٨ : ٢٩) .

وبناء على ذلك فنص كتاب العهد ، غير نص الوصايا العشر . ونص العهد كان على اللوحين في التابوت ، فنقله الكاتب في التوراة . وقد صرحت التوراة بالمغايرة بين العهد وبين الوصايا ، وبين التشريعات فإنها ذكرت بعدما أخذ الله العهد ، أن الله

قال لموسى : "اصعد إلى الجبل ، وكن هناك ، فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم" (خر ٢٤ :١٢) .

فقوله : " أعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية " بعدما ذكر العهد أولاً ونص عليه يدل على أن العهد ليس هو ما كان على اللوحين من الوصايا . وهذا العهد ظل موجوداً في التابوت إلى زمان سليمان النبي عليه السلام ففي الاصحاح الثامن من سفر الملوك الأول : " لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر ، اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب ، حين عاهد الرب بني اسرائيل ، عند خروجهم من أرض مصر " (المل ٨ : ٦) وعلماء بني اسرائيل كانوا على علم به ، كما كانوا على علم بتاريخهم . ولما دونوا التوراة وضعوا فيها ما كان على اللوحين ، كما وضعوا التاريخ فيها .

كتاب العهد في نظر سبينوزا :

أثبت سبينوزا الفليسوف اليهودي أمرين هما :

أ – أن كتاب العهد مفقود .

ب – وأن العهد كان على الوصايا وبعض التشريعات التي نزلت في حوريب والتي شرحها موسى في مرآب . يقول : " جاء في الخروج (٢١ : ١٤) أن هناك سفراً آخر يعرف باسم سفر العهد – تعني كلمة سفر في العبرية رسالة أو ورقة – قرأه موسى أمام الاسرائليين عندما عقدوا عهداً مع الله ولا يحتوي هذا السفر أو هذه الرسالة إلا على أشياء قابلة . أي أنه لا يحتوي إلا شرائع الله ووصاياه الموجودة في الخروج في الاصحاح ٢٠ الآية ٢٢ حتى الاصحاح ٢٤ .

ولا يمكن أن ينكر ذلك من يقرأ هذا الاصحاح المذكور بشيء من الفهم السليم . ودون تحيز ففيه يروي أنه بمجرد أن عرف موسى رأى الشعب في العهد المبرم مع الله . كتب على التوراة كلمات الله ووصاياه ، ثم قرأ أمام المجمع العام للشعب شروط

العهد في الصباح بعد اقامة بعض الطقوس .

ويعد هذه القراءة دخل الشعب في هذا العهد بمحض رضاء . بعد أن عرف الناس كلهم . بلا شك هذه الشروط . ونظر إلى ضيق الوقت الذي استغرقه كتابة العهد المبرم ، وكذلك نظراً إلى طبيعة هذا العهد . كان حتماً إلا يحتوي هذا السفر أكثر مما قلته الآن .

وأخيراً : فمن الثابت أن موسى قد شرح جميع الشرائع التي سنها في السنة الأربعين بعد الخروج من مصر(انظر التثنية١: ٥)، وأخذ من الشعب وعدا جديداً بأن يظلوا خاضعين لهذه الشرائع(انظر التثنية ٢٩ : ١٤). ثم كتب سفرا يحتوي على الشرائع التي هذا العهد الجديد (انظر التثنية ٣١ : ٩)، وقد سمى هذا السفر : سفر توراة الله . وقد أضاف إليه يشوع بعد ذلك بمدة طويلة . رواية العهد الذي قطعه الشعب على نفسه من جديد في أيامه. وهو ثالث عهد يقيمونه مع الله (انظر يشوع ٢٤ : ٢٥ — ٢٦) ولما ثم يكن لدينا أي سفر يحتوي في الوقت نفسه على عهد موسى وعهد يسوع ، فيجب أن نعترف ضرورة بأن هذا السفر قد فقد "[1].

المثال التاسع عشر : (الوصايا العشر) وزدت مرتين في سفر الخروج ، ومرة في سفر التثنية . وعن مرنى الخروج يقول الكاتب : أن موسى صعد إلى الجبل وتلقى الشريعة، وفيها الوصايا العشر ، ثم نزل فوجد القوم يعبدون العجل من دون الله ، فكبر اللوحين ، ثم أن الله ناداه ليصعد الجبل ليعطيه الوصايا من جديد . فكانت الوصايا في المرة الثانية مختلفة عن الأولى ، بسبب كسر اللوحين .

وهذا لا يمكن أن يكون تعليلاً للاختلافات لأنه لو كانت الجديدة مقلم القديمة ، لكانت تكون الجديدة نفس القديمة في المعنى . لأنهما وصايا ومما زاد الطين بلة أن

---

[1] رسالة في اللاهوت والسياسية ، ص ٢٧١ — ٢٧٢

التوراة السامرية ذكرت وصية ليس لها ذكر في وصايا التوراة العبرانية واليونانية . وهي تقديس جبل (جرزيم) في " نابلس "،وعلى ذلك فلابد من الاعتراف بأن الكاتب لم معتدلاً في سرد الحقائق ، ولا بد من الاعتراف بأن الوصايا ليست هي كتاب العهد .

وهذا هو نص الوصايا في المرة الأولى: " ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات.قائلاً : أنا الرب الهك الذي أخرجك ، من أرض مصر ، من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً . ولا صورة ما في السماء من فوق . وما في الأرض من تحت ، وما في الماء من تحت الأرض ، لاتسجد لهن ، ولا تعبدهن ، لأني أنا الرب الهك اله غيور أفتقد قلوب الآباء في الأبناء ، في الجيل الثالث والرابع منمبغضي وأصنع أحياناً إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي .

لاتتعلق باسم الرب الهك باطلاً لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً . اذكر يوم السبت لتقديسه ، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك ، لاتصنع عملاً ما أنت وأبنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها ، واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك لا تقتل ، تزني ، لا تسرق ، لا تشهد على قريبك شهادة زور ، لا تشته بين قريبك ، ولا تشته امرأة قريبك ،ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ، ولا شيئاً مما لقريبك ،(خر ٢٠ : ١ - ١٧) . وهذا هو نص الوصايا في المرة الثانية : " الرب اله رحيم ورؤوف ، بطئ الغضب وكثير الإحسان والوفاء ، وحافظ الإحسان إلى ألوف ، غافر الإثم والمعصية والخطية. ولكنه لا يبرئ إبراء مفتقد آثم الآباء في الأبناء ، وفي أبناء الأبناء ، في الجيل الثالث والرابع.... لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة. تحفظ عيد الفطير سبعة أيام تأكل

فاطراً، كما أمرتك. في وقت شهر أبيب لأنك في شهر أبيب خرجت من مصر إلى كل فاتح رحم.

وكل ما يولد ذكراً من مواشيك بكراً من بعير وشياه. وأما بكر الحمار فتفديه بشاة. وان لم تفده تكسر عنقه. كل بكر من بنيك تفديه، ولا يظهروا أمامي فارغين ستة أيام تعمل وأما اليوم السابع فتستريح فيه، في الفلاحة وفي الحصاد تستريح، وتصنع لنفسك عيد الأسابيع أبكار حصاد الحنطلة وعيد الجمع في آخر السنة، ثلاث مرات في السنة، يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب اله إسرائيل، فإني أطرد الأمم من قدامك وأوسع تخومك، ولا يشتهي أحد أرضك حين تسعد لتظهر أمام الرب إلهك ثلاث مرات في السنة. لا تذبح على خمير دم ذبيحني ولا تبت إلى الغد ذبيحة عيد الفصح. أول أبكار أرضك تحضره إلى بيت الرب إلهك لا تطبخ جدياً بلبن أمه " (خروج ٣٤: ٦ – ٢٦).

وهذا هو نص الوصايا في الموضع الثالث: " لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً صورة ما، مما في السماء من فوق، وما في الأرض من أسفل، وما في الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن، ولا تعبدهن، لأني أنا الرب إلهك اله غيور، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء وفي الجبال الثالث والرابع من الذين يبغضونني، وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي. ولا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً، لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً، احفظ يوم السبت لنفسك، كما أوصاك الرب إلهك، ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك.... وأما اليوم السابع فسبت الرب العك لا تعمل فيه عملاً ما. أنت وابنك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك الذي في أبوابك لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك، واذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة، لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت. أكرم

أباك وأمك كما أوصاك الرب إلهك لكي تطول أيامك، ولكي يكون لك خير على الأرض التي يعطيك الرب إلهك، لا تقتل ولا تزن ولا تسرق ولا تشهد على قريبك شهادة زور، ولا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك " (تث ٥: ٧ – ٢١) .

المثال العشرون: (التشريعات) يقول الكاتب: على جبل سيناء كلم الله موسى بـ:

أ – بالوصايا العشر

ب – وبعض التشريعات.

وبالنظر في هذا النص نجد أن الكاتب لم يقل: نزل موسى من الجبل وأعلم الشعب بعهد الله ثم استطرد الكاتب في ذكر تشريعات أخرى. ثم يقول صعد موسى إلى الجبل ونزل فوجد قومه يعبدون العجل، فغضب وكسر اللوحين، ثم التمس العلو من الله فعفا عنهم. ثم يقول الكاتب: أن موسى صعد الجبل وكتب الله له لوحين المكسرين، ثم نزل موسى وأخذ العهد ثانية على بني إسرائيل. والكاتب خلط الحابل بالنابل في هذا الموضوع وبيان ذلك:

أولاً: قال الكاتب: أن الله طلب من موسى أن يأمر اليهود بالتطهير، ثم يقتربون من جبل سيناء ومعهم الكهنة – وهم لم يسموا بعد كهنة – ثم أن الله خاطب موسى قائلاً: " أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر... الخ " (خروج ٢٠: ١ / ٢٣: ٣٢) إلى هنا عرض الكاتب الوصايا العشر لأول مرة، وبعض التشريعات. وفيها النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف.... الخ. ولم يتعرض لانتخاب سبط لاوي لحمل الشريعة، ولا لتقديس ذرية هارون.

ثانياً: قال الكاتب بعد ذلك مباشرة: أن الله طالب سبعين من شيوخ إسرائيل. وسكت عن ذهاب لشيوخ على الجبل. ثم قال: أن موسى أخذ كتاب العهد، وقرأ في مسامع الشعب"، ثم أن الشيوخ السبعين ذهبوا، وروا اله إسرائيل، وأكلوا وشربوا.

ثم يقول الكاتب: "وقال الرب لموسى: اصعد إلى الجبل وكن هناك، فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم... وكان موسى في الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة " (خروج/ ٢٤). وقد من كان المناسب أن يذكر: " وقال الرب لموسى: اصعد إلى الجبل... الخ " ثم بعد ذلك يذكر الوصايا العشر والتشريعات السابقة. ويلزم على قوله هذا:

١ – أما أن تكون الوصايا العشر والتشريعات السابقة ليست ملزمة. لأنه يقول: " فأعطيك أوحي الحجارة والشريعة والوصية "وعليه ما بعد هذا هو الملزم، وما قبله ساقط.

٢ – وأما أنه خلط وشموش، ووضع ما كل أولاً في وسط التشريعات وهذا ما حدث.

ثالثاً: **استطرد في ذكر بعض التشريعات**. ثم قال: " ولما رأى الشعب أن موسى أيضاً في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هرون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا " ثم يقول: أن اليهود عبدوا العجل، وجاء موسى من الجبل غضبان أسفا " وطرح اللوحين من يديه، وكسرهما في أسفل الجبل ". **والخطأ هنا**: في أنه ذكر لوحين وشريعة ووصية، شريعة ووصية مكتوبان على ألواح. فكان من المناسب أن يقول " الألواح " لا لوحين فقط. وأخطأ أيضاً: في أنه سرد بعض التشريعات في حين أن موسى ما كان قد نزل من الجبل بعد ليخبر بها.

رابعاً: **ذكر الكاتب: أن موسى طلب من الله العفو عن خطية الشعب**، فعفا عنهم وذكر: أن موسى طلب رؤية الله فقال له: " لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش " ثم ذكر: أن موسى نحت لوحين من الحجر، وصعد إلى جبل سيناء. فكتب الله له على اللوحين الوصايا العشر من جديد، بصيغة تختلف عن صيغة الوصايا الأولى. وفي نهاية هذه الوصايا " قال الرب لموسى: اكتب لنفسك هذه

الكلمات، لأنني بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع إسرائيل. وكان هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً، ولم يشرب ماء. فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر " ثم ذكر تشريعات تختلف عن التشريعات السابقة.

والخطأ هنا: أن الكاتب ذكر كتاب العهد وأنه هو الوصايا العشر ثم أعاد الوصايا بعد تكسير اللوحين باختلاف كبير فيها، فلماذا كان الاختلاف، ولماذا ذكر تشريعات بعد الوصايا الثانية ليست هي الأولى ؟ .

والحق الذي لا ريب فيه – كما يبدو من هذا الموقف الرهيب – أن موسى صعد إلى الجبل، ومكث أربعين ليلة. وطلب رؤية الله فامتنعت عليه الرؤية، ثم أعطاه الله الشريعة مكتوبة على ألواح، ثم رجع فوجد قومه يعبدون العجل، فألقى الألواح جانباً ثم اختلف مع هرون أخيه. ثم أخذ الألواح بعدما سكت عنه الغضب من المكان الذي كان قد وضعها فيه، ثم اختار سبعين رجلاً، ولما تواقحوا بطلبهم رؤية الله أخذتهم الرجفة، هذا هو الترتيب المنطقي لهذه الحوادث، ولا يمكن الاعتراف بأن الأشراف السبعين رأوا الله وأكلوا وشربوا – كما هو ظاهر النص – لأن الرؤية إذا كانت قد امتنعت على موسى، فعليهم هم ممتنعة من باب أولى.

المثال الحادي العشرون: لكل من اجتاز إلى المعدودين من أين عشرين سنة فصاعداً، ليست مائة ألف وثلاثة آلاف وخمس مائة وخمسين " (خروج ٣٨: ٢٦) العدد / ٦٠٣٥٥٠ لجميع المعدودين من ابن عشرين فصاعداً " جميع المعدودين من المحلات بأجنادهم ست مائة ألف وثلاثة آلاف وخمس مائة وخمسون " (عدد ٢ : ٣٢) العدد/٦٠٣٥٥٠ لجميع المعدودين من ابن عشرين فصاعداً .كان التعداد الأول في الشهر الثالث لخروج بني إسرائيل من مصر(خسر ١٩: ١) والتعداد الثاني في أول الشهر الثاني في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر (عدد ١ : ١) ألا يمكن في

هذه المدة أن يزاد العدد أو ينقص . فلماذا اتفق ويقبل القسمة على عشرة بدون باق ؟

والخطأ واضح في هذا النص والدليل على ذلك: أن هذا التعداد نفسه جاء في سفر الخروج بدون تحديد ونصه: " نحو ست مئة ألف " (خر ١٢: ٢٧). وجاء في العدد مرة أخرى بزيادة محددة ونصه: " هؤلاء المعدودون من بني إسرائيل: ست مائة ألف وسبع مائة وثلاثون " (عدد ١٦: ٥١).

المثال الثاني والعشرون: ذكر الكاتب في سفر العدد زاد عليه. ففي سفر اللاويين: " إذا أخطأ أحد وخان خيانة بالرب، وجحد صاحبه وديعة أو أمانة أو مساوياً أو اغتصب من صاحبه يعوض برأسه ويزيد عليه خمسة " (لاويين ٦: ٥) .

والذي زيد وأضيف عليه في سفر العدد هو أنه إذا كان قد مات المذنب إليه، يعطى العوض وليه، وأن لم يكن له من ولي يعطى الكاهن العوض، فيكون العوض للرب، ونص الزيادة: " وإن كان ليس للرجل ولي، ليرد إليه المذنب به، فالمذنب به المردود، يكون الرب لأجل الكاهن، فضلاً عن كبش الكفارة الذي يكفر به عنه" (عدد ٥: ٨) يقول مفسروا التوراة في هذا الموضع: " فالمذنب.... الخ: هذا ما زيد هذا على ما في اللاويين(٦: ٥ – ٦)[1].

المثال الثالث العشرون: " وكل عشر الأرض من حبوب الأرض وثمار الشجر فهو للرب. قدس للرب وأن فك إنسان بعض عشرة يزيد خمسة عليه، وأما كل عشر البقر والغنم فكل ما يعبر تحت العصا يكون العاشر قدساً للرب. لا يفحص. أجيد هو لم رديء ولا يبدله، وأن أبدله يكون هو وبديله قدساً لا يفك " (لاويين ٢٧: ٣٠ – ٢٣) والمعنى: أن عشر ما يخرج من الأرض وأثمار الشجر يكون زكاة أي " قدس للرب " أي تكون من نصيب الكهنة بني هارون.

---

[1] انظر المسنن القويم ، مرجع سابق ، ص١١٢.

وأما زكاة البقر والغنم فهي هكذا: أن صاحب البهائم يجمع كل الخراف والعجول إلى الحظيرة، ويجعل لها باباً صغيراً حتى أنه يتعذر على البهائم التي في الحظيرة أن يخرج اثنان منها. ويضع أمهات الخراف والعجول خارج. ماذا ثغت النعاج وخارت البقر. سمعتها الحملان والعجول وأخذت تخرج من الحظيرة. فيأخذ " الرجل يعدها بعصاه. وهذا معنى قوله: " فكل ما يعبر تحت العصا ". فيقول: واحد، اثنان، ثلاثة.. إلخ. والعاشر سواء كان أنثى أو كان ذكراً جيداً أو ردياً، يعمله بعلامة حمراء.

ويقول: " هذا عشر " ومعنى الفكاك: أن يرغب مقدم العشر في إعطاء القيمة بدل غلة الأرض مثلاً. وفي هذه الحالة يقوم الكاهن الثمن: الخمس من الثمن ويأخذ الكاهن الثمن والخمس قدس للرب وجاء في سفر العدد: " إن عشور بني إسرائيل التي يرفعونها للرب رفيعة، قد أعطيتها للاويين نصيباً " (عدد ١٨: ٢٤) فالنص الأول يبين أن العشور للكهنة، والنص الثاني يبين أن العشور للاويين، والدليل على أن أقداس الرب تصل إلى الكهنة بني هارون قوله: " وقال الرب لهارون: وهكذا قد أعطيتك حراسة رفائعي مع جميع أقداس بني إسرائيل، لك أعطيتها حق المسحة، ولبنيك فريضة دهرية. هذا يكون لك قدس الأقداس"(عدد ١٨: ٨ - ٩).

وقد جاء في سفر التثنية: أن العشر لا يخص الحبوب والثمر وزينك تحت العصا فقط بل " عشر حنطتك وخمرك وزينك وأبكار بقرك وغنمك " وأن الأكل من العشر جائز أمام الرب، في المكان الذي يختاره مستقبلاً " وتأكل أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره ليحل اسمه فيه " وأنه إذا طال الطريق ولا يقدر اليهودي على الحمل، يبيع العشر وينفق الثمن في كل ما لذ وطاب، ينسى أن يعطى اللاوي نصيباً

وجاء في سفر التثنية: " إذا كان بعيداً عليك المكان الذي يختاره الرب إلهك ليحل اسمه فيه. إذ يباركك الرب إلهك فبعه بفضة، وصر الفضة في يدك...... واذهب إلى المكان الذي يختاره الرب إلهك. وأنفق الفضة في كل ما يشتهي نفسك في البقر والغنم

والخمر والمسكر وكل ما تطلب منك نفسك. وكل هناك أمام الرب، وأفرح أنت وبيتك واللاوي الذي في أبوابك " (تث ١٤: ٢٢ - ٢٧). ومن خلال استعراض هذه النصوص والأمثلة نجد أن التناقض واضح لا لبس فيه ولا يعرف ماذا كان يريد الكاتب من ذلك كله .

المبحث الثاني

التلمود

المطلب الأول

المقصود بالتلمود وتاريخه

يعد التلمود أهم مصادر العقيدة والفكر اليهودي، بل إننا نستطيع أن نقول: إن اليهود اليوم لا مصدر لهم في العقيدة والفكر والشريعة والسلوك إلا التلمود. ولذلك نلاحظ أن اليهودي اليوم هو صورة طبق الأصل لتعاليم التلمود في كل شيء لا ينحرف عنه، بل إن اليهود اليوم ليرفعون درجة التلمود إلى ما فوق درجة التوراة بمراحل كثيرة، وفيما يلي عرض لمفهوم ومكانة التلمود عند اليهود وبيان لأهم محتوياته:

أولا: تعريف التلمود وتاريخه:

التلمود هو كتاب تعليم الشرائع والعقائد والأخلاق اليهودية ويتكون من قسمين:

القسم الأول: يسمى المشنا، وهي خلاصة الشريعة الشفهية؛ ذلك أن اليهود يدعون أن الله أوحى إلى موسى- عليه السلام- نوعين من الوحي: **الأول**: الشريعة المكتوبة، وهي أسفار التوراة. و**الثاني** الشريعة المكررة، وهي التعاليم الشفهية. وهي عبارة عن تفسير وتوضيح لمراد الله من تعاليم التوراة، ويزعمون أن هذه التعاليم قد تنوقلت شفاهة عن موسى- عليه السلام- عبر أربعين جيلاً حتى انتهت إلى حبر من أحبارهم يدعى (يهوذا ناسي) فدونها خشية ضياعها، وقد

تم هـذا التـدوين فيمـا بـين ٢٠٠ ، ١٩٠م [1] والمشنا كلمـة عبريـة معناهـا المعرفـة أو (القانون الثاني).

القسم الثاني: هـو الجمـارا، أي الـشرح والتعليـق. وهـي عبـارة عـن روايـات ومسموعات عـن الحاخامات، كما تحتوي أيضاً على إيضاحات وشرح ومختصر البحوث والمجادلات الـتي حـصلت في معاهـد الـدرس مـن أجـل هـذه الـشروح والتفاسير[2] . كما تشمل الجمارا على أمور هامة أخرى كأمثال وأدبيات وأسئلة وردت على مواضيع مختلفة واعتقادات وأخبار ومعلومات دنيوية وطبية وفلكية وغيرها وتعد الجمارا بمثابة (دائرة معارف يهودية) [3] . ومـن المشنا والجمارا يتكون التلمود: الذي يعرفه صاحب كتاب فضح التلمود بقوله: "هو الكتاب العقائدي الذي وحده يفسر ويبسط كل معارف الشعب اليهودي وتعاليمه" [4] .

١- كما يعرفه الأب بولس حنا بقوله: "هو كتاب شرائع وآداب إسرائيل".ويوجد عند اليهود نسختان مختلفتان من التلمود. التلمود الأورشليمي و التلمود البابلي وأساس الاختلاف بين التلمودين هي"الجمارا " ذلك أن اليهود قد اتفقوا فيما بينهم على المشنا، ولكنهم اختلفوا في الجمارا، فاليهود الذين كانوا يسكنون أورشليم بفلسطين أخذوا المشنا ووضعوا لها شروحاً خاصة وتفاسير تلائم عقولهم وظروفهم، وقد ألفوا شروحهم هذه باللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة وقد استغرق لديهم تأليف هذه الشروح فترة طويلة تمتد من القرن الثاني إلى أواخر القرن الخامس بعد الميلاد، وإن كان معظمها قد تم في القرنين الرابع والخامس الميلاديين.

---

[1] ظفر الاسلام خان، التلمود (تاريخه وتعاليمه)، ص١١

[2] عبدالستار فتح الله، معركة الوجود بين القران والتلمود، ص٣١

[3] من التلمود ص١١ ، نشرة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية القاهرة، ط١٩٦٧

[4] الاب براناايتس ، فضح التلمود ، ترجمة زهدي الفاتح ، ص٢١

وأما اليهود الذين أسروا في الأسر البابلي، فقد وضعوا لأنفسهم شرحاً آخر على المشنا، أو وضعوا لأنفسهم جماراً أخرى تخالف تماماً جمارا الفلسطينيين وقد ألفوا شروحهم هذه باللهجة الآرامية الجنوبية الشرقية (وهي إحدى لهجات اللغة الآرامية) وقد شرعوا فيها منذ أ إئل القرن الرابع بعد الميلاد ولم يفرغوا منها إلا في القرن السادس الميلادي وتألف من شروحهم هذه مع المتن نفسه ما يعرف بتلمود بابل [1] . ويختلف التلمود الفلسطيني عن التلمود البابلي من حيث الكم والكيف فمادة تلمود فلسطين تعتبر ثلث ما يحتويه التلمود البابلي، كما أن تلمود فلسطين ينقصه العمق والشمول اللذان يمتاز بهما التلمود البابلي.

ويعلل الدكتور عوض الله حجازي هذا: بأن التلمود البابلي قد ألف وجمع في فترات استغرقت قرناً من الزمان كان اليهود فيه في سلام وأمن، بينما ألف التلمود الفلسطيني على عجل وفي ظروف قاسية بسبب اضطهاد الرومان لليهود [2] . وقد طبع التلمود طبعات مختلفة منها: الطبعة الأولى بلغته الآرمية في أحد عشر جزءاً بمدينة البندقية (١٥٢٠ـ ١٥٢٣)[3] وهي أهم طبعة وأكملها كما طبع في مدينة أمستردام سنة ١٦٤٤، وفي سلزبورج سنة ١٧٦٩وفي وارسو سنة ١٨٦٣، وفي مدينة براج سنة ١٨٣٩. ولكن كل هذه الطبعات ـ عدا طبعة البندقية ـ ناقصة ومحرفة، ذلك أن اليهود خافوا على أنفسهم من النصارى، ومعلوم أن التلمود يرفض النصرانية ويأمر بقتل النصارى ولعن عيسى وهدم الكنائس، وغير ذلك من فضائهم. وكذلك حذفوا معظم هذه العبارات من التلمود في طبعاته المتوالية وكانوا يشيرون إليها بلفظ

---

(١) علي عبدالواحد وافي ، الاسفار المقدسة ، ص٢٣

(٢) عوض الله حجازي ، مقارنة الاديان ، ص١٦

(٣) عبد الستار فتح الله ، معركة الوجود بين القران والتملود ، ص٣٢

(بند) أي أن ما حذف في النسخة موجود في النسخ المطبوعة بمدينة البندقية [1] .

وهكذا نلاحظ في معظم الطبعات المتأخرة للتلمود وجود بياض أو رسم دائرة بدلاً من ألفاظ السب في حق عيسى ومريم. وعندما اطلع النصارى على هذه الألفاظ تزمروا ضد اليهود، فقرر المجمع الديني لليهود بأنه من الآن فصاعداً يترك مكان هذه الألفاظ بياض أو دائرة على شرط ألا تعلم هذه التعاليم إلا في مدارسهم الخاصة [2] .

المطلب الثاني

مكانـــة التلمـود عند اليهــود

يعتبر اليهود التلمود كتاباً منزلاً كالتوراة، ويقولون: إن الله أعطى موسى الشريعة على طور سيناء وهي التوراة، والمشنا، والجمارا، ولكن التوراة نزلت مكتوبة بينما المشنا والجمارا شفاهة، ويعللون لذلك بأنها إذا كتبت ضاقت عنها الأرض [3] . ولكن المطلع على كلمات التلمود يلاحظ أن الحاخامات يرفعون التلمود فوق التوراة بدرجات كثيرة، بل إنهم أحياناً يعلقون صحة الإيمان على الاعتقاد بما جاء في التلمود وحده دون التوراة.

فقد جاء في التلمود: إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله، وأنه قد وقع يوماً الاختلاف بين الله وبين علماء اليهود في مسألة ما، وبعد أن طال الجدل تقررت إحالة المشكلة إلى أحد الحاخامات، وأخيراً اضطر الله أن يعترف بخطئه بعد حكم الحاخام المذكور[4]. ومعنى هذا: أن كلام البشر أرقى من كلام الله وأن حاخامات اليهود معصومون من الخطأ، والله- تعالى عن قولهم وتنزه – يمكن

---

[1] من كتاب التلمود، منشورات المجلس الاعلى للشئون الاسلامية، ص٣٢ز

[2] من كتاب التلمود، المرجع نفسه، ص١٨.

[3] محمد عبد العزيز منصور، اليهود قادمون، ص١٣١.

[4] روهانج ، الكنز المرصود ، ترجمة يوسف حنا نصر ، ص٣٢.

أن يخطئ. بل إن العصمة من الخطأ لا تختص فقط بالحاخامات، بل بكل ما يتعلق بهم أيضاً فقد قالوا: إن حمار الحاخام لا يمكن أن يأكل شيئاً محرماً [1] ؟!! .

وإذا كان كلام الحاخامات أرفع من كلام الله، فلا شك أن كلامهم أرفع من كلام الأنبياء وهذا ما أشار إليه اليهود بقولهم: "إن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء، ويلزم اعتبار أقوال الحاخامات كالشريعة؛ لأن أقوالهم هي قول الله الحي، فإذا قال لك الحاخام: إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس، فصدق قوله ولا تجادله، وقال موسى بن ميمون: "مخافة الحاخامات هي مخافة الله". وجاء في التلمود: أن من يجادل حاخامه أو معلمه فقد أخطأ وكأنه جادل العزة الإلهية [2] مهما كان كلام الحاخام متناقضاً مع نفسه أو متعارضاً لأن كلامه من كلام الله.

ويتميز التلمود بمكانة رفيعة عند اليهود فهو عندهم يمثل :

١. وحياً سماوياً منزلاً مع التوراة.

٢. أرفع درجة من كلام الله في التوراة.

٣. أن الحاخامات الذين كتبوه معصومون من الخطأ دون الله.

٤. ولذلك يكون كلامهم أرقى من كلام الله وكلام الأنبياء والمرسلين.

ولذلك جاء على صفحات التلمود ما نصه: "إن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق عليها المكافأة، ومن درس المشنا فعل فضيلة يستحق أن يكافأ عليها، ومن درس الجمارا فعل أعظم فضيلة". وجاء في كتاب (شاغيحا): أن من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت، أما من يحتقر التوراة فإنه لا ينال عقاباً، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء

---

[1] كتاب التلمود، مرجع سابق، ص٢٣.

[2] محمد عبد العزيز منصور، اليهود قادمون، ص١٣٢

في شريعة موسى[1].

وجاء أيضاً أن التوراة أشبه بالماء، والمشنا أشبه بالنبيذ والجمارا أشبه بالنبيذ العطري، وبعبارة أخرى تعتبر شريعة موسى كالملح، والمشنا كالفلفل، والجمارا كالبهار، فلا يمكن للإنسان أن يستغني عن واحد من هذه الأصناف[2]. وبناء على ما تقدم فان كلام اليهود عن التلمود كلام فيه مبالغة لا يستسيغها العقل، ويرى الأستاذ سعد الدين صالح أن قولهم بأن كلام البشر أفضل من كلام الله دعوات مضللة الهدف منها معروف وهو إسقاط القداسة عن الوحي الإلهي حتى يصلوا إلى خطتهم المعروفة في إشاعة الإلحاد وعبادة المادة [3] . ومن القضايا التي تؤخذ على كلام اليهود فيما يتعلق بحديثهم عن التلمود هي ما يدعونه بأن " التلمود كتاب منزل كالتوراة تماماً إلا أنه نزل شفهياً لا كتابة". ولكن من خلال مطالعة نصوص التلمود نجد أن محتوياته هي أكبر دليل على بعيد كل البعد عن وحي السماء، فمحتويات التلمود بعد قليل منافية لجميع الديانات والشرائع.

وإذا كان اليهود يعترفون بأن التلمود مكتوب بأيدي حاخاماتهم، فإننا نسأل عن مكانة هؤلاء الحاخامات، هل هم أنبياء أو رسل مكلفون بتبليغ رسالة من قبل الله؟. بالتأكيد أنهم ليسوا كذلك.إذاً فكيف يكون كلامهم وحياً سماوياً مقدساً؟ فهذا ما لا يمكن أن يدعيه عاقل وإن ادعاه اليهود. والواقع أن قصة التلمود وما احتواه هي قصة اليهود وما عانوه في مختلف مراحل حياتهم قديماً وما كانوا يأملونه في ذلك الوقت. فالتلمود ليس ديناً ولكنه سياسة وتخطيطات لتحقيق أغراض دنيوية لليهود لا صلة لها إطلاقاً بوحي السماء.

---

[1] كتاب التلمود، مرجع سابق، ص١٩

[2] محمد عبد العزيز، اليهود قادمون، ص١٣٢

[3] سعد الدين صالح، العقيدة اليهودية، ص٢٥٨

وبناء على ما تقدم فان التلمودُ ليس كتاباً دينياً – كما زعم اليهود– ولكنه وثيقة سياسية خطيرة صنعها مجلس حاخامات اليهود إتباعا للخطة السرية الرهيبة التي وضعوها للانتقام من بني البشر وهي لا تختلف كثيراً عن الخطة التي اكتشفت باسمهم حديثاً تحت عنوان "بروتوكولات حكماء صهيون" اللهم إلا أن التلمود هو الخطة الموسعة الشاملة التي تناولت كل شيء يخص اليهود، ويحدد علاقتهم بالله وبالرسل وبكل بني الإنسانية، والبروتوكولات هي الخطة المحددة لسيطرة اليهود على العالم.فمن هنا نفهم المكانة الصحيحة للتلمود. فهو ليس وحياً سماوياً. وليس تعاليم رسل وأنبياء. وإنما هو خطة سياسية للتعبير عن أحلام اليهود وآمالهم، وعما يعتمل في قلوبهم مما مشاعر الحقد والأنانية والكره لكل بني الإنسانية.

وتعاليم التلمود هي: وسيلة اليهود المؤدية للتقدم والانتشار، وهي استراتيجيتهم الجماعية في الفتح والغزو والسيطرة على العالم من أقصاه إلى أقصاه. ولا شك في أن هذا منهج لا صلة له بوحي السماء. وهذا هو السر في أن اليهود رفعوا مكانته إلى ما فوق الوحي السماوي، لأنه يحقق لهم المطالب الدنيوية الخبيثة، بينما يحد الوحي السماوي الصحيح من هذه المطالب ويضعها في إطار من المشروعية بين الحلال والحرام. وهذا ما يفهم من كلام العلامة المدقق الدكتور عوض الله حجازي حين يتحدث عن نشأة التلمود وأسباب تأليفه، فيقول: "يبدو للباحث المتبصر والمتفحص أن هناك أسباباً دعت إلى تأليف كتاب التلمود ووجوده" ومنها:

١. الطبيعة اليهودية المنحرفة التي أبت أن تنصاع لأمر الله أو تستقيم على تعاليمه، فقد ترك لهم موسى توراة واضحة المعالم بينت الأوامر والنواهي، ولكنهم تناولوها بالتحريف والتغيير على حسب أهواءهم وشهواتهم، ولم يكتفوا بذلك بل أرادوا أن يضعوا لهم كتاباً آخر يصوغونه بأيديهم على حسب أهوائهم وأغراضهم. وهنا يدعي رجال الدين اليهودي أن موسى ترك لهم كتاباً شفهياً هو التلمود بجوار الكتاب

المشهور وهو التوراة.

٢. الصراعات الطويلة بين اليهود وبين غيرهم من البشر والصراعات التي حدثت بين اليهود أنفسهم، جعلتهم يضعون لأنفسهم حلولاً جديدة، لأن حلول التوراة لم تعجبهم، ومن هنا اخترعوا (التلمود) وألفوه على حسب ظروفهم وأهوائهم ووضعوا فيه كل ما يناسبهم من حلول لمشاكلهم [1]. وبناء عليه التلمود كتاباً سماوياً كما يدعي اليهود، وإنما هو خطة سياسية وضعها اليهود لتحقيق أحلامهم وأطماعهم، هذه الأطماع التي لم يجدوا لها مؤيدا من التوراة المنزلة من السماء، فحرفوها وتركوها وراء ظهورهم وساروا وراء التلمود الذي رفعوه فوق التوراة بدرجات كثيرة.

المطلب الثالث
محتويات التلمود

يحتوي التلمود على ستة آلاف [2] صفحة مليئة بالفظائع التي ينـدى لها جبين البشرية وهي الفظائع التي يمارسها اليهود في العالم اليوم. فالتلمود صورة طبق الأصل لليهودي المشرد الذليل الذي يحاول بكل ما يستطيع أن يحقق حلم الاستقرار وبناء الوطن على حساب الشعوب وأصحاب الأوطان، وفي الوقت ذاته يحاول الانتقام من كل بني الإنسانية، وإذلالهم واستعبادهم وسلبهم ونهبهم.

وقد صاغ اليهود كل هذه المشاعر والآمال والآلام في صورة كتاب هو التلمود، ولهذا نجد التلمود يصور اليهود بصورة المركز الأساسي للخلق، فالكون كله مخلوق من أجل اليهود، وكل البشر مجرد خدم وعبيد أو كومبارس على مسرح الوجود

---

[1] عوض الله حجازي، مقارنة الاديان، ص١٤٣- ص١٤٤.

[2] جون كريج سكوت، الحكومة السرية في بريطانيا، ص١٠٤

الإنساني الذي يقوم اليهود فيه بلعب كل الأدوار الأساسية في قصة الخلق. ومن هذا المنطق يحدد اليهود علاقتهم بالله، فهو لهم وحدهم دون غيرهم وعلاقتهم بكل بني البشر وبالديانات الأخرى وخصوصاً النصرانية التي ينكرونها ويعتبرون أتباعها وثنيين كفرة. وفيما يلي بيان لعلاقة اليهود بالله ومكانتهم بين الشعوب كما يصورها التلمود :

أولاً : علاقة اليهود بالله على ضوء التلمود:

يتحدث اليهود عن الله في التلمود بصورة سخيفة يمجها الذوق ويملها السمع ويعف اللسان الطاهر عن النطق بها، ولا ندري هل هي عقيدتهم حقاً أم أنها خطة محكمة لإنزال الإله من علياء سمائه وإسقاط قداسته كمقدمة لإشاعة الفكر الإلحادي والذي يقرأ كلام اليهود عن الله في التلمود لا بد أن يصل إلى الحقيقة التي أشرنا إليها، وفيما يلي بعض ما يقوله اليهود عن الله في التلمود:

١. النهار اثنتا عشرة ساعة، في الثلاث الأولى منها يجلس الله ويطالع الشريعة، وفي الثلاث الثانية يحكم، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم، وفي الثلاث الأخيرة يجلس مع الحوت ملك الأسماك، وهو حوت كبير جداً يمكن أن يتسع حلقه لسمكة طولها ٣٠٠ فرسخ دون أن تضايقه.

٢. وأما في الليل: فإن الله يقوم فيه بتعلم التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين المدعو(اسموديه، في مدرسة السماء)[1]، ولكن بعد خراب هيكل بني إسرائيل وتشريدهم حزن الله وبكى وغير نظام حياته. فلم يعد يلعب مع الحوت، ولم يعد يرقص مع حواء بعد أن زينها بملابسها ونسق لها شعرها وإنما أصبح يمضي ثلاثة أرباع الليل يزأر كالأسد قائلاً: تباً لي لأني أمرت بخراب بيتي وإحراق الهيكل

---

[1] كتاب التلمود، مرجع سابق، ص٢٥

ونهب أولادي، وتسقط كل يوم من عينيه دمعتان في البحر فيسمع دويها من بدء العالم إلى نهايته وتضطرب المياه وترتجف الأرض في أغلب الأوقات فتحصل الزلازل[1]. وسأكتفي بهذا القدر من فضائحهم في حق الله تعالى ففضائحهم كثيرة لا حصر لها.

ثانياً: مكانة اليهود ومكانة غيرهم في التلمود:

يعتقد اليهود التلموديون أنهم من طينة غير طينة البشر، وأن أرواحهم من عنصر آخر غير العنصر الذي خلق منه سائر الناس. إذ تتميز أرواحهم عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه، ومن ثم كانت أرواح اليهود أعز على الله من باقي الأرواح؛ لأن أرواح غير اليهود هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات[2].

ومن هنا يقول التلمود: إن النطفة التي خلقت منها بقية الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان. ومن هنا جاءت المكانة السامية لليهودي، فهو معتبر عند الله أفضل من الملائكة، فإذا ضرب الأمي إسرائيلياً فكأنما ضرب العزة الإلهية، ويكون جزاء الأمي الموت؛ لأن اليهود هم مركز الخلق ومحوره الأساسي، وإن لم يخلق اليهودي لانعدمت البركة من الأرض؛ ولما خلقت الأمطار والشمس، بل لما أمكن لباقي المخلوقات أن تعيش[3]. بل إن التلمود يعتبر غير اليهود كالكلاب، والكلاب أفضل منهم لأنه مصرح لليهودي في الأعياد بأن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجانب، وغير مصرح له أيضاً بأن يعطيهم لحماً بل؛ يعطيه للكلب لأنه

---

[1] الكنز المرصود، مرجع سابق، ص٣٧

[2] كتاب التلمود، مرجع سابق، ص٣٧

[3] عبد المنصف محمود، اليهود والجريمة، ص١٢٣

أفضل[1] . كما وأن التلمود يعتبر الأمم الخارجة عن دين اليهود ليست كلاباً فقط، بل حمير أيضاً يقول التلمود: "إن الشعب المختار الذي يستحق الحياة الأبدية هم اليهود، وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير[2] ولا قرابة بين اليهود وبين الأمم الخارجة عن الدين اليهودي؛ لأنهم أشبه بالحمير، وبيوت عبادتهم كزرائب الحيوانات.

وقد خلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم؛ لأنه لا يناسب الأمير أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان على صورته الحيوانية، كلا فهذا مناف للذوق والإنسانية، فإذا مات خادم ليهودي أو خادمة وكانا من الأجانب فلست ملزماً بأن تقدم له التعازي باعتباره فقد إنساناً، بل باعتباره فقد حيواناً من الحيوانات المسخرة له"[3]. وعلى هذا النمط يسير التلمود في تبيان مكانة اليهود ومكانة غيرهم من الناس، وبناء عليه يضع التلمود أسساً للمعاملة مع غير اليهود تختلف تماماً عن أسس المعاملة بين اليهود وغيرهم وفيما يلي بيان ذلك:

أسس معاملة اليهود مع غيرهم:

يضع التلمود مجموعة من الأسس والمبادئ لتعامل اليهود مع غيرهم من الناس تتفق مع عقيدتهم السابقة، وملخص هذه الأسس هو استخدام كل ما ليس بأخلاقي في التعامل مع غير اليهود، كالسرقة والسلب والنهب والاغتيال وعدم رد الأمانات والودائع والربا الفاحش الذي يستنفذ أموال الناس والقتل، وسفك الدماء والظلم، وخلف الوعد والعهد والزور والبهتان، وغير ذلك من المبادئ اللاأخلاقية.

---

(1) الكنز المرصود، مرجع سابق، ص٥٠

(2) اليهود قادمون، مرجع سابق، ص١٣٥

(3) كتاب التلمود، مرجع سابق، ص٤٥

والمجال لا يتسع هنا لإحصاء المبادئ والأسس اللاأخلاقية التي وضعها التلمود لتعامل اليهود مع غيرهم، وإنما سأشير الى بعض النماذج التي تشكل خطرا على الانسانية والمجتمعات البشرية ومن ذلك السرقة والغش والنفاق والقتل والزنا وفيما يلي عرض لهذه النماذج :

١. **السرقة:**

يعتقد اليهود أن السرقة محرمة فيما بينهم فقط ولكن سرقة غير اليهودي مباحة. ويقول حاخامات اليهود: إن الله سلط اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم. ويشرح التلمود هذه المبادئ فيقول: إذا سرق أولاد نوح (أي غير اليهود) شيئاً ولو كانت قيمته تافهة جداً فإنهم يستحقون الموت لأنهم قد خالفوا الوصايا التي أوصاهم الله بها، وأما اليهود فمصرح لهم بأن يسرقوا الأمي، لأنه جاء في الوصايا: "لا تسرق مال القريب" وفسر علماء التلمود هذه الوصية بقولهم: إن الأممي ليس بقريب وإن موسى لم يكتبْ في الوصية(لا تسرق مال الأمي) فسلب ماله لا يكون مخالفاً للوصايا[1].

ويحاول حاخامات اليهود أن يضربوا لهم الأخلاق العملية في السرقة فقد جاء في التلمود: إن الرابي (صموئيل) أحد الحاخامات الكبار كان من رأيه أن سرقة الأجانب مباحة وقد اشترى هو نفسه من أجنبي آنية من الذهب ظنها الأجنبي نحاساً ودفع ثمنها أربعة دراهم فقط، وهو ثمن بخس وفي نفس الوقت سرق درهما أيضاً من البائع. واشترى الرابي (كهانا) مائة وعشرين برميلاً من النبيذ ولم يدفع للأجنبي إلا ثمن مائة برميل منها فقط. وباع أحد الحاخامات شجراً معداً للكسر ثم نادى خادمه وأمره بأن يكسر بعضه ويسرقه، لأن المشتري وإن كان يعلم عدد القطع إلا أنه

---

[1] الكنز المرصود، مرجع سابق، ص٥٦- ص٥٧

يجهل حجم كل قطعة منها[1].

وهكذا يعدد التلمود الأمثلة العملية التي قام فيها الحاخامات بالسرقة من غير اليهود حتى يكونوا مثلاً يحتذى، وهم يعتقدون أنهم لا يسرقون وإنما يستردون حقهم، لأن الدنيا في نظرهم ملك لهم وحدهم.

٢ـ الغش والنفاق:

يسمح التلمود بالغش والنفاق فيقول: يسمح بغش الأممي وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش، ولكن إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودي شيئاً فلا تخدعه ولا تغشه. وقال الحاخام (روش) مصرحاً لليهودي بأن يغش مفتش الجمرك الخارج عن الديانة اليهودية ويحلف له يميناً كاذبة على شرط أن ينجح فيما لفقه من الأكاذيب[٢].

ويصل الغش باليهود إلى درجة أنه إذا جاء أجنبي وإسرائيلي في قضية أمام قاضي يهودي، فعلى القاضي اليهودي أن يستعمل كل أساليب الغش والخداع في سبيل الحكم لصالح اليهودي.ويقول التلمود: إذا جاء أجنبي وإسرائيلي أمامك في دعوى، وأمكنك أن تجعل الإسرائيلي رابحاً فافعل وقل للأجنبي: هكذا تقضي شريعتنا (إذا حدث هذا في مدينة يحكمها اليهودي). وإذا أمكنك ذلك وفقاً لشريعة الأجنبي فاجعل الإسرائيلي رابحاً وقل للأجنبي هكذا تقضي شريعتك، فإذا لم تتمكن في كلا الحالين (بأن كان اليهود لا يحكمون البلد والشريعة الأجنبية لا تعطي الحق لليهودي) فاستعمل الغش والخداع في حق هذا الأجنبي حتى تجعل اليهودي رابحاً(3). وقال أحد الحاخامات المدعو(برنز): يجمع اليهود كل أسبوع بعدما يغشون

---

[١] كتاب التلمود، مرجع سابق، ص٥٢.

[٢] كتاب التلمود، مرجع سابق، ص٥٢.

[٣] نفس المرجع، ص٥١.

الناس ويتفاخر بعضهم على بعض بما فعل كل منهم من أساليب الغش، ثم يفضون الجلسة بقولهم: يلزمنا أن ننزع قلوب الأميين من أجسامهم، ونقتل أفضلهم(1).

٣- وأما صفة النفاق: فيشير إليها التلمود بقوله:

يحظر التلمود على اليهود أن يحيوا الكفار بالسلام ما لم يخشوا ضررهم أو عداوتهم واستنتج الحاخام (بشاي) أن النفاق جائز وأن الإنسان (أي اليهودي) يمكنه أن يكون مؤدباً مع الكافر ويدعي محبته كذباً إذا خاف أن يؤذيه. ولهذا يقول التلمود: مصرح لليهودي إذا قابل أجنبياً أن يوجه له السلام ويقول له: "الله يساعدك أو يباركك على شرط أن يهزأ به سراً أو يضمر في نفسه السلام لسيده أو معلمه"[2]. وكذلك يباح لليهود أن يزوروا المرضى إذا خافوا من أذاهم أو ضررهم. ومن مظاهر النفاق التي يأمر بها التلمود أنه يأمر اليهود بألا يلتزموا باليمين أو القسم الذي يقسمونه أمام غير اليهودي فهو لا يعتبر يميناً، لأن غير اليهودي كالحيوان والقسم لحيوان لا يعد يميناً، ومن هنا يجوز لليهودي الحلف زوراً وبهتاناً إذا حول اليمين لوجهة أخرى وبخاصة إذا كانت اليمين إجبارية كأن تكون أمام الحاكم أو أمام خصم قوي[3].

٤- القتل وسفك الدماء:

أرواح غير اليهود لا قيمة لها ولا حرمة، فهي كأرواح الحيوانات، بل إنهم يعتبرون أن إزهاق أرواح الأميين وسفك دمائهم من القربات التي يتقربون بها إلى الله. فقد جاء في التلمود: محرم على اليهودي أن ينجي أحداً من الأميين من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها، بل إذا رأى أحد الأميين واقعاً في حفرة عليه أن يسدها

---

(١) نفس المرجع، ص٥٣.

(٢) السابق ص٤٧.

(٣) الكنز المرصود، مرجع سابق، ص٧٦.

بحجر. وقال موسى بن ميمون وهو من كبار مفسري التلمود وشارحيه: الشفقة ممنوعة بالنسبة لغير اليهودي، فإذا رأيته واقعاً في نهر أو مهدداً بخطر فيحرم عليك أيها اليهودي أن تنقذه، لأن السكان الذين كانوا في أرض كنعان وقضت التوراة بقتلهم جميعاً لم يقتلوا عن آخرهم، بل هرب بعضهم واختلط بباقي أمم الأرض، ولذلك يلزم قتل غير اليهودي لاحتمال أن يكون من هؤلاء الهاربين. ويقول التلمود: إنه من العدل أن يقتل اليهودي كل أمي، لأنه بذلك يقرب قرباناً إلى الله ويكافأ بالخلود في الفردوس وللإقامة هناك، أما من يقتل يهودياً، فكأنه قتل العالم أجمع[1].

٥- الزنا بنساء الأميين وبناتهم:

يعتقد اليهود أن اغتصاب نساء الأميين مباح لهم ولا عقاب عليه، وإذا كان موسى يقول في الوصايا العشر(لا تزن) ولا تشته امرأة قريبك، فإن حاخامات اليهود يفسرون القريب باليهودي وحده وبناء على ذلك فإن اليهودي لا يخطئ إذا تعدى على عرض الأجنبي، لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد؛ لأن المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل هي كالبهيمة، ولا يصح العقد مع البهائم وما شاكلها. ومن هنا قال موسى بن ميمون: إن لليهود الحق في اغتصاب النساء الغير مؤمنات، أي الغير يهوديات [2]. وعلى هذا النمط المخالف للقواعد الإنسانية والأخلاقية يمضي التلمود في وضع أسس التعامل مع الناس وفي استباحة أعراضهم وأموالهم، وتقرير الفواحش وأكل الربا والخداع ونقض العهود والمواثيق والغدر، وغير ذلك من الكبائر.

---

[1] الكنز المرصود، مرجع سابق، ص٦٧.

[2] اليهود والجريمة ، مرجع سابق ، ص١٢٥

ثالثاً: علاقة التلمود بالنصرانية:

يمقت التلمود كل كتب العهد الجديد (النصرانية)، ويحتقر المسيح وأمه حيث يعتبره وثناً جاء من زنا كما يفخر التلمود بادعاءات اليهود بصلب عيسى[1] ويعتبر كنائس النصارى أماكن قاذورات. وفيم يلي توضيح لعلاقة التلمود بالنصرانية:

يقول التلمود عن عيسى عليه السلام: "إن يسوع النصارى موجود في لجات الجحيم بين القار والنار، وإن أمه مريم أتت به من العسكري (باندارا) بمباشرة الزنا. كما يقول التلمود: إن المسيح كان مجنوناً ويصفه بأنه كافر لا يعرف الله ومن هنا كانت تعاليمه كفراً وأتباعه كفاراً[2]. ويقول التلمود كذلك: " إن الكنائس النصرانية هي بمقام القاذورات، وإن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة، وإن كل مراسيم عبادتهم مظهر من مظاهر عادة الأوثان.

ومن هنا فقتل المسيحي من الأمور المأمور بها، وأن العهد مع المسيحي لا يكون عهداً صحيحاً يلزم اليهود الوفاء به، وأنه من الواجب أن يلعن اليهودي ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبني إسرائيل[3].

ويقول شراح التلمود، ومنهم موسى بن ميمون: "إنه لا فرق بين المسيحي وباقي الوثنيين؛ لأن الناصريين (سكان الناصرة بفلسطين) الذين يتبعون أضاليل يسوع معدودون من باقي الوثنيين، ويجب أن يعاملوا معاملتهم. وعلى اليهود أن يعتبروا النصارى حيوانات غير عاقلة ويعاملوهم معاملة الحيوانات الدنيئة ويجب على اليهودي تخريب كنائس النصارى. وأناجيل النصارى (متى- مرقس- لوقا- لوحنا) عين الضلال والنقص، ويلزم تسميتها بكتب الظلم والخطايا ويجب على

---

[1] الحكومة السرية في بريطانيا، مرجع سابق، ص١٠٤

[2] من التلمود، مرجع سابق، ص٧ وما بعدها

[3] الكنز المرصود، مرجع سابق، ص١٩

اليهود إحراقها ولو كان فيها اسم الله[1]. والغريب أن النصارى لا يحركون ساكنا تجاه هذا الافتراء على رسول الله عيسى وأمه مريم التي برأها القرآن وطهرها من افتراءات اليهود؟! بل ان النصارى يتعاونون مع اليهود بشكل واضح وخاصة في مسألة القضية الفلسطينية ويقدمون لهم العون في كل ما يمس مصالح الشعوب العربية والإسلامية؟!

والسؤال هنا لماذا كل هذا العون ؟ لا شك في أنه لا مبرر لهم في ذلك إلا الحقد الصليبي على الإسلام والمسلمين، فجميع الكنائس النصرانية تعلم جيداً موقف اليهود من النصرانية ومن عيسى وأمه، ورغم هذا كله يظاهرونهم ويتآمرون معهم ضد أتباع الدين الذي برأ عيسى ومريم من دعاوى اليهود.

ولا يستطيع أي نصراني (وخصوصاً زعماء الدول النصرانية) أن ينكر علمه بحقيقة موقف التلمود من النصرانية، فقد حدث في سنة ١٢٤٢م أن أعلن البابا جريجوري التاسع اتهامات صريحة ضد التلمود يتهمه فيها "بالكفر والطعن في الله وفي المسيح وفي المسيحية" ثم شكل البابا لجنة لفحص الاتهام، وقد مثل اليهود في هذه اللجنة "جهبيل بن جوزيت" من باريس ومعه ثلاثة آخرون، وأقرت اللجنة الاتهامات وأمرت بإحراق التلمود ونقلت إلى النيران في باريس حمولة أربعة وعشرين عزبة من نسخ التلمود. وفي عام ١٢٤٧م أعيد نظر القضية بعد توسل والتماس من اليهود، ولكن الحكم قد صدر ضد التلمود مرة أخرى. وقد أدين هذا التلمود مرة ثالثة في أسبانيا سنة ١٤١٥، ومرة رابعة في إيطاليا سنة ١٥٥٩م. ورغم ذلك كله يضع النصارى على أعينهم عصابة سوداء وأغلقوا آذانهم حتى يوهموا الناس بأنهم لا يعرفون ما يقول التلمود عنهم. فهل آن لهم أن يقارنوا كلام التلمود

---

[1] اليهود قادمون، مرجع سابق، ص٣٨- ص٣٩

بحقائق القرآن المشرفة التي ذكرها في حق المسيح وأمه التي أحصنت فرجها وكانت من القانتين؟. أم أن الحقد الأسود على الإسلام سوف يعمي عيونهم ويدفعهم إلى مزيد من التعاون معهم ضد الإسلام والمسلمين.

المبحث الثالث
بروتوكولات حكماء صهيون
المطلب الأول
مكانة البروتوكولات وتعريفها

تعتبر التوراة والتلمود من المصادر القديمة للعقيدة والفكر اليهودي، أما البروتوكولات فهي المصدر الحديث الذي يعتمد عليه اليهود في العصر الحاضر ويستمدون منه فكرهم وخططهم.

والفرق بينه وبين التلمود والتوراة هو:

- أن اليهود جعلوه مصدراً سرياً لا ينبغي لأحد أن يطلع عليه بينما كانت التوراة والتلمود من المصادر العلنية التي يمكن لكل أحد أن يطلع عليها.
- أن اليهود يعترفون بالتوراة والتلمود كمصدر لهم، بينما لا يعترفون بالبروتوكولات حين اكتشفت رغماً عنهم، فقد أعلنوا أنهم لا يعرفون عنها شيئاً، ولكن الأحداث الجارية، وتفاصيل ما جاء في هذه البروتوكولات كانت تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه البروتوكولات يهودية صرفة، فلم تكن في واقع الأمر أكثر من تفصيل وتحليل لما ورد في التلمود الحقير. ومن هنا فإننا نضع البروتوكولات ضمن مصادر العقيدة اليهودية، حتى ولو كان اليهود ينكرون صلتهم بها، لأنه لا يستطيع أي عاقل أن ينكر الصلة الوثيقة بين البروتوكولات وبين التلمود وكثير من نصوص التوراة المحرفة. وسوف أتحدث في هذا المبحث عن تعريف البروتوكولات، وتاريخها مع بيان الأدلة الصحيحة على نسبتها لليهود.

تعريف البروتوكولات

تعني كلمة بروتوكول في اللغة: قرار أو محضر جلسة، أو محاضرة، أو "مسودة خطة العمل"[1]. فقد كانت هذه البروتوكولات عبارة عن مجموعة محاضرات ألقاها حكماء اليهود على أعضاء المؤتمرات اليهودية التي عقدها اليهود لتجميع أنفسهم، ووضع خطة معينة للسيطرة على العالم. وأما في الاصطلاح: فهي المخطط التفصيلي للسيطرة على العالم بواسطة منظمة يهودية سرية[2] بأساليب متعددة.

تاريخ البروتوكولات:

يرى بعض الباحثين أن البداية الحقيقية لهذه البروتوكولات، هي مؤتمر بال، حيث عرضت على المؤتمرين في صورة قرارات سرية لم يعلن عنها المؤتمر الذي انعقد في سويسرا سنة ١٨٩٧م. ولكن عند التحقيق نلاحظ أن تاريخ هذه البروتوكولات أقدم بكثير من هذا التاريخ. فقد أشار السيد (وليم غاي كار) في كتابه (أحجار على رقعة شطرنج) إلى موجز مختصر لهذه البروتوكولات، كان قد أعده رجل المال اليهودي (مايرباور) الذي اتخذ لنفسه اسماً آخر هو (روتشلد)[3]. المولود سنة ١٧٤٣م والمتوفى سنة ١٨١٢م.

وقد جمع روتشلد رجال المال اليهود ووضع أمامهم خطة لإثارة الثورات في العالم، وبمقارنة خطة روتشلد بالبروتوكولات نلاحظ أنها صورة موجزة منها معروضة بنفس ترتيبها وبها تكرار النصوص بعينها، مما يؤكد أن البروتوكولات ما هي إلا شرح وتوضيح لخطة روتشلد. ويقول وليم غاي كار: "وأنا على اقتناع بأن

---

[1] فراي – القوى الخفية في السياسة العالمية، ترجمة محمد كمال ثابت دار الكتاب العربي، ص٧٥

[2] المرجع نفسه، ص١١١.

[3] معنى كلمة روتشلد: اي الدرع الاحمر بالالمانية، ورمزا الى علم احمر كان يعلقه الجد الاكبر (عام باور) على باب دكانه الذي كان يمارس فيه الصرافة والربا وقد اتخذت الثورات الفرنسية والروسية رمزها من العلم الاحمر راجع ص٧٦ من كتاب (احجار على رقعة الشطرنج) بيروت ١٩٨١م

الوثائق التي وقعت عام ١٩٠١م بحوزة البروفسير تيلوس الروسي والتي نشرها في كتاب تحت عنوان (الخطر اليهودي) عام ١٩٠٥م في روسيا لم تكن إلا نسخة موسعة من المؤامرة الأصلية"[1].

ولكني أميل إلى اعتبار هذه البروتوكولات أقدم من هذا التاريخ بكثير، وخصوصاً إذا عرفنا أن المحافل الماسونية يرتد تاريخها إلى ما قبل الميلاد، وأن هذه المحافل هي التي صنعت الصهيونية، وهي التي خططت لها منذ القدم، بحيث أننا نستطيع أن نقول: إن مؤتمر بال المنعقد سنة ١٨٩٧م، أو مؤتمر روتشلد المنعقد سنة ١٧٧٣م، لم يكونا أكثر من نقطة الانتهاء والإعلان عن الخطة الصهيونية التي بدأت سرية منذ أزمان بعيدة ولا أدل على ذلك من أسلوب البروتوكولات، فكاتبها يتحدث دائماً عن الخطة اليهودية بصفتها مخطط قديم بدءوا في تنفيذه وأوشكوا على الانتهاء منه. جاء في البروتوكول الثالث: "اليوم نستطيع أن نذكركم أننا قد أصبحنا قيد خطوات من هدفنا"[2]. ومن غير المعقول أن تكون هذه البروتوكولات موضوعة في مؤتمر بال سنة ١٨٩٧م، وفي نفس الوقت وصلوا إلى تحقيق هدفهم، فهذا دليل على أنها موضوعة منذ زمن بعيد. وفي نص آخر يصرح كاتب البروتوكولات بأن الخطة اليهودية الموضوعة في البروتوكولات إنما هي نتاج عمل قرون ماضية حيث يقول: "وبين أيدينا خطة عليها خط استراتيجي موضح، وما كنا لننحرف عن هذا الخط وإلا كنا ماضين في تحطيم عمل قرون"[3]. فهذه النصوص تثبت بما لايدع مجالاً للشك أن تاريخ وضع هذه البروتوكولات أقدم بكثير من الفروض التي أشار إليها الباحثون.

---

[1] احجار على رقعة شطرنج، مرجع سابق، ص٨٧

[2] محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي، ص١٣٣

[3] السابق، ص١٢٤.

المطلب الثاني
اكتشاف البروتوكولات

اختلف المؤرخون في تاريخ اكتشاف البروتوكولات وفي الطريقة التي ظهرت بها إلى العالم. وأقدم هذه الروايات ما يرويه (غاي كار) من أنه في عام ١٧٨٥م، كان أحد الفرسان يسير بجواده بين فرانكفورت وباريس حاملاً معلومات مفصلة حول الحركة الثورية العالمية عامة، وتعليمات خاصة حول الثورة الفرنسية، وكانت تلك التعليمات صادرة من اليهود في ألمانيا إلى رئيس المحفل الماسوني في فرنسا، وقد أصيب ذلك الفارس بصاعقة قضت عليه ووقعت الوثائق التي بحوزته في يد رجال الشرطة الذين سلموها بدورهم إلى السلطات المحلية في بافاريا[1].

وأما (فراى) فيرجع تاريخ اكتشاف البروتوكولات إلى عام ١٨٨٤ على يد الآنسة (جستن جلينكا) التي كانت تعمل جاسوسة لروسيا في باريس، وقد استطاعت أن تجند يهودياً يدعى (جوزيف شورست) الذي عرض عليها ذات يوم أن يحصل لها على وثيقة ذات أهمية عظمى لروسيا نظير دفع مبلغ ٢٥٠٠ فرنكاً، وما أن استلم المبلغ حتى سلمها الوثيقة.

وقدمت الآنسة جلينكا الأصل الفرنسي من الخطة مترجماً إلى الروسية للجنرال (أدرجفسكي) الذي سلمها بدوره لرئيسه الجنرال (شيرفين) لنقلها إلى القيصر، ولكن شيرفين بحكم ارتباطه بأثرياء اليهود رفض نقلها وحفظها في الأرشيف، إلا أن الآنسة جلينكا احتفظت لنفسها بنسخة سلمتها إلى (الكسيس سوختن) حاكم مقاطعة (اورل) فقام سوختن بعرضها على صديقين له هما: سبتانوف، ونيلاس، أما الأول، فقد قام بطبعها وتوزيعها على أخصائه عام ١٨٩٧م. أما الثاني:

---

[1] احجار على رقعة الشطرنج، مرجع سابق، ص٨٨.

البروفسير (سرجيوس نيلاس البشر، فقام بنشرها في عام ١٩٠١م، في كتاب بعنوان (العظام داخل الصغار) فقد قرأها وقدر خطورتها على كل بني وفي نفس الوقت أخرجها (بوتمي) وهو صديق نيلاس وأودعت منها نسخة في المتحف البريطاني في أغسطس سنة ١٩٠٦م.

وفي هذه الأثناء وعن طريق أفراد الشرطة الروسية[1] حصلت الإدارة الروسية على محاضر جلسة مؤتمر بال، فوجدت أنها مطابقة تماماً للبروتوكولات. وفي يناير سنة ١٩١٧م، أعد نيلاس طبعة ثاني مدعمة بالوثائق للنشر، ولكن قبل طرحها في السوق قامت الثورة الروسية في مارس سنة ١٩١٧م، وقام اليهود وأذنابهم بإتلاف طبعة الكتاب، وفي عام ١٩٢٤م، اعتقل نيلاس وعذب بواسطة أذناب اليهود حيث قال له رئيس المحكمة اليهودي: إن هذه المعاملة قد فصلت عليه تفصيلا؛ لأنه ألحق بهم ضرراً جسيماً (بنشر البروتوكولات).

ولكن أنقذت بعض نسخ من طبعة نيلاس الثانية وأرسلت إلى دول أخرى حيث نشرت في ألمانيا، وقد قام بنشرها (جوانر يدتسوم) ١٩١٩م[2] وفي إنجلترا نشرها الصحفي الإنجليزي (فكتور مارون) ثم ترجمت بعد ذلك إلى معظم لغات العالم الذي اكتشف أخطر مؤامرة على حريته وأمنه، ومن هذه الترجمات: الترجمة العربية التي قام بها الأستاذ محمد خليفة التونسي الذي كان يلقب (بالشهيد الحي)

---

(١) يروي (فراي) ان احد الضباط الروس قد كلف بمراقبة مؤتمر بال ومعه مجموعة من الحراس السريين، وبينما كان اليهود في اجتماعهم السري، افتعل رجاله حريقا زائفا واندفعوا الى الغرفة يصيحون: حريق، حريق .. وفي الفوضى التي اعقبت ذلك شق طريقه بسرعة الى منضدة الرئيس او المحاضر، واستولى على جميع الاوراق التي كانت عليها، وكانت تلك الاوراق تحوي اصول البروتوكولات وتعتبر هذه رواية ثالثة في كيفية اكتشاف الخطة اليهودية — راجع ص٥ من كتاب القوى الخفية في السياسة العالمية.

(٢) القوى الخفية، مرجع سابق، ص٧٧.

لجرأته على نشر هذه البروتوكولات فقد كان اليهود يقومون بقتل كل من يحاول نشرها[1].

أثر نشر البروتوكولات:

لقد تسبب نشر هذه البروتوكولات في كشف أهداف اليهود وافتضاح نواياهم الخبيثة ضد كل بني الإنسانية فعمت المذابح ضد اليهود الذين أنكروا صلتهم بها ولم يصدق العالم إنكارهم، فقد كانت مؤامراتهم وصلت إلى حيز التنفيذ العملي في العالم، فقد قارن نيلاس بين البروتوكولات وبين الأحداث الجارية في العالم، فتنبأ بكثير من النبوءات الخطيرة التي وقعت بعد سنوات قليلة، ومنها:

١- نبوءته بتحطيم القيصرية الروسية ونشر الشيوعية فيها على يد اليهود.

٢- توقعاته بسقوط الخلافة الإسلامية على يد اليهود كخطوة أولى قبل تأسيس دولة إسرائيل في فلسطين.

٣- نبوءته بقيام دولة اليهود في فلسطين.

٤- ومنها: وقوع حرب عالمية يخسر فيها الغالب والمغلوب معاً ولا يظفر بمغانمها إلا اليهود. وهكذا لم يجد إنكار اليهود وادعائهم عدم المعرفة بها شيئاً، كما أن هذه البروتوكولات لم تكن إلا صورة أخرى من تعاليم التلمود اليهودي. كذلك دمغهم (هنري كلين)- وهو محامي يهودي مشهور- حين أعلن بصراحة: أن البروتوكولات هي الخطة التي وضعها اليهود للسيطرة على العالم وأنه حين اعترض على اليهود طردوه من صفوفهم[2].

والأدلة التاريخية تؤكد صحة نسبة البروتوكولات إلى اليهود مما يكذبهم حين ينكرون صلتهم بها. ولكن اليهود اتجهوا إلى أسلوب آخر غير أسلوب الإنكار، وهو

---

[1] الخطر اليهودي، مرجع سابق، ص٢٦.

[2] جون كريج سكوت – الحكومة السرية في بريطانيا، مرجع سابق، ص١٦.

أسلوب المواجهة السرية. فقد حاولوا مصادرة نسخ البروتوكولات حيث اشتروها من السوق وأحرقوها قبل أن تصل إلى أيدي القراء. كما استعانوا بنفوذ بريطانيا التي ضغطت على روسيا لإيقاف المذابح ضد اليهود ومصادرة نسخ الكتاب رسمياً ولم تفلح كل هذه المحاولات، فقد ترجمت البروتوكولات إلى معظم اللغات العالمية.

وخلاصة القول فان البروتوكولات الموجودة الآن ليست هي كل ما وضعه اليهود، وإنما هي جزء من عمل أخطر، وللأسف أن بداية هذا العمل مفقود، وعدد البروتوكولات المكتشفة ٢٤ بروتوكولاً مكتوبة بطريقة غير منظمة. حيث إن موضوعاتها متداخلة، فلم يتناول كاتبها كل موضوع على حدة، وإنما كان ينتقل في البروتوكول الواحد من موضوع إلى موضوع، وقد يكرر الموضوع الواحد في أكثر من بروتوكول.

المطلب الثالث
أثر التاريخ
في العقيدة والفكر اليهودي

تشتت اليهود في مختلف بلدان العالم، وعاشوا بلا مأوى ولا وطن. ومن هنا كان رد الفعل العنيف لمعظم عقائدهم الباطلة، وخصوصاً عقيدة أرض الميعاد. وعقيدة شعب الله المختار، وعقيدة الألوهية. وفيما يلي توضيح كيف كان التاريخ مصدراً من مصادر تلك العقائد.

أولا: عقيدة أرض الميعاد

نشأت عقيدة أرض الميعاد نتيجة تشرد اليهود وفقدانهم الأرض والوطن فقد طمعوا بعد هذا التشرد أن يعودوا إلى فلسطين وأن يكونوا هناك دولة كبرى تكون لها السيادة من النيل إلى الفرات كمقدمة تمهيدية لإقامة دولتهم في العالم كله، ومن هنا جاءت تعاليم تلمودهم التي تؤكد أن الأرض كلها ملك لليهود، وأن سائر الشعوب

مغتصبة لهذه الأرض، ولذلك فاليهود حينما يغزون بلداً لا يعتبرون معتدين، لأنهم إنما يستردون حقهم وأرضهم السليبة، وحشروا في التوراة النصوص التي تؤكد هذه العقيدة الباطلة.

ومن هنا كانت عقيدة الأرض الموعودة رد فعل لمراحل التاريخ عندهم حيث عاشوا معظم فترات هذا التاريخ يتنقلون من مكان إلى آخر بلا وطن ولا مأوى. وقد تولدت هذه العقيدة كذلك كرد فعل لما لقيه اليهود من ذل وهوان في البلاد التي نزلوا فيها حيث عاملهم الناس باحتقار وازدراء .

فمن هذه المعاملة نشأت عندهم عقدة من هذه الشعوب أوحت إليهم بفكرة أنهم من جنس ممتاز اختاره الله واصطفاه على سائر الأجناس. ولكن هذه العقيدة لم تكن تتفق مع ما يمر به اليهود من إخفاق ومكابدات ومذلة، ومن هنا ابتعث أحبارهم من أعماق شعورهم عقدة الذنب، ففسروا ما يمر به الشعب اليهودي من محن بأنه تكفير عن ذنوبهم إلى أن يحين الوقت الذي تحل عليهم فيه النعمة ويصيرون الشعب المختار الحق. وظل الأحبار والرهبان يحشدون كتبهم المقدسة بالنصوص التي تؤيد عقيدتهم الباطلة، والتي تحاول تبرئة اليهود من العيوب وتلويث سواه من الشعوب. فهذه العقيدة كانت رد فعل لمراحل تاريخهم.

ثانيا: عقيدة الألوهية

كذلك كانت عقيدة الألوهية عندهم رد فعل لتاريخهم، فهم في البداية عبدوا الإله الواحد الذي نادى به موسى، ولكنهم بعد أن حدثت الصراعات بينهم وبين المصريين وضعوا للإله تصوراً جديداً ـ فبعد أن كان إلهاً للجميع، رحيماً بكل الناس، عادلاً مع كل الخلق، تحول في نظرهم إلى إله خاص باليهود أطلقوا عليه اسم " ياهو "، وهذا الإله جبار شغوف بالانتقام من أعداء اليهود وخصوصاً المصريين .

وتذكر التوراة المحرفة التي بين أيدي اليهود الكثير من أفعال الانتقام بالمصريين وبصورة مبالغ فيها لدرجة قولهم بأن الرب ينزل فيضرب المصريين بنفسه. وهذا ما نصت عليه التوراة : "... فحدث في نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذي في السجن وكل بكر بهمه ". فهذا النص يبين مدى سعة الخيال عندهم فساقهم ذلك الخيال إلى القول بأن الإله ينزل بنفسه من السماء لكي ينتقم بنفسه من أعدائهم.

وهكذا يدخل اليهود ربهم " ياهو " في مشاكلهم اليومية، ويضفون عليه صفات جديدة، فهو إله بركاني فظ غليظ غضوب ميال إلى الحروب وتدمير شعب فلسطين، بل إن الإله يعقد مع قوادهم عهداً على رعايتهم وإبادة أعدائهم[1] ، ويعدهم بتمليك أرض لا يملكونها هي أرض فلسطين " إلى مدن عظيمة لم تبنها وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها وآبار محفورة لم تحفرها وكروم وزيتون لم تغرسها " ومن هنا يحملون سلاحهم ويرحلون إلى فلسطين معتمدين على أن ربهم رجل حرب[2] كما تقول التوراة.

وأما في فترات انتكاسهم وتشردهم واستضعافهم، فإنهم يضعون للإله صفات أخرى، فهو إله متقلب متعنت مع شعبه وتعدد التوراة أحكامه الجائرة التي لا تعد ولا تحصى، كما تبدي التوراة شدة بطشه بالناس كقوة عمياء لا تبقي ولا تذر، وذلك تبريراً منهم لما يمرون به من أحوال.وأما في فترات الاستقرار والأمان، فإن اليهود يعودون مرة ثانية إلى بعض صفات الإله الحقيقي فهو إله عادل حكيم إلى غير ذلك.وهكذا فقضية الألوهية الشائعة في التوراة هي ردود فعل لمراحل التاريخ عند

---

[1] سفر يوشع ، فقرة ٢٤.

[2] الخروج ، اصحاح ١٥.

اليهود. ويقول أرنولد توينبي: يتبين للباحث من استقراء المصنفات التي ورثتها اليهود على مملكتي إسرائيل ويهوذا والشروح التي أضيفت إليها مدى التغيير الجسيم الذي طرأ على طبيعة الإله عند اليهود. وليس من المستغرب تطور فكرة الإله على مدار هذه الفترة الطويلة من التاريخ اليهودي التي واجهوا خلالها أحداثاً ضخمة وكابدوا تغييرات بعيدة المدى سياسية واجتماعية وثقافية ومروا بتجارب خطيرة أثرت في تكوينهم العقلي أيما تأثير.

وخلاصة القول فان اليهود قد رفضوا وحي السماء الصادق، وأهملوا العقيدة السماوية الصحيحة التي جاء بها موسى، وراحوا يلونون عقائدهم بلون الظروف التي يمرون بها من خلال مراحل تاريخهم، وقد انفرد اليهود في هذا الميدان بإقدامهم على رفع سجل تاريخهم إلى منزلة التقديس والعبادة، ومحاولة إيهامهم الناس بأن تاريخهم كتاب مقدس يجب على الجميع أن يؤمنوا به ويصدقوه وإلا كان عقابهم شديداً، وكأن اليهود يريدون بهذا المنهج أن تأخذ أجيالهم العبرة والعظة من حركة التاريخ حتى لا يقع الأحفاد فيما وقع فيه الآباء والأجداد. وهكذا فان التاريخ بلا شك يعد من المصادر الهامة للفكر الصهيوني و العقيدة اليهودية والذي أغفله كثير من الباحثين.

المبحث الرابع
الفـــرق
اليهودية القديمة

انقسم اليهود في مختلف مراحل تاريخهم إلى فرق دينية متعددة، وتدعي كل فرقة بأنها هي صاحبة الحق في الحفاظ على الشريعة اليهودية وبالتالي فهي التي تمثلها باعتبارها أمثل طريقة، وأشد تمسكا بأصول الدين اليهودي وروحه، وأهم ما تختلف فيه هذه الفرق هو الاعتراف بأسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى عليه السلام، وفيما يلي بيان لأهم الفرق اليهودية:

المطلب الأول
الفريسيـــون

كلمة الفريسيون معناها المنعزلون والمنشقون، فهم بذلك يناظرون إلى حد ما فريق المعتزلة عند المسلمين، وقد أطلق عليهم أعداؤهم هذه التسمية، ولذلك فهم يكرهونها ويسمون أنفسهم "الأخبار" أو "الأخوة في الله" أو "البرانيين" (١). وتعد هذه الفرقة من أهم فرق اليهود وأكثرها عددا في ماضي تاريخهم وحاضره.

ويعتقد هؤلاء أن التوراة بأسفارها الخمسة خلقت منذ الأزل، وكانت مدونة على ألواح مقدسة ثم أوحى بها إلى موسى، وعلى هذا فتدوينها بعده هو في الحقيقة إعادة تدوين، ويعتقد الفريسيون في البعث، وقيامة الأموات، والملائكة، والعالم الآخر، وأكثرهم يعيشون في مظهر الزهد والتصوف، لا يتزوجون، ويحافظون على وجودهم بطريق البني، ولا يقدمون القرابين في المعابد (٢)

ويرى الفريسيون أن التوراة ليست هي كل الكتب المقدسة، التي يعتمد عليها، وإنما هناك بجانب التوراة روايات شفوية ومجموعة من القواعد والوصايا والشروح والتفاسير، التي تعتبر توراة شفوية، وقد تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل، وربما دونوها أحياناً خوفاً عليها من الضياع، وتلك الروايات الشفوية هي التي دونت فيما يسمى التلمود (٣).ولضمان تقديس اليهود للتلمود، أعلن الفريسيون أن الحاخامات سلطة عليا، وأنهم معصومون وأن أقوالهم صادرة عن الله، وأن مخافتهم هي مخافة الله، ومن قولهم في ذلك: "ويلتزم المؤمن بأن يعتبر أقوال الحاخامات كالشريعة لأن أقوالهم هي قول الله الحي، فإذا قال الحاخام إن يدك اليمنى هي

---

(1)Gignnebert: The Jewish Word in the Time of Jesus p. 154
(2)Laurance Brown : From Baylon to Bethlehem PP.84-85
(٣) يوسف عيد، الديانة اليهودية، ص٧٧.

اليسرى وبالعكس، فصدق قوله ولا تجادله.."[1]، وتبعاً لذلك ليس هناك اجتهادا عند الفريسيين إذ لا حاجة للاجتهاد ما دام الحاخام مقدساً معصوماً وعنده لكل سؤال جواب[2].

وللفريسيين رأي في القضاء والقدر، فهم يرون أن الأفعال يمكن أن تتأثر بالقضاء والقدر ولكنها غير واقعة بهما[3]. ويرى بعض الباحثين أن الفريسيين لا يكونون فرقة دينية، وإنما يمكن أن نطلق عليهم حزباً سياسياً له اتجاهاته الدينية، وهم يعتقدون أن دولة اليهود لا بد أن تستعيد مكانتها، ولذلك كانوا يؤمنون بالمسيح الذي يجيء ليعيد "ملكوت الله"[4].

وكان نشاط الفريسيين فكرياً لا ثورياً، فهم لم يلجأوا قط للحركات العنيفة، ولكنهم اتجهوا بكل جهدهم إلى تفسير التوراة والتعليق عليها[5]. ومن أهدافهم العمل على إقناع بني إسرائيل على العودة إلى التمسك بالعقيدة القديمة التي كانت لأجدادهم قبل سقوط دولتيهم بفلسطين، وكانوا يعارضون الأنبياء الذين ظهروا في فترة الأسر وبعده، ويتمسكون بشريعة الأنبياء الأولين: كما كانوا يتشددون في التنفيذ، ويتمسكون بالتقاليد.

وبالنسبة إلى حياتهم فقد كانوا ينعمون بكثير من السلطة في بلاط أمراء المكابيين، وكان لهم نفوذ واسع في المجتمع اليهودي. وقد أدى اتساع هذا النفوذ إلى تخوف السلطات الحاكمة منهم، وإلى نظرها لتصرفاتهم في شيء غير قليل من الشك والشبهة، وكان ذلك بدء انشقاق بين السلطات الحاكمة وبينهم. وفي عهد هركانوس

---

(1) الباهو بشياصي، شعار الخضر، ص١.

(2) نفس المرجع، ص٧٧. ///////

(3) الباهو بشياصي، شعار الخضر، ص١.

(4) Gignnebert: The Jewish Word in the Time of Jesus p. 154

(5) يوسف عيد، الديانة اليهودية، ص٧٨.

(١٠٥ ق.م) اشتد الخلاف بينه وبينهم، فانسحب الفريسيون من تأييد حكومته، ووضعوا أنفسهم موضع المعارضة، فتخلى عنهم هركانوس وانضم إلى منافسيهم الصدوقيين الذين ظلوا على الولاء للحكومة. ومنذ حصلت هذه القطيعة اتجه الفريسيون إلى العودة لفكرة المسيح الذي ينتظره اليهود كما ذكرنا آنفاً، وقد تحول السلطان عنهم نذيراً بتدهور أحوالهم، هذا بالإضافة إلى أنهم انحرفوا عن سنن أسلافهم، واستهوتهم الحياة الدنيا ببريقها، وأقبلوا على الشهوات سراً، فكانوا في عملهم يراءون الناس استدراجاً ليوقعهم في مخالبهم، ويبتزون أموالهم، فكان ظهورهم بمظهر الزهد فخاً نصبوه لصيد الدرهم والدينار[١]. وقد صورهم كاتبو الأناجيل في صورة معارضة للمسيح عيسى عليه السلام، ووضعوهم في موضع معاد لهم[٢].

وتأثرت مكانتهم رويدا رويدا بهذه الأسباب فتخلى عنهم أكثر أتباعهم، وأصبح الانتساب إليهم عارا، على انه وجد من بين الباحثين اليهود في العصر الحديث من يدافع عنهم ليعيد لهم مكانتهم التي نعموا بها فترة من التاريخ، ومن هؤلاء " هوكسلي " الذي يقول: من غرائب سخريات التاريخ إن لم تكن أغربها، إن كلمة فريسي أصحبت تدل على العار. ويرى بعض الباحثين أن " الفريسية كانت سيئة الحظ في التاريخ، إذ قلما وجدت المسيحية فرصة سانحة لمعرفة الفريسية على حقيقتها، بل قلما حاولت أن تنتهز هذه الفرصة إذا سنحت، فهل بلغ الدين المسيحي مبلغا من الضعف يلجئه إلى الدفاع عن نفسه بتسويد صفحة أفضل منافسيه[٣].

ويقول القس " بوكس ": لقد أسس الفرنسيون نظام الفردية في الدين ووضعوا

---

[١] نفس المرجع، ص٧٩.

[٢] نفس المرجع، ص٧٩.

[٣] نفس المرجع، ص٧٩.

طقوسا روحية بحتة ، وتعمقوا في الاعتقاد في الآخرة ، ودافعوا عن قضية العلمانية أمام الكهنوت المتطرف ، وجعلوا الكتاب المقدس ملكا مشاعا للجميع ، وفي اجتماعات الكنيس الأسبوعية كانوا يلقون على الشعب عظات بالغات ، عن حقائق الدين وآماله ، استنادا على نصوص التوراة.. وكافح الفريسيون كفاحا مستبسلا في سبيل وضع الحياة تدريجيا تحت سلطة العقائد الدينية فتأثرت قلوب الشعب بأوامر الدين ونواهيه بفضل ما بذله الفريسيون من العناية في سبيل تقويم العادات ، وتطبيق الطقوس الدينية تطبيقا دقيقا ، ولكن الظواهر الخارجية كانت دائما خاضعة للعقائد الكامنة [1] .

المطلب الثاني
السامريـــــون

السامريون فرقة دينية يهودية تعد من أقدم الفرق الدينية في اليهودية حيث تعود بأصولها إلى انقسام مملكة سليمان عليه السلام إلى مملكيتن شمالية وعاصمتها السامرة ، وجنوبية وعاصمتها أورشليم ، ويسمى السامريون أنفسهم " شومريم " بمعنى "حراس الشريعة " وأيضا " بنو إسرائيل " معتبرين أنفسهم الاسرائليين الحقيقيين. وهم من نسل سبطي افرايم ومنسي ويسمون لذلك " بنو يوسف " [2] .

وتنظر إليهم المصادر اليهودية التقليدية على أنهم خلطاء لا ينتمون إلى الدم اليهودي النقي ، وذلك لاختلاطهم بعد السبي الآشوري الذي وضع نهاية لمملكة إسرائيل الشمالية بالشعوب التي طبق عليها الآشوريون سياستهم الخاصة بالإحلال والإبدال في مستعمراتهم في الشرق الأدنى القديم ، فاختلط السامريون الذين هربوا

---

(1) حسن ظاظا ، من الفكر اليهودي ، ص٢٠٤- ٢٠٥ .

(2) حسن ظاظا ، الفكر الديني اليهودي ، ص٢٠٦. بتصرف

من التهجير بالأقوام الذين تم تهجيرهم بالقوة إلى شمال فلسطين[1] .

ويطلق التلمود على السامريين اسم " الكوتيم " أو " الكوتيين " نسبة إلى كوت إحدى الأماكن التي عاشوا فيها أصلا.. والسامرة ينسبون أنفسهم إلى هارون الرشيد عليه السلام، ويسمون الكاهن الأعظم الكاهن اللاوي نسبة إلى اللاويين، وقد شوه اليهود في الجنوب صورة السامرية أهل الشمال واتهموهم بالانحراف عن الدين الصحيح والوقوع في عبادة الآلهة الأجنبية، ووجهت إليهم بعض أسفار الأنبياء نقدها الشديد لوقوعهم في المفاسد الدينية والاجتماعية [2] .

وهناك عداوة تقليدية نشأت بين الشمال والجنوب بدأت لأسباب سياسية أدت إلى الانقسام واتخذت فيما بعد أبعاد دينية انتهت إلى ظهور مركز ديني جديد في الشمال وهو السامرة ينافس المركز الديني القديم وهو أورشليم في الجنوب. وقد اعتبر السامريون جبل جرزيم في الشمال جبلا مقدسا وتوجهوا إليه كقبلة دينية بدلا من التوجه إلى أورشليم، وهذا الجبل يشرف حاليا على مدينة نابلس التي هي السامرة القديمة والتي كانت أيضا تحمل اسم شكيم في التاريخ القديم السابق على ظهور العبريين في فلسطين. ويدعى السامريون أن يعقوب عليه السلام بنى بيتا للرب سماه بيت ايل في هذا الموقع المذكور وان هذا البيت كان قبلة موسى عليه السلام وان الذي غير القبلة وحولها هو داود ومن بعده سليمان عليهما السلام لأسباب سياسية تناسب المملكة التي تم تأسيسها. وهناك نوع من المغالاة في التصور اليهودي للسامريين يصل إلى حد عدم اعتبارهم يهودا ومنع الزواج المشترك معهم والنظر إليهم على أنهم وثنيون.

---

[1] نفس المرجع، ص٢٠٧.

[2] نفس المرجع، ص٢٠٩.

ويقابل السامريون هذا التصور بتصور مضاد يعلنون فيه أنهم الممثلون الحقيقيون لإسرائيل. ومن مظاهر المغالاة في الصورة اليهودية التقليدية والتلمودية عن السامريين اعتبارهم وثنيين على الرغم من حقيقة أن السامريين من المتشددين في مفهوم التوحيد ويوصف دينهم أحيانا في المصادر اليهودية بأنه شكل بدائي لليهودية، وأنه توحيد متشدد فهم يؤمنون باله واحد روحاني.

ويختلف السامريون عن بقية اليهود في إيمانهم فقط بالتوراة ويسمونها توراة " موسى " ويرفضون بقية أسفار العهد القديم فيما عدا سفر يوشع كما يرفضون التلمود أيضا. وتمثل التوراة نصا سابقا على نص الماسورا الذي اختاره الرب هو جبل جريزم. ويزعم السامريون أن توراتهم هي الأصل وأن التوراة التي يؤمن بها بقية اليهود محرفة على يد عزرا الكاتب.

وهم يحتفلون بعيد الفصح على جبل جرزيم حيث ، يضحون بالخراف ويشوونها ويأكلونها في عجلة. وهم يقومون بالحج إلى جبل جرزيم في عيد الخبز غير المختمر Matzot وتلون أجزاء من التوراة ولم تنشأ عند السامريين فئة من العلماء من غير الكهنة وذلك لان الكهنة واللاويين لم يسمحوا بذلك. وليس للسامريين نشاط تشريعي يقارن بنشاط اليهودية الأرثوذوكسية.

وهكذا يمكن تلخيص عقائد السامريين في الإيمان بالتوراة وسفر يشوع ورفض بقية العهد القديم والتلمود، والإيمان بنبوة موسى فقط ورفض النبوات بعده واعتباره خاتم النبوة. والإيمان بقداسة جبل جرزيم واعتباره قبلة بني إسرائيل[1]، ويضاف إلى ذلك اعتقادهم في البعث ويوم القيامة وقدوم المسيح المخلص ولا يزال للسامريين وجود ضئيل في مدينة نابلس بفلسطين.

---

[1] حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص٢٠٩ بتصرف

المطلب الثالث
الحسيديون

الحسيديم حركة دينية اجتماعية أسسها إسرائيل بعل شيم طوف (١٦٩٩ م- ١٧٦١ م) وساعدت على ظهورها ظروف اليهود في شرق أوروبا في القرن الثامن عشر حيث وقع اليهود تحت الاضطهادات السياسية والكنسية. وكانت الظروف الداخلية في المجتمع اليهودي سيئة بعد فشل حركة شبتاي. ومن أهم تعاليم بعل شيم طوف أن الجميع متساوون أمام الله، وأن طهارة القلب أفضل من التعليم، وحث على الصلاة والعبادة والزهد[1].

وقد زعم بعل شيم طوف أن الرب في حاجة إلى الخلاص لأنه كان في المنفى مع شعبه كنتيجة لخطيئة العالم. ولكي يعود العالم إلى الوحدة التي فقدها بسبب الخطيئة الإنسانية فالرب في حاجة إلى فعل الإنسان الخلاصي. واليهودي له دور مهم في تحقيق هذا الخلاص. وكل عمل إنساني مهما صغر يمكن أن يكون استجابة للرب إذا ما أداه الإنسان على انه وصية إلهيه. وكل إنسان يحمل العبء المسيحاني لإعداد العالم للمتسقبل[2].

وقد لجأ إلى الحركة كل اليهود الذين تأثروا بفشل الحركات المسيحانية ومنها حركة شبتاى. وقد تبع الحركة العديد من المتعلمين والمثقفين في لتوانيا. وقد لقيت هذه الحركة معارضة شديدة من السلطات اليهودية الأرثوذكسية وذلك بسبب اتجاهها اللاهوتي الصوفي وإيمانها بوحدة الوجود واعتبر هذا من الهرطقة وبخاصة بعد تطور الحسيديم على يد شنئورزلمان المتوفي١٨١٣م والذي أسس حركة فلسفية عقلية داخل الحسيديم جذبت إليها علماء روسيا وليتوانيا من اليهود.

---

[1] محمد خليفة ، تاريخ الديانة اليهودية، ص ٢٢١. بتصرف .

[2] نفس المرجع .

وانتشرت الحركة بين اليهود خلال القرن التاسع عشرميلادى بعد أن خفت حدة المعارضة لها ومارس الحسيديم تأثيرا ثقافيا واجتماعيا كبيرا بين اليهود. واتجه الحسيديم إلى الدراسة والتعليم وتحالفوا مع اليهود الحاخاميين ضد حركة الهسكالا " التنوير التي سخر كتابها من الحركة الحسيدية واتهموها بالسحر والشعوذة والإيمان الأعمى.[1].

واعتمد الحسيديم على القبالا كما فسرها إسحاق لوريا مع اهتمام خاص بالأخلاق والدين. والألوهية عندهم تحتوى كل الخلق بما في ذلك الحيوانية و الإنسانية والمادية والشر غطاء للخير، وسيتحول الشر كله إلى خير، ووظيفة الإنسان علاج الشر في الطبيعة وإخضاعه للنور الإلهي. ويجب التخلص من الشر.

كما أن الأفكار والأقوال والأفعال يجب أن تتكامل وتوظف من أجل الرب.ويؤدي هذا إلى التذكر الدائم للرب والسلوك في طريقه، والحب الشديد له والوجد به والانجذاب إليه وهي أمور تتحقق من خلال حب الله وخشيته ويجب على المرء أن يتحرر من الحسيه والشهوات مما يخلصه من العالم المادي السفلى ويصبح مدركا للعالم العلوي. عالم الملائكة و السرافيم والصلاة بخاصة يجب أن تتصف بصفة الانجذاب إلى الله، ويتصف الحسيديم بصفات التواضع والحرية والسرور الذي يقهر الشر.

ويهتم الحسيديم بالموسيقى والغناء لدورها في جذب الإنسان إلى الله وتلعب شخصية الصديق "البار التقى" دورا هاما في حركة الحسيديم. فهو شخص تقي متصل بالله.وهو شخصية مقدسة في أفعالها وأقوالها فكل ما يفعله أو يقوله له قصد الهي. وهو شخص مختار للتقوى والزعامة وتتم لرحلة إليه لطلب الحكمة والمشورة في السبت.

---

[1] محمد خليفة ، تاريخ الديانة اليهودية، ص ٢٢١. بتصرف .

وفي أيام السبت يجلس الحسيديم حول مائدة "الصديق" في ملابس بيضاء ويبدأ الصديق في الغناء وبعد وجبة السبت يبدأ في شرح التعاليم الحسيدية ويترك بقايا من الطعام يحتفظ بها الحسيديم كتميمة تجلب الحظ السعيد وينظر إلى الوجبة مع "الصديق" على أنها أشبه بالمذبح والأضحية. وتعبر عن الانجذاب الصوفي من خلال النطق أو التفوه بألفاظ ويجلس الحسيديم في الظلام يستمعون إلى كلمات "الصديق" ويغنون أغاني الوجد. وبعد الصلاة و الوجبة يبدأ الحسيديم في الرقص يقودهم "الصديق" ويشارك معهم [1] .

وبعد موت "الصديق" تصنع خيمة وتوضع فوق قبره ويزورها آلاف من الحسيديم في المناسبة السنوية لموته، حيث يحتفلون بالشراب والبهجة. وكثير من الصديقين فقراء يوزعون المال الذي يتلقونه من الحسيديم على الفقراء، وبعضهم يعيش في غنى فاحش أدى إلى تدهور الحركة وتحللها. ولا تزال الحركة منتشرة رغم قلة عدد الحسيديم وتعاليمها معروفة في الغرب بفضل أعمال مارتن بوبر الذي اهتم بحكايات الحسيديم وطور فلسفة حسيدية تسمى بالحسيدية الجديدة أثرت في العديد من اليهود والمسيحيين من خلال كتابه "أنا و أنت" الذي تقوم فلسفته على أسس حسيدية.

وقد عرف عن الحسيديين التزامهم الشديد بالوصايا وصلاتهم الدائمة، وتمسكهم المتشدد بطقوس السبت. أما عن صلاتهم بالفرق اليهودية الأخرى فهم من الناحية السياسية كان لهم تأثير في التمرد الحشموني ضد اليونان، وتحالفوا مع المكابيين ودعموهم إلى أن تبينت لهم الأهداف السياسية العلمانية للمكابيين فتوقفوا عن دعمهم. ويعتبرهم بعض العلماء الفرقة الممهدة لفرقة الفريسيين.

---

[1] محمد خليفة ، تاريخ الديانة اليهودية ، ص ٢٢١. بتصرف .

ومن مواقفهم الفكرية مقاومة محاولة أنتوخوس فرض الهلينستية على اليهود، واهتمامهم بتأمين الحرية الدينية، وعدم حماسهم للقومية اليهودية. ورغم تأثيرهم في الحشمونيين فإنهم لم يتعاونوا معهم في قتالهم من اجل الاستقلال السياسي وقد انتهت هذه الفرقة بعد صراع المكابيين، ومع ذلك فقد استمرت أفكارهم حية بتبني الفرق اليهودية لها مثل الفريسيين كما أنهم اعتبروا سلفا للأسينيين الذين عرف عنهم تشددهم أو المعتزل أو غير التقليدي. ويرى بعض العلماء إن كلمتي " حسيد" "وإسيني" مشتقتان من كلمة تعني " التقى " ، فهناك تقارب في المسمى والمضمون بين الفرقتين.

تتميز به هذه الفرقة عن بقية فرق اليهود فيما يتعلق بالعبادات أنها تحرم الأضحية والقرابين، مع أن الأضحية والقرابين كانت تعتبر عند الفرق الأخرى من أهم العبادات، وقد خصص لها قسم كبير من أسفار توراتهم المزعومة وهو سفر " اللاويين"، ومن مميزاتها في العبادات كذلك أنه يكثر في شعائرها مناسبات الغسل والوضوء.

ومن أهم ما تمتاز به فيما يتعلق بالشرائع والنظم الإنسانية العامة أنها تنكر التفرقة العنصرية وتقرر مبدأ المساواة بين الناس في القيم الإنسانية المشتركة وتحرص على التعايش السلمي بين جميع الشعوب. ومن مبادىء هذه الفرقة الدعوة إلى المسالمة وعدم خوض الحروب، والبعد عن الإضرار بالناس، وعدم إيذاء الناس حتى ولو كان ذلك للتربية، وتدعو إلى الصدق والأمانة والوفاء بالعهد حيال جميع الناس ساء في ذلك الإسرائيليون منهم أو غيرهم، وتحرم هذه الفرقة الكسب غير المشروع واستغلال الناس.

ومن أهم ما تمتاز به فيما يتعلق بمبادىء الحرية أنها تحرم الرق، وتحرم أن يملك الإنسان أخاه الإنسان، وأن يحرم أي فرد من حريته، وهذا عكس الفرق اليهودية

الأخرى التي كانت نظمها تقوم على الرق، وتحرم كذلك الملكية الفردية، وتحرم الزواج وتوجب التبتل والبعد عن النساء، إلا أن هذه الفرقة لم تعمر طويلا، فقد انقرضت في أواخر القرن الأول الميلادي، أي أنها لم تعش إلا نحو قرنين أو ثلاثة قرون[1].

المطلب الرابع
الصدوقيون

يمثل الصديقيون طبقة عليا تتكون من أمراء أورشليم، والانتماء إلى فرقتهم ظل محصورا في الطبقة العليا من الكهنة وفي الدوائر العسكرية والأسر اليهودية الأرستقراطية. ويعود بعض العلماء بأصل الصدوقيين إلى الكاهن الأعلى صادوق الكاهن الأعلى لسليمان والذي ورثت ذريته هذا المنصب حتى ١٦٢ق.م.

وقد كان للصدوقين تأثير كبير في المجالين السياسي والاقتصادي . أما الدين بالنسبة لهم فقط ارتبط بالهيكل وطقوسه بدون قاعدة دينية لاهوتية قوية[2]. ومع اعترافهم بسلطة العهد القديم وبخاصة التشريعات فان توجههم اللاهوتي كان سلبيا فقد رفضوا الاعتقاد في الأرراح والملائكة والبعث كما رفضوا التراث الشفوي أو ما يسمى بالشريعة الشفوية غير المكتوبة. وقد اهتموا بالتفسير الحرفي للعهد القديم، ورفضوا التجديدات والتشريعات الجديدة التي طورها الفريسيون واعتبروها من البدع.

وقد ارتبط الصدبقيون بملوك الحشمونيين ورحبوا بالفكر الهلليستي رغم تشددهم، وحققوا نفوذا سياسيا واقتصاديا عظيما رغم أنهم أقلة كانت لهم السلطة السياسية لفترة من الزمن ، واهتموا كثيرا بعلاقة النسب والدم والمكانة الاجتماعية

---

[1] محمد خليفة ، تاريخ الديانة اليهودية، ص ٢٢١. بتصرف .

[2] حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص٢١٤ بتصرف

والاقتصادية بينما اهتم الفريسيون بالتقوى والتعليم.

هذا وقد اختلف الصدوقيون عن الفريسيين في عدة أمور منها طبيعة النظرة الدينية وأسلوب الحياة حيث نادي الصدوقون بحق الأفراد والجماعات في تحقيق السعادة والرفاهية في الحياة الدنيا بدون انتظار للثواب في عالم آخر وذلك استنادا إلى رفضهم لعالم ما بعد الموت ورفضهم لبعث وخلود الروح. وقد انتهى وجود الصدوقيين مع خراب الهيكل عام ٧٠م على يد الرومان، وبزوال الهيكل زالت سلطات الصدوقيين الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وانتهى وجودهم في الوقت الذي استمر فيه الفريسيون وتطورت عقيدتهم إلى ما أصبح معروفا باليهودية التقليدية أو الحاخامية.

المطلب الخامس
الإسينيون

فرقة دينية يهودية عاصرت الفريسيين والصدوقيين في القرنين السابقين على الميلاد وحتى دمار الهيكل عام ٧٠م على يد الرومان. وهناك غموض في معنى هذا الاسم. وقد رجح بعض العلماء أن يكون المعنى "الأتقياء" واشتقوه من الكلمة السريانية بيممبها hasya بمعنى "تقي "[1]. ويبدو أن التسمية ضمت عدة جماعات يهودية منعزلة بذلك المؤرخ اليهودي جوزيفوس " يوسف بن متى "، جماعتين منهم إحداها لا تسمح بالزواج[2]، وتفرض العزوبية بينما الأخرى تسمح بالزواج.

وقد ظل جوزيفوس والفيلسوف فيلون المصدرين الأساسيين للإسينيين إلى أن تم اكتشاف لفائف البحر الميت حيث يرى معظم العلماء أن الإسينيين هم الفرقة التي تتحدث عنها اللفائف وأن لهم علاقة وطيدة بالمسيحية المبكرة.

---

[1] حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص٢٠٩.بتصرف، ص٨٥. بتصرف.

[2] نفس المرجع، ص٨٦.

ومن أهم عقائد الأسينيين الاعتقاد في خلود الروح والثواب والعقاب، ولكنهم لا يؤمنون بالبعث الجسدي ويعارضون الرق الملكية الخاصة ويعيشون حياة جماعية، ولهم حياة تقشفية تقوم على الزهد وحياة العزلة والاشتراك في الممتلكات وهم أشد من الفريسيين في مسائل الطقوس وفي طقوس السبت، ويؤكدون على ضرورة الغَسل قبل أداء الطقوس، ويستيقظون مبكرا لصلواتهم، ويفضلون الفترات الطويلة من الصمت [1]. ومنهم فرقة ترفض الزواج وتأخذ بنظام العزوبية وهناك برنامج إعداد قاس لمن يريد الانضمام إلى الجماعة وغير مسموح بنقل تعاليم الفرقة إلى أحد من خارجها، وهم يرفضون الأضحيات الحيوانية ويتقربون فقط بالدقيق والزيت إلى الهيكل [2].

أما عملهم الرئيسي فهو الزراعة، ويقسمون العمل فيما بينهم. ويكرسون معظم وقتهم للعبادة والدراسة الدينية. ولا يشاركون في العبادة والهيكل رغم سيطرة الصدوقيين. وقد كون الإسينيون جماعة من الإخوان المنعزلين عن المجتمع بينما اشترك الفريسيون مشاركة فعلية في حياة الجماعة اليهودية بما في ذلك النشاط المرتبط بالخدمة الدينية في الهيكل.

ويعتبر الاسينيون أنفسهم الممثلين الحقيقيين الخلص لإسرائيل، ورغم العزلة والزهد الذي اتصفت بهما فرقة الاسينيين فإنها شاركت في الحياة السياسية في عصرها. فقد اشتركت في الحروب ضد الرومان. وقد بلغ الإسينيين أربعة آ[illegible] حسب تقرير فيلون وسكنوا في عدة مدن وقرى منها عين جدي التي يعتبرها الدارسون موقع القمران التي اكتشفت فيها وثائق البحر الميت. وقد انتهى وجود

---

(1) يوسف عيد، الديانة اليهودية، ص٨٥. بتصرف.

(2) حسن ظاظا، الفكر اليهودي وتطوره، ص٢٢٦، بتصرف.

الفرقة بعد دمار الهيكل في ٧٠ م [١].

ويشترك الإسينيون مع الفريسيين في عدة أمور من بينها معارضة الصدوقيين كهنة أورشليم، ويتشدد الإسينيون في مسألة عدم المشاركة في العبادة في الهيكل بينما تقبل الفريسيون ذلك كما تشابه الفرقتان في التركيز في الاعتزال من أجل الطهارة الطقوسية ومن أجل الحاجة إلى التفرغ للعبادة والتقوى الشخصية، وتشترك الفرقتان في الاعتقاد في خلود الروح ويختلف الاسينيون في مسألة رفض من الفريسيين في الخلفية الاجتماعية بينما تركزت فرقة الصدوقيين في الطبقة الأرستقراطية والعسكرية والطبقة العليا من الكهنة [٢].

المطلب السادس
القـــــراؤون

يعتبر القراؤون من أهم الفرق اليهودية المعارضة لليهودية الحاخامية وهم يلقبون بعدة ألقاب منها " أبناء المقرا " و "أهل المقرا "إشارة إلي تمسك القرائيين بالعهد القديم كمصدر وحيد للتشريع وعدم الاعتراف بالتشريعات الشفوية.

ورغم ظهور فرقة القرائيين في بداية القرن الثامن الميلادي فهناك محاولات للرجوع بأصول الفرقة إلى فترة مابين العهدين، حيث يعتقد بعض العلماء أن الفرقة التي اكتشفت من خلال وثائق البحر الميت لها تأثير في ظهور الفرق اليهودية المتأخرة التي تبلورت في النهاية في فرقة القرائيين، فقد لاحظ المتخصصون في وثائق البحر الميت أن هناك تشابها في الاعتقادات بين الفرقتين من أهمها التركيز على العهد القديم كمصدر للتشريع، ورفض التشريع الشفوي، والاهتمام بفكرة المسيحانية، ونهاية الأيام وإعطاء علامات لهذه النهاية، وقدوم المسيح لتحقيق خلاص

---

[١] يوسف عيد، الديانة اليهودية، ص٨١.

[٢] نفس المرجع، ص٨١

إسـرائيل، والنظـر إلى أحـداث ماضـية ولكنهـا إرهاصـات لأحـداث مـستقبلية، والاعتقاد في أن هذا هو الإيمان الموسوي الصحيح وفيما عداه هو الضلال.

وهنـاك في نفـس الوقـت بعـض الاختلافـات الجوهريـة بـين الفـرقتين مـن أهمهـا الثنائية التي اعتقـدتها فرق البحر الميـت والـتي قـسمت العـالم إلى عـالمين عـالم الخير وعالم الشر، أو عالم النور والظلمة الخاضـعين للقـدر الـذي لا يـتغير والميـل الـشديد إلى السرية والغمـوض في اللغـة والـضيق في الأسـلوب العـبري وكـذلك نظـام الرهبنـة الذي كان عليه إتباع فرقة البحر الميت. وقد انتهى الـرأي في العلاقـة بين الفـرقتين إلى اعتبارها حلقتين غير متصلتين في تاريخ المعارضـة الدينيـة اليهوديـة لليهوديـة التقليديـة أو الأرثوذكسية الحاخامية كما أصبحت تعرف فيما بعد. وانه لا توجد علاقة مباشـرة بين الفرقتين أو تأثير مباشرة مـن الفرقـة الأقـدم علـى الأحـداث فالفرقتـان منفـصلتان ومستقلتان وإن اتفقنا في سمة أساسية وهي معارضة اليهودية التقليدية.

وتعود التـسمية الفـراءون إلى القـرن التاسـع الميلادي، كمـا سميـت الفرقـة أيـضا بالعنا نية نسبة إلى مؤسس الفرقة "عنان بـن داود" ومـن العوامـل الـتي أدت إلى ظهـور الفرقة في القرن التاسع الميلادي تطور بعض الاتجاهات الدينية غير التقليدية بـين يهـود بابـل وفـارس، وظهـور الإسـلام وتغـييره للوضـع الـديني في الـشرق الأدنـى القـديم وتأثيره المباشر على اليهودية والمسيحية والـتغيرات الدينيـة والاقتـصادية والاجتماعيـة والسياسية التي طرأت على الشرق بأكمله نتيجة ظهور الإسـلام وانتـشاره، وكـذلك تـذمر الطبقـات اليهوديـة الفقـيرة اجتماعيـا واقتـصاديا لبعـدها عـن المراكـز اليهوديـة وبخاصة في بابل [1]. وقد استوعبت فرقة القرائين بعـض الفـرق اليهوديـة الـتي تـأثرت بالإسلام مثل "العيسوية "الـتي أسسها أبـو عيـسى الأصـفهاني و " اليودجانيـة " الـتي

---

[1] حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص٢٤٨.

أسسها يودجان تلميذ أبي عيسى الأصفهاني، وكلاهما ادعى النبوة في القرن الثامن الميلادي.وقد تأثرت الفرقة الأخيرة بفرقة المعتزلة الإسلامية ودخل أتباعها في فرقة القرائين بعد ظهورها . وتنسب إلى اليود جانية فرقة الموشكانية. وقد اعترفت هذه الفرق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث إلى العرب وليس إلى بني إسرائيل [1] .

وقد انضوى تحت لواء فرقة القرائين فرقا يهودية أخرى مثل بعض الصدوقيين من بقايا عصر ما قبل التلمود، والبوثوسيين وغيرها من الحركات الدينية المضادة لليهودية التقليدية. ويعود القراء ون بأصولهم إلى عصر يروبعام في بداية انقسام الإسرائيليين إلى مملكتين بعد موت سليمان عليه السلام في القرن العاشر قبل الميلاد وظهور الصدوقيين أتباع صادوق [2]. أما المصادر الحاخامية التقليدية فترد ظهور القرائين إلى عنان بن داود وطموحه وحقده على أخيه حنانيا الذي اختير رأسا للجا لوت. وقد خلط القراء ون في عقيدتهم بين مفاهيم يهودية قديمة خارجة على التراث التلمودي وبين بعض التعاليم الإسلامية التي أخذت مباشرة من الإسلام، ومن بعض الفرق الإسلامية [3].

ومن أهم وجوه التأثر الإسلامي الهجوم على الاتجاه ألتشبيهي " الأنثرويومورفى" السائد في اليهودية وبخاصة في الآجادا، وفى الأدب الصوفي اليهودي حيث يوصف الإله بصفات إنسانية خالصة أو تشبيه الإله بالإنسان " المشبهة". ومن أهم عقائد القرائين اعتبار العهد القديم مصدر الوحيد للدين والتشريع وذلك بالاعتماد على المعنى الحرفي للنص، والاستخدام العادي للألفاظ

---

[1] نفس المرجع، ص٢٤٨.

[2] حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص٢٥٠.

[3] نفس المرجع، ص٢٢٥٠.

والسياق وبالتالي رفض التأويل.أما التراث الشفهي فاستخدامه محدود وفرعي إلى حد كبير مثل الحالات التي يكون فيها مهما لتطبيق الشرائع والأحكام [1] التي يتضمنها النص ولتوضيح الغامض فيه أو لتعويض النقص في التفاصيل الدقيقة للأحكام . ويسمح القراؤون رغم الالتزام بحرفية المعنى بحرية دراسة العهد القديم ويمكن تغيير الآراء السابقة من خلال المعرفة والضمير حسب مقولة عنان "ابحث بعمق في التوراة ولا تعتمد على رأي[2] " إذ لا توجد قيود على الفهم الفردي الحر للكتاب "المقدس " والمبنى على العقل ويمكن الحكم على هذا المنهج القرائى في التعامل مع الكتاب "المقدس" بأنه منهج مأخوذ من الإسلام حيث الاعتماد على العقل في فهم النص وعدم وضع قيود على حرية الفرد في استخدام القرآن الكريم وتفسيره طالما توفرت المعرفة اللازمة لذلك وهو نتيجة أساسية من نتائج عدم وجود كهنوت في الإسلام يكون مسئولا عن استلام القرآن وتفسيره كما هو حال في المسيحية وفي اليهودية الحاخامية.

وقد وضع القراء ون معايير لاستنباط الأحكام شبيهة بالمعايير الإسلامية ومنها الأخذ بالمعنى الحرفي للنص، والأخذ بإجماع الأمة والأخذ بالقياس المعتمد على المنطق، والاعتماد على المعرفة العقلية أو الحكمة. وهى تشبه مصادر التشريع في الإسلام: الكتاب والإجماع والقياس وتختلف عنها في عدم الأخذ بما يقابل السنة عند المسلمين وهو التراث الشفهي الرئيسي وهو الخلاف الرئيسي مع الفرقة الحاخامية وتتكون عقيدة القرائين من عشرة أركان أساسية[3] :

---

[1] يوسف عيد، الديانة اليهودية، ص٨١.

[2] نفس المرجع ، ص٨١.

[3] انظر احمد شلبي، اليهودية، ص٢٢٣، وانظر حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص٢٥٠ وما بعدها.

١.أن الله هو خالق العالم الطبيعي والروحي في الزمان ومن العدم ، وأن الله خالق غير مخلوق.

٢.أن الله واحد بلا كيف، وليس كمثله شيء، منفرد ولا جسم له ومطلق في وحدانيته. وأن الله أرسل موسى عليه السلام (الاعتقاد في النبوة والأنبياء).

٣. أن الله أرسل التوراة من خلال موسى عليه السلام والتي تشتمل الحقيقة الكاملة ولا تكلمها أو تنسخها أي شريعة أخرى وبخاصة الشريعة الشفوية التي يعترف بها الحاخاميون. وأنه على كل مؤمن أن يعرف التوراة في لغتها الأصلية، وفي معناها الصحيح.

٤. أنه أوحى بنفسه إلى الأنبياء الآخرين وإن كانوا أقل من موسى عليه السلام في النبوة. وأن الله سيبعث الموتى في يوم الحساب. وسيجازي كل إنسان حسب طريقة حياته وأفعاله (ويشمل هذا على الفردية وحرية الإرادة وخلود الروح وعدالة الثواب والعقاب في الآخرة).

٥. أن الله لا يحتقر المنفيين بل هو يطهرهم من خلال شقائهم ومعاناتهم في المنفى وهم يتطلعون إلى الخلاص الإلهي من خلال المسيح المخلص من بيت داود، وترفض بعض فرق القرائين عقيدة المسيح المخلص ". أما عن علاقة القرائين بالحاخامين فقد كانت دائما علاقة كراهية وحقد بين الفريقين وذلك بسبب الرفض ألقرائي للتلمود وكل المرويات الشفوية التي يعترف بها الحاخاميون وكذلك إقرار القرائين بأن عقيدتهم هي العقيدة الموسوية الأصلية الصحيحة.الخالية من تحريفات الحاخاميين، وقد حكم سعديا الفيومي على القرائين بالهرطقة واعتبرهم خارجين على اليهودية.

وقد خفف موسى بن ميمون من حدة حكم سعديا الفيومي وذلك من خلال رأيه في ضرورة معاملة القرائين باحترام وتقدير وتواضع ورقة طالما أنهم لا يسبون

السلطات التلمودية.ويمكن الاختلاط بهم ودخول بيوتهم، وختن أطفالهم ودفن موتاهم وتقديم العزاء[1]، لهم أما الموقف الحاخامي التقليدي من القرائين فهو يحرم الزواج منهم ويعتبره زنا والأطفال الناتجين عن هذا الزواج غير شرعيين وتخرجهم من الانتماء إلى الاختيار الإلهي ويعتبر ألقرائي عند ألحاخامي مرتدا عن الدين ودخوله في المذهب الحاخامي مرفوض.

وقد اعتبرهم بعض الحاخاميين من الأغيار " الجوييم " أي أنه ليس يهوديا "[2]، وتطبق عليه شروط التعامل مع الجوييم في الطعام والشراب والمعاملات المالية وقد أختلف في مسالة إقراضهم المال بين منع إقراضهم بالربا والسماح به واعتبروا غير طاهرين عند فريق من الحاخاميين ولا يصح تعليمهم التوراة أو قراءتها في نسخة كتبها الحاخاميون[3].أما عن التأثير الثقافي الإسلامي في فرقة القرائين فيظهر في عدة أمور منها:

١. الأخذ بمصادر التشريع في الإسلام. وترصد بعض المصادر هذا التأثير إلى تأثر عنان بن داود بالإمام أبي حنيفة. ورفض الأخذ بالتلمود وبالروايات الشفوية ربما يعود إلى تأثير شيعي كما تعتقد بعض المصادر الأخرى.

٢. قرب التقويم ألقرائي من الإسلامي وبخاصة في الاعتماد على الحساب القمري.[4] والالتزام بالمعنى الحرفي ورفض التأويل في تفسير النص[5].

---

[1] انظر احمد شلبي ، اليهودية، ص٢٢٣.

[2] نفس المرجع، ص٢٢٣.

[3] انظر احمد شلبي، اليهودية، ص٢٢٤، وانظر حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص٢٥١وما بعدها.

[4] انظر احمد شلبي، اليهودية، ص٢٢٤، والملل والنحل للشهرستاني،ج٢، ص٥٤.

[5] انظر الملل والنحل للشهرستاني، هامش الفصل في الملل والنحل لابن حزم ص٥٧- ٥٩.

٣. رفض التشبيه في الألوهية ووصف الإله بصفات إنسانية.
٤. التأثر بالمعتزلة في الاعتماد على العقل.
٥. التأثر بالموقف الإسلامي من المسيح عليه السلام وقبول كونه مصلحا لشريعة موسى عليه السلام.[١] والاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإن أقر معظمهم بأنه نبي مرسل إلى العرب وليس إلى بنى إسرائيل. والامتناع عن شرب الخمور.
٦. العداء للصهيونية الحديثة لاستيلاء الحاخاميين على المقدسات.[٢]

المطلب السابع
الحركات الدينية
الدينيةاليهودية المعاصرة

المقصود بالحركة هو الاتجاه إلى التغيير، فالحركة الدينية إذن هي محاولة لإحداث بعض التعديلات في بعض المفاهيم الدينية لكي تناسب تفكيرا أيديولوجيا معينا. ومن الشروط الواجب توافرها في الحركة الدينية أن يكون لها برنامج ديني محدد تسعى إلى تطبيقه ونشره بين أبناء المجتمع .

وهذا البرنامج الديني يستند بالضرورة إلى نظام فكرى يتمثل في عدد من المبادىء النظرية. والحركة الناجحة هي التي تجمع بين الجانبين النظري والعملي، وتوائم بين الفكر والتطبيق فلا تكن حركة مثالية لا وجود لها في الواقع أو حركة لها دعوة عملية لا تقوم على فكر نظري قويم فالبرنامج الديني الذي تدعو إليه الحركة لا بد وأن يقوم على رؤية جديدة، أو فلسفة خاصة هي محور الحركة الدينية والسبب في قيامها.

---

[١] انظر الملل والنحل للشهرستاني، ج٢، ص٥٤.
[٢] نفس المصدر .

وهذه الرؤية الجديدة هي التي تحدد مكان الحركة في الفكر الديني النابعة منه. وإذا نظرنا في طبيعة الحركات الدينية لأدركنا أن الحركات الدينية تنقسم إلى عدد من الأنماط والأشكال الدينية التي تختلف فيما بينها في الشكل والمضمون، وفي القصد الذي تهدف إليه، والغرض الذي نشأت من أجله. وهذه الأنماط نجدها في كل الحركات التي تسعى التغيير، دينية كانت أو غير دينية، ويمكن حصر هذه الأنماط في ثلاثة [1]:

١- النمط المحافظ التقليدي:

بطبيعة الحال لا يسعى أصحاب هذا النوع من الحركات إلى إحداث أي تغيير في المفاهيم الدينية الموروثة. ونذكره هنا على أنه النمط الذي تتحرك حوله بقية الحركات، وتتخذه محورا لفكرها تحدث فيه ما تراه من تعديلات تناسب ما تدعو إليه من عقيدة، وهو في نفس الوقت الأصل الذي تتفرع عنه الحركات الدينية، التي تضطر إلى اتخاذ موقف من هذا الأصل فتقبله أو تغير منه على حسب رؤيتها الجديدة ونظرتها إلى ما يتضمنه هذا الأصل من عقائد.

ويطلق على هذا النمط التقليدي الموروث العقيدة الأرثوذكسية المعبرة داخل كل دين عن الصورة الأصلية التقليدية لهذا الدين. والمعارضة لكل المحاولات من تجديد أو إصلاح، وإن سمحت بهما ففي حرص وحذر شديدين وقد انتشر استخدام مصطلح الأرثوذكسية الموائمة بين عقيدتهم، وضروريات العصر أطلق عليها اسم "الأرثوذكسية الجديدة" التي تحاول التعديل من نفسها بما يجارى التغيرات الطارئة ويساير العصر ولكن في حدود ضيقة جدا.

٢- النمط التجديدي:

وهذا النمط الذي يحاول شرح الدين أو العقيدة الأصلية شرحا عصريا وتفسيرها

---

[1] انظر اسماعيل الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، ص٣٩ وما بعدها.

تفسيرا يتناسب مع الظروف الزمانية والمكانية ، ويحاول البحث عن حلول للمشاكل الناجمة عن التفاعل بين الدين والبيئة في حدود الزمان والمكان المناسبين.

٣- النمط الإصلاحي:

من فلسفة هذا النمط أنه الذي يحاول إدخال كثير من التعديلات على العقيدة الأصلية ، وأن اضطره هذا إلي التخلي عن الأفكار التقليدية الموروثة إن أثبتت عدم جدواها وقد يكون هدف الإصلاح تنقية العقيدة الأرثوذكسية مما دخلها من عناصر غريبة والعودة إلى حالتها الأولى. وقد يكون الهدف من الإصلاح هو التجديد. ومسايرة العصر بالتخلي عن العقائد التي تقف عقبة في سبيل تحقيق هذا الهدف ، وأما من حيث الحركات الدينية اليهودية المعاصر فتتمثل في :

أولا:الحركة اليهودية الأرثوذكسية:

وإذا طبقنا هذا الأنماط الثلاثة للحركة الدينية على الواقع الديني المعاصر في الفكر اليهودي لوجد هذه الأنماط الثلاثة موزعة على النحو التالي [1]: ويتمثل النمط التقليدي المحافظ : في الديانة اليهودية التقليدية والأرثوذكسية الجديدة المتطورة عنها.وقد شاع استخدام مصطلح الأرثوذكسية بعد ظهور الحركة الإصلاحية في غرب أوربا ، وكان استخدام هذا الاسم تعبير عن المعارضة من جانب اليهودي الأرثوذكس للتغيرات التي ادخلها الإصلاحيون على العقيدة اليهودية والجماعة المتشددة من الأرثوذكس اليهود.

وهم يهود شرق أوروبا ترفض كل المحاولات التجديد والإصلاح في أي جانب من جوانب الحياة اليهودية ، وبخاصة الحياة الدينية ، بينما اتجهت الجماعة الأرثوذكسية في غرب أوربا سياسة الحفاظ على الحياة اليهودية التقليدية في الوقت الذي لا يرفضون فيه الثياب الأوروبية والتعليم العام واستخدام اللغة الدارجة التي

---

[1] انظر اسماعيل الفاروقي ، الملل المعاصرة في الدين اليهودي ، ص٤٠ .

يتحدث بها أهل البلد الذي يقيمون فيه إلى غير ذلك من المظاهر العامة للحياة، والتي لاتمس صلب العقيدة اليهودية، أو تضر بأي مبدأ من مبادئها وقد أدى هذا إلى تطوير عقيدة الأرثوذكس في شكل مخالف للنمط التقليدي المحافظ. مما دعا البعض إلى إطلاق مصطلح "الأرثوذكسية الجديدة" على هذا النمط الجديد المتطور عن الأرثوذكسية التقليدية [1].

فالحركتان تختلفان في أن الأرثوذكسية الجديدة قبلت بعض التغيير في الديانة أبعدها قليلا عن أصولها القديمة. ومن الطريف أن طائفة "الإصلاحيين" هم الذين استخدموا مصطلح الأرثوذكس ليعرفوا به التقليديين من اليهود والأتقياء منهم [2] ومع ذلك فقد قبلت الجماعة اليهودية التقليدية هذا الاصطلاح لكي يعرفوا به، وتم استخدام هذا الاصطلاح لأول مرة في إحدى المجلات الصادرة في برلين عام ١٧٩٥م. ومن المعروف أن الاصطلاح مستعار من المسيحية، وربما كان من الخطأ إطلاقه على جماعة يهودية ففي المسيحية نجد أن كلمة أرثوذكسية تعني "الاعتقاد الصحيح" وهي تنطبق على المسيحية، حيث تلعب العقيدة دورا هاما في نظام الإيمان المسيحي. وتعتبر الأرثوذوكسية الجديدة نتيجة من نتائج الصراع بين اليهودية التقليدية واليهودية الاصطلاحية، فقط اضطرت الديانة اليهودية إلى تقديم بعض التنازلات لمسايرة العصر الحديث. وكانت النتيجة في النهاية ظهور الأرثوذوكسية الجديدة في ألمانيا وهي ليست في حقيقة الأمر شيئا جديدا على الديانة اليهودية فقد سبق ظهورها من قبل بين يهود العالم العربي.

ويهود أسبانيا في العصور الوسطى، ولذلك فهي بعث للنظام الديني الذي ساد بين

---

[1] نفس المرجع، ص٦٢ بتصرف.

[2] نفس المرجع، ص٦٣ بتصرف.

يهود العالم الإسلامي ، وهو نظام قد تطور نتيجة لاشتراك اليهود في الحياة العامة. ومن هنا فقد حاولت مسايرة العصر ، وعدلت عن بعض مبادئها التقليدية تحت تأثير الحياة الفكرية وتتمسك الأرثوذوكسية الجديدة بكل المفاهيم الرئيسية للديانة اليهودية والتراث اليهودي ، وتعتقد الوحي كمصدر للشريعة اليهودية كما أنها تتمسك بكل العادات والتقاليد اليهودية [1] .

ثانيا: الحركة اليهودية الإصلاحية:

يتمثل النمط الاصطلاحي في الحركة الدينية اليهودية المسماة باليهودية الإصلاحية. وقد كان ظهور هذه الحركة استجابة للحقوق التي منحتها الثورة الفرنسية ، والفرصة التي سنحت لاشتراك اليهود في المجتمع الأوروبي. وقد رأى أصحاب هذه الحركة أن على اليهود أن يدخلوا بعض الإصلاحات على الديانة اليهودية الأرثوذوكسية ، وتغيير بعض العادات والتقاليد اليهودية لمواجهة التحديات التي يفرضها العصر الذي يعيشه اليهود. ومجابهة التغير الذي يطرأ على المجتمع عامة.

ومن التعديلات التي سنتها هذه الحركة تقصير الصلاة اليهودية ، واستخدام اللغة الدارجة لغة للحديث ، بل وسمحت باستخدامها في الخطب والمواعظ الدينية ، وهجر التابعون لهذه الحركة كثيرا من العادات اليهودية ، وانشقوا على كثير من السنن التي سنها التلمود.

وقد تبلورت الحركة الإصلاحية بشكل خاص في أمريكا التي انتقل إليها نشاط الإصلاحيين ، وقد آمن أصحاب الحركة في أمريكا بضرورة أن تستجيب اليهودية لمطالب العصر ومواقف الحياة المختلفة ، فتغير من نفسها ، وتصبح من المرونة بحيث تتمكن من مسايرة العصر ومطالبه. وفي عام ١٨٦٩ انعقد في مدينة فيلادلفيا أول

---

[1] انظر اسماعيل الفاروقي ، الملل المعاصرة في الدين اليهودي ، ص٦٤ .

مؤتمر لوضع أسس الدعوة الإصلاحية، وقد تمخض هذا المؤتمر عن عدد من القرارات أهمها[1]:

١- التأكيد على فكرة رسالة إسرائيل التي تتضمن الاعتقاد في أن الله شتت اليهود لهدف الهي، وهو نشر عقيدة التوحيد والأخلاق التوحيدية في العالم. ولهذا فالشتات ليس عقابا على الخطايا، ولكنه وسيلة لتنفيذ وتحقيق هذه الرسالة الإلهية.

٢- التأكيد على أن اللغة العبرية لغة مقدسة يجب نشرها، ولكن لا ضرورة لاستخدامها في المعابد نظرا لظروف الحياة اليهودية في أمريكا. فالعبرية ليست مفهومة لدى الإنسان اليهودي، ولهذا فاستخدام اللغة الدارجة يمكن هذا الإنسان من فهم الصلاة، فالعبادة بدون فهم لا روح لها.

٣- استبدل الاصلاحيون الأمريكيون عقيدة البعث بعقيدة خلود الروح.

٤- أبطل الاصلاحيون كل الفوارق بين الكهنة واللاويين والاسرائليين كما شرحوا الإشارات الواردة في الأدب الديني بخصوص نظام الكهنوت وعقيدة التضحية على أنها من الآثار التربوية للماضي، بمعنى أن قيمتها تاريخية بحتة ولا داعي لاستمرارها.

وغير المؤتمر أيضا القوانين اليهودية الموروثة والخاصة بالزواج والطلاق والقوانين الأسرية، أو ما يتعلق بالأحوال الشخصية منها مثل: الأرملة التي ليس لها أولاد من زوجها الميت تستطيع دون أن تنفذ الطقس الخاص بخلع النعل (التثنية ٧- ١٠) والمرأة المقيدة التي اختفى زوجها دون أن يترك أثرا تستطيع الآن الزواج. وقد كان التلمود قد حرم عليها الزواج وغيرها من الحالات[2]. وانعقد في عام ١٨٨٥ مؤتمر

---

[1] انظر اسماعيل الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، ص٦٢.وحسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ٢٦١ - ٢٦٢بتصرف.

[2] انظر اسماعيل الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، ص٦٢.وحسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ٢٦١ - ٢٦٢.بتصرف.

آخر في مدينة " بستبرج " يضم تسعة عشر من حاخامات الطائفة الإصلاحية. وقد صدر عن هذا المؤتمر مجموعة من القرارات وضحت موقف الحركة الإصلاحية، وحددت برنامجها الديني وتتضمن هذه القرارات [1] :

١. الاعتراف بأن كل الأديان تحاول الوصول إلى الحقيقة الإلهية، وان كان كل كتاب مقدس في أي نظام يوحي بهذا الشعور تجاه الله. وان اليهودية تقدم فكرة الألوهية في أحسن صورها، كما يوحى بهذا الكتاب المقدس، وكما طورت على يد العلماء بما يتفق والتقدم الأخلاقي والفلسفي في عصورهم المختلفة. وقد حفظت اليهودية فكرة الألوهية كفكرة دينية رئيسية، وقدمتها للعالم كله من خلال التوراة والكتابات الأخرى المقدسة.

٢. الاعتراف بأن الكتاب المقدس قد كرس الشعب اليهودي، وجعل منه كاهنا للإله الواحد، وأن الاكتشافات العلمية الحديثة في مجال الطبيعة والتاريخ ليست معادية لتعاليم اليهودية وعقائدها، والاعتراف بان الكتاب المقدس يعكس الأفكار البدائية لعصره، ويقدم عقيدة العناية الإلهية والعدالة في روايات اعجازية [2] .

٣. الاعتراف بأن التشريع الموسوي نظام لتدريب الشعب اليهودي لتأدية رسالته خلال حياته القومية في فلسطين وقبول القوانين الأخلاقية منه فقط، والمراسم التي تقدس وترفع من شان حياتنا، ورفض كل ما لا يتناسب مع آراء الحضارة المعاصرة وتقاليدها.

٤. الاعتقاد في أن كل القوانين الموسوية والحاخامية، مثل قوانين الطعام والطهارة الكهنوتية والثياب، كل هذه قد نشأت في عصور قديمة وتحت تأثير أفكار غريبة على

---

[1] انظر اسماعيل الفار وقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، ص٩٤- ٩٧، بتصرف.

[2] انظر اسماعيل الفار وقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، ص٩٤- ٩٧، بتصرف.

حالتنا الروحية والفكرية المعاصرة، ولذلك لا يحس اليهودي بروح الكهنوتية .

٥. تصورها القوانين، وممارستها في العصر الحاضر لا تساعد على الرفع من شأن الحالة الروحية للإنسان المعاصر.

٦. الاعتراف بان العصر الحاضر عصر حضارة عالمية، وعصر تحقيق أمل إسرائيل الخلاصي في إقامة مملكة الحق والعدالة والسلام لكل البشر. وان اليهود ليست امة ولكنهم جماعة دينية — ولهذا السبب لا يجب توقع العودة إلى فلسطين أو نظام عبادة يدير نسل هارون، ولا يجب إسترداد أي قانون خاص بالدولةِ اليهودية .

٧. اليهودية ديانة تقدمية تحاول أن تكون على اتفاق مع العقل، وجيب الاحتفاظ بالعلاقة التاريخية التي تربطنا بتراثنا، وتقدير المسيحية والإسلام (كأديان نابعة عن اليهودية) في نشر التوحيد والحقيقة الأخلاقية. الاعتراف بأن الروح الإنسانية للعصر حليفنا لإنجاز رسالة، ولهذا فنحن نمد يد التعاون إلى من يتعاون معنا في إقامة عصر الحقيقة والبر بين الناس .

٨. تأكيد الاعتقاد بأن روح الإنسان خالدة، وعدم الاعتراف بالبعث الجسدي ورفض الجنة والنار.

٩. ضرورة الاشتراك في مهمة العصر الحاضر، وحل المشاكل الناجمة عن شرور النظام الاجتماعي، وهذا يتفق مع روح التشريع الموسوي الذي يسعى لتنظيم العلاقة بين الغني والفقير .

وبالإضافة إلى هذه القرارات الهامة التي حددت طبيعة الحركة الإصلاحية وعلاقتها باليهودية رفض الاصلاحيون الحركة الصهيونية، كما ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أن رفض الإصلاحيين لفكرة الصهيونية سببه الأول الثورة العالمية التي اتسم بها فكر الحركة الإصلاحية، كما يظهر ذلك في اعترافها بالأديان الأخرى، والكتب المقدسة لهذه الأديان، وقبولها للحضارة العالمية ونظرتها إلى اليهود كجماعة يمكنها

التعايش مع الآخرين.

وكل هذه آراء تعارض النزعة العنصرية إلي سادت الفكر الصهيوني ومن أهم الموضوعات التي اختلف عليها الاصلاحيون والصهاينة موضوع طبيعة الخلاص. فالنزعة العالمية التي سيطرت على فكرة الإصلاحيين جعلتهم يفسرون الخلاص تفسيرا يتناسب ونظرتهم العالمية. فأصبح الخلاص عندهم خلاصا عالميا هدفه البشرية ككل، واعتبروا اليهودية ديانة عالمية، وتعارض هذا من ناحية أخرى مع الصهيونية التي اعتبرت اليهودية ديانة قومية.

وقد عبر إسحاق وايزمن رأي الإصلاحيين بقوله " إننا يهود بالدين فقط " ويقصد من ذلك أن اليهودية كديانة لا يمكن ربطها بأي قومية سياسية[1] . وعلاوة على هذا دعا الاصلاحيون إلى المساواة والأخوة العالمية ولعل هذا هو السبب في أن أمريكا كانت الأرض الخصبة التي ازدهرت فيها حركة الإصلاحيين فقد جسدت أمريكا الإصلاحيين فكرة الخلاص العالمي، الذي يقوم على المساواة والأخوة بين البشر. ولهذا كانت أمريكا صهيون الإصلاحيين كما أن واشنطن كانت بالنسبة لهم أورشليم تماما كما اعتبر أسلافهم في ألمانيا برلين أورشليم الجديدة [2] . وبعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في ١٨٩٧ م واتضاح الأهداف القومية الصهيونية، اضطر الاصلاحيون إلى تحديد موقفهم من الحركة الصهيونية ووصف إسحاق وايزمن الصهيونية بأنها من خلق الفطرة، أو الطبيعة اليهودية الشرقية، كما مثلها المهاجرون من يهود شرق أوربا إلى أمريكا.

---

(١) انظر اسماعيل الفار وقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، ص٩٥، وحسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ٢٦٦.

(٢) نفس المرجع ، ص٢٦٦ .

ويعني بهذا أن التفكير الصهيوني لا يخص العقلية اليهودية بشكل عام ولكنه من طبيعة اليهود الأوروبيين منهم فقط وفي المؤتمر الذي عقده المؤتمر المركزي للحاخامات الأمريكيين في مدينة "مونتريال" بكندا في نفس العام الذي انعقد فيه المؤتمر الصهيوني الأول أصدر المجتمعون القرار التالي فيما يختص برأيهم في الصهيونية: "نحن نرفض على الإطلاق كل محاولة لإقامة دولة يهودية فهذه المحاولات تبين الخطأ في فهم رسائل إسرائيل التي امتدت من نطاقها السياسي والقومي الضيق إلى نشر الدين العالمي الذي أعلنه الأنبياء اليهود بين أفراد الجنس البشري عامة. هذه المحاولات لا تفيد ان لم تضر إخواننا اليهود الذين يواجهون الاضطهاد، بتأييدهم افتراض أعدائهم بأنهم أجانب في البلاد التي اعتبروها موطنا لهم، والتي هم فيها من أقوى المواطنين ولاء ووطنية [1].

ثالثا: الحركة اليهودية المحافظة:

نجد أن النمط الثالث من الحركات الدينية — وهو النمط التجديدي يتمثل في حركتين يهوديتين معاصرتين. هما: الحركة "اليهودية المحافظة" وحركة "إعادة بناء اليهودية" والحركة اليهودية المحافظة حركة معقدة في تركيبها، ومع أن اسمها يدل على نمط تقليدي، وربما من الأولى وضعها تحت النمط الأول إلا أن مضمون هذه الحركة الباعث على التجديد يجعلنا نضطر إلى تصنيفها ضمن النمط الثالث. وتعتبر هذه الحركة مرحلة وسط بين الحركتين الأرثوذوكسية والإصلاحية فهي تقبل كل المفاهيم الدينية التقليدية، وتحاول فهمها فهما معاصرا. فهي لذلك تختلط بين القديم والحديث في محاولة للتوفيق بينهما. وقد كان "إسحاق ليزر" (١٨٠٦- ١٧٦٨) أول من نادى بهذه الدعوة في أمريكا وقد عرف ليزر الأرثوذوكسية بأنها ليست

---

[1] يوسف عيد، الديانة اليهودية، ص٨٦.

المعارضة الصارمة للتجديد. ولكنها في نفس.. الوقت لا تستسلم لمطالب أصحاب البدع الذين يحاولون أن يجعلوا من الديانة اليهودية شيئا يتغير كل يوم لكي يناسب كل مرحلة تاريخية. ومثل هذا الدين لا يعتبر دينا على الإطلاق طالما أن قاعدته الأساسية عرضة للتغير الدائم [1].

هذا في الوقت الذي اعتقد فيه ليزر أن التقدم العصري، وتبنى التجديد في العقيدة مقبول إذا ما ثبت شرعيته. وهذا لا يعد خروجا على الأرثوذوكسية ثم يوجه نقده إلى فريق الاصحلايين من اليهود بأنهم لا يكتفون بهذه النظرة ولكنهم يرغبون دائما في التغيير والتعديل، والتبديل الذي لا حدود له، والذي لا شك يضر بشكل الديانة اليهودية وطبيعتها. ويحاول أصحاب الحركة المحافظة في أمريكا الاحتفاظ العادات والتقاليد الدينية اليهودية ولكن في إطار حديث يتفق وأنماط السلوك الأمريكية[2]. وقد تحدد هدف الحركة على النحو التالي:

١- تنمية اليهودية في امريكا، والتمسك بالتراث اليهودي وضرورة اسمرار يته التاريخية.

٢- تأكيد الولاء للتوراة، والطاعة لوصاياها ومضمونها التاريخي.

٣- تطبيق قوانين السبت، والمحافظة على القوانين الخاصة بتحريم بعض أنواع المأكولات

٤- الاحتفاظ في الصلاة بالإشارة إلى الماضي الإسرائيلي، والأمل في استرداد إسرائيل

٥- الاحتفاظ بالشكل التقليدي للأدب الديني، والاحتفاظ باللغة العبرية كلغة

---

(١) انظر اسماعيل الفار وقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، ص٩٥، وحسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص٢٦٦.

(٢) يوسف عيد، الديانة اليهودية، ص٨٦.

للصلاة

٦- التأكيد على الحياة الدينية اليهودية داخل المنزل اليهودي

٧- تشجيع إنشاء المدارس الدينية اليهودية، وإعطاء اللغة العبرية والأدب العبري مكانة هامة في برامجها، كوسائل للفهم الصحيح لليهودية، وكصلة تربط المجتمعات اليهودية في العالم [1].

وتضمن هذا البند كذلك قبول كل العناصر الوفية للديانة التقليدية، ورفض العناصر التي تدعوا إلى إدخال البدع الدينية التي تغير من شكل اليهودية ورفض كل محاولات الإصلاح التي تنبع رواد اليهودية المحافظة عن بعض التحفظات ضد صهيونية هرتسل السياسية. فقد اعتقد بعضهم أن الصهيونية حلم رومانسي. وعبر البعض الآخر عن مخاوفه من الايدولوجية العلمانية التي تسعى إلى الصهيونية لنشرها. وهذا بطبيعة الحال مناف للنزعة الدينية التي تبنتها الحركة المحافظة، فقد شعر البعض بأن الطموح الصهيوني الخالي من الأفكار الدينية ربما يتطور إلى نزعة قومية متعصبة تهدد الديانة اليهودية [1].

هذا بالإضافة إلى أن الصهيونية السياسية التي تبناها " هرتسل " لم تكن تتفق مع عقلية سولومون شـشتر (١٨٤٧ – ١٩١٥) ، وهو المخطط الرئيسي لأيدلوجية الحركة المحافظة . فقد آمن " ششستر "بكفرة الوطن القومي اليهودي كمركز إشعاع متأثر في هذا بأفكار زعيم الصهيونية الروحية "آحادهاعم" . فالوطن اليهودي كما تصوره " ششتر " و "آحادهاعم" ليس ملجأ للمضطهدين من اليهود، ولكنه مركز حضاري روحي [2].

---

[1] انظر محمد خليفة ، مرجع سابق، تاريخ الديانة اليهودية، ص٢٢٨ .

[2] نفس المرجع، ص٨٨.

وقد أصبح " ششتر" فيما بعد من رواد الصهيونية الروحية، أن الصهيونية تمنع بشكل أو بآخر اندماج اليهود، وضياع شخصيتهم اليهودية، وهذا في رأيه خطوة في سبيل رفع الشعور اليهودي لدى العلمانيين من اليهود الذين يعودون إلى الديانة اليهودية عن طريق القومية، أو من خلالها.

وفي الوقت الذي يؤيد فيه " ششتر" الصهيونية لم يرفض الحياة اليهودية خارج فلسطين. أو ما يسمى بحياة المنفى فقد اعتقد " ششتر" في أن فلسطين " كمركز روحي ستكون بمثابة مصدر للشعاع الثقافي والديني، فتبعث بذلك الروح في الحياة اليهودية داخل وخارج فلسطين وهو في هذا يتفق تماما مع آراء " آحادهاعم" "[1].

وبصفة عامة يحاول أصحاب الحركة المحافظة بين الصفات التي تجعل من عقيدتهم مذهبا وسطا بين الحركات اليهودية المعاصرة، فهم يعارضون التعديل المتطرف للطقوس، والعقائد الدينية، ويسمحون ببعض التغييرات في الشريعة كالسماح مثلا باشتراك الرجل والمرأة في الصلاة. وبعض التغييرات في نظام الزواج والخطوبة، وهي تغييرات عارضها الأرثذوكس من اليهود. والرأي السائد الذي تفرضه المتغيرات الدينية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية، وقادرة أيضا على تطوير ثقافة دينية عصرية لها طابعها المميز.

رابعا: حركة إعادة بناء اليهودية

حركة إعادة بناء اليهودية هي نمط آخر من أنماط الحركات الدينية التجديدية، وهي حركة يهودية أمريكية دعا إليها " موردخاي كابلان " عام ١٩٣٤ م، ولها أتباع بين المحافظين الإصلاحيين والعلمانيين الذين لا يتبعون حركة بذاتها.

وحركة إعادة بناء اليهودية تطورت عن حركة اليهودية المحافظة. فقد كان مؤسسها " مورخاي كابلان " من اليهود المحافظين قبل أن يكون حركته الجديدة.

---

[1] انظر يوسف عيد، مرجع سابق، الديانة اليهودية، ص٨٨.

ودعوة كابلان هي أن اليهودية ليست مجرد ديانة يعتقد فيها، ولكنها حضارة دينية وهذا تعريف أشمل للديانة اليهودية. كحضارة دينية تشمل اليهودية التاريخ والأدب واللغة والنظام الاجتماعي، والأخلاق والمبادئ الروحية والاجتماعية والاهتمامات الفنية الذوقية، والتراث الشعبي إلى آخرة من مظاهر الحضارية المختلفة[1].

ووجه "كابلان" دعوته إلى التوفيق بين متطلبات الحياة الأمريكية والولاء لهذه الحضارة الدينية اليهودية، فعلى اليهودي في أمريكا أن يؤمن بالمبادئ العامة، والأسلوب الحضاري الأمريكي. بالإضافة إلى هذا يجب أن يساهم بنشاط مع غيره من اليهود في كل جوانب "الحضارة" اليهودية[2]. ويمكن حصر مبادئ حركة إعادة بناء اليهودية في النقاط التالية :

١- اليهودية ليست فقط ديانة ولكنها حضارة دينية [3].

٢- إن على اليهودي أن يتعلم كيف يجمع بين الحياة في حضارته التاريخية وحضارة البيئة التي يعيش فيها.

٣- الوحدة اليهودية تفوق الاختلاف والتنوع بين الجماعات اليهودية والناتج عن اختلاف بيئاتهم الجغرافية، وخلفياتهم الثقافية [4].

٤- تجديد العهد القديم الذي وحد بين اليهود والذي يجب انو يوحد الآن بين يهود إسرائيل ويهود العالم.

٥- ارض إسرائيل هي الموطن الروحي للعالم اليهودي، ومقر حضارته التاريخية.

٦- على اليهود خارج إسرائيل تكوين مجتمعات عضوية تعمل على تأكيد القومية

---

[1] محمد خليفة، تاريخ الديانة اليهودية، ص٢٢١ .

[2] نفس المرجع، ص٢٢٣.

[3] انظر حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ٢٦٨.

[4] نفس المرجع .

اليهودية والدين والثقافة.

٧- ضرورة بعث الروح الدينية من خلال الدراسة الحرة، وفصل الدولة عن الدين.

٨- بعث الديانة اليهودية يتطلب تفسير معنى الألوهية عالميا وفي ضوء التجربة اليهودية.

٩- استمرار الدين يتم بالمحافظة على مقدساته من نصوص. وأحداث تاريخية وأبطال وأماكن عبادة وأعياد.

١٠- التوراة والحضارة الدينية اليهودية شيء واحد، ولهذا فهي تتضمن كل التجارب الأخلاقية والثقافية والروحية للشعب اليهودي [1].

وهكذا تؤكد حركة إعادة بناء اليهودية على أن الدين صفة موروثة في مادة تشمل تلك لا يمكن فصل الدين عن الحضارة، على الرغم من أن الحضارة تشمل عناصر كثيرة غير دينية. ودعوة "كابلان" في أساسها دعوة احترام الطقوس الدينية التقليدية، والأسلوب الحضاري للحياة اليهودية. وقبول التنوع في الفكر الديني، وتوسيع مفهوم التوراة ليشمل الثقافة الأخلاقية وإثراء الحياة الدينية وتنمية الإبداع الفني الجمالي. ومن الواضح أيضا الميول الصهيونية لهذه الحركة، وان اتخذت خطا يوافق فكر الصهيونية الروحية، واعتبار ارض إسرائيل مركزا روحيا للحياة اليهودية في العالم.

---

[1] انظر حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ٢٦٨

الباب الثاني
الديانة النصرانية

الفصل الأول
الديانة النصرانية
نشأة وتاريخا

الفصـــل الأول
النصرانيـــة
المبحث الأول
مفهوم النصرانية ونشأتها
المطلب الأول
مفهوم النصرانية ونشأتها

تطلق النصرانية على الدين الذي أتى به عيسى الناصري ابن مريم عليهما السلام إلى بني إسرائيل منذ حوالي ألفي سنة ، ثم تحول على يد بولس إلى دين عالمي يعد الآن أكبر ديانة في العالم من حيث عدد المنتسبين إليها.وكلمة النصرانية إما أن تكون من النصرة كما يفهم من قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ }(1) .وقد تكون مأخوذة من الناصرة المدينة الفلسطينية التي عاش فيها المسيح عليه السلام. وسميت النصرانية باسم آخر هو المسيحية نسبة إلى المسيح عليه السلام وأطلق على أتباعها اسم المسيحيين.

والنصرانية هي التسمية التي استخدمها القرآن الكريم لأنها الأصوب والادق فالدين لا ينسب إلى من يدعو إليه ، والنصارى حالياً يتبعون لثلاث كنائس هي الكنيسة الكاثوليكية " الغربية " ومركزها روما والفاتيكان ، والكنيسة الأرثوذكسية " الشرقية " ومركزها القسطنطينية والإسكندرية وهي تمثل الأقباط والحبشة والأرمن وكنيسة أنطاكية وتركيا وروسيا وصربيـــة ، والكنيسة البروتستانتية الإنجيلية ، ليس لها مركز محدد وتعد بريطانيا حاملة لواء البروتستانتية ومن بريطانيا انتشرت في

---

(1) سورة الصف ، آية : ١٤.

أمريكا، وتجتمع هذه الكنائس على فكرة التثليث والخطيئة الموروثة التي أدت إلى فكرة الصلب والفداء مع اختلافها في تحديد طبيعة المسيح عليه السلام(١)

نشأة النصرانية:

كان القرن الثاني قبل الميلاد عصراً مضطرباً في تاريخ الرومان، وممتلئاً بالنزاع الداخلي، و قضى الرومان قرناً من الثورات والفتن والاغتيالات قبل أن يتمكن "أوغسطوس"٣٤ق.م ١٤م أن يجمع السلطة بين يديه، وكذلك اشتد النزاع منذ مطلع القرن الثاني قبل الميلاد بين التقاليد الرومانية وبين الفلسفة اليونانية الوافدة من أثينا إلى روما حيث كان الرومان قليلي الميل للتفكير النظري، وكان الدين قد أثرعلى عواطفهم منه على عقولهم وكانت فائدته عندهم في التراص الاجتماعي والسياسي الذي كان يجمعهم في الوطن الروماني الأب الجامع للرومانيين(٢).

وكان أبلغ المذاهب الفلسفية أثراً في حياة الرومانيين المذهب الأفيغوري والمذهب الرواقي، وقد اتجه المذهب الأول" الأفيغوري " نحو طلب اللذة ونحو المسالمة مما ساعد الرومانيين على شيء من الاطمئنان النفسي في عصر كثر فيه الاضطراب، لكنه اكتسب في البيئة الرومانية طابعاً أكثر مادية فكان تعلق الرومانيين بظاهر دعوته إلى اللذة أكثر من إدراكهم لحقيقة ما رمى إليه هذا المذهب من الاختيار بعد الموازنة بين السلوك الإنساني وبين ما يعقب ذلك السلوك من مقدار اللذة أو مقدار الألم.

أما المذهب الثاني وهو الرواقي فقد بدأ منذ نحو ١٥٠ق.م ومع أن هذا المذهب له صلة بالواقع الإنساني إلا أنه كان أوثق صلة بالتقاليد الرومانية لأنه أكثر تمسكا بالمبادئ واقل احتفالا بالميول العارضة ومع شيوعه قويت النزعة الدينية

---

(١) عرفان عبد الحميد، المسيحية، ص١.

(٢) عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ص ١٨١.

وخاصة في عهد أغسطس الذي ولد في عهده عيسى بن مريم عليه السلام، في بيت لحم من أرض فلسطين، حيث كانت آنذاك جزء من الإمبراطورية الرومانية. هذه هي البيئة العامة التي ظهرت فيها المسيحية على يد مؤسسها وداعيتها الأول يسوع الناصري عيسى بن مريم.

أما البيئة الخاصة لهذه الدعوة فهي البيئة اليهودية فالمسيح ولد يهودياً، ثم نشأ في بيئة يهودية كما يقول شارل جيني[1]. بيد أن أمة إسرائيل لم تكن قد واصلت الانعزال عن العالم الخارجي، فقد تأثرت بصلاتها المستمرة بالفاتحين الإغريق، يضاف إلى هذا تأثير وفود الحجيج إلى القدس في المواسم والأعياد، كل ذلك أدى إلى تشرب بني إسرائيل بالكثير من الأفكار الخارجية خلال القرون الثلاثة السابقة للتاريخ المسيحي. ويصف " جيمس هاستنكز " هذه البيئة اليهودية التي نشأت فيها النصرانية فيقول: " إن هذا المجتمع بدأ يتفلت من تطبيق القوانين والتشريعات التي جاءت بها التوراة، وان طقوس المعبد قد قوطعت بواسطة الوثنيين غير اليهود المسيطرين، وان المدينة المقدسة قد وقعت تحت حكم الأجنبي وانقطع الإحساس بالانتماء إلى يهوه.

هذا بالإضافة إلى أن الكثيرين لا زالوا يتطلعون إلى تلك الساعة التي تتحقق فيها الأحلام والرؤى القديمة ويعود إسرائيل ليأخذوا الإنصاف كشعب الله المختار وقيام مملكة الله المنتظرة !! ثم يتابع هذا الكاتب في دائرة معارف الأديان والعقائد التي كتبها: " في هذه الظروف المختلطة من الإيمان العنيد والمرارة الروحية والسحق الاجتماعي والعمى الديني والخلقي والهزيمة السياسية والآمال المعتمدة على الأحلام

---

(١) بني بيرني، المسيحية، ص٣٠.

والرؤى نشأ المسيح وترعرع [1] .

وبالنظر في هذا الوصف نجده وصفاً دقيقاً للمجتمع اليهودي الذي انحرف عن شريعة التوراة وابتعد عن تعاليمها السامية التي وصفها القرآن الكريم بقوله تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ}[2] .عندئذ أذن الله تعالى برسالة جديدة لمعالجة انحراف هذا المجتمع ورده إلى تعاليم ربه .

ويصف الأستاذ شارل جيني بير البيئة اليهودية فيقول : " ومن الجدير بالذكر أن اليهودية في عصر هوريدس الأكبر كانت غاية في التعقيد ظاهرها وحدة الجنس والعادات والتقاليد والدين وباطنها فرقة أصلية في صفوف أهل فلسطين الذين انقسموا إلى شعبين مختلفين فكريا وعقائديا.. وسبب هذا الانقسام سبي بابل ٥٨٦ق.م فقد كان سبيا للعائلات المعروفة وظل أهل الريف وعامة الشعب يمارسون دين إسرائيل القديم فظهر فرق واضح بينهم وبين أهل المهجر الذين تطوروا بسرعة وعندما عادوا لفلسطين جلبوا معهم هذه الروح الجديدة [3]. وبعد هذا الوصف الموجز للبيئة اليهودية فانه لابد من تخصيص شيء من الحديث عن بيئة إقليم الجليل الذي ابتدأت فيه النصرانية ، هذا الاقليم الذي يشكل الجزء الشمالي من أرض فلسطين ، هذا الإقليم كما وصفه الأستاذ جيني بير يمتاز بأمرين :

الأول: اهتمام أهله بالمسائل الدينية.

الثاني : الأمل لدى شعبه بظهور المعجزة الباهرة التي سوف يثاب فيها اليهود على تقواهم وتجعلهم ملوكا في الأرض. لقد كان الجو في ذلك الإقليم مهيئا لظهور نبي

---

(١) أحمد الحاج، النظرية من التوحيد إلى التثليث، ص ٣.

(٢) سورة المائدة، آية : ٤٤.

(٣) بير، المسيحية، نشأتها وتطورها، ص ٣٢- ٣٣.

جديد، فالشعب ينتظر المخلص، ولم يكن للأنبياء في ذلك العصر هناك سوى التبشير بقرب تحقيق الآمال فكان هذا الوضع مبدأ لقيام عيسى بالدعوة.

وأما رجال الدين في المجتمع اليهودي في تلك الفترة فقد شكلوا طبقتين: الأولى طبقة الاكليروس وهم خدمة المعبد القائمون عليه وهذه الطبقة تعمل على انتظام العبادة ولا تختص بدراسة أو تعليم شرع، والثانية طبقة الكتبة (فقهاء الشرع) يتنافس أعضاؤها على تحليل أوجه الكتاب المقدس المختلفة ويكثر بينهم الجدل حتى في البيضة التي تضعها الدجاجة في يوم سبت هل تعد بيضة طاهرة أو لا. وبالإضافة إلى اثر هذه الفرق على شرذمة الشعب اليهودي فهناك كذلك آثار المحن التي مر بها اليهود من ظلم الرومان لهم خلال القرون الأربعة التي سبقت ميلاد المسيح عليه السلام فكان هذا الشعب يستقي من هذه المحن تأييدا لأمل قديم، انه يترقب ويأمل بكل جوارحه مجيء المسيح الموعود الذي سوف تسترجع به امة إسرائيل ما عرفته من مجد أيام داود.

وعلى الرغم من فكرة الأمل في المسيح المنقذ المخلص المتغلغلة في أعماق التفكير اليهودي والمرتكزة على نبوءة أشعيا في العهد القديم: " ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدع اسمه عمانوئيل " ومعناها الله معنا[١] . على الرغم من ذلك فان المسيح عليه السلام عندما أعلن دعوته لم يجد استجابة ولا ترحابا في هذا المجتمع بل وقفت الأغلبية الساحقة تقاوم دعوته، يكيدون له إلى أن حكم عليه مجلسهم السفهدرين بالموت، لولا أن الله نجاه منهم. ولقد ظلت النصرانية أيام المسيح عليه السلام دعوة بسيطة واضحة مقتصرة على الشعب اليهودي تدعوهم إلى عبادة الله وحده والى إيقاف حالة الإغراق المادي التي انتشرت في المجتمع اليهودي فتدعوهم إلى الزهد والتواضع

---

(١) أشعيا، ٧/١٤.

والتسامح والتطلع إلى ملكوت الله وطلب الأجر والثواب من الله يوم القيامة يتجول المسيح – عليه السلام – في أوساط الشعب اليهودي يعظهم ويخاطبهم " طوبى للودعاء، فإنهم يرثون الأرض، طوبى للرحماء فإنهم يرحمون، طوبى لاتقياء القلوب، فإنهم يعاينون الله"(١). كما يتصدى للانحرافات التي كان يمارسها أحبار اليهود ورهبانهم ممن تسلطوا على المؤسسات الدينية وراحوا يشرعون ما لم يأذن به الله فيخاطبهم " ويل لكم أيها الكتبة والفرسيون لأنكم تقلقون ملكوت السماوات قدام الناس فلا تدخلون انتم ولا تدعون الداخلين يدخلون" (٢).

والتزم عيسى عليه السلام في دعوته القوم الذين بعث فيهم ونهى تلاميذه عن تغيير المسار " إلى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحري (كتابة الأشياء الثمينة التي يحملونها) إلى خراف بيت إسرائيل الضالة " لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة " (٣).

وهذه النصوص تؤكد خصوصية دعوة المسيح عليه السلام لشعب بني إسرائيل دون غيره يؤكدها كذلك القرآن الكريم حيث وصف المسيح عليه السلام بقوله: {وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}(٤).

---

(١) متى، ٥ / ١- ٤.

(٢) متى، ٢٣ /١٢.

(٣) متى ، ١٠ / ٥- ٦.

(٤) سورة آل عمران، آية : ٤٩

إلا أن الأمر قد تغير فدخل بولس ليغير مسار النصرانية ويتحول بها من دعوة سامية بسيطة روحية خاصة ببني إسرائيل إلى فكرة فلسفية معقدة جهلها تتأثر وتسير في فلك فلسفة وبيئة غربية عنهم هي البيئة الرومانية بفلسفتها اليونانية المتنوعة المعقدة.هذا الافتراق والخروج هو فكرة العالمية التي ادعاها بولس دون أن يستند على أي نص إنجيلي بل صرح في رسالته بقوله: " أنا أصغر القديسين أوتيت لقمة التبشير بين الأمم" [١]. وقد ذكر سفر الأعمال رؤيا بطرس التي رأى على إثرها أن يقبل المهتدين من الوثنيين واليهود على السواء، " لان موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضا " [٢] . وبولس الذي وصل إلى مرتبة القديسين في النصرانية، دخيل عليها وهو يهودي روماني يدعى شارل كان من ألد أعداء المسيحية يضطهد دعاتها إلا انه ادعى اعتناقه لها بعد قصة خيالية خارقة ذكرها سفر الأعمال [٣] . ومن خلال تنازلا ته الكثيرة والحرافه بالنصرانية عن مسارها يتبين لنا الهدف الخبيث من اعتناقه للنصرانية لا حبا لها وإنما محاولة لتخريبها من داخلها وفق خطة تلمودية مدروسة.

ويفصل سفر الأعمال عن حياة بولس، وقد أخذت أعماله الجزء الأكبر من هذا السفر فهو يتحدث فيه عن نفسه ويقول: " أنا رجل يهودي، ولدت في طرسوس كليكية، ولكن ربيت في هذه المدينة مؤدبا عند رجلي غمالائيل [٤] وغمالائيل من أحبار اليهود، عرفت مدرسته في القرن الأول الميلادي في القدس ويصرح بولس بيهوديته أمام الجميع فيقول: " أنا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم " وقد كان لبولس اثر كبير في تطور المسيحية وتغيير مسارها الذي وضعه المسيح عليه السلام .

---

(١) افسس ، ٣/٨.

(٢) الأعمال/ ١٠ : ٥٤.

(٣) الأعمال / ١/٩ : ٧ .

(٤) الأعمال / ٢ : ٢٣ .

يقول ول ديورانت " ولقد انشأ بولس لاهوتا لا نجد له إلا أسانيد غامضة اشد الغموض في أقوال المسيح، أما أسس هذا اللاهوت فاهمها أن كل ابن انثى يزن خطيئة آدم، ولا شيء ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته[1]. وادخل بولس إلى المسيحية طقوسا كثيرة وذلك تلاؤما مع تلك البيئة التي لا تتصور دينا دون طقوس.

ومن الطقوس التي أضافها بولس للمسيحية فكرة التطهر ومفهوم التضحية فقد أصبحت فكرة التطهر بالتعميد علامة الدخول بالمسيحية، وتضحية الرب بنفسه لأجل خطايا البشر توجد بين الأتباع وبين الهمم في نظرهم، وتبين أنهم جسم واحد أمامه ومن هذه الطقوس أكل الخبز جماعة والشرب جماعة. يقول بولس في إحدى رسائله " كأس البركة التي نباركها أليست هي تركة دم المسيح، الخبز الذي نكسره فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعا نشترك في الخبز الواحد "[2]، ومن الأفكار التي جاء فيها فكرة الخطيئة الموروثة التي لم تكن معروفة لدى اليهود فجاء بها بولس من الفلسفات الوثنية ومن الإضافات التي أضافها للمسيحية ما يلي:

١- نادى بعالمية المسيحية أي لكل الأمم ولو أدى الأمر إلى التساهل في بعض التشريعات

التي كانت تضايق الوثنيين كالختان والسبت وتحريم الخنزير، فأبطل الختان ونقل العيد

الأسبوعي ليوم الأحد ليوافق يوم الشمس عند الوثنيين وأباح أكل لحم الخنزير.

٢- أدخل المسيحية في تعقيدات الفكر اليوناني بعد أن كانت تتسم بالبساطة.

---

(١) ول ديورانت، قصة الحضارة: ج ١١، ص٢٥٤.

(٢) كورنثوس الأولى: ١٠/١٦- ١٧.

٣- أدخل فكرة الخطيئة الموروثة كما قلت سابقا، وهي أن كل إنسان مذنب منذ ولادته لأنه يعد وارثا لخطيئة آدم، وقد أرسل الله ابنه الوحيد إلى العالم ليكفر عن خطيئة الناس بموته على الصليب فداء لهم.

٤ - ادخل بولس عقيدة الكلمة (اللوجس) التي كان يقول بها فيلون اليهودي في الإسكندرية كما ادخل عقيدة التجسيد.إضافة إلى كثير من الاصطلاحات والطقوس التي ادخلها (بولس) للمسيحية ويتضح تاريخها الوثني وممارسة الوثنية لما يماثلها من قبل.

ويقول ديورانت: " إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها، ذلك أن العقل اليوناني المتحضر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها "[1]. ولقد تمكن بولس بدرايته السياسية وقدرته الابتكارية – تلك الصفة التي اكتسبها من يهوديته – أن يكون مسيحية جديدة على حساب عيسى عليه السلام وينشيء لها عقيدة لا تمت لعقيدة المسيح عليه السلام بصلة واستطاع أن يقنع الناس أن عيسى ابن الله.

ويقول " بيري " في كتابه " الأديان العالمية " : " لقد كون شارل المسيحية على حساب عيسى فهو في الحقيقة مؤسس المسيحية، وقد ادخل على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب إليه العامة منهم وادخل صورا من فلسفة الإغريق ليجذب إليه أتباعا من اليونان عيسى فأصبح ابن الله حملت به أمه العذراء حملا غير طبيعي واحتلت صورة العذراء والمسيح مكانا مقدسا احتلته قديما صورتان " حورس " و" اوزيريس "

---

(١) ول ديورانت، قصة الحضارة: ج ١١، ص ٢٥٧.

ووضعت في كل الكنائس"(١) . وهكذا فإن إضافات بولس للنصرانية قد ساعدت على نمو النصرانية نموا غير طبيعي، ولا شك في أنه قد أساء للنصرانية وشوه صورتها عندما أدخل إليها عقيدة التأليه والتثليث والنبوة والخطيئة والفداء.

المطلب الثاني
بولس والنصرانية

يرى النصارى أن سيدنا عيسى عليه السلام هو الذي أسس الديانة النصرانية، وأن المسيحية اليوم تقوم على تعاليمه، ولا شك في أن سيدنا عيسى عليه السلام قد بعث في بني إسرائيل، وعلمهم ديناً جديدا، غير أن البحث والتنقيب يؤكدان بما لا يدع مجالاً للشك أن الدين الذي دعا إليه، قد اندرس بعده بمدة قليلة، وحلت محله ديانة جديدة وتلك الديانة الجديدة هي التي نجدها اليوم باسم المسيحية بين أيدينا، بعدما مرت بشتى مراحل الارتقاء والتطور. وهذا يعني أن النصرانية المعاصرة، ليس مؤسسها هو سيدنا عيسى عليه السلام ، وإنما هو " بولس " الذي توجد له ١٤ رسالة في الكتاب المقدس.

وطفولة بولس وحياته في صباه لا يعرف عنها إلا القليل لكن سفر أعمال الرسل ورسائله تدل على أنه كان يهودياً فريسياً متشدداً، من قبيلة بنيامين، واسمُه الأصلي " شاول " يقول بولس في شأن نفسه، في رسالته إلى الفيلبيين: " من جهة الختان مختون في اليوم الثامن، من جنس إسرائيل، من سبط بنيامين، من جهة الناموس فريسي (٢) ". وكان من أهل مدينة " طرسوس " في روما، كما يدل عليه أعمال ٢٢ : ٢٨. وبعد هذه الإشارات المجملة إلى حياته البدائية نجد الحديث عنه أولاً في أعمال، ٧ : ٥٨ حيث جاء ذكره باسم " شاول " ثم جاء الحديث عن سيرته في

---

(١) لفيلبيون ،٣ / ٥ .

(٢) مقتطف من الخطاب الذي ألقاه بولس أمام الملك " أغريباس ".

ثلاثة أبواب من أعمال، بأنه كان عدواً لدودا لتلاميذ السيد المسيح وحواريه والمؤمنين به، وكان شغله الشاغل نيلهم بالأذى والاضطهاد والإبادة. لكنه فجأة ادعى أنه الموكل بنشر الديانة المسيحية فيقول: " فأنا ارتأيت في نفسي[1] ، أنه ينبغي أن أصنع أموراً كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصري، وفعلت ذلك أيضاً في أورشليم، فحبست في السجون الكثير من المقدسين، آخذاً السلطان من قبل رؤساء الكهنة، ولما كانوا يقتلون ألقيت قرعة بذلك، وفي كل المجامع كنت أعاقبهم مراراً كثيرة وأضطرهم إلى التجديف، وإذا فرط حنقي عليهم كنت أطردهم إلى المدن التي في الخارج ، ولما كنت ذاهبا في ذلك إلى دمشق، بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة .

ويستطرد قائلا... ورأيت في نصف النهار في الطريق أيها الملك نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق حولي وحول الذاهبين معي، فلما سقطنا جميعاً على الأرض سمعت صوتا يكلمني ويقول باللغة العبرانية : شاول ! شاول ! لماذا تضطهدني، صعب عليك أن ترفس مناخس، فقلت أنا: من أنت يا سيد ! فقال: أنا يسوع الذي أنت تضطهده، ولكن قم وقف على رجليك، لأني لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به، منقذاً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم، لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا، ونصيبا مع المقدسين ومن ثم أيها الملك " اغريباس " لم أكن معاندا للرؤيا السماوية[2]".

وزعم " بولس " أنه بعد هذا الحادث قد آمن بالرب يسوع المسيح، واستبدل اسمه " شاول " باسم آخر هو " بولس "، وفي الوقت المبكر لم يرض أحد من

---

(١) أعمال ٢٦ : ٩ — ١٩.

(٢) أعمال ٢٦ : ٩ — ١٩.

الحواريين أن يصدق بأن الرجل الذي ظل حتى اليوم عدواً لدوداً للمسيح وتلاميذه، كيف انقلب مؤمناً به مع الإخلاص غير أن الحواري الجليل برنابا بادر بتصديقه، فارتاح الحواريون الآخرون إلى تصديقه.

جاء في أعمال: " لما جاء " شاول " إلى " أورشليم " حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ، فأخذه برنابا، وأحضره إلى الرسل، وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق، وأنه كلمه، وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع، فكان معهم يدخل ويخرج في أورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع، وكان يخاطب ويباحث اليونانيين فحاولوا أن يقتلوه، فلما علم الإخوة أحدروه إلى قيصرية وأرسلوه إلى طرسوس[1]". وبعد ذلك بدأ بولس يكاتف الحواريين في التبشير بالنصرانية، حتى عد أكبر قائد لها. وبذلك يكون هو مؤسس العقائد والتصورات الأساسية للديانة النصرانية المعاصرة، وأن سيدنا عيسى عليه السلام لم يات بهذه العقائد قط. ومن الأدلة والشواهد على أن بولس هو المؤسس الحقيقي للنصرانية ذلك الاختلاف الكبير والتضارب في تعاليم المسيح عليه السلام وما أتى به بولس من تعاليم. فالمسيحية اليوم تقوم على عقائد " التثليث " و " الحلول والتجسد " و " الكفارة " تلك العقائد التي تعبر عن شخصية الإنسان النصراني وكل من يتجاوزها يعد من الملحدين والخارجين عن الكنيسة، وعلى أساس هذه العقائد تمتاز النصرانية المعاصرة في الواقع عن الديانات الأخرى.

ومما يجدر ذكره أن هذه العقائد لا تثبت بشيء من إرشادات وتعاليم المسيح عليه السلام، وليس شيء من أقوال المسيح المسرودة في الأناجيل المعاصرة يثبت هذه العقائد بصورة واضحة، وبالعكس يوجد في الأناجيل من الأقوال الكثيرة غير

---

(١) أعمال ٩: ٢٦: ٣٠.

المحصورة العدد، ما يرد هذه العقائد وينفيها. فعقيدة " التثليث " لو افترضنا صحة القول ب " توحيد الثالوث، أو تثليث الواحد" وكونه مدار النجاة، فان العقل السليم يدرك تماما مدى التعقيد والالتواء والإبهام الذي يعتريها، وليس بوسع العقل البشري أن يدرك حقيقتها إلا بتوضيح من الوحي الإلهي.

فالمسيح عليه السلام كان بمقدوره أن يقول للناس بكل صراحة ووضوح، بألفاظ صريحة لا تقبل التأويل والشك، وأن يقدم للناس دلائل مقنعة في شأنها حتى لا يقع الناس فريسة أي خطأ أو سوء فهم، وإذا كانت هذه العقائد ما وراء الفهم البشري فكان لابد أن يصرح على الأقل بأنها تفوق طاقة فهمكم ونطاق إدراككم، فعليكم أن تؤمنوا بها دون خوض في دلائلها.

وقول البروفيسور " مارس ريلتون " في هذا السياق - وهو من علماء النصارى - في شأن " الله ": " تحليل حقيقته تحليلاً صحيحاً فوق قوة أذهاننا، فما هو في نفسه ؟ لا نعلم! وما علمنا إلا ماعلمه هو النوع البشري عن طريق الوحي"[1]. مما يدل دلالة واضحةً على أن التفاصيل الخاصة بشأن وجود الله، التي يجب الإيمان بها، لابد أن الله يتولى تبليغها وتبيينها للناس عن طريق الوحي. فلو كانت نظرية "التثليث" من تلك التفاصيل لكان من الواجب على سيدنا عيسى تبليغه للناس. ولكن أثناء قراءة وصايا وإرشادات سيدنا عيسى نجد أنه لم يتناول هذه العقيدة بالبيان ولا مرة واحدة في حياته، بل انه كان يدعو الى التوحيد الخالص، ولم يقل قط إن الذات الإلهية مركبة من ثلاثة أقانيم ، وأن الثلاثة بالمجموع " الثالوث " واحد [2].ودعوة المسيح عليه

---

(١) H. Maurice Relton, Studies in Christian Doctrine

(٢) المسيحيون يستدلون على عقيدة التثليث بتلك الأقوال التي عبر فيها السيد المسيح عن الله تعالى " الأب " وعن نفسه بـ " الابن " ولكن ذلك في الواقع مصطلح اسرائيلي، فقد جاء التعبير بالابن في " بائيل " (الكتاب المقدس) في مواضع لاتحصى، عن كثير من الناس غير سيدنا المسيح عليه السلام أيضا. انظر==

السلام في حقيقتها هي دعوة توحيدية ومن أقوال المسيح التي تبين أن دعوته كانت تقوم على أساس التوحيد ما جاء إنجيل متى ومرقس: " اسمع يا إسرائيل! الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك [1].

وجاء في إنجيل يوحنا أن المسيحعليه السلام قال وهو يناجي ربه: " وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته [2]". ثم إن المسيح عليه السلام لم يقل في موضع ما إني في الواقع إله، وجئت متجسداً إنساناً، لغفران ذنوبكم، وإنما ظل يدعوا نفسه بـ" ابن آدم " فقد جاء في الإنجيل في ستين موضعاً تعبيره عن نفسه بـ " ابن آدم ".

وأخيرا بدأ الشعور يقوى منذ مدة في العالم المسيحي بأن السيد المسيحعليه السلام لم يدع نفسه إلهاً، وأن العقيدة القائلة بألوهيته، وليدة عصر متأخر بعده، وهذا ما قال به بعض العلماء المسيحيين ومنهم المفكر الألماني الشهير البروفيسور " هارناك " الذي تلقى القراء في أوروبا وأمريكا عديداً من كتبه على المسيحية بحفاوة وقبول بالغين، إنه لا ينتمي إلى طبقة " العقلانيين " بل ينتمي إلى طبقة دعاة " التجسد " وهو يؤمن إيماناً قوياً كاملاً بتفسير المسيحية الذي يراه هو صحيحاً.

وقد ألقى عامي ١٨٩٩ و ١٩٠٠م محاضرات على المسيحية في اللغة

= مثلا: لوقا، الإصحاح ٣، والمزامير ٨٩/٢٧، وارميا ٣١ : ٩، واشعيا ٦٣ : ١٦ ، وايوب ٣٨ : ٧، والتكوين ٦ : ٢، فلا يستقيم الاستدلال بهذه الالفاظ في شكل من الاشكال، وليراجع للتفصيل كتاب " اظهار الحق " الباب ٤، الامر ٤.

(١) مرقس ١٢ : ٢٩ أما الفاظ متى فهي " يا معلم اية وصية هي العظمى في الناموس، فقال يسوع: تحب الرب الهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، (متى ٢٢ : ٣٦). و يوحنا ١ : ٣.

(٢) يوحنا، ١/ ٣.

الألمانية، ثم طبعت ترجمتها الإنجليزية باسم (Christianity? What is) ونالت هذه المحاضرات في كل من ألمانيا وإنكلترا وأمريكا قبولاً غير عادي، وأصبحت لها أهمية تاريخية حتى لا يعدو ذكرها والإشارة إليها أي مؤرخ لمسيحية العصر الحديث [1] . ومن التصورات التي عرضها هو في تلك المحاضرات فيما يتعلق بسيدنا عيسى عليه السلام " وقبل بيان رأي المسيح في شأن نفسه، لا بد من الإشارة إلى نقطتين هامتين وأساسيتين: الأولى أنه لم تكن نيته قط أن العمل بأحكامه ضروري، حتى مؤلف الإنجيل الرابع - الذي يبدو كأنه يلح علي أن يمنح يسوع المسيح مكانة أسمى مما يقتضيه الإنجيل الأصلي - لا نجد في إنجيله هو الآخر هذه النظرية على صورة واضحة، إنه ساق قول المسيح عليه السلام: " إن كنت تحبني فاتبع أحكامي " [2].

وربما يكون المسيح عليه السلام قد لاحظ أن بعض الناس يجلونه، بل ويثقون به، ولكنهم لا يرضون أبداً أن يتجشموا مشقة في سبيل الأخذ برسالته، فقال مخاطباً أمثال هؤلاء الناس: " ليس كل من يقول لي: يارب! يارب! يدخل في ملكوت السماوات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات[3]". فيتضح من ذلك أن اتخاذ نظرية في شأن المسيح عليه السلام في معزل عن أصل متضمنات الإنجيل، كان خارج نطاق نظرياته هو". " ولذلك فكان يوجه الأدعية إلى الله، وكان يخضع نفسه لرضاه، إنه كان يبحث عما يرضى الله، ويتحمل أشد ما يكون من المشاق في العمل به، والمقصد، والقوة، والقضاء، والشدائد كل ذلك كان يراه يأتي من الله ".

---

(١) محمد تقي العثماني، ما هي النصرانية، ص١٣٢.

(٢) قد يكون ذلك إشارة إلى عبارة انجيل يوحنا التالية: " الذي عنده وصاياي ويحفظها، فهو الذي يحبني " (يوحنا ١٤: ٢١).

(٣) وهذا هو نص عبارة متى: ٢١.

والثانية أن المسيح عليه السلام نص على أن رب السماوات والأرض هو ربه وأبوه، كما صرح بأنه هو الخالق، وهو الصالح وحده، وكان يعتقد في يقين أن ما يوجد عنده وإنما هو متصد لإكماله، كل ذلك إنما يأتي من عند الأب، " تلك هي الحقائق التي تدلنا عليها الأناجيل، ولا يمكن طي هذه الحقائق وليها، إن هذا المرء الذي يحمل في قلبه هذه المشاعر، ويدعو الأدعية، ويتحمل المشاق ، ويقاسي من المصائب سالكاً على طريق الجد والعمل، إنه إنسان يخلط نفسه مع أفراد الإنسان الآخرين أمام ربه أيضاً " [1].

ولو نظرنا الى الكلمتين اللتين قالهما المسيح في خصوص نفسه وهما " ابن الله " و " المسيح " " أي ابن داود وابن آدم" لو نظرنا فيهما من قريب، لأمكننا أن نعلم ما أراده المسيح منهما ؟ وأما المعنى الحقيقي لمنصب ابن الله وما أراده المسيح من هاتين العبارتين فإننا نجد ذلك واضحا في أحد أقواله فقد أوضح المسيح عليه السلام بنفسه في أحد أقواله، أنه لماذا لقب نفسه بهذا اللقب. وهذا القول موجود في إنجيل متى ـ ولا يوجد في إنجيل يوحنا طبق المتوقع ـ وهو: " وليس أحد يعرف الابن إلا الأب، ولا أحد يعرف الأب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له[2]" . يتجلى من ذلك أن ما كان يشعر به المسيح من كونه " ابن الله " لم يكن إلا نتيجة عملية لشيء وهو أنه كان يعرف الله بصفة كونه " الأب " وكونه " أباه " هو، إذاً فلو اعتبرت كلمة " الابن " صحيحة، فإن ذلك لا يعني إلا معرفة الله.

ومن الملاحظ أن المسيح عليه السلام يقول بأنه يعرف الله معرفة لم يكن يعرف أحد

---

(١) محمد تقي العثماني، مرجع سابق، ١٣٤.

(٢)Harnack, what is Christianity P.P.١٢٨ ١٣١, Ttrans by Thomas Bailoy sounder. New York.

مثلها من قبله... في هذا المعنى كان المسيح عليه السلام يعتبر نفسه " ابن الله "[1]. ثم يقول د. " هارناك " بعد عدة صفحات: "والإنجيل الذي قام بتبليغه المسيح ﷺ إنما كان يتعلق بالأب وحده، ولا يتعلق بالابن، وليس ذلك أمرا متضاداً، كما أنه ليس " عقلانية " وإنما هو عرض بسيط ساذج للحقائق التي بينها مؤلفوا الإنجيل "[2]. ثم يقول بعد أربع صفحات: "الإنجيل يقدم لنا تصور ذلك الإله الحي الخالد، وجاء التركيز هاهنا أيضاً على أن لا يكون الإيمان إلا لهذا الإله، وأن تتبع مرضاته وحدها، وذلك ما كان يريده المسيح ﷺ "[3].

وخلاصة القول فان ما قاله: "هارناك يدل بوضوح على أن المسيح ﷺ لم يقل في خصوص نفسه إلا أنه " عبد الله ورسوله ". ولا يوجد له قول حتى في الأناجيل المعاصرة يمكن منه إثبات كونه إلها، أو " أقنوماً " للذات الإلهية.

المطلب الثالث
المسيح ﷺ وحواريه

حواريو المسيح ﷺ يأتون في الرتبة الثانية من بعده، فإذا بحثنا عن هذه العقيدة في أقوالهم، لا نجد فيها تصورا " للتثليث " أو " الحلول والتجسد "، نعم قد جاء في الكتاب المقدس استعمال كلمة " الإله " في شأنه معزوة إليه، غير أنها استعملت كثيرا في معنى " السيد " و "المعلم" وهناك عديد من عبارات الإنجيل تدل على أن الحواريين كانوا يطلقون على سيدنا المسيح عليه السلام " الرب " و " ربي " في معنى " المعلم " جاء في إنجيل متى أن المسيح ﷺ قال: " وأما أنتم فلا تدعوا سيدي، لأن معلمكم

(١) هارنك، مرجع سابق، ص ١٤٧.

(٢) نفس المرجع، ص١٥١.

(٣) هارنك، مرجع سابق، ص ١٥١.

واحد المسيح، وأنتم جميعا إخوة، ولا تدعوا لكم أبا على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السماوات[1] ولا تدعوا معلمين، لأن معلمكم واحد المسيح[2]".

ويتضح من ذلك أن الحواريين كانوا يدعون المسيح " ربي " أو " الرب " في معنى " المعلم " و " الهادي " لا في معنى " المعبود " أو " الإله " فلا يستقيم الاستدلال بهذه الكلمة على أنهم كانوا يعتبرون السيد المسيح إلها، ولا توجد ههنا كلمة غير هذه الكلمة تفوح بإشارة إلى عقيدة " التثليث " أو عقيدة " الحلول والتجسد ".

وعلى العكس من ذلك هناك عديد من العبارات الصريحة الواضحة التي تؤكد أن السيد المسيح عليه السلام لم يكن عند الحواريين هم الآخرين إلا رسولاً ليس غير. يقول " بطرس " - وهو صاحب مكانة جليلة فيما بين الحواريين - مخاطباً ذات مرة اليهود: " أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال. لأن معلمكم واحد المسيح الناصري، رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون "[3]. ولا يغيب عن البال أن هذا الخطاب ألقاه صاحبه من أجل دعوة اليهود إلى الدين المسيحي. فلئن كانت عقيدة " التثليث " وعقيدة " الحلول والتجسد " عقيدتين أساسيتين للمسيحية كان واجباً على " بطرس " أن يعبر عن " يسوع الناصري " بـ " أقنوم الله " لا بـ " رجل " وأن يقول إنه " الله " مكان أن يقول " من قبل الله " وأن يفسر أمامهم عقيدتي " التثليث " و " التجسد ". ويقول أيضا بمناسبة أخرى: "إن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، إله آبائنا مجّد فتاه[4]". وجاء

---

(١) ورغم ذلك فإن السادة المسيحيين لماذا يدعون قسيسهم وباباواتهم " الاب " سؤال- لا يحسن الإجابة عليه إلا هم أنفسهم لان " صاحب البيت أدرى بما فيه " و " أهل مكة أدرى بشعابها ".

(٢) متى ٢٣ : ٨ — ١٠.

(٣) أعمال ٢ : ٢٢.

(٤) أعمال، ١٣/٣.

في سفر أعمال الرسل نفسه أن الحواريين جميعاً قالوا بلسان واحد، وهم يناجون الله: " لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذي مسحته، " هيرودوس " و "وبيلاطس البنطي " مع أمم وشعوب إسرائيل [1]".

وقال الحواري " برنابا " ذات مناسبة : " أن يثبتوا في الرب بعزم القلب. لأنه كان رجلاً صالحاً، وممتلئاً من الروح القدس والإيمان"[2]. فجاء وصف سيدنا عيسى في هذه العبارة هي الأخرى بالرجل الصالح والمؤمن ليس غير. فالنصوص السابقة تبين بكل وضوح أن الحواريين إنما كانوا يرون المسيح عليه السلام " رجلا " و " من قبل الله " و " فتى الله " (أي عبده) و " مسيحا " ليس غير.

وبناء على ما تقدم نجد أن عقيدة التثليث وعقيدة " الحلول والتجسيد" لم تثبتا من أحد بدءاً من سيدنا المسيح عليه السلام وانتهاء إلى الحواريين. وإنما هناك أقوال صريحة منهم على خلافهما. فالذي نادى بعقيدة التثليث والتجسيد إنما هو بولس لا أحد غيره.

ويقول بولس في إحدى رسائله إلى الفيليبيين : " الذي إذا كان في صورة الله لم يحسب خلة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائر في شبه الناس، وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رفعه الله أيضا، وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض. وتحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو الرب لمجد الله الأب[3]".

ويقول في رسالته إلى الكولسيين: " الذي هو " يعني المسيح " صورة الله غير

---

(١) أعمال، ٤/ ٢.

(٢) أعمال، ٢٣/ ٢.

(٣) الفلبيون ٢ / ٦ — ١١.

المنظور. بكر كل خليقة ، فإنه فيه خلق الكل ، ما في السماوات وما على الأرض ، ما يرى وما لا يـرى. سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خلق[1]". ثم يضيف قائلاً فيما بعد: " فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا[2]". وهكذا نجد أن الحواريين قد استخدموا لسيدنا المسيح عليه السلام. كلمة " الرب " أو " ربى " التي معناها في ضوء الدلائل المذكورة أعلاه هو " المعلم " لكنهم لم يستخدموا له في موضع ما كلمة " الألوهية " أو " التجسد " وإنما نجد هذه العقيدة عند " بولس ".

المبحث الثاني
النصرانية عبر التاريخ

عُرف " أتباع المسيح " بالمسيحيين والناصريين " النصارى" في كل الأجيال ، ومما لا شك فيه أنهم سُموا " مسيحيين " نسبة إلى المسيح " له كل المجد". والمسيح سُمي كذلك لأنه مفرز ومكرس للخدمة والفداء [3] ، ودعي المسيح " ناصرياً " لأن الملاك بشر به ، مريم العذراء ، في مدينة الناصرة [4] ، وإلى هذه المدينة عاد يسوع مع مريم أمه ويوسف خطيبها من مصر [5] . وفيما صرف يسوع القسم الأكبر من الثلاثين سنة الأولى من حياته [6] ، ولهذا لقب ناصرياً ، نسبة إليها [7] ، كما لقب تلاميذه بالناصريين ، أيضاً ، ومن بعدهم وإلى يومنا هذا عُرف المسيحيون بهذا الاسم . وقد

---

(١) الكولسيون، ١ / ١٦.

(٢) الكوليسون، ٢ / ٩.

(٣) قاموس الكتاب المقدس، ص٨٦٠.

(٤) انجيل لوقا، ٢٦:١.

(٥) انجيل متى، ٢: ٣٢.

(٦) انجيل لوقا، ٣: ٢٣، ومرقص، ١ : ٢٤.

(٧) متى، ٢١: ١١، ومرقص، ١: ٢٤.

كُتب فوق رأسه على خشبة الصليب " يسوع الناصري ملك اليهود" [1] . هذا عن تسمية أتباع المسيح كما ورد بالكتاب المقدس.

أما القرآن الكريم فقد سماهم " النصارى " ، وقد ذُكر اسمهم في سورة البقرة[2] ، ثماني مرات ، وفي سورة المائدة [3]، خمس مرات ومرة واحدة في سورتي التوبة والحج[4].{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ}"[5]. والدارس لتاريخ الدين النصراني يجد أن تاريخ هذا الدين يكتنفه ظلام دامس، وبالرغم من ذلك كله إلا أن المعلومات المتوفرة لدى المؤرخين تعطينا مؤشرا عن أحوال تلك الديانة، فتلاميذ المسيح عليه السلام بعد صعوده إلى السماء أخذوا على عاتقهم التبشير بالمسيحية، فقاوموا عواصف المعارضات، وكان النجاح حليفهم رغم الصعوبات والعراقيل التي كانت تعترضهم. إلا أن حادثا قد حصل فغير من مجرى الأوضاع، وهو أن العالم اليهودي الشهير "شاول" الذي ظل يضطهد النصارى بعنف وقساوة حتى امن بالنصرانية فجأة زعم أنه قد أشرق له نور في طريق دمشق وسمع صوت المسيح من السماء الذي يقول له " لما ذا تضطهدني " مما جعل قلبه قد ارتاح إلى المسيحية ولما ذكر " شاول " للحواريين هذا التحول في عقيدته وديانته، تردد معظمهم أن يصدقوه، غير أن " برنابا " بادر إلى تصديقه.

---

(١) يوحنا، ١٩ : ١٩ .

(٢) سورة البقرة، الآيات: ٦٢، ١١١، ١١٣، ١٢٠، ١٣٥، ١٤٠.

(٣) سورة المائدة، الآيات: ١٤، ١٨، ٥١، ٦٩، ٨٢.

(٤) سورة التوبة، آية : ٣٠. وسورة الحج، الآية: ١٧.

(٥) سورة المائدة، آية : ٨٢.

وبحكم تصديقه رضي جميع الحواريين أن يدخلوه في جماعتهم ويقبلوه كأحد أعضاء أسرتهم، وغير " شاول" اسمه، حيث أطلق على نفسه أسم " بولس" ومنذ ذلك الوقت صرف نفسه إلى التبشير بالمسيحية متكاتفا مع الحواريين، حتى اعتنقها بفضل جهوده المضنية الكثير من غير اليهود.

ومن أجل هذه الخدمات بات نفوذه يتوسع مع الأيام بين أبناء الديانة، حتى بدأ يجهر شيئا فشيئا بالتبشير بألوهية المسيح، والكفارة، والحلول والتجسد، وما إلى ذلك من العقائد التي شوهت صورة الديانة المسيحية.. ويذكر التاريخ أن بعض الحواريين قد عارضوه في هذه المرحلة معارضة شديدة إلا أن نفوذ " بولس" ظل يتوسع في الدين النصراني، وبناء على ما تقدم فيمكن القول بأن الديانة النصرانية قد مرت بثلاثة عصور هي: -

١ - عصر الاضطهاد. ٢ - عصر التمكين. ٣ - عصر النهاية " الإثم العظيم ".

وفيما يلي نظرة عامة على هذه العصور:

المطلب الأول
عصر الاضطهاد

ويشمل القرون الثلاثة الأولى من عمر النصرانية، ويتميز بالتضييق على الدعوة والدين الجديد، وفيه دخلت بدعة التثليث وبعض الفلسفات المنحرفة الأخرى، وفيما يلي عرض مختصر عن هذا العصر:

يبدأ هذا العصر بنشأة النصرانية وذلك بإرسال الله عز وجل عبده ورسوله وكلمته عيسى بن مريم عليه السلام لبني إسرائيل ليجدد لهم دينهم، ويضع عنهم الإصر والأغلال التي كانت عليهم، وليكون خاتمة الرسل من بني إسرائيل. وبعثه الله في الأرض المباركة عند المقدرة بنحو ثلاث سنوات، حتى حاولوا قتله ووشى به

بعض ضُلاَّلهم لدى الحاكم الروماني للقدس(بيلاطوس النبطي)[1].

وبعد رفع المسيح عليه الصلاة والسلام تفرق أتباعه الحواريون وهاجروا في الأرض واستطاع بعضهم نشر الرسالة الجديدة والتبشير بهذا الدين التوحيدي في بعض المناطق عند غير بني إسرائيل، وكان من أبرزهم تلميذه المدعو " بطرس " الذي هاجر إلى آسيا الصغرى وأنطاكية وبدأ بالدعوة إلى الدين الجديد هناك، واستمر فيها حوالي عشر سنوات وكون بها قاعدة بسيطة وفي الوقت نفسه نشر " توما " الديانة في فارس، والقديس " برتلماوس " في الهند، ثم هاجر القديس " بطرس " إلى روما حاضرة الإمبراطورية الرومانية وأكبر مدن العالم حينذاك، ووصلها سنة ٤٢ م، وبدأ فيها الدعوة للديانة الجديدة.

وقد اضطُهد أصحاب هذه الدعوة الجديدة في كل مكان وصلوه، وحصل لأولئك بلاء عظيم وبخاصة في مناطق الإمبراطورية الرومانية الوثنية، وقد اتخذ النصارى أساليبهم السرية حينذاك، وحاولوا نشر الدعوة في أكبر مساحة ممكنة حول مدينة روما وفي قلب الإمبراطورية.

وفي تلك الفترة دخلت فكرة التثليث للديانة النصرانية والتي تعني تعدد الآلهة وهي فكرة قديمة وثنية انتشرت عند الرومان والفلاسفة والفرس.

وأول من وضع بذرتها في النصرانية رجل يهودي اسمه " شاؤول " والذي سمي فيما بعد بـ بولس الذي كان شديد البغض والكره للنصارى في الشام، ثم ادعى أنه اعتنق الدين الجديد وأن المسيح قد تجلى له بعد رفعه في طريق الشام سنة ٤٠ م وأوصاه ببعض الوصايا، وبدأ الدعوة " لاعتبار المسيح أرقى من أن يكون إنساناً،

---

(١) أنظر محمد تقي العثماني، ماهية النصرانية، ص١٠٦ – ١٠٧. بتصرف.

وأنه عقل سام متولد من الله قبل وجود العالم"[1]. وقد بدأ الرجل دعوته في الشام، ثم انتقل إلى آسيا الصغرى واليونان وأسبانيا حتى حط الرحال في روما سنة ٦٠م، وقد نشر هذه الفكرة بعض فلاسفة الرومان ممن اعتنق الديانة الجديدة والمطعمة بمبادئ " بولس ".

المطلب الثاني
عصر التمكين

يشمل عصر التمكين القرون الثلاثة الآتية " الرابع، والخامس، والسادس"، ويتميز باعتناق الإمبراطورية الرومانية للنصرانية، والتمايز العقدي بين الموحدين والتثليثيين، والانتشار الدولي للديانة، كما يتميز بظهور الرهبنة واستمرار الانقسامات التثليثية والهرطقات [2]. وقد مر هذا العصر بعدة أطوار هي:

١ ـ الانتقال لطور الدولة:

استمر الاضطهاد الروماني للنصارى حتى سنة ٣٢٤ م حين تنصر الإمبراطور الروماني (قسطنطين) [3]، بعد حركة تنصيرية واسعة في أرجاء الإمبراطورية الرومانية على إثر مؤتمر (ميلانو) [4]، وتدرج قسطنطين هذا في فرضه الطقوس والأحكام النصرانية في الإمبراطورية، ثم تبعه الأباطرة التالون على المنوال نفسه حتى سنة ٣٩٢ هـ التي أصبحت الإمبراطورية الرومانية فيها مملكة نصرانية بشكل تام. وعلى إثر هذا التحول بدأت الإرساليات التنصيرية من الإمبراطورية لمختلف أنحاء العالم بالدين الجديد الذي انتشر سريعاً وخاصة في مصر والحبشة.

---

(١) أنظر نفس المرجع، ص١٠٨ بتصرف.

(٢) أنظر محمد تقي العثماني، مرجع سابق، ص١٠٨ - ص١٠٩. بتصرف.

(٣) أنظر وول ديورانت، قصة الحضارة، مج ٣، ج٣، ص ٢٧٦، بتصرف.

(٤) شارل جنيير، المسيحية نشأتها وتطورها، ص١٦٥. بتصرف.

٢ - المواجهة بين الموحدين والتثليثيين:

كانت هناك مذاهب عدة في القرون الأولى للنصرانية، وكانت الغلبة لبعض التثليثيين في روما والمشرق، حتى ظهر داعية موحِّد قوي هو المدعو " أريوس " أحد أساقفة الإسكندرية في بدايات القرن الرابع، وبدأ يدعو للتوحيد بقوة، وانتشرت عبارته الشهيرة: " إن المسيح الذي دنسه الجسد وخضع للموت أبعد من أن يكون إلهاً أزلياً؛ فقد خلقه الله وسيطاً بينه وبين الأرض وهو كلمته "[1]. وانتشرت أفكار أريوس هذا شرق الإمبراطورية، وبدأت في التغلغل في غربها وخاصة في مدينة روما، وحصلت مواجهات كثيرة حتى عقد " مجمع نيقيا " الشهير سنة ٣٢٥ م الذي حصلت فيه نقاشات هائلة بين الفريقين برعاية الإمبراطور، وخرج بقرار نيقيا الذي يعتمد التثليث مذهباً رسمياً للإمبراطورية، ثم تراجع الإمبراطور " قسطنطين " واعتنق المذهب التوحيدي " الأريسي " بعد عامين، وحاول إرغام الولاة التابعين له على اعتقاده، وذلك حتى سنة ٣٧٩ م التي حاول فيها إمبراطور آخر هو " ثيودوسيوس " العودة إلى قرار مجمع نيقيا، وبقيت الحالة هكذا في شد وجذب.

٣ - الهرطقات والرهبنة:

أصبحت " الأريسية[2] " مذهب الموحدين أكثر انتشاراً في شرق الإمبراطورية "الشام ومصر وآسيا الصغرى" وبدرجة أقل في غربها ومركزها، وبدأت تنتشر البدع والهرطقات عند النصارى، والانقسامات الفلسفية عند التثليثيين، وبدأت الرهبنة عند الأريسيين تظهر بسبب الاضطهاد في الغرب وبسبب انتشار الفساد، وبخاصة في القرنين الخامس والسادس.

---

(١) نفس المرجع، ص١٦٦- ١٦٧. بتصرف. وأنظر محمد تقي العثماني، مرجع سابق، ص١١٠.

(٢) أنظر محمد تقي العثماني، مرجع سابق، ص١٠٩- ص١١١. بتصرف.

وانتشرت النصرانية حينذاك حتى عند العرب الذين كان منهم الغساسنه والمناذرة في الشام والعراق وأهل نجران وسواهم ممن اعتنقوها، وحصل في نهاية هذا العصر قصة محاولة والي صنعاء الحبشي النصراني غزو الكعبة في عام الفيل، فأرسل الله عليه وعلى جيشه الطير الأبابيل المذكورة في سورة " الفيل " وكان ذلك أواخر القرن عام ٥٧١ من القرن السادس.

المطلب الثالث
عصر النهاية
"عصر الإثم العظيم "

وهذا العصر هو القرن السابع والأخير من عمر النصرانية كديانة مقبولة عند الله، ووقع فيه الإثم العظيم الذي حذر منه رسول الله محمد ﷺ، وكانت النهاية في سنة ٦٢٨ م الموافقة للسنة السابعة من الهجرة النبوية الشريفة، وفيما يلي نبذة عن هذا العصر :

١ـ الحالة الدينية في ذلك العصر:

كانت النصرانية حينذاك ديناً عالمياً منتشراً في كثير من البقاع، وكان أكثرهم أهل الإمبراطورية البيزنطية في آسيا الصغرى وشرق أوروبا، والممالك التابعة لها في الشام ومصر، وغير التابعة لها كمملكة إكسوم بالحبشة ومملكة الحيرة بالعراق، وكانت معظم الممالك تثليثية الكنائس، والسكان، إلا أهل المملكة البيزنطية فقد كان كثير منهم أريسيين توحيديين[١].

كما كان هناك كثير من النصارى في بقاع متفرقة من العالم، ومنهم الكثير من الموحدين، وكان الجميع ينتظر البشارة العظمى بظهور النبي الجديد، ومن أولئك النصارى بحيرا الراهب وغيره.

---

(١) نفس المرجع، ص١١٣.

٢ ـ أول النصارى تشرفاً برؤية وإتباع نبي البشارة:

وبحيرا أول من رأى النبي ﷺ ، وهو غلام، حين كان في تجارة مع عمه أبي طالب إلى الشام، فمروا به، فخرج إليهم وما كان يخرج قبلها، ودعاهم إلى الطعام وما كانت عادته، وعرف النبي وعظّمه، وأوصى به عمه، وحذره من أن يراه اليهود، فكان أول من تشرف من أصحاب عيسى برؤية النبي العظيم محمد بن عبد الله الأمي ﷺ . ثم في بدايات البعثة النبوية حين حصلت قصة ظهور جبريل الأولى للنبي ﷺ في حدود سنة ٦٠٩ م ، وعودته إلى بيته خائفاً. وجاءت زوجته خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، كما أنه كان نصرانياً أخذ الديانة من بعض نصارى الشام الموحدين(١) ، فلما أخبرته الخبر قال لها: "لئن صدقتني، إنه ليأتيه ناموس عيسى الذي لا يعلّمه بنو إسرائل أبناءهم"(٢)، ثم لما تكرر الأمر مع النبي ﷺ وأخذته خديجة إلى ورقة فسأله عن الخبر فأخبره، قال ورقة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم : "هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً! ليتني أكون حياً؛ إذ يخرجك قومك"، فقال عليه الصلاة والسلام " أوَ مخرجيَّ هم؟" قال ورقة: "نعم! لم يأت نبي بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً "(٣).

ولكن ورقة توفي بعد ذلك وقد رآه النبي ﷺ في الجنة. وَاتبعه بعضُ النصارى حين أُرْسل منهم عدي بن حاتم رضي الله عنه. أما أول النصارى نطقاً بالشهادة فهو النجاشي ملك الحبشة الذي أسلم على يد بعض المسلمين المهاجرين لبلده في حدود سنة ٦٢٠ م. وأما أول أسقف نصراني يتبع النبي الجديد فهو القديس

---

(١) ميشيل يتيم، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص٨٣. بتصرف.

(٢) نفس المرجع، ص٨٤. بتصرف.

(٣) أنظر محمد تقي العثماني، مرجع سابق، ص١١٥- ص١١٧. بتصرف.

" ضغاطر " أسقف روما الأعظم "البابا " في عام ٦٢٩ م.

واتبع كثير من النصارى الذين بلغتهم الرسالة الدين الجديد، قال تعالى: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ۞ وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ۞ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ}(١).

٣ ـ هرقل وبداية النهاية:

كان حاكم الإمبراطورية البيزنطية حينذاك هرقل، وكان رجلاً عالماً بالديانة صاحب دراية وإطلاع، موقراً في قومه، وكان كثير من أهل مملكته من الموحدين الأريسيين، وقد دخل في عدة معارك مع المملكة الساسانية الفارسية في الشام، وانتصر عليهم، واسترد الشام منهم في حدود ٦٢٨ م، وتلك المعارك هي المذكورة في قوله تعالى: {الم۞ غُلِبَتِ الرُّومُ ۞ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ۞ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ}(٢).

فقرر هرقل أن يسافر إلى القدس " إيلياء " ماشياً، شكراً على النصر، فتحرك من القسطنطينية حتى وصل إلى القدس، فنزل عند واليها أسقف الشام " ابن

---

(١) سورة المائدة، آية: ٨٢ - ٨٥.

(٢) سورة الروم، آية: ١ – ٤.

الناطور"، وكان لهرقل إطلاع بالنجوم وأحوالها، فأصبح يوماً متكدراً متغير الحال، فاستغرب صحبه فسألوه عما به، فأخبرهم أنه رأى أن مَلَكَ الختان قد ظهر، وأنه يعني له أن المُلك والسؤدد سينتقل لأمة عادتها الختان، وكان النصارى قُلْفاً لا يختتنون، فاستفسر عمن يُختتن حينذاك، فقال له بعضهم: ليس إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم، وأرسلْ إلى مدائن ملكك بقتلهم حتى لا تقوم لهم قائمة، وكانوا لا يعرفون أن العرب يختتنون لقلة احتكاكهم بهم.

وفي تلك الأثناء وصل إلى بيت المقدس أحد العرب وهو "عدي بن حاتم" وكان لا يزال نصرانياً؛ يحمل رسالة من ملك بصرى الغساني إلى هرقل [1]. فأمر هرقل أن ينظر إلى هذا العربي "عدي" أمختون هو؟ فجردوه فوجدوه كذلك، فأخبروا القيصر هرقل، فسأله عن العرب وهل يختتنون؟ فأجابه أن نعم! عند ذلك اضطرب هرقل، وعلم أن تلك الأمة هي التي سيؤول إليها الأمر.

وكانت تلك الرسالة التي تسلمها هرقل هي رسالة النبي الكريم محمد الأمي التي أرسلها وغيرها إلى ملوك ذلك الزمان في السنة السادسة للهجرة، في أثناء فترة اتفاقية الحديبية؛ فعندما رآها طلب أن يرى بعض أهل بلد ذلك النبي الذي أرسل الرسالة، فوجدوا بالشام حينذاك أبا سفيان، وبعض أهل قريش معه في تجارة، وكانوا لا زالوا مشركين، فطلبهم فجاءوا عنده، فكان أقربَهم من رسول الله ﷺ أبو سفيان، فسألهم عدة أسئلة عن ذلك النبي: سألهم عن نسبه، وهل كان من آبائه ملك؟ ومن يتبعه الضعفاء أم الأشراف؟ وهل يزيد أتباعه أم ينقصون؟ وهل يرتد من يتبعه عن دينه؟ وهل تقاتل مع خصومه؟ وكيف نتيجة الحروب بينهم؟ وهل يغدر؟ وهل ادعى أحد من قومه النبوة قبله؟ وعمَّ يأمر وعمَّ ينهى؟ فأجابه أبو

---

(١) أنظر محمد تقي العثماني، مرجع سابق، ص١١٩- ص١٢٠. بتصرف.

سفيان ولم يكذب مخافة أن يؤثر عنه الكذب.

عند ذلك عرف هرقل أن " محمداً " هو بشارة عيسى وهو نبي آخر الزمان حقاً، فقال لأبي سفيان ومن معه: " إن يكن ما تقول فيه حقاً فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي"، ثم دعا بالرسالة فقرأها فإذا فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}.[1]».

عند ذلك ارتفع اللغط والصياح في مجلس القيصر هرقل من بطارقته والأساقفة الموجودين، فتم إخراج أبي سفيان ومن معه، وأكرم هرقل كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وقبّله ووضعه على عينيه [2]. عند ذلك خرج هرقل من بيت المقدس إلى حمص إحدى عواصمه حينذاك، وكان قد أرسل رسالة بما جرى لصديقه في روما القديس الأكبر" ضغاطر " يستشيره فيها عما جرى.

فحين وصلت الرسالة التي حملها " عدي بن حاتم " إلى " ضغاطر " في روما انشرح صدره للإسلام، فلبس البياض وخرج إلى قومه يصيح فيهم بظهور النبي الجديد، فقام عليه القساوسة التثليثيون وعامة الشعب يؤذونه، فعاد للرسول

---

(١) سورة آل عمران. آية. ٦٤.

(٢) ميشيل يتيم، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص١٦٠. بتصرف

وأعطاه رسالة للنبي ﷺ فيها أنه يقرأ عليه السلام ويخبره أنه يشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنه قد آمن به وصدق، وأن قومه قد أنكروا عليه ذلك، ورسالة أخرى إلى هرقل فيها: " هذا الذي كنا ننتظر، ويشرنا به عيسى، أما أنا فمصدقه ومتبعه "، ثم إن قوم " ضغاطر" اشتدوا عليه في الإيذاء حتى قتلوه رحمه الله. ووصلت رسالة " ضغاطر " إلى " هرقل " وهو بحمص، فقرر الدعوة إلى مجمع للنقاش في حمص يحضره كل البطارقة والأساقفة والمطارنة، فكان ذلك في عام ٦٢٩ م في دار عظيمة مغلقة الأبواب من الداخل والخارج.

د ـ الإثم العظيم:

اطّلع هرقل على المطارنة والأساقفة والبطاركة وغيرهم من الحاضرين الذين كانوا ينتظرون بشغف ما سيقول، فألقى فيهم كلمة مختصرة جامعة مفيدة ليرى رأيهم فيها، فكان مما قاله في ذلك المؤتمر: " يا معشر الروم! هل لكم في الفلاح والرشد الدائمين وثبات الملك دائماً؟ فبايعوا محمداً وآمنوا به؛ فإني علمت من عدة أمور أن الأمة المحمدية هي الأمة الدائمة "، وعندما انتهى من سرده قام نقاش حاد بين الموجودين، وذكر بعضهم هرقل بسوء. واشتد اللغط وكثر الصياح، فقاموا وتوجهوا نحو الأبواب يريدون الخروج فوجدوها مؤصدة، فأمر هرقل بإعادتهم إليه، فلما رأى إنكارهم وإجماعهم عليه قال لهم: " إنني أردت بتلك المقالة أن أختبر تمسككم بدينكم، فقد رأيت منكم ما أحب"، فاقتنعوا بكلامه وحيوه، وخرجوا راضين" [1]. وقبل وصف حال هرقل فإنه يمكننا وصف ذلك المجمع المسكوني في حمص بمؤتمر إعلان نهاية تاريخ النصرانية كديانة مقبولة.

أما هرقل فقد باع الباقي بالفاني، وفضل البقاء ملكاً بضع سنين على نعيم

(١) أنظر محمد تقي العثماني، مرجع سابق، ص١٢٠. بتصرف.

لا يزول؛ حيث عندما بلغه مقتل " ضغاطر القديس " قال مقولته تلك: " إنا نخافهم على أنفسنا، فضغاطر كان أعظم عندهم مني ". ثم إنه لما سمع من المؤتمرين ما سمع عاد وأظهر لهم أنه إنما يزعم اختبارهم، واستمر في ملكه، بعد ذلك على دينه حتى زمان غزوة تبوك في العام التالي ٦٣٠ م ثم أرسل جيشه لحرب المسلمين في معركة مؤتة سنة ٦٣٢ م.

ورغم تيقن هرقل من الرسالة الجديدة إلا أنه سلك ذلك السبيل، حتى إنه عندما أراد العودة للعاصمة العظمى القسطنطينية دعا قومه مرة أخرى إلى الإسلام أو الجزية، أو الاتفاق مع النبي ﷺ على صلح معين، فلم يوافقوا، فلما خرج من حمص ووصل إلى نهاية الشام أشرف على الدرب، واستقبل أرض الشام وقال: "السلام عليك يا أرض سورية"، تسليم المودع [1]. وبهذا تحمَّل هرقل الإثم العظيم الذي حذره منه رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: " فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين " [2]

وتحمل هرقل ذنب عشرات الآلاف من النصارى الموحدين فلاحيهم وموظفيهم وغيرهم الذين يتبعون إمبراطوريته وممالكها، كما تحمل خطيئة ضياع جهود عشرات بل ومئات القديسين الأريسيين والموحدين عبر عشرات السنين في مواجهة التثليثيين، وحماية عهد عيسى وتعاليمه وبشارته من التحريف والشرك ومكائد اليهود وضلالات عقول الفلاسفة.

---

(١) فس المرجع، ص١٢٢. بتصرف.

(٢) ميشيل يتيم، تاريخ الكنيسة الشرقية، مرجع سابق، ص١٦٢. بتصرف

المبحث الثالث
عيسى عليه السلام في التصور الإسلامي

المطلب الأول
ولادة عيسى عليه السلام

تحدث القرآن الكريم عن ولادة عيسى عليه السلام وذلك في الآيات الآتية:

١- في قوله تعالى: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۞ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[1].

٢- وفي قوله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً ۞ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ۞ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً ۞ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً ۞ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً ۞ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً ۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً ۞ فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً ۞ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ۞ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٤٥- ٤٧.

رُطَباً جَنِيّاً ۞ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً ۞ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً ۞ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً ۞ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً ۞ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ۞ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ۞ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً }[1].

وأما عن ظروف الحمل فان القرآن الكريم قد ذكر مجيء الملائكة لمريم بصورة مجملة فصلتها سورة مريم فقال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً ◆ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً }[2].

فهذه مريم قد انفردت إلى مكان شرقي البيت المقدس، واتخذت من دون أهلها سترا يسترها عنهم وعن الناس . أما سبب هذا الانتباذ فلا نعرفه بالتأكيد، وإن علله البعض أنها أرادت العبادة متنحية عن الأهل والناس زيادة في الخشوع والتعبد[3] . وفي هذه اللحظات كان قدوم الرسول المبلغ . على هيئة إنسان سوى . وما كان من مريم الطاهرة إلا أن استعاذت بالله من هذا المنظر حين قالت : {قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً} .فأجابها ليزيل ما حصل لها من الخوف على

---

(١) سورة مريم ، آية : ٣٣- ١٥ .

(٢) سورة مريم آية : ١٥- ١٧ .

(٣) أنظر تفسير القرطبي، ج١٦ ، ص ٥٧.، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج٣، ص١٢٢، بتصرف، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، ج٤، ص٢٣٠٠.

عفتها: { قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً } .

وفي هذه الحالة تتغير الصورة عند مريم حيث بدأت في محادثته بعد أن بشرها بالولد فقال لها: {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً، قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً } ، ولكن كيف يكون هذا الإيجاد ؟ والجواب جاء في سورة آل عمران في قوله تعالى: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ }

فبين القرآن الكريم أن هذا المولود سيوجد بأمر إلهي ، فإرادة الله شاءت ذلك وهذه الإرادة لا تزيد عن كونها كلمة تصدر عن الحق تبارك وتعالى كأن يقول " كن " ولم يقف الرسول عند هذا القول بل أضاف يقول بأن اسمه المسيح عيسى بن مريم ذاكرا الصفة الخاصة، ثم الاسم ولمن ينسب ، ومن بعد قال صفات تكون في هذا المخلوق{وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ }. فهو سيكون من ذوي القدر والمكانة في الدنيا وفي الآخرة ومن المقربين عند الله. وأكثر من هذا سيكلم الناس وهو في مهده بالإضافة إلى كلامه في كبره . وهو من أهل الصلاح والتقوى. وكانت البشرى لمريم بولادة عيسى الرسول قبل وجوده حكمة إلهية حتى لا يكون الأمر مفاجأة لمريم وهي التي ستكون أما لهذا الرسول. فأكرمها تعالى بالخبر مقدما. أن كوني على بال [1]. وبعد أن أنهى الملك من الإدلاء بالبشرى ومريم تسمع قالت مستفسرة عن الطريقة التي سيكون بها هذا الولد. وهي لم تمس البشر كما جاء في سورة آل عمران. وزادت في سورة مريم. ولم أكن من أهل الفساد والبغي.فأجابها الرسول كما في سورة آل عمران: {قَالَ كَذَلِكِ

---

(١) أنظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج٣، ص١٢٢. وفي ظلال القرآن لسيد قطب، ج٤، ص٢٣٠٠.

اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُول لَهُ كُن فَيَكُونُ }[1] .

وقال تعالى في سورة مريم: {قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً} وفي كلا النصين يتضح أنه أمر من الله وإرادته التي قضى بها فتقبلي الأمر الواقع. وأنصتي كذلك لمقصود الخالق من هذا الأمر وقد وصف هذا الإنسان بصفات ذكرت في سورة آل عمران: {وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً } فهو في وجوده هذا بلا أب آية للناس على قدرة الله وهو رحمة لمن تبعه وآمن به. وخلقه هذا أمر مفروغ منه سبق في علمه تعالى وانتهى ولا راد الحكمة وإرادته وهو يعلم ولا نعلم{فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً}.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى موقف آخر وهو ساعة الوضع بدون أن يتعرض للحمل وكيفيته. لأن القرآن يقف على الحقائق البارزة ذات الدرس والعبرة. وليس القرآن كتابا قصصيا أدبيا الصغيرة والكبيرة. ولذلك فإما أن نحمل فترة الحمل على العادة أو على غير العادة كما كان حمل يحيى. ولا شك في أن حمله آية ووضعه آية. وما ذلك على الله ببعيد وقد خلق آدم من قبل بدون أب ولا أم على ما سيأتي بيانه.{فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً} حياء من قومها وهي من سلالة بيت النبوة ولأنها استشعرت منهم اتهامها بالريبة. {فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً } . وبعد أن وضعت قالت: {فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً }.

وأشار القرآن الكريم إلى معجزة أخرى في هذا المولود وهي الكلام في المهد في وقت كانت مريم تتمنى الموت أو أنها لم تخلق من قبل حتى لا تتعرض لمثل هذا الموقف المحرج أمام قومها، ولكن الله تعالى أنطق المولود ليبين براءتها وعفتها مرة

---

(١) سورة مريم، آية: ١٥.

أخرى . لعلها تتمالك نفسها، ويهدأ روعها ويتيقن قلبها بهذه الآية العظمى التي لم تكن من صنع البشر أو الجن ، إنها القدرة الإلهية وإن كان الأمر ليس فيه كبير عجيب إذا نظرنا إلى آدم كيف خلق .{فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً }.

وقد سخر الله لمريم نخلة قطوفها دانية ما عليك إلا تحريك الجذع، لتحصلي على الغذاء وهذا الماء العذب لتشربين، فطيبي نفسا وابعدي عن الأحزان فإن الله قادر على أن ينزه ساحتك ويبعد عنك كلام المبطلين، فسيقفوا على حقيقة أمرك، ويثبتوا لك القداسة والطهر.{فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً}. أي أن هذا منهج اسلكيه حين رجوعك إلى القوم فإذا خفت من كلام الناس أو رأيت في طريقك ممن تعرفين فسألك عن أمرك أشيري بأنك صائمة ولا تكلمي أحدا، لأن الله يعرف أن كلامك يقبل الرد والرفض ولكن إذا تكلم المولود الصغير، فهذه آية لا يمكن أن يتكلم أحد بعدها أو يطعن في صحتها أحد مهما كان نوعه من الفهم والقدر.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى المواجهة التي تمت بين مريم وأهلها فأخذت ولدها {فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ } وكان ما توقعت مريم {قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً} أي لقد جئت بأمر عجيب وأحدثتي حدثا عظيما وأكثر من هذا بدأوا يستعيذون معها الطاهرة وتربيتها العجيبة... ولقد كنت في الهدى والتقي كما كان هارون ودرجتك التي نعرفها هي درجة الأنبياء وأنت من أصلاب الأنبياء فما هذا العمل ؟ وما هذا الولد ؟ .{يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً ۞ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً ۞ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ

الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ۞ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ۞ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً } [1].

ولئن ذكر القرآن هذه السورة فهي كافية في تصوير تلك اللحظات التي عاشتها الطاهرة مع قومها الذين لم يعرفوا الحقيقة بعد، {يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً}. لو لم تكن حالة مريم آية من الله لما استطاع أحد أن يقف هذا الموقف هذه صفته من الطهارة والنقاء. ولم يكن أمام مريم أمام النظرات المعبرة والتساؤلات إلا أن تطبق الوصية وأن تبقى صائمة عن الكلام, لأن الحديث مع قومها عبث ولن يقنعوا...إلا بآية عظيمة.{ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ..} إلى عيسى أن كلموه . فهو الذي يقول الحقيقة . وأشارت إليه لأنها كانت صائمة . ولم تأمره بالنطق واقتصرت على ذلك للمبالغة في إظهار الآية العظيمة. وأن هذا المولود يفهم الإشارة ويقدر على العبارة.

فتعجب القوم وظنوها تهزأ بهم حين قالوا {..كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً} هو لا زال في حجر أمه, ولم يعهد في مثله... فكيف سيتكلم ؟. عندئذ كانت المعجزة وهي كلام عيسى عليه السلام فقال: { إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ} أقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل حتى لا يكون للقوم مجال للقول بأنه إله [2] {آتَانِيَ الْكِتَابَ} أخبار مما سيقع وما هو كائن في اللوح المحفوظ بأن هذا الآلهة الذي اعترف بالعبودية له سينزل عليه الكتاب{وَجَعَلَنِي نَبِيّاً} لأني سأكون نبيا، وهنا تبرز براءة أمه لأن الله لا يصطفي للنبوة أولاد سفاح [3] .{وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ

---

(١) سورة مريم، آية: ١٦ - ٣٣ .

(٢) أنظر تفسير الطبري، ج١٦، ص ٦٠.

(٣) نفس المرجع، ص٦٠. وأنظر ابن الجوزي في زاد المسير، ج٥، ص٢٢٥.

وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً }. أي سيجعلني نفاعا للناس، هاديا لهم إلى سبيل الرشاد في أي مكان كنت[1].

وقد جعل هذه الصفات كأنها حديث له فعلا وهي لم تحصل بعد. من قبيل أنها لما كانت واقعة حينما نزلت منزلة ما قد حصل. {وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً } أي وأمرني بالصلاة إذ في إقامتها وإدامتها على الوجه الذي سنه الدين تطهير النفوس من الأرجاس ومنع لها من ارتكاب الفواحش من ظهر منها وما بطن[2].{وَبَرّاً بِوَالِدَتِي} أي لا أنكر والدتي ولن أكن عاقا لها. بل سأكون بارا بها. وفي هذا رمز إلى نفي الريبة عنها إذ لو لم تكن كذلك لما أمر الرسول المعصوم بتعظيمها[3]. { وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً } ولم يجعلني جبارا مستكبرا عن عبادته ولا شقيا بعقوق والدتي وعدم البر بها[4].

{ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً } أو الآمنة من الله علي فلا يقدر أحد على ضري في هذه المواطن الثلاثة التي هي أشق ما تكون على العبادة[5].

وأما بالنسبة إلى الحكمة من ذكر القرآن لكلام عيسى عليه السلام في المهد فقد جاء ذكر ذلك في القرآن الكريم في أكثر من موضع وذلك ليكون آية على طهر أمه وعفافها، وبراءة عرضها من أن يعلق به شيء مما تقوله الألسنة، وتوسوس به الظنون، في حال كحال مولود يولد من غير زواج معترف به شرعا أو عرفا.ولقد أشار القرآن الكريم في سورة آل عمران إلى بشارة الملائكة لمريم بكلام المولود الذي سيكون فقال

---

(١) أنظر تفسير المراغي، ج١٦، ص ٤٧. بتصرف.

(٢) نفس المرجع، ج١٦، ص٤٧.

(٣) نفس المرجع، ج١٦، ص٤٨. بتصرف.

(٤) أنظر تفسير الطبري، ج١٦، ص٦١.

(٥) نفس المصدر، ج١٦، ص٦١. بتصرف.

تعالى: { وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ }. وتكلم كذلك حين وضعته. ليثبت لمريم يقين البشرى التي كانت وأنها إرادة الله قضت بهذا فلا مجال للحسرة أو الحزن.

وحين المواجهة مع القوم كذلك نطق بما لا يدع مجالاً للشك في طهارة مريم، وثبوت الآية العظمى. وأخبرهم بصفاته ورسالته، وذكر الرازي أن قوما كانوا ينكرون كلام عيسى عليه السلام بحجة: أن كلامه في المهد من أعجب الأمور وأغربها، فلو وقعت هذه لوجب هذا الوقوع في حضرة جمع عظيم يحصل القطع واليقين بقولهم. لأن تخصيص مثل هذا المعجز بالواحد والاثنين لا يجوز ومتى حدثت الواقعة العجيبة جدا عند حضور الجمع العظيم فلا بد من أن تتوفر الدواعي على النقل فيصير ذلك بالغا حد التواتر، وإخفاء ما يكون بالغا حد التواتر ممتنع، فلو كانت هذه الواقعة موجودة لكان أولى الناس بمعرفتها النصارى ولما أطبقوا على إنكارها [1].

المطلب الثاني
أسس رسالة المسيح عليه السلام

تضمنت رسالة المسيح عليه السلام أسسا تسير وفق منهج الهي كغيره من الأنبياء والرسل وتتلخص هذه القواعد والأسس فيما يلي:

أولا: التوحيد

بين القرآن الكريم أن أول ما جاء به عيسى عليه السلام هو التوحيد الكامل، التوحيد في العبادة، فلا يعبد إلا الله ولا يتقرب بشيء إلا إلى الله، فالله هو الخالق كل شئ. مدير الأمر كيف شاء هو رب الكل لا يختص بجماعة دون أخرى، ولا

---

(١) أنظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج٣، ص١٢٢، بتصرف. وفي ظلال القرآن لسيد قطب، ج٤، ص٢٣٠٠.

بجنس دون آخر، فأخبر قومه بأن الله تعالى واحد في ذاته، واحد في صفاته فذاته تعالى ليست مركبة، فهو الله الواحد الذي لا يتجزأ، يغير ولا يتغير، لا يشاركه في ملكه أحد، ولا يشبهه أحد، ليس كمثله شئ وهو اللطيف الخبير.

وهذا ما قاله عيسى ابن مريم: { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ۞ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }(١).

ثم أكد فيما بعد أن عيسى لا يعلم ما في علم الله لأنه عبد الله وكيف يساوى العبد بالإله. وانه كان دائما يقول لقومه اعبدوا الله ربي وربكم. ولا أتميز عنهم بشيء. أعبدِ كما تعبدون إنما أنا مرشد فقط.. { تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنت الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }(٢). وقد ورد في إنجيل متى ما يؤكد هذا التصور إذ جاء فيه: " لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد... "(٣).، وقوله: " أنت الإله الحقيقي وحدك "(٤). ومشار إلى ذلك في رسائل بولس ويعقوب. وإنجيل برنابا.

---

(١) سورة المائدة، آية: ١١٦- ١١٧.

(٢) سورة المائدة، آية: ١١٦ – ١١٧.

(٣) متى، ٤/ ١١.

(٤) متى، ٤٩/ ٢٦.

ثانيا : التصديق بالرسل

ذكر القرآن أن المسيح صدق برسالة موسى واعترف بالتوراة. ولكنه جاء ليبين لهم بعض الذي حرم عليهم. وما أحله الله لهم بما يوافق وحياتهم: {وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ} (1). وفي سورة الزخرف جاء عيسى بالبينات والحكمة وبيان قول الفصل في مسائل الخلاف بين الفرق والأحزاب. حتى يستقر الأمر على الوحدة قال تعالى: {وَلَمَّا جَاء عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} (2).

وعيسى كان يثني على موسى ودعوته والتوراة {وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ }. ولم يقف عند هذا الحد بل بشر بالرسول الذي سيأتي من بعده {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ }(3).

ثالثا: لا وساطة بين المخلوق والخالق

جاء المسيح فوجد الذين يعلمون بخلاف ما يعملون به من التوراة والشعب منخدع بهم ومصدق لهم. وكان الفريسي في اعتقادهم رجلا معصوما عن الخطأ. فإذا جادل كان الحق في جانبه دائما ، وإذا دخل إلى المجلس طلب الأول وإذا فعل خيرا بوق خيرا به تبويقا... حتى أن الناس آمنوا بعيسى ولكن الكثير لم يجرؤ على إعلان

---

(1) سورة آل عمران، آية: ٥٠ .

(2) سورة الزخرف، آية: ٦٣.

(3) سورة الصف، آية: ٦.

ذلك خوفا من لفريسيين. لأن ذلك يفضي إلى الطرد من المجامع " المعابد " والحرمان من الحقوق الدينية. وهذا الحرمان يستوجب من الشريعة اليهودية حجز الأملاك. وهذا بدوره يؤدي إلى شيء من الإهانة والخسارة. وكان المسيح يدعو إلى نقاء الباطن والاتصال بالله بدون وساطة أحد قال تعالى:{ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ }. (1)

رابعا: الأمر بالعبادة

كان عيسى يدعو إلى إخلاص العبادة سواء كانت معاملات فيما بينهم من المحافظة على الحقوق واحترام الفرد. والأخلاق الفاضلة أو كانت في إقامة الصلاة شكرا لله. أو دفع الزكاة للفقراء والمساكين وقد نص القرآن على ذلك{وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ۞ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً }(2) . ومن المستحيل أن ينفك عنصر العقيدة الإيمانية عن الشعائر التعبدية عن القيم الخلقية. عن الشرائع التنظيمية في أي دين يريد أن يصرف حياة الناس فوق المنهج الإلهي. وأي انفصال لهذه المقومات يبطل عمل الدين في النفوس وفي الحياة. ويخالف مفهوم الدين كما أراده الله.

خامسا: التبشير بمحمد ﷺ

بشر المسيح عليه السلام برسالة رسولنا الكريم ﷺ فقال تعالى:{وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ

---

(1) سورة التوبة ، آية ، 31.

(2) سورة مريم ، 31- 32.

مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ۞ فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۞ أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۞ قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۞ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(١) . وقال تعالى: {لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَـئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً} (٢) . وقال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(٣).

وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} (٤) .

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٨١- ٨٥.

(٢) سورة النساء، آية: ١٦٢.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٤) سورة الصف، آية: ٦ - ٩.

ولقد ذكر القرآن أن الله أخذ الميثاق على النبيين انه كلما جاء رسول مصدق لما معهم ليؤمنن به ولا بد من نصره، ومن خرج عن هذا الطريق فلا يعتبر من الأنبياء، لأن الأنبياء دينهم واحد ورسالتهم واحدة من عهد آدم إلى محمد ﷺ.

كما ذكر القرآن أن عيسى عليه السلام كان واحدا من هؤلاء الأنبياء وبشر برسول سيأتي من بعده اسمه أحمد . اعترف بنبوة موسى وكتابه {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ } (1) . كما وأن القرآن الكريم قد ذكرهم بأنه مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث.فمن يؤمن به وينصره ويأخذ بما يقول فهو من المفلحين . قال تعالى {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (2).

ولقد أشارت كتب التوراة والإنجيل إلى ما أشار إليه القرآن الكريم من التبشير بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم فقد جاء في التوراة: في سفر أشعيا الإصحاح " أنصتي أيتها الجزائر ولتجدد القبائل قوة (وفي نسخة الكتاب المقدس سنة ١٩٦٦ م بدل القبائل الشعوب) ليقتربوا ثم يتكلموا - لنتنا فذ جميعا إلى القضاء - لنتقدم إلى المحاكمة من انهض من المشرق - الصديق من المشرق - الذي يلاقيه النصر عند رجيلة

(١) سورة الصف، آية : ٦.

(٢) سورة الأعراف ، آية : ١٥٧.

وجعل الأمم بين يديه .

وأخضع الملوك وجعلهم كالتراب لسيفه وكالعاصفة المذراة لقوسه. يطردهم ويجوز سالما في سبيل لم يطأه بقدميه من فعل وصنع داعيا الأجيال من البدء. أنا الرب. أنا الأول والآخر.والمراد بالقبائل أو الشعوب العرب وصاحب السيف والقوس هو محمد ﷺ فإن عيسى لم يحارب أبدا. ومما جاء في مخطوطة السيف الممدود: " أخبر الله بدخول محمد ﷺ الجنة قبل سائر الخلق ونصه هو: " ويسع أضنى الوهم جر بعد رمكادمش ".

وجاء في الإنجيل: في قول يوحنا إصحاح ما نصه: " أن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليطا آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم وفيكم ". وترجمة الفارقليط بالعربية " أحمد " كما قال تعالى: { وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ }[1]. وقد ورد ذكر البشرى بمحمد ﷺ في إنجيل بر نابا أكثر من عشرين مرة.فعلى سبيل المثال: الإصحاح الثاني والأربعين الذي جاء فيه: "... رسول الله الذي تسمونه أمسيا خلق قبلي وسيأتي بعدي وسيأتي بكلام الحق ولا يكون لدينه نهاية ".

وجاء في الإصحاح الثاني والسبعين: "... أني قد أتيت لأهيئ الطريق لرسول الله الذي سيأتي بخلاص العالم... " .وفي الإصحاح الثالث والسبعين: "... إنه رسول الله ومعي جاء إلى العالم فيسكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر وبالرحمة الغزيرة التي يأتي بها... " . ولقد أكد القرآن معرفة أهل العلم والأيمان برسالة محمد ﷺ وإيمانهم بها وبما كان قبلها {لَّـٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ

---

(١) سورة الصف، آية:٦.

بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَـئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً }[1].

ومن ذلك على سبيل المثال ما نقله هشام قصة إسلام سلمان الفارسي الذي ترك الأوثان إلى دين النصرانية وهاجر إلى عمورية حيث وصف له رجل هناك. وعند وفاته وهو نصراني قال له سلمان إلى من توصي بي ؟ فقال : لا أعلم أحدا اليوم على مثل ما كنا عليه ولكن أظللك نبي يبعث بدين إبراهيم الحنفية بأرض ذات نخل وبه علامات لا تخفي بين منكبية خاتم النبوة. ويأكل الهدية ولا يأكل الصدقة استطعت فتخلص إليه "[2].

وينقل محمد رضا اتفاق مؤرخي العرب وأصحاب السير أن أهل الكتاب كانوا ينتظرون ظهور نبي في ذلك الزمان وكانوا يعلمون أوصافه أحواله من ذلك أنهم ذكروا :

❖ أنه ثبت بالأخبار القريبة من التواتر أن"ثقا "و"سطيحا " كانا كاهنين يخبران بظهورنبينا ﷺ قبل زمان ظهوره.

❖ قصة حليمة السعدية كيف كانت تعرض رسول الله على اليهود وتحدثهم بشأنه فكانوا يحضون على قتله فتهرب منهم.

❖ قصة بحيرة الراهب الذي عرف رسول الله بعلامات فيه وقال لأبي طالب ارجع بابن أخيك إلى بلده فاحذر عليه اليهود. فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفته ليبغنه شرا ، فإنه كائن له شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلده.

---

(١) سورة النساء ، آية : ٦٢.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ، ج١ ، ص٢١٤.

المبحث الرابع
معجزات المسيح عليه السلام

المطلب الأول
مفهوم المعجزة

المعجزة لغة مأخوذة من المعجز الذي هو نقيض القدرة، والمعجز في الحقيقة فاعل العجز في غيره، وهو الله تعالى. كما أنه القدرة لأنه فاعل القدرة في غيره. وإنما قيل لا غلام الرسل عليهم السلام معجزات لظهور عجز المرسل إليهم عن معارضتهم بأمثالها. وزيدت الهاء فيها فقيل معجزة للمبالغة في الخير عن عجز المرسل إليهم عن المعارضة فيها. وتعريف المعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبي مرسل عند تحدي المنكرين له على وجه يبين صدق دعواه، مع إمكان وقوعه عقلا.

وقد ذكر القرآن لنا كثيرا من هذه المعجزات التي أظهرها الله على يد رسله، تبين صدق دعوتهم، وتوضح للناس ارتباطهم بالله سبحانه، وأنهم مؤيدون به. وكانت هذه الآيات ممكنة في ذاتها والعقل لا يمنعها، والعلم لا ينفيها كذلك. والمؤمنون بالله يصدقون ما ثبت بالدليل القاطع، لعلمهم بأن الله قادر على كل شئ، وهو قادرعلى سلب النار خاصية الإحراق، كما فعل مع إبراهيم عليه السلام {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۞ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ }[1].

والله خلق آدم من التراب بلا أب ولا أم، قادر على خلق عيسى بدون أب، وهذا الخلق أهون من الأول.{قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً ۞ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً

(١) سورة الأنبياء، آية: ٦٨.

مَقْضِيّاً } (١). أما ما يظهر على يد غير الرسل من خوارق العادات، فهو على غير حقيقة، فإن منها له أسباب خافية على الجمهور، وإن منها ما هو صناعي يستفاد بتعليم خاص، ومنها خصائص قوى النفس في توجيها إلى مطالبها، وسيطرة أقوياء الإرادة على ضعفائها.ويدخل في هذين الأمرين، المكافئة في بعض الأمور، والتنويم المغناطيسي، وشفاء بعض المرضى ولاسيما المصابين بالأمراض العصبية، التي يؤثر فيها الاعتقاد والوهم، ومنها انخداع البصر بالتخيل، الذي يحذقه المشعوذون، منهما فعله سحرة فرعون المعنى بقوله : { فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى}(٢). ولا تحصل المعجزة إلا على أيدي الأنبياء، وذلك لأن صدمتها إن كانت شديدة على الحاضرين، فهي أشد على من يكون وساطة فيها، ولذلك اختار الله الأنبياء واصطفاهم، ولمنع الصدمة الشديدة وقت حدوثها يهيئ الله الظروف لتحطمها، ويهيء النبي نفسه لقبولها، ويهيء الحاضرين لمشاهدتها، فأمر الله لسيدنا موسى بإدخال يده في جيبه وإخراجها فتكون بيضاء ليس إلا تهيئة للمعجزات الأخرى.

المطلب الثاني
معجزات عيسى عليه السلام

خلطت الأناجيل بين المعجزات والكرامات والعجائب ، ولذلك يصعب إن لم يكن مستحيلا معروفة هذه المعجزات من غير القرآن الكريم وبخاصة أن أصحاب القصص ذكروا أعاجيب المسيح في طفولته وهي مما لا يستند إلى سند تاريخي سوى مخيلة العامة كما وصف ذلك الدكتور الحايك. أما القرآن فقد ذكرها بشكل واضح

---

(١) سورة مريم، آية : ٢٠ - ٢١.

(٢) سورة طه ، آية : ٦٦.

وجلي حين ذكر خمسا منها في سورة المائدة. وإذا ما اعتبرنا قصة المائدة فهي ست كما ذكر في سورة آل عمران سابعة. وهذه المعجزات هي :

١- الكلام في المهد : قال تعالى {تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً} [١]. وقد تعرضنا إلى كلامه عليه السلام مع والدته القوم وهو في المهد. ما فيه الكفاية. فارجع إليه.

٢- معرفة الكتاب (التوراة والإنجيل).قال تعالى : { وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ } [٢]. فهذه الآية اعتمد عليها في تبشيره ودعوته الناس. حيث أتاه الله علم الكتاب وفهمه وهو ما أنزله الله من التوراة على موسى والإنجيل على عيسى. فلا تكون رسالة بدون تعاليم. فكانت هذه من علم الكتاب وفهمه آية على صدق ورسالة.

٣- نفخ الروح في الطير: قال تعالى: {وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي} [٣]. أي يصور من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فيكون طيرا بإذن الله. أي أن الله سبحانه وتعالى خلق على يديه طيرا من طين فالخالق هو الله سبحانه وتعالى . ولكن جرى الخلق على يد عيسى وينفخ من روحه عليه السلام .

٤- إبراء الأكمة: قال تعالى: { وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي} [٤]. وهما مرضان تعذر على الطب قديمه وحديثه العثور على دواء لهما والتمكن من أسباب الشفاء منهما. ولكن عيسى بقدرة الله شفاهما. فكانت هذه الآية من

---

(١) سورة ال عمران، آية : ١١٠.

(٢) سورة ال عمران، آية : ١١٠.

(٣) سورة المائدة، آية : ١١٠.

(٤) سورة المائدة، آية : ١١٠.

جملة ما وهبه الله على صدق رسالته.

٥- إحياء الموتى: قال تعالى: { وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي }[١]. فكان عليه السلام يحيي الميت بعد خروج روحه. والمحي في الحقيقة هو الله العلي القدير. وإنما أجرى ذلك على يد المسيح برهانا وآية على رسالته.

٦- والأخبار عن أكل الناس ومدخراتهم: قال تعالى: {وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [٢]. أي وأخبركم بما تأكلونه من أنواع المآكل وما تخبئونه للغد في بيوتكم. وقد كان يخبر الرجل أكل وبما سيأكل. وعقب هذه الآية بقوله تعالى: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} أي علامة على صدقي إن كنتم مصدقين حجج الله وآياته. مقرين وبتوحيده.

٧- أنزال المائدة من السماء: إنزال المائدة من السماء بطلب الحواريين لتطمئن قلوبهم ويعلموا أن عيسى عليه السلام قد صدقهم بما قال. وأشار القرآن الكريم إلى ذلك: { إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُواْ اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ۞ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۞ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ}[٣].

---

(١) سورة المائدة، آية: ١١٠.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٤٩.

(٣) سورة ال عمران، آية: ١١١ — ١١٥.

المطلب الثالث
حكمة المعجزات

نعرض العلماء إلى الحكمة الإلهية في تنسيق الآي الكريم الذي وردت ذكر هذه المعجزات. حيث كان الكلام في مهد ثم تعليم الكتاب وخلق الطير، وإحياء الموتى... وقالوا بأنها رحمة من الله بعباده لكي يعرفوا تلك المعجزات بالتدرج، وعلى الخصوص تلك التي تكون على غير العادة، ومخالفة لنواميس الطبيعة، أي أن كل واحدة تمهد للأخرى حتى إذا وقعت الأخرى كان التصديق والتسليم لأن الإنسان خلق محدود الإدراك والحواس.

والإنسان كذلك لا يفهم ولا يرى ولا يسمع إلا ما كان في متناول إدراكه فإن رأى شيئا فوق طاقته واجتهد في أن يرده إلى شئ يعرفه. فإن لم يمكنه بقى متحيرا. وإن تكرر ذلك أدى إلى اضطراب في الأعصاب قد يكون خطرا عليه.

وهنا نلاحظ لطف الله في يظهر قدرته للإنسان بالتدرج كما في المعجزات، فمثلا يمكنه تعالى خلق الطير وغير الطين ولا داعي للنفخ عن طريق الإرادة هي " كن ولكنه التقريب للبشر، فإذا كان شكل الطير يشبه فيه الإنسان بالطير الحقيقي، ولا يكون هناك فرق بينهما إلا الحياة. وعلمية النفخ تجعله ينتظر تغييرا كما يحدث في أشياء كثيرة مثل الكرة إذا نفخ فيها وغير ذلك، فعند وجود الروح في هذا الهيكل الطيني تكون الصدمة قد انكسرت حدتها بانتظار حدوث شئ هام، مع أن كل هذه المقدمات لا دخل لها مطلقا في وجود الحياة والروح، وهكذا بقية المعجزات التي كانت لعيسى عليه السلام . وكذلك مولد سيدنا عيسى عليه السلام قد بدأ غريبا عليهم لأنهم ألفوا المولود من ذكر وأنثى، ولكن عندما رأوا الآية التي جاء بها المسيح آمنوا وصدقوا بأنه كان قدرة إلهية.

كما تعرض بعض العلماء إلى الحكمة العامة من هذه المعجزات مثل ابن كثير الذي ذكر على أنها كانت من جنس الطب الذي كان شائعا في ذلك العصر وأنها كانت مناسبة لما كانوا يعلمون بأيديهم لتؤيد شريعة الله. ولذلك جاء المسيح بما عجز عنه الأطباء مثل مداواة الأكمة والأبرص وإحياء الموتى. وذهب الشيخ أبو زهرة إلى أن زمان المسيح قد ساده إنكار الروح في أقوال بعضهم، وأفعال جمعهم، فكانت معجزته إعلانا لوجود الروح حيث أوجد الطير وأحيا الأموات بإذن الله، ودعوة إلى الإيمان بالبعث والنشور والحياة الآخرة.

المطلب الرابع
الحـواريـــون

الحواريون في اللغة والاصطلاح:

اختلف أهل اللغة في معنى هذه الكلمة (١) ، كما اختلف آخرون في أصلها العربي إلا أن المعنى الغالب على أنها تعني الصفوة التي أخلصت في تصدقيها ونصرتها لعيسى عليه السلام . ولا شك في أن أصل المادة في العربية "ح و ر" (٢) ، وإن ذكر أصل لها في اللغات الأخرى كالأثيوبية أو العبرية أو اليونانية (٣).

وباستقراء النص القرآني نجد أن " كلمة الحواريين " ذكرت في مواضع عدة من القرآن الكريم وورد ذكرهم في سورة آل عمران عندما كان المسيح عليه السلام يدعو الناس إلى الله. فآمن به من آمن. وكفر به من كفر. فقام هؤلاء الكفار بحبك المؤامرات والفتن مع الوالي الروماني ضده عليه السلام للقضاء عليه. فطلب النجدة ممن آمنوا به لمواصلة الوعظ والإرشاد وتحمل الأمانة في نشر هذه الرسالة فقال تعالى: {فَلَمَّا

---

(١) أنظر تفسير الطبري، ص٤٥٠، وتفسير الرازي، ج٧، ص٦٧.

(٢) أنظر تاج العروس، مادة (ح و ر)، مجد ٣، ص١٦١.

(٣) أنظر فريد وجدي، دائرة المعارف للقرن العشرين، ص٤٠٥.

أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}(١).

كما ورد ذكر الحواريين في سورة الصف: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ }(٢). فقد ورد ذكرهم هنا في معرض العبرة والافتخار بتلك الجماعة التي آمنت وصدقت حين نصرت عيسى عليه السلام، ووقفت إلى جانبه في أحلك الظروف، وأصعب الأوقات، حين قامت قوى الشر ضد المسيح، فكان هؤلاء القوة الدفاعية لمواصلة التبليغ والإرشاد، بما أوتوا من إيمان وقوة، وكان لهم أثرهم الملموس الذي ذكره الله تعالى سورة الصف حين قال: {فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ }. فهم الذين آمنوا بعيسى ونصروه في الإيمان والعمل، يؤكد ذلك قوله تعالى في سورة المائدة: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ }(٣). وكان ذلك في معرض ذكر النعم على عيسى عليه السلام، وأن الله جعل له أنصارا يأخذون بيده، ويشدون أزره، أولئك الذين هداهم الله إلى الإيمان به وبعيسى على أنه رسوله، فنطقوا بالإيمان الذي وجوده بقلوبهم حيث كان بقدرة الله وهدايته، وشهدوا بأنهم مسلمون.

---

(١) سورة آل عمران، آية : ٥٢ .

(٢) سورة الصف، آية : ١٤ .

(٣) سورة المائدة، آية: ١١١.

والحواريون هم جماعة آمنت بعيسى عليه السلام ووقفت بجانبه لنشر دعوته في بني إسرائيل كما يصورها ذلك القرآن في سورة آل عمران: {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}. ثم شهدوا عن أنفسهم بالإسلام، ولم يشهدوا بالنصرانية أو اليهودية كما قال تعالى: {.. وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}.

وذهب الطبري إلى أن هذا خبر من الله عز وجل بان الإسلام دين الله انبعث به عيسى والأنبياء من قبله، ولا النصرانية ولا اليهودية، وتبرئة لعيسى ممن انتحل النصرانية، ودان بها كما برأ سبحانه إبراهيم من الأديان غير الإسلام: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[1].

وكان سبب هذا البيان هو احتجاج الله تعالى ذكره لنبيه محمد عليه السلام على وفد نجران. أقدم العصور التاريخية إلى عصر النبوة المحمدية التي جمعت دين هؤلاء كاملا كما أراد الله. فالإسلام هو التوجه إلى "رب العالمين" في خضوع خالص لا يشوبه شرك، وفي إيمان واثق مطمئن بكل ما جاء من عنده تعالى على أي لسان، وفي أي زمان أو مكان، دون تمرد على حكمة، دون تمييز شخصي أو طائفي أو عنصري بين كتاب من كتبه، أو بين رسول ورسول من رسله كما يقول القرآن[2]. هذا الافتراق والخروج هو فكرة العالمية التي ادعاها بولس دون أن يستند على أي نص إنجيلي بل صرح في رسالته أن يقبل المهتدين من الوثنيين واليهود على السواء، " لان موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضا "[3] ، بولس الذي وصل إلى

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٥٢.

(٢) انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٣٨٩- ٣٩٠، بتصرف.

(٣) نفس المرجع، ص٣٨٩- ٣٩٠.

مرتبة القديسين في النصرانية، دخيل عليها وهو يهودي روماني يدعى شارل كان من ألد أعداء المسيحية يضطهد دعاتها إلا انه ادعى اعتناقه لها بعد قصة خيالية خارقة ذكرها سفر الأعمال(1).

ومن خلال تنازلاته الكثيرة وانحرافه بالنصرانية عن مسارها يتبين لنا الهدف الخبيث من اعتناقه للنصرانية لا حبا لها وإنما محاولة لتخريبها من داخلها وفق خطة تلمودية مدروسة. ويفصل سفر الأعمال عن حياة بولس، وقد أخذت أعماله الجزء الأكبر من هذا السفر فهو يتحدث فيه عن نفسه ويقول: " أنا رجل يهودي، ولدت في طرسوس كليكية، ولكن ربيت في هذه المدينة مؤدبا عند رجلي غمالائيل(2).

وغمالائيل من أحبار اليهود، عرفت مدرسته في القرن الأول الميلادي في القدس ويصرح بولس بيهوديته أمام الجميع فيقول: " أنا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم " وكان لبولس اثر كبير في تطور المسيحية وتغيير مسارها الذي وضعه المسيح عليه السلام.

ويقول ول ديورانت " ولقد انشأ بولس لاهوتا لا نجد له إلا أسانيد غامضة اشد الغموض في أقوال المسيح، أما أسس هذا اللاهوت فاهمها أن كل ابن أنثى يزن خطيئة آدم، ولا شيء ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته(3).

وادخل بولس إلى المسيحية طقوسا كثيرة وذلك تلاؤما مع تلك البيئة التي لا تتصور دينا دون طقوس. ومن هذه الطقوس التي أضافها بولس للمسيحية فكرة التطهر ومفهوم التضحية فقد أصبحت فكرة التطهر بالتعميد علامة الدخول

---

(1) الأعمال، ٩/١- ٧.

(2) الأعمال، ٢٢/٢.

(3) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج١١، ص٢٦٤.

بالمسيحية، وتضحية الرب بنفسه لأجل خطايا البشر توجد بين الأتباع وبين الهمم في نظرهم، وتبين أنهم جسم واحد أمامه ومن هذه الطقوس أكل الخبز جماعة والشرب جماعة. ويقول بولس في إحدى رسائله " كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح، الخبز الذي نكسره فنحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعا نشترك في الخبز الواحد"[1]. وفكرة الخطيئة الموروثة لم تكن معروفة لدى اليهود، بل الذي جاء بها بولس في الفلسفات الوثنية ومن الإضافات التي أضافها للمسيحية ما يلي:

١- نادى بعالمية المسيحية أي لكل الأمم ولو أدى الأمر إلى التساهل في بعض التشريعات التي كانت تضايق الوثنيين كالختان والسبت وتحريم الخنزير، فأبطل الختان ونقل العيد الأسبوعي ليوم الأحد ليوافق يوم الشمس عند الوثنيين وأباح أكل لحم الخنزير.

٢- أدخل المسيحية في تعقيدات الفكر اليوناني بعد أن كانت تتسم بالبساطة.

٣- أدخل فكرة الخطيئة الموروثة " وهي أن كل إنسان مذنب منذ ولادته لأنه يعد وارثا لخطيئة آدم، وقد أرسل الله ابنه الوحيد إلى العالم ليكفر عن خطيئة الناس بموته على الصليب فداء لهم ".

٤- ادخل بولس عقيدة الكلمة " اللوجس " التي كان يقول بها فيلون اليهودي في الإسكندرية كما ادخل عقيدة التجسيد. إضافة إلى كثير من الاصطلاحات والطقوس التي ادخلها " بولس " للمسيحية ويتضح تاريخها الوثني وممارسة الوثنية لما يماثلها من قبل. ويقول ديورانت: " إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها، ذلك أن العقل اليوناني المتحضر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت

---

(١) كورنثوس الأولى، ١٠/١٦- ١٧.

الكنيسة وطقوسها " (١).

ولقد تمكن بولس بدرايته السياسية وقدرته الابتكارية – تلك الصفة التي اكتسبها من يهوديته – أن يكون مسيحية جديدة على حساب عيسى عليه السلام وينشئ لها عقيدة لا تمت لعقيدة المسيح عليه السلام بصلة واستطاع أن يقنع الناس أن عيسى ابن الله.

ويقول (بيري Berry) في كتابه (الأديان العالمية): " لقد كون شارل المسيحية على حساب عيسى فهو في الحقيقة مؤسس المسيحية، وقد ادخل على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب إليه العامة منهم وادخل صورا من فلسفة الإغريق ليجذب إليه إتباعا من اليونان عيسى فأصبح ابن الله حملت به أمه العذراء حملا غير طبيعي واحتلت صورة العذراء والمسيح مكانا مقدسا احتلته قديما صورتان " حورس " و" اوزيريس " ووضعت في كل الكنائس " (٢)

وهكذا فإن إضافات بولس للنصرانية قد ساعدت على نمو النصرانية، و من خلال الإطلاع على هذه الأعمال الإضافية لبولس نجد أن النصرانية قد نمت نموا غير طبيعي، وكل ما أدخله عليها من أفكار كالتأليه والتثليث والنبوة والخطيئة والفداء ما هي إلا شوائب غريبة دخلت إليها من بيئة غير بيئتها وجيء بها تشويه صورة الديانة النصرانية.

---

(١) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج١١، ص٢٧٥.

(٢) أنور الجندي، الإسلام والفلسفات القديمة، ص١٨١.

الفصل الثانى
العقائد النصرانية

الفصل الثاني
العقائد النصرانية

المبحث الأول
عقيدة التثليث والأقانيم

التثليث والأقانيم عقيدة طارئة دخيلة على النصرانية، بذرتها الأولى ظهور فكرة ألوهية المسيح عليه السلام والتي بدأ بها بولس وحمل لواءها بطريق الإسكندرية المتأثر بالأفلاطونية الحديثة وأفكارها الفلسفية التي عرفت التثليث من قبل. وتعد هذه العقيدة هي ركن العقائد النصرانية وتتمثل في الاعتقاد بأن المسيح هو الله وهو ابن الله، وأنهم ثلاثة شركاء منسجمين ومتحابين وهم:

- الأب : ويراد به عند النصارى " الذات الإلهية وحدها مجردة من صفتي الكلمة والحياة، وهي بمنزلة الأصل والمبدأ لوجود الابن ".
- الابن : ويراد به عند النصارى " كلمة الله " لكنه ليس ككلمة البشر.
- الروح القدس، ويراد بهذا اللفظ عند النصارى " صفتا الحياة والحب للأب والابن، أي الذات الإلهية " الأب " يحب بها صفة علمه " الابن " والابن كذلك يحب الأب، وهذه الصفة كذلك لها وجود جوهري، وقديمة خالدة قدم وخلود الأب والابن، ومن ثم فهي أقنوم مستقل. والثلاثة " الأب والابن والروح القدس " ثلاثة أقانيم، والإقنوم كلمة يونانية تعني: "المتميز - المتشخص ".

والمتتبع لمراحل تسرب عقيدة التثليث إلى النصرانية يعجب كيف تمكنت هذه الفكرة الدخيلة من فرض نفسها وتحولها من فكرة غريبة مستهجنة إلى ركن من أركان العقيدة النصرانية اكتملت في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م،

وفيما يلي بيان للجذور التاريخية لهذه العقيدة وذلك من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول
البعد التاريخي لفكرة التثليث
في العقيدة النصرانية

عقيدة الثالوث لم تدخل إلى النصرانية إلا في القرن الرابع الميلادي حيث تشكلت هذه النظرية بواسطة " أثاناسيوس " وهو راهب مصري من الإسكندرية وقد تمت الموافقة عليها في المجامع المسكونية الأول والثاني ، وتستشهد دائرة المعارف الفرنسية بأقوال قدماء المؤرخين على ذلك فيقول " جوستن مارستر " مؤرخ لاتيني في القرن الثاني : " إنه كان في زمنه في الكنيسة مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح ويعتبرونه إنساناً بحتاً وإن كان أرقى من غيره من الناس.

وحدث بعد ذلك أنه كلما ازداد عدد من تنصر من الوثنيين ظهرت عقائد جديدة لم تكن من قبل"[1]، فقد كان المسيحيون الأوائل موحدين ، وكانت تلك هي تعاليم المسيح وتلاميذه ، ولكن بولس الذي أدخل إلى النصرانية معظم العقائد الباطلة ، نادى أولاً بألوهية المسيح ، وعارض تلاميذ المسيح ومضى في ترويج أفكاره لأطماع توسعية أرادها .

وبنظرة تاريخية سريعة على القرون الأولى للمسيحية ترينا أن النصرانية كانت بين شقي الرحى ، بين اضطهاد اليهود ، واضطهاد الوثنية الرومانية ، وفي سنة

---

(١) محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، ج ١٠ ص٢٠٢ ـانظر محمد أحمد الحاج ، النصرانية من التوحيد إلى التثليث.

٣٢٥م كانت القسطنطينية قاعدة الدولة الرومانية الشرقية، ولما كان أغلب رعايا الإمبراطور قسطنطين من المسيحيين.

وكان أغلب الوثنيين في حوزة روما في الغرب، فلكي يقوّي مركزه قرب المسيحيين إليه، ولكن لما كانوا هم أنفسهم مختلفين حول المسيح فقد دعاهم إلى عقد مجمع لحسم هذه الخلافات العقائدية التي كان لها أثرها على إشاعة عدم الاستقرار في إمبراطوريته لذلك عقد مجمع نقية سنة ٣٢٥، وقد حضره(٢٠٤٨) أسقفاً من جميع أنحاء العالم وذلك لتحديد من هو المسيح، فتناظر المجتمعون وقرر(١٧٣١) من الأساقفة المجتمعين وعلى رأسهم "آريوس" أن المسيح عليه السلام إنسان، ولكن "أثناسيوس" الذي كان شماساً بكنيسة الإسكندرية انتهز هذه الفرصة فأراد أن يتقرب إلى قسطنطين الوثني فأعلن أن المسيح هو الإله المتجسد، وتبعه في ذلك الرأي (٣١٧)عضواً ومال قسطنطين الذي كان ما يزال على وثنيته إلى رأي "أثناسيوس) لما فيه من عقيدة وثنية تؤمن بتجسيد الآلهة ونزولها من السماء، فأقر مقالة (أثناسيوس" وطرد الأساقفة الموحدين وعلى رأسهم "آريوس". وأخطر من هذا أنه قضى بحبس الكتاب المقدس فلا يسمح بتداوله بين الناس، وان يقتصر تعليم الدين على ما يقوم القساوسة بتلقينه للناس"[1]، وبهذا "سيكون من قبيل الجهد الضائع محاولة العثور على حكمة واحدة أو وحي أو أية رسالة مرفوعة إلى يسوع المسيح بلغته الخاصة، ويجب أن يتحمل مجمع نيقية إلى الأبد مسئولية جريمة ضياع الإنجيل المقدس بلغته الآرامية الأصلية، وهي خسارة لا تعوض"[2].

---

(١) انظر شريف محمد هاشم، مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص٢٤٣ – ٢٤٤، وانظر الإسلام والمسيحية في الميزان، ص٢٢٢- ٢٢٥.

(٢) شريف هاشم، محمد في الكتاب المقدس، ص ١٥٠، نقلاً عن الإسلام والمسيحية في الميزان، ص٢٦٠.

وقد خرجت من مجمع نيقية قرارات اعتبرت مع قرارات مجمع آخر عقد عام ٣٨١م هو مجمع القسطنطينية " والذي حضره (١٥٠) أسقفاً وقد كان حصيلة هذا المجمع الصغير أن الروح القدس هو إله من جوهر الله "(١)، وبهذين المجمعين اكتملت عقيدة التثليث عند النصارى .

فالتثليث المسيحي لم يكن معروفاً إلى سنة ٣٢٥م حيث عقد مؤتمر نيقية ، ولم يعترف المؤتمر إلا بالأب والابن ، ثم أدخلوا الروح القدس عام ٣٨١ م في مجمع القسطنطينية ، وقد جاء التثليث بالتصويت في المجامع - تصويت مصحوب بالتهديد والوعيد - تصويت على حل وسط ، أراد الإمبراطور الروماني إلهاً يعجبه هو شخصياً ، إلهاً ليس واحد حتى لا يغضب الوثنيون الذين يؤمنون بتعدد الآلهة ، وإلهاً واحداً حتى لا يغضب الموحدين ! ، فكان اختراع التثليث واحد في ثلاثة أو ثلاثة في واحد، فهو واحد إن شئت أو هو ثلاثة إن شئت.

وهكذا فإن التثليث ليس قول عيسى ولا وحياً من الله، بل هو اختراع إمبراطوري، صدر على شكل مرسوم أجبر الناس على تكراره دون فهم أو تصديق، آمن به فقط و لا تسأل "(٢). وهكذا تشكلت عقيدة التثليث، ووضع قانون الإيمان المسيحي.

المطلب الثاني
قانون الإيمان النصراني

يعد قانون الإيمان النصراني جوهر العقيدة النصرانية وينص هذا القانون على الآتي: " نؤمن بإله واحد، وأب ضابط الكل، خالق السماوات والأرض، كل ما يرى ولا يرى، وبرب واحد، يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل

(١) انظر شريف محمد هاشم مناظرة بين الإسلام والنصرانية.ص٢٤٩.

(٢) محمد علي الخولي، حقيقة عيسى المسيح ، ص١٢٨ .

كل الدهور، نور من نور إله، حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للأب في الجوهر الذي به كان كل شيء، الذي من أصلنا نحن البشر، ومن أجل خلاص نفوسنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس (صار إنساناً) وصلب في عهد (بيلاطس) النبطي، وتألم، وقبر، وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الأب، وأيضاً أتى في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء"[1] ".

فهذا هو قانون الإيمان النصراني وبالرغم من عدم منطقيته إلا أنه ساد بين الناس بقوة وسلطة الدولة، وبقوة الإمبراطور الذي أعجب بهذه الأفكار لاقترابها من أفكار الوثنية "[2]. ولقد قرر هذه العقيدة {٣١٨} أسقفا اجتمعوا بمدينة يذقية في عهد قسطنطين عام ٣٢٥م وفي عام ٣٨١م زادوا فيها ما يلي: { والأب والابن وروح القدس هي ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاثة خواص توحيد في تثليث في توحيد كيان واحد بثلاثة أقانيم إله واحد جوهر واحد طبيعة واحدة.

ومن الجدير بالذكر أن هذه المجامع التي أنشئت بعد ثلاثمائة سنة من حياة المسيح ما هي إلا مصنعا لإنتاج الآلهة وتحريف الدين ليرضى أهل الغنى والضلال من الملوك الوثنيين الذين فرضوا الوثنية على الديانة المسيحية ووصمها بهذه الوثنية الإلحادية الكافرة.

ومن المعروف أن النصرانية الحقةالقائمة على التوحيد لم تستمر إلا ثلاثمائة سنة بعد رفع المسيح عليه السلام. وفي المجمع الثاني ألهوا مريم عليها السلام وفي المجمع الثاني عشر منحوا الكنيسة حق الغفران (حق الغفران يذكرنا بصكوك الغفران في

---

(١) شريف محمد هاشم، الإسلام والمسيحية في الميزان، ص٢٥٧- ٢٥٨.

(٢) محمد أحمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص ١٩٥.

القرون الوسطى التي ظهرت في عهد مارتن لوثر أثناء عصور الظلام والفساد والطغيان الذي كان يصدر عن الكنيسة مما أدى إلى تكوين مناخ جيد لميلاد العلمانية اللادينية وانفصال الدولة عن الكنيسة) والحرمان ولها أن تمنح ذلك لمن تشاء من رجال الكهنوت والقساوسة وفي هذا المجمع قرر المجتمعون عصمة البابا إلى غير ذلك من الأمور التي تعطيه هالة وقوة على المستوى الديني والاجتماعي.

ما يؤخذ على القانون النصراني:

جاء في الأمانة الكبرى التي تعد الركن الأصيل في العقيدة النصرانية: إن الأب يعني الله صانع الكل لما يرى وما لا يرى، وجاء فيها أن الابن يعني عيسى خالق كل شيء، فإذا كان الله صانع كل شيء فما الذي خلقه عيسى ؟ وإذا كان عيسى خالق كل شيء، فما الذي خلقه الله ؟ لا شك أن في ذلك تناقض يحير العقول فكيف يكون عيسى قديم لا أولية لوجوده مع انه عندهم هو ابن الله والابن لابد من أن يكون أبوه أقدم منه ؟ وهل يوجد الابن مع الأب وكيف ؟!! وإذا كان المسيح هو الله بعينه فكيف يكون ابن وفي نفس الوقت هو أب ؟ وإذا كان المسيح غير الله فلماذا يحتمل خطيئة لم يفعلها هو ؟ إلا يعتبر هذا ظلم من الخالق ؟ ثم الم يكن من العدل أن يحيي الله ادم ثم يجعله يصلب ليتحمل عقوبة خطيئته ؟

ثم أما كان الله قادرا على مغفرة ذنب آدم دون الحاجة إلى تلك الخرافات، ثم ما ذنب البشر الذين دخلوا في سجن إبليس قبل صلب المسيح في شيء لم يفعلوه؟ ثم إذا كان الذي صلب " الله " صلب عن طيب خاطر كما يقولون فلماذا كان يصيح ويستغيث ؟ وهل يكون إلها من يصيح ويستغيث ولا يستطيع تخليص نفسه من أعدائه ومخالفيه ؟.

ثم لماذا يستحق الصليب هذا التعظيم والعبادة، ولا يستحق الإهانة باعتباره كان الأداة في صلب الإله كما يزعمون - علما بأن السيد المسيح عند رجوعه قبل قيام الساعة كما اخبر القران والحديث أول ما يفعله هو تكسير الصليب والدعوة إلى الإسلام - ، وأما قولهم أن تعظيم الصليب يعود إلى ملامسته جسد المسيح فيرد على ذلك بأنه من المنطقي أن يلامس جسده صليب واحد وليس ملايين الصلبان الحديدية التي نراها تصنع في هذه العصور.

وإذا كانت الأمانة التي هي جوهر عقيدة النصارى تنص على أن الإله مات ثلاثة أيام فمن الذي أحياه بعد ذلك ؟ وإذا كان المسيح بيده أرزاق العالم فمن تولى شؤون العالم خلال مدة موته ؟ فهناك العديد من الأسئلة لا يجاب عنها إلا بالفرار منها وإلغاء العقلبشكل كامل، وإذا كان اليهود هم الذين صلبوا المسيح عليه السلام فهل صلبوه وهو الرب- كما يقولون تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- برضاه أم بغير رضاه ؟ فان كان برضاه فيجب أن يشكروا على ذلك، لأنهم فعلوا ما يرضي الرب، وان كانوا قد صلبوه بغير رضاه فهم يستحقون العبادة لأنهم غلبوا الرب وصاروا أقوى منه لان القوي أحق بالعبادة من الضعيف. وهكذا فان قانون الإيمان النصراني الذي يعد جوهر العقيدة النصرانية يتنافى تماما مع عقيدة التوحيد التي جاءت بها الأديان السماوية كافة بل إنه يتنافى مع العقل والمنطق أيضا.

المطلب الثالث
توضيح للثالوث النصراني

يرى النصارى أن الثالوث يتكون من ثلاثة أقانيم " أشخاص " كل واحد منهم يتميز بمميزات ليست في الآخر، ثم هم متساوون في بعض الأمور:

- مختلفون في الأعمال والوظائف: فالله (الأب) يختص ببعض الأعمال: مثل الاختيار والدعوة والله (الابن) تنسب إليه أعمال محاسبة الناس والفداء، والله (الروح القدس) تنسب إليه أعمال التجديد والتقديس[1]، وهم متساوون مع بعضهم البعض في:

- القدرة الإلهية، فكل واحد منهم يملك القدرة الكاملة.

- أنهم جميعهم أزليون لا بداية لأحد منهم. فهذا قاموس الكتاب المقدس يقول: هو إله واحد الأب والابن والروح القدس، جوهر (ذات) واحد متساوون في القدرة والمجد.[2]. هذه هي عقيدة التثليث عند النصارى، والتي تخالف الحس والعقل معاً، وبسبب ذلك جعلوها سراً غيبياً من ضمن مجموعة أسرار غيبية[3]. والحقيقة أن كثيرين من النصارى يخفون بداخلهم الريبة والشك من هذه العقيدة ذات الفلسفة العجيبة التي يرفضها العقل والمنطق، ولكن النصارى يحاولون تقريب الثالوث بضرب الأمثلة التي نتج عنها تصورات مختلفة ومتناقضة أيضاً ومع ذلك لم يصلوا إلى إقناع أنفسهم فضلاً عن إقناع غيرهم. وهناك بعض الأمثلة التي من شأنها توضيح الثالوث عند النصارى منها :

١- الثالوث كالروح والماء والدم:

(١) سعود الخلف، دراسات في اليهودية والنصرانية، ص١٩٤.

(٢) نفس المرجع، ص ١٩٤.

(٣) أسرار الكنيسة سبعة وهي: سر المعمودية – سر الميرون أو المسح بالزيت- سر القربان – سر التوبة – سر مسحة المرضى- سر الزواج –سر الكهنوت.، غير أن البروتستانت ينكرون معظم هذه الأسرار ولا يعترفون بغير سر المعمودية (التعميد)، وسر القربان: أي العشاء الرباني.

يقول إنجيل يوحنا: " والروح هو الذي يشهد لأن الروح هو الحق فإن الذين يشهدون هم

ثلاثة (الروح والماء والدم) والثلاثة متفقون"[1] ولكن هذا المقطع قد أزيل من الكتاب المقدس[2].

٢- يقول " كانت " في القرن الثامن عشر: " الأب، والابن، والروح القدس، ثلاث صفات أساسية: في اللاهوت، وهي القدرة والحكمة والمحبة، أو ثلاث فواعل هي: الخلق والحفظ و الضبط" [3].

٣- والبعض يشبهها بالشجرة فإن لها أصل وهي الجذور والساق والورق.

٤- "ومرة يشبهونها بالشمس المكونة من جرم وأنها تنير الأرض وتدفئها "[4].

٥- ويعض الفلاسفة يقول إن الله سبحانه وتعالى يتكون من ثلاثة أقانيم " أي ثلاثة عناصر أو أجزاء": الذات، والنطق، والحياة؛ فالله موجود بذاته، ناطق بكلمته، وحي بروحه، وكل خاصية من هذه الخواص تعطيه وصفاً معيناً، فإذا تجلى الله بصفته ذاتاً سمي الأب وإذا نطق فهو الابن، وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس"[5]. ولكن القس " توفيق جيد " يعترض على هذه الفلسفات قائلاً: " إن تسمية الثالوث باسم الأب والابن والروح القدس تعتبر أعماقاً إلهية وأسراراً سماوية لا يجوز لنا أن نتفلسف في تفكيكها وتحليلها، ونلصق بها

---

(١) يوحنا، ٥/٧-٨.

(٢) حسن باعقيل، الحوار الإسلامي النصراني، ص٢١.

(٣) شريف محمد هاشم، الإسلام والمسيحية في الميزان، ص٢٤٥.

(٤) سعود الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ص ١٩٥.

(٥) محمد وجدي مرجان، الله واحد أم ثالوث ص١٠، نقلاً عن النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد أحمد الحاج ص٢١٠.

أفكاراً من عندنا "، ويقول أيضاً في كتابه (سر الأزل): " إن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه، وإن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كلها في كفه! "[1] . ويرى كذلك فلاسفة النصارى أن الإنسان خلق على صورة الله، فكما أن الله مثلث الأقانيم كذلك فإن الإنسان مكون من ثلاثة عناصر، فالإنسان بذاته كائن على صورة الله ومثاله، وناطق على صورة الله ومثاله، وحي على صورة الله ومثاله"[2] .

هكذا يتخبطون فيجعلون الأقانيم الثلاثة وهي أشخاص ثلاثة، صفات فهم يحولون الأشخاص إلى صفات لجوهر واحد وهو الإله. وأما نحن المسلمين فاننا نقول: إن هذا الإله لا يتصف بصفات ثلاث بل يتصف بعشرات، بل بمئات الصفات فهو الخالق الرازق القادر الحكيم العليم..إلخ من أسمائه وصفاته، ولتقريب الفهم أكثر نقول: إن جميع الناس يتص بصفات عديدة ولكن لم يقل أحد أن هذه الصفات هي ذوات متعددة، فالرجل الواحد يوصف بأنه طويلاً، أسمر، كريم، شجاع، مثقف، ذكي ..إلخ من الصفات المتعددة، ولكنها لذات واحدة لا لأشخاص متعددين وهذا ما يفهمه العقل ويقبله المنطق.

"والحقيقة إن فلسفة التثليث عضو غريب أدخل إلى جسد المسيحية المريض، فإذا به يزيد الجسد اعتلالاً ويبعث فيه بدل الانتظام والصحة، فوضى واضطراب، ليصبح علة وعالة عليه، يحمله الجسد العليل، فينوء بحمله، فلا هو ملفوظ منه، ولا هو مقبول فيه"[3] .

---

(١) سعود الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص١٩٦.

(٢) محمد أحمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص٢١١.

(٣) شريف محمد هاشم، الإسلام والمسيحية في الميزان، ص٢٤٧.

المطلب الرابع
أدلـة النصـارى على عقيـدة الثالـوث

يحاول أصحاب هذه العقيدة (الثالوث) أن يستدلوا على صحتها من العهدين القديم والجديد ويرتبون المصادر كما يلي : -

١ - العهد القديم :

لم يرد الثالوث في العهد القديم إلا تلميحا لان وحي العهد القديم ظلا لوحي العهد الجديد كما يقول اوث ومن هذه الإشارات : -

أ- يتكلم الله غالبا عن نفسه باستعمال صيغة الجمع[١] (لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا) ،[٢] وكان الآباء يفهمون هذا على ضوء الوحي الجديد على أن الاقنوم الأول يخاطب الاقنوم أو يخاطب الثاني والثالث ومن الأرجح أن تكون صيغة الجمع هذه من قبيل حديث المرء عن نفسه[٣].

ب_ النبؤات التي تتعلق بالمسيح تفترض بالمسيح - تفترض في الله أشخاصا - مختلفين عندما تتنبأ عن المسيح مرسل الله ، ملمحة إلى أن الله وابن الله (يهوه) قال لي أنت ابني وأنا اليوم ولدتك[٤] ، "صارت الرئاسة على كتفه ودعي اسمه عجيبا مشيرا إلها جبارا أبا الأبد رئيس السلام "[٥].

---

(١) سفر التكوين ١ رقم ٢٦

(٢) سفر التكوين ، فصل ٣/ ٢٢- ١١.

(٣) مختصر في علم اللاهوت العقائدي ، جزء ١ ، ص ٧٨

(٤) المزمور الثاني/ ٧.

(٥) اشعياء ، ٩ /٦.

فمن خلال هذا النص يتبادر إلى الذهن السؤال الآتي: أين الإشارة التي تدل على أن المقصود هو المسيح إن لم تدل على ابن الآخر؟ فكم ابن له تعالى الله عن ذلك؟

ج- ويتكلم العهد القديم كثيرا (عن روح الله أو الروح القدس) ويقول (اوث) [1]: فلا يجب أن نفهم بهذه الكلمة معنى الاقنوم الإلهي، لكن نفهم المعنى على أنها قوة تخرج من الله فتعطي الحياة وتقوي وتنير وتدفع إلى الخير [2]، كما أشار (اوث) [3]، إلى فشل الاعتراف بالثالوث من العهد القديم.

٢- العهد الجديد:

إن الأدلة من الأناجيل على الثالوث الأقدس قائمة على التأويل والعقيدة الأساس المتعلقة بالله سبحانه لا تحتاج إلى تأويل من شدة وضوحها والدليل الذي يعتريه التأويل بخصوص معرفة الله ووجوده كيف نأخذ به ونترك البين الواضح الذي نفهم الحقيقة منه بدون تكليف؟

١- ورد في لوقا [4]: (إن الروح القدس يحل عليه وقوة تظلك ولذلك فالقدوس المولود فيك يدعى ابن الله) ومن سياق النص يفهم أن الكاتب استنتج هذه العبارة ولا دليل على نقلها عن المسيح عيسى عليه السلام. وفي لوقا

---

(١) مختصر في على اللاهوت العقائدي ج١، ص: ٧٩

(٢) سفر التكوين ف ١ رقم ٢ مزمور ٣٢/٦ و ١٣/٥٠، ٣٠/١٠٣، ٧/١٣٨، ١٠/١٤٢ واشعياء ٢/١١ و٤٢/١و١/٦١

(٣) مختصر في علم اللاهوت العقائدي ج١، ص ٨٠

(٤) لوقا، ١ / ٣٥.

نفسه[1]: (سيكون عظيم وابن العلي يدعى) ومر يستنتجون ان ثلاثة اشخاص ورد ذكرهم: العلي ابن الله. الروح. ويؤكد (أوث) [2]: ان الشخصية الروح القدس لا تظهر هنا بجلاء.

٢- رد في متى [3] (اذهبوا وتلمذوا كل الأمم معمدين باسم الأب والابن والروح القدس).

أما هذه الكلمات فهي تعني الخالق والابن المخلوق في اللغة اليونانية القديمة[4].

٣- ورد في يوحنا أن يسوع وعد بمحام آخر"البارقليط " هو القدس أو روح الحق سيرسله ، وهو والأب " أنا أسال الأب فيعطيكم آخر ليقيم معكم إلى الأبد ". وفي إيضاح بأن عيسى يطلب من يرسل معزيا " بارقليطا " فيما بعد. وهو كما نعلم رسول الله محمد السلام. فأين الفهم بأن عيسى سيرسله؟ وإذا علمنا أن الأب هو فأين يصبح هذا المدعي؟

٢- الرسل والآباء:

ينقل (أوث) عن الرسل أقوالا تفسر الثالوث[5] مكتوب رسائلهم أمثال بطرس وبولس في مختلف رسائلهم. وقد عرضت حقيقة هؤلاء الرسل وسيرهم ودورهم في التغيير والتبديل بعد المسيح عليه السلام في المباحث السابقة.

إضافة إلى أن أمور العقيدة لا يقبل فيها قول البشر. إذ لا بد من نص متواتر ينقل عن رسول مرسل من الله عز وجل. وهؤلاء ليسوا رسلا كما عرفت. إذ لم

---

(١) نفس المصدر، ٣٢/.

(٢) مختصر علم اللاهوت العقائدي.

(٣) متى، ٢٨ /١٩.

(٤) محمد الصادقي، حوا ر بين الإلهيين والماديين ص: ٣٨٥.

(٥) لودفيغ أوث مختصر علم اللاهوت العقائدي. ج١ .ص: ٨١- ٨٩ .

يذكر القرآن أنهم رسل. فكيف يعتد بأقوالهم في العقيدة. وقد قلدوا و أساتذتهم الفلاسفة في القول بالتثليث والألوهية كما سبق أن وضحت. وهؤلاء جميعا ورثوا هذه العقائد عن الأمم التي سبقت وكانت وثنية وصاغوها بعبارات جديدة مع شيء من التأويل كما ذكرت أصول هذه العقائد.

٤- المجامع:

وعندما كثرت الفرق والأحزاب وضاع الأمر. وتنصر قسطنطين لأغراضه السياسية المعروفة. ونادى بفكرة المجامع وتحديد العقيدة وفرضها بالقوة. فكان المجمع الأول في (نيقيا) سنة٣٢٥م كما ستتبين ذلك مفصلا. وما نتج عنه من إعلان قانون الإيمان الذي لم يوافق عليه سوى ثلث المحاضرين حيث كان الثلثان الباقيان موحدين لا يعترفون بهذه البدع. وكان المجتمعون حوالي(١٠٠٠). فاخرج قسطنطين(٧٠٠) من الآباء الموحدين بالقوة بحجة الأمن على سلامة المجمع. وكانت القرارات كما يريد هو. الوثني المعروف. وريث الدولة الرومانية الوثنية التي اضطهدت المسيحية مدة ثلاثة قرون. وهو ما تنبأ المسيح[١] حين قال (سيخرجونكم من بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم انه يقدم خدمة الله. وسيفعلون بكم أنهم لم يعرفوا الأب ولا عرفوني).

وخلاصة القول فان الثالوث لم يرد ذكره مطلقا لا في العهد القديم ولا العهد الجديد، ويرى بعض المحققين أن[٢] ' النص الذي يعتمدون عليه في التثليث ما جاء في إنجيل متّى فقط دون غيره من الأناجيل "... وعمدوهم باسم الأب والابن

(١) لودفيغ أوث مختصر علم اللاهوت العقائدي. ج١. ص: ٨١- ٨٩. وانظر سعود الخلف، دراسات في الأديان، اليهودية والنصرانية.، ص١٩٧.

(٢) انظر سعود الخلف، دراسات في الأديان، اليهودية والنصرانية.، ص١٩٧.

والروح القدس "[1] ، ولكن هذا النص لا يدل من قريب ولا بعيد على الثالوث ، وكذلك فان ذكر ثلاثة أشخاص متتالية في النص لا تمثل شخصا واحدا كما فهم النصارى لأن العطف في اللغة يقتضي المغايرة ، أي عمدوهم باسم كل واحد من هذه الثلاثة المتغايرة . فالأب هو الله وهو أب لكل الأنبياء بل لعموم المؤمنين كما هو مصرح في الإنجيل والابن الذي يراد منه المسيح فقد أطلق ابن على إسرائيل وآدم وداود وسليمان وعلى كل صالح كما هو مصرح في الإنجيل أيضاً.

والروح القدس فهو ملك الوحي والذي تنزل على جميع الأنبياء وليس على المسيح فقط"[2] ، هذا من ناحية ثم من ناحية أخرى فإن العلماء يشكون في هذا النص الذي في خاتمة إنجيل متّى فهذه الخاتمة مشكوك فيها ويعتبرونها دخيلة ، ويرجع هذا الشك كما يقول (أدولف هرنك)- وهو من أكبر علماء التاريخ الكنسي- يقول : إن صيغة التثليث هذه غريب ذكرها على لسان المسيح ولم يكن لها نفوذ على عصر الرسل وهو الشيء الذي كانت تبقى جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصياً"[3] .

ثم إن متّى وحده قد تفرد بذكر هذه الحقيقة دون سائر كتبة الأناجيل الأخرى، فكيف يتفرد متّى بهذه العقيدة التي لا تُقبل مسيحية أي نصراني إلا بهذه العقيدة؟! " لماذا لم ينقل إلينا كل من مرقس ولوقا ويوحنا هذا القول عن المسيح إن كان صدر منه حقاً ؟! وهم الذين ذكروا من الأمور ما هو أتفه وأقل قيمةً وقدراً من هذا الركن الأساسي في الإيمان ؟ أتراهم لم يسمعوا بهذا القول عن المسيح، من أجل ذلك لم يذكروه أو يدونوه في أناجيلهم التي ألفوها ؟! أم أنهم خانوا أمانة النقل ؟!

---

(١) متّى، ٢٨/١٩.

(٢) محمد أحمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص ٢٢٤.

(٣) أدولف هرنك، ج ١، ص ٧٩ ، نقلاً عن مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٤١ .

أم أن المسيح عليه السلام لم يقل بهذا القول، و الذي ذكره متّى كان غرض من أغراضه، فنسبها إلى المسيح عليه السلام حتى تسود وتأخذ طابع القدسية ؟!"[1] .

ما يؤخذ على عقيدة التثليث:

التثليث النصراني يتأرجح بين التوحيد والشرك، فهم يقولون إن الله واحد في ثلاثة، أو ثلاثة في واحد، وكأنهم لا يدرون أهو واحد أم ثلاثة ؟ كيف يكون الواحد في ثلاثة أو الثلاثة في واحد ؟"[2] ، وحول هذا المعنى يجيبون إجابات غير مقتنعين بها، فعند سؤالهم هل تعبدون إله واحد أم آلهة متعددة ؟سيقولون: بل نعبد إله واحد ونؤمن بإله واحد فقانون الإيمان المسيحي عندنا يقول نؤمن بإله واحد.

وعند سؤالهم: من هو هذا الإله الواحد؟ فسيقولون: الله " الأب " + الله "الابن " + الله " الروح القدس "، وهنا تحدث المفارقة إذ كيف ؟ هؤلاء ثلاثة آلهة مع العلم أنهم يقولون نعبد اله واحدا ؟ وعند إجابتهم على هذا السؤال تتملكهم الحيرة ويقولون: هؤلاء ثلاثة ولكنهم واحد. وهذا القول يعني أن ١+١+١ يعطي النتيجة(١) .

ولا شك أن في ذلك مغالطة كبيرة لا يقوى النصارى على دفعها فهي تخالف كافة النظريات الرياضية [3]، لذلك يتهربون من الإجابة على مثل هذه الأسئلة. فإذا كانت هذه العقيدة تتميز بالرمزية والغموض لا يفهمها الفلاسفة فكيف بالبسطاء والمنطقية. لا شك في أنهم لن يفهموها وبالتالي فان هذه العقيدة تخالف أبسط القواعد العقلية والمنطقية.

---

(١) محمد حسن عبد الرحمن، ألوهية المسيح، ص ١٠١- ١٠٢.

(٢) محمد علي الخولي، حقيقة عيسى المسيح، ص٢٤.

(٣) عبد الودود شلبي، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، ص ٦٢.

المبحث الثاني
الوثنية والعقائد النصرانية

المطلب الأول
علاقــة عقيــدة
التثليث بالوثنية القديمة

المتبع لعقائد المسيحية يجدها مطابقة لمعظم الديانات الوثنية القديمة، ولا يكاد يوجد فرق بين هذه الديانات وبين المسيحية سوى فروق شكلية بسيطة في الاسم والصورة "[1]. فهناك ثالوث عند قدماء المصريين أشهرها "أوزيريس" وهو الإله الأب و"إيزيس" وهي الإله الأم و"حورس" وهو الإله الابن، وقد عبد هذا الثالوث في لا هوت عين شمس. وهناك الثالوث البرهمي في الهند، وأشهر وأعظم عبادتهم اللاهوتية هي التثليث، وهذا الثالوث هو (برهمة – فشنو - سيفا) ثلاثة أقانيم في واحد: فالرب: برهمة. والمخلص: فشنو. والمهلك: سيفا.

وهناك ثالوث بوذي، انتشر في الهند والصين واليابان ويسمى مجموعهم الإله "فو"، وأيضاً الثالوث الروماني ويتكون هذا الإله من "الله- الكلمة- الروح"[2]..إذن فليست عقيدة التثليث في المسيحية إلا فكر وثني عاش في خلد

---

(١) بسام داود عجك، الحوار الإسلامي المسيحي، ص٨٦.

(٢) شريف محمد هاشم، مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص٢٦٣- ٢٦٥

الوثنيات القديمة، والشكل الآتي مثلا يبين لنا مدى التشابه بين الثالوث المسيحي والثالوث الفارسي:

الديانة الميثراسية	الديانة المسيحية
١. ميثراس وسيط بين الله والناس	١.المسيح وسيط بين الله والناس. الرسل، ٤/ ١٢
٢.مولده في كهف	٢. ولد في مذود البقر. لوقا ٢/ ٧
٣.مولده في يوم ٢٥ديسمبر	٣.يحتفل الغربيون بمولد المسيح في يوم ٢٥
٤.كان له اثنا عشر حوارياً	٤. كان له اثنا عشر حوارياً. متى ١٠/ ١
٥. مات ليخلص العالم	٥. مات ليخلص العالم. كورنوثوس الأولى١٥/ ٣
٦. دفن ولكنه عاد للحياة	٦. دفن وقام في اليوم الثالث. كورنوثوس١٥/ ٤
٧. صعد إلى السماء أمام تلاميذه	٧. صعد إلى السماء أمام تلاميذه.الرسل١/ ٩
٨. كان يدعى مخلصاً ومنقذاً	٨. خلع عليه بولس لقب المخلص والمنقذ. يتطس٢/ ٣.
٩. ومن أوصافه أنه حمل الله الوديع	٩. وصفه يوحنا المعمدان بحمل الله الوديع.يوحنا١/ ٢٩
١٠. رسم العشاء الرباني.	١٠. رسم بولس العشاء الرباني.كورنوثوس١١/ ٢٣- ٢٥
١١. رسم المعمودية.	١١. رسم المعمودية، بدأت بداية صحيحة: "وأمر بطرس أن يعتمدوا باسم الرب".الرسل ١٠/ ٤٨.وانتهت بالتثليث" وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.متى٢٨/ ١٩.

١٢.تقديس يوم الأحد.	١٢. تقديس يوم الأحد. متى٢٨/١.

ويقول (روبرتسون): إن ديانة ميثراس لم تنته في روما إلا بعد أن انتقلت عناصرها الأساسية إلى المسيحية على هذا النحو"[1] وليس التشابه فقط مع الديانة الميثراسية بل تتشابه مع عدد من الديانات الوثنية القديمة التي كانت سائدة في ذلك الزمن ومازال البعض قائماً حتى اليوم. وحتى تتضح قوة الاقتباس- الذي يكاد يكون حرفياً - في الديانة المسيحية لما أخذته من الديانات الوثنية القديمة فقد نقل شوقي أبو خليل في كتابه الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين ص ٣٤ وما بعدها بعض المقارنات بينهما كما هو مبين في الجدول الآتي:

أقوال الهنود الوثنيين في كرشنا ابن الله	أقوال النصارى المسيحيين في يسوع المسيح ابن الله
- كرشنا هو: "المخلص والفادي، والمعزي الراعي الصالح، والوسيط، وابن الله والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس، وهو الأب والابن وروح القدس.	يسوع المسيح هو: "المخلص، والفادي، والمعزي، والراعي الصالح، والوسيط، وابن الله، والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس، وهو الآب والابن وروح القدس.
١. ولد كرشنا من العذراء ديفاكي...	١. ولد يسوع من العذراء مريم.
٢.عرف الناس ولادة كرشنا من نجمه الذي ظهر في السماء.	٢. لما ولد المسيح ظهر نجمه في المشرق وبواسطة ظهور نجمه عرف النّاس محل ولادته.
٣. كان كرشنا من سلالة ملوكانيّة،	٣. كان يسوع المسيح من سلالة ملوكانّيه

(١)بسام داود عجك، الحوار الإسلامي المسيحي، ص٨٤ .

ولكنَّه ولد في غار بحال الذل والفقر.	ولكنَّه ولد في حالة الذل والفقر بغار.
٤. لما ولد كرشنا أُضيء الغار بنور عظيم.	٤. لما ولد يسوع المسيح أُضيء الغار بنور عظيم، أعيا بلمعانه عيني القابلة وعينيّ خطيب أمه يوسف النجار.
٥. وآمن الناس بكرشنا واعترفوا بلاهوته وقدموا له هدايا من صندل وطيب.	٥. وآمن الناس بيسوع المسيح وقالوا بلاهوته وأعطوه هدايا من طيب ومر.
٦. ولد كرشنا بحال الذل والفقر مع أنه من عائلة ملوكانية.	٦. ولد يسوع المسيح بحالة الذل والفقر مع أنه من عائلة ملوكانيه.
٧. وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنا الطفل الإلهي، وطلب قتل الولد، وكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها كرشنا.	٧. وسمع حاكم البلاد بولادة يسوع الطفل الإلهي، وطلب قتله، وكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل الأولاد الذكور الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها يسوع المسيح.
٨. كانت ولادة القديس راما قبل ظهور كرشنا في الناسوت بزمن قليل وقد سعى قانسا ملك البلاد في إهلاك راما، وإهلاك كرشنا أيضاً.	٨. وكانت ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة يسوع المسيح بزمن قليل، وقد سعى الملك في إهلاك الطفل يسوع المسيح، وكان يوحنا مبشراً بولادة يسوع المسيح
٩.وفي أحد الأيام لسعت الحية بعض أصحاب كرشنا الذين يلعب معهم فماتوا فأشفق عليهم لموتهم الباكر، ونظر إليهم بعين إلوهيته فقاموا سريعاً	٩. وبينما كان يسوع يلعب لسعت الحية أحد الصبيان الذين كان يلعب معهم فلمس يسوع ذلك الصبي بيده فعاد إلى حال صحته.

من الموت وعادوا أحياء.	
١٠. وأوّل الآيات والعجائب التي عملها كرشنا شفاء الأبرص.	١٠. وأول الآيـات والعجائـب الـتي عملها يسوع المسيح هي شفاء الأبرص.
١١. كرشنا صلب ومات على الصليب.	١١. يسوع صلب ومات على الصليب
١٢. لما مـات كرشـنا حـدثت مـصائب وعلامـات شـرعظيم... وأظلمـت الشمس...	١٢. لما مات يسوع حدثت مصائب جمة متنوعة... وأظلمت الشمس...
١٣. وقـال كرشـنا للـصياد الـذي رمـاه بالنبلة وهومصلوب: اذهب أيها الصياد محفوظـاً بـرحمتي إلى الـسماء مـسكن الآلهة.	١٣. وقـال يـسوع لأحـد اللـصين الـذين صُلبا معه: "الحق أقول لـك إنك اليوم تكون معي في الفردوس".
١٤. ومـات كرشـنا ثـم قـام مـن بـين الأموات.	١٤. ومـات يـسوع ثـم قـام مـن بـين الأموات.
١٥. ونزل كرشنا إلى الجحيم.	١٥. ونزل يسوع إلى الجحيم.
١٦. وصـعد كرشـنا بجسده إلى الـسماء وكثيرون	١٦. وصـعد يـسوع بجـسده إلى الـسماء وكثيرون شاهدوه صاعداً.
١٨. كرشنا هـو براهمـا العظيم القـدوس وظهـوره بالناسـوت سـر مـن أسـراره العجيبة الإلهية. وقـال كرشـنا: "أنـا النـور الكائن في الشمس والقمر، وأنـا النـور في اللهب وأنا نور كلما يضيء ونور الأنـوار	١٨. يسوع هـو يهـوه العظيم القـدوس وظهـوره في الناسـوت سـر مـن أسـراره العظيمة الإلهية. ثم كلمهم يسوع قائلاً: "أنـا هـو في اللهب وأنـا نـور كلمـا يـضيء ونور الأنوار ليس في ظلمه".

ليس في ظلمه".	

والجدول التالي يبين لنا مدى التشابه بين أقوال الهنود الوثنيين في بوذا باعتباره ابن الله في تصورهم، وبين أقوال النصارى فيما يتعلق بالمسيح عليه السلام باعتباره ابن الله كما يدعون وفي ذلك دلالة على مدى تأثر النصرانية بالعقائد الوثنية القديمة.

أقوال الهنود الوثنيين في بوذا ابن الله	أقوال النصارى المسيحيين في يسوع المسيح ابن الله.
١- ولد بوذا من العذراء مايا بغير مضاجعة رجل.	١- ولد يسوع المسيح من العذراء مريم بغير مضاجع رجل.
٢- كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا.	٢- كان تجسد يسوع المسيح بواسطة حلول روح لقدس على العذراء مريم.
٣- لما نزل بوذا من مقعد الأرواح، ودخل في جسد العذراء مايا، صار رحمها كالبلور الشفاف النقي، وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة.	٣- لما نزل يسوع من مقعد السماوي، ودخل في جسد مريم العذراء صار رحمها كالبور الشفاف النقي، وظهر فيه يسوع كزهرة جميله.
٤- ولد بوذا ابن العذراء مايا التي حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد أي " في ٢٥ كانون الأول".	٤- ولد يسوع ابن العذراء مريم التي حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد"أي في ٢٥كانون الأول".
٥- وعرف الحكماء بوذا وأدركوا أسرار لا هوته ولم يمض يوم على ولادته حتى حياه الناس ودعوه إله	٥- وقد زار الحكماء يسوع وأدركوا أسرار لاهوته، ولم يمض يوم على ولادته حتى دعوه اله الآلهة .

الآلهة.	
٦- كان بوذا ولداً مخيفاً، وقد سعى الملك بمبسارا وراء قتله لما أخبروه أن هذا الغلام سينزع الملك من يده إن بقي حيّا.	٦- كان يسوع ولداً مخيفاً، سعى الملك هيرودوس وراء قتله، كي لا ينزع الملك من يده.
٧- لما صار عمر بوذا اثنتي عشرة سنة دخل أحد الهياكل، وصار يسأل أهل أهل العلم مسائل عويصة، ثم يوضحها لهم حتى فاق مناظريه كافة.	٧- لما صار عمر يسوع اثنتي عشرة سنة جاؤوا به إلى "الهيكل" أورشليم، وصار يسأل الأحبار والعلماء مسائل مهمة، ثم يوضحها لهم وأدهش الجميع.
٨- ودخل بوذا مرة أحد الهياكل، فقامت الأصنام من أماكنها وتمددت عند رجليه سجوداً له.	٨- وكان يسوع ماراً قرب حاملي الأعلام فأحنت الأعلام رؤوسها سجوداً له.
٩- لما عزم بوذا على السياحة، قصد التعبد والتنسك، وظهر عليه(مارا)أي الشيطان كي يجربه.	٩- لما شرع يسوع في التبشير، ظهر له الشيطان كي يجربه.
١٠- فلم يعبأ بوذا بكلام الشيطان، بل قال له: "أذهب عني".	فأجابه يسوع، وقال: "اذهب يا شيطان".
١١- وصام بوذا وقتاً طويلاً.	١١- وصام يسوع وقتاً طويلاً.
١٢- وقد عُمد بوذا المخلص وحين عمادته بالماء كانت روح الله حاضره، وهو لم يكن الإله العظيم فقط، بل وروح القدس الذي فيه صار تجسد كونا حالما حل على العذراء.	١٢- ويوحنا عند يسوع بنهر الأردن، وكانت روح الله حاضرة، وهو لم يكن الإله العظيم فقط، بل و الروح القدس الذي فيه تم تجسده، عندما حل على العذراء مريم، فهو الأب والابن والروح

	القدس.
١٣- وعمل بوذا عجائب وآيات مدهشه لخير الناس، وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكر أعظم العجائب مما يمكن تصوره.	١٣. وعمل يسوع عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكر
١٤- لما مات بوذا ودفن انحلت الأكفان، فتح غطاء التابوت بقوة غير طبيعية(أي بقوة إلهية).	١٤- لما مات يسوع ودفن انحلت الأكفان، وفتح القبر بقوة غير اعتيادية، أي بقوة إلهية.
١٥- وصعد بوذا إلى السماء بجسده لما أكمل عمله على الأرض.	١٥- وصعد يسوع بجسده إلى السماء من بعد صلبه لما كمل عمله على الأرض.
١٦- ولسوف يأتي بوذا مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها.	١٦- ولسوف يأتي يسوع مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها.
١٧- بوذا الألف والياء ليس له ابتداء ولا انتهاء وهو الكائن العظيم و الواحد الأزلي.	١٧- يسوع الألف والياء، ليس له ابتداء ولا انتهاء، وهو الكائن العظيم، والواحد الأبدي.
١٨- قال بوذا: "فلتكن الذنوب التي ارتكبت في هذه الدنيا عليَّ لأخلص العالم من الخطيئة.	١٨- يسوع هو مخلص العالم، وكافة الذنوب التي ارتكبت في العالم تقع عليه عوضاً عن الذين اقترفوها ويخلص العالم.
١٩- قال بوذا إنه لم يأت لينقض الناموس كلا، بل أتى ليكمله رهد سره	١٩- وقال يسوع: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لا

عد نفسه حلقه في سلسلة المعلمين الحكماء.	نقض بل لأكمل.
٢٠- وكان قصد بوذا تشييد مملكة دينية أي مملكة سماوية.	٢٠- ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرر ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات".
٢١- وقال بوذا: "الرجل العاقل الحكيم لا يتزوج قط، ويرى الحماة الزوجية كأتون ناره متأججة ومن لم يقدر على العيشة الرهبانية يجب عليه الابتعاد عن الزنى. ٢٢- كان بوذا يعلم أفكار الناس عندما يدير تصوراته نحوهم، ويقدر على معرفة أفكار تصوراته نحوهم، ويقدر على معرفة أفكار المخلوقات كلها. ❖ومن جملة الألقاب والأسماء التي يدعون بها بوذا "أسد سبط ساقنا- وحكيم ساقيا- والواحد السعيد- والمعلم، والغالب، والواحد المبارك ورب العالمين والحاضر وإله الجميع والعظيم والأبدي ومزيل الآلام والألقاب وحافظ العالم والإله بين	٢١- " فحسن للرجل أن لا يمس امرأة ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزوج أسلم من التحرق. ٢٢- كان يسوع يعلم أفكار الناس عندما يدير تصوراته نحوهم وأنه قادر على معرفة أفكار المخلوقات كلها. ❖ ويدعون يسوع المسيح ﷺ بمثل الأسماء والألقاب التي دعي بها بوذا، ومنها أسد سبط يهوذا- المخلص- المولود البكر- إلهاً مباركاً، قدوس الله، إلهاً مباركاً إلى الأبد- ملك الملوك- حمل الله- رب المجد- رب الأرباب- الفادي- المخلص- الوسيط- الكلمة- ابن الله -المولود البكر- حامل الآثام...الخ.

الآلهة والمسيح والمولود الوحيد وطريق الحياة...الخ.	

المطلب الثاني
أبطال عقيدة التثليث
من خلال المصادر النصرانية

أولا : إبطال عقيدة التثليث بأقوال المسيح عليه السلام

هناك أدلة كثيرة ومتعددة من كتب وأسفار النصرانية نفسها تبين مدى زيف وتهافت عقيدة التثليث و من أقوال المسيح عليه السلام والتي تنفي عقيدة التثليث ما يلي :

١. يقول عيسى عليه السلام في إنجيل يوحنا: "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته"[1]. فالله سبحانه وحده هو الإله الحقيقي وكل آلهة غيرة باطلة ، أما يسوع فهو رسول من عند الله عز وجل.

٢. وعندما سأله أحد الكتبة عن أعظم الوصايا: "...فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد..."[2]. فهذه هي أعظم وأول كل الوصايا التي جاء بها عيسى من عند الله، لأنها هي وصية جميع الأنبياء عليهم السلام.

٣. وفي إنجيل متىّ: " وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية، فقال له لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالحاً إلا

---

(١) يوحنا، ٣/١٧.

(٢) مرقس، ١٢ /٢٩- ٣١.

واحد هو الله "[1].فالمسيح عليه السلام يرفض أن ينادى بالصالح، وذلك تواضعاً منه عليه السلام كأن تقول لأحدهم أيهما الرجل العظيم فيقول لك لست عظيم العظيم هو الله، فنجد عيسى عليه السلام نفى عن نفسه الصلاح وهو نبي فكيف تقولون إنه زعم بأنه إله. هذا أمر لا يستقيم.

ثانيا : إبطال عقيدة التثليث بالدليل العقلي

عقيدة التثليث تقوم على فلسفة معقدة يصعب على المرء معرفة ما تهدف إليه وذلك لأنها تتنافى مع العقل والنقل على السواء ومن الأدلة العقلية على تهافت تلك العقيدة ما يلي :

١. لقد قال عيسى عليه السلام أنه ليس إله، ونفي الإلوهية عن نفسه يترتب عليه، بطلان الثالوث لأن أحد أركان الثالوث هو عيسى عليه السلام وعيسى يقول إنه إنسان وليس إله فكيف يكون ركن من أركان الثالوث الإلهي ؟ ثم " ماذا حدث للثالوث عند موت عيسى عليه السلام لمدة ثلاثة أيام كما يذكر الإنجيل "متى"(٢٢/١٧) ؟! لقد مات أحد أركان الثالوث، فهل صار الثالوث ثلثي إله في تلك المدة أم صار الثالوث ثنائياً ؟!"[2].

٢. ينقل لنا الشيخ "رحمة الله الهندي" في معرض حديثه عن إبطال التثليث بالأدلة العقلية : "أنه تنصر ثلاثة أشخاص وعلمهم أحد القسيسين العقائد الضرورية، سيّما عقيدة التثليث، فقال إنك علمتني أن الآلهة ثلاثة أحدهم: الذي هو في السماء، والثاني تولد من بطن مريم العذراء، والثالث الذي نزل في صورة الحمام على الإله الثاني بعدما صار ابن ثلاثين سنة، فغضب القسيس وطرده وقال: " هذا مجهول" ثم طلب الأخر منهم وسأله، فقال" إنك علمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم، فالباقي إلهان، فغضب عليه القسيس أيضاً وطرده ثم طلب الثالث وكان

---

(١) متى، ١٦/١٩- ١٧.

(٢) محمد علي الخولي، حقيقة عيسى المسيح ، ص٢٥.

ذكياً بالنسبة إلى الأولين، وحريصاً في حفظ العقائد، فسأله فقال "يا مولاي حفظت ما علمتني حفظاً جيداً، وفهمت فهماً كاملاً بفضل الرب المسيح" أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد، وصلب واحد منهم ومات فمات الكل لأجل الاتحاد، ولا إله الآن، وإلا يلزم نفي الإتحاد"[1].

نعم إن اتحاد ثلاثة أقانيم مختلفة الأشخاص أمر غير منطقي ولا يستطيع العقل فهمه أو إدراكه، "فكيف يمكن إتحاد ملاك هو جبريل مع إنسان هو عيسى مع إله هو الله ليكونوا الثالوث النصراني، إن اتحاد ثلاثة مختلفي الذوات و الماهيات أمر مستحيل لا يقبله عقل ولا نقل"[2]. فهذه العقيدة توجب على المسيحي أن يكتم أنفاس عقله، ويلجم بصيرته ويلغي كل حق للمنطق عليه. ومن الأمور التي يجب التذكير بها هنا أن المسيحيين مختلفون في طبيعة عيسى عليه السلام، وفي الروح القدس، فيقولون عن عيسى عليه السلام أنه: أ- ذو طبيعة واحده لأنه إله. ب- ذو طبيعة إلهية + طبيعة إنسية؛ لأنه ابن الله وابن الإنسان معاً؟!، فقد جاء من مريم، و مريم من البشر. ويقولون عن الروح القدس: " أنه منبثق من الله فقط "وتأخذ بهذا الكنيسة الأرثوذكسية والذي كان هذا سبباً في انفصالها عن الكنيسة الكاثوليكية. وأنه منبثق من الله وابن الله، وتأخذ به الكنيسة البروتستانتية، والكاثوليكية " .

المطلب الثالث
الأنبياء وعقيدة التثليث

---

(1) رحمة الله الهندي، إظهار الحق، ج1 ص337- 338. انظر محمد أحمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص208- 209.

(2) محمد حلمي الخولي، مرجع سابق، ص26.

القارئ لسير الأنبياء ودعواتهم يجد أن جميع الأنبياء عليهم السلام قبل عيسى وبعده لم يأت أحدٌ منهم بمثل هذه العقيدة، وإنما جميعهم جاءوا بعقيدة واحدة في الله سبحانه وتعالى، وهو أن الله إله واحد لا شريك له، فلم يقل أحد بغير ذلك، ولم يذكر أحد شيئاً عن التثليث، فكيف يخفي الله سبحانه وتعالى هذه الحقيقة العظمى عن أنبيائه ويرسلهم بعقيدة مخالفة لها لماذا يكذب الله -تعالى عن ذلك- على الأنبياء جميعهم ويقول لهم أنه إله واحد؟! لماذا لم يخبرهم بأنه ثلاثة في واحد؟! لماذا لم يوضح لهم خصوصاً وأن الثالوث جميعهم أزليون كانوا قبل إرسال الأنبياء ؟!.

فالله "الأب"أزلي، والله "الابن"أزلي والله"الروح القدس" أزلي أيضاً. لماذا عيسى ﷺ وحده الذي جاء بهذه العقيدة؟!كيف يخالف عيسى ﷺ جميع الأنبياء وهو الذي قال: "ما جئت لأنقض الناموس والأنبياء قبلي بل جئت لأكمل" (1) ، كيف يقول هذا ثم يأتي لينقض أصل العقائد وأساسها التي جاء بها جميع الرسل والأنبياء والتي كانت محور دعوتهم جميعا دعوة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فإما أن يكون عيسى قد قال هذا الكلام وهو ليس صادقاً فيه- ومعاذ الله أن يكون نبي الله غير صادق- وإما أن تكون هذه العقيدة دخيلة على العقيدة السماوية الأصلية التي جاء بها عيسى ﷺ.

وبعد كل هذا كان حقا على المسيحيين أن يقفوا وقفة قصيرة للتفكير في عقيدة التثليث، لأنه لا بد لكل إنسان أن يفهم عقيدته حتى يستطيع عبادة الله على بصيرة. "فإذا كانت عقيدة التثليث هي أساس الإيمان بالله تعالى في المسيحية. وإذا كان المسيح قال حقاً عمدوا باسم الأب والابن والروح القدس، ويريد بذلك ما تعتقده الكنيسة

---

(1) متى، ٥/١٧

أن الله واحد في ثلاثة أشخاص الإله الأب، الإله الإبن، الإله الروح القدس !! فلماذا تفرد متى فقط بتلك الحقيقة التي هي أساس الإيمان منذ البدء دون سائر كتبة الإنجيل الأخرى"(١) ، وقد كتبوا من الأمور ما هو أقل شأناً وأقل قيمة من عقيدة الثالوث؟! ألم يسمعوا بهذا القول عن المسيح؟! أم أنهم خانوا المسيح عليه السلام ولم يبلغوا !! أم أن المسيح لم يقل هذا ؟

المطلب الرابع
الحركات التوحيدية المسيحية الحديثة

تطورت حركات مسيحية توحيدية نبذت عقيد الثالوث ورفضت تأليه المسيح وأعلنت أنَّ الله واحد أحدٌ، وأصرت على وجوب استخدام العقل والمنطق السليم في الدين، وقد كان ذلك بمثابة عودة إلى فكر النصارى الأوائل ومن خلفهم والذين كانوا قد زالوا من الوجود بنتيجة قمع الكنيسة المسيحية لهم. ففي أمريكا على سبيل المثال تطورت الحركة التوحيدية التي رأى زعماؤها أنه يجب الاعتدال وأتباع الفكر السليم، إذ تؤكد على وحدة الخالق.

وأنه يمكن قبول الكتاب المقدس، شريطة تفسيره بصورة منطقية، وفي العام ١٨٢٥م أسسوا ما أسموه الجمعية التوحيدية الأمريكية، ومع نهاية القرن التاسع عشر تبنت الجمعية سياسة التسامح والاعتراف بأنه ثمة حقيقة في الأديان غير المسيحية، ثم في العام ١٩٦١م اتحدت مع الكنيسة الأمريكية العالمية، وأصبح اسمها الجمعية العالمية التوحيدية، وهي ترفض العقائد المتوارثة عن طريق الكنائس، وتؤكد على وحدانية الخالق، وإنسانية المسيح، ومسؤولية الناس عن أعمالهم، وإمكانية

---

(١) محمد حسن عبد الرحمن، ألوهية المسيح، ص١٠١.

تحقيق النجاة ليس بالضرورة فقط عن طريق الدين المسيحي، بل بأديان أخرى أيضاً"[1].

المطلب الخامس
نفي ألوهية المسيح من
واقع كتبهم المقدسة

عقيدة النصارى في الله عز وجل كما قلت سابقا تتمثل في اعتقادهم بأن عيسى بن مريم عليه السلام هو الله أو ابن الله أو هو أحد الآلهة الثلاثة (الله + عيسى + روح القدس) والتي تكون في مجموعها..الله !!هذه مجموع عقائدهم في عيسى عليه السلام، وهم بهذا المنطق جعلوا بشراً مثلنا إلها ويستدلون على ذلك بأول جملة في إنجيل يوحنا والتي تقول: " في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله"[2].

فهذا النص هو الركيزة الأولى التي يستند إليها النصارى في تشكيل العقيدة النصرانية في الله. إذن في هذا النص الذي يصعب فهمه وتصور أن الله سبحانه وتعالى كان "كلمة" !!

وإذا كان الله " كلمة " فمن الذي ألقى وتلفظ بهذه الكلمة التي صارت الله !!. إذا كانت الكلمة هي الله، ومتى ألقيت هذه الكلمة، وإذا ألقيت في البدء كما تقولون فمتى هذا البدء !؟

إن الله أزلي ودائم لا بداية له، ولا يجوز أن نقول عنه أنه كان في البدء، لأن الله أزلي لا بداية له ولا نهاية، والله جل جلاله لا يكون أبدا "كلمة" من

(١) محمد فاروق الزين المسيحية والإسلام والاستشراف، ص١٢٢- ١٢٣.

(٢) يوحنا، ٣٢/٨.

الكلمات، ولا الكلمة تكون أبدا "الله" أو إلهاً "[1]، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى حسب النص أن الكلمة هي الله، فكم إله هناك؟! إذاً على الأقل اثنين[2] الله الذي كانت عنده الكلمة، ثم الكلمة التي أصبحت الله، وبالتعويض يتضح ذلك: "في البدء كان الله(الكلمة) والله (الكلمة) كان عند الله وكان الله (الكلمة) الله "[3].

ويلاحظ هنا عدم وضوح هذا النص، فهل هناك نص صريح لعيسى يقول فيه أنا الله أنا ربكم أنا إلهكم أو قال اعبدوني؟!! الجواب: كلا.. لا يوجد أي نص على لسان عيسى عليه السلام يدّعي فيه الألوهية أو يطلب من الناس أن يعبدوه، بل إن هناك نصوصاً في العهد القديم والعهد الجديد أيضاً تؤكد أن المسيح ليس إلهاً وفيما يلي توضيح ذلك:

أولا : نفي ألوهية المسيح من خلال نصوص الكتاب المقدس

أ- نصوص في العهد القديم: (التوراة)

١- جاء في سفر التثنية: " اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد"[4].

٢- وفي سفر التثنية أيضاً: " الرب هو الإله وليس آخر سواه"[5].

٣- وفي سفر أشعيا: " هكذا يقول الرب.. أنا الأول والآخر ولا إله غيري"[6] فالله سبحانه وتعالى يعلن عن نفسه أنه هو الأول والآخر.

٤- وفي سفر أشعيا أيضاً: " أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض"[1].

---

(١) أحمد سامي عبد الله، لماذا وكيف أسلمت، ص ٨١- ٨٢.

(٢) حسن باعقيل، الحوار الإسلامي النصراني، ص ٢٦.

(٣) مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص ٤٥٦.

(٤) سفر التثنية، ٤/٦.

(٥) سفر التثنية، ٣٥/٤.

(٦) أشعيا، ٦/٤٤.

٥- وقال داوود: "يا رب لا إله غيرك"[٢] .

٦- وقال النبي نحميا: " أنت هو الرب وحدك" [٣].

٧- وفي سفر الملوك الأول: "ليعلم كل شعوب الأرض، أن الرب هو الله وليس آخر"[٤] .

وينفي سبحانه أن يكون مثله احد:

١- ففي سفر التثنية: " ليس مثل الله "[٥] .

٢- يقول أيوب ﷺ في سفره: "لأنه ليس إنسانا مثلي " [٦].

٣- ويقول داوود ﷺ: " يا الله من مثلك "[٧].

ب- نصوص في العهد الجديد: (الإنجيل) تدل على التوحيد منها:

١- أعظم الوصايا وأول الكل. سأل عيسى رجل عن أي الوصايا هي أعظم وأول الكل، فأجاب: " إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد.... فقال له الكاتب: جيداً يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس أخر سواه"[٨] ، فهو رب جميع الناس ورب عيسى ﷺ ، لأن عيسى ﷺ قال ربنا ، وعلى هذا فإن عيسى ﷺ ليس رباً ؛ لأن الرب لا يكون له رب آخر ، و إلا لكان

---

(١) أشعيا ، ١٦/٣٧.

(٢) أخبار الأيام الأول (١٦/٣٧.

(٣) نحميا ، ٢/٩.

(٤) سفر الملوك الأول، ٦٠/٨.

(٥) التثنية، ٢٦/٣٣.

(٦) أيوب ، ٣٢/٩.

(٧) سفر المزامير، ١٩/٧١.

(٨) مرقس، ٢٨/١٢- ٣٢.

للرب الآخر رب ولهذا الرب الآخر رب آخر..، وهكذا سلسلة في الأرباب لا تنتهي، وهذا غير معقول.

٢- ويقول عيسى عليه السلام في خطابه للتلاميذ: "وإني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم "[١] فالمسيح عليه السلام كالتلاميذ فالله أبوه وأبوهم مجازاً وهو إلهه وإلههم، فهم مساوون له، أم هم أيضاً آلهة؟!

٣- ويقول عيسى عليه السلام: " إلهي لقد أتممت العمل الذي أعطيتني لأعمله، وهو أن يعرفوك أنك أنت الإله الحقيقي وحدك، والذي أرسلته رسولك يسوع المسيح"[٢]

٤- ويقول عيسى عليه السلام أيضاً: " والمجد الذي من الإله الواحد لستم تقبلونه"[٣]، فالنص يؤكد

وحدانية الله بجلاء.

٥- وهذا نص آخر لعيسى عليه السلام يقول فيه: " ولا تدعوا لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السماوات، ولا تدعوه معلمين؛ لأن معلمكم واحد المسيح" [٤]، فعيسى عليه السلام يحذر قومه من أنه لا يوجد إله على الأرض بل الله في السماء، فلا وثنية بل وحدانية فالله واحد في السماوات وعيسى ليس إلا معلماً في الأرض وليس إلهاً ولا ابن إله كما تدّعي الكنائس.

ولقد ترتب على ادعاء النصارى بألوهية المسيح ما يلي:

١- ألزموه بخلق السماوات والأرض.

---

(١) يوحنا، ٢٠/١٧.

(٢) يوحنا، ١٧/٣- ٤.

(٣) يوحنا، ٥/٤٤)

(٤) متى، ٢٣ /٩ — ١٠.

٢- جعلوه هو الذي يدين الناس ويحاسبهم يوم القيامة. فقد جاء في إنجيل يوحنا عن الخلق: " في البدء كان الكلمة...كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان، فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس...الخ"(١). مع أنه يقول عن نفسه: " أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً"(٢) . ويقول في إنجيل مرقس: " لأن كل شيء مستطاع عند الله"(٣) فليس هو الخالق لهذا الكون كما تزعمون، بل الخالق هو الله الذي لا إله غيره ربي وربكم ورب هذا الكون و خالقه.

ثانيا: بطلان ادعاء النصارى بأن عيسى عليه السلام هو من يدين البشر ويحاسبهم

جاء في انجيل يوحنا ما يبطل ادعاء النصارى بأن عيسى هم من يدين البشر فيقول يوحنا عن ذلك: " لأن الأب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن"(٤) ،ثم جاء ما يناقضه تماماً في الإنجيل نفسه وعلى لسان المسيح عليه السلام : " لم آتِ لأدين العالم بل لأخلص العالم"(٥) وجاء في إنجيل متّى أيضاً قول عيسى عليه السلام: "أبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية"(٦) ، ويقول في إنجيل متّى أيضاً : " يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي"(٧) ، فهذا تصريح من عيسى عليه السلام بأن الله هو الذي يجازي ويغفر الذنوب ، وهذا يناقض ما جاء في الإنجيل عن أن المسيح عليه السلام هو الذي يدين ويجازي ويغفر الذنوب .

بطلان القول بأن عيسى عليه السلام قد ادعى الألوهية:

---

(١) يوحنا، ١ /١- ٣.

(٢) يوحنا، ٥ /٣٠.

(٣) مرقس، ٢٧/١٠.

(٤) يوحنا، ٥ / ٢٢.

(٥) يوحنا، ٤٧/١٢.

(٦) متّى، ٦ /٤.

(٧) متّى، ٦/ ١٤.

من خلال قراءة نصوص العهد الجديد نجد أنه لا يوجد نص فيه يبين أن عيسى عليه السلام قال: أنا إلهكم أو اعبدوني، بل إنه حذر من أن يحدث ذلك، وقد تنبأ بما سيكون بعده فقال: " وباطلاً يعبدونني وهم يعلّمون تعاليم هي وصايا للناس.."[1]

ثم هو يخبرهم بما سيحدث لهم إن هم انحرفوا فقال: " ليس كل من يقول لي يا رب يا رب ! يدخل ملكوت السماوات؛ بل من يعمل بإرادة أبي الذي في السماوات، وسوف يقول لي كثيرون في ذلك اليوم: يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا، وباسمك طردنا الشياطين، وباسمك عملنا معجزات كثيرة ؟!ولكني عندئذ اصرخ لهم: إني لم أعرفكم قط !ابتعدوا عني يا فاعلي الإثم! "[2] ، فهو ينكر معرفته يوم القيامة بمن قال في الدنيا يا رب يا رب وبيّن لهم أن من يفعل ذلك فهو فاعل للإثم .فلو أنه ادعى أنه إله لما تنكر لهم ووصفهم بفاعلي الإثم. وبناء على ما تقدم فالقول بأن عيسى عليه السلام إله قول زور وبهتان وما هي إلا أقوال ووصايا وضعها وأسسها بولس كما سنرى عند الحديث عنه، فسوف نجد أنه مؤسس جميع العقائد الباطلة في المسيحية، فالمسيحية اليوم ليست إلا أفكاراً لبولس هذا..

ثالثا: مناقشة قول النصارى بأن عيسى ابن الله

يعتقد المسيحيون بأن عيسى عليه السلام ابن الله. ويستشهدون على ذلك بما جاء في الإنجيل أنه عندما ذهب عيسى عليه السلام إلى يوحنا المعمدان(يحيى عليه السلام) ليتعمد أي يُغسل بماء نهر الأردن ليتطهر من الخطيئة التي ورثها البشر من آدم عليه السلام - وهنا لا بد من الانتباه بأن هذا القول يخبرنا بأن عيسى عليه السلام قد ذهب ليتطهر من الخطيئة كبقية الناس الذين يعمدهم يوحنا المعمدان - فكيف يكون إله وهو يحمل الخطيئة، فلو كان إله لما ذهب إليه ليطهره فالتعميد ينفي عن عيسى أنه ابن الله، ومن باب أولى الألوهية،

---

(١) متّى، ١٥ /٩.

(٢) متّى، ٧/٢١ – ٢٣.

ولكنهم يكذبون على الله ثم يصدقون ما افتروه ويجعلوه عقيدة يتعبدون الله بها، بعد أن وضعوها في كتابهم المقدس.

وقد جاء في إنجيل متّى ما نصه: " وصوت من السماوات قائلاً هذا هو " ابني الحبيب " الذي به سررت"[1] ، هذه الحادثة حدثت عندما كان يوحنا المعمدان يعمد عيسى عليه السلام في نهر الأردن ، فكيف لبشر أن يُطهر ابن الله، بل وكيف لابن الله أن يحمل خطيئة آدم ، فهذا النص يستشهد به النصارى على بنوة عيسى لله ؟! ويعتمد النصارى أيضاً في أن عيسى ابن الله على انه ولد من دون أب، فأبوه هو الله. وللرد على هذا الباطل نقول لهم: إن النصوص التي وردت في الإنجيل وفيها ذكر الإنجيل قد فسر معناها وبين أنها غير ما تفهمونه بالمعنى الحرفي فيها، فقد قال عيسى عليه السلام مفسراً معنى البنوة التي وردت في الإنجيل بما يلي:

١- جاء في إنجيل يوحنا: " وأما الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً يصيروا أولاد الله أي: المؤمنون باسمه"[2]، فابن الله هو كل من يؤمن بالله ، فهذا لفظ مجازي وليس حقيقي .

٢- وجاء في إنجيل يوحنا أيضاً قول المسيح عليه السلام: " انظروا أية نصيحة أعطانا الأب حتى ندعى أولاد الله "[3] ،إذاً فكلمة ابن الله مجازية وليست بالمعنى الحقيقي الحرفي الذي فهمتموه بل هي كما فسرها عيسى عليه السلام فكل من يؤمن بالله يستحق أن يطلق عليه ابن الله.

---

(١) متّى، ٢١/٧ – ٢٣.

(٢) يوحنا، ١٢/١.

(٣) يوحنا، ١/٣.

٣- ويقول عيسى عليه السلام: " لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات "(١)

، فعلى هذا

يكون لله أبناء كثيرون.

٤- طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدعون"(٢) فهو استعمال مجازي.

٥- وقال عيسى عليه السلام: " أبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية"(٣)

٦- وقال عيسى عليه السلام: " لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه"(٤)

٧- وقال عيسى عليه السلام: " فصلوا أنتم هكذا، أبانا الذي في السماوات"(٥)

٨- وقال عيسى عليه السلام: " يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي "(٦)

رابعا : تسمية أنبياء سابقين بابن الله

ورد في العهد القديم ما يدل على أن الله قد سمى بعض الأنبياء السابقين بأبناء الله، ومن تلك النصوص ما يلي:

١- في سفر الخروج: " فتقول – يا موسى – لفرعون هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر "(٧) فإسرائيل الذي هو يعقوب هو ابن الله البكر.

٢- وفي سفر إرميا: " لأني صرت لإسرائيل أباً وإفرايم هو بكري " (٨)، لاحظ أن النص الأول يخبر بأن (إسرائيل) ابن الله البكر وفي النص الثاني (إفرايم) ابن الله البكر أيضاً، وهناك غيرهم كثير هم أبناء لله بكور!!

---

(١) متى، ٥/٤٥.
(٢) متى، ٥/٩.
(٣) متى، ٦/٤.
(٤) متى، ٦/٨.
(٥) متى، ٦/٩.
(٦) متى، ٦/١٤.
(٧) سفر الخروج، ٤/٢٢.
(٨) سفر إرميا، ٣١/٩.

٣- وجاء في سفر رومية : " لأن الذين سبق معرفتهم سبق فعينتهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين أخوة كثيرين"[١] فإذا كانوا هؤلاء جميعهم أبناء بكورة لله فماذا يكون عيسى عليه السلام.

٤- قبل مولد عيسى عليه السلام بكثير قال الله عز وجل لداود عليه السلام : " أنت ابني أنا اليوم ولدتك" [٢].

٥- وقال الله تعالى لسلميان عليه السلام : " يبني بيتاً لاسمي ، وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد ، أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً"[٣].

٦- وقال موسى لقومه : "أنتم أولاد للرب إلهكم"[٤]

٧- وقال إشعيا في دعائه : " أنت يا رب أبونا وليّنا منذ الأبد اسمك"[٥].

٨- وقال عيسى عليه السلام لكهنة اليهود أنهم آلهة : " فأجابهم يسوع أليس مكتوباً في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة"[٦] ، فهل قال أحد منكم أنهم آلهة كما عيسى إله ؟.

٩- وقال الله لموسى عليه السلام : " وقال الرب لموسى انظر قد جعلتك إلهاً لفرعون ، وهارون أخوك يكون نبيك"[٧] ، ترى هل يؤمن النصارى بأن موسى عليه السلام إله وهارون أخوه نبيه كما هو نص الفقرة هنا ؟! مع أن النص صريح ؟! وإذا سئل

---

(١) سفر رومية ، ٢٩/٨.

(٢) سفر المزامير، ٧/٢.

(٣) سفر أخبار الأيام الأول، ٦/٢٨.

(٤) سفر التثنية ، ١/١٤.

(٥) متّى ، ١٤/٦.

(٦) إنجيل يوحنا (١٠/٣٤ — ٣٥

(٧) سفر الخروج، ١/٧.

النصارى عن ذلك أجابوا بالطبع لا ليس المراد أنه إله حقيقي. وهنا نقول لهم لم لا تلزموا أنفسكم بما ألزمتم به غيركم ؟!

فالمسيح لا يكون إلهاً أيضاً. فكما رأينا عبر النصوص فالله له أبناء كثيرون، فإما أن تؤمن بجميع النصوص فلا يكون عيسى ابن الله ، فيجب عليك فهم نصوص الإنجيل على نحو مجازي أسوة بالنصوص الأخرى التي وردت في العهد القديم والعهد الجديد التي ذكرت أن الله سبحانه وتعالى قد قال إنه أبو سليمان وأبو داود وأبو الناس جميعاً، فإذا كان الله أبا الناس جميعاً فلماذا يشذ عيسى وحده ؟!! وترتب على هذا الاعتقاد نتائج خطرة كما يقول يوحنا في إنجيله: " الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد "[1] ، ويقول يوحنا أيضاً : " أحب الله العالم حتى بذل (الله) ابنه الوحيد ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به "[2].

وقد ورد لفظ (ابن الله الوحيد) في إنجيل يوحنا فقط وهو آخر الأناجيل في تاريخ كتابته ما نصه: أيها المسيحي لكي تكون عادلاً فلا بد أن تساوي بنوة المسيح ببنوة داود وسليمان، وإسرائيل، و إفرايم وغيرهم ممن ذكروا في العهد القديم من كتابكم المقدس، يجب عليكم أن تفهموها بأنها إضافة مجازية كما فهمتم قول الإنجيل عن عيسى عليه السلام بأنه (حمل الله) فلم يقل أحد منكم أنه حمل حقيقي من أنواع الحيوان بل تؤمنون بأنه استخدام مجازي، فابن الله أيضاً لفظ مجازي كما تقول أبناء اليمن وأبناء فلسطين، وكذلك تقول عن تلاميذ المدرسة أبناء الصف الأول، وأبناء الصف الخامس.

---

(١) يوحنا، (١٨/٣).

(٢) يوحنا، (١٦/٣).

وهكذا حتى نحن المسلمين قد جاء لفظ أبناء الله في الحديث الشريف فقد قال ﷺ: "ثم الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله" [1]، ولكنّا فهمناها كما أريد لها، ولم يزعم أحد من المسلمين أن هذه اللفظة استخدمت استخداماً حقيقياً وإنما مجازاً.

خامسا : نفي أبوة الله للمسيح عيسى عليه السلام

في معرض تدليل النصارى على أبوة الله للمسيح يرون أن ما ورد في الإنجيل بشان نسب المسيح لله ليس ذلك مجازيا بل انه نسب حقيقي، لأن كل أولئك – الأنبياء – لهم أباء معروفون أما عيسى فلا أب له فهو ابن الله حقيقة. ويرد على ذلك: أن ذلك ليس مستحيلا فهذا آدم عليه السلام ولد أيضاً من دون أب بل ولا أم، زد على ذلك أن نص شجرة نسبه (آدم ابن الله) كما يقول لوقا في الإصحاح الثالث ولكن لم يقل أحد من النصارى أنه ابن الله حقيقة بل هو ابن الله مجازاً، وبهذا نكون قد ظلمناه لأنه أحق من عيسى عليه السلام بذلك النسب لأنه لا أب له ولا أم، قال تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ} [2]، وقال تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[3]، ثم كان هناك حواء أيضاً جاءت بطريق معجز جاءت من آدم عليه السلام، فلم يقل أحد أنها ابنة لله. أيضاً الملائكة عليهم السلام ليس لهم أمهات ولا آباء وقد جاء في لوقا عنهم: " لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله"[4].

---

(١) مسند الحارث (زوائد الهيثمي) باب قضاء الحوائج. ج٢.ص٨٥٧.

(٢) سورة الحجر، آية : ٢٩.

(٣) سورة آل عمران، آية : ٥٩.

(٤) لوقا، ٢٢/١٠.

والحقيقة أن أصل هذا اللفظ (ابن الله) كان قد شاع في بني إسرائيل فقد " كان المؤسس له اليهود حيث أطلقوا على أنفسهم أنهم أبناء الله عز وجل وأحباؤه وسجلوا ذلك في كتبهم ولما بعث الله عز وجل عيسى ابن مريم فيهم كان هذا اللفظ متداولاً على ألسنتهم واستمروا في استعماله حتى بعد اعتناقهم للمسيحية، فجاءت كتابات العهد الجديد مفعمة بهذا اللفظ في كل فقراته، وبمرور الوقت اعتقد المسيحيون أن هذه خاصة بالمسيح عليه السلام وأنه الأليق بها دون غيره" (١).

سادسا : الرد على قول النصارى بأن عيسى جاء من الروح القدس

عندما تتهافت حجج النصارى في مسألة إثبات أن المسيح عليه السلام ابن الله، يحاولون إثبات بنوة المسيح لله من خلال القول بأن عيسى ابن الله لأنه جاء من روح الله عن طريق الروح القدس ، حينئذ يرد عليهم بأن هذا صحيح فقد جاء في القرآن الكريم ما يثبت ذلك، قال تعالى: {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ }(٢). وقال تعالى: {... فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً } (٣).

وكتاب النصارى المقدس يخبر بأن عيسى عليه السلام لم يكن وحده الذي جاء بقوة الروح القدس فقد ورد في إنجيل لوقا أن نفس الملاك (جبرائيل) الذي جاء مريم قد جاء إلى زكريا بعد أن طلب من الله عز وجل أن يهب له ولداً " فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك الياصبات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا، ويكون لك فرح وابتهاج ، وكثيرون سيفرحون بولادته ؛ لأنه يكون عظيماً

---

(١) محمد حسن عبد الرحمن، ألوهية المسيح، ص٨٧ _ ٨٨.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩١.

(٣) سورة مريم ، آية : ١٧ .

أمام الرب ، وخمراً ومسكراً لا يشرب ، ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس " [1].
فها هو الروح القدس الذي ملأ بطن أم زكريا التي كانت عجوزاً وعاقراً في نفس الوقت، هو نفسه الروح القدس الذي نفخ في بطن أم عيسى عليه السلام (بعيسى)، ففي إنجيل لوقا جاء: " وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى المدينة من الجليل اسمها ناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم" [2].

وكذلك نجد أن لوقا يربط بين مولد (يوحنا المعمدان) يحيى، وبين مولد المسيح عليه السلام، فعندما تتعجب مريم العذراء لأنها ستلد، وتلد وهي لا تعرف رجلاً يقول لها الملاك كما في إنجيل لوقا "[3]، " فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً ؟! فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك...وهي ذا الياصبات نسيبتك هي أيضاً حبلى بابن في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقر، لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله"[4].

فلو كانت الروح القدس آلهة ، يتحول من تحل عليه من البشر إلى إله لو كان كذلك لاحتسبنا كل الذين حلت عليهم الروح القدس آلهة ، ومنهم كما رأينا يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) عليهما السلام، وكذلك مريم العذراء، والياصبات امرأة زكريا؛ لأن الروح القدس قد حل عليهما، وآخرين كثيرين من أنبياء العهد القديم.

سابعا :الأنبياء الذين تحل عليهم الروح القدس كما ذكرت التوراة

---

(١) لوقا ، ١٣/١.

(٢) لوقا ، ٢٦/١ .

(٣) المناظرة بين المسيحية والإسلام ، ص ١٨٤ .

(٤) لوقا، ٣٧/٣٤.

جاء في التوراة ما يشير إلى أن هناك بعض الأنبياء تحل عليهم الروح القدس وهذا ما يتضح في النصوص الآتية:

١- يقول النبي(حزقيال): " وحل عليّ روح الرب وقال لي : قل هكذا قال الرب" [(١)].

٢- وقال الله عز وجل عن أشعيا عليه السلام: " وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم"[(٢)]

٣- وجاء في سفر حزقيال: "وأجعل روحي فيكم فتحيون"[(٣)] أي الروح الناطقة.

ما جاء في العهد الجديد بشأن الروح القدس:

١- الروح القدس هبة من الله يعطيها لمن يسأله ؛ جاء في إنجيل لوقا: " بالحري الأب الذي في السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه"[(٤)].

٢- الروح القدس صفة للمعزي الجديد: " وأما المعزي الروح القدس"[(٥)].

٣- "وامتلاء الجميع من الروح القدس"[(٦)].

٤- " وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح وإن كان روح الله ساكناً فيكم"[(٧)]

---

(١) سفر حزقيال، ١١/٥.

(٢) سفر أشعيا، ٤٢/١.

(٣) إنجيل حزقيال، ٣٧/١٤.

(٤) إنجيل لوقا، ١١/٣.

(٥) إنجيل يوحنا، ١٤/٢٦.

(٦) أعمال الرسل، ٢/٤.

(٧) رسالة بولس إلى أهل رومية، ٨/٩.

٥- "أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم"[1] فالأتقياء هم هيكل الروح القدس، ففي هذه النصوص من القوة ما يزيل كافة الاشكاليات المتعلقة بهذه المسألة.

ثامنا : الرد على عقيدة ألوهية المسيح بالدليل العقلي

في الوقت الذي لا يقتنع النصراني ببطلان إلوهية المسيح عن طريق النصوص الموجود في كتابهم المقدس، حينئذ ندعوه إلى تحكيم العقل كأن نقول له: إن كان عيسى عليه السلام هو الله أو حتى ابن الله، وهو يتمتع بقوة الروح القدس منذ كان في بطن أمه فلماذا لا يستطيع هذا الإله، أو ابن الله أن يدفع عن نفسه السوء والضرر عندما يتعرض للأذى ؟ فقد جاء في إنجيلكم ما ينفي عقلاً ومنطقاً ألوهية المسيح المزعومة أو بنوته لله:

١- في إنجيل متّى جاء: " وبعدما انصرفوا، إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر، وكن هناك حتى أقول لك، ولأن (هيرودس) مزمع أن يطلب الضبي ليهلكه، فقام وأخذ الصبي وأمه ليلاً وانصرف إلى مصر وكان هناك إلى وفاة هيرودس"[2].

والسؤال هنا: كيف يكون المسيح ابن الله ولا ينقذه أبوه من هيرودس، ويوحي إلى يوسف النجار ليهرب به إلى مصر لينجو من الهلاك المتوقع والمزمع به ؟! وكيف يكون هو الله أو الإله الابن أو الإله المتجسد ولا يستطيع بإلوهيته هذه أن ينقذ حياة نفسه من الهلاك من أحد أفراد خلقه (هيرودس) لكي يثبت ألوهيته من أول أيامه على الأرض ؟! آلله يهرب من أحد عباده خشية الهلاك ؟! ثم يتكرر عليه الخوف مرة أخرى من عبد من عباده، فنقرأ في ذات الإصحاح السابق في نهايته.

---

(١) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، ١٩/٦.

(٢) إنجيل متّى، ١٦/٢.

٢- " فقام وأخذ الصبي وأمه، وجاء إلى أرض إسرائيل ولكن لما سمع أن(أرخيلادس) يملك على اليهودية عوضاً عن (هيرودس) أبيه خاف أن يذهب إلى هناك، إذ أوحي إليه في حلم انصرف إلى نواحي الجليل "[١] ، فهل من المعقول أن ابن الله الذي به كان كل شيء وبغيره لم يكن شيئا كما تزعمون ، الذي هو في الأب والأب فيه كما تقولون ، أيخشى الهلاك من أحد عبيده مثل (هيرودس)و(أرخيلادس) "[٢] . وورد أيضاً في إنجيل متّى ما ينافي زعم الألوهية فقد جاء فيه أن الشيطان أخذ الله ليختبره.

٣- " أخذه إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم، ومجدها وقال له : أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي"[٣] ، فلو كان عيسى عليه السلام هو الله ، فأي إله هذا الذي يتعرض لاختبار وتحدي من الشيطان؟وكيف يغري الشيطان الله بممالك والله هو الذي خلق الكون، كيف وهو الذي يقول عنه يوحنا الذي كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان، فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس "[٤].

فهل يملك الشيطان ممالك أكثر مما يملكه الله، إن الشيطان لم يكن يؤمن بأن المسيح هو الله، و إلا لما تجرأ لأن يقف أمامه ليمتحنه وهو يعلم أنه الله الذي خلقه ما هذه إلا أسطورة مقتبسة من أساطير آلهة الوثنيين القديمة، فقد رويت مثل هذه القصة عن (بوذا) وكيف حاول معه الشيطان المحاولة نفسها التي وقعت بين المسيح والشيطان فقد وردت في كتاب "حياة بوذا"[٥] فيكون من الأجمل والأفضل لذات الله وللمسيح

---

(١) إنجيل متّى، ٢ /٢١ – ٢٣

(٢) أحمد سامي عبد الله، لماذا وكيف أسلمت.. ص٦٨- ٦٩.

(٣) متّى ، ٤/ ٨.

(٤) أحمد سامي عبد الله، لماذا وكيف أسلمت، ص٣٧.

(٥) عبد الودود شلبي، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، ص٤٤.

وللديانة المسيحية وأتباعها أن تقول إن إبليس اللعين أتى عيسى ابن مريم الإنسان وابن الإنسان النبي والرسول ، محاولاً إغرائه بترك دعوته"[1] لا أن يطلب من الله أن يسجد له .

عيسى عليه السلام يعترف في الإنجيل بأنه إنسان وليس إله :

لم يدع عيسى عليه السلام بأنه الله أو ابن الله حقيقة ولم يدعي مساواته لله كما تزعمون فكان يتوجه إلى الله بالدعاء ويشكره فيقول: " أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لي وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني"[2]، فعيسى دعا الله أن يمده بمعجزة الإحياء ثم شكر الله لأنه استجاب له"[3].

١- وها هي أخت لعازر تقول لعيسى عليه السلام : "أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه"[4]، فعيسى عليه السلام يطلب المعجزات من الله عز وجل ، بل ويطلب النجاة لنفسه ، ففي ليلة مداهمة الجنود له والحواريين قال : " أيها الأب نجني من هذه الساعة "[5].

٢- والمسيح عليه السلام لا يستنكف من الاعتراف بالعجز وأن ما يفعله من معجزات ليست منه بل من الله قائلاً : "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً"[6].

---

(١) محمد أحمد الديّني ، من أجل الإنجيل ، ص٤٦.

(٢) يوحنا، ١١/٤١- ٤٢.

(٣) محمد الخولي ، حقيقة عيسى المسيح .ص ٢٠ .

(٤) يوحنا، ١١/٢٢.

(٥) يوحنا، ١٢/٢٧.

(٦) يوحنا، ٥/٣٠.

٣- وكيف تعبدوه وتصلون له وهو نفسه يعبد الله ويصلي له " قضى الليل كله في الصلاة لله "[1] فهو يعبد الله ولو كان هو الله فلمن يصلي إذاً ؟

٤- وأيضاً أنتم تطلبون منه كل شيء، تطلبون النجاة والرحمة والمغفرة.إلخ، وهو ما استطاع أن ينقذ نفسه من بين أيدي اليهود عندما قبضوا عليه وصلبوه كما تزعمون، بل صرخ بصوت عال مستنجداً بالله ليخلصه وينقذه من هؤلاء اليهود قائلاً: " إلوي إلوي لم شبقتني والتي معناها إلهي إلهي لماذا تركتني ؟"[2]، فلماذا تتوجهون إليه بطلب كل ما تريدون وهو لا يقدر عليه، ألا تعلمون أن فاقد الشيء لا يعطيه، وهذه قاعدة يتعامل معها جميع العقلاء من الناس فإنك لا تجد أحداً منهم يذهب إلى من لا يستطيع القراءة والكتابة ليتعلم منه القراءة والكتابة ولا أحد يقصد الفقراء ليطلب منهم المساعدة بالمال.. وهكذا فكيف تطلبون من عيسى وهو قد أخبركم أنه لا يقدر أن يفعل من نفسه شيئاً وأخبركم أنه ليس إلا نبي مرسل من الله كما هو مذكور في الإنجيل.

اعتراف الإنجيل بأن عيسى نبي وليس إله:

هناك بعض النصوص الواردة في الإنجيل التي تخبرنا بأن عيسى نبي وليس إله منها:

١- عندما طلب اليهود من عيسى عليه السلام أن يخرج من أورشليم قال: "لأنه لا يمكن أن يهلك نبي

---

(١) لوقا، ١٢/٦.

(٢) مرقس، ٣٢/١٥ – ٣٤.

خارجاً من أورشليم، يا أورشليم، يا أورشليم، يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين"[1]، " فعيسى ﷺ يصف نفسه بأنه نبي وأنه سيخرج من أورشليم لأن الأنبياء لا يقتلهم أحد خارجها "[2].

٢- وعيسى يلوم قومه لعدم تصديقهم له قائلاً: " الحق أقول لكم إنه ليس نبي مقبولاً في وطنته "[3]، وهذا اعتراف من عيسى ﷺ بأنه نبي وأن اليهود لم يقبلوه، فها هو يخبر ما يحدث له وحدث للأنبياء من قبله من صعوبات لاقوها من أقوامهم فقال: " ليس نبي بلا كرامة، إلا في وطنه وبين أقربائه وفي بيته"[4].

٣) وها هو عيسى ﷺ عندما قدم إلى المدينة خرجت الجموع تصرخ قائلة: "مبارك الآتي باسم الرب..هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل"[5]، فهؤلاء معاصريه وأكثر الناس دراية به لم يقولوا عنه أنه إله أو ابن الله بل قالوا (يسوع النبي).

٤) بعد أن قام عيسى ﷺ بإحياء الميت أمام الحاضرين قالوا: " قد قام فينا نبي عظيم، وافتقد الله شعبه"[6]، فها هم يشاهدون معجزة نبوته عليه السلام فيعترفون به نبياً عظيماً، ولم يقولوا مادام أنه أحيا الميت فهو إله !

٥) " وقصة معجزة أرغفة الخبز التي تمت بين خمسة آلاف من اليهود اجتمعوا إلى عيسى في الجليل، نلاحظ إقرار الجموع بعيسى كنبي من الأنبياء[1]، " فلما رأى

(١) لوقا، ٣٣/٣ – ٣٤.

(٢) محمد علي الخولي ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، ص١٢٨ .

(٣) لوقا، ٢٤/٤.

(٤) مرقس، ٤/٦، متّى، ٥٧/١٣.

(٥) متّى، ٩/٢١- ١١.

(٦) لوقا، ١٦/٧.

الناس المعجزة التي قام بها عيسى قالوا: " إن هذا حقاً النبي المنتظر مجيئه إلى العالم "[٢].

بعض النصوص التي تصرح بأن عيسى يقول إنه رسول الله

١- يقول عيسى: " الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني "[٣].

٣- وأخبر أنه لا يتكلم بشيء من عنده بل يتكلم بما أمره الله أن يبلغ به: "لم أتكلم من نفسي لكن الأب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول و بماذا أتكلم...فما أتكلم أنا به فكما قال لي الأب هكذا أتكلم"[٤]. وقال: "الذي يقبلني يقبل الذي أرسلني "[٥]. وقال ﷺ: "والأب نفسه الذي أرسلني يشهد لي "[٦]. وقال: "طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني"[٧].

٤- وقال: " الذي يرذلني يرذل الذي أرسلني "[٨].

بعض النصوص التي تصرح بأن عيسى يخبر أنه معلم وليس إله:

١- لا تدعوا لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السماوات، ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح"[٩].

---

(١) محمد فاروق الزين، المسيحية والإسلام و الاستشراف، ص١٦٤.

(٢) يوحنا، ١٤/٦.

(٣) يوحنا، ٤٤/١٢ .

(٤) يوحنا، ٤٩/١٢ — ٥٠.

(٥)يوحنا، ٢٠/١٣.

(٦) يوحنا، ٢٧/٥.

(٧) يوحنا، ٣٤/٤.

(٨) لوقا، ١٦/١٠.

(٩) متى، ٩/٢٣- ١٠.

٢- وعندما ناداه أحدهم: "أيها المعلم الصالح"، قال له عيسى عليه السلام : "لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالح إلا واحد وهو الله "[1]فقد قبل عيسى عليه السلام أن يدعى بالمعلم لأنه كذلك جاء معلماً من عند الله ولكنه لتواضعه عليه السلام رفض أن يوصف بالصالح ، وهذا مثلما تقول لشيخ أنت شيخ عظيم فيقول لا إنما العظيم هو الله ، أو تقول لإنسان أنت كريم فيقول إنما الكريم هو الله وعيسى عليه السلام نسب الصلاح الكامل لله ، فليس أحداً كامل إلا الله سبحانه وتعالى ، انظر كيف نفى عيسى عليه السلام عن نفسه صفة الصلاح ، ثم انظر كيف تزعمون أنه ادعى أنه إله ؟!

المبحث الثالث

عقيدة الصلب والفداء
في الديانة النصرانية

المطلب الأول
الجـــذور التاريخيـــة

عقيدة صلب المسيح عقيدة مقرونة بفكرة الفداء والخطيئة الأولى، وهي عقيدة وثنية محضة تمتد جذورها إلي مئات السنين قبل ميلاد المسيح عليه السلام. ومن الجدير بالذكر أن النصرانية قد تأثرت وتفاعلت بالديانات الوثنية السرية المنتشرة آنذاك في الإمبراطورية الرومانية، وبلدان الشرق الأدنى، لا سيما في مصر وسوريا

(١) لوقا، ١٨/١٩.

وبلاد فارس، حيث كانت طقوس العبادة تمثل على المسرح موت الآلهة، وبعثهم تشجيعاً للراغبين في الانتساب إلي تلك الديانات، والطامعين في البقاء والخلود[1].

ويؤكد ذلك المؤرخ المسيحي " ول ديورانت " حيث يذكر أن الاممين في بلاد اليونان الذين آمنوا بالمسيح، ولم يروه قد آمنوا به كما آمنوا بآلهتهم المنقذة، التي ماتت لتفتدي بموتها بني الإنسان، حيث كانت هذه العقيدة منتشرة منذ زمن بعيد في مصر وآسية الصغرى وبلاد اليونان[2].

وقد أسهب جميع علماء مقارنة الأديان والمهتمين بالتاريخ القديم، في الحديث عن عقيدة الصلب والفداء، وعن أصولها، وكانوا جميعاً تقاربي الآراء في بيان جذور هذه العقيدة، وكيفية وصولها للديانة المسيحية المحرفة، ومن هؤلاء صاحب كتاب العقائد الوثنية في الديانة المسيحية الذي كان عبارة عن خلاصة إطلاعه على ما يقرب من أربعين كتاباً أجنبياً في مقارنة الأديان وفي التاريخ القديم. حيث جمع الشيء الكثير مما يشترك فيه المسيحيين مع الوثنيين ألمختلفي النحل والأمكنة في العقائد.

ومن خلال النظر في تاريخ الأمم السابقة نجد أن ما يروى عن البوذيين بشأن بوذا يشبه إلى حد كبير ما يرويه النصارى عن المسيح، فبوذا هو الطيب المخلص وهو الابن البكر الذي قدم نفسه ذبيحة ليكفر آثام البشر ويجعلهم يرثون ملكوت السموات وقد كانت ولادته بسبب خلاص العالم من هموم وأحزان ومصائب. وقد بين ذلك كثير من علماء الغرب منهم " بيل " في كتابه تاريخ بوذا، و " هوك " في رحلته، و " مولر " في كتابه تاريخ الآداب السنسكريتية... وغيرهم من كتاب ومفكري الغرب[3].

---

(١) عبد الودود شلبي، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، ص٢٨- ٣٠. بتصرف.

(٢) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج٣، ج٣، ص٢٧٦.

(٣) ول ديورانت، قصة الحضارة، مرجع سابق، مج٣، ج٣، ص٢٨٠.

وأما المصريون القدماء فقد كانوا يقدمون من البشر ذبيحة إرضاء للآلهة وقد تمكنت هذه العقيدة الشريرة من نفوسهم حتى صاروا يقدمون الابن البكر من احد العائلات الأتاتانية، ذبحية يأخذونه إلي الهيكل في فستات في عالوس ويضعون على رأسه إكليلاً ثم يذبحونه قرباناً للآلهة كما تذبح الأنعام. ويعتقد المصريون القدماء أن (أوزريس) مخلص الناس من شرورهم وآثامهم وأنه يلاقي في سبيل هذا الاضطهاد والعذاب.

يقول العلامة موري: يحترم المصريون (أدسيريس) ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة. وقد كان الهنود الوثنيين يصفون (كرشنة) بالبطل الوديع الذي قدم نفسه ذبيحة للفداء للبشرية وأن هذا العمل لا يستطيع أحد أن يقوم به سواه. فلم يكن يسوع الذي اعتقد النصارى بأنه ابن الإله الذي تجسد وقدم نفسه للموت على الصليب، افتداء الخطايا البشرية، لم يكن المسيح وحده هو الابن الوحيد للإله الذي جاد بحياته من أجل البشر، بل هناك كثيرون أمثاله ممن ظهر في التاريخ، وفي مختلف الأمم والشعوب، حيث يوجد العديد ممن ألحقت بهم فكرة أنهم أبناء الإله تجسدوا وماتوا لأجل البشر.

يقول داون [1] : إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة، فداء عن الخطيئة، قديم العهد جداً، عند الهنود الوثنيين وغيرهم. وفيما يلي عرض لعدد من هؤلاء المخلصين :

١- كرشنا: صلب في الهند نحو عام (١٢٠٠/ق.م)، وهناك تشابه كبير ـ يصل أحياناً كثيرة إلى حد التطابق التام ـ بين سيرته، ونهايته، وبين سيرة ونهاية المسيح عند النصارى.

(١) أنور الجندي، الإسلام والفلسفات القديمة، ١٩٧، بتصرف.

٢- مثرا: ولد مثرا في يوم (١٢/٢٥) في كهف، وصلب في بلاد الفرس، حوالي عام (٦٠٠/ق.م)، وذلك تكفيراً عن خطايا وآثام البشر. وكان له في بلاده شأن عظيم، وهو معبود الفداء، وهناك تشابه أيضاً بين سيرته وسيرة المسيح عند النصارى من عدة نواح وهي:

- ولد مثرا من عذراء.
- مجده الرعاة، وقدموا له الفواكه.
- تنطوي ديانته على عقيدة الكلمة، وعقيدة الثالوث.

٣- بوذا سيكا: صلب في الهند عام (٦٠٠/ق.م)، ومن أسمائه: نور العالم، مخلص العالم، ينبوع الحياة. ويقولون عنه: إن بوذا سيكا قد أشفق على البشرية بسبب ما أصابهم من خطاياهم، فترك الفردوس، ونزل إلى الأرض، ليرفع عنهم خطاياهم، ويضع عنهم أوزارهم، وكانت أمه تسمى العذراء القديسة، وملكة السماء.

٤- كوجزا لكوت: صلب في المكسيك عام (٥٨٧/ق.م)، وقد سجلت حادثة الصلب على صفائح معدنية، تصوره مرة مصلوباً فوق قمة جبل، ومرة أخرى تصوره مصلوباً في السماء، وتصوره مرة ثالثة مصلوباً بين لصين، وقد نفذت المسامير فيه إلى خشبة الصليب.

٥- برومثيوس: صلب في القوقاز عام (٥٤٧/ق.م)، حيث جاد بنفسه في سبيل البشر.

وقد كانت أسطورة صلب برومثيوس، وقتله، ودفنه، ثم قيامته من بين الموتى، تمثل على مسارح أثينة في اليونان، تمثيلاً إيمائياً صامتاً، قبل المسيح بخمسة قرون.

٦- كيرينوس: صلب في روما عام (٥٠٦/ق.م)، وسيرته تشبه سيرة المسيح من النواحي التالية:

❖ ولد من أم تنتمي إلى أسرة ملكانية ـ أي مقدسة.

❖ حملت به أمه بلا دنس .

❖ سعى الملك الطاغية في عصره (أموليوس) إلى الفتك به.

❖ صلبه الأشرار من قومه.

❖عندما زهقت روحه غمرت الظلمة وجه الأرض.قام بعد موته من بين الموتى.

٧- أندرا: عبد أهالي نيبال الوثنيون القدماء هذا الإله على أنه ابن للإله أيضاً، ويعتقدون أنه قد سفك دمه بالصلب، وثقب بالمسامير كي يخلص البشر من ذنوبهم.

٨- تيان: أحد المخلصين في الصين قديماً، فهو قدينس قد مات لأجل أن يخلص الناس من ذنوبهم، وهو إله واحد مع الإله الأكبر منذ الأزل قبل كل شيء.

٩- أوسيريس: أحد آلهة المصريين القدماء، ويعتبرونه مخلصاً للناس، حيث قدم نفسه ذبيحة لينال الناس الحياة، ثم إنه بعد موته قام من بين الأموات، وسيكون هو الديان في اليوم الآخر.

١٠- هروس: عبده قديماً سكان آسية الصغرى، وكان يدعى المخلص والفادي، وإله الحياة والمولود الوحيد، وهو إنسان حكيم عمل العجائب، وقبض عليه جنود الكلدانيين، وسمروه على الصليب، كي يزداد ألماً، ثم قتلوه، وقد مات لأجل خلاص شعبه. تلك عي عقيدة الصلب والفداء عند الأمم السابقة، فهي بذلك عقيدة وثنية قديمة وطارئة على العقيدة التصرانية.

المطلب الثاني
ركائز عقيدة الصلب والفداء

يعتقد النصارى " بالخطيئة الموروثة ": أي أن كل إنسان يولد خاطئاً، وذلك لأن أبونا آدم وأمنا حواء عصيا ربهما وأكلا من الشجرة المحرمة، فوقعا في الخطيئة وبذلك يكون آدم وزوجته وأولادها يستحقون جميعاً عقابَ الآخرة (أي جهنم)، وهذا هو العدل الإلهي.

ولكن صفة الرحمة لله تعالى تستوجب العفو، فنتج تناقض بين عدل الله وبين رحمته تعالى " فتطلب الأمر شيئاً يجمع بين الرحمة والعدل، فكانت الفدية التي يتم بها ناموس العدل ويتحقق بها ناموس الرحمة ! ولكن ينبغي أن تكون هذه الفدية طاهرة غير مدنسة، وليس في الكون ما هو طاهر بلا دنس إلا الله سبحانه وتعالى ... ولكن تعالى الله أن يكون " فدية " فأوجبت المشيئة أن يتخذ جسداً يتحد فيه اللاهوت والناسوت، أي جسداً يكون إلها وبشراً في الوقت نفسه.

فاتحد اللاهوت والناسوت في بطن العذراء مريم فنتج عن هذا الإتحاد إنساناً كاملاً، من حيث هو ولدها وكان الله في الجسد إلهاً كاملاً، وقد تمثل هذا كله في المسيح الذي أتى ليكون "فديه " لخلقه وكانذلك هو الفداء. ثم قدم هذا الإله " ذبيحة" ليكون ذبحه إعفاء البشر من جريمة الخطيئة، فمن أجل ذلك مات المسيح على الصليب. وهذا هو الصلب. وكان هذا كله كفارة لخطايا البشر وتخليصهم من الهلاك. وهذا هو الخلاص. ولما كان البشر كلهم خطاة بخطيئة أبيهم آدم وأمهم حواء فهم هالكون، ولا ينجيهم من هذا الهلاك سوى إيمانهم بالمسيح "الفادي"[1].

المطلب الثالث
أدلة النصارى على الفداء

---

(١) أنور الجندي، الإسلام والفلسفات القديمة، مرجع سابق، ١٩٩، بتصرف.

يستدل النصارى على عقيدة الفداء تلك بنصوص من الإنجيل ومن هذه النصوص ما يلي:

١. ما جاء في إنجيل يوحنا: "أنا هو الراعي الصالح، الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف"[١] ، لاحظ التناقض بين هذا النص والنص الأخر الذي يقول فيه عيسى مؤنباً ذلك الرجل الذي قال له أنت معلم صالح : "لماذا تدعوني صالحاً ليس صالحاً إلا واحد..."[٢].

٢. وجاء في إنجيل يوحنا أيضاً: " لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" [٣] وهذا التصريح بأن عيسى هو ابن الله الوحيد لم يذكره إلا يوحنا فقط، فلماذا لم تذكره بقية الأناجيل، مع أنه عقيدة هامه في المسيحية؟!

٣. وجاء في إنجيل مرقس: "أن ابن الإنسان لم يأت ليخُدَم بل ليخدُم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين[٤]. ومن خلال قراءة هذه النصوص نجد أنها لا تزيد عن كونها ادعاءاً باطلاً ليبرروا به قضية الصلب التي اعتقدوها وآمنوا بها." فادعوا أن الصلب هو الشرف الحقيقي وهو الهدف الأسمى من رسالة المسيح، ولولا الصلب ما جاء المسيح، فأخذوا يروجون لهذا الأمر ويبحثون له عن الأوجه التي تجعله في حيز

---

(١) انظر عبد الودود شلبي، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، مرجع سابق، ٢٨- ٣٠.

(٢) يوحنا، ١٠/١١، ولوقا، ١٨/١٩.

(٣) يوحنا، ٣/١٦..

(٤) مرقص، ١٠/ ٤٥.

المقبول والمعقول، إلا أن كلامهم في الحقيقة يزيد الأمر تعقيداً وإرباكاً للقارئ والسامع" (1).

وأما بالنسبة الى النصوص المتعلقة بالصلب فقد وردت في الأناجيل نصوص كثيرة في الصلب ولكن الاختلافات فيما بينها كثيرة مما يفقدها مصداقيتها ومن هذه النصوص:

أولا: النصوص المتناقضة المتعلقة بتحديد الخائن الذي دل على عيسى ﷺ

١- في العشاء الأخير قال عيسى ﷺ متنبئاً: " الذي يغمس يده معي في الصفحة هو يسلمني... فأجابه يهوذا مسلّمه وقال "هل أنا هو يا سيدي: قال أنت قلت" (2).

٢- وفي إنجيل مرقس قال عيسى: "هو واحد من الاثني عشر الذي يغمس معي في الصحفة٢٢٣.

٣- وفي لوقا قال: "هو ذا يد الذي يسلمني هي معي على المائدة" (3).

٤- وفي يوحنا قال: "هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الأسخريوطي" (4) فهذه النصوص الأربعة نجد فيها تناقضا ظاهرا يوضحه الجدول الآتي:

إنجيل متى	إنجيل لوقا	إنجيل مرقس	إنجيل يوحنا
لم يحدد اسم	لم يحدد اسم	حدد اسم الخائن.	حدد اسم الخائن.

---

(1) سعود الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص٢٣٧.

(2) متى، ٢٦/٢٣- ٢٥.

(3) مرقس، ١٤/ ٢٠.

(4) لوقا، ٢٢/ ٢١.

الخائن.	الخائن.		
يهوذا هو الذي يغمس.	يده معه على المائدة.	يهوذا هو الذي يغمس.	المسيح يغمس اللقمة ويعطي لخائن"يهوذا"

وجاء في انجيل متى نصا يتوعد فيه المسيح الذي سيخونه بلفظ" ويل له[1] " وجاء في النص: " قال عيسى عن ذلك الذي سيخونه: " ويلٌ لذلك الرجل الذي به يُسَلَّم ابن الإنسان، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد"[2].

ويلاحظ في هذا النص أن عيسى عليه السلام سمي نفسه ابن الإنسان ولم يقل "ابن الله ". والسؤال هنا: إذا كان عيسى "ابن الله " فلماذا الويل ليهوذا وهو ينفذ إرادة الله التي من أجلها جاء المسيح ابن الله كما يزعمون ؟!! ألم تدّعوا أن عيسى "ابن الله " ما جاء إلا ليُقتل من أجل أن يخلص البشر من الخطيئة التي ورثوها من أبيهم آدم ؟! إذا كان كذلك فيهوذا من أقرب المقربين إلى الله، لأنه قام بتنفيذ إرادة الله عز وجل.

المطلب الرابع
النصوص المتعلقة بالصلب
وما قبل المداهمة في الحديقة

من الأمور التي يجب الانتباه إليها وطرحها للنصارى، ولكل من يدافع عن هذه العقيدة هي : هل حقاً كان الصلب هو الهدف الذي جاء من أجله المسيح " أم

---

(١) يوحنا، ٢٦/١٣.

(٢) متى، ٢٤/٢٦.

أن المسيح فوجىء بقوة الظلم تكاد تطبق عليه، وأنه معرض لخطر لم يكن يتوقعه، ولذلك أصابته حالة من الرعب القاتل كان يود في كل لحظة من لحظاتها أن ينجو من الخطر وينقذ نفسه من الموت"[1] ، وحول هذه القضية جاء في انجيل مرقص :

١- يقول مرقس: " وجاءوا إلى ضيعة اسمها جثسيماني، فقال لتلاميذه، اجلسوا هاهنا حتى أصلي، ثم أخذ معه بطرس ويعقوب، وابتدأ يدهش، ويكتئب، وقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت. أمكثوا هاهنا واسهروا. ثم تقدم قليلاً وخر على الأرض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن وقال يا أبا الأب كل شيء مستطاع لك فأجز عني هذه الكأس. ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت. ثم جاء ووجدهم نياماً، فقال لبطرس يا سمعان أنت نائم، أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة ؟ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة، أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف.

.... ومضى أيضاً وصلى قائلاً ذلك الكلام بعينه، ثم رجع ووجدهم نياماً إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه، ثم جاء ثالثة، وقال لهم؛ الآن استريحوا، يكفي، قد أتت الساعة، هوذا ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة، قوموا ليذهب، هوذا الذي يسلمني قد اقترب" [2] . ويقول دينس نينهام: " لقد انقسمت الآراء بعنف حول القيمة التاريخية لهذا الجزء، وجرى تساؤل عما إذا كان يعتبر في الحقيقة جزءاً من المصدر الذي روى عنه القديس مرقس" [3]، بالإضافة إلى ذلك فهناك أسئلة يمكن أن توجه للنصارى منها :

---

(١) مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص٨٤.

(٢) مرقص، ١٤/٣٢ – ٤٢.

(٣) مناظرة بين الإسلام والنصرانية، مرجع سابق، ص٨٤.

أولاً : لمن كان يصلي المسيح، وأنتم تزعمون أنه إله. والإله لا يصلي لأحد، بل عباده يصلون له؟!

ثانياً: قال مرقس "وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة" لماذا كان المسيح ﷺ يريد أن تعبر عنه هذه المحنة، لماذا يريد أن تعبر؟ ، وما جاء إلا من أجلها حتى يتخلص البشر من الخطيئة التي يحملونها كما تزعمون؟!!.

ثالثاً: قال مرقس: "وقال يا أبا الأب"، فمن هو أبو ألأب هذا الذي يستغيث به عيسى عليه السلام، فإذا كان للأب آب آخر فهذا يستدعي وجود سلسلة من الآباء لا نهاية لها.

رابعاً: يقول مرقس: "ثم جاء ووجدهم نياماً، فقال لبطرس يا سمعان أنت نائم، أما قدرت أن تسهر ساعة واحده؟!". فهل يعقل من حواريين المسيح أن يتركوه يعاني الخوف والهلع وينباموا وهم ينتظرون قدوم الجند ليقبضوا على المسيح ﷺ؛ مثل هذا الفعل لا يليق بأناس عاديين فكيف بهؤلاء الحواريين.

فالقرآن الكريم قد رفع من مكانة الحواريين وشرفهم بسلوكهم ومبادرتهم لنصرة المسيح ﷺ بخلاف أسفارالنصارى التي تسفههم وتصفهم بالجبن، والخذلان والخيانة، فيهوذا يخون عيسى ﷺ وبطرس ينكره، وهاهم جميع التلاميذ يخذلونه في الحديقة ويتركونه يعاني الآلام والخوف وحده وينامون.

فهل هذه حقاً صفات أقرب المقربين إلى المسيح هل هذه صفة تلاميذه ورسله إلى الناس ؟! الجواب كما هو لدينا نحن المسلمين، لا ، بل وحاشاهم أن يكونوا كذلك فقد قال الله سبحانه وتعالى عنهم في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا

الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ } (1) . هكذا يسمو بهم القرآن الكريم ويرفع مكانتهم لأنهم حقاً كذلك ، أما إنجيلكم فيصفهم بالتخاذل والخيانة.
خامساً: من الذين شاهدوا الأحداث التي كان فيها جميع الحواريين في الحديقة نيام؟ من الذي رواها ؟ كيف رويت ولم يشاهدها أحد ؟! وكيف عرف التلاميذ ما حدث بعد القبض على عيسى ؟!! كيف رويت بلا شاهد؟! أضف إلى ذلك أنها لم تكتب إلا بعد رفع المسيح بـ ٣٥عاماً.

٢- جاء في إنجيل لوقا: "... وظهر له ملاك من السماء يقويه، وإذا كان في جهاد، كان يصلي بأشد لجاجة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض..." (٢)، ولكن بعض المراجع القديمة تحذف هذين العددين (٤٣- ٤٤) رغم وجودهما في أغلب النسخ، فإن هذا الحذف يمكن إرجاع سببه - كما يقول جورج كيرد- إلى فهم أحد الكتبة بأن صورة يسوع هنا، وقد اكتنفها الضعف البشري، كان يتضارب مع اعتقاده في الابن الإلهي الذي شارك أباه في قدرته القاهرة"(٣) .

بل إن هذا النص ينفي أصل عقيدة المسيحيين في الصلب. فلو كان حقاً هدفه الصلب لما حزن ولما اكتئب، ولما صار عرقه كقطرات الدم. ثم إننا إذا تصفحنا روايات الأناجيل لوقا، ومرقس، ومتىّ نجدها تتشابه في وصف هذه الحادثة إلى حد ما، مع أنه لم يكن هناك شاهد عليها، ولكن هذه الثلاثة الأناجيل تختلف

---

(١) سورة الصف ، آية : ١٤ .

(٢) لوقا، ٢٢/ ٤٣ – ٤٤.

(٣) تفسير انجيل لوقا، ص٢٤٣ نقلا عن مناظرة بين الإسلام والنصرانية، مرجع سابق، ص٨٧.

اختلافاً كبيراً عن رواية يوحنا [1]" حيث نجد في يوحنا خطبة لعيسى عبر ست صفحات "حوالي ١٤٠ سطر" مقابل بضعة سطور في الأناجيل الأخرى"[2].

واقعة المداهمة والقبض على عيسى عليه السلام:

تضاربت أقوال الأناجيل في واقعة مداهمة مكان عيسى عليه السلام والقبض عليه فجاءت النصوص على النحو الآتي:

يقول مرقس: " وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحد من ألاثني عشر، ومعه جمع كثير بسيوف وعصيّ من عند رؤساء الكهنة والكتبة، والشيوخ، وكان مسلمه " يهوذا " قد أعطاهم علامة قائلاً الذي أقبّله هو هو، أمسكوه وامضوا بحرص، فجاء للوقت، وتقدم إليه قائلاً: يا سيدي يا سيدي (وقبّله) فألقوا أيديهم عليه و أمسكوه، فاستل واحدٌ من الحاضرين السيف، وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه.فأجاب يسوع وقال لهم: كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني، كل يوم كنت معكم في الهيكل أعلم ولم تمسكوني، ولكن لكي تكمل الكتب، فتركه الجميع وهربوا"[3]. أما في متىّ فقد جاء: " عندما رأى عيسى يهوذا قد جاء مع الجنود قال له: " قال يسوع: يا صاحب لماذا جئت"[4] وعندما أستل أحد الحواريين سيفه قال له عيسى: " رد سيفك إلى مكانه ؛ لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون"[5]. وقال إنه يستطيع أن يطلب إلى الله أن يقدم له أكثر من اثني عشر جيشاً

---

(١) يوحنا، ١٤/١٧.

(٢) مرقص، ١٤/٤٣- ٥٠.

(٣) متى، ٢٦/٥١.

(٤) يوحنا، ١٨/٣- ٨.

(٥) متى، ٢٦/٥٢.

من الملائكة[1] وأخيراً "تركه التلاميذ كلهم وهربوا"[2]. ومن خلال هذا النص نستنتج الآتي:

أولاً: استفسار عيسى من يهوذا عن سبب قدومه" لماذا جئت "، انفرد بها متىّ، وكذلك استطاعة عيسى بأن يطلب مساعدة الله انفرد بها متىّ.

ثانياً: القبلة كانت هي أداة التعريف بعيسى، وهذا ما اتفق عليه متىّ، ولوقا ومرقس مع خلاف يسير، أما عند يوحنا فلا مكان للقبلة، بل يعطي صورة مختلفة تماماً فيقول:" أخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين، وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح، وسلاح. فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال: ما تطلبون؟ أجابوه: يسوع الناصري. قال لهم يسوع. أنا هو، كان يهوذا مسلمه واقفاً معهم، فلما قال لهم إني أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض فسألهم من تطلبون فقالوا لهم يسوع الناصري. أجاب يسوع قد قلت لكم أني أنا هو فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون".[3]

ويلاحظ هنا أنه لا يوجد مكان للقبلة في إنجيل يوحنا، بل إن يسوع هو الذي بادر بسؤالهم: من تطلبون؟ فأجابوه، يسوع الناصري: فقال لهم أنا هو. فرجعوا إلى الوراء وسقطوا، لماذا رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض ؟! ألا يدل هذا على ثباته، وأنه يعلم أن الله سينجيه منهم بعد أن دعا الله بتضرع حتى كان عرقه يتصبب كقطرات دم ويدعوا الله أن تعبر عنه الكأس أي تلك الساعة.

---

(1) متى، ٢٦/٥٣.

(2) متى، ٢٦/٥٦.

(3) يوحنا، ١٨ / ٣- ٨.

أليس هنا أنه من المنطق أن يكون الله سبحانه وتعالى قد استجاب لدعائه فرفعه إليه، وهذا ما تؤكده أيضاً أناجيلكم بأن الله استجاب له لتقواه، وأنه ظهر له ملاك من السماء يقويه. وإذا قيل أين ذهب المسيح ؟ نقول وأين ذهب إيليا (إلياس)، "صعد إيليا في العاصفة إلى السماء"[1]. وكذلك رفع (أخنوخ): "وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه"[2].

وأما بالنسبة للمحاكمة التي عقدت للمسيح فتقول الأناجيل إن الجنود أخذوا عيسى موثقاً إلى " قيافا" رئيس الكهنة حيث جرى استجوابه، (متىّ (٢٦/٥٧-٥٧)، مرقس (١٤/٥٣)، لوقا (٢٢/٥٤- ٧١)، يوحنا (١٨/١٥- ٢٧)) وبالرجوع إلى نصوص الإنجيل ستتضح لنا الاختلافات التالية بين الأناجيل :

إنجيل مرقس	إنجيل متىّ	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنا
بطرس وحده يتبع الجنود من بعيد (١٤/٥٤).	نفس مرقص (٢٦/٥٨)	نفس مرقس ومتىّ (٢٢/٥٤).	بطرس+تلميذاً آخر (يوحنا ١٨/١٥).
قوم شهدوا زورا (١٤/٥٧).	شاهد زور، شهد ضد المسيح(٢٦/٦٠)	لم يذكر شيئاً عن هذا الأمر	لم يذكر شيء
مثل متىّ(١٤/٥٨).	التهمة الموجهة لعيسى قوله بأنه يستطيع أن يهدم الهيكل ويبنيه في	لم يذكر هذه التهمة	لم يذكر هذه التهمة

(١) سفر الملوك، ٢/١١.

(٢) سفر التكوين، ٥/٢٤ .

	٣أيام(٢٦/٦١).		
مثل متىّ.	عيسى سكت عند سماع التهمة (٢٦/٦٢).	لم يـــــذكر السكوت.	لم يذكر السكوت.

إنجيل مرقس	إنجيل متى	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنا

مرقس قال: سئل هل أنت المسيح ابن المبارك (١٤/٦١)	متى قال: سئل المسيح هل أنت المسيح ابن الله؟ (٢٦/٦٣).	قال سئل هل أنت المسيح (٢٢/٦٧).	سئل: ما هي تعاليمك (١٨/١٩).
الجواب كان: لله أنا هولله (١٤/٦٢)لقد أقر إنه المسيح.	فكان جوابه للهأنت قلتلله (متىّ ٢٦/٦٤) فلم يقر أنه ابن الله.	الجواب كانللهإن قلت لكم لا تصدقوني، وإن سألت لا تجيبـــــوني ولا تطلقونيلله (٢٢/٦٨) وهذه إشارة واضحة إلى أن المعتقـل يريـد أن يقـول لهـم بأنـه لـو أخـبرهم أنـه لـيس المسيح لم يصدقوه	الجواب كان لله في الخفاء لم أتكلم بشيء)...لله(١٨/٢٠
مرقس مثل متىّ	عندما سأل رئيس الكهنة الحاضـــرين عـــن رأيهـــم وحكمهـــم في المعتقـــل قـــالوا للهمـــستوجب المـــوتلله (٢٦/٦٦)	لم يذكر شيئاً عن هذا الموقف.	مثل لوقا .
مرقس مثل متىّ	أنكـــر بطـــرس كـــبير الحـــواريين أنـــه يعـــرف المـــسيح وأنـــه مـــن تلاميذه، ثلاث مـــرات..	مثل مرقس ومتى	أنكره مرة قبل الاستجواب ومرتين بعده .

	متىّ قال: الإنكار جاء في المعتقل.		

فالجدول السابق يوضح مدى الاختلافات في المحاكمة الأولى أمام رئيس الكهنة، ولكن بتتبع القصة [1]في الأناجيل الأربعة نجد في كل موقف من المواقف اختلافات كثيرة في الاستجواب الثاني أمام بيلاطس. وفيما يلي بيان الاختلافات بين الأناجيل الاستجواب الذي تعرض له المسيح :

متىّ	مرقس	يوحنا
عندما طلب بيلاطس من المسيح الدفاع عن نفسه صدتهم الكهنة لم يُجب. متىّ (١٤/٢٧).	مثل متىّ (٥/١٥).	أجاب جواباً مسهباً (٣٦/١٨)

قبل الصلب : بعد أن سلم بيلاطس المسيح إلى اليهود، روى كل إنجيل رواية مختلفة منها:

متىّ	مرقس	لوقا	يوحنا
سمعان القيرواني حمل الصليب الذي سيصلب عليه عيسى (٣٢/٢٧).	مثل متىّ (٢١/١٥)	مثل متىّ ومرقس (٢٦/٢٢).	قال أن يسوع نفسه هو الذي حمل الصليب(١٧/١٩).
لم يذكر شيء	لم يذكر شيء	ألقى خطبة وهو في طريقه إلى الصلب (٣٠/٢٣) أنفرد بها لوقا.	لم يذكر شيء.

الصلب

متىّ	مرقس	لوقا	يوحنا
اللصان اللذان صلبا معه استهزءا به، وعيراه. متىّ(٤٤/٢٧).	مثل متىّ (٣٢/١٥).	أحد اللصين استهزأ به، والآخر دافع عنه فوعده عيسى بالجنة. لوقا (٤١/٢٣).	لم يورد شيئاً في هذا.

(١) محمد علي الخولي ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، ص٧١ – ٧٤ .

.ما جرى بعد الصلب: ومن الأمور التي حدثت بعد الصلب ما يلي

الأمور التي حدثت	متىّ	مرقس	لوقا	يوحنا
١. انشق حجاب الهيكل	(٥١/٢٧).	(٣٧/١٥).	(٤٥/٢٣).	لم يذكر شيئاً
٢. حدث زلزال شديد.	(٥١/٢٧) انفرد بها متىّ	لم يذكر شيئاً	لم يذكر شيئاً	لم يذكر شيئاً
٣. الصخور تشققت	(٥١/٢٧) انفرد بها	لم يذكر شيئاً	لم يذكر شيئاً	لم يذكر شيئاً
٤. انفتحت قبور وقام منها كثير من الراقدين ودخلوا أورشليم.	(٥٢/٢٧) انفرد بها	لم يذكر شيئاً	لم يذكر شيئاً	لم يذكر شيئاً

وبعد الصلب في مساء الجمعة، جاء رجل اسمه يوسف ليستلم جثة المصلوب، وقد اختلف في ذلك ففي يوحنا رجلان[1]، ووضع في القبر وطلب رؤساء الكهنة اليهود من بيلاطس حراسة القبر كي لا تسرق الجثة [2]، انفرد بهذا متىّ.

المطلب الخامس
القيامة وظهور المسيح عليه السلام

تحدثت الأناجيل النصرانية عن مسألة تثير الاستغراب وهي ظهور المسيح من قبره ثانية وحول هذه المسألة يقول مرقس: " بعدما مضى السبت اشترت مريم

---

(١) يوحنا، ١٩/٤٠.

(٢)متى، ٢٧/ ٦٦.

المجدلية ومريم أم يعقوب، وسالومة حنوطاً ليأتين ويدهنه. وباكر جداً في أول الأسبوع، أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس، وكنّ يقلن في أنفسهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر فتطلعن، ورأين الحجر قد دحرج لأنه كان عظيماً جداً.

ولما دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين لابساً حُلة بيضاء فاندهشن، فقال لهن: لا تندهشن، أنتُن تطلبن يسوع الناصري المصلوب، قد قام، ليس هو هاهنا. هو ذا الموضع الذي وضعوه فيه، ولكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس، أنه يسبقكم إلى الجليل، هناك ترونه كما قال لكم. فخرجن سريعاً وهربن من القبر، لأن الرعدة والحيرة، أخذتهن، ولم يقلن لأحد شيئاً، لأنهن كن خائفات"[1].

ويقول نينهام: "أن الدافع المقترح لهذه الزيارة، يدعو على أي حال إلى الدهشة ...، فمن الصعب أن نثق في أن الغرض من زيارة النسوة، كان دهان جسم إنسان انقضى على موته يوم وليلتان"[2]. والجدول الآتي يبين مدى الاختلاف بين الأناجيل حول هذه الرواية:

(١) مرقص، ١٦/ ١- ٨.

(٢) انظر مناظرة بين الإسلام والمسيحية، ص١٢٩.

اختلف في:	متّى	مرقس	لوقا	يوحنا
١. مـن هن الزائرات	مريم المجدلية ومريم الأخرى	مريم المجدلية ومريم الأخرى وسالومة	مجموعة من النساء	مريم المجدلية فقط
٢. حدث زلزال عظيم وقت الزيارة.	(٢/٢٨) نعم	لا يعلم شيئا	لا يعلم شيئا	لا يعلم شيئا
٣. من دحرج الحجر عن باب القبر.	ملاك الرب نزل ودحرج الحجر وجلس عليه(٢/٢٨).	لا يعرف الفاعل .	لا يعرف الفاعل.	لا يعرف الفاعل.
٤. كم ملاكاً كان عند القبر.	واحد (٢/٢٨).	واحد .	اثنان .	اثنان .
٥. من أخبر أن الميت قام وخرج من القبر.	قال الملاك (٦/٢٨).	قال الملاك (٦/١٦).	قال الملاك (٢٤).	لم يورد ذلك بل قال إن مريم المجدلية رأت عيسى واقفاً بجانبها (١٤/٢٠-١٧).

وهكذا تستمر الخلافات بين الأناجيل إلى نهاية القصة ، وهذه الخلافات الكثيرة لا تعني إلا شيئا واحدا ألا وهو أن هذه القصة من نسج الخيال ، ومعروف لدى فلاسفة القانون أن الشاهد في المحكمة إذا تناقضت أقواله رد واتهم بالكذب. وأما من حيث ظهور عيسى للحواريين فقد اختلفت الأناجيل في عدد المرات التي ظهر فيها المسيح ، كما اختلفت في الأقوال التي قالها لهم والجدل التالي يوضح ذلك:

المختلف فيه:	متّى	مرقس	لوقا	يوحنا
١. عدد المرات التي ظهر فيها المسيح بعد موته	مرتان (٩/٢٨) (١٦/٢٨)	ثلاث (٩/١٦) (١٢/١٦) (١٤/١٦)	مرتان (١٣/٢٤) (٣٦/٢٤)	أربع مرات (١٧/٢٠) (٢٤/٢٠) (٢٦/٢٠) (١/٢١)

٢. ماذا كان موقف الحواريين عندما رأوا المسيح أول مرة .	سجدوا له ولكن البعض شك فيه. (١٧/٢٨)	لم يذكر السجود	جزعوا وخافوا وظنوا أنهم رأوا روحاً: أي شبحاً (٣٧/٢٤)	فرحوا بعدما أراهم يديه ورجليه (٢٠/٢٠)
٣. قال لهم عيسى للمن آمن واعتمد خلص،ومن لم يؤمن يدان لله .	لم يذكرها.	ذكرها مرقس فقط. (١٦/١٦)	لم يذكرها .	لم يذكرها .
٤. أكل عيسى مع تلاميذه السمك المشوي والعسل .	لم يذكرها.	لم يذكرها.	ذكرها لوقا فقط (٤٢/٢٤)	لم يذكرها.
٥. نفخ عيسى وقال لتلاميذه اقبلوا الروح القدس.	لم يذكرها.	لم يذكرها.	لم يذكرها	ذكرها يوحنا فقط. (٢٢/٢٠).
٦. اشترط اللهتوماالله أحد الحواريين أن يرى أثر المسامير (١) ليؤمن. في جسم عيسى	لم يذكرها.	لم يذكرها.	لم يذكرها	ذكرها يوحنا فقط. (٢٥/٢٠)

هذه بعض الأمثلة التي تبين مدى الخلاف الكبير بين الأناجيل حول هذه المسألة.

ومازال هناك الكثير من الخلافات بين الأناجيل حول هذا الموضوع.

مناقشة النصوص المتعلقة بالصلب :

وردت نصوص متعددة ومتنوعة تبين واقعة صلب المسيح عليه السلام، وعند قراءة هذه النصوص نجد أن فيها من التباين في العرض والأحداث ما يحير العقول وفيما يلي عرض لبعض تلك النصوص مع التعليق عليها ما أمكن :

١. صرخ المصلوب على الصليب قبل موته قائلاً : "إيلي إيلي لما شبقتني ، والذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني" (٢) "إلهي ! إلهي لم خذلتني؟! " .

ومن خلال النظر في هذا النص نجد أن مثل هذا كلام يقتضي عدم الرضا بالقضاء وعدم التسليم لأمر الله تعالى، وعيسى عليه السلام منزه عن ذلك، فكيون المصلوب لاسيما والنصارى يقولون أن المسيح عليه السلام نزل ليؤثر العالم على نفسه، فكيف

---

(١) انظر محمد علي الخولي ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة، مرجع سابق ، ص٨٠- ٩١ .

(٢) متى ، ٢٧ / ٤٦ .

يروون عنه ما يؤدي إلى خلاف ذلك ؟ مع أنهم يروون في التوراة أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون عليهم السلام لما حضرهم الموت، كانوا مستبشرين بلقاء ربهم.

والمسيح –كما يزعم النصارى– ولد الله فكان ينبغي أن يكون أثبت منهم، ولما لم يكن كذلك دلّ على أن المصلوب غيره" [1] نعم هو كذلك، فلو أن عيسى عليه السلام جاء من أجل الصلب كما يزعم النصارى لما صرخ تلك الصرخة.

٢- عندما علم عيسى بقرب حلول المؤامرة ضده طلب من حوارييه الاستعداد للمقاومة وقال: " من ليس له سيفاً فليبع ثوبه ويشتري سيفاً "[2]. والسؤال هنا، لماذا المقاومة ؟ ولماذا السيوف؟ لو كان ينوي أن يقدم نفسه للصلب لما طلب من تلاميذه المقاومة" [3] .

٣- دعا عيسى عليه السلام الله سبحانه وتعالى أن ينقذه من طالبي قتله أو صلبه، فقال: " أيها الآب نجني من هذه الساعة "[4]. فلو كان حقاً أن عيسى جاء لأجل تحقيق هدف"الفداء" لِمَ جزع وخاف من مداهمة اليهود له ليقتلوه فإن هذا بعينه هو الهدف الذي جاء من أجله، ولكن خوفه وجزعه ينفيان عقيدة " الصلب للخلاص".

---

(١) انظر كتاب بين الإسلام والمسيحية لأبي عبد الله الخزرجي، تحقيق محمد شامة، ص ١٦٤ .

(٢) لوقا، ٢٢/٣٦ .

(٣) محمد علي الخولي ، حقيقة عيسى المسيح، ص٥٠ .

(٤) يوحنا ، ١٢/ ٢٧ .

٤- "يعتمد النصارى في الخلاص بالصلب على نصوص مثل : " المسيح أسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله "(١)، ولكن من المعروف أن المسيح لم يسلم نفسه بل حسب الأناجيل أنه سيق قسراً إلى الصلب "(٢).

٥- قال يوحنا : " هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية" (٣)، فهذا النص في حقيقته يمثل عقيدة عظيمة ، وأن من لم يؤمن بالخلاص فهو كافر ، ومع عظم هذا الركن في النصرانية إلا أن متىّ ومرقس ويوحنا لم يذكروه في أناجيلهم ، وهذا الأمر يقود القارىء إلى احتمالات ثلاث لا رابع لها ، ويجب على كل من يؤمن به أن يختار واحد منها :

❖ الأول : "إما أن يكون يوحنا ثقة أميناً في نقل هذا الاعتقاد ، ومتىّ ومرقس ولوقا غير أمناء بتضييعهم لتعاليم السماء ، فلا يوثق بهم ولا يعتمد عليهم بعد ذلك .

❖ الثاني : وأما أن يكون متىّ ومرقس ولوقا أمناء ثقات نظراً لعددهم ، ويكون يوحنا غير أمين خاصة وأنه آخر من ألف إنجيله ، وكان ذلك في بداية القرن الثاني الميلادي ، ولو كان ما ذكره حقاً لكان أولى بمرقس وهو أول من ألف إنجيله أن يثبت هذا السر أو متى أو لوقا.

❖ الثالث : أن تكون هذه الفقرة هي مجرد رأي ليوحنا وأتباعه ولا تنزل منزلة العقيدة" (٤).

---

(١) أفسس ، ٥/٢ .

(٢) محمد علي الخولي ، حقيقة عيسى المسيح ، ص٥٤ .

(٣) يوحنا ، ٣/١٦ .

(٤) محمد حسن عبد الرحمن ، ألوهية المسيح ، ص١٠٧ .

٦- إذا كان عيسى عليه السلام ما جاء إلا ليصلب فلماذا قال لمن سيسلمه : " ويلٌ لذلك الرجل الذي به يُسلَّم ابن الإنسان" [1]، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى جاء ما يناقض هذا، فالمسيح عليه السلام شهد للتلاميذ الاثني عشر بالسعادة [2] ، وشهادته حق ولا شك أن السعيد لا يتم منه الفساد العظيم ، ويهوذا أحد الاثني عشر فيلزم من هذا ما يلي :

أ- إما أن يكون يهوذا لم يدل على عيسى عليه السلام.

ب- وإما أن يكون المسيح عليه السلام ما نطق بالصدق.

ج- أو أن يكون كتابكم قد تحرف وتبدل.

٧- لماذا كان عيسى عليه السلام يقول لحوارييه ليلة القبض عليه"إن نفسي حزينة حتى الموت"[3].

٨- ولماذا قضى الليل كله في صلاة ودعاء واستغاثة لإنقاذه من طالبي صلبه[4]، "أيها الآب نجني من هذه الساعة" [5]. " وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض"[6].

٩- وكان يستنكر إرادة اليهود قتله قائلاً : لماذا تطلبون أن تقتلوني"[7].

---

(١) متى ، ٢٤/٢٦ .
(٢) متى ، ٢٨/١٩ .
(٣) متى، ٣٨/٢٦.
(٤) متى، ٢٦/ ٣٦ – ٤٤.
(٥) يوحنا، ١٢/ ٢٧.
(٦) لوقا، ٢٢/ ٤٤.
(٧) يوحنا، ١٦/٧.

١٠- وأخبرهم أنهم لن يستطيعوا فعل ذلك، : " فقال لهم يسوع أنا معكم زماناً يسير بعد، ثم أمضي للذي أرسلني ستطلبوني ولا تجدوني، حيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا"[١].

١١- وقال لهم أيضاً: " الذي أرسلني هو معي، ولم يتركني الأب وحدي لأني في كل حين أفعل ما يرضيه"[٢].

١٢- وتحداهم قائلاً: " إني أقول لكم إنكم لا تروني من الآن حتى تقولوا مبارك الأتي باسم الرب"[٣]، لكن المصلوب رآه اليهود مقبوضاً عليه مصلوباً يرُفس ويرُكل ويُضرب ويُبصق عليه، ألا يدل هذا على أن الذي قُبض عليه وصُلب هو شخص آخر غير المسيح، وإلا لكانت أقوال المسيح كاذبة، فكيف يتنبأ بنجاته ثم يحدث العكس.

نصوص من الإنجيل تؤيد عدم الصلب :

١- تنص الأناجيل بأن الله استجاب دعاء عيسى فأرسل له ملاكاً من السماء يقويه وليعلم أن الله لن يتركه بل سينقذه من هؤلاء المجرمين يقول لوقا: "وظهر له ملاك من السماء يقويه"[٤]. "إذ قدم عليه السلام بصراخ شديد ودموع طلباتٍ وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت، وسمع له من أجل تقواه"[٥].

(١) يوحنا، ٧/ ٣٢- ٣٤.

(٢) يوحنا، ٨/ ٢٩.

(٣) متى، ٢٣/ ٣٩.

(٤) لوقا، ٢٢/ ٤٣.

(٥) عبرانيين، ٥/ ٧.

٢- وأكثر من ذلك أن في إنجيل برنابا أن الذي قتل وصلب هو يهوذا الأسخريوطي. يقول برنابا في إنجيله: " الحق أقول أن صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن أعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه يسوع، وقال أيضاً الحق أقول لكم أني لم أمت بل يهوذا الخائن، احذروا، لان الشيطان سيحاول جهده أن يخدعكم، ولكن كونوا شهودي في كل إسرائيل، وفي العالم كله لكل الأشياء التي رأيتموها وسمعتموها"[1].

٣- ثم انه ورد في الإنجيل أن الجنود سألوا المقبوض عليه عمّا إذا كان هو المسيح، فقد تقدم المسيح إلى الجند وقال لهم "...من تطلبون؟ أجابوه يسوع الناصري، قال لهم إني أنا هو، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض، فسألهم من تطلبون؟ فقالوا يسوع الناصري، أجاب يسوع قد قلت لكم إني أنا هو"[2]، فها هو يخبرهم بأنه عيسى مرتين فلم يصدقوا للشبه.ثم لماذا رجعوا إلى الوراء وسقطوا ؟ماذا حدث؟ لابد أنه حدث شيئاً عظيماً جعلهم يتراجعون ويسقطون على الأرض. نعم لقد ظهر ملاك الرب من السماء، أفلا يدل هذا على نجاته.

٤- عندما سألوا المقبوض عليه عمّا إذا كان هو المسيح أجابهم قائلاً: " إن قلت لكم لا تصدقوني، وإن سألت لاتجيبوني ولاتطلقوني"[3]، فما معنى هذا الجواب؛ ألا يؤكد أنه ليس هو المسيح. وفي متىّ كان الجواب: عندما سئل هل أنت المسيح فقال: " أنت قلت"[4].

---

(١) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص٦٦.

(٢) يوحنا، ١٨/ ٣- ٨.

(٣) لوقا، ٢٢ / ٦٧ — ٦٨.

(٤) متى، ٢٦ / ٦٤.

٥- وعندما ظهر المسيح عليه السلام لمريم المجدلية، اعتقدت أنه البستاني: "، يقول أحمد ديدات: والآن، لماذا تعتقد مريم أنه البستاني ؟ هل العائدون من بين الموتى يلزم بالضرورة أن يشبهوا عمال البساتين ؟ كلا!! ، إذن لماذا تعتقد أنه البستاني ؟ الجواب هو: أن يسوع كان متنكراً كبستاني! ولماذا يتنكر كبستاني؟ الجواب: لأنه خائف من اليهود ! ولماذا يخاف من اليهود ؟ لأنه لم يمت، لو كان قد مات لما كان ثمة داع للخوف ؟ ولم لا ؟ لأن الجسم لا يموت مرتين!

من القائل بهذا ؟ الكتاب المقدس يقول به. أين ؟ في الرسالة إلى (العبرانيين (٩/٢٧) يقول: " ...وكما وضع للناس أن يموتوا مرة، ثم بعد ذلك الدينونة"[١] .

عيسى عليه السلام لم يبعث بعد موت :

١- يقول عيسى عليه السلام، للحواريين : "انظروا يديَّ ورجلي إني أنا هو أي(إنني نفس الشخص، نفس الرجل)جسوني وانظروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي . وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه"[٢]. ماذا كان الرجل يحاول أن يثبت؟ هل كان يحاول أن يثبت أنه قد بعث من بين الموتى؟، وأنه كان شبحاً؟، وماذا كانت علاقة اليدين والرجلين بالبعث؟، " إنه أنا نفسي" وإن أي شبح من الأشباح "لا يكون له لحم وعظام كما أنتم ترونه لي". هذه حقيقة مطلقة الصدق، وواضحة بذاتها وأنت لا تحتاج جهداً لتقتنع بها أي شخص سواء كان هندوسياً أو مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً أو ملحداً أو غنوسياً . أن أي شخص سوف يعرف دونما أي دليل أن الشبح ليس له لحم ولا عظام.

---

(١) أحمد ديدات، مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، ص ٩٨.

(٢) لوقا، ٢٤ / ٣٩- ٤٠ .

٢) والحقيقة أن الحواريين كانوا يعتقدون أن يسوع كان قد عاد من بين الأموات، وأنه كان قد بعث. ولو صح ذلك فقد كان من اللازم أن يكون في صورة روحية؛ أي يكون شبحاً! وها هو ذا يسوع يقول لهم أنه ليس كذلك — لم يبعث من بين الموتى.قد يقول لك المجادل: " من الذي يقول إن الأشخاص الذين يبعثون من الموت، سيكونون أرواحاً؟ وأنا أقول له: "يسوع" فيسأل: "أين"، وأنا أقول له: في إنجيل لوقا، قال يسوع: " ليس لحم ولا عظام"[١]، وأثبت لهم بدليل آخر أنه ليس روح بأكله من الخبز والسمك والعسل فالأرواح لا تأكل: " فناولوه جزءا من سمك مشوي وشيئاً من شهد وعسل، فأخذ وأكل أمامهم"[٢].

٣) لماذا لم يقل المسيح عليه السلام للتلاميذ أنه بعث من بين الأموات؟ لماذا لم يصرح بذلك؟! بل قال عكس ذلك فقد قال: " لم أصعد بعد إلى أبي"[٣]، والميت تصعد روحه ولا بد إلى الله عز وجل.

٤) يوحنا يؤكد عدم معرفة التلاميذ بأن المسيح سيقوم من بين الأموات. فحين ذهبت مريم المجدلية لتخبر التلاميذ بما رأت من قيامة المسيح من القبر تسابق بطرس ويوحنا إلى القبر. "فحينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر الذي جاء أولاً إلى القبر ورأى فآمن. لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغي أن يقوم من الأموات. فمضى التلميذان "بطرس ويوحنا" أيضاً إلى موضعهما"[٤]، هذا ما يصرح به إنجيل يوحنا، ولكن أناجيل مرقس ومتىّ ولوقا تذكر لنا حديثاً جرى بين المسيح وتلاميذه تنبأ فيه

---

(١) لوقا، ٢٠ / ٢٧- ٣٦. وانظر أحمد ديدات، مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، ص ١٢٢- ١٢٤. بتصرف.

(٢) لوقا، ٢٤ / ٤١- ٤٣.

(٣) يوحنا، ٢٠ / ٢٠ / ١٧.

(٤) يوحنا، ٢٠ /٨- ١٠.

المسيح بقتله، ثم قيامته من الأموات، فهي تقول : " ابتداء يعلمهم أن ابن الإنسان "المسيح" ينبغي أن يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وبعد ثلاث أيام يقوم"(١) .

فرواية الحواريين المسيح وتلاميذه على هذه الصورة، تعني أن قيامة المسيح من الأموات أصبحت أمراً مفروغاً منه ذلك أن الأناجيل تذكر أن المسيح قال القول علانية. فإذا وجدنا أن روايات القيامة التي أخبرت بها مريم المجدلية كانت بالنسبة لبطرس – رئيس التلاميذ- كلاماً لا يمكن تصديقه...فإن النتيجة التي لا مفر من التسليم بها هي : أن الحوار الذي جرى بين المسيح وتلاميذه وأنه أخبرهم بقيامته لم يحدث على الإطلاق، وإنما هو إضافات " أدخلت إلى الإنجيل "(٢).

ومما يؤكد ذلك أن المسيح عليه السلام عندما ظهر للحواريين " جزعوا، وخافوا، وظنوا أنهم نظروا روحاً". والسؤال لماذا الخوف وهو قد أخبرهم أنه سيقوم من بين الأموات، ولماذا لم يصدق "توما" أحد التلاميذ حتى يبصر في يديه أثر المسامير حيث قال : إن لم أبصر في يديه أثر المسامير... وأضع إصبعي في جنبه لا أؤمن " . لماذا لا تؤمن يا توما وقد أخبركم المسيح عليه السلام صراحة أنه سيقوم من بين الأموات ؟! .

---

(١) مرقص، ٨ / ٣١.

(٢) متى، ١٦ /٢١.

المبحث الرابع
تهافت عقيدة الصلب والفداء

المطلب الأول
الأدلة على بطلان عقيدة
الصلب والفداء

رغم أن النصرانية تشدد على مبدأ الخطيئة الموروثة ، فإن المرء لا يجد ذكراً لهذا المبدأ في أي مكان من كتابهم المقدس لا في التوراة ولا في الأناجيل، ولم ترد على لسان أي نبي من الأنبياء الذين يؤمن بهم اليهود والنصارى فمبدأ الخطيئة الموروثة استحدثته الكنيسة لتكمل القصة. اعتقدوا بصلب المسيح ، وكان لا بدلهم من البحث عن سبب يبرر الصلب. فاستحدثوا الخلاص بالصلب ، أو الصلب للفداء ، وظهرت عندهم مشكلة الخلاص من ماذا ؟ فاستحدثوا نظرية الخطيئه الموروثة لتبرير صلب عيسى.

لقد بدءوا القصة من آخرها وليس من أولها ، وفي الواقع لا توجد خطيئة موروثة ، ولم يحدث صلب عيسى ولا حدث خلاص"[1] ، ولا توجد علاقة منطقية بين الصلب من أجل الخلاص ، فهل يعقل أن يصلب سعد ليزول ذنب سعيد ؟ . وما ذنب سعد حتى يصلب ؟!. "ثم ما الحكمة العظمى التي من أجلها يظل ابن آدم متحملاً لخطيئة أبيه حتى يأتي الإله يسوع في آخر الزمان ليكون قرباناً وبين عيسى وآدم عليهما السلام أنبياء ورسل لا حصر لهم "[2]. فهل بقي الله - تعالى علواً

---

(١) انظر محمد علي الخولي ، حقيقة عيسى المسيح ، ص٤٤.

(٢) محمد حسن عبد الرحمن ، ألوهية المسيح ، ص١٣٦.

كبيراً عن ذلك- زمناً طويلاً متحيراً إلى أن اهتدى إلى وسيلة يعفو بها عن خطيئة آدم المتوارثة.

هذا من ناحية العقل، وأما من ناحية النقل فان العهد القديم لا يقول بتوارث الخطيئة و يستبعد ذلك فقد جاء في سفر التثنية: " لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل." (1). فكيف يؤتى بإنسان بريء فيضرب ويرفس ويبصق على وجهه باللعنة، فيصبح المصلوب ملعوناً فقد جاء في سفر التثنية: " لأن المعلق ملعون من الله " (2)، فصار المسيح لعنة لأجلهم كما يقول بولس مخترع هذه العقيدة حيث يقول: " فالذي افتدانا من لعنة الناموس هو المسيح الذي صار لعنةً لأجلنا"(3). فكيف تقبلون أن يكون إلهكم ملعوناً وأي إلهٍ هذا الذي يبصق في وجهه ثم يربط بالسلاسل ليعلق على الصليب فيصبح ملعوناً. هذه إهانة لا يقبلها أي شخص حتى وإن كان أحمق فكيف بإله ذو الكمال المطلق..؟! "

لقد رويت هذه القصة على لسان منصرة أمريكية لطالبة مسلمة في إحدى مدارس البنات في القاهرة.. فردت عليها الطالبة المسلمة بالفطرة قائلة: كيف تدعينني إلى إله يقتل ويصلب ويبصق على وجهه ويضرب!!!. إن إلهنا نحن المسلمين- أعز وأعظم، وأقوى، وأغلب!!!" (4). ففكرة الفداء والصلب فكرة قائمة على أساس باطل، وبالرغم من مخالفتها للعقل والمنطق فهي في الوقت نفسه مخالفة لقواعد أساسية ونصوص رئيسة اشتمل عليها كتاب النصارى المقدس.

---

(1) سفر التثنية، ٢٤/ ١٦.

(2)سفر التثنية ، ٢١/ ٢٣ .

(3) رسالة بولس إلى غلاطية ، ١٣/٣ .

(4) عبد الودود شلبي ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، ص٣١ .

وقبل ذكر تلك القواعد الأساسية من المناسب الإشارة إلى رسالة إلى بولس إذ يقول في رسالته إلى العبرانيين [٩ : ٢٢]: (وكل شيء تقريبا يتطهر حسب الناموس بالدم وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة) ولسنا نعرف من أين أتى بولس بهذا الكلام ؟ وعلى العكس من كلام بولس نجد ان الكتاب المقدس يورد العديد من الآيات التي تقول إن الله يفضل التوبة و الندم، لا الكفارات و المحرقات للتكفير عن الخطايا منها:

هوشع ٦ : ٦ : (إِنِّي أَطْلُبُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً، وَمَعْرِفَتِي أَكْثَرَ مِنَ الْمُحْرَقَاتِ. ٧وَلَكِنَّكُمْ مِثْلُ آدَمَ، نَقَضْتُمْ عَهْدِي) وجاء في هوشع ١٤ : ١- ٣ : (ارْجِعْ تَائِباً يَاإِسْرَائِيلُ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِكَ، لأَنَّكَ قَدْ تَعَثَّرْتَ بِخَطِيئَتِكَ. ٢احْمِلُوا مَعَكُمْ كَلاَمَ ابْتِهَالٍ وَارْجِعُوا إِلَى الرَّبِّ قَائِلِينَ لَهُ: انْزِعْ إِثْمَنَا، وَتَقَبَّلْنَا بِفَائِقِ رَحْمَتِكَ، فَنُزْجِيَ إِلَيْكَ حَمْدَ شِفَاهِنَا كَالْقَرَابِينِ. ٣إِنَّ أَشُورَ لَنْ تُخَلِّصَنَا، وَلَنْ نَعْتَمِدَ عَلَى خُيُولِ مِصْرَ لإِنْقَاذِنَا، وَلَنْ نَقُولَ لِلأَوْثَانِ صَنْعَةِ أَيْدِينَا: «أَنْتُمْ آلِهَتُنَا» لأَنَّ فِيكَ وَحْدَكَ يَجِدُ الْيَتِيمُ رَحْمَةً

وجاء في ميخا ٦ : ٦- ٨ :(يَارَبُّ: بِمَاذَا أَتَقَدَّمُ عِنْدَمَا أَمْثُلُ أَمَامَ الرَّبِّ وَأَسْجُدُ فِي حَضْرَةِ اللهِ الْعَلِيِّ؟ هَلْ أَتَقَدَّمُ مِنْهُ بِمُحْرَقَاتٍ وَبِعُجُولٍ حَوْلِيَّةٍ ؟ هَلْ يُسَرُّ الرَّبُّ بِأُلُوفِ أَنْهَارِ زَيْتٍ ؟ هَلْ أُقَرِّبُ بِكْرِي فِدَاءَ إِثْمِي وَثَمَرَةَ جَسَدِي تَكْفِيراً عَنْ خَطِيئَةِ نَفْسِي؟ لَقَدْ أَوْضَحَ لَكَ الرَّبُّ أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا هُوَ صَالِحٌ. وَمَاذَا يَبْتَغِي مِنْكَ سِوَى أَنْ تَتَوَخَّى الْعَدْلَ، وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ، وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعاً مَعَ إِلَهِكَ). مزمور ٤٠ : ٦ :(لَمْ تُرِدْ أَوْ تَطْلُبْ ذَبَائِحَ وَمُحْرَقَاتٍ عَنِ الْخَطِيئَةِ، لَكِنَّكَ وَهَبْتَنِي أُذُنَيْنِ صَاغِيَتَيْنِ مُطِيعَتَيْنِ) . وجاء في مزمور ٥١ : ١٦ –١٧ :(فَإِنَّكَ لاَ تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ، وَإِلاَّ كُنْتُ أُقَدِّمُهَا. بِمُحْرَقَةٍ لاَ تَرْضَى.إِنَّ الذَّبَائِحَ الَّتِي يَطْلُبُهَا اللهُ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. فَلاَ تَحْتَقِرَنَّ

الْقَلْبَ الْمُنْكَسِرَ وَالْمُنْسَحِقَ يَااللهُ (. وورد في مزمور٣١- ٣٠- . ٦٩(أُسَبِّحُ اسْمَ اللهِ بِنَشِيدٍ وَأُعَظِّمُهُ بِحَمْدٍ. فَيَطِيبُ ذَلِكَ لَدَى الرَّبِّ أَكْثَرَ مِنْ مُحْرَقَةٍ: ثَوْرٍ أَوْ عِجْلٍ) .

ألم يقل الرب في سفر إرمياء " ٧: ٢٢ ": (هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل: ضموا محارقكم إلى ذبائحكم وكلوا الحماً، لأني لم أكلم آبائكم ولا أوصيتكم يوم أخرجتهم من أرض مصر بشأن محرقة وذبيحة، بل إنما أوصيتهم بهذا الأمر قائلا: إطيعوا صوتي فأكون لكم إلهاً وأنتم تكونون لي شعباً ، وسيروا في الطريق الذي أوصيتكم به ليحسن إليكم) .

لذلك فان ادعاء النصارى انه " بِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لا تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ" ليس الا بدعة وثنية، نقلها بولس من الديانات الوثنية الى العقيدة النصرانية. ألم يذكر الكتاب أن الرب غفر لهارون خطأه، وأمر بجعله وذريته كهنة على بني اسرائيل [خروج ٤٠ : ١٢].

ألم يقل الرب في إشعيا ٧ : ٥٥ لِيَتْرُكِ الشِّرِّيرُ طَرِيقَهُ وَالأَثِيمُ أَفْكَارَهُ، وَلْيَتُبْ إِلَى الرَّبِّ فَيَرْحَمَهُ، وَلْيَرْجِعْ إِلَى إِلَهِنَا لأَنَّهُ يُكْثِرُ الْغُفْرَانَ). ألم يقل الرب في حزقيال [٣٣ : ١١]: (حَيٌّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنِّي لاَ أَبْتَهِجُ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ بَلْ بِأَنْ يَرْتَدِعَ عَنْ غَيِّهِ وَيَحْيَا)، ألم يقل الرب في حزقيال ٢ : ١٨، وَلَكِنْ إِنْ رَجَعَ الشِّرِّيرُ عَنْ خَطَايَاهُ كُلِّهَا الَّتِي ارْتَكَبَهَا، وَمَارَسَ جَمِيعَ فَرَائِضِي وَصَنَعَ مَا هُوَ عَدْلٌ وَحَقٌّ فَإِنَّهُ حَتْماً يَحْيَا، لاَ يَمُوتُ. وَلاَ تُذْكَرُ لَهُ جَمِيعُ آثَامِهِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا. إِنَّمَا يَحْيَا بِبِرِّهِ الَّذِي عَمِلَهُ).

وبناء عليه لماذا لم يعفو هذا الإله عن آدم وقت ارتكابه للمعصية لينقذ ابنه من الصلب بدلاً من أن يتركه يتضرع بالصلاة والصراخ له كي يبعد عنه كأس الموت [عبرانيين ٥ : ٧] ؟ ألم يقل المسيح لتلاميذه: (نفسي حزينة جداً حتى الموت) [متى ٢٦ : ٣٧، ٣٨] ؟

أليس المسيح هو الذي خر على وجهه ساجداً ومنادياً الله قائلاً (يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنّي هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت) متى [٢٦ : ٣٩] ؟ ألم يكن عرقه يتصبب مثل قطرات دم نازلة من شدة خوفه من كأس الموت حتى ان ملاكاً ظهر له من السماء ليقويه. لوقا [٢٢: ٤٤]، فأين الرحمة وأين العدل في تعذيب إنسان لم يذنب وكانت هذه حاله ؟.

ومن الجدير بالذكر أن النصارى يقدسون كلا العهدين ويضمونهما في كتاب واحد ويطلقون عليه اسم الكتاب المقدس. وقد قال المسيح: لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ.) متى ، ٥ / ١٧. وقال أيضاً: (حِينَئِذٍ خَاطَبَ يَسُوعُ الْجُمُوعَ وَتَلاَمِيذَهُ قَائِلاً: «عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَافْعَلُوهُ وَلكِنْ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ لاَ تَعْمَلُوا لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلاَ يَفْعَلُونَ.) متى / ٢٣ : ١.

فهذه النصوص فيها الدليل الواضح على تمسك المسيح بناموس (شريعة) موسى وبتفاسير وشروح الكتبة والفريسيين. وكيف لا يكون المسيح متمسك بشريعة موسى والانبياء وهو الذي قال للسائل: (إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا.) متى [١٩ : ١٦] أي اتبع تعاليم التوراة واعمل بها. ولم يبدل دين المسيح ويأمر بترك التمسك بشريعة موسى والعمل بها إلا بولس فهو القائل: (إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضاً بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لاَ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لاَ يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا)غلاطية[٢ : ١٦].

المطلب الثاني

الأدلـة النقليـة والعقليـة
على فساد عقيـدة الصلـب والفـداء.

أولا:الأدلة النقلية:

١- قال موسى وهارون لله : (اللهُمَّ إِلهَ أَرْوَاحِ جَمِيعِ البَشَرِ هَل يُخْطِئُ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَتَسْخَطَ عَلى كُلِّ الجَمَاعَةِ ؟) العدد ١٦/٢٢ .ونحن نقول كما قال موسى وهارون للرب: اللهم إله أرواح جميع البشر هل يخطيء آدم فتسخط على كل البشر ؟

٢- جاء في سفر التثنية ١٦/٢٤ (لا يُقْتَلُ الآبَاءُ عَنِ الأَوْلادِ وَلا يُقْتَلُ الأَوْلادُ عَنِ الآبَاءِ. كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيَّتِهِ يُقْتَلُ .(والسؤال هنا: هل غش الله خلقه وأوهمهم أنه لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء ، ثم فاجئهم أنهم لا يحملون خطأ أبيهم بل خطأ أول رجل وامرأة خلقا ؟!!

٣- جاء في سفر الأمثال أن الأشرار يكونوا كفارةً للأبرار: (الشرير فدية الصديق(أمثال: ٢١ : ١٨ . فهل كان المسيح من الاشرار ؟

٤- جاء في سفر أخبار الأيام الثاني ٧ : ١٤ : (فَإِذَا تَوَاضَعَ شَعْبِي الَّذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ وَصَلُّوا وَطَلَبُوا وَجْهِي وَرَجَعُوا عَنْ طُرُقِهِمِ الرَّدِيئَةِ فَإِنِّي أَسْمَعُ مِنَ السَّمَاءِ وَأَغْفِرُ خَطِيَّتَهُمْ وَأُبْرِئُ أَرْضَهُمْ). والسؤال هنا : أليس هذا هو قانون الله الذي يقبله العقل وترتاح إليه النفس ؟ فمن أين جاء بولس _ الذي لم يرى المسيح يوماً قط _ بفرية الصلب والفداء ؟ .

٥- جاء في المزمور ٨٩: ٢٦ : (إِلَهِي وَصَخْرَةُ خَلاَصِي. ❖ إِلَى الدَّهْرِ أَحْفَظُ لَهُ رَحْمَتِي). وجاء في المزمور [١٠٩ : ٢٦] : (أَعِنِّي يَا رَبُّ إِلَهِي. خَلِّصْنِي حَسَبَ

رَحْمَتِكَ). والسؤال هنا كذلك : أين رحمة هذا الإله الذي أضمر انتقامه طوال مئات السنين، وأنهى هذه المسرحية بقتل ابنه دون ذنب!

٦- جاء في سفر التكوين ٣ : ٢١ :(وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلَهُ لِآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا). الرب بنفسه صنع لهما هذه الأقمصة !!ألا يدل ذلك على غفران الله لذنبهما ؟ فلو لم يغفر لهما لتركهما يصطادا ويعالجا الجلد ثم يصنعان لأنفسها هذه الأقمصة، إمعانا في إجهادهما وتنفيذاً لوعيده لهما بأن يشقيا في الأرض. وأشار إلى ذلك سفر التكوين: وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: تَكْثِيراً أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ. بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَداً. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ». وَقَالَ لِآدَمَ: «لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلاً: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكاً وَحَسَكاً تُنْبِتُ لَكَ وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزاً حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ).تكوين ٣: ١٦- ١٩ .

٧- ألم يأمر الرب في سفر الخروج ١٥ : ٣٢ _ ٣٦ بالعقاب الفورى لمن خالف تعاليمه ولم يعظم السبت ؟ فإذا كان هذا حاله مع عباده، فما الذى غير حاله مع آدم ولم يعاقبه من فوره ؟ وإن كان ما فعله مع آدم هو المألوف، فلماذا تعجَّلَ بقتل هذا الرجل الذى خالف السبت.

ولم ينتظر حتى يجيء هو نفسه ليُصلَب ؟ ")لَمَّا كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْبَرِّيَّةِ وَجَدُوا رَجُلاً يَحْتَطِبُ حَطَباً فِي يَوْمِ السَّبْتِ. فَقَدَّمَهُ الذِينَ وَجَدُوهُ يَحْتَطِبُ حَطَباً إِلى مُوسَى وَهَارُونَ وَكُلِّ الجَمَاعَةِ. فَوَضَعُوهُ فِي المَحْرَسِ لأَنَّهُ لمْ يُعْلنْ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِ. فَقَال الرَّبُّ لِمُوسَى: «قَتْلاً يُقْتَلُ الرَّجُلُ. يَرْجُمُهُ بِحِجَارَةٍ كُلُّ الجَمَاعَةِ خَارِجَ المَحَلةِ». فَأَخْرَجَهُ كُلُّ الجَمَاعَةِ إِلى خَارِجِ المَحَلةِ وَرَجَمُوهُ بِحِجَارَةٍ فَمَاتَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى.) خروج ١٥: ٣٢ - ٣٦.

٨- جاء في سفر إشعياء ٥٥ : ٧) : لِيَتْرُكِ الشِّرِّيرُ طَرِيقَهُ وَرَجُلُ الإِثْمِ أَفْكَارَهُ وَلْيَتُبْ إِلَى الرَّبِّ فَيَرْحَمَهُ وَإِلَى إِلَهِنَا لأَنَّهُ يُكْثِرُ الْغُفْرَانَ.

٩- وجاء في سفر إرمياء٣١ : ٢٩ –٣٠ : (فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لاَ يَقُولُونَ بَعْدُ: [الآبَاءُ أَكَلُوا حِصْرِماً وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ] بَلْ : [كُلُّ وَاحِدٍ يَمُوتُ بِذَنْبِهِ]. كُلُّ إِنْسَانٍ يَأْكُلُ الْحِصْرِمَ تَضْرَسُ أَسْنَانُه).

١٠- وجاء في سفر حزقيال ١٨ : ١٩- ٢٣ :(وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: لِمَاذَا لاَ يَحْمِلُ الاِبْنُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ؟ أَمَّا الاِبْنُ فَقَدْ فَعَلَ حَقّاً وَعَدْلاً. حَفِظَ جَمِيعَ فَرَائِضِي وَعَمِلَ بِهَا فَحَيَاةً يَحْيَا. اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. الاِبْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الاِبْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ.

فَإِذَا رَجَعَ الشِّرِّيرُ عَنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُ الَّتِي فَعَلَهَا وَحَفِظَ كُلَّ فَرَائِضِي وَفَعَلَ حَقّاً وَعَدْلاً فَحَيَاةً يَحْيَا. لاَ يَمُوتُ. كُلُّ مَعَاصِيهِ الَّتِي فَعَلَهَا لاَ تُذْكَرُ عَلَيْهِ. فِي بِرِّهِ الَّذِي عَمِلَ يَحْيَا. هَلْ مَسَرَّةً أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ؟ أَلاَ بِرُجُوعِهِ عَنْ طُرُقِهِ فَيَحْيَا ؟) .

فلماذا لم يغفر لآدم وحواء إذن ذنبهما ؟ وكيف يصلب نفسه أقصد ابنه وهو يقول. الاِبْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الاِبْنِ ؟ لا شك في أن هذا افترا فوحي الله لا يكون كاذبا.

١١- وجاء في سفر حزقيال ٣٣) ١٦- ١١ : قُلْ لَهُمْ: حَيٌّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنِّي لاَ أَبْتَهِجُ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ بَلْ بِأَنْ يَرْتَدِعَ عَنْ غَيِّهِ وَيَحْيَا. ارْجِعُوا، ارْجِعُوا عَنْ طُرُقِكُمِ الرَّدِيئَةِ! لِمَاذَا تَمُوتُونَ يَاشَعْبَ إِسْرَائِيلَ؟ وَأَنْتَ يَاابْنَ آدَمَ، قُلْ لأَبْنَاءِ شَعْبِكَ: لاَ يَنْجُو الْبَارُّ بِبِرِّهِ فِي يَوْمِ مَعْصِيَتِهِ، وَلاَ يَعْثُرُ الشِّرِّيرُ بِشَرِّهِ فِي يَوْمِ تَوْبَتِهِ.

كَذَلِكَ لاَ يَسْتَطِيعُ الْبَارُّ أَنْ يَحْيَا بِبِرِّهِ فِي يَوْمِ اقْتِرَافِهِ لِخَطِيئَتِهِ. وَإِنْ قُلْتَ لِلْبَارِّ إِنَّكَ لاَ مَحَالَةَ تَحْيَا، فَاعْتَمَدَ عَلَى بِرِّهِ وَأَثِمَ، فَإِنَّ بِرَّهُ كُلَّهُ لاَ يُذْكَرُ لَهُ، بَلْ يَمُوتُ بِمَا

ارْتَكَبَ مِنْ إِثْمٍ. وَإِذَا قُلْتَ لِلشِّرِّيرِ إِنَّكَ لاَ مَحَالَةَ مَائِتٌ: فَارْتَدَعَ عَنْ خَطِيئَتِهِ وَمَارَسَ الْعَدْلَ وَالْحَقَّ، وَرَدَّ الرَّهْنَ، وَعَوَّضَ عَمَّا اغْتَصَبَهُ، وَسَلَكَ فِي الْفَرَائِضِ الَّتِي تُؤَمِّنُ لَهُ الْحَيَاةَ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرْتَكِبَ إِثْماً، فَإِنَّهُ لاَ مَحَالَةَ يَحْيَا وَلاَ يَمُوتُ فِي خَطَايَاهُ، وَلاَ تُذْكَرُ كُلُّ خَطِيئَةٍ ارْتَكَبَهَا، لأَنَّهُ عَادَ فَمَارَسَ الْعَدْلَ وَالْحَقَّ. إِنَّهُ حَيَاةً يَحْيَا). فلماذا يدعوا الله خلقه للتوبة وعمل الصالحات لو كان هناك فداء عن طريق الصلب؟ ولماذا يدعو الله الأبرار بعدم الاعتماد على برهم الذي عملوه بل يُحثهم على الزيادة ، إن كان البر ودخول الجنة فقط عن طريق الصلب والفداء؟

١٢- جاء في متى ٣: ٨ (فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة). هذا كلام يوحنا (يحيى عليه السلام) أثناء وجود المسيح عليه السلام مما يبطل القول بأن المسيح عليه السلام جاء ليفدي العالم فمن غير المعقول ألا يعرف نبي إلهه ويخالف رسالة ربه. فهل ينزل الله نفسه ويقول بالصلب والفداء لغفران الخطايا ثم يقول نبيه لآ تسمعوا له، أنا أضمن لكم الجنة إذا فعلتم أثماراً تليق بالتوبة ؟!!

إذن فقد كانت هناك توبة، وأن الله غفور رحيم، يقبل التوبة من عبده العاصي، فلماذا لم يقبل بالذات توبة عبده آدم وزوجته حواء؟

١٣- قال المسيح : (لأنكم بالدينونة التي تدينون تُدانون) متى ٧ / ١ أي أن الإنسان يحاسب بنوع أعماله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

١٤- وقال: (ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات) متى ٧: ٢١ . أي أن طاعة الله سبحانه وتعالى مقدمة على إتباع المسيح عليه السلام ، وهي السبيل لدخول الجنة، وليس كما قال بولس إن خلاصك ودخولك الجنة يتوقف على إيمانك بالصلب والفداء. كذلك تدل هذه الفقرة على عدم إمكانية الإتحاد بين الخالق ونبيه إلا في التعاليم وصُلْب الرسالة. إذ أنه لا يتحد الراسل والمرسل إليه وإلا لقلنا أنه أرسل لنفسه. وإلا لقلنا كيف يكون

الاتحـاد إذا كـان واحـد عـلى الأرض والآخـر في السـماء؟! كيـف يـتم الاتحـاد بـين صاحب السيادة رب البيت وخادمه الذي ليس له في أمر في الموضـوع إلا إبلاغ أوامر سيده؟!!

١٥- لماذا قال المسيح: (ما جئت لألقي سلاماً بل سيفا (متى١٠: ٣٤) ولماذا قال: (جئت لألقي ناراً على الأرض) لوقا ١٢: ٤٩ – ٥١ لو كان صحيح قد أتى ليفدي الناس؟

١٦- لقد أرسل يوحنا المعمدان للمسيح ليسأله: (أنت هو الآتي أم ننتظر آخر) متى ١١: ٣.

ألم يعرف يوحنا إلهه الذي أرسله!؟ وما الهدف من إرسال يوحنا إذا جاء المسيح عليه السلام لخلاص البشر؟ من " الآتي" ؟ هل فيه إله آخر كان من المتوقع أن يأتي على الأرض؟

أم هل الآلهة الثلاثة غير متحدة ويأتون فرادى للصلب ؟ ولو صلب الإله عن خطيئة آدم فلماذا لم تصلب مريم زوجة الإله وأمه لفدية البشر من خطيئة حواء ؟ ولماذا يأتي (الآتي) إذا كان الإله قد جاء لخلاص البشر؟ ولماذا لم يسأل يوحنا الإله هل أنت الكلمة ؟ يوحنا ١ : ١. ولماذا عمَّدَ يوحنا البشر المحمَّل بالخطيئة الأزلية إلهه؟ متى ٣: ١٣ .

١٧- جاء في متى ١٢ : ٣٢ قول المسيح : (وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآخر) . إذن فما أهمية الفداء إذا كان هناك حساب في العالم الآخر على أقوالنا وأفعالنا ؟.

١٨- جاء في متى ٢٣ : ٣٥ :(لكي يأتي عليكم كل دم زكي سُفِكَ على الأرض من دم هابيل الصّدِّيق إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح) . فعيسى اعترف إذن ببر الأنبياء وعباد الله من أول خلق البشرية إلى زمانه!

فما حاجة الله إلى الصلب والفداء ؟ ألم تتفكروا أية خطيئة أكبر: الأكل من شجرة معرفة الخير من الشر أم قتل الأخ لأخيه؟ فما بالكم بقتل الإله نفسه أو ابنه ؟

١٩- سُئِلَ عيسى عليه السلام (وَإِذَا شَابٌّ يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُ: " أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لأَحْصُلَ عَلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ ؟ " فَأَجَابَهُ " لِمَاذَا تَسْأَلُنِي عَنِ الصَّالِحِ ؟ وَاحِدٌ هُوَ الصَّالِحُ. وَلكِنْ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ، فَاعْمَلْ بِالْوَصَايَا " .فَسَأَلَ: أَيَّةِ وَصَايَا ؟ أَجَابَهُ يَسُوعُ: " لاَ تَقْتُلْ، لاَ تَزْنِ، لاَ تَسْرِقْ، لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ، أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ...) متى ١٩: ١٦. لوقا ١٨: ١٨. ترى ماذا قال المسيح للسائل ؟ هل قال له : تؤمن بعقيدة الصلب والفداء؟ لا قال له تشهد أنه واحد فقط هو الإله الصالح(أي توحّد الله) ثم تأتي بالأعمال الصالحة.فأين هنا عقيدة الصلب والفداء؟ وما أهمية حفظ الوصايا هنا لو كان الخلاص بالصلب؟ وأين هذا من أقوال بولس الذي حرف دين المسيح ؟

ألم يقل بولس : (إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضاً بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لاَ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لاَيَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا) غلاطية ٢ : ١٦ ، لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لاَ يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ. لأَنَّ بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ الْخَطِيَّةِ. وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللهِ بِدُونِ النَّامُوسِ مَشْهُوداً لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ بِرُّ اللهِ بِالإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. لأَنَّهُ لاَ فَرْقَ. ٢٣إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ ٢٤مُتَبَرِّرِينَ مَجَّاناً بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ ٢٥الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ لإِظْهَارِ بِرِّهِ مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ.) رومية : ٣: ٢٠- ٢٥.

٢٠- إِذِ النَّامُوسُ لَمْ يُكَمِّلْ شيء فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِبْطَالُ الْوَصِيَّةِ السَّابِقَةِ مِنْ أَجْلِ ضُعْفِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا ، .)عبرانيين [٧ : ١٨- ١٩]

٢١- سئل عيسى عليه السلام : (يَا مُعَلِّمُ أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ الْعُظْمَى فِي النَّامُوسِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ : «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا : تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ(متى : ٢٢ : ٣٦- ٤٠ ، فلماذا لم يَقُل إنه عليك أن تؤمن بعقيدة الصلب والفداء؟ وأين عقيدة الفداء والصلب هنا؟ ولماذا الفداء هنا؟ وأين هذا من أقوال بولس حول هذه المسألة ؟

٢٢- من صفات الله التى لا يختلف عليها العقلاء (العدل والرحمة والغفران) .فأين الرحمة لو صُلِبَ برىء تكفيراً عن شخص آخر؟ وهل يُصلب إله تكفيراً عن خطيئة بشر؟ ولو قلتم إن الذى صُلِبَ كان بشراً أيضاً ، لقلنا لقد انفصل وقتئذ إذن لاهوته عن ناسوته ، وبذلك ينتفى الاتحاد التام والكامل فى القول والعمل الذى تنادون به. فما بالك إذا كان الآخر ابن الإله؟ هل كان يريد أن يتخلص من ابنه؟ أم هل كان عاجزاً عن الغفران بدون هذه المسرحية؟. وكيف يثق خلقه به إذا كان قد ضحى بالبار البرىء من أجل غفران خطيئة مذنب آخر؟ وكيف نصدق أنه إله عادل إذا كان هذا هو عدله _ يدخل أنبياء ورسله وعباده الصالحين النار في انتظار صلب ابنه ثم ينزل إلي الجحيم ليخلصهم ؟ !!أليس هذا هو ما تؤمن به الكنيسة الأرثذوكسية والكاثوليكية ؟هل هو قاسي القلب لهذه الدرجة : يحب آدم وحواء وذريتهما أكثر من ابنه؟ ولماذا لم ينتقم من يعقوب عندما ضحك عليه وسرق النبوة من أبيه؟ تكوين : ٢٧.

ولماذا لم ينتقم الله (في زعمكم)من يعقوب الذى تصارع معه وقهره؟ تكوين٣٢- ٣٠-٢٢. ولو كان الصلب والفداء لغفران خطيئة آدم وحواء — فكيف يكفر عن خطيئة الشيطان ؟وهل سيضطر إلى النزول مرة أخرى والزواج من شيطانة لينجب شيطاناً يصلب عن الشياطين؟ أليست خطيئة الشيطان أعظم وأجل؟ أم كان صَلب ابنه (أقصد نفسه) هذا نيابة عن الجن والإنس؟ ولماذا لم ينتقم من نبيه يهوذا الذي زنا بزوجة ابنه (تكوين ٣٨: ١٢- ٢٦) . ولماذا لم ينتقم من لوط الذي تقولون إن زنى بابنتيه؟ (تكوين ١٩ : ٣٠- ٣٨) . ولماذا لم ينتقم من أمنون الذي تقولون عنه إنه زنى بأخته؟ (صموئيل الثاني ١٣) ، ولماذا لم ينتقم من داود الذي تتهمونه بالزنا مع امرأة جاره بعد ارتكابه خيانة عظمى في حق جيشه وجنوده ليقتل زوجها ؟ (صموئيل الثاني ١١). ولماذا لم ينتقم من سليمان الذي عبد الأوثان؟ (ملوك الأول ١١ : ٩- ١٠).

ولماذا لم ينتقم من بنى إسرائيل الذين عبدوا العجل بعد ان أنقذهم وأخرجهم من مصر؟(خروج ٣٢: ١-٦) ، ولماذا لم ينزل مرة أخرى ليصلب ليكفر عن خطيئة من قتلوا ابنه وحرفوا دينه؟ولماذا تعجَّلَ وأمر بقتل و رجم المرتد ، لو كان في نيته أن يفديه ويغفر له خطاياه بموت ابنه على الصليب؟ تثنية: ١٣ : ٦- ١٠ وهل من العدل أن يتساوى الكافر والمؤمن لمجرد صلب إنسان بريء ؟وهل بهذا قد تعلم شعب الصليب تحمل مسؤولية أعمالهم؟ لا.

إنهم يحملون ظهر إلههم بأثقال من الذنوب والآثام ، لا بد معها من إرسال ابنه مرة أخرى وربما ابنته وزوجته وكل أقربائه مرات ومرات حتى يرضيه منظر الدماء والضحايا ليتوب عليهم ويغفر لهم !! أليس من الأسهل لو أنه انتقم من الشيطان وأراح واستراح؟ ولماذا لم ينتقم من بنى إسرائيل على سرقتهم حلى

المصريين ؟ خروج (١٢ : ٣٥- ٣٦) : ولماذا لم ينتقم ممن أوقدوا نيران الحرب وقتلوا الأبرياء في صبرا وشاتيلا وفى جنين؟

فأيهما أهم عند هذا الإله : الأكل من شجرة معرفة الخير والشر أم قتل النفس؟ كيف يكون إله بار رحيم حنّان منّان وهو يُضمر كل هذا الشر في نفسه؟ كل هذا العمر لينتقم من فلذة كبده؟ ثم تقولون الله محبة؟!!!! ألم يقل : (إنه إله غيور يتفقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضيه؟) فلماذا كذب وانتظر كل هذه الأجيال؟ (خروج ٥/٢٠) . وإذا كان هذا حاله مع من أحب - مع ابنه — فماذا يكون حاله معنا نحن؟ ولماذا لم ينتقم من الشيطان الذى قهره أربعين يوما يجربه في البرية؟ (متى ٤: ١-١١)، ولماذا لم ينتقم من الشيطان الذى وسوس لآدم وحواء وتسبب في هذه الخطيئة ؟ هل يُعجبه أن يصفه أحد خلقه بالقسوة وعدم الرحمة؟ (إِنْ كَانَ اللهُ مَعَنَا فَمَنْ عَلَيْنَا !اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ) رومية (٨: ٣١-٣٢).

أم نزل هو ليصلب ليظل خلقه يلعنوه إلى يوم الدين ثم يخلدهم في الجنة بهذا العمل الأسطورى الذي راح هو ضحيته؟ (اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ : «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ) (غلاطية ٣: ١٣(. كيف ترك إلهكم لاهوته ورضي أن يعيش في رحم إمرأة بين دم الحيض والنفاس ثم خرج من فرجها في صورة طفل يحبو ويتبول ويرضع من صدر أمه مع أن ذلك يمثل جانباً مهماً من جوانب الله الذي له الكمال المطلق. إن ذلك لأمر عجاب، فهل هذه هي صورة الإله العظيم القدوس المنزه؟ لا. فما الذي يدفعني لعبادته؟

نحن نقول الله أكبر من كل شيء، نحن نقول الله العليم. ولا يمكن لإلهكم أن تكون له نفس هذه الصفات. فقد كانت بطن أمه التي حوته أكبر منه، وكانت أكبر منه ناهيك عن الكهف الذي ولدته فيه. فلماذا أعبد الضعيف؟ ولماذا أعبد الصغير؟ لماذا قبل إلهكم أن يتحد جسده ودمه في البشر عندما تأكلون الخبز المقدس وتشربون الخمر؟ ألم يعلم أن مصير هذا التحول سيؤول بعد الهضم إلى المجارى؟ هل رضي لنفسه هذه الصورة المهينة؟ هل لم يعرف رئيس الكهنة قيافا إلهه؟ وهل قبل الإله أن يحكم عليه أحد خلقه بالموت؟ أإله لم يعرفه أنبياؤه ولا رسله؟

فَقَالَ لَهُمْ أحدهم وَهُوَ قَيَافَا كَانَ رَئِيساً لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ: "أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ شَيْئاً ولاَ تُفَكِّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا " وَلَمْ يَقُلْ هَذَا مِنْ نَفْسِهِ بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيساً لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الأُمَّةِ)[يوحنا ١١: ٤٩-٥٠] انظر النبي أعلم من الإله!! النبي تنبأ بموت الإله!! انظر نبي الله العادل الذي يحكم على إلهه بالموت ويرى في ذلك الخير للأمة!! فما حاجتي أن أصدق نبياً أو إلها بعد؟.

أليس هذا هو الدافع لخروج الناس من الكنيسة ورفض تعاليمها؟ أليس هذا هو الدافع لإنكار وجود الله ؟ أليست فكرة الصلب والفداء دافع لإكثار الخطايا والآثام واللامبالاة باقترافها ؟ أإله يسلمه للصلب نبيه يهوذا الأسخريوطي؟ أتصدقون أنه رضي بتسليم إلهه ورجح منفعة ثلاثين درهما على إلهه ووعوده؟ متى(٢٦ : ١٤- ١٦).

فهل من المعقول أن الإله يساوي هذا الثمن البخس؟ لماذا لم يرحم باقي خلقه القادمين إلى العالم عندما يُفقِدَهم الثقة فى رحمته؟ماذا سيقولون عنه عندما يعلمون أنه ضحّى بابنه؟ ألا يساورهم الشك ويحبطهم التشكك والأمل في رحمته ؟ألا يفقدهم ذلك الأمل في أنه من الممكن ألا يعدل بينهم أو يحكم بالصلب على

أحد منهم بسبب خطيئة شخص آخر؟ فما القول لو اتبع أحد القضاة هذا النهج البولسي وحكم بقتل شخص بريء بذنب آخر؟ أليس في ذلك ظلم وافتراء ؟ فمن هنا يتبين لنا أن عقيدة الصلب والفداء لا يقرها عقل ولا منطق وتتنافى تماما مع مقتضيات العدل الإلهي.

هذا وقد وجد من مفكري النصارى من يرفض مثل هذه العقيدة ومن هؤلاء البرفسور" فنك " مؤسس " ندوة عيسى " إذ يقول: " إن قصة إلقاء القبض على المسيح ومحاكمته، وإعدامه هي في معظمها من نسج الخيال "(١). ويقول البرفسور" بورتون ماك: "أما بالنسبة لقصة الصلب والقيامة، فإن مرقس- أول من كتب القصة- أخذ الفكرة الأساسية من أسطورة كريستوس "(٢).

ثم يأتي بعد ذلك الأب بولس إلياس الخوري فيعيد الحق إلى نصابه حينما يعلن في جرأة أن بولس هو مبتدع هذه الفكرة، وقد حمل هو وتلميذه الحبيب لوقا لواء الدعاية لها، وفيما يلي كلمات هذا الباحث المسيحي: " ومما لاريب فيه أن الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس مشاعره فعبر عنها في رسائله بأساليب مختلفة هي فكرة رفق الله بالبشر وهذا الرفق هو الذي حمله على إقالتهم عثراتهم فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب" (٣)

---

(١) احمد شلبي ، المسيحية ، ص١٦١ . بتصرف . وانظر محمد علي الخولي ، حقيقة عيسى المسيح، ص٥٤.

(٢) نفس المرجع ، ص١٦١- ١٦٢ ، بتصرف .

(٣) احمد شلبي ، المسيحية ، ص١٦٢ . بتصرف

المطلب الثالث
موقــف الإســــلام
من عقيدة الصلب عند النصارى

نظرة الإسلام للأنبياء بشكل عام هي نظرة التكريم و التقدير و قصص الأنبياء في القران الكريم تميز بأدبه الجم عند الحديث عن الأنبياء جميعا لأنهم رسل الله تلقوا الوحي عن ربهم. فكان لابد أن يكونوا من المصطفين الأخيار. و الاصطفاء الإلهي لا يقع إلا على صفوة البشر و خيارهم "الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس". {إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ }(1)

تلك هي نظرة الإسلام إلى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. فهو رسول من رسل الله خلاصة عقيدتنا فيه ما قال الله تبارك و تعالى فيه : {مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظر كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظر أَنَّى يُؤْفَكُونَ } (2) . " وقوله تعالى: " {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً } (3) .

أما في مسالة الصلب فكانت الصورة التي قدمها القرآن الكريم هي الصورة المشرقة التي تليق بكلمة الله ورسوله. فلم يجعل نهايته تلك النهاية المؤلمة التي جاءت في أناجيل النصارى حيث الإهانة والاقتياد مع اللصوص و أخيرا الصلب

---

(1) سورة آل عمران ، آية : ٣٣ .

(2) سورة المائدة ، آية : ٧٥ .

(3) سورة النساء ، آية : ١٧١ .

ودق المسامير في رأسه وتركه مصلوبا معلقا إلى أن يموت وهو يستصرخ دون أن يجد له نصيرا.

ولقد بين القرآن الكريم أن أعداءه اليهود حاولوا إيذاءه وقتله. ولكن رعاية الله بحبيبه ورسوله تأبى أن تسمح لهذه الأيدي الأثيمة المعتدية أن تنال منه فألقى على من تآمر عليه و دل القوم عليه و ليس المسيح عليه السلام. أما المسيح فقد أكرمه الله تعالى و رفعه إليه منزلة و جسدا (على الرأي الراجح عند المسلمين). فقال تعالى في ذلك : "{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }(1) .

وقال تعالى وهو يرد على القائلين بصلبه من النصارى الذين حرفهم بولس عن منهجه حيث يقل سبحانه : {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً }(2) .

هذا هو الذي حصل للمسيح عليه السلام فقد نجاه الله من أعدائه و أكرمه أيما تكريم. والغريب أن النصارى على الرغم من أنهم يقرأ ون في العهد الجديد أن المسيح كان يدعو ربه طالبا النجدة و يقرأون أن الله تعالى قبل دعاءه و مع ذلك فإنهم يعتقدون أن الصلب و الموت قد وقع عليه. وتجد في انجيل لوقا (٢٢ : ٤٤) "إن يسوعا كان قد تضرع إلى الأب المحب في السماء طلبا للنجدة مع البكاء بالدموع". وإذا كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة و صار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض " .

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٥٥ .

(٢) سورة النساء ، آية : ١٥٧- ١٥٨ .

ويؤكد بولس في رسالته للعبرانيين (٥ : ٧) أن الدعاء لم يقع على آذان صماء "إذ قدم بصراخ شديد و دموع طلبات و تضرعات للقادر أن يخلصه من الموت و سمع له من اجل تقواه". هذه نصوصهم تؤكد أن الله استجاب لدعائه ثم يصرون أنه قد مات على خشبة الصليب. و ماذا يعني قوله "و سمع له" يعني أن الله قد قبل دعاءه. إن الله جلت قدرته هو السميع دوما لقد سمع " استجاب " لدعوات يسوع كما سمع و استجاب لدعوات إبراهيم عليه السلام (١).

المطلب الرابع
فرق النصارى القائلة بتلك العقائد
كما جاءت في القرآن الكريم

أشار القران الكريم إلى حقيقة العقائد النصرانية ، التي آمن بها المنتمون إلى المسيح ، بدون تعقيد يشبه ذلك الذي نقله المؤرخون والفلاسفة والباحثون. وذلك لأن القران كتاب الله الموحى به إلى رسول الله محمد ﷺ ، والفرق التي ضبطها القران هي :

١. **الفرقة القائلة بأن المسيح ابن الله:**

أشار القرآن الكريم الى تلك الفرقة بقوله تعالى : {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۞ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا

---

(١) لوقا ، ٢٢/ ٤٤ .

يُشْرِكُونَ ۞ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }[1].

ويعد أن ذكر هذه العقيدة بين سبحانه أساسها وحقيقتها بأنها من صنع الإنسان، ولم يرد بها نقل عن الله فقال {ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ} وأكد بأن هذا القول هو من اليهود والنصارى أنفسهم فقال قولهم ثم قال " بِأَفْوَاهِهِمْ " زيادة في التشنيع وإيضاح الحقائق.

ثم ذكر سبحانه أنهم قالوا هذا مجاراة لمن سبقهم في هذا القول حيث كان من قال به فصاروا على طريق ضال سار به الكفار من قبل حين قال تعالى: { يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} ثم بين سبحانه السبب المباشر في هذه العقيدة وهم الأحبار والرهبان أي رجال الدين عندهم الذين كانوا متسلطين عليهم باسم الدين. فطاب القول لهم بدون علم ، ويقولون هو من عند الله {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ}[2] والحقيقة التي أمروا بدون عناء، وبدون فلسفة أو سيطرة هي عبادة الله الواحد{وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ }[3] . فلماذا نكلف النفس ما لا تطيق وهي في الأصل تبحث عن الهدوء والاطمئنان فكانت النبوءات كي يعلموا الناس الحقيقة الواضحة ويعيشوا في أمن واستقرار فإذا لم يعرف الإنسان الخالق فلا يكون له استقرار وهذا الإله هو واحد منزه عن أن يكون له شريك. ولكن الأحبار والرهبان عقدوا الأمور وعادوا بالإنسان إلى حياة الشك والقلق، ترى لماذا هذا ؟ [4]

---

(١) سورة التوبة ، آية : ٣٠ .

(٢) سورة التوبة ، آية : ٣١ .

(٣) سورة التوبة آية : ٣١ .

(٤) انظر محمد الحاج ، النصرانية من التوحيد الى التثليث ، ص٢٢٤ . بتصرف .

ويكشف الحق تبارك وتعالى هذه النفوس المريضة ضعيفة الإيمان ويكشف معهم الهدف الذي إليه يسعون { يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ }. بهذه المخترعات من العقائد الزائفة المضلة، ولو كانوا مؤمنين حقيقة لعرفوا الله وانتهوا عن فعلهم هذا لان الأمر أمره والفعل فعله { وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }.

وفي سورة المائدة عرض تعالى قولهم أقام الحجة على بطلانه حين قال: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } [1]. فإذا حصل العذاب لكم فأنتم بشر ممن خلق وهؤلاء يغفر لمن يشاء منهم ويعذب من يشاء ولو كنتم أولاده تعالى الله عن ذلك لما عذبكم كما يجري للبشر الآخرين وتعالى غني عن هذا الولد﴿ ولله ملك السماوات وما بينهما وإليه المصير﴾ [2] وإله هذا شأنه فما حاجته إلى الولد؟

٢. **الفرقة القائلة بألوهية المسيح:**

قال تعالى في سورة المائدة: { لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [3]. فدل هذا على وجود قوم من النصارى قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم. فهؤلاء جعلوه إلها وهو في الحقيقة عبد لله خلق بصورة ليس كما يولد الإنسان العادي. ويورد تعالى حجة على بطلان هذا الادعاء { قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ

---

(١) سورة المائدة، آية: ١٨.

(٢) سورة المائدة، آية: ١٨

(٣) سورة المائدة، آية: ١٧.

شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.

وهذا المسيح قد انتهى أمره وكذلك والدته والكون لا زال كما هو، فإذا كان عيسى إلها و الإله صلب وعذب فمن يدير هذا العالم ؟ يديره الإله الحقيقي الذي خلق عيسى عليه السلام وأنهى أمره والذي يخضع له كل شيء بما في ذلك عيسى {وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[1] ، فهذه الفرقة كافرة بالله أكد ذلك بالآية الأخرى {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ } .

وقد بين المسيح انه رسول أمر بني إسرائيل بعبادة الله ربه وربهم وحذرهم من الإشراك بالله حيث الرحمان من الجنة { وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ }[2] ، فالمسيح بشر وليس إله كما يقول النصارى.

القائلون بعقيدة الثالوث: قال تعالى: {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ}[3] وتفسير ثالث ثلاثة كما عند النصارى على وجهين :

أ- أرادوا بذلك أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة. والذي يؤكد هذا قوله تعالى في المسيح {وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ }[4] نفي عيسى هذا القول مطلقا، ويؤكد ذلك حين يسأله الله

(١) سورة المائدة، آية : ١٧ .

(٢) سورة المائدة، آية : ٧٢ .

(٣)سورة المائدة، آية : ٧٣ .

(٤)سورة المائدة، آية : ١١٦ .

تعالى بقوله {إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ} ، والذي قلته هو الدعوة إليك يا رب بالعبادة. وهذا ما أمرتني به {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ}.

ب- وفسرت طائفة أخرى بقولها جوهر واحد ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس، وعنوا بالأب الذات. والابن الكلمة ، والروح الحياة. وأما بالنسبة إلى حقيقة عيسى ، فقد بين الحق تبارك وتعالى أن رسول كغيره من رسل الله فلا هو اله ولا ابن اله ولا ثالث ثلاثة و إنما هو عبد الله ورسوله وأمه صديقة أيَ صدقت بآيات ربها وبما أخبرها به .

فالمسيح مثله كمثل لآدم {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[1] .أي خلق عيسى من أمه على غير العادة المالوفة بأعجب من خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى فكان آدم بأمر الله وكان عيسى غرابة بأمر الله وهو (كن): واما القول بالنبوة أو التثليث أو الألوهية فهذا من قبيل خلط الحق بالباطل {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۞ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }[2].

وكل هذا حصل بالفعل وهم يعملون الحق الذي جاء به الرسول الله. ولكنهم حرفوا وبدلوا {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }[3]. ثم ينفي الله تعالى هذه المفتريات بقوله {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٥٩ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ٧٠- ٧١ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ٧٨ .

يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ } (١) .

فهو بشر أتاه الله الكتاب ليحكم بما فيه وجعله رسولا نبيا يرشد الناس إلى خيرهم في الحال والمال ولا يأمرهم باتخاذ نفسه إلها ولما يحدث من هذا القبيل مع الرسل الذين اختارهم الله لهداية خلفه إلى الصراط السوي إذ وظيفتهم في دعوة الناس إلى الله وحده و الإخلاص له كما هو منصوص عليه في الكتاب الذي أنزل اليه من ربه{.... وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ } (٢) . ويستحيل على النبوات أن تدعو إلى اتخاذ الأنبياء والملائكة أربابا من دون الله إذ كيف تدعو الى الكفر وقد جاءت بإسلام ؟ {وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ } (٣) .

ثم يؤكد تعالى أن عيسى لم يقل بما قالته النصارى من بعده من الأقوال المخالفة و المجانبة للفطرة السليمة {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ } فيعجب عليه السلام{ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ } معترفا بأن هذا ليس من حقه أبدا لأنه عبد رسول يدعو إلى الله و الألوهية حق الله تعالى هذا هو عيسى وهذه حقيقته يؤكده قوله تعالى: {ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۞ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۞ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ } (٤) .

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٧٩ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ٧٩ .

(٣) سورة آل عمران، آية ، ٨٠ .

(٤) سورة مريم ، آية ، ٣٤- ٣٦ .

المطلب الخامس
عقيدة العشاء الرباني

العشاء الرباني عند المسيحيين هو عبارة عن (قطع من الخبز + كأس من الخمر) ويعتقد النصراني عند أكله لهذا الخبز أنه يتحول إلى لحم المسيح وإن كان مذاقه خبزاً، وأن كأس الخمر تتحول إلى دم المسيح وإن كان مذاقها خمراً، فلا بد من الإيمان وإن كان مخالفاً للمحسوس وللحقيقة، وهذا العشاء ليس له وقت محدد فيؤكل يوم الفصح ويؤكل في أوقات أخرى ولكنه يؤكل في الكنيسة ولذلك" يجب تبليغ الناس قبل موعده بأسبوعين "[1]

وطائفة البروتستانت لا تقبل بالقول بتحول الخبز والخمر إلى لحم ودم المسيح وإنما تجعله رمزاً لما حل بالمسيح ﷺ وذكرى لصلبه من أجل البشر.وقد روى متّى أن عيسى ﷺ كسر خبزاً وأعطى تلاميذه وقال: " خذوا، كلوا هذا هو جسدي"، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم؛ لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا "[2]." فهذه الحادثة كلها "العشاء الرباني" غير مذكورة في يوحنا، كيف هذا والعشاء الرباني من أهم معتقدات وطقوس الكنيسة ! ويوحنا كاتب الإنجيل من الحواريين الحاضرين لذلك العشاء فكيف لم يذكره؟ [3] ويرد الشيخ رحمة الله الهندي على هذه العقيدة المترسخة لدى الكاثوليك قائلاً: " لو صح ما تدعونه من أكل لحم المسيح وشرب

---

(1) سعود الخلف ، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص٢٧٠ . بتصرف.

(٢) متى ، ٢٦/ ٢٦- ٢٨ .

(٣) محمد علي الخولي ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة، ص٦٨ .

دمه في العشاء الرباني لكنتم أسوأ وأخبث من اليهود؛ لأن اليهود عذبوه وآلموه مرة واحدة ولم يأكلوا لحمه ولم يشربوا دمه ولم يكسروا عظامه...!! أما أنتم فإنكم تذبحونه كل يوم في أمكنة كثيرة، وتكسرون عظامه في كل مناسبة قطعة.. قطعة"[1]، وإن كان هذا هو ما طلبه المسيح حقاً كما تزعمون فلماذا لا يؤمن البروتستانت ما دام قد نص عليه الإنجيل بلسان عيسى؟! " والحقيقة أن مسألة العشاء الرباني كانت هاجساً في العالم الوثني القديم.

فكانوا يعتقدون أن كل من يأكل من جسد الإله الميت ويشرب من دمه يتحقق له الخلود. فعلى سبيل المثال " كان قدماء المصريين يعبدون الإله (أوزيريس) ويصنعون له جسداً من عجين القمح ثم يأكلون قرباناً مقدساً معتقدين أنهم يستمدون السطوة من جسد (أوزيريس) ودمه. فالحبوب كانت رمزاً (لأوزيريس) والخبز المصنوع من القمح كان طعاماً مقدساً في حين أن الجعة المخمرة من الشعير كانت شراباً مقدساً وكانوا يعتقدون أن الخبز والجعة هي جسد ودم (أوزيريس) حرفياً وليس مجازياً"[2].

المبحث الخامس
الشرائع النصرانية

لم يأت عيسى عليه السلام بشريعة خاصة, فقد كانت شريعة موسى شريعته. و كثيرا ما تذكر هذه الحقيقة في الأناجيل الحالية حيث يعبر عن شريعة موسى عليه السلام بالناموس. و كل ما جاء به عيسى عليه السلام إنما هو دعوة روحية سامية جاءت

---

(1) عبد الودود شلبي، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، ص٤٧ . بتصرف .

(2) محمد فاروق ، المسيحية والإسلام والاستشراف، ص ١٤٢- ١٤٣ .

تصحيحا للانحراف الذي يعم مجتمع اليهود. و لكن بولس الذي أصر الانفصال عن اليهودية الأم. و صنع ديانة جديدة لا تمت إلى الأصل و لا إلى رسول هذه الديانة بصلة. كان قد وضع عقائد و شرائع و طقوس ديانته الجديدة. فكانت هذه الشرائع و الطقوس غريبة عن شريعة الأم شريعة موسى عليه السلام. و من شرائع ديانة بولس الجديدة ما يلي :

المطلب الأول
الأسرار السبعة

تقوم الشرائع المسيحية على مجموعة من الطقوس و الأسرار. حيث عرف عند النصارى ما يسمى بالأسرار الكهنوتية السبعة و هي :

١- **التعميد:**

والتعميد يكون برش الماء على الجبهة. أو غمس أي جزء من الجسم في الماء. و الغالب تغطيس الجسم كله في الماء. و يقوم بذلك الكاهن. و الكنيسة القبطية تشترط التغطيس و لا تجيز الرش إلا للضرورة. كما تشترط أن يكون ثلاث مرات الأولى، باسم الأب. والثانية باسم الابن. والثالثة باسم الروح القدس [١].

وكان نهر الأردن المكان الذي عمد فيه المسيح عليه السلام على يد يوحنا الذي سمي لذلك بالمعمدان وهو يحيى عليه السلام. وينقل الأستاذ أحمد شلبي عن كتاب الأصول و الفروع للقس بوط قوله : التعميد فريضة مقدسة يشار فيها بالغسل بالماء باسم الأب و الابن و روح القدس إلى تطهير النفس من أدران الخطيئة بدم يسوع المسيح"[٢]. كما نجد في رسالة بولس إلى غلاطية تفسيرا لهذا التعميد إذ يقول : "لأن

(١) شنودة ، تاريخ الأقباط ، ١/ ٨ .

(٢) أحمد شلبي، المسيحية، ص ١٦٩.

كلكم الذين اعتمدتم المسيح قد كسبتم المسيح" [1]. وهذا يعني أن المسيحي بالتعميد يتحد بالمسيح. وكما قال الأستاذ شارل جيني بير " فالتعميد يرتدي المسيحي المسيح، كما يرتدي اللباس المقدس المنجي. وهو ينزل رمزيا إلى عالم الأموات بغطوسه في النهر أو في إناء التعميد. فإذا خرج بعد غطسات ثلاث (كما خرج المسيح من القبر بعد أيام ثلاثة) أيقن بأنه سوف يمجد يوما إن أراد الله له ذلك كما مجد المسيح" [2] .

وهذه طقوس وثنية أدخلها بولص إلى النصرانية. عرفتها فلسفات وثنية سابقة للنصرانية وسر التعميد كذلك مرتبط بفكرة الخطيئة الموروثة إذ أن هذا المولود يولد و هو يحمل من هذه الخطيئة فلابد أن يتدخل الكاهن ليغطسه بالماء أو يرش عليه على الأقل لتكون المغفرة و التطهير من الذنوب.

٢ـ الاعتراف:

وهو من اخطر الطقوس التي تجريها الكنيسة ويتحكم من خلالها رجالها ورهبانها بالناس ويطلعون من خلالها على أسرارهم ليتخذوها وسيلة من وسائل الابتزاز على اختلاف أشكاله. ويكون سر الاعتراف بمثول المذنب بين يدي الكاهن معترفا بكل ما اقترف طالبا المغفرة. حيث يعتقدون أن التوبة تنتق ل عبر الكاهن إلى الرب و تعود إلى صاحبها عبر الكاهن أيضا فيغفر له ذنبه. و عن هذا السر نشأ ما يسمى في العصور الوسطى بصكوك الغفران. ولا يعترف البروتستانت بهذا السر [3] .

٣ـ سر الدهن بالميرون المقدس:

وهو سر ينال به المعتمد ختم موهبة الروح القدس و الثبات في الإيمان و دونه تكون المعمودية ناقصة. و مصدره أن الرسل حفظوا ما كان من الحنوط على جسد

---

(١) غلاطية، ٣/٢٧ .

(٢) شارل بير. المسيحية. نشأتها و تطورها. ص١١٠ .

(٣) ابن القيم ، هداية الحيارى ، تحقيق محمد أحمد الحاج ، ص١٧٣ .

السيد المسيح حين دفنه مع الحنوط الذي أحضرته النسوة ثم أذابوه في زيت الزيتون و قدسوه في علية صهيون وجعلوا منه دهنا مقدسا خاتما للمعمودية [1] . وهذا الدهن في نظرهم يعني حلول روح القدس في الإنسان الذي نال المعمودية. ولا أدري من أين جاؤوا بهذه الطقوس إذ يخلو العهد الجديد من أي ذكر لكلمة ميرون و حلول روح القدس. وهذه كلها ليست إلا مما تسرب من الوثنية إلى المسيحية.

٤ـ المسح على المريض:

وهو سر يمسح الكاهن بمقتضاه المريض بزيت مقدس ويستمد له الشفاء من الله روحيا و جسديا. ومصدره ما ورد في انجيل مرقس أن الرسل قد خرجوا وصاروا يكرزون (يبشرون) الناس أن يتوبوا, وأخرجوا شياطين كثيرة ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم[2]. فاخذ رجال الكنيسة هذه المقولة و صنعوا منها سرا يقومون به و يشعوذون به على الناس لابتزازهم و أخذ أموالهم.

٥ـ الزواج:

وهو ربط الزوجين برباط مقدس. و قد جعلوا الزواج فوق كونه ناموسا طبيعيا سرا من أسرار الكنيسة. ويعتمدون في ذلك على ما ورد في انجيل متى" الذي جمعه الله لا يفرقه إنسان" [3]. وتجري مراسيم الزواج على يد القسيس في الكنيسة حيث تتلى تراتيل معينة و بذلك يصبح زواجا مقدسا بمباركة هذا القسيس.

٦ـ الكهنوت:

ويستخدم هذا السر عند التنصيب لأي منصب ديني في الكنيسة. و سر الكهنوت عمل مقدس به يضع الأسقف يده على راس الشخص المنتخب و يطلب

---

(١) رؤوف شلبي ، يا أهل الكتاب تعالى الى كلمة سواء ، ص٢٥٩ .

(٢) مرقص ، ٦ / ٢١- ١٣ .

(٣) متى ، ١٩ / ٦ .

من اجله فينال النعمة الإلهية التي ترفعه إلى درجات الكهنوت من أسقفية أو قسيسيه أو شماسيه أو أي منصب آخر. ومصدر هذا السر أن السيد المسيح كما يقال-قد وضع أساس الكهنوت إذ اختار اثني عشر رسولا ثم اختار السبعين الآخرين وأعطاهم سلطان الكهنوت ومنها التعميد وتقديس القربان وغفران الخطايا. وقد انتقلت هذه المواهب من الرسل إلى خلفائهم. وقد قال بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس " لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدي المشيخية"(١). وقبلها ورد كذلك " لأنه يقدس بكلمة الله و الصلاة إن فكرت الأخوة بهذا تكون خادما صالحا ليسوع المسيح متربيا بكلام اليمان و التعليم الحسن الذي تتبعه "(٢).

٧- التنازل أو القربان المقدس التابع لفكرة العشاء الأخير:

وسر التنازل هذا هو سر جسد يسوع و دمه تحت عوارض الخبز والخمر إذ يعتقدون ما يسمونه بالاستحالة و هو تحول الخبز إلى جسد المسيح و الخمر إلى دم المسيح. فمن أكل في ذلك اليوم خبزا فقد امتزج جسده بجسد المسيح و من شرب خمرا فكأنما امتزج دمه بدم المسيح ويتم هذا السر إحياء لذكرى ذبيحة الصليب في أعياد الفصح.

وأصل هذه الفكرة - العشاء الرباني أو ما يسمونه بالعشاء الأخير للسيد المسيح - ما ورد في انجيل لوقا أن يسوع خبزا و شكر و كسر و أعطاهم قائلا هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري. و كذلك أخذ الكأس أيضا بعد العشاء قائلا : هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم" (٣).

---

(١) تيموثاوس الأولى ، ٤/ ١٤.

(٢) تيموثاوس الأولى ، ٤/ ٥- ٦.

(٣) لوقا/٢٢/١٩- ٢١.

فالخبز يرمز إلى جسد المسيح الذي كسر لنجاة البشرية أما الخمر فيرمز إلى دمه الذي سفك لهذا الغرض و هذا ما أوضحته رسالة بولس إلى أهالي كورنثوس " لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضا أن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزا و شكر فكسر و قال: خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم، اصنعوا هذا لذكري أخذ الكأس أيضا بعد العشاء قائلا: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي، اصنعوا هذا لكم ما شربتم لذكري فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز و شربتم هذا الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء [1].

وهذا ما تعبر عنه الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بالاستحالة، أي تحويل الخبز و الخمر إلى جسد المسيح ودمه الجوهريين عندما يلفظ الكاهن بكلمات التقديس الموهوم، مع أنه قد يظهر لكل الحواس الخمسة أن الخبز والخمر باقيان على جوهريهما لم يتغيرا. ويحاول عوض سمعان أن يبين العلاقة بين الخبز و جسد المسيح فيقول: " إن الخبز مثال للمسيح من ناحيتين رئيسيتين، فالخبز قوام الحياة الجسدية، و المسيح قوام الحياة الروحية، و الخبز اجتاز في النار حتى أصبح طعامنا الجسدي و المسيح نار دينونة الخطيئة عوضا عنا، لكي يكون طعامنا الروحي الذي يهبنا حياتنا إلى الأبد".[2] ولا شك أن هذا التوفيق يبقى عاجزا عن أي إقناع أو دليل و التكلف ظاهر فيه. أما الخمر فعلاقته بدم المسيح كما يقول عوض سمعان: انه أقرب مثال للدم من ناحيتين فكلاهما أحمر اللون و كلاهما حياة الجسد الذي يجري فيه، فالخمر هو حياة الكرمة الدم هو حياة الجسد".

---

(١) كورنثوس الأولى، ١١/٢٣- ٢٦.

(٢) ابن القيم، هداية الحيارى، تحقيق محمد احاج، ص١٧٤.

ويقول عوض سمعان عن هذه الخمر: " و لم تكن الخمر التي تستعمل في عيد الفصح من النوع الذي يسكر. لأنه لم يكن مسموحا بوجود أي نوع من الخمر في هذا العيد. إذ أنها كما يقول المؤرخون – كانت عصير العنب الطازج"[1] . ومع ذلك فان النصارى اليوم خالفوا ذلك و يشربون الخمر المسكر بحجة أن بولس أباح لهم أن يشربوا أي شيء. و كلما يدخل الفم فليس بنجس– كما يقولون – ويستدل الشيخ رحمة الله الهندي على بطلان هذه الخرافة بوجوه كثيرة منها :

أ- أن الكنيسة الرومانية تزعم أن الخبز وحده يتحول إلى جسد المسيح و يصير مسيحا كاملا. وبذلك فلابد أن تشاهد فيه عوارض الجسم و يوجد فيه الجلد و العظام. والحقيقة إن الخبز يبقى خبزا تشاهد فيه عوارض الخبز لا عوارض الجسم. بدليل أنه إذا ذاقه أحد أو لمسه أو نظر إليه لا يحس فيه شيئا. و إذا حفظه يطرأ عليه الفساد الذي يظهر على الخبز.

ب- و لو فرضنا أن ملايين الكهنة في العالم قدسوا في آن واحد و استحالة تقدسه. كل إلى المسيح الذي تولد من العذراء. فلا تخلو إما أن يكون كل من هؤلاء المسيحيين الحادثين عين الآخر. أو غيره. و الثاني باطل على زعمهم. والأول باطل في نفس الأمر. لأن مادة كل غير مادة الآخر.

ج- اذا تحول هذا الخبز مسيحا كاملا تحت يدي الكاهن فكسر هذا الكاهن هذا الخبز كسرات كثيرة. فلا يخلو أما أن يتقطع المسيح على عدد الكسرات أو تتحول كل كسرة مسيحا كاملا.

د- لو صح ما ادعوه لزم أن يكونوا أخبث من اليهود. لأن اليهود ما آلموه إلا مرة واحدة و تركوه. و ما أكلوا لحمه. و هؤلاء يؤلمونه. و يذبحونه في كل يوم في أمكنة غير

---

(١) ابن القيم ، هداية الحيارى ، تحقيق محمد احاج ، ص١٧٤ .

محصورة. هذه الأوجه و غيرها تدل على أن مسألة الاستحالة هذه مسألة غير معقولة و لا متصورة. و من هنا فقد اختلفت طوائف النصارى في تفسيرها. و هل الاستحالة حقيقة أم غير حقيقة ؟ ولا بد لنا من الإشارة إلى أن هذا المفهوم الجديد للنصرانية و الذي يعد إضافات القديس لها – إنما هو من المفهومات التي تعود في أصولها إلى جذور وثنية.

يقول جيني بيير: "ولم يكن قد قدر لأي \قس من طقوس أسرار الوثنية أن يذخر بمعان وفيرة. و بآمال جذابة بمثل ما ذخرت به الطقوس الخاصة بالاستحالة لدى بولس, غير أنها كانت من عائلة الطقوس الوثنية. و لك تكن تابعة من روح الدين اليهودي, ولقد أدخلت كنيسة الحواريين قطعة من الوثنية و لكن المسيحيين أيضا تقبلوها بصدر رحب لأنها أضافت إلى إيمانهم درجة أخرى من التسامي" [1] .

بالإضافة إلى هذه الأسرار الكنسية السبعة التي تلتقي كلها في أن تجعل لرجال الكنيسة شأنا خاصا يجعل الناس بحاجة إلى تدخلهم و بركتهم, و هناك موضوعات أخرى تعد جزءا من شعائر النصرانية و طقوسها و من هذه الموضوعات تقديس الصليب و الرهبنة و الصلاة.

المطلب الثاني
ما يلحق بالشعائر والطقوس

١- تقديس الصليب:

حمل الصليب و تقديسه أصبح شعيرة دينية عند النصارى, وواجبا دينيا على كل نصراني, يطوقون به أعناقهم و يرفعونه في كنائسهم و بيوتهم و مدارسهم و تقديس الصليب عند النصارى يأتي من زاويتين : الأولى تعود إلى كلام

---

(١) جيني بيير شارل ، المسيحية ، نشأتها و تطورها, ص ١١٠ .

المسيح و وصاياه. والثانية تعود إلى عملية صلب المسيح نفسه تخليدا لذكرى التضحية والفداء والتكفير عن خطايا البشر.والأولى سابقة لعملية الصلب فقد ورد في انجيل لوقا عن المسيح قوله : "إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه و ليحمل صليبه ويتبعني" (١).

وبناء على هذا يكون حمل الصليب كما يقول كتابهم إشعارا بإنكار النفس. و اقتفاء أثر المسيح في هذا الإنكار و السير وراء مخلصهم و فاديهم. وجاء في شرح بشارة لوقا للقس إبراهيم سعيد " إن آثار قدمي المعلم تعين طريق خطوات التلاميذ لأنه وإن كان المسيح قد صلب ، لكنا قد أصبحنا بحكم صلبه تحت التزام شرعي لأن نكون شركاء المسيح المتألم. إن شركتنا الشرعية مع المسيح المصلوب ينبغي أن ترافقها وتدعمها شركة اختيارية فعلية معه.

...

فصلب المسيح معناه انه مات عنا، و لكن صليب كل مؤمن معناه موت النفس عن الأنانية و حب الذات... إن من أوجب واجبات كل مسيحي أن يحمل صليبه مختارا طائعا لأن التعبير بحمل صليبه مستعار من العدة التي قضت بها الأنظمة الرومانية على عليه بالصلب أن يحمله كل يوم"(٢) . وعلى الرغم من أن ذكرى الصلب يجب أن تكون مؤلمة لأنها تذكر بامتداد الأيدي الآثمة اللئيمة على المسيح لإهانته و تعذيبه ثم صلبه- كما يقولون- إلا أن مسيحية بولس حولت الجريمة إلى فلسفة للتضحية ة الفداء و حولت آلة الجريمة التي نصبت ليموت عليها المسيح و هي خشبة الصليب إلى خشبة مقدسة أوجبت المسيحية على أتباعها أن يحملوها ويقدسوها!

---

(١) لوقا ، ٩ / ٢٣ .

(٢) محمد ابو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٢١- ١٢٢ .

ويقولون في هذه الفلسفة " لابد إذا من حمل الصليب إلى خطوة تسبقه وخطوة تعقبه. أما السابقة فهي إنكار النفس، بمعنى أن يقول تلميذ المسيح لنفسه الإمارة بالسوء "، لان حمل الصليب هو حمل العار مضافا إلى عمل الموت و هذا عمل يستلزم إنكار النفس لأن الرومان لم ينفروا من الصليب فقط بل فزعوا من ظله.

كذلك كان شعور اليهود بأن حمل الصليب هو حمل اللعنة لأنه مكتوب في ناموسهم" ملعون لك من علق على خشبة". والخطوة اللاحقة لحمل الصليب هي اقتفاء آثار المسيح حيث يمضي. فحمل الصليب عندهم ليس غاية وليس مقصودا لذاته ولكنه مقصود لغاية أسمى هي اقتفاء خطوات المسيح في إنكار الذات والرضا بالفداء في زعمهم وإتباع تعاليمه[1] .

٢- الصلاة و الصيام عند النصارى : للنصارى عبادتان واحدة واجبة على سبيل الإجبار وهي الصلاة و الثانية على سبيل الاختيار وهي الصيام. والصلاة عندهم لها شرطان أساسيان:

الشرط الأول: أن تقدم باسم يسوع المسيح. فقد جاء في انجيل يوحنا: "الحق أقول لكم أن كل ما طلبتم من الأب باسمي يعطيكم. إلى الآن لم تطلبوا شيئا باسمي. اطلبوا ليكون فرحكم كاملا"[2].

الشرط الثاني: الإيمان بما عندهم فقد ورد في انجيل مرقس" كل ما تطلبونه حين تصلون آمنوا أن تنالوه فيكون لكم". و ينقل الدكتور أحمد شلبي عن صاحب كتاب

---

(١) محمد ابو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٢٢ .

(٢) انجيل يوحنا ، ١٦.

الأصول و الفروع قوله: للصلاة باسم المسيح معنى أدق من ذلك، و هو أن الاسم يمثل دائما المسمى، فتكون الصلاة باسم المسيح تمثل وحدته معنا، بحيث تكون طلباتنا طلباته، و صلاحنا صلاحه، وحياتنا حياته، و بالجملة كأنه يحيى فينا و لأجلنا"[1].

والصحيح أن هذا الفهم للصلاة ليس أكثر من تصور فلسفي ليس فيه معنى لعبادة الله تعالى و التضرع إليه و ما قيمة العبادة إن لم تكن تذللا لله تعالى الخالق رب العالمين، و ماذا يعني قوله في انجيل يوحنا إلى الآن لم تطلبوا باسمي شيئا؟ هل يعني أن كل الصالحين قبل المسيح لم يطلبوا من ربهم شيئا؟ فأين دعوات الأنبياء وتضرع الصالحين؟ أو أنهم كانوا يطلبون من الله تعالى وحده مباشرة دون تدخل الأرباب والوسطاء، فقال تعالى:{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ }[2].

فالله تعالى خالق السموات و الأرض و من فيهن ليس بحاجة إلى من يدعى بواسطته أو يتدخل بين يديه لإجابته. والصلاة عند النصارى ليست عبارات مخصوصة، بل ترك لهم أن يتلو العبارات التي يختارونها شريطة ألا تخرج عن قاعدة الصلاة التي علمهم إياها المسيح، لكي يصلوا على منوالها وهي المسماة بالصلاة الربانية وهي الواردة في انجيل متى حيث تجد فيه وصية للصلاة " وأما أنت فمتى صليت فادخل مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية.

---

(1) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص١٢٣ .

(2) سورة البقرة، آية: ١٨٦ .

وحين تصلون لا تكثرون الكلام كالأمم، فإنهم يظنون بأنه بكثر، كلامهم يستجاب لهم... فصلوا انتم هكذا: أبانا الذي في السموات، ليقدس اسمك، ليأت ملوكتك ، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض خبزنا كفاحنا أعطانا اليوم، و اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن للمذنبين إلينا ، و لا تدخلن،ا في تجربـة ، و لكن نجنا من الشرير لأن الملك و القوة و المجد إلى الأبد آمين" [1]. وليس على النصارى عدد معين من الصلوات كل يوم، كما أنه ليس لها مواقيت مع معلومة بل ذلك موكل لنشاط المصلين ورغبتهم في العبادة وإن كان الغالب أنهم يختارون وقت الصباح ووقت المساء للصلاة كما هي الحال عند اليهود. فذهبوا إلى أن الوجوب لصلاتين، الأولى أول النهار والثانية آخره، وما عدا ذلك فهي صلوات مستحبة لا يعملها إلا القلة النادرة.

وقد ذكر صاحب الأجوبة الفاخرة مجموعة من أدعية الصلوات مختلفة منها صلاة السحر و يسمونها الفجر، أو صلوات الساعات الأولى، ثم ذكر دعوات الصلاة الثانية و السادسة و التاسعة، ثم دعوات صلاة المغرب و صلاة النوم و صلاة نصف الليل[2]. وبالإضافة إلى هذه الصلوات اليومية يقيم النصارى الأحد صباح يوم الأحد من كل أسبوع في كنائسهم و هي عبارة عن تراتيل و أدعية و مواعظ يقرؤها القسيس على مسامعهم ثم يؤمنون على ما يسمعون، و كانت قبل ثورة الإصلاح تتلى بلغات قديمة لا يفهمها العامة.

---

(١) متى ، ٦ / ٦- ١٣ .

(٢) أحمد القرافي ، الأجوبة الفاخرة ، ص ١٣٧- ١٤٠ .

أما بالنسبة للصوم عند النصارى فهو عبادة اختيارية يستحب فعلها. و قد ورد الحديث عن الصوم في انجيل متى بما نصه: " لا تكون عابسين كالمرائين. فأنهم يفترون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين الحق أقول لكم أنهم استوفوا أجرهم، وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك، لكي لا تظهر للناس صائما بل لأبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يراك يجازيك علانية" (1). وفي هذا النص دلالة على عدم استحباب إظهار الصوم للناس خوفا من الرياء. والصيام عند النصارى ليس امتناعا كاملا عن الطعام و الشراب و سائر المفطرات في وقت معين كما هو الحال عند المسلمين و لكنه امتناع عن بعض الأطعمة و خاصة المنتجات الحيوانية طيلة أربعين يوما قبل عيد الفصح.

٣- الرهبنة في النصرانية:

الرهبنة عند النصارى تعني الابتعاد عن ضجيج الحياة. و الحرمان من لذيذ العيش. ة تعذيب الجسم بالجوع و العطش. و ليس خشن الثياب و التبتل الامتناع عن الزواج والعكوف على العبادة تمثلا بالمسيح الذي بذل نفسه من أجل البشر. والنصارى يصلون لهذه الرهبنة من مصادرهم الدينية. و يعدون أساس الرهبنة هو القول المنسوب للمسيح عليه السلام الوارد في انجيل متى: " لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم و يوجد خصيان خصاهم الناس و يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات. من استطاع أن يقبل فليقبل" (2).

وعندما سأل أحد الأولاد يسوع عن العمل الصالح قائلا: " أيها المعلم الصالح أي صلاح اعمل لتكون لي الحياة الأبدية فقال له: لماذا تدعوني صالحا ليس

---

(١) متى، ١٦ /٦- ١٨.

(٢) متى، ١٩ /١٢.

أحد صالحا إلا واحد هو الله" [1]. ثم ذكر له الوصايا وقال له: " إن أردت أن تكون كاملا اذهب و معك أملاكك و أعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء و تعال اتبعني" [2]. أما اللجوء إلى الجبال والبراري فمقتبسه المسيح عليه السلام فقد كان يصعد إلى الجبل حين يريد أن يصلي أو يعلم الجموع ، ومن يوحنا المعمدان الذي كان يعيش في البرية و يكرز (يبشر) فيها" [3]. وقد مرت الرهبنة في النصرانية بمراحل حيث كانت في المرحلة الأولى هروبا من الناس وبعدا عن المدن والقرى الزاخرة بالأدناس. وانطلاقا في الصحاري والبراري و التجاء إلى الكهوف بقصد محاربة الجسد و الإكثار من العبادة ة التأمل مع المحافظة على الوحدة و العزلة. ثم تطور الأمر غلى بناء الأديرة لهؤلاء الرهبان والمنقطعين عن الدنيا. وأخذت هذه الأديرة مواقعها في المناطق النائية و رؤوس الجبال. وتميزت بارتفاع أسوارها و أبوابها المحكمة و سراديبها الكثيرة. واتخذت لها أنظمة صعبة للانضمام لها لا يستطيعها إلا قلة من الناس.

لكن هذه الأديرة لم تحقق الهدف الذي وجدت من أجله وهو الانقطاع للعبادة والزهد في الدنيا ومتاعها و حرمان الجسد من شهواته. بل تحولت إلى مضارب للعشق والمجون وصارت مضرب مثل لذلك والفت كتب في فساد هذه الأديرة وقيلت فيها أشعار وقصائد غزلية تتغنى فيما هذه الأديرة من لقاءات و جلسات مع الحسان فيها.

وأهم كتاب ألف في ذلك هو كتاب الديارات للشابوشتي المتوفى سنة ٩٩٨ م وقد حققه الباحث المسيحي كوركيس عواد. ثم حصل المحقق على معلومات إضافية من البطريرك مار ارناطيوس نشرها في ذيل الكتاب. وقد تحدث المحقق في

---

(١) متى ، ١٩/١٧ .

(٢) متى ، ١٩ /١٨ – ٢٢ .

(٣) أحمد شلبي، المسيحية، ص٢٤٦ .

مقدمته عن أن الأديرة كانت مجالات للأنس و الطرب و مواطن النزهة و اللهو. و أن كل دير من الديارات كان محصينا بسور مكين شاهق يدفع عنه شر الهجمات و يكفيه غائلة المتعدين عليه. و ربما جاز لنا أن نقول أن هذه الأسوار كانت تخفي ما يدور بداخل الديارات من انحراف و أسرار(1).

وقد تحدث صاحب كتاب الديارات عن ثلاثة وخمسين ديرا أكثرها في العراق و بعضها في الشام و مصر والجزيرة وقد شملها الانحراف جميعا مما يدل على أن الانحراف كان جزءا مهما من أعمالها و أنشطتها. ويكفي أن ننقل ما ذكره صاحب الكتاب عن دير يسمى دير الثعالب حيث يقول فيه: انه لا يخلو من أهل البطالات والطرب واللذات فمواطنه أبدا معمورة وبقاعة المتنزهين مشحونة. و يروي بعض ما قيل من أشعار فيها:

دير الثعالب مألف الضلال ... و محل كل غزالة وغزال
كم ليلة أحييتها و منادمي ... فيها أبح مقطع الأوصال
سمح يجود بروحه فإذا قضى ... و مضى سمحت له وجدت بمالي
ومنعم دين ابن مريم دينه ... غنج يشوب مجونه بدلال

ثم ذكر عن دير العذارى و ما كان القس يفعله بهن. تلك هي الأديرة هنا وهناك كما تحدث عنها الشابوشتي و قد أوضحت مجلة الحياة المسيحية أن الأديرة لا تزال في العصر الحديث تمارس ما مارسته في الماضي.

والمطلع على فساد هذه الأديرة لا يستغرب ما آلت إليه لأن نظامها في الأصل يصطدم مع الفطرة، و هل يمكن أن يلتقي رجال ونساء في عزلة كهذه دون

---

(1) أحمد شلبي. المسيحية. ص٢٤٨.

أن يحصل بينهم انحراف! وعلى الرغم من كل هذا الفساد و ما صاحبه من لهو و انحراف عن الرهبنة نفسها إلا أن عددا كبيرا من الرهبان اتخذوا الرهبنة فلسفة حقيقية لحياتهم. فنقرأ عن أحدهم أنه مكث سنوات طويلة لم ير أنثى فيها قط، وحدثوا عن الراهب كاريوس أنه نام ستة أشهر في مستنقع ليقرص ذباب السم جسمه العاري و كان يحمل دائما نحو قنطار من الحديد.

وقد تعبد الراهب يوحنا ثلاث سنين قائما على رجل واحدة دائما لم ينم و لم يقصد فإذا تعب جدا أسند ظهره إلى صخرة، و بعض الرهبان لا يكتسون إنما يستترون بشعرهم الطويل و يمشون على أيديهم و أرجلهم كالأنعام و بعضهم سكنوا المغارات مع السباع والمقابر يأكلون الكلأ والحشيش. وكانوا يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح ويتأثمون من غسل الأعضاء. وأزهد الناس عندهم أكثرهم نجاسة و قذارة، وينقلون عن الراهب أنتون أنه لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمره. وكان الراهب أبراهام لا يمس وجهه و رجليه بالماء و استمر على ذلك خمسين سنة [1].

وكانت نتيجة هذه الرهبنة التي انتشرت في العصور الوسطى بشكل واسع. أن أصبح هؤلاء الرهبان يشكلون عبئا على المجتمع نفسه فلا هم استطاعوا أن ينشروا الأجواء الروحية على تلك المجتمعات يعملون وينتجون. حتى إنهم صاروا يتجولون في البلاد ويخطفون الأطفال ويهربونهم إلى الصحراء والأديرة و يربونهم تربية رهبانية. ولكن النتيجة كانت على عكس ما تهدف غليه هذه الرهبنة. " فقد زهد

---

(١) محمد عزت طهطاوي ، الميزان في مقارنة الأديان، ص٣٠١- ٣٠٢.

الناس بالبشاشة و خفة الروح والصراحة والسماحة والشجاعة و الجرأة و هجروها، وكان من أهم نتائجها أن تزلزلت الحياة المنزلية، وعم الكنـود والقسوة "[1].

وهكذا لم تستطع الرهبانية تعديل المادية الرومانية الجامحة بل أدت إلى نتائج عكسية، وفي ذلك القول يقول الأستاذ الندوي: " ولا يتوهم أحد أن هذه الرهبانية الغالية قد عدلت من شره المادية الرومية و كبحت من جماحها و غلوائها في البهيمية و الشهوات، فإن لم يكن و لا يكون في الغالب و تأباه الفطرة الإنسانية و يكذبه التاريخ، فإن الذي يوجد الاعتدال و يخفض من المادية الجامحة و يجعل منها حياة معتدلة هو النظام الروحي الديني الخلقي الحكيم الذي يوافق الفطرة الإنسانية السليمة. والذي لا يتعدى لأنه يزيل الفطرة الإنسانية بل يوجهها توجيها نافعا" [2].

المطلب الثالث
موقف الإسلام من الرهبنة

حين أشار القرآن الكريم إلى نظام الرهبنة عند النصارى أشار إليه في معرض الذم لا المدح و قد ورد ذلك في موضع واحد من القرآن الكريم في قوله تعالى: {ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ } [3].

---

(1) أبو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ٢٤١

(2) أبو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ٢٤٢ .

(3) سورة الحديد ، آية: ٢٧

لقد بينت الآية الكريمة أن الرهبانية من ابتداع النصارى ما كتبها الله عليهم و لا شرعها لهم وإنما التزموها من تلقاء أنفسهم قاصدين رضوان الله بزعمهم فما رعوها حق رعايتها. وقال ابن كثير: وهذا ذم لهم من وجهين أحدهما الابتداع في دين الله مما لم يأمر به الله. والثاني في عدم قيامهم بما التزموا به مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله تعالى " [1].

ويقول المرحوم سيد قطب الراجح في تفسير هذه الآية أن هذه الرهبانية التي عرفتها المسيحية كانت اختيارا من بعض أتباع المسيح عليه السلام. ابتدعوها من عند أنفسهم ابتغاء رضوان الله وابتعادا عن أوضاع الحياة ولم يكتبها الله عليهم ابتداء ولكنهم حين اختاروها وأوجبوها على أنفسهم صاروا مرتبطين أمام الله بأن يرعوا حقوقها ويحافظوا على مقتضياتها من تطهر وترفع وقناعة وعفة وذكر وعبادة. مما يحقق التجرد لله التي قصدوا إليها بهذه الرهبانية التي ابتدعوها. ولكنها انتهت إلى أن تصبح في الغالب شعائر وطقوسا خالية من الروح. وأن يتخذها الكثيرون مظهرا عاريا من الحقيقة فلا يصبر على تكاليفها إلا عدد قليل منهم فما رعوها حق رعايتها" [2].

وجاءت شريعة الإسلام تحمل في تكاليفها خصيصة اليسر ورفع الحرج وإزالة العنت و وصفت نبيها في الكتب السابقة التي بشرت به بأنه جاء ليضع عن البشرية التي أرسل إليها كل القيود والأغلال، قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٣١٥

(٢) سيد قطب. في ظلال القرآن. ج٤. ص ٣٤٩٦.

إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [1].

فكل تلك القيود و التكاليف التي تسبب الحرج والمشقة مما ابتدعته الديانات السابقة أو مما فرضه الله تعالى عليهم عقوبة لهم, جاء ﷺ وهو رسول الإنسانية كلها ليقيم شريعته على أساس اليسر و رفع الحرج بعيدا عن كل هذه الأغلال. والقرآن الكريم يذكر دائما بهذه الحقيقة عند تكاليفه لعباده فيقول سبحانه في ختام آية الطهارة: {مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[2].

ويقول في بيانه لرسالة هذه الأمة: { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ}[3]. وفي ختام آية الصوم يقول سبحانه: {يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[4]. ومن أقواله ﷺ: " إن الدين يسر ولن يشاد الدين احد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا " [5]. وإذا كانت وجهة الإسلام هي التبشير فكل مسلم يبغي التشديد و التعنت إنما يعاند روح الإسلام، ولهذا وقف رسول الله ﷺ في وجه المتعنتين والمتشددين و اخبر بمهلكتهم ومالهم وقال: " هلك المتنطعون" (قالها ثلاثا)[6]. ولم يكرر الكلمة ثلاثا إلا لعظم مضمونها.

---

(١) سورة الأعراف, آية: ١٥٧ .

(٢) سورة المائدة, آية: ٦ .

(٣) سورة الحج, آية: ٧٨ .

(٤) سورة البقرة, آية: ١٨٥ .

(٥) رواه مسلم ، كتاب العلم ، ٢٦٧٠ .

(٦) يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، ص١٨٩.

الفصل الثالث
اليوم الآخر في العقيدة النصرانية

الفصل الثالث
اليوم الآخر في العقيدة النصرانية

المبحث الأول
عقيدة البعث واليوم الآخر

المطلب الأول
نظرة في عقيدة اليوم الآخر عند النصارى

الناظر في عقائد وشرائع الديانة النصرانية يجدها أكثر وضوحًا وتحديدًا من الديانة اليهودية فيما يتعلق بقضية اليوم الآخر والبعث والجزاء والعقاب، والسبب في ذلك أن عيسى عليه السلام لما بعث ورأى انغماس اليهود في الملذات الدنيوية وتركيزهم على المادة والظواهر المادية وإهمالهم لليوم الآخر، دعاهم إلى نبذ تلك الأمور وتخفيفها، ولتقوية الجانب الروحي وتربية النفوس على الزهد، تذكرها باليوم الآخر(١).

وعلاوة على ذلك فإن الديانة النصرانية وأتباعها يعتبرون الإيمان باليوم الآخر ركنًا من أركان الدين، حتى جاء فيما يسمى بقانون الإيمان ما نصه: "من أجل خلاصنا نزل من السماء وتسجد من روح القدس ومن مريم البتول وصار إنسانًا، وأخذ وصلب وقتل أمام بيلاطس ومات ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو

---

(١) عقيدة البعث وكيف تناولها القرآن، رسالة ماجستير، ص ٢٤. سويلم عقاب، عقيدة البعث الآخر، رسالة ماجستير، ص ٦٦.

مكتوب، وصعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء".[1]

فعقيدة البعث واليوم الآخر واضحة جلية عند النصارى ولذلك فإن معجزات عيسى عليه السلام كانت تلائم أهل زمانه لأنه كانت تسود عندهم فكرة إنكار الروح ، فكان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص كما أخبرنا بذلك ربنا في كتابه: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2].

ويؤكد فكرة إنكار الروح محمد أبو زهرة ، حيث يقول: " وفي الحق أن الذي نراه تعليلاً مستقيمًا بكون معجزات السيد المسيح عليه السلام جاءت على ذلك النحو هو مناسبة ذلك النوع لأهل زمانه لا لأنهم أطباء فناسبهم أن تكون المعجزات مما يتصل بالشفاء والأدواء بل لأن أهل زمانه كان قد سادهم إنكار الروح في أقوال بعضهم وأفعال جميعهم.

فجاء عليه السلام بمعجزات هي في ذاتها أمر خارق للعادة مصدق لما يأتي به الرسول، وهي في الوقت ذاته إعلان صادق للروح وبرهان قاطع على وجودها، وهذا طين مصور على شكل طير ثم ينفخ فيه فيكون حيًا، وهذا ميت قد أكله البلى وأخذت أشلاؤه في التحلل وأوشكت أن تصير رميمًا يناديه المسيح عليه السلام فإذا

---

[1] عبد الحميد عرفان، المسيحية، ص١٥، والأب سليم بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، ص ٢٢٩.

[2] سورة آل عمران، آية: ٤٩.

هو حي يجيب نداء من ناداه. وما ذلك إلا لأن روحًا غير الجسم الذي غيره البلى حلت فيه بذلك النداء، ففاضت عليه بالحياة.. إلى أن قال وهكذا كانت معجزاته من جنس دعايته وتناسب أخص رسالته وهي الدعوة إلى تربية الروح، والإيمان بالبعث والنشور وأن هناك حياة أخرى يجازى المحسن فيها بإحسانه إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر"(1)

المطلب الثاني
اليوم الآخر في العهد الجديد

العهد الجديد هو كتاب مقدس عند النصارى، وسمي بالعهد الجديد للتفرقة بينه وبين العهد القديم عند اليهود. وقد اختلف العلماء في عدد أسفار العهد الجديد، فالأغلبية على أنه مؤلف من (٢٧) (سبعة وعشرين سفرًا)، وبعضهم يضيف إلى هذه الأسفار أسفار أخرى ورسائل أخرى مثل الرسائل الكاثوليكية وأسفار الكنيسة الحبشية الثمانية المضافة إلى تلك سبعة وعشرين سفرًا.

فالاختلاف في عدد الأسفار وترتيبها حسب زمانها ومكانها، يعرض العهد الجديد للشك والريب في قداسته. والأناجيل المعترف فيها عند النصارى أربعة: (انجيل متى ولوقا ويوحنا ومرقص)، والمطلع على محتويات الأناجيل يجد فيها إشارات واضحة إلى اليوم الآخر والبعث والقيامة والجنة والنار والحساب، وفيما يلي بيان ذلك:

أولا : ما ورد في إنجيل متى بشأن البعث واليوم الآخر :

أشارت الأناجيل الأربعة إلى موضوع اليوم الآخر والبعث، ولكن بصورة موجزة غير مفصلة ونجدها أكثر وضوحًا في هذه الموضوع من التوراة. فقد ورد في إنجيل متى

---

(1) محمد أبو زهرة، النصرانية ص ٢١.

ما نصه : "ولكن أقول لكم إن كل كلمة باطلة يتكلم بها الناس يعطون عنها جوابًا يوم الدين. لأنك من كلامك تتبرأ ومن كلامك يحكم عليك[1]".

" الويل للعالم من الشكوك فإنها لابد أن تقع الشكوك ولكن الويل لذلك الإنسان الذي تقع الشكوك في يده. إن شككتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك فخير لك أن تدخل الحياة وأنت أقطع أو أعرج من أن تكون لك يدان أو رجلان وتلقى في النار الأبدية. وإن شككتك عينك فاقعلها وألقها عنك فخير لك أن تدخل في الحياة وأنت أعور من أن يكون لك عينان وتلقى في نار جهنم". "وإذا برجل دنا إليه وقال له أيها المعلم الصالح ماذا أعمل من الصلاح لأرث الحياة الأبدية. فقال له لماذا تسألني في الصلاح إنما الصالح واحد وهو الله. ولكن إن كنت تريد أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا"[2] "ومتى جاء ابن البشر في مجده وجميع الملائكة معه فحينئذ يجلس على عرش مجده. تجمع لديه كل الأمم فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء. ويقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره. حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم "[3]

وجاء فيه أيضا "ومن قال كلمة على ابن البشر يغفر له وأما من قال على الروح القدس فلا يغفر له لا في هذا الدهر ولا في الآتي "[4].فهذه النصوص تبين أن للإنسان حياة أخرى تنتظره، بل إنها مهيأة له ومعدة منذ لحظة إنشاء العالم أي أنها مخلوقة منذ لحظات الخلق الأولى.

---

[1] إنجيل متى، ١٢ / ٣٧.

[2] إنجيل متى، ١٩ / ١٦ ، ١٧.

[3] إنجيل متى، ١٩ / ١٦ ، ١٧.

[4] نفس المرجع ، ١٢ / ٣٢.

ثانيا : ما جاء في إنجيل مرقس ولوقا

أما في إنجيل مرقس فقد جاء فيه ما يلي: " فإن شككتك رجلك فاقطعها فخير لك أن تدخل الحياة وأنت أعرج من أن يكون لك رجلان وتلقى في جهنم في نار لا تطفأ. حيث لا يموت دودهم ولا تطفأ النار"[1].وجاء فيه أيضا "والحق أقول لكم إن جميع الخطايا والتجاديف التي يجدف بها بنو البشر تغفر لهم. وأما من جدف على الروح القدس فلا مغفرة له إلى الأبد. ولكنه مجرم بخطيئة أبدية "[2] وأما إنجيل لوقا فقد جاء فيه: " وقال للذي دعاه إذا صنعت غداء أو عشاء فلا تدع أحباءك ولا إخوانك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء لئلا يدعوك هم أيضًا فتكون لك منهم المكافأة. وجاء فيه أيضا ٢٢/٢٩- ٣٠: " فأنا أعد لكم الملكوت كما أعده لي أبي. لتأكلوا وتشربوا على مائدتي صنعت مأدبة فادع المساكين والجدع والعرج والعميان. فتكون مباركًا إذ ليس لهم ما يكافئونك به فتكون مكافاتك في قيامة الصديقين، في ملوكتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر، وسأله رئيس قائلاً أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ".

ثالثا : ما جاء في إنجيل يوحنا

وأما انجيل يوحنا فقد ورد فيه ما يلي: " فصاح يسوع وقال من آمن بي فليس بي يؤمن بل بالذي أرسلني ومن رآني فقد رأى الذي أرسلني. أنا النور قد أتيت إلى العالم. حتى إن كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلام. وإن كان أحد يسمع أقوالي ولا يحفظها فأنا لا أدينه لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم. من رذلني ولم يقبل أقوالي فإن له من يدينه الكلمة التي نطقت بها هي تدينه في اليوم

---

[1] مرقص، ٩/٤٤- ٤٥ .

[2] نفس المرجع، ٣/٢٨- ٢٩، ١٠/١٧- ٣١

الآخر. لأني لم أتكلم من نفسي لكن الأب الذي أرسلني هو أعطاني الوصية بما أقول وبما أنطق وأعلم أن وصيته هي حياة أبدية والذي أتكلم به فكما قاله لي الأب هكذا أتكلم به"(1)

وجاء فيه أيضا: " وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن البشر. لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون الحياة الأبدية "(2). وتخبرنا الأناجيل أن البعث يكون جسديًا وروحيًا، ودليل ذلك ما ورد في إنجيل لوقا: " لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباب إسرائيل الإثني عشر"(3)ومن المعلوم أن الأكل والشرب نعيم جسدي، وتلذذ روحي ثانيًا. وهذا حجة على ألئك الذين يقولون بالبعث الروحاني فقط من النصارى، وكما هو معلوم فان الأكل والشرب لا يقع على الروح فقط، بل على الروح والجسد معًا. وهذا ما قاله الشهرستاني في كتابه " الملل والنحل " " إن في النصارى من قال بحشر الأرواح دون الأبدان، وقال: إن عاقبة الأشرار في القيامة غم وحزن الجهل، وعاقبة الأخيار سرور وفرح العلم. وأنكروا أن يكون في الجنة نكاح وأكل وشرب"(4)

ويؤكد صاحب كتاب " مقامع الصلبان " ما ذكر الشهرستاني حول إنكار النصارى للنعيم الجسماني، حيث يقول في كتابه بعدما استلم رسالة من أحد القساوسة: "وأنتم تقولون أن في الجنة أكلاً وشربًا ونكاحًا، وجميع ذلك مذكور في الكتاب الذي جاء به صاحب شريعتكم، ونحن ننكر جميع ذلك، ولا يمكن بوجه

---

(1) انجيل يوحنا، ١٢/٤٤- ٥٠.

(2) يوحنا، ٣/١٤- ١٥، ٥/٢٩- ٣٠.

(3) لوقا/٢٢- ٣٠

(4) الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص ٦٤.

من الوجوه عندنا، وذلك أننا إذا حشرنا يوم القيامة حشرنا بأجسادنا ونفوسنا ولكن لا نأكل ولا نشرب"[1]. ويقول الفيلسوف اليهودي ابن كمونة: "وكل النصارى يؤمنون ببعث الأجساد وبالثواب في الجنة ويعبرون عنها بالفردوس والعقاب في جهنم، إلا أنهم لا يقولون إلا بالثواب والعقاب الروحانيين دون الجسمانيين، وقالوا إن الصالحين يصيرون في ملكوت السماء كالملائكة أو في ملكوت الله ويعتقدون بقاء الأنفس الإنسانية بعد خراب الأجساد بالموت"[2].

ويقول الفيلسوف ابن سينا: "وأما الذي عند النصارى من أمر بعث الأبدان، ثم خلوها في الدار الآخرة، عن المطعم، والملبس، والمنكح، فهو أرك ما تذهب إليه الأوهام، في أمر المعاد، وذلك أنه إن كان السبب في البعث هو أن الإنسان هو البدن، أو أن البدن شريك للنفس في الأعمال الحسنة والسيئة فينبغي أن يبعث، وهذا القول بعينه، إن أوجب ذلك فإنه يوجب أن يثاب البدن ويعاقب بالثواب والعقاب البدني المفهوم عند العالم. وإن كان الثواب والعقاب روحانيًا، فما الغرض في بعث الجسد؟ ثم ما ذاك الثواب الرواحاني، والعقاب الروحاني؟!"[3].

ويمكننا أن نقول إن الرأي الراجح عند النصارى هو القول بالبعث الروحاني والجسدي، ويؤكد هذا ما أورده الشهرستاني في موضع آخر أن مجموعة من البطارقة والأساقفة اجتمعوا في قسطنطينية وأصدروا قراراً ينص على قيامة الأبدان حيث قالوا: "ونؤمن.. بقيام أبداننا والحياة الدائمة أبد الآبدين"[4]

---

[1] أبو عبيدة الخزرجي، مقامع الصلبان، ص٣٨.

[2] بن كمونة، وسعيد بن منصور، تنقيح الملل اليهودية والمسيحية والإسلام، ص٥٣.

[3] ابن سينا، رسالة اضحوية في أمر المعاد، تحقيق سليمان دنيا، ص٦١.

[4] الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص ٦٤.

وتخبرنا الأناجيل كذلك أن سيدنا عيسى عليه السلام سيتولى حساب الناس يوم القيامة ودليل ذلك ما ورد في إنجيل متى: "وجاء ابن البشر في مجه وجميع الملائكة معه فحينئذ يجلس على عرش مجده. وتجمع لديه كل الأمم فيميز بعضه من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء. ويقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره. حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي ابن رثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم .. حينئذ يقول أيضًا للذين عن يساره اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته "[1]. ويعتقد النصارى أن المسيح عليه السلام سيقوم بمحاسبة الناس يوم القيامة لان الأب أعطاه سلطة الحساب لأن الابن بالإضافة إلى ألوهيته وأبديته ابن الله ولذلك هو أولى بمحاسبة الناس[2]. ويرى الدكتور أحمد شلبي وهو يقوم بمقارنة بين البوذية والمسيحية أن النصارى في هذا الاعتقاد تأثروا بالديانات الوثنية القديمة حيث يقول: "وسبوكل حساب الناس إلى بوذا بعد البعث ، في حياة عيسى عليه السلام سيوكل إليه أن يحاسب الناس في الدار الآخرة"[3]

وتخبرنا نصوص الأناجيل كذلك بأن الجنة والنار مخلوقتان معدتان منذ بداية الخليقة كما مر في إنجيل متى "حينئذ يقول الملك للذين عن يمنه تعالوا يا مباركي ابن رثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم[4] ، ويقول لأصحاب اليسار "اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته"[5]

---

(1) إنجيل متى ، ٢٥ / ٣٩- ٤١.

(2) راشد عبد الله، الفرحان ،الأديان المعاصرة، ص ٣٢، وعلي عبدا لواحد وافي،الأسفار المقدسة، ص ٩١ – ٩٢.

(3) رؤوف شلبي ، المسيحية ، ص ١٨٣.

(4) إنجيل متى ، ٢٥ / ٣٤.

(5) إنجيل متى ، ٢٥ / ٤١.

وخلاصة القول فيمكننا القول بأن عقيدة البعث واليوم الآخر والجزاء والعقاب والحساب والحشر والجنة والنار واضحة في الديانة النصرانية كما هو واضح في الأناجيل. وأن الدينونة ستكون حسب أعمال الإنسان، إن عمل خيرًا فله حياة أبدية يعني يدخل الجنة وإن عمل شرًا فإنه يدخل في النار. كما وتخبرنا الأناجيل بأنه من الصعب على الغني الدخول في ملكوت الله لأن الغني يبعد الإنسان عن التفكير في الحياة الآخرة ويمنعه من الزهد في الدنيا، وهو يقول: إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من يدخل الغني في ملكوت الله.

المبحث الثاني
المفاهيم المتعلقة بالبعث واليوم الآخر في الديانة النصرانية

المطلب الأول
ملكوت السموات في العهد الجديد وعلاقته باليوم الآخر

وردت كلمة "ملكوت السموات" في أكثر من موضع وذلك أوصاف ملكوت السماوات، فإن هذه الكلمة لها علاقة وطيدة باليوم الآخر، وإليك بعض النصوص التي ذكرت فيها هذه الكلمة. وورد على لسان سيدنا عيسى عليه السلام: "طوبى للمساكين بالروح فإن لهم ملكوت السماوات. طوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض. طوبى للحزان فإنهم يعزون. طوبى للجياع والعطاس إلى البر فإنهم يشبعون. طوبى للرحماء فإنهم يرحمون. طوبى لأتقياء القلوب فإنهم يعاينون الله.

طوبى لفاعلي السلامة فإنهم أبناء الله يدعون. طوبى للمضطهدين من اجل البر فإن لهم ملكوت السماوات"[1]

ويصف سيدنا عيسى عليه السلام ملكوت السماوات بقوله : "وضرب لهم مثلاً آخر قائلاً : يشبه ملكوت السماوات رجلاً زرع زرعًا جيدًا في حقله. وفيما الناس نائمون جاء عدوه وزرع في وسط القمح زؤانًا ومضى. فلما نمى النبت وأخرج ثمرًا حينئذ ظهر الزؤان. فجاء عبيد رب البيت وقال له سيد ألم تكن زرعت في حقلك زرعًا جيدًا فمن أين الزؤان ، فقال لهم إن رجلاً عدوًا فعل هذا فقال له عبيده أتريد أن نذهب ونجمعه ، فقال لهم لا لئلا تقلعوا أوان الحصاد ، أقول للحاصدين اجمعوا أولاً الزؤان وربطوه حزمًا ليحرق وأما القمح فاجمعوه إلى أهراني"[2]ويقول عبد الكريم زيدان : " في هذا المثل يشرح السيد المسيح قضية الحياة الإنسانية ، وما وراء هذه الحياة ، وما يلقى الأخيار والأشرار من جزاء في الدار الآخرة"[3]ولقد طلب تلاميذ عيسى عليه السلام أن يفسر لهم مثل زؤان الحقل ، فقال : "فسر لنا مثل زؤان الحقل. فأجاب وقال لهم الذي زرع الزرع الجيد هو ابن البشر. والحقل هو العالم. والزرع الجيد هو بنو الملكوت. والزؤان هو بنو الشرير، والعدو الذي زرعه هو إبليس. والحصاد هو منتهى الدهر. والحاصدون هم الملائكة. وكما أن الزؤان يجمع ويحرق بالنار هكذا يكون في منتهى الدهر. يرسل ابن البشر ملائكته فيجمعون من مملكته كل الشوك وفاعلي الإثم ويلقونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصريخ الإنسان. حينئذ يضيء الصديقون مثل الشمس في

---

(١) إنجيل متى ، ٥ / ٣- ١٠.

(٢) نفس المرجع ، ١٣ / ٢٤- ٣٠.

(٣) عبدالكريم الخطيب ، الله والإنسان ، ص ٢٥٨.

ملكوت أبيهم. من له أذنان سامعتان فليسمع"[1] فملكوت السماوات هو عبارة عن الجزاء الذي وعد به سيدنا عيسى عليه السلام الصالحين من الناس والذي قدم صلاحه روحه على مطالب جسده يستحق الدخول فيه"[2].

وخلاصة القول فإن ملكوت السموات وردت في مواضع كثيرة والمقصود به الجزاء الموعود به الصالحين، فإن هذا الجزاء يكون في العالم الآخر. وبناء على هذا فإن ملكوت المسوات له علاقة وطيدة بالبعث والقيامة والجزاء والعقاب أو كما يقول عبد الكريم الخطيب: "بمثل هذه الأمثال – يعني النصوص التي تتكلم عن ملكوت السموات وأوصافه – شرح السيد المسيح قضية البعث، لم يقل إنه بعث للجسد والروح معًا، أو للروح دون الجسد وإنما الذي أراد أن يؤكده في دعوته هو أن هناك بعثًا ،وأن هناك حياة أخرى ، وأن في تلك الحياة يلقى الناس جزاء أعمالهم فينعم الأخيار ، ويعذب الأشرار "هناك يكون بكاء الإنسان ..". إذن سيبعث الإنسان، وفيه إحساس وشعور، وماذا يكون الإنسان بغير الإحساس والشعور؟!"[3]

المطلب الثاني
مفهوم الموت عند النصارى

الموت عند النصارى مرتبط بالخطيئة أو المعصية أي هو نتيجة الخطيئة أو المعصية[4] وورد في رسالة بولس إلى أهل رومية: "من أجل ذلك كأنما الإنسان واحد

(1) إنجيل متى، ١٣ / ٣٦ – ٤٣.

(2) عبدا لكريم الخطيب، الله والإنسان، ، ص ٢٥٦.

(3) نفس المرجع، ص ٢٦.

(4) حسين العودات، الموت في الديانات الشرقية، ص ١٠٧.

دخلت الخطيئة إلى العالم. وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذا أخطأ الجميع"[1] وينقسم الموت عند النصارى إلى أنوع عديدة :

١. الموت الطبيعي (البيولوجي) وهو عبارة عن نهاية الحياة الجسدية[2].

٢. الموت المعنوي وهو عبارة عن خروج من دائرة الإيمان المسيحي فإذا خرجت النفوس من هذه الدائرة فإنها تكون هالكة وضالة وخاطئة والنفوس الهالكة والضالة والخاطئة تعتبر نفوسًا ميتة[3]

وجاء في رسالة يعقوب: " فليعلم أن من رد خاطئًا عن ضلالة طريقه يخلص نفسًا من الموت ويستر كثرة من الخطايا"[4] ورد في رسالة بولس إلى أهل أفسس : "وأنتم إذ كنتم أمواتًا بالذنوب والخطايا"[5].

وهناك الموت الصوفي وهو عبارة عن "المشاركة في الحياة الإلهية التي تجري بالفعل، خلال هذه الوجود الأرضي على الرغم من الموت الطبيعي وهي تحقيق الله في الإنسان ، والوصول إلى الخلود"[6].

وهذا ما يطابق القول بوحدة الوجود عند بعض المتصوفة المسلمين والذي يبدو أنهم إنما تأثروا في ذلك بالبرهمية والبوذية والفكر اليوناني القديم[7]. ويقول صاحب كتاب رد على اليهودية واليهودية المسيحية : " فمتى حقق الإنسان الله فيه لن

---

[1] رسالة بولس إلى أهل رومية، ٥ / ١٢.
[2] حسين العودات، مرجع سابق، ص ١٠٨.
[3] نفس المرجع، ، ص ١٠٨ ، ١٠٩.
[4] رسالة يعقوب، ٥ / ٢٠.
[5] رسالة بولس إلى أهل أفسس، ٢ /١.
[6] حسين العودات، مرجع سابق، ص ١٠٩.
[7] معن زياد، الموسوعة الفلسفية العربية، ج١، ص ١٥١٧.

يموت لأن الله المتحقق لا يموت "[1]. ويقول القديس بولس: " بموتكم تتوحد حيواتكم مع المسيح في الرب ". ويرى جاك شورون أن الموت الصوفي هو عبارة عن "انتصار على الموت العضوي وما البعث إلا مرحلة أخرى في هذا الموت الصوفي الذي هو في الوقت ذاته حياة خالدة"[2]

ويقول جان دانيال في الحوار الذي تم بينه وبين عالم مسلم وعالم يهودي: "معنى الموت والحياة عندنا، ليس هو المعنى المتعارف بيننا اليوم، فالعهد الجديد يعني بالموت، حالة الإنسان المنبوذ لاذي تخلت عنه العناية الإلهية فبقي لبؤسه وشقائهن وهذا هو موت الروح المحروم من رحمة السماء، ومن القوة الإلهية، التي تقوي كيانه.

ويعني بالحياة: حالة الإنسان إذ تحف به العناية الإلهية وتمده بالقوة وبهذا الاعتبار لم يبق هناك فرق بين هذه الحياة وبين الحياة الأخرى، فكلتاهما موت بالنسبة لمن تخلى عنه الإله في الدنيا، ففارقه بعدها، وتركه في الموت محبوسًا، ولكن الأملَ في إمكان الخروج من هذه الحياة مع التخلص من قبضة الموت والتحرز من سجنه لا يتأتى بمجهودنا الشخصي، بل بفعل الخالق الذي ينزل إلى عالم الأموات".[3]

وخلاصة القول فإن موت الجسد يعني خروج الروح منه، أما موت الروح فيعني سلب الرحمة الإلهية أو طرد الإنسان من الرحمة الإلهية التي تجعله فوق الكائن الطبيعي. وليس الموت مفارقة الروح للجسد: بل الموت أن يكون هناك الفراق

---

(1) ندوة اليازجي ، ص ٥٣٨.

(2) حسين العودات ، الموت في الديانات الشرقية، ص ١٠٩.

(3) التهامي نفرة ، عقيدة البعث في الإسلام، ص٣٥ .

بين الإنسان والرب ، وذلك الفراق يكمن في تركه واعتماده على جزاء ما ارتكب من الأعمال السيئة وما اقترف من آثام وذنوب[1]

المطلب الثالث
مآل الروح بعد الموت
في عقيدة النصارى

يعتقد النصارى أن أرواح المؤمنين بعد مفارقتها الجسد تتمتع بالسعادة والبهجة في الفردوس مع المسيح ، منتظرة القيامة والحياة الأبدية ، أما أرواح الأشرار فإنها تتلقى أمواجًا من العذاب في مكان ما منتظرة القيامة والبعث والهلاك وما إلى ذلك.[2] ويستدلون على ذلك بما ورد في إنجيل لوقا ما نصه : "فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس"[3] ، والرسول بولس يقول : " لأني محصور بين الاثنين إذ لي رغبة في أن أنحل فأكون مع المسيح وذلك افضل بكثير"[4]. وورد في إنجيل يوحنا ما نصه : "الحق الحق أقول لكم إنها تأتي ساعة وهي الآن حاضرة يسمع فيها الأموات صوت ابن الله والذي يسمعون يحيون. لأنه كما أن الأب له الحياة في ذاته كذلك أعطى الابن أن تكون له الحياة في ذاته. وأعطاه سلطانًا أن يجري الحكم بما انه ابن البشر. ولا تتعجبوا من هذا لأنها تأتي ساعته يسمع فيها جميع من في القبور صوت ابن الله. فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة"[5] فهذه النصوص وأمثالها تشير إلى أن

---

(1) نفس المرجع ، ص٣٦ .

(2) محمد يسر ، نزول المسيح ص٣١.

(3) إنجيل لوقا، ٢٣ / ٤٣.

(4) رسالة القديس إلى أهل فليبي، ١ / ٢٣.

(5) إنجيل يوحنا، ٥ / ٢٥ – ٢٩.

الأرواح الصالحة تستحق سعادة دائمة وأن الأرواح الطالحة تستحق عذابًا دائمًا إلى يوم القيامة. ويزعم البابويون الكاثوليكيون أن الأرواح بعد مفارقتها الجسد وموته تذهب إلى أماكن معينة والكنيسة الغربية جعلت لكل نوع من الأرواح مكانًا معينًا تذهب إليه. وهذه الأماكن هي [1].

أولا : مكان مخصص لأرواح الأنبياء وهذه الأرواح أو النفوس ذهبت إلى ذلك المكان قبل مجيء المسيح ولما جاء المسيح وأدى رسالته ومن ثم صلب (حسب زعمهم) نزل إلى ذلك المكان الذي نزلت فيه أرواح الأنبياء وأخذهم إلى السماء.

ثانيًا : مكان مخصص للأطفال غير المعمدين ، حيث يذهبون إليه ويبقون هناك أبد الآبدين.

ثالثًا : المطهر وهو مكان عذاب والعذاب يكون بنار مادية والغرض من ذلك المكان هو التطهير والتكفير عن الذنوب. وفي هذا المكان تتعذب الروح حتى يتم تطهيرها والتعذيب يكون شديدًا ولكن يمكن تخفيفه بواسطة صلوات القديسين ، وكذلك رؤساء الكنيسة البابوية ولاسيما البابا نفسه لهم قدرة وسلطة على رفع العذاب عن الروح أو النفس في المطهر.

ويقول صاحب كتاب "علم اللاهوت " : "وهذا التعليم داخل في كل النظام البابوي ومتأصل فيه لأن اعتقادهم أن المسيح هو ينقذنا من الخطيئة الأصلية وخطر الموت الأبدي بواسطة المعمودية إذ لم يخطئ بعد ممارستها ولكن التخلص من الخطايا المرتكبة بعد المعمودية لا يمكن إلا بحل الكاهن عند الاعتراف (الذي به الخلاص من القصاص الأبدي) وإيفاء الخاطئ القانون لأجل رفع القصاص الزمني ، إما في هذه

---

[1] القس مقار، عالم اللاهوت، ص ١١٧٣ – ١١٧٥، والقس إلياس، إيماني، ص ٥٦١، ٥٦٢، وفارس فايز، حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، ص ٢٦٢، ٢٦٣.

الحياة بواسطة سر التوبة أو بعد الموت بعذاب المطهر"[1]ومن الجدير بالذكر أن أذكر ما ذكره الأب سليم بسترس البولسي في كتابه (اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر) "أن اللاهوت الشرقي يرفض فكرة اللاهوت الغربي التي ترى في نار المطهر قصاصًا أو جزاءً لما اقترف الإنسان من خطايا"[2]

رابعًا: جهنم وهو مكان مخصص لتعذيب الملائكة الساقطين والبشر غير الصالحين. وكذلك يذهب إلى هذا المكان كل من مات خارج عن كنف الكنيسة الكاثوليكية ، وكذلك غير المعمدين من البالغين وكل من يرتكب خطيئة مميتة وكل من يموت بدون صك الغفران على يد الكاهن. ونلحظ هنا أن هذا القول مما يخالف الاعتقاد بأن الملائكة يعصمون عن الخطأ بعصمة الله لهم، يقول تعالى : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[3]

خامسًا: السماء وهو مكان مخصص للأبرار والصالحين والقديسين والملائكة الأبرار المطهرين. وفي هذا المكان يكونون والمسيح جالس على عرشه ولا يدخل السماء قبل القيامة إلا المطهرون تمامًا عند الموت أو الذي طهر في المطهر بعد الموت.

المطلب الرابع
مفهوم القيامة وأنواعها
في الديانة النصرانية

يعتقد النصارى بأن وقت القيامة لا يعرفه أحد ويستدلون على ذلك بما ورد في إنجيل متى: "فأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمها أحد ولا ملائكة السماوات

---

[1] القس مقار، علم اللاهوت، ص ١١٧٤ ، ١١٧٥.
[2] الأب سليم بسترس البولسي، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، ص ٣٤٧.
[3] سورة التحريم، آية : ٦.

إلا الأب وحده"[1].ومن خلال مطالعة الأناجيل نجد صورة واضحة ليوم القيامة ورغم هذا يفهم من بعض النصوص "أن لكل إنسان قيامته وان موته يعني انتقاله إلى موقف الجزاء مباشرة، فإما أن يصار به إلى ملكوت الله، وإما أن يلقى خارج الملكوت"[2].

يخبرنا الكتاب المقدس بأن جميع البشر سيقومون من القبور عند المجيء الثاني ، وتلك القيامة تكون "إما للمجد أو للهوان. أما الذين ماتوا برجاء الخلاص بالمسيح فتشترك أجسادهم في الفداء المجيد بواسطة القيامة وأما الذين ماتوا في خطاياهم تحت حكم الموت الأبدي فتشترك أجسادهم أيضًا في هذا النصيب الهائل. فالقيامة إما للحياة وإما للدينونة ، أما الذين يكنون أحياء عند مجيء المسيح فستتغير أجسادهم إلى أشباح روحية بلا موت ولا قيامة"[3].واستدلوا على هذا الاعتقاد بما ورد في إنجيل يوحنا : "ولا تتعجبوا من هذا لأنها تأتي ساعة يسمع فيها جميع من في القبور صوت ابن الله. فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة"[4]أما مشهد القيامة فقد تم وصفه من قبل سيدنا عيسى عليه السلام، حيث يقول : "وعلى إثر ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه والكواكب تتساقط من السماء وقوات السماء تتزعزع. وحينئذ تظهر علامة ابن البشر في السماء وتنوح حينئذ جميع قبائل الأرض ويرون ابن البشر آتيًا

---

(1) إنجيل متى، ٢٤ / ٢٦.

(2) عبد الكريم الخطيب، الله والإنسان، ص ٢٦٠.

(3) القس مقار، علم اللاهوت، ص ١١٩٧.

(4) إنجيل يوحنا، ٥ / ٢٨ - ٢٩. وانظر أعمال الرسل، ٢٤ / ١٥.ورسالة بولس الأولى إلى أهل كونثوس، ١٥: ١٣، ٥٢، ٣: ٢١.ورسالة القديس بولس الأول إلى أهل تسالونيكي، ١٤: ٤- ١٦.

على سحاب السماء بقوة وجلال عظيمين ويرسل ملائكته ببوق وصوت عظيم فيجمعون مختاريه من الرياح الأربع من أقاصي السماوات إلى أقاصيها ومن التينة تعلموا المثل فإنها إذا لانت أغصانها وأخرجت أوراقها علمتم أن الصيف قد دنا. كذلك أنتم إذا رأيتم هذا كله فاعلموا انه قريب على الأبواب". الحق أقول لكم إنه لا يزول هذا الجيل حتى يكون هذا كله. السماء والأرض تزولان وكلامي لا يزول. وكما كانت أيام النوح كذلك يكون مجيء ابن البشر. لأنه كما كانوا قبل أيام الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون إلى يوم دخل نوح التابوت. ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وذهب بالجميع كذلك يكون مجيء ابن البشر"(1)وأما أنواع القيامة فهي(2):

١ - القيامة الأولى : "القيامة الخاصة" — المجيء الأول.

٢- القيامة الثانية : "القيامة العامة" — المجيء الثاني. وقبل إمعان النظر في القيامتين لابد أن نتطرق إلى ما يسمى بنظرية المجيء قبل الألف سنة وبعد الألف سنة.

نظرية المجيء قبل الألف سنة :

يرى القس إلياس مقار أن نظرية المجيء قبل الألف سنة تسربت إلى نفوس المسيحيين عن طريق المسيحيين المتهودين الذين حملوا معهم إلى المسيحية فكرة ملكوت السموات، ولكن لم يكن هذا دافعًا وحيدًا، بل كان هناك دافع آخر وهو القهر والاضطهاد الشديدين في القرون الثلاثة الأولى للمسيحية.....

وأغلب الظن أن هناك دافعين حديثين دفعا هذه الكنائس والمذاهب إلى ذلك، أولهما بطء تقدم الإنجيل في اكتساب العالم إلى المسيح، وضعف الكرازة المسيحية وأثرها في العالم المعاصر، مما لا يشجع على الاعتقاد بان الإنجيل سيغزو

(1) إنجيل متى، ٢٤: ٢٩- ٤٠.

(2) إلياس مقار، إيماني، ص ٥٤٥.

العالم روحيًا، كما انه من الوجهة الأخرى، يزداد الارتداد والفساد وحساب الخسائر يتفوق على نحو رهيب على حساب الأرباح والمكاسب"[1] وبناء على هذا فإن القائلين بنظرية المجيء قبل الألف سنة ذهبوا إلى أن "العالم لن يؤمن بالمسيح ويخضع له على أساس رسالة الإنجيل وانتشارها بين الناس وغزوها الجماعات والأمم والممالك، بل على العكس إن الناس سيصدون عن هذه الرسالة ويتقدمون مع الزمن من سيئ إلى أسوأ ولن تفلح معهم أية مواعظ أو رسائل أو إرشادات مما يقتضي تدخل المسيح وظهوره بالمعنى الحرفي ليملك في الأرض ألف عام هي العصر الذهبي للإنسان في كل تاريخه الطويل على هذه الأرض.. لا بد من الإشارة إلى أنه سيبدأ كما يعتقدون أولاً بالقيامة الأولى وهي في عرف بعضهم لجميع القديسين والأبرار، وفي عرف آخرين للشهداء فقط"[2]

وخلاصة القول فان القيامة الأولى هي قيامة الأبرار والصالحين والمؤمنين وملك المسيح يكون فيها حرفيًا على الأرض وليس ملكًا روحيًا، وهذا الملك يستغرق ألف سنة ويعم فيه السلام أو بعبارة أدق هو عالم الكمال الذي يتمناه الإنسان طول حياته على هذه الأرض.

ب- نظرية المجيء بعد الألف سنة:

إن القائلين بهذه النظرية يرون أن ملك المسيح سيكون ملكًا روحيًا وليس حرفيًا جسديًا. وعلاوة على هذا فإن المؤمنين بهذه النظرية يرون أن الملك الروحي بعد انتشار وسيادة الإنجيل على العالم أو كما قال القس إلياس مقار: "إن الألف سنة هي العصر الذهبي المجيد الذي يأتي فيه المسيح بقوة الروح القدس، ليكتسح

---

[1] نفس المرجع، ص ٥٣٨، ٥٣٩.

[2] إلياس مقار، إيماني، ص ٥٣٩.

أمامه جميع المعاثر والخطايا والعقبات فيسود السلام [illegible] بالخير والرفاهية والسعادة والرخاء!!

وعلى هذا الأساس يفسرون تفسير [illegible] ما في الإصحاح العشرين من سفر الرؤيا عن القيامة الأولى، فيذكرون أنها كما جاءت في النص الكتابي "نفوس" وليس قيامة أجساد، وإنها نفوس الذين قتلوا، أو قيامة الشهداء، وإن النص الكتابي لا يفصح بحال ما عن عودة هؤلاء الشهداء أو الأبرار في الأرض ليملكوها أو يحكموا فيها، وإن النفوس تعيش وتهلك عندما تنتصر القضية التي كافحت وماتت من أجلها.." [1].ويلاحظ أن القائلين بنظرية المجيء بعد الألف سنة يرون أن القيامة الأولى تكون قيامة روحية وليست حرفية أو جسدية وعلى العكس نرى عند القائلين بنظرية المجيء قبل الألف سنة.وكذلك يرى القائلون بنظرية المجيء قبل الألف سنة أن هناك قيامتين:

القيامة الأولى: هي قيامة الأبرار والصالحين.

والقيامة الثانية: هي قيامة الأشرار والطالحين.أما القائلون بنظرية المجيء بعد الألف سنة فيرون أن هناك قيامة واحدة، وهي قيامة عامة وليست هناك قيامة خاصة . ويستدلون على ذلك ما ورد في أعمال الرسل : "ومؤملاً من الله ما ينتظرونه هم أيضًا أنها سوف تكون قيامة للأموات الأبرار منهم والأثمة "[2].

---

[1] نفس المرجع، ص ٥٤٤.

[2] أعمال الرسل، ٢٤ / ١٥ . وانظر إنجيل يوحنا، ٥ / ٢٨، ٢٩.

المبحث الثالث
الفكر الفلسفي الديني عند النصارى
فيما يتعلق باليوم الآخر

المطلب الأول
الدينونة والحساب

الدينونة والحساب يأتيان عقب القيامة العامة، أو المجيء الثاني كما يقول المسيح: "ومتى جاء ابن البشر في مجده وجميع الملائكة معه، فحينئذ يجلس على عرش مجده. وتجمع لديه كل الأمم فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء"[1].

وجاء فيما يسمى بقانون الإيمان ما نصه: "إن يسوع الذي مات وقام وصعد السموات سوف يأتي من جديد لدين الأحياء والأموات "[2]أما عن الديان والمحاسب فماذا يقول العهد الجديد؟ ورد في العهد الجديد أن الدينونة والمحاسبة ستكونان من نصيب الله أولاً، فالله هو الذي سيدين ويحاسب الناس. ويقول بولس: " أفتحسب أيها الإنسان الذي تين من يفعل مثل هذه ثم تعلمها أنك تنجو من دينونة الله. أتحتقر غني لطفه واحتماله وأناته ولا تعلم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة. ولكنك بقساوتك وقلبك غير التائب تدخر لنفسك غضبًا ليوم الغضب واعتلان دينونة الله العادلة. الذي سيكافئ كل أحد بحسب أعماله"[3]وجاء في إنجيل متى وهو يتحدث

---

[1] إنجيل متى، ٢٥ / ٣١ - ٣٢.

[2] الأب سليم بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، ص ٢٢٩.

[3] رسالة بولس إلى أهل رومية، ٢ : ٣- ٦.

عن حث المسيح عليه السلام على أن يقدم بعض الأعمال خفية مثل الصدقة والصوم والصلاة وما إلى ذلك ما نصه : "أما أنت فإذا صنعت صدقة فلا تعلم شمالك ما تصنع يمينك لتكون صدقتك في خفية وأبوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك وإذا صليت فلا تكونوا كالمرائين فإنهم يحبون القيام في الجامع وفي زوايا الشوارع يصلون ليظهروا للناس. الحق أقول لكم إنهم قد أخذوا أجرهم. أما أنت فإذا صليت فادخل في مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك في الخفية وأبوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك"[1] ولكن في مواضع أخرى نرى الدينونة تكون من نصيب المسيح عليه السلام لان المقصود بابن البشر هو المسيح عليه السلام. وورد في إنجيل متى ما نصه : " ومتى جاء ابن البشر في مجده وجميع الملائكة معه فحينئذ يجلس على عرش مجده وتجمع لديه كل الأمم فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء"[2] وكما أن الزؤان يجمع ويحرق بالنار هكذا يكون في منتهى الدهر. يرسل ابن البشر ملائكته فيجمعون من مملكته كل الشوك وفاعلي الإثم "[3] وكذلك ورد في إنجيل متى أن الأعمال تكون بإرادة الله ومشيئته : " ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات لكن الذي يعمل إرادة أبى الذي في السماوات هو يدخل ملكوت السماوات. فإن كثيرين سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب ألم نكن باسمك تنبأنا وباسمك آخرجنا الشياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ، فحينئذ أعلن لهم أني لم أعرفكم قط فاذهبوا عني يا فاعلي الإثم"[4] وبولس القديس عندما

---

[1] إنجيل متى ، ٦ / ٣- ٦.
[2] إنجيل متى ، ٢٥ / ٣١ - ٣٢.
[3] المصدر السابق ، ١٣ / ٤٠ – ٤٢.
[4] المصدر السابق ، ٧ / ٢١ – ٢٣.

يتكلم عن الرب يقصد بذلك المسيح عليه السلام[1] وورد في رسالة بولس الأولى إلى أهل كونثوس ما نصه: "أما أنا فأقل شيء عندي أن يحكم فيّ منكم أو من يوم بشر بل أنا أيضًا لا أحكم في نفسي. فإني لست أشعر بشيء في ضميري لكني لست مبررًا بذلك فأما الذي يحكم فيّ فهو الرب إن لا تحكموا البتة قبل الأوان إلى أن يأتي الرب الذي ينر خفايا الظلام ويوضح أفكار القلوب وحينئذ فكل أحد يكون مدحه من الله"[2] وورد في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ما نصه: "لأننا جميعًا لابد أن نظر أمام منبر المسيح لينال كل واحد على حسب ما صنع بالجسد خيرًا كان أو شرًا"[3] وفي مواضع أخرى نجد أن الدينونة والحساب يكونان من نصيب الرسل والقديسين وبولس يقصد بالقديسين جميع المسيحيين"[4].

وقد ورد في إنجيل متى ما نصه: "فقال لهم يسوع الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في جبل التجديد متى جلس ابن البشر على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضًا على اثني عشر كرسيًا وتدينون أسباط الإثني عشر"[5]." أيجترئ المرء فيكم إذا كانت له دعوى على آخر أن يحاكمه لدى الظالمين لا لدى القديسين. أما تعلمون أن القديسين سيدينون العالم ، فإن كل العالم بكم يدان أفتكرنون غير أهل لأن تقضوا في الدعاوى الصغرى. أما تعلمون أنا سندين الملائكة فبالأحرى نقضي في أمور هذه الحياة"[6].وفي مواضع أخرى نجد أن الدينونة تكون من نصيب الإنسان نفسه. ويقول

---

[1] الأب سليم بسترس ، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ، ص ٢٣٨.

[2] رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ، ٥ / ١٠.

[3] رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ، ٥ / ١٠.

[4] الأب سليم بسترس ، مرجع سابق ، ٢٣٣.

[5] إنجيل متى ، ١٩ / ٢٨.

[6] رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ، ٦/ ١- ٣.

الأب سليم : "في إنجيل يوحنا تأخذ الدينونة طابعًا ذاتيًا فالإنسان هو الذي يدين نفسه برفضه كلمة المسيح"[1].

وورد في إنجيل يوحنا ما نصه : " فإنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم. من آمن به فلا يدان ومن لا يؤمن فقد دين. لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد. وهذه هي الدينونة أن النور جاء إلى العالم والناس أحبوا الظلمة على النور لأن أعمالهم كانت شريرة لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور ولا يقبل إلى النور لئلا تفضح أعماله. فأما الذي يعمل الحق فإنه يقبل النور لكي تظهر أعماله لأنها مصنوعة من الله"[2]" أنا النور قد أتيت إلى العالم حتى إن كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلام. وإن كان أحد يسمع أقوالي ويحفظها فأنا لا أدينه لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم. من ذلني ولم يقبل أقوالي فإن له من يدينه الكلمة التي نطقت بها هي تدينه في اليوم الآخر. لأني لم أتكلم من نفسي لكن الأب الذي أرسلني هو أعطاني الوصية بما أقول وبما أنطق. واعلم أن وصيته هي حياة أبدية والذي أتكلم به فكما قاله لي الأب هذا أتكلم به "[3]

وبناء على ما تقدم حول موضوع توليه الحساب والدينونة يرى الأب سليم انه : "لا تناقض بين إسناد عمل الدينونة إلى الله أو إلى المسيح أو الرسل أو جميع المسيحيين، لأن الحقيقة هي التي في الواقع ستدين العالم. والحقيقة واحدة، إنها حقيقة الله التي يحملها يسوع كلمة الله في كيانه وتعاليمه، والتي آمن بها الرسل

---

(1) الأب سليم بسترس ، مرجع سابق ، ص ٢٣٣.
(2) إنجيل يوحنا، ٣: ١٧- ٢١.
(3) نفس المرجع ، ١٣ : ٤٦- ٥٠.

والقديسون وجميع المسيحيين، وعاشوا بموجبها"[1] وبناء على زعم الأب سليم الدينونة تبدأ على الأرض مع قبول الحقيقة وتلك الحقيقة هي الله نفسه الذي تجلى في المسيح الذي أصبح ابنًا لله وكلمته وصورته، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. ويقول الأب سليم: " لذلك فإن الدينونة، في نظر المسيحية هي أولاً محبة وخلاص، لذلك لا نستطيع الفصل بين مجيء يسوع الأول وموته وقيامته ومجيئه الثاني إنما هي مراحل متعددة من سر واحد هو سر محبة الله التي تسكب على الإنسان لمنحه الحياة والفداء والخلاص. والدينونة ترافق كل مراحل هذا السر، فمن يؤمن بأن يسوع هو المسيح كلمة الله، لا يدان ومن لا يؤمن قد دين. لذلك أيضًا لا تقتصر الدينونة على نهاية العالم، ولا حتى موت الإنسان، لأن الموت الحقيقي ليس موت الجسد بل رفض الإيمان بالمسيح، ومن يؤمن بيسوع لا يموت، قال يسوع: " فقال لها يسوع أنا القيامة والحياة من آمن بي وإن مات فسيحيا ولك من كان حيًا وآمن بي لن يموت إلى الأبد"[2] كل من يؤمن بيسوع في حياته لن يعرف الموت، لأن إيمانه بيسوع يمنحه الحياة ولكن يكون موته انتقالاً من الحياة الحاضرة إلى الحياة الأبدية"[3].

ويلاحظ من خلال قول المسيح عليه السلام: "فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة "[4] إن العصاة تخصهم الدينونة دون المؤمنين، فعلى أي أساس تقوم الدينونة للعصاة أو الذين عملوا السيئات؟

---

[1] الأب سليم بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، ص ٢٣٣، ٢٣٤.

[2] إنجيل يوحنا، ١١ /٢٥، ٢٦.

[3] الأب سليم بسترس ، مرجع سابق ، ص ٢٣٤.

[4] إنجيل يوحنا، ٥ / ٢٩.

فيجيب عن هذا السؤال أحد اللاهوتيين المعاصرين ويقول: "إن مجرد انتصار الخير على اشر يكون الحكم الساحق على الذين يمارسون الشر إنهم قد أخطأوا هدفهم، وحياتهم، التي فقدت معناها قد آلت إلى العدم. إن عبث حياة قضيت في الشر لهو إذا عقاب حياة كهذه تنته يوفق ما جاء في المزمور ٧٢ / ٢، " كحلم عند الاستيقاظ، أيها السيد تحتقر خيالهم في المدينة " إن إدراك الإنسان ذاته قد سقط في أقصى العبث وغرق في العدم والتلاشي ذاك هو مصير الذين يرفضون محبة الله ويرفضون دعوته إلى الحياة"(١).الأشرار لابد أن يعرضوا للدينونة ويذكر القس إلياس مقار أصناف الناس الذين تشملهم الدينونة على النحو الآتي(٢):

١- الدينونة تتناول كل من لم يتعرض لأية عقوبة دنيوية ويقع تحت هذه الدينونة إبليس وأعوانه والملوك والطغاة لأنهم تخلصوا من هذه العقوبة لكونهم سلاطين البشرية وفي أيديهم السلطة والحكم.

كل عمل قام به الإنسان سواء خيرًا أو شرًا يحضر إلى الدينونة. وقد ورد في سفر الجامعة: "لأن الله سيحضر كل عمل ليدين على كل خفي خيرًا كان أو شرًا"(٣) وكذلك ورد في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس: "لأنا جميعنا لابد من أن تظهر أمام منبر المسيح لينال كل واحد على حسب ما صنع بالجسد خيرًا كان أو شرًا(٤).

---

(١) الأب سليم بسرتس، مرجع سابق، ص ٢٣٥.

(٢) القس إلياس مقار، إيماني، ص ٥٧٧، ٥٧٨.

(٣) سفر الجامعة، ١٢ / ١٣.

(٤) رسالة القديس بولس الثانية إلى أهل كورنثوس، ٥ / ١٠.

تتناول الدينونة الأفكار والخفايا والسرائر. ودليل ذلك ما ورد في رسالة بولس إلى أهل رومية : "يوم يدين الله سرائر الناس بحسب إنجيلي يوسع المسيح"[1]

٢- تتناول الدينونة كل واجب معمول أو متروك وليس فقط عمل كل سيئ لأن الناس يمتنعون عن الواجبات. ودليل ذلك ما ورد في إنجيل متى : "لأني جعت فلم تطعموني وعطشت فلم تسقوني. وكنت غريبًا فلم تؤوني. وعريانًا فلم تكسوني. ومريضًا فلم تزوروني. فيذهب هؤلاء إلى العذاب الأبدي والصديقون إلى الحياة الأبدية"[2].

لدينونة متفاوتة حسب العلم والمعرفة والنور والامتياز، لأن عقول الناس متفاوتة وبناء على هذا فالعذاب متفاوت. ودليل ذلك ما ورد في إنجيل لوقا : "والذي لم يعلم وعمل ما يستوجب به الضرب يضرب يسيرًا. وكل من أعطى كثيرًا يطلب منه كثير ومن أودع كثيرًا يطلب بأكثر"[3]. وورد في رسالة بولس إلى أهل رومية : " فكل الذين خطئوا بمعزل عن الناموس فمبعزل عن الناموس يهلكون وكل الذين خطئوا في الناموس فبالناموس يدانون"[4]

وأما فيما يتعلق بثواب الأبرار في عقيدة النصارى : فان الديانات الثلاث (اليهودية والنصرانية والإسلام) تؤكد ضرورة مكافأة الأبرار والصالحين لأنهم لم يلقوا نصيبهم الكافي في هذه الحياة، ولذلك لابد أن يأخذوا نصيبهم في الآخرة وهذه هي العدالة الإلهية العظيمة التي لا ينكرها عاقل. ومكافأة الأبرار عند النصارى تقوم

---

[1] رسالة بولس إلى أهل رومية، ٢ / ١٦.

[2] إنجيل متى، ٢٥ / ٤٢ — ٤٦.

[3] إنجيل لوقا، ١٢ / ٤٨.

[4] القس إلياس مقار، مرجع سابق، ص ٥٧٥.

على ثلاثة عناصر وهي: الإيمان والرجاء والمحبة[1]. ودليل ذلك ما ورد في رسالة بولس الأولى إلى تسالونيكي : "متذكرين بلا انقطاع عمل إيمانكم وتعب محبتكم وصبر رجائكم ربنا يسوع المسيح أمام الله أبينا"[2]. وورد في رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكي : "حتى أنا نحن أنفسنا نفتخر بكم في كنائس الله لصبركم وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم ومضايقكم التي تحتملونها. لإيضاح قضاء الله العدل لتؤهلوا لملكوت الله الذي لأجله تتألمون"[3].

ويلاحظ هنا أن الإنسان يكافأ على كل صغيرة وكبيرة سواء أكان ذلك في الدنيا أم في الآخرة وإذا لم يكافأ الإنسان في الدنيا فإن له مدخرًا في الآخرة وأعظم المكافأة للأبرار هي دخولهم في ملكوت الله أو ملكوت السماوات أو ما يسمى بالحياة الأبدية، وأما الأشرار فيذهبون إلى الجحيم.

المطلب الثاني
الحياة الأبدية والعذاب الأبدي

يخبرنا الكتاب المقدس عن حالة الأبرار الأخيرة وعن مكافأتهم والتعبير عن تلك المكافأة والحالة يكون بألفاظ مختلفة منها [4]:

١- **الحياة الأبدية**: ورد في إنجيل متى: "فيذهب هؤلاء إلى العذاب الأبدي والصديقون إلى الحياة الأبدية"[5]

---

(1) القس إلياس مقار، مرجع سابق، ص ٥٧٥.

(2) رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي، ١ / ٣.

(3) رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي ، ١/ ٤ ، ٥.

(4) القس إلياس مقار ، علم اللاهوت ، ص ٩ - ١٢ ، وكتاب إيماني ، ص ٥٧٩ - ٥٨١.

(5) إنجيل متى، ٢٥ / ٤٦.

٢- المجد الأبدي: ورد في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس: "لأن ضيقنا الحالي الخفيف ينشئ لنا ثقل مجد أبديًا لا حد لسموه "[1]

٣- الراحة: ورد في رسالة بولس إلى العبرانيين: "فإنه لو كان يسوع أراحهم لما ذكر بعد ذلك يومًا آخرًا. إذن قد بقي لشعب الله راحة سبت"[2]

٤- المعرفة الكاملة: ورد في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: "لأنا الآن ننظر في مرآة على سبيل اللغز أما حينئذ فوجهًا إلى وجه. إني أعلم الآن علمًا ناقصًا أما حينئذٍ فسأعلم كما علمت"[3]

٥- القداسة: ورد في رؤيا يوحنا اللاهوتي: "ولا يدخلها شيء نجس ولا فاعل الرجس والكذب إلا الذين كتبوا في سفر الحياة للحمل"[4]

٦- الخدمة: ورد في رؤيا يوحنا: "ولا يكن لعن بعد وسيكون فيه عرش الله والحمل فيعبده عبادة"[5].

٧- العبادة: ورد في رؤيا يوحنا: "وبعد ذلك سمعت صوتًا عظيمًا من جمع كثير في السماء قائلين هللويا إن لإلهنا الخلاص والمجد والقوة.. فخر الأربعة والعشرون شيخًا والحيوانات الأربعة وسجدوا لله الجالس على العرش قائلين آمين هللويا "[6]

---

[1] رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس، ٤ / ١٧.

[2] رسالة بولس إلى العبرانيين، ٤ / ٨ - ٩.

[3] رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ، ١٣ / ١٢.

[4] رؤيا يوحنا، ٢١ /٢٧.

[5] المرجع السابق، ٢٢ / ٣ ، ورد في النسخة البروتستانتية "وعبيده يخدمونه".

[6] رؤيا يوحنا، مرجع السابق، ١٩ / ١- ٤.

٨- **معاشرة أرواح الصديقين المكملين:** ورد في رسالة بولس إلى العبرانيين: "وإلى كنيسة الأبكار المكتوبين في السموات وإلى الله ديان الجميع وإلى أرواح الصديقين المكملين. وإلى يسوع وسيط العهد الجديد وإلى دم رش ينطق بأبلغ من دم هابيل"(١)

٩- **السكن مع الله والسعادة الدائمة:** ورد في رؤيا يوحنا: "وسمعت صوتًا عظيمًا من العرش قائلاً هو ذا مسكن الله مع الناس ويسكن معهم ويكونون له شعبًا والله نفسه يكون معهم إلهًا. ويمسح الله كل دمعة من عيونهم ولا يكون بعد موت ولا نوح ولا صراخ ولا وجع لأن ما كان سابقًا قد مضى"(٢)

١٠- **تمتع الأبرار بحياة مقدسة في الاتحاد بالله وأرواح مكملة إلى أبد الآبدين:** ورد في سفر رؤيا يوحنا: "من غلب فإني أجعله عمودًا في هيكل إلهي فلا يعود يخرج واكتب عليه اسم إلهي واسم مدينة إلهي أورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند إلهي واسمي الجديد"(٣)

وورد في نفس السفر: "طوبى للذين يغسلون حللهم بدم الحمل ليكون لهم سلطان على شجرة الحياة ويدخلون المدينة من الأبواب. ليبق خارجًا الكلاب وأصحاب السموم السحرية والزناة والقتلة وعبدة الأوثان وكل من يحب الكذب ويعمل به "(٤)

بعدما رأينا أن الحياة الابدية تكون في السماء فيا ترى هل السماء محل أو حالة ؟ ويعلل ذلك القس إلياس مقار مستندًا إلى ما ورد في الكتاب المقدس من لفظة

---

(١) رسالة بولس إلى العبرانيين، ١٢ / ٢٣، ٢٤.
(٢) رؤيا يوحنا، ٢١ / ٣، ٤.
(٣) نفس المرجع، ٣ / ١٢.
(٤) نفس المرجع، ٢٢ /١٤، ١٥.

"السماء" لأن السماء تدل على شيء مرتفع حيث يقول: " ولا يمكن أن يؤهل الإنسان للسماء ما لم يتغير إلى تلك الحالة عينها، ومن ثم يستحيل على الجسد المادي والحيواني الصعود إليها والوصول إلى مراقيها ما لم يصبح جسدًا روحيًا ممجدًا وإذ لا يرث الفساد عدم الفساد.. على إنها إلى جانب ذلك هي مكان ولا يمكن إلا أن تكون مكانًا، وإلا فإلى أين ذهب أخنوخ وموسى أو إيليا أو المسيح عندما صعد بجسده العظيم المجيد.. "[1]فكما اهتم الكتاب المقدس بحالة الأبرار الأخيرة كذلك اهتم بحالة الأشرار الأخيرة، وعبر عنها بعبارات مختلفة، منها[2]:

١- **النار الأبدية** : ورد في إنجيل متى ما نصه : "حينئذ يقول أيضًا للذين عن يساره اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته"[3].

٢- **بئر الهاوية** : ورد في رؤيا يوحنا : "ونفخ الملاك الخامس في بوقه فرأيت كوكبًا قد سقط من السماء على الأرض وأعطى مفتاح بئر الهاوية . ففتح بئر الهاوية فتصاعد من البئر دخان كدخان أتون عظيم فأظلمت الشمس والهواء من دخان البئر"[4]

٣- **الظلمة البرانية** : ورد في إنجيل متى : "وأما بنو الملكوت فيلقون في الظلمة البرانية. هناك يكون بكاء الإنسان"[5].

---

(١) القس إلياس مقار، إيماني، ص ٥٧٩.

(٢) القس إلياس مقار، علم اللاهوت، ص ١٢١٠ - ١٢١١.

(٣) إنجيل متى، ٢٥ / ٤٧.

(٤) إنجيل متى، ٨ / ١٢.

(٥) إنجيل متى، ٨ / ١٢.

٤- **التعذيب بالنار والكبريت:** ورد في رؤيا يوحنا : "فإنه يسقى من خمر غضب الله المصبوبة صرفًا في كأس غضبه ويعذب بالنار والكبريت أمام الملائكة القديسين وبحضرة الحمل"(١).

٥- **العذاب الأبدي :** ورد في إنجيل متى : "فيذهب هؤلاء إلى العذاب الأبدي والصديقون إلى الحياة الأبدية"(٢).

٦- **غضب الله :** ورد في رسالة بولس إلى أهل رومية : "ولكنك بقساوتك وقلبك غير التائب تدخر لنفسك غضبًا ليوم الغضب واعتلان دينونة الله العادلة"(٣).

الموت الثاني : ورد في رؤيا يوحنا : "وأما الجبناء والكفرة والرجسون والقتلة والزناة وأصحاب السموم السحرية وعبدة الأوثان وكل كذاب فإن نصيبهم في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت التي هي الموت الثاني"(٤).

الهلاك الأبدي من وجه الرب : ورد في رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي : "الذين سيعاقبون بالهلاك الأبدي من وجه الرب ومن مجد قوته"(٥)

٧- **خطيئة أبدية (دينونة أبدية) :** ورد في إنجيل مرقس : "وأما من جدف على الروح القدس فلا مغفرة له إلى الأبد ولكنه مجرم بخطيئة أبدية"(٦) والسؤال هنا إذا المكان الذي يذهب إليه الأشرار هو الجحيم فيا ترى هل الجحيم كالسماء محل وحالة؟.

---

(١) رؤيا يوحنا ، ١٤ / ١٠ ، ٢١ / ٨.

(٢) إنجيل متى ، ٢٥ / ٤٦.

(٣) رسالة بولس الثانية إلى أهل رومية ، ٢ / ٥.

(٤) رؤيا يوحنا ، ٢١ / ٨.

(٥) رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي ، ١ : ٩.

(٦) إنجيل مرقس ، ٢٩/٣ ، وفي النسخة البروتستانتية "دينونة أبدية".

وعن هذا الجواب يجيب القس إلياس مقار، حيث يقول: "وإذا كانت السماء كما أشرنا حالة ومكان، فلابد أن يكون بالمقابلة الجحيم أيضًا" (١) واستدل على ذلك بما ورد في إنجيل لوقا: "ثم مات المسكين فتلقته الملائكة إلى حضن إبراهيم ومات الغني أيضًا فدفن في جهنم. فرفع عينيه وهو في العذاب فرأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه.. فإن لي خمسة إخوة حتى يشهد لهم لكي لا يأتوا هم أيضًا موضع العذاب هذا"(٢) ويواصل القس إلياس كلامه ويقول: "أما أنه حالة فلأنه مرادف على الدوام لأقسى تعاسة وشقاء وشدة يمكن أن يصل إليها الإنسان، فهو "الهاوية" و "الموت الثاني" و "الظلمة الخارجية" و "الدينونة الأبدية"، و "جهنم" وما أشبه من كتابات ورموز"(٣) ومما لا شك فيه أن المسيح عليه السلام كان يتحدث عن مصير الإنسان بعد موته وعن الجحيم والعذاب الأبدي والوصف الذي وصفه به أقرب إلى تصوير ميثولوجي "الذي يحدد في مكان خارجي ما يختبره الإنسان في عالمه الداخلي إلا أننا من خلال التصوير يمكننا التعريف بجهنم بأنها مصير الذين يرفضون الله وينكرون تعاليمه ووصاياه ويعيشون في مختلف أنواع الشر والإثم والخطيئة"(٤).

المطلب الثالث
الشفاعة في التصور النصراني

يقول الأنبا يؤانس: " هناك شركة عامة بين الأحياء على الأرض والمتنقلين إلى السماء وعلى رأسهم القديسون والشهداء، شركة كاملة، فنحن نتشفع بهم ونتصل بهم بطرق ووسائل شتى، ونتلقى على أثر ذلك معوناتهم " (٥)،

---

(١) القس إلياس مقار، إيماني، ص ٥٨١.

(٢) إنجيل لوقا، ١٦ / ٢٢ - ٢٣، ٢٨.

(٣) الأب سليم بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، ص ٣٤٨.

(٤) نفس المرجع، ٣٥٠.

(٥) الأنبا يؤانس، السماء، ص١٦.

ونلاحظ أن الشفاعة التي يتحدث عنها النصارى تكون في الدنيا وليست في الآخرة وعلماؤهم يقررون ذلك.

وورد في علم اللاهوت النظامي " ليس في الدهر الآتي توبة ولا غفران ولا تغيير حال، وقد ورد في مثل مخلصنا في الغنى ولعاذر[1] الذي علم استحالة العبور من جهنم إلى السماء "[2]. ويذكر ميخائيل مينا أن " خطيئة الخاطئ دائمة إلى الأبد؛ لأنه يستحيل أن تمحى وتغفر متى ولج صاحبها جهنم وهو مثقل بها، حيث أن خطيئته تستمر معه إلى الأبد " [3]

وورد في كتاب " الكهنوت " تحت عنوان " الوقت الذي يمارس فيه المسيح خدمة الشفاعة " ما نصه: " إن المسيح لا يمارس هذه الخدمة الشفاعة بعد انتقال المؤمنين الحقيقيين إلى العالم الآخر، حتى كان يجوز الظن أنه يمكن أن يكون الغرض منها نقل أرواح الذين أخطأوا على الأرض من كل عذاب الآخرة أو بعضه، بل إنه - له المجد - يمارس شفاعتة لأجلهم وهم لا يزالون على الأرض، لأنه ليس هناك مجال لتغيير مصير الناس بأية وسيلة من الوسائل بعد انتقالهم من العالم الحاضر، لأنه ليس هناك للتوبة والشركة مع الله إلا في هذا العالم " [4] فكل هذه الأقوال تؤكد أن الشفاعة عند النصارى تكون في الدنيا لا في الآخرة، وهذا ما أكده لنا الأنبا غريقريوس أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمي بالكنيسة القبطية في مقابلة

---

[1] لوقا، ٣١/٩- ١٦.

[2] علم اللاهوت النظامي، من منشورات دار الثقافة، لمجموعة من اللاهوتيين، ص ١٢١٥.

[3] نفس المصدر، ج٢، ص١٥٤.

[4] عوض سمعان، الكهنوت، ص١٢٠.

شفوية. والشفاعة التي يعتقدها النصارى تكون بالمسيح، وبأمه، وبالملائكة، والقديسين. ومما يثبت شفاعة المسيح في الدنيا ما ورد في الرسالة بولس للعبرانيين: "فمن ثم يقدر أن يخلص إلى التمام الذي يتقدمون به إلى الله، إذ هو حي في كل حين يشفع فيهم "[1]ويعلق القس إبراهيم لوقا على النص السابق بقوله: " فشكراً لله لأجل المسيح الشفيع العظيم، الذي بشفاعته ذبيحته المقدسة يستطيع كل خاطئ أثيم يرجع إلى الله ويؤمن به من كل قلبه أن ينال تطهير خطاياه "[2]ويرجع اعتقاد النصارى في شفاعة المسيح لأنه كما يزعمون "قدم ذاته كفارة عن خطايا العالم أجمع بذبيحته نفسه "[3]

وأما شفاعة مريم العذراء فإن النصارى متفقون على شفاعتها لهم، وتكفيرها للخطايا والذنوب عنهم، وهم يرددون في صلواتهم الدعاء لها وطلب شفاعتها، ومن أدعيتهم في الصلوات: "أيتها العذراء القدسية والدة الله أمي وشفيعتي، إني أضع ذاتي تحت ذيل حمايتك، وأنطرح بكل اتكال في حضن رحمتك، فكوني يا أم الجود ملجئي في احتياجي، وتعزيتي في أتعابي، وشفيعتي عند ابنك المجد اليوم، وفي كل أيام حياتي، ولا سيما عند ساعة موتي آمين"[4]وهذا نص صريح عند النصارى في أنهم يتشفعون بالعذراء مريم عند ابنها الإله كما يزعمون وابنها يشفع للنصارى عند الله. وهذا يبين إلى أي حد يتناقض في عقائدهم، فهم يتشفعون بالمسيح عند منم؟ عند الله. ويتشفعون بأمه عند من؟ عند

---

[1] رسالة بولس الى العبرانيين، ٢٥/٧.

[2] ابراهيم لوقا، المسيحية في الاسلام، ص١٤٧.

[3] نفس المرجع، ص١٤٨ ـــــ.

[4] علم اللاهوت النظامي. ص٧٩٧ نقلا عن كتاب صلوات ١٨ /٢٤٦.

ابنها الإله . يا له من تناقض مع بدهيات العقل حين يشفع إله عند إله. يقول القمص تادرس يعقوب بأننا نهتم بالعذراء ونطلب شفاعتها [1]

والذي ذهب إلى النصارى من شفاعة العذراء مريم يؤكد ما ذكره ابن القيم من أن النصارى يتشفعون بالعذراء، ويسألونها الشفاعة إذ " يقولون في دعائهم: يا والدة الإله اشفعي لنا . وهم يعظمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيين والمرسلين، ويسألونها ما يسأل الإله من العافية و الرزق والمغفرة "[2]. ويعتقد النصارى أيضاً في شفاعة القديسين في الدنيا لغفران الخطايا ونجدة المتعثرين منهم. يقول الأنبا يؤانس: " إن الاتصال بالسماء ومن فيها سهل وميسور، وما عليك إلا أن تنادي القديس: يا ست يا عذراء، يا أم النور، يا ملاك ميخائيل، يا مارجرجس، يا مارمينا [3]وفي التو واللحظة يصل نداؤنا إلى أسماعهم ويهبون لنجدتنا "[4].

وفي الرسالة التي بعث بها أحد القساوسة إلى أبي عبيدة الخزرجي، يذكر هذا القسيس سلطان المطارنة عند الله بقوله: " جعل الله في أيدي المطارين مالم يجعله في يد أحد وذلك أن كل ما يفعلونه بالأرض يفعله الله في السماء، فإذا أذنبنا فهم الذين يقبلون التوبات ويعفون عن السيئات، وبأيديهم صلاح الأحياء والأموات"[5]

---

(1) رؤيا يوحنا ، ٢/٢ .

(2) ابن قيم الجوزية ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ص٢٦٢ ، تحقيق أحمد السقا .

(3) أسماء لبعض القديسين عند النصارى.

(4) أسماء للأنبا يؤانس ص١٥ / ١٦ .

(5) أبوعبيدة الخزرجي ، بين الإسلام والمسيحية ، تحقيق الدكتور عبد الغني شامة ، ص٧٧.

ما يؤخذ على الشفاعة عند النصارى منها :

من الأمور التي تؤخذ على الشفاعة عند النصارى ما يلي:

أولاً : أنها في الدنيا لا في الآخرة. وهي تجعل للبشر سلطاناً كبيراً مع الله ، إذ أن القديسين يكون لهم ما لله من قضاء الحاجات ، وذلك واضح تماما من نص الأنبا يؤانس الذي يذكر أن القديسين هم الذين يفعلون كل شي بدلاً عن الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا. ونص الرسالة التي بعث بها أحد القساوسة لأبي عبيدة الخزرجي بين أن الله تابع للمطارنة والقساوسة في أفعالهم ، فكل ما يفعلونه في الأرض يفعله الله في السماء ، وفضلاً عن ذلك فإنهم يقبلون التوبات ويعفون عن السيئات ، وبيدهم صلاح الأحياء والأموات.

وهذه سلطة كاملة للقساوسة والقديسين ، وليس من الشفاعة في شيء ، إذ أن هؤلاء يتحولون من كونهم واسطة إلى كونهم مصدر الإجابة ، وقضاء الحاجات. يبدأ النصراني بالسؤال وينتهي الأمر عند هذا الحد ، ليجيب القديس على ما يطلبه النصراني من غفران الخطايا والفوز بالجنة والنجاة من النار. فالقديس هنا ليس شفيعاً ولكنه واسطة حائلة بين العبد وربه. أما في الإسلام فأن الله عز وجل يأمر الجميع أن يتجهوا إليه ، ويبين الله عز وجل أن غفران الخطايا والعفو عن الذنوب بيده وحده ، ولا يملك أحد سواه هذا الأمر. يقول تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} "[1]

فهذه الآية تبين أن الله وحده هو الذي يقبل التوبة عن عباده ، وإنه وحده الذي يعفو السيئات. ونبه الله عباده أن من فعل منهم معصية فعليه أن يتوجه إليه

---

[1] سورة الشورى ، آية : ٢٥ .

بالتوبة، والاستغفار وينفي عن أي كائن غفران الخطايا والذنوب. يقول تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} "(١). فهذه الآية صريحة في عدم غفران الذنوب لأحد إلا الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: وضح لنا من خلال عرضنا لنصوص علماء النصارى أنهم لا يعتقدون بالشفاعة في الآخرة، لأنهم لا يفرقون بين الذنوب كبيرها وصغيرها، فعندهم أن " المؤمنين الخطاة الذين دنسوا قداسة إيمانهم برجاسة أفعالهم كافرون "(٢)

وهؤلاء الخطاة يعتقد النصارى أنهم يدانون فيهلكون، لأن الذي يدخل النار في اعتقادهم لا يخرج منها أبداً. ورد في علم اللاهوت النظامي " أنه في الدينونة يتعين نصيب الأبرار والأشرار تعينا لا يتغير، ويحكم بمكانهم الأبدي، وهذا واضح من كلمات مخلصنا الرهيبة في قوله: " فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدى والأبرار إلى حياة أبدية " (٣).

وورد في " متى " أن أبدية العذاب وأبدية النعيم يتمسك به النصارى حرفياً، ولا يفرقون بين الخطايا الكبيرة والذنوب الصغيرة لأن " خطيئة الخاطئ دائمة إلى الأبد، لأنه يستحيل أن تمحى وتخرج متى ولج صاحبها جهنم وهو مثقل بها، وحيث أن خطيئة الخاطئ تستمر معه إلى الأبد فالجودة الإلهية تقضي باستمرار عذابها إلى الأبد (٤).

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٣٥.

(٢) علم اللاهوت، ج٢، ص ١٢١٢. ومتى، ٢٥ / ٤٦.

(٣) ميخائيل مينا، علم اللاهوت، ج٢، ص١٥٤.

(٤) علم اللاهوت النظامي، ص٢١٢.

ووهم الأبدي للخاطئ ليس فيه منافاة للعدالة الإلهية ويقررون أنه ليس هناك " من ظلم أو جور بل هو عين العدل والإنصاف "(١). وإذا كان هذا هو العدل فإننا نقول: وأين الرحمة التي سبقت عدل الله؟ إذ أن الرحمة التي خص الله بها نفسه في الآخرة تقتضي أن يرحم الله العصاة الذين ارتكبوا بعض الذنوب في الدنيا وعُذبوا بسببها، بأن يخرجوا من النار ليدخلوا الجنة بالشفاعة لهم، ولكن النصارى يصرون على أن من مات بخطيئة فهو في النار خالدا فيها، ولذلك لا تبـ[illegible] شفاعة يوم القيامة عندهم، وكل ما يفعله المسيح "أن يبكي على آخرة الأشرار غير التائبين، ومع ذلك يتركهم لنصيبهم العادل "(٢). أما عن كيفية غفران الخطيئة لمن أخطأ من النصارى فتكون في الدنيا بالتوبة وتقديم الدعوات والصلوات والصدقات، وتكون بالاعتراف أمام الكاهن، والاعتراف كما عرفه علماء الكنيسة هو" الإقرار بما قاله الإنسان وفعله فيما مضى والآن، وبحسب الوضع الشرعي هو اعتراف الإنسان للكاهن المسلم له الاعتراف بخطاياه وذنوبه وجرائره وكبائره ومعاصيه وقبح شهواته وسهواته وغفلاته، وما اعتمده من ذلك جميعه فأفكاره الردية وأمانيه الكاذبة وأقواله المتباينة للبيعة والمعاندة للشريعة "(٣).

وفائدة هذه الاعترافات هي "الحصول على غفران الخطايا والسلام الداخلي، لأنه كم يوجد قبل الاعتراف في نفس الخاطئ من الضيقة وانحصار القلب

---

(١) ميخائيل مينا، علم اللاهوت، ج٢، ص٢٨٧- ٢٨٨.

(٢) ميخائيل مينا، علم اللاهوت، ج٢، ٢١٢.

(٣) نفس المرجع، ص٢٨٧- ٢٨٨.

والغم الشديد، وتشويش الضمير والنقل غير المحتمل، وأما بعد الاعتراف فكم يوجد في نفسه من السكون والراحة والسلامة والتعزية العظيمة والسرور الباطن "[1]

ويلاحظ هنا أن الاعتراف يتجاوز الظاهر إلى الباطن، حتى السهو، حتى الغفلة، حتى الأماني الكاذبة، وبعد الاعتراف نلاحظ أن للكاهن سلطة كاملة إذ بيد هذا الكائن قبول التوبات وصلاح الأحياء والأموات. وهذه السلطة هي التي دفعت النصارى إلى الاكتفاء باللجوء إلى الكهنة والأحبار والرهبان. وصدق الله إذ يقول: "{اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ }[2]

وروى أحمد والترمذي، أن عدى بن حاتم الطائي دخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدى صليب بن فضة. وهو يقرأ هذه الآية "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله " قال: إنهم لم يعبدوهم. فقال: " بلى إنهم حرموا عليهم الحلال و أحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم "[3]. وهنا نرى إلى أي حد تغفر الخطايا والذنوب للعصاة من النصارى في الدنيا، وأن ما عند النصارى ليس من الشفاعة في شيء لأنه المشفوع إنما يتجه إلى الله في جميع الحالات، وهذا هو المقرر في الإسلام، أما عند النصارى فإن المشفوع له يتجه إلى الكاهن بالاعتراف وطلب المغفرة. ويزعم النصارى أن الكاهن يجيبه ويكفر عنه خطاياه، وليس في الإسلام شيء من هذا القبيل .

---

(1) نفس المرجع ، ص١٢ .

(2) سورة التوبة، آية :٣١ .

(3) الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير للصابوني، ج٢، ص١٣٧.

الفصل الرابع
مفهوم الجنة والنار عند النصارى

المبحث الأول
الجنة و نعيمها عند النصارى

المطلب الأول
الجنة عند النصارى

ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة جنة : أنها الفردوس الأصلي الذي رتبه الله للإنسان قبل سقوطه[1] ووضع في وسطه شجرة الحياة، وأطلقت الكلمة على كل بستان في قصور الملوك[2] . وورد أيضاً تحت كلمة جنات : أنها بساتين معدة للانشراح و اللذات، وفيها جنات الملك سليمان[3]. وفيها سواقي وينابيع [4].

و من الملاحظ أن قاموس الكتاب المقدس ربط شجرة الجنة بالبستان الذي يملكه الملوك وهي معده للانشراح واللذات، وفيها جنات الملك سليمان و فيها سواقي وينابيع. كل هذه الصفات تطلق على البساتين في الأرض، ولكن قاموس الكتاب المقدس لم يشر من قريب أو بعيد إلى أنها المكان الذي يتمتع فيه الصالحون من النصارى في الآخرة.

---

(1) سفر التكوين ، ١٠/٢ ، ١٣/ ١٠ .

(2) قاموس الكتاب المقدس ، ص٢٧٥ .

(3) سفر الجامعة ، ٢/٥ ، ونشيد الإتحاد ، ٤ :١٣ .

(4) سفر العدد ، ٦/٢٤ ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص٢٣٦.

وبالرغم من عدم إشارة النصارى إلى الجنة و نعيمها الحسي في الآخرة إلا أننا سنعرض فيما يلي بعض النصوص التي تتحدث عن الجزاء في الآخرة، المتمثل في الطعام والشراب والنكاح في الجنة، وبالرغم من ادعاء النصارى بأن نعيم الأبرار يتمثل في "اتصالهم بالله ورؤيتهم جلاله، ورؤية الله هي الخير الأعظم الفائق كل خير، الذي يملأ رغبة كل إنسان و يشبع شهوات نفسه، بل هي سعادته النهائية المشتهاة من كل مشاعره والتي تتجه كل أشواق قلبه إليه "[1]فعن الطعام والشراب: أشار انجيل يوحنا إلى ذلك بقوله: " اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان، لأن الله الأب قد ختمه "[2]. وورد فيه أيضاً قولهم للمسيح: "آباؤنا أكلوا المن في البرية، كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا. فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم، ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء، بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء "[3]. فهذه النصوص تبين أن في الآخرة طعاماً باقياً يعطيه المسيح للمؤمنين به.

والنص الثاني يبرز على لسان المسيح أن هناك خبزاً فانياً أكله آباء من يتحدث معهم المسيح، ولكن من يعطيه ويؤمن به يأكل الخبز الحقيقي عند الله. ووعد المسيح لهم بالطعام في الآخرة مكافأة لهم بين كيف أن الإنجيل تحدث عن الطعام في الجنة.

وهناك نص آخر في إنجيل لوقا يثبت الطعام والشراب في الآخرة. ورد في لوقا: " وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا و تشربوا على مائدتي،

---

[1] علم اللاهوت، ج٢، ص١٦٤.

[2] نجيل يوحنا ٦ : ٢٧ / ٢٨.

[3] إنجيل يوحنا ٦ : ٣١ / ٣٢.

وتجلسوا على كراسي، وتدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر "[1]. ويعتقد النصارى أن هذا الملكوت في الآخرة، وأن الدينونة بعد انقضاء العالم[2]. والنص يثبت أن هناك طعاماً وشراباً على مائدة المسيح للذين يؤمنون به .

وأماعن الشراب فقد أشار انجيل متى إلى ذلك بقوله: " وأخذ الكأس وشكر و أعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم ، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد ، الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا وأقول لكم : إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم الذي أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي "[3]. وهذا نص صريح في أن المسيح وعد تلاميذه أنه سيشرب معهم خمراً من نتاج الكرمة في الآخرة. وهذا النص يبين أن في الجنة شرباً للخمر. كما صرح المسيح بذلك على ما في إنجيل متى الحالي.

وأيضاً نص لوقا " وتشربوا على مائدتي في ملكوتي "[4]. فهذا نص صريح أيضا على أن هناك شرابا في الجنة.

وأما فيما يتعلق بالنكاح: فقد أشارت نصوص الأناجيل في بعض نصوصها وجود الزواج في الجنة وملكية الصالح في الآخرة لأشياء كثيرة من البيوت والحقول. ورد في متى: " كل من ترك بيوتاً أو أخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمي يأخذ مائة ضعف، ويرث الحياة الأبدية"[5]

---

[1] إنجيل لوقا ٢٢/٢٩- ٣٠ .

[2] وليم ادي ، الكنز الجليل في تفسير الإنجيل ، ج١ ص٤٦٤ ، ج٢ ص٣٤٦ .

[3] إنجيل متى ٢٦/٢٧-٣٠ .

[4] لوقا ، ٢٢ /٢٩ .

[5] إنجيل متى ٢٨- ٢٩/٣٠ .

وهذا نص صريح في أن نعيم الآخرة يشبه نعيم الجنة مع الاختلاف، وكان المسيح يرغبهم في والحياة الأبدية لا تكون إلا في الجنة. وأيضا من ترك حقولا في الدنيا فله بدلا منها مائة ضعف، ومن ترك زوجة، فله مائة زوجة - بنص الأناجيل مائة ضعف - وله الحياة الأبدية.

فالنص هنا صريح في النكاح والملكية في الآخرة، بالرغم من أن إنجيل متى يصرح بأنه لا زواج يوم القيامة يقول: " لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء "[1] هذه النصوص التي تتحدث عن الطعام والشراب والقصور والزواج في الآخرة يؤولها النصارى إلى مجازات أخرى غير كونها حقيقة حسية في الآخرة. وستعرض لأرائهم بالتفصيل عند الحديث عن روحانية النعيم وحسيته وكذا العذاب.

المطلب الثاني
خلق الجنة وإعدادها للمؤمنين

أشارت الأناجيل إلى أن الجنة مخلوقة ومعدة للمؤمنين فجاء في إنجيل متى: " ثم يقول الملكُ للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم "[2]، وهذا النص يوضح أن الجنة - التي يطلق عليها النصارى أحيانا اسم الملكوت - معدةٌ منذ خَلْقِ الدنيا، ويدعوه المسيح ليرثوها - جزاءا على أعمالهم - . ويعتقد النصارى أن النفوس الصالحة في الفردوس الآن مع المسيح. ورد في أعمال الرسل قول بولس: "لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل

(1) انجيل متى، ٣٠/٢٢.

(2) إنجيل متى، ٢٥ / ٣٤.

جدا"(1)، ونفس المعنى ورد في رسالة كورنثوس الثانية " وَنُسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب "(2)

هذه بعض النصوص التي تثبت النعيم الحسي في الجنة من الطعام والشراب والنكاح، إلا إنها وإن كانت ثابتة في الأناجيل فان النصارى يؤولونها وعندهم أن النعيم المقيم يتمثل في الحياة الأبدية، وهذه الحياة في تصورهم " مصرحٌ بها في الكتاب في غاية الوضوح فقيل والأبرار إلى حياة أبدية(3) ، ولكي لا يهلك كل من يؤمن تكون له الحياة الأبدية " (4).

وهذه الحياة الأبدية تكون بالمسيح كما يزعمون " لأن أجرَة الخطيئة هي موت، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح ربنا يسوع "(5)، ويعتقدون أيضا أن النعيم الكامل الذي لا شئ سواه في الجنة يكون برؤية وجه الله الكريم؛ لأن التمتع بمشاهدته تملأ النفوس سعادة وهناء وغبطة، فتبقى مسحورة ببهائه الرائع لا ترتوى مدى الأبدية(6).

---

(1) أعمال الرسل، ٢٥/٢٠ .

(2) كورنثوس الثانية ٥ : ١/ ١٠.

(3) متى، ٤٦/٢٥ .

(4) ميخائيل مينا، علم اللاهوت النظامي، ص١٢٥.

(5) ميخائيل مينا، علم اللاهوت النظامي، ص١٢٢٦. وانظر رسالة رومية، ٢٣/٦ .

(6) ميشيل ميتيم، شرح التعليم المسيحي، ج١، ٢٣٣ .

المطلب الثالث
مصير الموتى من الأطفال
وخلود النعيم للأبرار

أشار علماء النصرانية إلى مصير الأطفال الذين يموتون قبل أن يُنصروا بالتعميد إشارات عابرة. فقد ورد في علم اللاهوت النظامي - وهو يمثل فرقة البروتستانت - أن " جميع الأطفال الذين يموتون قبل سن التكليف والبُلْه أيضا أي الخارجين عن دائرة المسئولية الأدبية ينالون الخلاص بالنعيم بالمسيح ، بتخصيص فوائد كفارته به ، فيتجددون ويدخلون في حال الخلاص حالا بعد الموت "(١)

وإذا كان البروتستانت قد قطعوا بالخلاص بالنسبة للأطفال الصغار والبُلْه الذين لم يدركوا شيئاً ، فإن الأرثوذكس يرون أن هناك اختلاف بين العلماء في مصيرهم ، ففريق من اللاهوتيين رأى " أنهم يكونون في حال متوسط بين الراحة ، أي أنهم لا يعذبون ، لأنهم لم يفعلوا شيئاً يستحقون عليه العذاب ن ولا يتنعمون التنعيم كله ، لأنهم لم يقتبلوا العماد الذي هو شرط أساسي للنجاة من العقاب والحصول على مجد الخلود "(٢)

هذا الفريق يرى أنهم لا ينعمون النعيم الكامل ، ولا يعذبون ، لعدم استحقاقهم العذاب وبعض اللاهوتيين نفى عنهم النعيم المتوسط ، ونفى عنهم العذاب أيضاً ، قال الفريق الآخر : " أنهم يعدمون حقاً مشاهدة الله إلى الأبد بسبب الخطيئة الأصلية ، إلا أنهم لا يتعذبون في النيران الأبدية "(٣). ومراد هذا الفريق أنهم لا يشاهدون الله ، لأن الخطيئة التي ولدوا وارثين إياها من آدم لا تمكنهم من رؤية الله

---

(١) ميخائيل مينا ، علم اللاهوت النظامي ، ص١٧٠.

(٢) نفس المرجع ، ص١٧٠.

(٣) نفس المرجع ، ص١١٧ .

والتنعم بذلك. وفي ذات الوقت لا يعذبون لعدم اقترافهم بالفعل الآثام. وينقل صاحب علم اللاهوت عن مستنيرين وغير مقدسين بالمعمودية لم خطيئة شخصية، ولا يستحقون كرامة ولا قصاصاً "[1]. ونلاحظ أن هذه الأقوال والآراء لا يستدل أصحابها بفقارات من الأناجيل وأعمال الرسل، وإنما هي عبارة عن اجتهادات واستنباطات[2].

وأما بالنسبة الى خلود النعيم للأبرار فإن النصارى يعتقدون بأبدية النعيم بالنسبة للأبرار. فقد ورد في علم اللاهوت النظامي: " أبدية تلك الحال مصرح بها في الكتاب في غاية الوضوح، فقيل: والأبرار إلى حياة أبدية "[3]، ويستدل علم اللاهوت النظامي بما ورد في متى ويوحنا الذي ورد فيه " الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية "[4]
وبما ورد في يوحنا أيضاً " ولأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية "[5]، وبما ورد في أعمال الرسل: " وآمن جميع الذين كانوا معينين للحياة الأبدية "[6]، ويستدل بنصوص كثيرة جداً على أبدية حال الأبرار في النعيم[7]، ويتحدث ميخائيل مينا عن خلود النعيم للأبرار بقوله: " إنه ثابت غير متناه؛ لأنه ثبات السعادة هو شرط ضروري لكمالها، لأن السعادة متى

---

(1) ميخائيل مينا، علم اللاهوت النظامي، بحسب معتقد الكنيسة الأرثوذكسية، ج٢، ص٢٢٤.
(2) نفس المرجع، ص٢٢٤.
(3) ميخائيل مينا، علم اللاهوت النظامي ص٢٢٤.
(4) يوحنا ٥:٢٤
(5) يوحنا، ٦/ ٤٠، ٤٧، ٥١، ٥٤، ٥٨.
(6) أعمال الرسل ٢٠ / ٢٥.
(7) رسالة تسالونيكي الثانية ١٠/٢ وعبرانيين ٩ /٥، ١٢، ٢٥، رؤيا يوحنا ٢٢/ ٥.

حصلت مجهولة الثبات حصل في قلب مالكها خوف فقدها ، ومن هذا الخوف يتولد الحزن الذي هو ضد السعادة الكاملة . ولن يكون هناك مرضى ولا موت ولكن إشراق وبهاء غير منقطع "[1].

المطلب الرابع
النار وما فيها في العقيدة النصرانية

ورد في قاموس الكتاب المقدس عن النار ما نصه " في العهد الجديد أعطيت الهاوية معنى جهنم، أي أرض اللعنات والرجاسات ومسكن العذاب الأبدي[2]، ومسكن العقاب للخطاة[3]، والهاوية كمركز لكل أنواع العقاب "[4]ونلاحظ أن جهنم كما هي عند المسلمين مكان للعذاب كذلك يعتقد النصارى . يقول القس كارل وليمز عن جهنم بأنها " المكان الذي يعذب فيه الخاطئون من النصارى ". وسواء كانت نيران جهنم حقيقية أو لم تكن فإن جهنم نفسها حقيقة واقعة، وإذا كانت النار تشبيهاً مناسباً للعقاب في جهنم فما أشد هول ورعب هذا العقاب[5]

ويعتقد النصارى أيضاً أن الأشرار مصيرهم النار في الآخرة. ورد في متى " ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار: اذهبوا عني يا ملاعين، إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته[6]" ، والعذاب في جهنم يكون بالنار والكبريت ورد في سفر الرؤيا " إن كان أحد يسجد للوحش ولصورته ويقبل سمته على جبهته أو على يده فهو

---

(١) انظر ميخائيل مينا، مرجع سابق ، ج٢ ص١١٦ بتصرف .

(٢) متى ١٨ : ٨٠ .

(٣) رؤيا يوحنا ٩ : ١١ ، ١١ :٧ ، ٢٠ : ٣٠ .

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص١٠٠٨.

(٥) الأمور المتيقنة عندنا ص١٩٦ كارل وليمز الكبير .

(٦) متى ٢٥ : ٤١ .

أيضاً سيشرب من خمر غضب الله المصبوب صرفاً من كأس غضبه ، ويعذب بنار وكبريت "[1]وهناك تألم من النار وبكاء وصرير للإنسان. ورد في متى " والعبد البطال اطرحوه إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان "[2]. وكما يكون العذاب بالنار والكبريت كما ورد في الأناجيل التي بأيدي النصارى فإن هناك عذاباً معنوياً يتمثل في غضب الله . وردفي رسالة بولس إلى أهل رومية ما نصه " وأما الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون للحق بل يطاوعون للإثم فسخط وغضب شديد وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر "[3]، وواضح من النص أن النصارى تعتقد في أن غضب الله يُعْتَبَرُ عذاباً من ألوان العذاب الذي يؤلم الأشرار في الآخرة . وورد في رؤيا يوحنا الجمع بين العذاب الحسي والمعنوي، و أما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون و الزناة و السحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار و كبريت الذي هو الموت الثاني [4]والنص يوضح أن الأشرار و فاعلي الإثم يعذبون في بحيرة من نار وكبريت، وما هم فيه من العذاب يعتبر موتاً ثانيا معنويا لا حسياً، إذ يعتقد النصارى أن العذاب في النار يكون أبدياً. ونفس الجميع بين العذاب الحسي والمعنوي نجده في رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكى " في نار ولهيب معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع

---

(١) رؤيا يوحنا ١٤ : ١٩ / ١١ .

(٢) متى ٢٥ : ٣٠ .

(٣) رسالة بولس إلى أهل رومية ١/٨ - ٩ .

(٤) رؤيا يوحنا ٢١ : ٨ / ٩ .

المسيح ، الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب من مجد قوته "(١) النار و اللهيب للذين لا يعرفون الله ولا يطيعون الإنجيل والهلاك الأبدي من وجه الرب .

وإذا كانت نصوص الأناجيل تجمع بين العذاب الحسي والمعنوي ، فإن كثيراً من النصارى لا يقولون بالنار الحسية ، ويغلبون العذاب المعنوي المتمثل في غضب الله والهلاك الأبدي والموت الثاني وخلافه(٢) . والبعض الآخر منهم يذهب إلى أنها نار حقيقية ، لأن تكرار ذكر النار في النصوص الإلهية هو دليل واضح على حقيقية وجودها ، وذكر النار لم يختلف وصفه في الأسفار الإلهية ، فإذن يجب أن نفهمه على حرفة(٣).

المطلب الخامس
أبدية العذاب

يعتقد النصارى أن العذاب الذي يتعذب به الأشرار أبدي ولا نهاية له . وعندهم أن من دخل النار لا يخرج منها أبداً إذ أن " حال الأشرار لا تتغير(٤)، وأنه لا رجاء للهالكين مطلقاً ، ويستدل النصارى بنصوص كثيرة على أبدية العذاب بالنسبة لمن دخلوا النار إذ "لا نهاية لقصاص الأشرار وأنه لا توبة حقيقية ولا إصلاح في العالم الأخير"(٥)، ويستدل علم اللاهوت النظامي بأن تعبير المسيح بالعذاب الأبدي والهلاك الأبدي ست مرات تدل على أنه لا نهاية له ، كما يتضح من استعمال لفظ أبدي نحو ستاً وستين مرة في العهد الجديد ، منها إحدى وخمسون

---

(١) رسالة تسالونيكي الثانية ١ :٨ / ٩ .

(٢) انظر الكنز الجليل ج١ ص٢٢٥ وانظر دراسات الاسخاطولوجيا ص٢٦/٢٧/٢٩/٣٠

(٣) ميخائيل مينا ، علم اللاهوت ج٢ ص١٠٨/١٠٩ بتصرف .

(٤) ميخائيل مينا ، علم اللاهوت النظامي ، ص١٢٢.

(٥) نفس المرجع ، ص١١٢.

إشارة إلى حياة الأبرار وغبطتهم ، وفي إثنتين الإشارة إلى مجد الله ، والباقي إلى أمور أخرى[1]

ويلفت علم اللاهوت النظامي النظر إلى نص في إنجيل متى ، وهو عن مصير الأبرار والأشرار فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي و الأبرار إلى حياة أبدية[2] ، ويعلق على هذا النص بقوله : " استعملت العبارة مرتين : الأولى للإشارة إلى عذاب الأشرار ، والثانية إلى حياة الأبرار . فإذا قلنا إن المقصود من الإشارة إلى عذاب الأشرار عونه بلا نهاية ، فكذلك أيضاً حياة الأبرار بلا نهاية[3] ، وهناك عبارات أخرى تدل على ذلك[4].

وما ذهب إليه علم اللاهوت النظامي يؤكده ميخائيل مينا بقوله : " لا يغرب عن الأذهان أن العذاب المخلد والهلاك الأبدي و العقوبات الدائمة والاستغراق في النيران الجهنمية لهي كغيرها من الأسرار العسيرة الفهم في الديانة المسيحية ، ومع ذلك فنحن ملزومون بتصديقها ، والإيمان بها ؛ لأن نصوصاً إلهية كثيرة أيدتها وأثبتتها "[5]. ومع اعتراف ميخائيل مينا بأن العذاب الأبدي من الأسرار العسيرة الفهم إلا أنه يحاول تعليل ذلك العذاب الأبدي ، وكيف أن خلوده لا يضاد العدل الإلهي ، بل يوافقه تمام الموافقة ، فبالرغم من أن ارتكاب الخطيئة كان قصيراً إلا أن حب الخطيئة غير متناه ، لأن الخاطئ يتمنى أن يحيا بلا انتهاء وحيث أنه مات

---

(1) نفس المرجع ، ص١٢٣ ، وانظر متى ، ٢٦ / ٢٤ — ٢٥ .

(2) متى : ٢٥ : ٤٦ .

(3) ميخائيل مينا ، علم اللاهوت النظامي ، ص٢١٩.

(4) متى ١٨ : ٨ ، ٢٥ : ٤١ ، مرقص ٣ : ٢٩ ، رسالة تسالونيكي الثانية ١ : ٩/ .

(5) ميخائيل مينا ، علم اللاهوت ج٢ ص١٥٣ / ١٥٤ .

في خطيئته فهو بالطبع كان يرغب فعلها إلى الأبد إن اتفق له أن يحيا إلى الأبد[١]. وقد أوضحنا في مبحث الشفاعة كيف أن النصارى لا يفرقون بين الكبائر والصغائر ما دام الإنسان لم يعترف على خطاياه، وكيف أنهم لا يعتقدون في الشفاعة في الآخرة.

المطلب السادس

رؤية الله تعالى في التصور النصراني

يتفق النصارى على اختلاف فرقهم على أن السعادة في السماء تكون برؤية الله في الآخرة يقول الأب " ميشيل يتيم " السعادة في السماء بمشاهدة وجه الله الكريم[٢]، فالله هو الجمال نفسه والتمتع بمشاهدته يملأ النفوس سعادةً وهناء وغبطة، فتبقى مسحورةً ببهائه الرائع ، لا ترتوي مدى الأبدية من هذه الرؤية السعيدة ، ويزيدها غبطة أنها متأكدة أن لا نهاية لسعادتها أبدى ، ويخبرنا القديس بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس[٣]، أنه لما اختطف إلى السماء سمع كلمات لا يجوز أن يتلفظ بها ، وشاهد ما لم يقع عليه عين ، وسمع ما لم تسمعه أذن ، وتمتع بم لا يخطر على قلب إنسان[٤] .

ونفس المعنى يذكره الأب " روبير كليمان " اليسوعي بقوله : " أعظم سعادة يتمتع بها الأبرار هو مشاهدة الله وجهاً لوجه ، متحدين به في محبة أبدية "[٥]

والاتحاد بالله والشركة معه هي السعادة الأساسية للنصارى في الآخرة، يقول دونالد ديماري: " الشركة مع الله هي أساس السماء "[٦] ويذكر " ميخائيل مينا" أن نعيم

---

[١] ر ميخائيل مينا ، علم اللاهوت النظامي ، ج٢ ، ص١٥٤- ١٥٥.

[٢] رسالة يوحنا الأولى، ٣ /٢ .

[٣] نفس المصدر، ١٢/٤ .

[٤] روبير كليمان اليسوعي ، إيماننا الحي ، ص٥١٢ .

[٥] روبير كليمان اليسوعي ، إيماننا الحي ، ص٥١٢ .

[٦] دونالد ديماري ، عقائد أساسية ومدخل في علم اللاهوت ، ترجمة شاكر إبراهيم سعيد، ص١٧١ .

الأبرار هو عبارة عن اتصالهم بالله ورؤيتهم جلالـه ، ورؤية الله هي الجزاء الأعظم الفائق كل خير ، الذي يملأ رغبة كل إنسان ويشبع شهوات نفسه ، بل هي سعادته النهائية المشتهاة من كل مشاعره والتي إليه تتجه كل أشواق قلبه(١) . وبناء على ما تقدم فإننا نجد أن هناك اتفاقاً على رؤية الله في الآخرة. وسوف نناقش النصارى في الله الذي يرى ، هل هو الله الذي خلق السموات والأرض أو هو المسيح الذي يؤلهه النصارى؟ أو هو الثالوث المتمثل في الأب والابن والروح القدس؟ . ويقول " ميخائيل مينا " : لقد ارتأى علماء الكتاب في رؤية الله رأيين هما :

الرأي الأول :

يرى أصحاب هذا الرأي أن رؤية الله بصورة حسية وبهيئة ترى بالعين الجسدية غير ممكنة لأنه ليس من المرئيات كما قال " بولس الرسول " : " الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه "(٢). وبناء على قول بولس إن الله الخالق للسموات والأرض لا يرى ، إذن فمن الذي يراه النصارى ويتمتعون برؤيته ؟ إنه المسيح ، ولكنهم يقولون إنه يتصل بذات الله. وهذا هو الشرك أو الحلول بعينه. يقول "ميخائيل مينا " بعد أن استدل بقول بولس " على عدم استطاعته رؤية الله نفسه " : " ترى ذاته تعالى وصفاته ، بربنا يسوع المسيح ؛ لأنه هو بهاء مجده ، ورسم جوهره ، وقد أعلن إرادته ورحمته وطول أناته وقداسته ، وقدرته وسائر صفاته لمخلوقاته "(٣)

ويصحبون عقيدتهم في اتحاد اللاهوت بالناسوت إلى الآخرة ليتمكنوا من رؤية الله بعد أن أعلن بولس أن الله لا يمكن أن يرى. وكما أن النفس ترى بالجسد

---

(١) ميخائيل مينا ، علم اللاهوت ، ج٢ ص ١٦٤ .

(٢) سالة تسالونيكي الأولى ، ٦:١٦ ، انظر علم اللاهوت .ج٢ ص١٥٤ / ١٦٥ .

(٣) نفس المصدر .

الذي تتحرك وتفعل به؛ هكذا اللاهوت يرى بواسطة الناسوت[1]. ويعتبرون أن الذي يرى "المسيح" فقد رأى الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ـ ويستدلون على ذلك بقول "يوحنا": قال له "فيليبس": يا سيد أرنا الأب وكفانا. قال له يسوع: "أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيليبس ؟ الذي رآني فقد رأى الأب، فكيف تقول أنت أرنا ؟ [2] وعلى هذا الأساس تفسر العبارات التي وردة على لسان علماء النصارى مثل الاتصال والاتحاد بالله.

الرأي الثاني:

يرى أصحاب هذا الرأي "أن الصالحين وإن كانوا لا يستطيعون أن يروا الله بحسب طبيعتهم إلا أنه كشف هذا الحجاب واستبدال الموت بعدم الموت والفساد بعدم الفساد، يستطيعون ذلك بكيفية استعدادية مفاضة في العقل المخلوق وثابتة فيه ترفعه فوق قوته الطبيعية، وتصيره قادراً بكمال الاقتدار على أن يعاين الحضرة الإلهية "[3]. وأصحاب هذا الرأي يفسرون قول "بولس": "إن الله لا يراه أحد من الناس"[4]. بأن معناه عدم إدراكه، أي لا يستطيع كائن من كان أن يدرك الطبيعة الإلهية، حيث إنها غير مدركة من أحد[5]. ولا نكاد نلمس تنزيه الله عند بعض علماء النصارى، حتى نفاجأ بهذا التجسيم في قول أحد علمائهم، يقول القديس "

---

[1] ميخائيل مينا، علم اللاهوت، ج٢، ص١٦٥.

[2] انجيل يوحنا ١٤/٨، ٩ وانظر ميخائيل مينا، علم اللاهوت، ج٢، ص١٦٥.

[3] القس إلياس مقار، إيماني، ص٥٣٤ – ٥٤٨، وميخائيل نعيمة، من وحي المسيح، ص ١٣٥–١٣٧، أحمد السقا، المسيا المنتظر، ص١٤٠.

[4] رسالة تسالونيكي الأولى، ١٦/ ٦.

[5] ميخائيل مينا، علم اللاهوت، ج٢، ص١٦٥.

باسيليوس ": " إن الصالحين يشاهدون الذات الإلهية وجهاً لوجه، ويعرفون الله بمقدار المعرفة التي يعرف تعالى بها ذاته بمرأى لاهوته "[1]

وخلاصة القول فان هذا الاضطراب في الموضوع. إن دل على شيء فإنما يدل على التدخل البشري على وحي الله عز وجل المتمثل في الإنجيل الذي علمه الله لعيسى بن مريم عليه السلام.

المطلب السابع
علامات الساعة في العقيدة النصرانية

ذكر الكتاب المقدس أشراط الساعة التي تدل على اقتراب القيامة أو المجيء الثاني، ومن تلك الأشراط ما يأتي[2]:

١- العنف والقهر والاضطهادات الدينية التي ستتعرض لها المسيحية: ودليل ذلك ما ورد في إنجيل لوقا : "وقبل هذا كله يلقون أيديهم عليكم ويضطهدونكم ويسلمونكم إلى المجامع والسجون وتقادون إلى الملوك والولاة لأجل مسمى"[3]. ومن الجدير بالذكر ، هذه المضايقات والشدة والعنف موجهة من قبل الأقرباء والآباء والإخوة. وقد ورد في إنجيل لوقا : "وستسلمون من الوالدين والإخوة والأقارب والأصدقاء ويقتلون منكم"[4]

---

[1] ميخائيل مينا، علم اللاهوت، ج٢، ص١٦٥ .

[2] القس إلياس مقار، إيماني، ص٥٣٤ – ٥٤٨ ، وميخائيل نعيمة، من وحي المسيح ، ص ١٣٥– ١٣٧ ، أحمد السقا، المسيا المنتظر، ص١٤٠.

[3] انجيل لوقا، ٢١ : ١٢ .

[4] نفس المرجع ، ٢١: ١٦.

٢- ظهور مدعي النبوة والمسيحانية وحدوث الآيات والعجائب على أيديهم : ودليل ذلك ما ورد في إنجيل مرقس : "فسيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة يعطون علامات وعجائب لكي يضلوا المختارين أيضًا إن أمكن"[١].

٣- كثرة الحروب والمخاوف والفتن وقيامة الأمة على الأمة : ورد في إنجيل لوقا : "فإذا سمعتم بحروب وفتن فلا تفزعوا فإنه لابد أن يكون هذا أولاً ولكن لا يكون المنتهى في الأثر، حينئذ قال لهم ستقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة"[٢].

٤- التغيرات الكونية والأرضية : ورد في إنجيل متى : "وعلى إثر ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه والكواكب تتساقط من السماء وقوات السماء تتزعزع"[٣]. وورد في إنجيل لوقا: "وتكون زلازل شديدة في أماكن شتى وأوبئة ومجاعات وتكون من السماء مخاوف وعلامات عظيمة. الويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام فإنه سيكون ضنك شديد في الأرض وسخط على هذا الشعب. وتكون علامات في الشمس والقمر وعلى الأرض كرب للأمم حيرة من عجيج البحر وجيشانه"[٤]

٥- الردة الدينية : ورد في رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي : "أن لا تكونوا سريعي التزعزع عن اعتقادكم ولا ترتاعوا من روح ولا من كلمة ولا من رسالة

---

(١) انجيل مرقص، ١٣: ٢٢. ومتى، ٢٤: ١١، ٥.

(٢) لوقا، ٢١: ٩: ١٠. ومتى، ٢٤: ٦: ٧.

(٣) انجيل متى، ٢٩: ٢٤. ولوقا، ٢١، ٢٥، ٢٧.

(٤) انجيل لوقا، ٢٥: ٢٣: ٢١.

كأنها منا أن قد قرب يوم الرب. لا يخدعنكم أحد بوجه من الوجوه لأنه لابد أن يسبق الارتداد أولاً ويظهر إنسان الخطيئة ابن الهلاك" [1].

١- انتشار رسالة الإنجيل وسيادته على قلوب الناس: ورد في إنجيل متى: "وسيكرز بإنجيل الملكوت هذا في جميع المسكونة شهادة لكل الأمم وحينئذ يأتي المنتهى" [2].

٢- الانحلال الخلقي وعقوق الوالدين : ورد في رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس: "واعلم أنها ستأتي في الأيام الأخيرة أزمنة عسيرة حينئذ يكون الناس محبين لأنفسهم وللمال مفتخرين متكبرين مجدفين عاقين للوالدين كافرين للمعروف فجارًا. لا ودّ لهم ولا عهد ملقي فتنة داعرين شرسين مبغضين للصلاح. خوانين مقتحمين منتفخين مغلبين حب اللذات على حب الله. لهم ظاهر التقوى لكنهم ينكرون قوتها فأعرض عن هؤلاء". [3]

٣- خراب مدينة أورشليم: ورد في إنجيل لوقا: "وإذا رأيتم أورشليم قد أحاطت بها الجنود فاعلموا حينئذ أن خرابها قد اقترب. فحينئذ الذين في اليهودية فليهربوا إلى الجبال والذين في داخلها فليخرجوا والذين في البلاد فلا يدخلوها. لأن هذه أيام انتقام لكي يتم كل ما كتب" [4].

---

[1] رسالة بولس الثانية الى تسالونيكي، ٢: ٢، ٣. وانظر متى، ٢٤ :١٠- ١٢ .

[2] متى، ١٤:٢٤ .

[3] رسالة بولس الثانية الى تيموثاوس، ٣ :١- ٥ .

[4] لوقا، ٢١ : ٢٠- ٢٢، ١٩:٤١- ٤٤ .

هدم هيكل سليمان : ورد في إنجيل متى : "ثم خرج يسوع من الهيكل ومضى فتقدم تلاميذه ليروا بناء الهيكل. فأجاب وقال لهم انظروا هذا كله الحق أقول لكم إنه لا يترك هاهنا حجر على حجر إلا ينقض"(١)

المطلب الثامن

ما جاء في أسماء اليوم الآخر في العقيدة النصرانية

هناك أسماء عديدة تحدثت عنها العقيدة النصرانية ومن تلك الأسماء ما يلي :

القيامة : هذا الاسم يدل على قيامة الأموات بأجسادهم. فقد ورد في إنجيل متى : "وفي ذلك اليوم دنا إليه الصدوقيون الذين يقولون بعدم القيامة"(٢)

قيامة الأموات : يدل على أن البشر سيقومون من الموت ، وجاء في إنجيل متى : "أما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل"(٣)

"فأما أن الموتى يقومون فقد بينه موسى عند العليقة إذ قال إن الرب هو إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب"(٤)

١- يوم الدين : يشير إلى القيامة ويدل على أن كل واحد يحاسب على أعماله من قبل الله.

ورد في إنجيل متى : "رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويحكمون عليه لأنهم تابوا بكرز يونان وههنا أعظم من يونان" (٥).

---

(١) متى، ٢٤:١:٢ .مرقص، ١٣:١،٢ .لوقا، ١٩:٤٤.

(٢) متى ، ٢٢ : ٢٣، ٢٨ ، ٣١ .مرقص ، ١٢ ، ١٨ ، ٢٣ .لوقا، ٢٠، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٥ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) لوقا، ٢٢ : ٣٧ .اعمال الرسل، ١٧ : ٣٢، ٢٣ : ٦ .رسالة بولس للعبرانيين ، ٦ : ٢ .

(٥) متى، ١٢ :٤١ .وفي النسخة البروتستانتية جاء لفظ" سيقومون يوم الدين "، متى ،١٢: ٤٢ .

٢- **الآخرة** : تشير إلى نهاية العالم التي تتم فيها القيامة. فقد ورد في إنجيل متى : "وسيكرز بإنجيل الملكوت هذا في جميع المسكونة شهادة لكل الأمم وحينئذ يأتي المنتهى"[١]

٣- **الساعة** : تأتي بمعنى نهاية العالم والقيامة العامة ، جاء في إنجيل متى : "فأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمها أحد ولا ملائكة السموات إلا الأب وحده"[٢]

٤- **الحشر والجمع** : يشيران إلى جمع الناس وحشرهم للفصل النهائي. فقد ورد في إنجيل متى: "وتجمع لديه كل الأمم فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء"[٣]

٥- **اليوم الآخر** : ورد في إنجيل يوحنا : " وهذه مشيئة الأب الذي أرسلني أن لا أتلف من كل ما أعطاني شيئًا لكني أقيمه في اليوم الآخر"[٤]. " ما من أحد يقدر أن يقبل إليّ كم له يجتذبه الأب الذي أرسلني وأنا أقيمه في اليوم الأخير"[٥]

٦- **يوم مجيء الرب** : فقد ورد في رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي : "لأنكم تعلمون يقينًا أن يوم الرب هكذا يأتي كاللص في الليل"[٦]

---

[١] متى، ٢٤ : ١٤ . وفي النسخة البروتستانتية جاء لفظ " وحينئذ تأتي الآخرة ". أنظر مرقص، ١٣ : ٧ .

[٢] متى ، ٢٤ : ٣٦ ، ٤٢- ٤٤، ٢٥: ١٣ . ومرقص، ١٣ : ٣٢ .

[٣] إنجيل متى ، ٢٥ : ٣٢ ، ٢٤ : ٣١. وانظر مرقس ، ١٣ : ٢٧.

[٤] إنجيل يوحنا ، ٦ : ٣٩ ، ٤٤.

[٥] المرجع السابق ، ٦ : ٤٠ ، ٤٥. وانظر رسالة بطرس الأولى ، ١ : ٥.

[٦] رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي ، ٥ : ٢ ، ١٥ : ١٥. ورسالة بطرس الثانية إلى أهل تسالونيكي، ٢ : ٢ .

١- يوم الله : جاء في رسالة بطرس الثانية : "منتظرين ومستعجلين مجيء يوم الله الذي به ستلتهب السماوات وتنحل وتتقد العناصر وتذوب"(١)

٢- يوم المسيح: هو يوم مجيء المسيح ليدين الناس جميعًا. وورد في رسالة بولس إلى أهل فيليبي: "وأني لواثق بأن الذي ابتدأ فيكم العمل الصالح يتممه إلى يوم المسيح يسوع .. حتى تختبروا ما الأفضل لتكونوا خالصين لا عثار فيكم إلى يوم المسيح"(٢)

٣- يوم الدينونة : فقد جاء في رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل كورنثوس : "فإن عمل كل واحد سيكون بينًا لأن يوم الرب سيظهر إذ يعلن بالنار وستمتحن بالنار عمل كل واحد ما هو"(٣)

٤- ويوم الله ، اقتراب الأوان ، يوم ابن البشر : ورد في إنجيل يوحنا "إبراهيم أبوكم ابتهج حتى يرى يومي فرأى فرح"(٤)

٥- الآخرة: فقد ورد في رسالة بطرس الأولى: "قد اقترب آخرة كل شيء فتعلقوا إذن وتنبهوا للصلوات"(٥)

---

(١) رسالة بطرس الثانية ، ٣ : ١٢.

(٢) رسالة بولس إلى أهل فيليبي ، ١ : ٦ ، ١٠ ، ٢ : ١٦. ورسالة بولس الأولى إلى أهل كورنيوس ، ١ : ٨.

(٣) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ، ٣ : ١٢. انظر إنجيل متى ، ٢٥ : ٣١ – ٤٦. إنجيل مرقس ، ١٤ : ٦٢. ملاخي ، ٣: ١٦.

(٤) إنجيل يوحنا ، ٨ : ٥٦. انظر إنجيل لوقا ، ١٧ : ٢٢ ، ٣٠.

(٥) رسالة القديس بطرس الأولى ، ٤ : ٧.

المطلب التاسع
رأي الإسلام في عقيدة
البعث عند النصارى

يبين لنا القرآن الكريم أن الديانة النصرانية كما نزلت من عند الله تؤمن وتقر باليوم الآخر والبعث والقيامة والحشر والجنة والنار والحساب والعقاب. ومن أدلة القرآن على ذلك ما يأتي :

١- قول تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً}(١).فالله تعالى يخاطب نبينا محمدًا ﷺ أنه أوحي إليه كما أوحى إلى غيره من الأنبياء السابقين عليه ، أي أنه أوحى إلى عيسى عليه السلام كما أوحى إلى محمد ﷺ. حيث يرى أن فالأنبياء جميعًا عبارة عن موكب واحد ورسالة واحدة تشمل جميع الأنبياء من أولهم إلى آخرهم.

قول الله تعالى: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۞ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۞ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}(٢). ويورد القرطبي عن قتادة وابن زيد في تفسيره لهذه الآية قولهما: "تتابعت كتب الله – كما تسمعون- أن الآخرة خيرُ وأبقى"(٣)

وبما أن الإنجيل – الكتاب المقدس عند النصارى – كتاب – في أصله – منزل من الله تعالى على سيدنا عيسى عليه السلام ، وبما أن الكتب السماوية يستحيل

---

(١) سورة النساء ، آية : ١٦٣.

(٢) سورة الأعلى ، آية : ١٦-١٩ .

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج٢٠ ، ص ٢٤.

عليها التناقض، لأن مصدرها واحد، بل جاءت يصدق بعضها بعضًا، فإنه من المؤكد وجود ذكر اليوم الآخر في الإنجيل، فقد تتابع ذكر اليوم الآخر – كما فهمنا من الآية – في الكتب المقدسة، ومن ضمن تلك الكتب كتاب الإنجيل والعهد الجديد عن النصارى.

٣- قول الله تعالى: { أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ۞ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى۞ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى۞ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى۞ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۞ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى }[1]. فهذه الآية والآية التي سبق ذكرها تقرر في وضوح تقدم الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر على ألسنة الأنبياء.

ودعوة عيسى هي عين دعوة من سبقه بدليل قول الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ}[2].وقوله تعالى في صفة الإنجيل: {وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ }[3]

٤- قوله سبحانه وتعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً }[4].فهذه الآية تخبرنا أن عيسى عليه السلام يؤمن ويقر بالبعث والنشور فإن الذين يزعمون أنهم إتباع عيسى عليه السلام لابد أن يقتفوا أثره في كل صغيرة

---

[1] سورة النجم، آية: ٣٥- ٤١.

[2] سورة الصف، آية :٦.

[3] سورة المائدة، آية: ٤٦.

[4] سورة مريم، آية: ٢٣

وكبيرة وخاصة إذا تعلق الأمر بركن أو أصل من أصول الدين مثل ركن الإيمان باليوم الآخر. فمعظم الآيات التي تتحدث عن عقيدة اليوم الآخر والبعث عند اليهود تنطبق على الديانة النصرانية لأن عيسى عليه السلام قد جاء ليتم ويكمل ما جاء به موسى عليه السلام ، وإضافة إلى هذا فإن عيسى أرسل إلى بني إسرائيل فإن عقيدة اليوم الآخر والإيمان به كما يقول سيد قطب : " كان عنصرًا من عناصر العقيدة على لسان الرسل جميعًا .."[1]

المبحث الثاني
أثر العقائد الوثنية في الديانة النصرانية

المطلب الأول
هبوط الآلهة إلى الجحيم ونزول المسيح إلى الجحيم

لقد ثبت أن هناك وجه شبه بين عقائد النصارى وعقائد الوثنيين ، وإليك المقارنة موجزة بين العقائد الوثنية والعقائد النصرانية. إذ يعتقد الوثنيون بأن أبناء الإله المتجسدين ينزلون إلى الجحيم ليقوموا بخلاص الأموات ، وعلى سبيل المثال كرشنا مخلص الهنود قبل ارتفاعه إلى السماء نزل الجحيم من أجل خلاص الأموات. وزوستر فعل الأمر نفسه . وكذلك أدونيس المخلص المولود من عذراء ياخوس ، وهرقل وعطارد وبالدور (إله الإسكندنافيين) كلهم نزلوا إلى الجحيم ليقوموا بمهمة خلاص الموتى. والنصارى يعتقدون أن المسيح بعد صلبه (حسب زعمهم) نزل إلى الجحيم من أجل خلاص المقربين[2]

---

(1) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج١٢ ، ص ١٩٨٨.

(2) محمد طاهر، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص ١٤٣ - ١٤٤. مصطفى حلمي، الإسلام والأديان - ، ص ٦٤ – ٦٦.

وورد في أعمال الرسل: "سبق فأبصر وتكلم عن قيامة المسيح بأنه لم يترك في الجحيم ولم ير جسده فسادًا"[٢]. ويقول كليمندوس الإسكندري: "قد بشر يسوع في الإنجيل أهل الجحيم كما بشر به وعلمه لأهل الأرض كي يؤمنوا به ويخلصوا أينما كانوا فإذا نزل الرب إلى الجحيم توفيقًا ببشارة الإنجيل أيكون نزوله من أجل الجميع أم من أجل اليهود خاصة ؟ فإذا كان من أجل الجميع فكل، آمن به نجا وإن كان من الأمم التي طالما اعترفت به هنالك تكون الطامة على غيرها"[٣]. ويقول كريسوم: " لا ينكر نزول المسيح إلى الجحيم إلا الكافر"[٤].

أما عن قيامة الآلهة من بين الأموات وقيام المسيح من بين الأموات، يعتقد الوثنيون بقيام الآلهة من بين الأموات، فعلى سبيل المثال قيام كرشنا من بين الأموات وارتفاعه إلى السماء، وكذلك قيام ورام ويوذا من بين الأموات وغيرهم من الآلهة كلهم صعدوا إلى السماء بأجسادهم. وكذلك النصارى يعتقدون بقيام المسيح ﷺ من بين الأموات[١]. وجاء في إنجيل متى: " أنه ليس ههنا فإنه قد قام كما قال". وورد في إنجيل مرقس : "إنه قد قام وليس هو ههنا .. "[٢].

---

(٢) أعمال الرسل ، ٢ / ٣١.

(٣) محمد طاهر ، التنوير ، مرجع سابق ، ص ١٤٥.

(٤) نفس المرجع ، ص ١٤٤.

(١) محمد طاهر ، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، ص ١٤٧ ، ١٥٧. حلمي ، مصطفى ، الإسلام والأديان — دراسة مقارنة ، ص ٦٤ — ٦٦ .

(٢) إنجيل مرقس ، ١٦ / ٦. انظر إنجيل يوحنا ، ٢٠ : ١- ٩.

المطلب الثاني
عودة الآلهة إلى العالم ثانية من أجل الدينونة ومجيء المسيح الثاني إلى العالم لذات الغرض

يعتقد الوثنيون بأن الآلهة سيأتون مرة ثانية إلى هذا العالم من أجل الدينونة، وعلى سبيل المثال فإن مخلص الصينيين وحاميهم (فشنو) سيأتي مرة ثانية في الأيام الأخيرة، وكذلك البوذيون يعتقدون بمجيء بوذا في الأيام الأخيرة ليعيد النظام والسعادة إلى الدنيا، وكلهم سيأتون مرة ثانية من أجل الدينونة، والنصارى يعتقدون بمجيء المسيح الثاني[1]

ورد في إنجيل متى: "مثلما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب كذلك يكون مجيء ابن البشر"[2]. وورد في أعمال الرسل: "وبينما هم شاخصون نحو السماء وهو منطلق إذا برجلين وقفا عندهم بلباس أبيض وقالا لهم أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء إن يسوع هو الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما عاينتموه منطلقًا إلى السماء"[3]

ومن المعلوم أن العقائد الوثنية سبقت الديانة النصرانية، ولقد رأينا تشابهًا كاملاً بين النصرانية والعقائد الوثنية، وبناءً على هذا أقول: إن تأثر الديانة النصرانية بالعقائد الوثنية ليس فقط بعقيدة اليوم الآخر، بل بالعقائد الوثنية الأخرى، وأهمها عقيدة التثليث ولا أريد أن أخوض في موضوع التثليث لأنه ليس موضوع بحثي ولا داعي للتفصيل فيه هنا. وجاء في كتاب (يسوع المسيح) للقس بولس إلياس: "أنه في مفتتح

---

(1) محمد طاهر، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص ١٥٩- ١٦٤. مصطفى حلمي، الإسلام والأديان، ص ٦٤- ٦٦. الطهطاوي، محمد النصرانية والإسلام، ص ٩٨.

(2) إنجيل متى، ٢٤ / ٢٧.

(3) أعمال الرسل، ١٠ / ١٠- ١١.

القرن السابع الميلادي كتب بابا غريغوريس الأول الكبير إلى القديس أوغسطوس كنتبري ببريطانيا يقول: " دع البريطانيين وعاداتهم وابق لهم أعيادهم الوثنية واكتف بتنصير تلك الأعياد والعوائد وضع إله المسيحيين موضع آلهة الوثنيين"[1]. ويقول الامام أبو زهرة: "وإذا كانت البرهمية أسبق من النصرانية المحرفة فقد علم إذن المشتق والمشتق منه ، والأصل وما تفرع عنه ، وعلى المسيحيين أن يبحثوا عن أصل دينهم"[2]

المطلب الثالث
الاستدلال على اليوم الآخر عند النصارى

لم يتعرض العهد القديم أو العهد الجديد لليوم الآخر وما فيه من وقائع بشكل واضح ومفصل بل أشارت تلك الكتب إلى ذلك إشارات عابرة. وفيما يلي بيان للأدلة التي اعتمد عليها النصارى في الاستدلال على اليوم الآخر من ناحية مكانه ، ووقوعه :

أولا : أدلة الإمكان عند النصارى

لم يتعرض العهد القديم لأدلة تفصيلية تبين مدى إمكانية البعث بعد الموت ، إلا أنه قد اشتمل على إشارات تدل على البعث بعد الموت. ومن النصوص التي يستدل بها النصارى على البعث من العهد القديم ما ورد في سفر أيوب وأشعياء. فقد ورد في أيوب « أما أنا فقد علمت أن وليي حي والآخر على الأرض

---

(1) سعيد أيوب ، المسيح الدجال ، ص ١٥٤.

(2) محمد أبو زهرة ، الديانات القديمة ، ص ٢٩.

يقوم، وبعد أن يفنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله الذي أراه لنفسي وعيناي تنظران وليس آخر، إلى ذلك تتوق كليتاي في جوفي».

وهذا النص عبارة عن إخبار من أيوب على حسب زعم النصارى واليهود بقيامته بعد أن يتحلل ويفنى، وسوف ينظر إلى الله وهذا أسمى ما يتمناه[1]. ولكن لا يتضمن نص أيوب دلائل عقلية تثبت إمكانية قيامته تلك في الآخرة. فما ورد على لسان أيوب لا يعدو أن يكون أكثر من إخبار عن القيامة. أما نص أشعياء فهو «تحي أمواتكم، تقوم الجثث، استيقظوا، ترنموا يا سكان التراب لأن طلك طل أعشاب، والأرض تسقط الأخيلة»[2]. وهذا النص يشير إلى البعث وفيه شيء من الاستدلال، لأنه شبه اليهود بعشب قد يبس ثم نزل عليه المطر _ أي نعمة الله _ فانتعش واستيقظ وبعث بعد الموت[3]. وهذا النص يشبه إلى حد ما بعض ما ورد في القرآن الكريم من أدلة على بعث الموتى من قبورهم كخروج الزرع من الأرض بعد سقوط المطر. ونكتفي هذا من العهد القديم لإفراد مبحث خاص للاستدلال على اليوم الآخر عند اليهود.

وإذا تركنا العهد القديم وذهبنا إلى العهد الجديد فإننا نجد أن الأناجيل لم تتحدث كثيراً عن البعث وإمكانه، وإنما هي تقريرات إجمالية للإخبار عن وقوع القيامة للحساب والجزاء. وأدلة الأناجيل تخلو من أي إشارة إلى إمكانية البعث بقياسه على خروج الزرع من الأرض الميتة مثلاً، أو بقياسه على النشأة الأولى.

---

[1] سفر أيوب ١٩ / ٢٥-٢٦ .

[2] أشعياء، ٢٦ / ٩

[3] انظر السنن القويم في تفسير العهد القديم، إصدار مجمع الكنائس الشرق الأدنى في بيروت، جـ ٥، ص٢١١

ولكن ما ورد في الأناجيل عبارة عن إخبار عما سيحدث قبل القيامة وبعدها، من محاسبة المسيح للناس والحكم عليهم. ولنعرض بعض النصوص التي تتحدث عن البعث يوم في اليوم الآخر.

وجاء في متى « وأما من جهة قيام الأموات أفما قرأتم من قبل ما قيل لكم من قبل الله القائل أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب، ليس الله إله الأموات، بل إله الأحياء. فلما سمع الجموع بهتوا من تعاليمه »[1]. والنص يشير إلى أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب أحياء عند الله، لأنهم لو ماتوا وكفوا بالموت عن الوجود لما كان من اللائق بالله أن يقول لموسى أنا إلههم؛ لأن الله ليس إله الأموات ولكنه إله الأحياء. فالله لم يقطع العلاقة الكائنة بينهم، وهذه العلاقة توجب إقامتهم لأن فناءها لأن الموت مرحلة دخيلة على الإنسان[2].

وجاء في انجيل مرقس عن البعث « وأما في تلك الأيام بعد ذلك الضيق، فالشمس تظلم والقمر لا يعطي ضوءه ونجوم السماء تتساقط والقوات التي في السماوات تتزعزع، وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا في سحاب بقوة كثيرة ومجد، فيرسل حينئذ ملائكته، ويجمع مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء[3].

ونص مرقس لا يعدو أن يكون إخباراً بوقوع القيامة بدون استدلال عقلي على إمكانه. وهذا ما نلاحظه في نصوص الأناجيل[4]، التي تتحدث عن البعث

---

(1) متى ٢٢ /٣١-٣٣.
(2) بنيامين نيكرتن، تفسير إنجيل متى، ص ٣٨٠ ٩٩ .
(3) - مرقس ١٣ / ٢٤-٢٨، يوحنا ٥ / ٢٨.
(4) متى، ٢٤ / ٢٩-٣٣.

والقيامة ، إشارات سريعة لا تحتوي على تفاصيل مسهبة من الممكن أن يستخلص منها القارئ أدلة عقلية ملزمة للاستدلال على البعث ، كما فعل القرآن الكريم في كثير جداً من آياته التي تثبت البعث الدليل العقلي . وإذا تركنا الأناجيل وتأملنا ما كتبه بولس عن البعث في رسائله نجد أنه يختلف في أسلوبه وطريقة علاجه لمسألة البعث وإمكانه. ولنأخذ على سبيل المثال رسالة كورنثوس الأولى الإصحاح الخامس عشر، ورد فيه عن البعث وإمكانه.

« و لكن قد يقول قائل كيف يقام الأموات وبأي جسد يأتون. يا غبي الذي تزرعه لا يحيى إن لم يمت والذي تزرعه لست تزرع الجسم الذي سوف يسير. بالحبة مجردة ربما من حنطة أو أحد البواقي، ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد، ولكن واحد من البذور جسم آخر، ليس كل جسد جسداً واحداً، بل للناس جسد واحد وللبهائم جسد آخر وللطير آخر، وأجسام سماوية وأجسام أرضية، لكن مجد السماويات شيء ومجد الأرضيات آخر.

مجد الشمس شيء ومجد القمر آخر، ومجد النجوم آخر لأن نجماً يمتاز عن نجم في المجد، هكذا أيضاً قيامة الأموات، يزرع في فساد ويقام في عدم فساد ويزرع في هواء ويقام في مجد، يزرع في ضعف ويقام في قوة يزرع جسماً حيوانياً ويقام روحانيا» [1].في هذا الإصحاح الذي يقول عنه قساوسة النصارى: « إنه يعتبر من أروع ما كتب عن البعث والقيامة » [2].

---

[1] رسالة كورنثوس الأولى ١٥/٣٥-٤٥.

[2] انظر الأنبا يؤانس ، السماء ، ص١٠٣.

ولقد أراد بولس أن يقرب حقيقة بعث الأموات، فوجه نظر السائل لأمر مألوف لديه، يحدث أمامه بتواتر في نبات المزروعات بقوله: «يا غبي الذي نزرعه لا يحيا إن لم يمت» أي إن كان الزرع الذي تزرعه أنت أيها الإنسان وتباشره بنفسك يومياً لا يعيش إلا بعد أن يكون قد مات وفسد في التراب، وهذا بحسب الطبيعة لا أعجوبة فيه، فكيف لا يقوم الأموات بالقدرة الفائقة الطبيعية ولو عراها البلى والفساد؟ إن فناءها هو استحضار لأن تقوم، كما أن فساد الزرع هو استحضار له أن يعيش، أي أن البذر الذي يدفن في التراب لا يتلاشى بل تنبت له حياة جميلة بل أجمل مما كان عليه أولاً، إذ أن السنبلة أمجد من القمحة، كذلك الأجساد المدفونة في الأرض لا تتلاشى بل تحصل على حياة جديدة أمجد من الأول»[1]. والذي ذكره بولس يدل على إمكانية البعث، وذلك بقياس خروج الزرع من الحبة التي يبست بل إن الحبة تزرع في فساد وتقام في عدم فساد، وتزرع وهي ضعيفة وتنبت وهي قوية، فهكذا الأجساد تقوم في مجد يختلف عن حالها قبل البعث.

ويستدل أحد القساوسة على البعث بقدرة الله على الأشياء وأن البعث بعد الموت أمر هين على الله. يقول القديس باسليوس الكبير «لا تقل إن القيامة مستحيلة نظراً لتبدد ذرات الجسد، لأن ذلك بعسير على الخالق القدير، فإنك إذا أفرغت الزئبق من وعائه على الأرض فإنه يتفرق إلى أجزاء صغيرة، لم تفتأ تدور تدور وتتدحرج من هنا وهنالك، ولكن إذا سهلت لها الطريق عاد كل جزء إلى صاحبه من ذاته والتحم به، هكذا جسم الإنسان فإنه متى أمر الله برجوعه بعد تفرق عناصره عاد كل جزء من أجزاء صاحبه بما وضع فيه الحكيم القدير من الجاذبية التي

---

[1] ميخائيل مينا علم اللاهوت، جـ ٢، ص ١٤١.

تجتمع تلك الدقائق وتلتحم ببعضها، لأن النفس تعرف جسمها بمعرفة خفية بعلامات قد وضعت لها»[1].

ويستدل يوحنا فيما ذهب على البعث بقدرة الله الخالق الأول وأن القادر على الخلق الأول من لا شيء قادر على أن يعيده مرة أخرى.فالله أخرج من الأرض الخالية من النفس والفاقدة الحس أجناسها هذا مقدارها من النباتات والحيوانات الغير ناطقة، ليقود الإنسان لمعرفة القيامة ويسهل عليه التصديق بها لأن هذه أغرب من أمر القيامة وأعجب، إذ لا يمكن أن يستوي من يوجد النار حيث لم تكن موجودة مع من يضيء السراج إذا انطفأ، كما انه لا يستوي من يعيد بناء بيت متهدم بأنقاضه مع من يوجد بيتا لم يكن موجودا، لأن في البدء كان الجوهر نفسه منعدما، ومن استطاع أن يفعل الأصعب لا يعجزه الأسهل »[2].

ويلاحظ أن الأدلة و المعاني التي ذكرها فيما ذهب من خروج النباتات من الأرض و من هوان الإعادة مرة ثانية على الذي بدأ الإنسان أولا من لا شيء تتوافق مع كثير من الآيات القرآنية تتحدث عن هذه المعاني مثل قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[3]. فما جاء به القرآن بلا شك هو أسبق مما جاء على لسان هؤلاء الشراح.

---

[1] نفس المرجع ، جـ ٢ ، ص ١٤٢.

[2] ميخائيل مينا علم اللاهوت ، جـ ٢، ص ١٤٥.

[3] سورة الروم، آية : ٢٧.

ثانيا : أدلـة الوقـوع

من الأدلة التي يعتمد عليها النصارى في إثبات البعث يوم القيامة : قيامة بعض الأفراد من الموت على يد أنبياء إسرائيل قبل عيسى عليه السلام وبعد مجيئه. إذ أن الأناجيل تسجل بعض الحالات التي أقامها عيسى عليه السلام من الموت، و القرآن الكريم يذكر أن المسيح كان يحيي الموتى بإذن الله ، إلا أن النصارى لا تكتفي بإحياء الموتى، وفيما يلي بيان الحالات التي وردت في العهد القديم والأناجيل و أعمال الرسل للذين بعثوا بعد الموت كما تذكر النصوص.

أما في العهد القديم: فيقول الأنبا يؤانس: « إن العهد القديم يسجل لنا ثلاث حالات برهانا عملياً على القيامة من بين الأموات »[1]. وأما بالنسبة إلى ما ورد في العهد الجديد، فان النصارى يستدلون على وقوع البعث من العهد الجديد بالأشخاص الذين أقامهم المسيح وبعض تلاميذه من الموت، وأيضاً يستدلون بقيامة المسيح من الموت، ويجعلون قيامة المسيح من الموت المحور الذي يدور عليه إثبات بعث الناس من الموت للجزاء وسأبين فيما بعد الحالات التي أقامها المسيح من الموت ثم قيامه. ولقد أشارت الأناجيل إلى الحالات التي أقامها أشخاص غير مسيح، فقد ورد في متى « وفيما هو يكلمهم بهذا إذا رئيس قد جاء له قائلاً: إن ابنتي الآن قد ماتت، لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا .

ولما جاء يسوع إلى بيت الرئيس ونظر المزمرين والجمع يضجون قال لهم: تنحوا فإن الصبية لم تمت لكنها نائمة. فضحكوا عليه، فلما أخرج الجمع الدخل،

---

(1) الأنباء يؤانس، السماء، ص ٩٩.

وأمسك بيدها، فقامت الصبية، فخرج ذلك الخبر إلى تلك الأرض كلها »[1].

لاحظ أن النوم عند النصارى يطلق على الموت، وأن إحياء عيسى عليه السلام لتلك الصبية قد أثر كثيراً في الناس، كما يقول صاحب الكنز الجليل، يقول: « أثرت هذه المعجزات في الناس أكثر من غيرها، لأنهم لم يشاهدوا في تغيرات الطبيعة شبيها لها »[2]. وورد في لوقا « فلما اقترب إلى باب المدينة إذ ميت محمول، ابن وحيد لأمه وهي أرملة ومعها جمع كثير من المدينة. فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها: لا تبكي. ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون. فقال: أيها الشباب لك أقول: قم. فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه »[3].

وهذه الواقعة إن صحت فإن القرآن الكريم بين إحياء المسيح للموتى كان بإذن الله، وإحياء عيسى عليه السلام للأموات لا يعدو أن يكون معجزة أيد الله بها عيسى عليه السلام، كما أيد غيره من الأنبياء، ولا يمكن أن يكون إحياء عيسى عليه السلام للأموات مخرجاً له عن طبيعة البشر وكونه رسولاً كسائر الرسل.

ولكن أحد النصارى يعلق على نص لوقا السابق بقوله: « ونستنتج أن للمسيح قوة فائقة وشفقة لا نظير لها، وأنه بالحقيقة ابن الله وابن الإنسان »[4]، لا أدري لماذا لم يعتبروا الذي أقاموا الأموات أبناء الله كما فعلوا مع المسيح عليه السلام[5]

---

(1) متى، ٩/ ١٨، ٩/ ٢٣، ٢٣/ ٢٦.

(2) وليم ادي، الكنز الجليل، جـ ١، ص ١٤٢ ـ ١٤٣.

(3) لوقا، ٧/ ١٣ ـ ١٦.

(4) الكنز الجليل، جـ ٢، ص ٢٠٧.

(5) ابن القيم، هداية الحيارى، ص ٢٧٨.

ونتتقل لقيامة المسيح من الأموات على حسب ما ورد في الأناجيل وأعمال الرسل. وقد وردت الرواية عن ذلك في إنجيل متى، كما وردت في انجيل لوقا، وأن الذي أخبر عنها امرأتان، مريم المجدلية، و مريم الأخرى بناء على ما سمعتاه من « ملاك الرب »إذ قال لهما: « إنكما تطلبان يسوع المصلوب، ليس هو ههنا لأنه قام. اذهبا سريعا، قولا لتلاميذه: إنه قد قام من الأموات، هاهو يسبقكم إلى الجليل»[1].

ويلحق النصارى في استدلالهم على وقوع البعث بقيامة المسيح قيام أموات القبور بعد قيامة المسيح. يقول الأنبا يؤانس: « إن الموتى كثيرين قاموا من بين الأموات. ومن أمثلة ذلك القديسون الكثيرون الذين خرجوا من القبور بعد أن أسلم السيد المسيح روحه في يدي الأب و دخلوا إلى أورشليم، والقبور تفتحت، وقام كثير من جساد القديسين الراقدين، و خرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة و ظهروا لكثيرين »[2]. ويذكر التقليد الكنسي أن عدد هؤلاء الراقدين الذي قاموا من بين الأموات كانوا خمسمائة وأنه حينما صرخ السيد المسيح بصوت عظيم، قام هؤلاء وتجمعوا في جبل الزيتون، وعلى أثر قيامة السيد المسيح دخلوا إلى المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين [3]

وهذه النماذج يستدل بها إلنصارى على وقوع البعث بعد الموت في الآخرة كما قام هؤلاء من الموت في الدنيا. أما عن إحياء غير المسيح لموتى آخرين فإن أعمال الرسل تذكر عدة حالات، نكتفي منها بحالة أحيا فيها بطرس ـ الذي يقول النصارى إنه أحد تلاميذ المسيح ـ وحالة أخرى لبولس الذي لم يشاهد المسيح قط، بل كان

---

[1] متى ٢٨ / ١ ـ ٨.

[2] ٢٧ متى / ٥٢ ـ ٥٣.

[3] أنظر السماء للأنباء يؤانس، ص ١٠١ـ١٠٢ .

من أعدى أعدائه في حياته . ولكنه بعد أن مات المسيح اعتقد المسيحية ونصب نفسه رسولاً لها.

وعن إحياء « بطرس » لفتاة اسمها « طابيثا » فقد ورد في أعمال الرسل :

« وكان في يافا تلميذة اسمها طابيثا الذي ترجمته غزالة ، هذه كانت ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات كانت تعملها . وحدث في تلك الأيام أنها مرضت وماتت فغسلوها ووضعوها في علية ، وإذا كانت بلدة قريبة من يافا وسمع التلاميذ أن بطرس فيها أرسلوا رجلين يطلبان إليه أن لا يتوانى على أن يجتاز إليهم فقام بطرس وجاء معهما ، فلما وصل صعدوا به إلى العلية ، فوقفت لديه جميع الأرامل يبكون ويرين أقمص وثياباً مما كانت تعمل غزالة وهي معهن ، فأخرج بطرس الجميع خارجاً وجثا على ركبته وصلى ثم التفت إلى الجسد وقال : يا طبيثا قومي . ففتحت عينها ، ولما أبصرت بطرس جلست فناولها يده وأقامها ، ثم نادى القديس والأرامل وأحضرها حية ، فصارت ذلك معلوما في يافا كلها فآمن كثيرون بالرب »[1]

ويفيض الكنز الجليل في تفسير الإنجيل بالكثير من صفات القداسة على بطرس ومعجزاته وقربه من الله وغير ذلك[2]. أما الحالة التي وردت في أعمال الرسل فهي إحياء بولس لشباب سقط من مكان مرتفع فقام بولس وأحياه. « وكان شاب اسمه أفنيخوس جالساً في الطاقة متثقلاً بنوم عميق ، وإذ كان بولس يخاطب خطاباً طويلاً غلب عليه النوم فسقط من الطبقة الثالثة إلى أسفل وحمل ميتاً ، فنزل بولس ووقع عليه قائلاً : لا تضطربوا لأن نفسه فيه. ثم صعد وكسر خبزاً وأكل وتكلم كثيراً إلى

---

[1] أعمال الر ل ٩ ـ ٣٦ ـ ٤٣.

[2] وليم أدي ، الكنز الجليل ، مرجع سابق ، جـ ٤ ، ص ١٢٩.

الفجر، وهكذا خرجوا وأتوا بالفتى حياً ، وتعزوا تعزية ليست بالقليلة[1]، واعتبر إحياء بولس للشاب من المعجزات التي أظهرها بولس[2]

ثالثا : الطريقة الوجدانية

أوردت الأناجيل أمثلة متنوعة تتحدث عن الآخرة ومصير الأبرار والأشرار بعد الحساب، مما يمكن أن يستنتج منه أن تلك الأمثلة كانت تخاطب الوجدان وتحرك المشاعر عن طريق تصوير مصير الأبرار والأشرار في الآخرة. وجاء في متى: « يشبه ملكوت السماوات إنساناً زرع زرعاً جيداً في حقله، وفيما الناس قيام جاء عدوه وزرع زوانا في وسط الحنطة، ومضى، فلما طلع النبات وصنع ثمراً حينئذ ظهر الزوان أيضاً، فجاء عبيد الرب وقال له: يا سيد أليس زرعاً جيداً زرعت في حقلك. فمن أين له زوان ؟ فقال لهم الإنسان : عدو فعل هذا العبيد أتريد أن نذهب ونجمعه ؟ فقال: لا لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه دعوهما ينموان كلاهما إلى الحصاد، في وقت الحصاد أقول للحاصدين اجمعوا أولاً الزوان واخرموه خرماً ليحرق، وأما الحنطة فاجمعوهما إلى مخزني.

فأجاب وقال لهم: الزارع الزرع الجيد هو ابن الإنسان، الحقل هو العالم، والزرع الجيد هو بنو الملكوت. والزوان هو بنو الشرير، والعدو الذي زرعه هو إبليس، والحصاد هو انقضاء العالم، والحاصدين هم الملائكة، فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا يكوَن في انقضاء هذا العالم، يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم، ويطرحونهم في أتون النار.هناك

---

[1] أعمال الرسل ٢٠ / ٧-١٣ .

[2] الكنز الجليل جـ ٤ ص ٣٦٧.

يكون البكاء وصرير الأسنان، حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم، من له أذنان للسمع فليسمع »[1]: ويفسر النصارى هذا النص على أنه إشارة إلى اليوم الآخر بما فيه من نعيم للأبرار وجحيم للأشرار، وفسر الحصاد بأنه حصاد الله، أي جمع العالم في كل أزمانه من بدأ الخليقة إلى يوم الدين من خير وشر لتميز الواحد عن الآخر وفصله عنه إلى الأبد انقضاء الدهر المشار إليه أي نهاية العالم فهو الوقت المعين للفصل والقضاء بين الأخيار و الأشرار[2]. ومن الأمثلة التي تخاطب الوجدان وتحركه للعمل للآخرةما جاء في إنجيل متى « ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة والقديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار.

ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مبارك أبي، رثوا الملكوت المعدود لكم منذ تأسيس العالم، لأن جعت فأطعمتموني عطشت فسقيتموني، كنت غريباً فأويتموني، عرياناً فكسيتموني، مريضاً فزرتموني، محبوساً فأتيتم إلي. فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين: يا رب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك أو عطشانا فسقيناك؟ ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عرياناً فكسوناك ؟ ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك؟ فيجيب الملك ويقول لهم: الحق الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم.

ثم يقول للذين على اليسار: إذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته، لأن جعت فلم تطعموني، عطشت فلم تسقوني، كنت غريباً

---

(1) متى ١٣ ـ ٢٤ ـ ٣١ـ ٣٦ـ ٤٣ـ ٤٤.

(2) أنظر الكنز الجليل، مرجع سابق، جـ ١، ص ٢٢٠.

فلم تأووني، عرياناً فلم تكسموني، مريضاً، محبوساً فلم تزوروني، فحينئذ يجيبونه وهم أيضاً قائلين: يا رب متى رأيناك جائعاً أو عطشانا أو غريبا أو عرياناً أو مريضا أو محبوساً فلم نخدمك ؟ فيجيبهم قائلا الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر، فبي لم تفعلوا فيمضي هؤلاء إلى العذاب أبدى والأبرار إلى حياة أبدية [1].

وهذا النص فسر أيضاً على أنه المراد منه بيان حال الأبرار والأشرار في الآخرة، كيف يحرم الأشرار من النعيم لأنهم لم يفعلوا الصالحات في الدنيا، وكيف ينعم الأبرار في الحياة الأبدية لأنهم فعلوا الصالحات في الدنيا »[2].

وأما المثال الأخير الذي ورد في لوقا، وهو أوضح الأمثلة الوجدانية التي وردت في الأناجيل وذلك لأنه لا يتحمل أكثر من وجه، فقد ورد في لوقا: «كان الإنسان غني وكان يلبس الأرجوان والبزة وهو يتنعم كل يوم مترفها، وكان المسكين اسمه لعاذر الذي طرح عند بابه مضروباً بالقروح يشتهي أن يشبع من الفتات الساقط من المائدة الغني، بل كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحه، فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم، ومات الغني أيضاً ودفن فرفع عينه في الهاوية وهو في العذاب. ورأى إبراهيم من بعيد ولعاذر في حضنه، فنادى وقال: يا أبي إبراهيم ارحمني وأرسل لعاذر ليبل طرف إصبعه ويبرد لسانه، لأنه معذب في هذا اللهيب. فقال إبراهيم: يا بني اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك وكذلك لعاذر البلايا، والآن وهو يتعزى وأنت تتعذب، وفوق هذا كله بيننا وبينك هوة عظيمة قد أثبتت، حتى إن الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون ولا الذين من هناك يجتازون

---

[1] متى، ٢٥ / ٣١ ـ ٤٦.

[2] انظر الكنز الجليل، جـ١، ص ٤٣٨ـ٤٤٥.

إلينا. فقال: أسألك إذا يا أبت أن ترسله إلى بيت أبي ؛ لأن لي خمسة إخوة ؛ حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضاً إلى موضع العذاب هنا. قال إبراهيم: عندهم موسى والأنبياء ليسمعوا منهم فقال: لا يا أبي إبراهيم، بل إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون. فقال له: إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون»[1]

وهذا النص يشبه إلى حد ما ورد في القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ۞ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَـذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ }[2]. وقوله تعالى: {وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }[3].

ومن خلال النظر في نصوص الأناجيل نجد أن هناك نصوصاً في الأناجيل تثبت أن الرجل إذا ترك امرأة في الدنيا من أجل الله فله مائة ضعف، أي مائة امرأة في الحياة الأبدية. ولعله إذا نفى الزواج هناك لم ينف قيام علاقة أسمى في صيغتها الأخروية من صيغتها الدنيوية التي يتصورونها في أذهانهم.

والنص الذي نقلناه عن بولس يثبت البعث بعد الموت، ويدلل عليه رابطاً بينه وبين قيامة المسيح من الموت، ويجعل تلك القيامة هي المحور الذي يرتكز عليه

---

(1) لوقا ١٦/ ١٩ ـ ٣١.

(2) سورة الأعراف، آية: ٥٠ - ٥١.

(3) سورة الأنعام، آية: ٢٧.

البعث بل قيامة المسيح إنكار لشهادة الشهود ويعتبرون حينئذ شهود زور . وإنكار القيامة يترتب عليه ـ في نظر بولس ـ أن الذين آمنوا بدعوة المسيح وتحملوا من أجله يكونون قد هلكوا ؛ لأنهم لن يقوموا لأخذ ثوابهم في الآخرة. ويترتب على إنكار قيامة المسيح من الأموات أن يصبح الإيمان المسيحي مصدر شقاء بدلاً من كونه مصدر سعادة بسبب عقيدة الآخرة. والملاحظة التي تسترعي الانتباه أن بولس هو الوحيد الذي وجدنا أنه ربط بين قيامة المسيح من الأموات والبعث من الموت، ورتب البعث على قيامته من بين الأموات. والأناجيل التي تحدثت عن قيامة المسيح لم تربط أدنى ربط بينها وبين البعث الأخير من الموت، وتعتبر قيامة المسيح من القبر من أبرز القضايا التي اختلفت حولها الأناجيل إلى حد التناقض. ولقد بحث كثير من الباحثين[1]، قضية القيامة وأثبتوا التناقضات الصريحة التي وقع فيها كتاب الأناجيل، والتي إن دلت على شيء فإنما تدل على التدخل البشري على وحي الله المتمثل في الإنجيل. الذي علمه الله لعيسى بن مريم ، ويثبت أيضاً الدور الذي لعبه بولس في هدم المسيحية عن عمد أو عن غير عمد ، في جعله قيامة المسيح من الأموات المحور الذي ترتكز عليه المسيحية كلها ؛ لأن «كل قول لم يبصر في مسيحية المسيح الحقة الفاضلة سوى الصلب و القيامة قد قادها إلى مغامرة خطرة وجعلها تحت رحمة التاريخ ، وإذا رجعنا إلى ما يسعفنا به التاريخ في روايات القيامة وظهور لوجدناه في غير صالح هذا المفهوم الذي لم ير بولس شيئاً غيره في مسيحية المسيح»[2]

---

[1] انظر على سبيل المثال دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي ص ١٢١ ـ ١٢٣.

[2] المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٣٠٣.

والتاريخ كما يقول أدولف هرنك يذكر بأن هناك عدد من النقاط مؤكدة تاريخياً « أن أحد من خصوم المسيح لم يره بعد موته ، وأنه لا يمكن التحقق بيقين من تواتر مرات الظهور وعددها ، وأن القبر الذي كان خالياً في اليوم الثالث لا يمكن اعتباره حقيقة مؤكدة تاريخياً بأي حال من الأحوال)) [١].

المطلب الرابع
طرق الاستدلال بين الإسلام والنصرانية
" أوجه الاتفاق والاختلاف"

من خلال النظر في أدلة النصارى على اليوم الآخر نجد أنها تتفق مع أدلة المسلمين من جهة وتختلف معها من جهة أخرى وفيما يلي بيان ذلك:

أوجه الاتفاق [٢]:

أولاً : يتفق الإسلام مع النصرانية في بعض أدلة الوقوع، حيث يذكر القرآن الكريم والأناجيل عدداً من الحالات التي حدث لها البعث بعد الموت ، وهذه الحالات يستدل بها علماء الإسلام والنصرانية على إمكانية البعث في الآخرة ، مع فارق جوهري وهو أن الإسلام يبين أن الإحياء يكون معجزة للنبي كما حدث مع عيسى عليه السلام ، أما في العهد الجديد فإن إحياء الموتى ينسب للمسيح عليه السلام .ويعتبر النصارى أن إحياء الموتى على يد المسيح دليل على أنه ابن الله وعلى غيره على أنه معجزة، كما حدث مع بولس .

---

(١) نفس المرجع ، ص٣٠٣.

(٢) انظر على سبيل المثال دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاي ص١٢١- ١٢٣ .وانظر الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام اليه ، ص٤٨٢- ٥٠٠ .

ثانياً : بالنسبة للطريقة الوجدانية فإن هناك اتفاقا بين الإسلام والنصرانية من ناحية أن الأناجيل عرضت أمثلة يستدل بها علماء النصارى على أنها إشارة إلى الآخرة وما فيها من نعيم للأبرار وجحيم للأشرار ، وأيضاً عرض القرآن الكريم الكثير من الأمثلة التي تبين النعيم للمؤمنين والجحيم للمكذبين ، ونلحظ في الأدلة التي عرضها القرآن الكريم أنها تشير إلى الآخرة إشارة مباشرة بعكس أمثلة العهد الجديد . فضلاً عن أن الأمثلة التي وردت في القرآن الكريم كانت من الكثرة بمكان ، بعكس أمثلة الأناجيل فإنها غير مسهبة في الوصف والعرض لمصير الأبرار والأشرار ، وعلماء النصارى يعترفون بعدم الإسهاب في العهد الجديد فيما يتعلق بالآخرة.

ثالثاً : بالنسبة لبولس فإننا نجد في إحدى رسائله إشارة عقلية واحدة لإمكان البعث ، وفيها يشبه البعث بخروج الزرع من الحبة التي ماتت وبليت .وهذه هي الإشارة الوحيدة في أعمال الرسل عن إمكان البعث بالقياس على خروج الزرع من الأرض.

أوجه الاختلاف:

أولاً : خلو العهد الجديد من الأدلة العقلية الملزمة التي تثبت البعث وتستدل عليه بالقياس على نشأة الإسلام الأولى أو قياس الموت على النوم والاستيقاظ من النوم كالبعث من الموت بعكس ما نجد في القرآن الكريم من تناوله لقضية البعث من جميع الجوانب التي تخاطب العقل والوجدان ليستدل على الآخرة وما فيها وإذا كنا قد أثبتنا أثناء استدلالنا على الآخرة عند النصارى نصوصاً لعلمائهم يثبتون من خلالها الآخرة من خلال الاستدلال بقدرة الله على الإعادة

الثانية وان ذلك هين على الله ـ فإننا أرجعنا ذلك إلى التأثر بالفكر الإسلامي ، لأنه لا توجد نصوص في الأناجيل يستندون إليها في استدلالهم .

ثانياً : خلو العهد الجديد من التفصيلات عن الآخرة ونعيمها وعذابها ، وخلوها أيضاً من التفصيلات حول شبه المنكرين للآخرة والرد عليهم ، باستثناء ما ورد عن الصدوقيين والرواقيين .

ثالثاً : مما تخالف فيه النصرانية الإسلام جعلها شخص المسيح هو الذي تدور حوله المسيحية بعقائدها ودعوتها وأوضح مثال على ذلك ما ورد في رسائل بولس حول قيامة المسيح وربطه كل أمور المسيحية حول قيامة المسيح ، بعكس ذلك في الإسلام الذي يعتبر أن الرسول محمد ﷺ ، رسول قد خلت من قبله الرسل[1]

---

[1] فرج الله عبد الباري ، اليوم الآخر بين اليهودية والنصرانية والإسلام ، ص٤٤٦ .

الفصل الرابع
مصادر العقائد النصرانية

الفصل الرابع
مصادر العقائد النصرانية

المبحث الأول
العهـــد القديـــم

يتضمن العهد القديم أسفار التوراة الخمسة كما يتضمن أسفار الأنبياء الأولين والآخرين المتضمنة تاريخ بني إسرائيل وتقع في عشرين سفرا كما يحوي العهد القديم ما يسمونه المكتوبات، وهي الكتب العظيمة من مزامير وأمثال والمجلات الخمس من أناشيد وقصص وأشعار وأخبار، ومعلوم أن الكنيسة الكاثوليكية ترى تقسيما آخر غير هذا التقسيم وتضيف إلى هذه الأسفار التسعة والثلاثين سبعة أسفار أخرى لتصبح أسفار العهد القديم عندهم ستة وأربعين سفرا.

ومن الأهمية هنا الإشارة إلى أن السامريين لا يعترفون بالعهد القديم ولا بكل هذه التقسيمات ولا يؤمنون إلا بأسفار سبعة هي أسفار موسى الخمسة ومضاف إليها سفر يسوع وسفر القضاة. والعهد القديم من أهم المصادر التي ارتكز عليها علماء تاريخ الأديان في دراساتهم فكان من أكثر الكتب التي لقيت الاهتمام وأجريت عليه الدراسات وكتبت فيه مئات الأبحاث، ولقد تناول الباحثون دراسته من جميع جوانبه: من حيث مصدره وتاريخ تدوينه أو على الأصح تاريخ تدوين كل سفر من أسفاره وتناولوا كذلك دراسة نصوصه وبينوا التناقضات الواضحة بين هذه النصوص.

لقد أطلق هؤلاء الباحثون تساؤلاتهم وهم يعلمون أن الإجابة الدقيقة عليها غير متيسرة فجاءت على شكل طعون وتشكيكات بصحة نسبة هذه النصوص إلى أصحابها. وحول هذا الأمر فقد تساءل الكاتب اليهودي المعروف " ول ديورانت

" صاحب موسوعة " قصة الحضارة " : " ترى ماذا كان كتاب شريعة موسى ؟ كيف كتبت هذه الأسفار ومتى كتبت ؟ وأين كتبت ؟ ذلك سؤال بريء ولكنه سؤال كتب فيه خمسون ألف مجلد، ثم يصل إلى القول بان العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب عن أسفار التوراة هما القصتان المتشابهتان المنفصلة كل واحدة عن الأخرى في سفر التكوين تتحدث أحداهما عن الخالق باسم " يهوه " على حين تتحدث الأخرى عنه باسم " ألوهيم " .... وسفر التثنية اكبر الظن أن كاتبه أو كتابه غير كتاب الأسفار السابقة، ثم فصول أضافها الكهنة فيما بعد، وكانت أساطير الجزيرة العربية هي المعين الغزير الذي أخذت منه قصصه " ويقرر ول ديورانت أن أسفار العهد القديم جمعت لأول مرة في بابل وظهرت في القرن الخامس عشر من قبل الميلاد ويظهر اسم الكاتب عزرا مرتبطا بتدوين التوراة [1].

وقد اقر الدكتور بري " وهو يهودي " في كتابه أديان العالم الكبرى أن هناك عقائد دخيلة انسابت إلى اليهودية عن فارس وبابل والإغريق لاستبدالها في اليهودية بالذات[2]. والسؤال الذي اختاره الدكتور موريس بوكاي ليكون مقدمة دراسته عن العهد القديم هو : من هو مؤلف العهد القديم ؟ ويجيب عليه قائلا : كم من قارئ للعهد القديم يلقى عليه هذا السؤال فلا يجد جوابا إلا مرددا ما قرأه في مدخل التوراة بان مؤلف هذه الكتب كلها هو الله وان الذين كتبوها هم بشر من الذين أوحى الروح القدس إليهم [3] .

ويبدأ موريس بوكاي عبارة التسكيت هذه التي يبين أنها لن تصمد أمام البحث العلمي، فيقول: " ولقد كانت هناك نحو القرن الثالث قبل ميلاد المسيح ثلاثة

---

(١) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ج٢ ، ص ٣٣٦ — ٣٣٩ . بتصرف .

(٢) أحمد شلبي ، اليهودية ، ص ٢٥١.

(٣) الإمام الجويني ، شفاء العليل ، تحقيق الشعار ، ص ٢٧.

أشكال لنص التوراة العبري على الأقل ، نص الشارحين اليهود ، والنص المستخدم في جزء من الترجمة اليونانية ، ونص الأسفار السامرية الخمسة وظل الأمر على ذلك إلى القرن الأول بعد الميلاد حتى أصبح نص التوراة موحدا[1].

وهذا يعني أن التاريخ اليهودي لم يشهد نسخة واحدة للعهد القديم معروفة ومتداولة بينهم، ولقد ظل الأمر قرونا لا يزيد على كون التوراة أناشيد وقصص وروايات يتناقلوها ثم بدأت مرحلة الجمع التي ابتدأت في القرن الأول الميلادي ولم تنته إلا في القرن التاسع الميلادي. وينقل الدكتور بوكاي عن عالم الأديان ادموند جاكوب في دراساته عن العهد القديم انه حتى القرن الثالث قبل الميلاد تقريبا لم يكن هناك نص واحد للتوراة، بل كان هناك ثلاث مدونات على الأقل للنص العبري وهي:

أولا : النص المحقق (الباسوري) .

ثانيا : النص الذي استخدم جزئيا على الأقل في الترجمة اليونانية .

ثالثا : النص المعروف بالساموري .

ولقد امتدت يد العبث اليهودية إلى النصوص والوصايا والأناشيد المحفوظة لتضيف إليها وتحرفها وتنسج منها هذه الأسفار الكثيرة التي تضمنتها ما ينفذ من صدور اليهود من حقد على الشعوب، ونزعة السيطرة والاستعلاء عليهم وفي هذا المعنى يقول الدكتور احمد شلبي " وحقيقة القول إن اليهود بعد أن انحرفت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية لأنها كانت تختلف عما أرادوا من طباع وخلق وكتبوا سواها مما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ وعقيدة"[2].

---

(١) علي عبد الواحد وافي ، الاسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص ١٢

(٢) أحمد شلبي ، اليهودية ، ص ٢٥١

وشبيه هذا التفصيل من نسخ التوراة ما قرره الجويني إمام الحرمين في رسالته " شفاء العليل " فقد ذكر النسخ الثلاثة : العبرانية وهي التي بيد اليهود اليوم ، والنسخة اليونانية أو السبعينية وهي التي بيد النصارى الآن ، ثم النسخة السامرية التي بيد السّمرة [١]. ومن خلال دراسة أسفار العهد القديم فقد توصل الباحثون إلى أنه :

١. ليست كل نصوص العهد من كلام الله ، ولا يستطيع احد من اليهود النصارى أن يدعي ذلك. ويرى الدكتور علي عبد الواحد " يبدو من الدراسة الفاحصة أن الوحي ليس من المصدر الحقيقي لأسفار العهد القديم ، فهي من صنع أجيال متعددة وان فترة التدوين بدأت منذ الأسر البابلي لبني إسرائيل ، وان الكهنة والأحبار كانوا يعتمدون على ما سمعوه من أخبار وأساطير وأقوال. وكثيرا ما كان الكهنة يكتبون ما يجيش في صدورهم أو ما يأملون على انه حقيقة واقعة [٢].

٢. ليس لأي سفر منها سند متصل يصحح نسبة ذلك السفر إلى من نسب إليه من الأنبياء أو غيرهم وفق طريقة علمية بعيدة عن التقاليد والتعصب . [٣].

٣. لم يكتب في عصر واحد وقد سجل لأحداث وقعت عبر عصور متباعدة. ويقول الدكتور موريس بوكاي — وهو طبيب فرنسي تعمق في دراساته اللاهوتية — " ويتكون العهد القديم من مجموعة أسفار لا تتساوى في الطول وتختلف في النوع كتبت على مدى يربو على تسعة قرون وبلغات مختلفة

---

(١) الإمام الجويني ، شفاء العليل ، تحقيق الشعار ، ص ٢٧

(٢) علي عبد الواحد وافي ، الاسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص ١٢

(٣) علي عبد الواحد وافي ، الاسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص ١٢

واعتمادا على التراث المنقول شفويا، وقد صححت وأكملت هذه الأسفار بسبب أحداث وقعت أو بسبب ضرورات خاصة وفي عصور متباعدة " [1] .

٤. وجود نسبة كبيرة من الأغلاط والأخطاء التاريخية والتناقضات بين النصوص، والمتناقضات مع العلم الحديث والاستمالات العقلية. وكان من أكثر من بين هذه المسألة وكشف هذه التناقضات والأخطاء الدكتور موريس بوكاي في كتابه المشهور " التوراة والإنجيل والقرآن والعلم "، والشيخ رحمه الله الهندي في" كتابه إظهار الحق ".

٥. إقرار اليهود بان التوراة الأصلية قد فقدت عند السبي البأبلي، ويزعمون أن " عزرا " قد أعاد كتابتها بالإلهام بعد الرجوع من السبي، ويؤيد هذا القول ما قرره الفيلسوف اليهودي سبينوزا في كتابه " رسالة اللاهوت والسلسة " من أن موسى لم يكتب هذه التوراة وان عزرا كتبها في بابل... ثم نقل عن السامر يين هذا القول. [2].

٦. هناك فرق واضح بين الرواية أو النسخة التي يتداولها اليهود اليوم للعهد القديم وبين الرواية التي يتداولها النصارى للعهد القديم والاختلاف بينهما جذري في بعض الأحيان وليس في الترتيب أو التقديم أو التأخير للنصوص فحسب.. وهذا الاختلاف إذا ما أضيف إلى اختلاف رواية الكنيسة الكاثوليكية، والى اختلاف رواية التوراة السامرية التي تقتصر على الأسفار السبعة التي ذكرناها مع اختلاف حتى في هذه الأسفار عن روايتها التي يعترف بها اليهود من غير السامريين .

---

(١) الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، ص ٧١.

(٢) بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص٦٢ .

هذا الاختلاف كله بين الروايات يشكل قناعة واضحة أن التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام قد ضاعت وان الكتب المنسوبة لأنبياء بأسمائهم لا تمت بصلة حقيقية إليهم ، وانه لا وجود لنسخة محددة للعهد القديم يمكن أن نعدها الكتاب المقدس الذي يؤمن به الجميع – كما هو الحال بالنسبة للقرآن الكريم الذي يجمع المسلمون عليه – .

٧. إن العلة في نصوص العهد القديم ليست في السند فحسب بل تتعدى ذلك إلى المتن فبالإضافة إلى الأغلاط التاريخية والمغالطات العلمية والعقلية الموجودة في نصوصه نرى تنزيه الخالق جل وعلا كما تتناقض مع ابسط قواعد الأدب والاحترام لرسل الله عليهم الصلاة والسلام. فالكتاب الذي يحوي مثل هذه النصوص لا يمكن أن يكون مما أوحى الله تعالى به لأنبيائه أو مما قبل الأنبياء أن يقرأوه ويبلغوا به أقوامهم، لذلك من المستغرب أن يوصف مثل هذا الكلام بالقداسة ، فلذلك يمكننا القول وبموضوعية متناهية انه لا تصح الثقة العلمية بأي نص من نصوص العهد القديم لان الطعن إذا ثبت عن الجزء فانه ينال الكل مع العلم انه لابد أن تكون هناك نصوص فيه مما تناقله الناس عن الأنبياء، لكن أحدا لا يستطيع أن يحددها بالضبط.

المبحث الثاني
العهد الجديد

العهد الجديد مصطلح أطلقته النصارى على الشطر الثاني للكتاب المقدس، ويضم الأناجيل الأربعة (متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا) ورسائل بولس ورسائل نسبت إلى بعض تلاميذ المسيح عليه السلام. ويمكن أن يوصف العهد الجديد بأنه تسجيل كتب في فترات لاحقة لسيرة المسيح عليه السلام ودعوته، قام بكتابته بعض تلامذة المسيح ومن جاء بعدهم من تلاميذهم ويشمل العهد الجديد حسب ما استقر عليه

رأي النـصارى وتـصنف أسـفار العهـد الجديـد إلى ثـلاث مجموعـات وسـفرين فالمجموعـات هـي : (مجموعـة الأناجيـل وعـددها أربعـة، ومجموعـة رسـائل بـولس وعددها أربع عشرة رسالة، ومجموعـة الرسائل الكاثوليكية وعـددها سبع رسـائل، وأما السفران فهما : سفر أعمال الرسل وسفر أعمـال رؤيا يوحنا). وينقسـم العهـد الجديد من حيث محتوياته إلى قسمين :

الأول: الأسفار التاريخية .

الثاني: الأسفار التعليمية.

أما الأسفار التاريخية فتشمل ما يلي : الأناجيل الأربعة (انجيل متى ، انجيـل لوقا، انجيل مرقص، انجيل يوحنا) بالإضافة إلى رسالة أعمال الرسـل وأمـا الأسـفار التعليمية فتشمل اثنتين وعشرين رسالة، وقد قام بتأليف أكثرها بولس الـذي لا يمـت بصلة إلى عيسى عليه السلام ولا إلى الحواريين.

واغلب عقائد النصارى تعتمد على رسائله. ولا شك في أنه لا يستطيع احد أن يدعي أن هذه الأناجيل أو أي واحد منها هـو الإنجيـل الـذي انزلـه الله تعـالى علـى عيسى عليه السلام وحيا وهو الذي ذكره القرآن الكريم.فأين ذهـب هـذا الإنجيـل ؟ ومـاذا كان مصيره ؟ وهل في كتابات الباحثين من النصارى ما يدل على ثبوت هـذا الإنجيـل وان كنـا لا نجـده ؟ إن كلمـة إنجيـل الـتي تعـني البشـارة وردت في بعـض نـصوص الأناجيل الحاليـة ففي انجيل مرقص " ويعـدما اسـلم يوحنـا ، جـاء يسوع إلى الجليـل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول : لقد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنـوا بالإنجيل "[1] ، وفي رسالة بولس إلى أهل رومية " فـان الـذي اعبـده بروحـي في انجيـل ابنه شاهد لي "[2] . فنجد كلمة انجيل آو كلمة بـشارة مـضافة إلى ملكـوت الله كمـا في

---

(١) انجيل مرقس / ١ : ١٤ – ١٥ .

(٢) رومية ، ١/ ٩ .

انجيل متى ومرقص وانجيل الابن كما في رسالة بولس إلى أهل رومية، وكلمة الإنجيل من غير إضافة كما في انجيل مرقص — ولا شك في أن الإنجيل المذكور في كل هذا ليس واحداً من هذه الأناجيل، فالمسيح قد وعظ بهذا كما جاء في عبارة متى، ولم يكن واحد من هذه الأناجيل قد وجد في عهده بالاتفاق وليس من المعقول أن يعظ بأقوال تلاميذه.

وبناء على ما تقدم فإنه ليس هذا الإنجيل واحدا منها كما تقتضي بذلك طبيعة السياق وكما يقتضي بذلك العقل، وإذا كان الأمر كذلك فهل لنا أن نفهم أن هناك إنجيلا أصيلا نزل على عيسى عليه السلام وكرز (بشر) به ووعظ، كما أن لبعض كتاب النصارى أقوال في انجيل عيسى، من ذلك ما قاله نارتن في كتاب له " انه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال إنها الإنجيل الأصلي، والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ولم يروا أحواله بأعينهم وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب [1] ".

ويقول المستشرق الفرنسي (إيتين دينيه) " إن نصوص الإنجيل تبعث في النفس الشك في صحة تلك الأناجيل التي بين أيدينا، لان الإنجيل الموحى به من عند الله إلى المسيح بلغته ولغة قومه ضاع واندثر ولم يبق له أثر ".

لقد عرفت في تاريخ النصرانية أناجيل كثيرة وصلت إلى أكثر من سبعين إنجيلا وعدها البعض إلى مئة كتاب وكان من نتيجة ذلك ظهور الفرق الكثيرة في التاريخ المسيحي، فعند كل من أصحاب مرقيون وأصحاب ديصان يخالف الأناجيل الأربعة المتداولة وهو الصحيح في زعمهم. وهناك انجيل اشتهر باسم التذكرة،

---

(١) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص٦٠- ٦١.

وانجيل سرن تهس..... ثم أرادت الكنيسة في آخر القرن الثاني الميلادي وأوائل القرن الرابع أن تحافظ على الأناجيل الصادقة – في اعتقادها – فاختارت هذه الأناجيل الأربعة من الأناجيل الرائجة آنذاك "(١).

ولقد بقي العالم حتى نهاية الربع الأول من القرن الرابع الميلادي من غير كتاب مقدس معتمد أي حتى انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م، بل كان هناك شتات من الكتب والرسائل المختلفة من فئات النصارى الكثيرة وطوائفهم المختلفة، وهناك في مدينة نيقية بعد طرد أنصار التوحيد من المؤتمر وعلى رأسهم آريوس، وقد كانوا أغلبية، تم انتخاب أربعة كتب أطلقوا على كل واحد منها انسم انجيل، كما تم انتحاب الرسائل المعتمدة لديهم حاليا وضموها إلى الكتب الأربعة الأخرى.

وقد ورد في دائرة المعارف الفرنسية أن الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى النصارى ما ظهرت إلا بعد ثلاثة قرون من تاريخ المسيح.وهي متعارضة متناقضة مجهولة الأصل والتاريخ بل وقع الخلاف بينهم في مؤلفيها واللغات التي ألفوا بها وأن نسخها الأصلية فقدت (٢).

المبحث الثالث
أنواع الأناجيل المعتمدة لدى النصارى

المطلب الأول
انجيل متى

متى واحد من رسل المسيح الاثني عشر(أي تلامذته الذين أرسلهم للتبشير بدعوته)، كان الإنجيل الأول، يدعى أيضا لاوي، كان عشاراً (جابي

(١) أبو زهرة، النصرانية، ص ٤٣

(٢) الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، ص ١١٦.

ضرائب) قبل أن يدعوه المسيح لكي يتبعه" (١) . أما الإنجيل الذي يحمل اسمه ، فقد كتب لليهود خصوصا بالدرجة الأولى... وقد كتب ما بين السنتين ٥٠ و ٧٠ م ، ويهل متى بنسب يسوع وولادته ، وجزء كبير منه يشغله تعليم المسيح وبشارته في الجليل ثم مواعظ المسيح وتعليماته لتلاميذه ، ثم كلام المسيح عن سقوط أورشليم (القدس) ونهاية هذا الدهر ، ثم يصف ارتحال المسيح من الجليل إلى القدس ووقائع أسبوعه الأخير فيها وأخيرا إخبار الصلب وقيامته حياً من الموت (٢).

أما اللغة التي كتب فيها هذا الإنجيل فالمرجح عند النصارى أنها العبرية لأنه كتبه لليهود قال (جيروم) " إن متى كتب الإنجيل باللسان العبري " (٣)· لكن هذه النسخة العبرية المفقودة وما عرف هو النسخة المترجمة إلى اليونانية ولم يعرف بالضبط من الذي قام بترجمتها. وقد ذكر ابن البطريق أن الذي ترجمه (يوحنا) ويقول في ذلك : في عصر قلوديوس كتب متى إنجيله بالعبرانية في بيت المقدس وفسره من العبرانية إلى اليونانية يوحنا صاحب الإنجيل... "

وينقل الأستاذ محمد أبوزهرة عن صاحب كتاب ذخيرة الألباب قوله " إن القديس متى كتب إنجيله سنة ٤١ م ، ثم ترجم هذا الإنجيل إلى اليونانية ، ثم تغلب استعمال الترجمة على الأصل الذي لعبت به أيدي النساخ ونسخته أضحى ذلك الأصل خاملاً بل فقيداً " وخالف الدكتور بوست في قاموس الكتاب المقدس هذه الآراء وذكر أن متى كتبه أصلاً باليونانية ، وانه كتب قبل خراب أورشليم.

ثم يقول الأستاذ أبو زهرة " والحق إن باب الاختلاف في شأن تاريخ تدوينه لا يمكن سده ولا يمكن ترجيح رواية على أخرى ولا تاريخ أولى من تاريخ بالإتباع

---

(١) موسوعة الكتاب المقدس ، ص ٢٨١

(٢) موسوعة الكتاب المقدس ، ص ٢٨٢

(٣) أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ٤٦

... ولا شك في أن جهل تاريخ التدوين وجهل النسخة الأصلية التي كانت بالعبرية وجهل المترجم وحاله من صلاح أو غيره وعلم بالدين واللغتين التي ترجم عنها والتي ترجم إليها كل هذا يؤدي إلى فقد حلقات في البحث العلمي "[1].

وبناء على ما تقدم في وصف حال هذا الإنجيل فان لأي قارئ لهذه المعلومات أن يتساءل : كيف يمكن الاحتجاج بمثل هذا النص ، وكيف يمكن اعتماده كتابا سماويا مقدسا وهو مقطوع السند مجهول المترجم لا تعرف اللغة التي كتب فيها على سبيل الجزم ، والنسخة الأصلية منه قد ضاعت والزمن الذي كتب فيه غير محدد .

المطلب الثاني
انجيل مرقص

يعد انجيل مرقص من اقصر الأناجيل الأربعة وأقدمها وفيه ستة عشر إصحاحا وينسب إلى مرقص واسمه الحقيقي يوحنا. وهو ليس من تلاميذ المسيح الاثني عشر فهذا الإنجيل كتاب رسول وكل ما فيه انه كتاب محرر من تلميذ رسول[2] ويذكر عن سفر الأعمال انه كان مقرّباً من تلاميذ المسيح وان الرسل بعد صعود السيد المسيح كانوا يجتمعون في بيته (أو بيت أمه مريم)[3].

وقد جاء في كتاب مروج الأخبار في تراجم الأبرار إن مرقص كان ينكر ألوهية المسيح هو وأستاذه بطرس الحواري ، وقد جاء في ذلك الكتاب أن مرقص

---

(١) أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ٤٧- ٤٨
(٢) ووريس بوكاي ، مرجع سابق ، ص ٦٦.
(٣) أعمال الرس ١٢/١٢.

صنف إنجيله بطلب من أهالي رومية وكان ينكر ألوهية المسيح [1]. أما اللغة التي كتب فيها هذا الإنجيل فهي اليونانية كما يقول الدكتور بوست في قاموسه.

وأما تاريخ تدوينه فغير معروف على سبيل الحصر، فقيل انه كتب في عهد الإمبراطور نيرون وقد ذكر ابن البطريق أن بطرس رئيس الحواريين هو الذي كتب هذا الإنجيل ونسبه إلى مرقص، وقيل إن مرقص كتبه بعد وفاة بطرس وبولس. والحق إن ذلك الاختلاف وان كان زمنيا في ظاهره فهو في معناه ولبه اختلاف في شخص المحرر لهذا الإنجيل... ونجدهم أيضا قد اختلفوا في تاريخ كتابة هذا الإنجيل وقد قال هورن : " ألف الإنجيل الثاني سنة ٥٦ م وما بعدها إلى سنة ٦٥ م والأغلب انه ألف سنة ٦٠م أو سنة ٦٣م ويقول صاحب كتاب رشد الطالبين انه كتب سنة ٦١ م " [2].

وعلى الرغم من قصر هذا الإنجيل إلا أن هناك نصوصا فيه مختف في صحتها أو كونها جزءاً من هذا الإنجيل، فالقسم الأخير فيه (٢٠،٩/١٦) يعده الكتاب المحدثون عملاً مضافاً وتشير إلى هذا الترجمة المسلونية إشارة قاطعة، فهذا القسم الأخير غير موجود في المخطوطين الكاملين للأناجيل والذين هما أكثر قدما وهما مجموعة الفاتيكان ومجموعة سيناء اللذين يرجعان إلى القرن الرابع، وقد كتب (كولمان) بهذا الصدد يقول: إن المخطوطات اليونانية الأكثر حداثة أضافت إلى هذا القسم خلاصة رؤى ليست لمرقص بل هي مأخوذة من أناجيل أخرى...

ويفسر الأب كينغر هذه الخاتمة بقوله " لقد صار الاضطرار إلى حذف هذه الآيات الأخيرة في أثناء التناول الرسمي لألفه في الجماعة التي تضمنته... ولقد خلص بعد

---

(١) أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ٤٩.

(٢) أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ٥٠ .

زمن متأخر وبعد أن انتشرت الكتابات المتقاربة لمتى ومرقص ولوقا إلى نتيجة هامة عن مرقص بأنه يأخذ المواد من يمين وشمال لدى الإنجيلين الآخرين ... ويقول الدكتور بوكاي بعد سرده لهذه المعلومات " فيا له من اعتراف لا عوج فيه عن وجود الممارسة البشرية في نصوص الكتابات المقدسة تقدمه لنا هذه الأفكار من عالم كبير في اللاهوت [1].

وقد تضمن هذا الإنجيل مقدمة قصيرة ليوحنا المعمدان ومعمودية المسيح وتجربته وتتناول الإصحاحات التسعة الأولى أخبار الشفاء والتعليم في الجليل، وتصف الإصحاحات ١١ – ١٥ أسبوع المسيح الأخير في بيت المقدس تعقبها أخبار تتعلق بقيامة المسيح من الأموات حياً.... ولما كانت الخاتمة (١٦/٩- ٢٠) غير موجودة في بعض النسخ القديمة فقد اعتقد بعضهم أنها أضيفت قديماً لجعل نهاية الإنجيل غير فجائية[2].

المطلب الثالث
إنجيل لوقا

ينسب هذا الإنجيل إلى طبيب صاحب بولس في حله و ترحاله و أعماله ورد ذكره في أكثر من موضع من رسائل بولس، في رسالته إلى أهل تيموثاوس يقول: " لوقا وحده معي " و في رسالته إلى كولوسي يقول: " ويسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب" [3].

وقيل إنه أنطا كي وأنكر جورج بوست ذلك فقال: " ظن بعضهم أن لوقا مولود في أنطاكية إلا أن ذلك ناتج من اشتباهه بولوكيوس، وزعم بوست أنه كان رومانياً

---

(١) بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص ٦٨.

(٢) موسوعة الكتاب المقدس، ص ٢٩٢.

(٣) كولوسي / ٤ / ١٤.

نشأ بإيطاليا".[1] ، ولغة تدوين هذا الإنجيل هي اليونانية، أما تاريخ تدوينه فمن الصعب تحديده، فقد قال هورن: ألف الإنجيل الثالث سنة٥٣ أو سنة٦٣ أو سنة ٦٤.

ويقول الدكتور بوست" لقد كتب هذا الإنجيل قبل خراب بيت المقدس وقبل الأعمال، و يرجح أنه كتب في قيصرية في فلسطين مدة أسر بولس سنة ٥٨- ٦٠ ميلادية، والواقع أن باب الخلاف في تاريخ تدوين هذا الإنجيل أوسع من ذلك.

ثم هناك مسألة أخرى هي : لمن كتب هذا الإنجيل ؟ فقد ابتدأ لوقا إنجيله بقوله" إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا....رأيت أنا أن أكتب إليك أيها العزيز ثاوفيلس" [2]، وثاوفيلوس هذا من عظماء الروم كما يقول ابن البطريق، وهناك من يقول أنه مصري. ويختلفون أيضاً في الذين كتب لهم هذا الإنجيل فالقس إبراهيم سعيد يقول: " إنه كتب لليونان، وإنجيل متى كتب لليهود وإنجيل مرقس كتب للرومان وإنجيل يوحنا كتب للكنيسة العامة"[3] ، ومن خلال هذه المعلومات التي نقلها إلينا الأستاذ أبو زهرة عن هؤلاء الباحثين يبرز للباحث في هذا الإنجيل عدة نقاط لها أهميتها عند الدراسة و منها :

١- اتفق العلماء المسيحيون على أن لوقا كتب إنجيله باليونانية وعلى أنه ليس من تلاميذ السيد المسيح.

٢- اختلف الباحثون في شخصية لوقا و جنسيته و صفته بين طبيب أو مصور، والقوم الذين كتب لهم هذا الإنجيل و تاريخ تدوينه وهذا الاختلاف لا شك أنه يؤدي إلى نتيجة واضحة هي أنه لا يمكن الاحتجاج

---

(١) أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ٥.

(٢) لوقا / ١ : ١- ٣.

(٣) محمد ابو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ٥٢ .

بمثل هذا الإنجيل و لا يستطيع أحد وفق المنهج العلمي أن يثبت أن نصوص هذا الإنجيل قطعية الثبوت أو أنها من كلام الله.

المطلب الرابع
إنجيل يوحنا

يعد هذا الإنجيل أكثر الأناجيل التي دار حولها الجدل و الخلاف في صاحبه وتاريخه ونصوصه، وينسبه النصارى إلى يوحنا بن زبدي صائد السمك وكان تلميذاً ليوحنا المعمدان" يحيى عليه السلام" قبل أن يصبح تلميذاً ليسوع المسيح (1). وإنجيل يوحنا يختلف تماماً عن الأناجيل الثلاثة السابقة في حجمه ونسقه وأسلوبه وموضوعاته.

يقول الدكتور بوكاي" يختلف إنجيل يوحنا عن الثلاثة الأخر إلى درجة أن الأب روغيه قال عنه في كتابه مدخل إلى الإنجيل" إنه عالم آخر " (2). فكتاب المسيحية يعترفون أن كتابة هذا الإنجيل كانت متأخرة عن الأناجيل الثلاثة و يحددها الدكتور يوسف في سنة ٩٥ أو ٩٦ أو ٩٨ ميلادية ولكن الحقيقة أنها متأخرة أكثر من ذلك بكثير. وأن بعض ما ورد فيه من نصوص لا يمكن أن يكون مما عرفه يوحنا بن زبدي أو أي أحد في القرن الأول الميلادي. ولكن كل شيء يوحي بأنه كان للنص المنتشر حالياً كتاب عديدون وأن من المرجح أن هذا الإنجيل نشره تلاميذ الكاتب الذين أضافوا بعض الفصول والحواشي و الأخبار.وهناك باحثون مسيحيون أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا بن زبدي ، بل كتبه يوحنا آخر لا يمت إلى هذا بصلة ونقل الأستاذ أبو زهرة عن أحد هؤلاء الباحثين وهو بستاولين قوله " إن إنجيل يوحنا كافة

---

(1) موسوعة الكتاب المقدس ، ص ٣٥٣ – ٣٤٥.

(2) بوكاي ، ص ٧١.

تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية. ولقد كانت فرقة ألوجين في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا".

وجاء في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصارى ما نصه " أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك في أنه كتاب مزور أراد صاحبه معاندة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض وهما متى ويوحنا وقد ادعى هذا الكتاب المزور أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ووضعت اسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً ....وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليل، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى [1].

وأهم ما يتميز به هذا الإنجيل أنه أتى بما لم تأت به الأوائل فهو الإنجيل الوحيد الذي يتحدث بصراحة عن ألوهية المسيح عليه السلام، والكلمة الأزلية وجعل ذلك أول نص في إنجيله " في البدء كان الكلمة و الكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله" [2].

وهذا يدل على أن هذا الإنجيل ما كتب إلا لهذا الفرض و من أجل هذه الإضافة بالذات، وهذا ما يعترف به كتاب النصارى أنفسهم حيث يقول يوسف الدبس الخوري في مقدمة تفسيره (من تحفة الجيل): إن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة كنائس آسيا وغيرها والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته وذكر ما أهمله متى ومرقس ولوقا في أناجيلهم.

---

(١) أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ٥٤ .

(٢) يوحنا ، ١ / ١ .

ويقول المرحوم الشيخ أبو زهرة معلقا على هذه الأقوال " من هذه النقول يستفاد أن كتاب النصارى يجمعون أو يكادون على أن هذا الإنجيل المنسوب إلى يوحنا كتب لإثبات ألوهية المسيح التي اختلفوا في نشأتها لعدم وجود نص في الأناجيل الثلاثة بعينها و هنا يستنتج القارىء أمرين :

أحدهما: صريح وهو أن الأناجيل الثلاثة الأولى ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح... وأن النصارى مكثت أناجيلهم نحو قرن من الزمان ليس فيها نص ألوهية المسيح.

وثانيهما: أن الأساقفة اعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذي يدل عليها و يصرح بها... وهذا ينبىء على أن الاعتقاد بألوهية المسيح سابق لوجود نص في الكتب وإلا ما اضطروا اضطراراً إلى إنجيل جديد طلبوه فافتقدوه فلما لم يجدوه طلبوا من يوحنا أن يكتبه.[1]

المطلب الخامس
إبطال حجية الأناجيل المتداولة
عند النصـــارى

من خلال دراسة الأناجيل يتبين لنا كيف تطمس تلك الأناجيل الحقائق وتدخل الأباطيل وتنقلب الموازين لتضليل العوام من الناس. فهذه الأناجيل الأربعة هي المصدر الأول التاريخي للديانة المسيحية و الملاحظات عليها كثيرة، وكل ملاحظة منها تبطل حجيتها وأهم هذه الملاحظات :

١- أنها ليست مما كتبه المسيح عليه السلام أو مما أملاه على تلاميذه، أو مما كتب في زمانه فأقرها.

---

(١) أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ٥٧ — ٥٨ .

٢- كاتبوها ليسوا على مستوى الأهلية ليكونوا علماء دين لأنهم مجهولون النسب أو الصنعة.

٣- أنها كتبت لرغبات خاصة أملتها عدة بينات مختلفة.

٤- أن أصولها معترف بضياعها من أولها وأن ترجمة بعضها غير موثوق فيه لضياع الأصل أو لجهل المترجم ، أو حتى اللغة التي كتب فيها.

٥- أنها لا تحمل صفة الرواية حتى في أقل صورها التي يجب أن تتوافر لكتاب سماوي أو تعاليم نبي.

٦- تحتوي هذه الأناجيل نصوصاً فيها من المغالطات و المستحيلات العقلية والتناقضات فيما بينها مما يؤكد أنها لا يمكن أن تكون من كلام الله ولا من كتابة كتاب مهرة، وقد قبلت على علاتها طيلة هذه العصور.

ومن الأمثلة على تناقض نصوص الأناجيل وتضاربها وبالتالي بطلانها ما ورد في إنجيل لوقا من أقوال تدعو إلى التفريق والبغض " جئت لألقي ناراً على الأرض، فماذا أريد لو أضرمت، ولي صبغة أصطبغها وكيف انحصر حتى تكمل، أتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض كلا ، بل انقساماً، لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة، ينقسم الأب على الابن والابن على الأب والأم على البنت والبنت على الأم والحماة على كنتها والكنة على حماتها" (١).

وهذا النص بالإضافة إلى كونه يدعو إلى إشاعة البغضاء بين الناس حتى داخل الأسرة الواحدة فإنه يتناقض مع نصوص أخرى جاءت تدعو إلى التسامح و المحبة. ومن ذلك ما ورد في إنجيل يوحنا من إساءة لمريم العذراء واتهامها " وفي اليوم

---

(١) لوقا، ١٢/٤٩- ٥٣.

الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك ودعا أيضاً يسوع تلاميذه إلى العرس ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له: ليس لهم خمر، قال يسوع مالي ومالك يا امرأة "[1].

ومما يؤخذ على هذه الأناجيل أنها في نصوصها متضاربة في الأمر الواحد. وقد ذكر رحمة الله الهندي في إظهار الحق بعض هذه النصوص المتعارضة، وذكر ستة أوجه للخلاف بين إنجيل متى ولوقا في مسألة نسب المسيح عليه السلام هي:

١- في متى أن يوسف بن يعقوب وفي لوقا أنه ابن هالي.

٢- يعلم من متى أن عيسى من أولاد سليمان من داود عليه السلام ومن لوقا أنه من أولاد ناثان بن داود.

٣- يعلم من متى أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورين ومن لوقا أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان.

٤- في متى سلتائيل بن يكينا وفي لوقا أنه ابن نيري.

٥- اسم ابن زروبابل في متى أبيهود وفي لوقا اسمه ريسا والعجب أن أسماء بني زروبابل مكتوبة في سفر أخبار الأيام، وليس فيها أبيهود ولا ريسا.

٦- من داود إلى المسيح عليه السلام ستة وعشرون جيلاً في متى، وواحد وأربعون جيلاً عند لوقا.

أما عن التضارب للنسخ الثلاث للكتاب المقدس (وهي العبرية المعتمدة عند اليهود والبروتستانت، واليونانية المعتمدة عند الكاثوليك والسامرية المعتمدة عند السامريين) فإنه تضارب كبير أقل ما يدل عليه هو الشك فيها جميعاً وأكتفي من

---

(١) يوحنا، ٢ / ١- ٣.

ذلك بمثال واحد مما ذكره الشيخ رحمة الله الهندي. وهو يتعلق بالمدة أو الزمان من خلق آدم إلى طوفان نوح عليه السلام، ففي النسخة العبرانية ألف وستمائة وست وخمسون سنة، وفي النسخة اليونانية ألفان ومائتان واثنتان وستون سنة، وفي السامرية ألف و ثلاثمائة وسبع سنين. وتجد هذا الخلاف في المدة الزمنية عند أسماء كثيرة.

وإذا تجاوزنا الأناجيل الأربعة إلى بقية العهد الجديد من رسالة الأعمال إلى رسائل بولس المختلفة، فإن أول ما يتبادر إلى الذهن أن هذه الرسائل لا يجوز أن تضاف إلى كتاب مقدس بأي شكل من الأشكال، لا للمتناقضات الموجودة فيها فحسب، بل لأنها أصلاً ليست من كلام الله ولا من كلام المسيح عليه السلام.

المبحث الرابع
المجامع الكنسية النصرانية

المطلب الأول
أهمية المجامع وأقسامها

للمجامع أهمية كبيرة في الفكر الديني عند النصارى وذلك لأن جملة كبيرة من العقائد المسيحية ليس لها مستند عند النصارى من العهد القديم أو الجديد، وإنما اعتمدوا في تبنيها واعتقادها على قرارات هذه المجامع، المجمع الكنسي هو التجمع الذي تعقده الكنيسة لرجال الدين المسيحي للنظر في المسائل المتعلقة بأية قضايا اعتقا دية أو تشريعية تخص الدين.

أقسام المجامع المسيحية:

تنقسم المجامع الكنسية إلى قسمين هما:

١- المجامع العامة الشاملة لكل الكنائس والطوائف والمذاهب.

٢- المجامع الخاصة تنقسم إلى قسمين:

أ- المجامع الملية الخاصة بملة واحدة أو طائفة واحدة من طوائف النصارى.

ب- المجامع الإقليمية التي تجمع مذاهب وملل منطقة محددة.

هذه المجامع تنعقد بإشراف الكنيسة مع أن الخلافات التي نشأت عن هذه المجامع هي التي أدت إلى انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية. ولابد من الإشارة إلى أن مؤسسة الكنيسة أصلاً لم تكن موجودة في زمن المسيح أو حوارييه.

وفي هذا السياق يقول شارل جيني بيير أستاذ تاريخ المسيحية في جامعة باريس "إن المسيح لم ينشىء الكنيسة لم يرتادها وإذا قلنا أن المسيح صرح للحواريين بسلطة ما وهذا محل جدل حتى اليوم فمما لاشك فيه أن الأمر لم يتعد منحهم بعض ما أوتي هو من سلطان في التبشير بالتوبة، ولم يصنع منهم قساوسة حيث لم يكن بحاجة إلى ذلك، وعلى أي حال فإننا عندما ندرس أعمال الحواريين لا نجد أنهم فكروا في إنشاء كنيسة[1] . ويشير المؤرخون إلى أن أقدم كنيسة هي كنيسة بطرس في روما وقد افترقت الكنائس تبعاً لافتراق النصارى وكل فرقة من الفرق الثلاثة المعروفة اليوم كنيسة "الكاثوليكية، والأرثوذكسية، والبروتستانتية "، ويبدو أن أول مجمع عقد برعاية بولس لمعالجة آراء برنابا التي خالفت فيها بولس وقد ذكر هذا المجمع سفر الأعمال في إصحاحه الخامس عشر.

والمجامع التي تنعقد تحت إشراف هذه الكنائس لا تنعقد إلا لمعالجة مشكلة أو مناقشة قضية كثر فيها الجدل واحتدم فيها الصراع بين رجال الكنيسة أنفسهم، ومناقشة قضية كثر فيها الجدل ثم ينتهي هذا المجمع عن قرارات يرضى عنها من يرضى ويغضب من يغضب ثم سرعان ما تفرض هذه القرارات بقوة سلطان الكنيسة

---

(١) بيير ، المسيحية : نشأتها وتطورها ، ص ١٣٠

الديني أو بقوة سلطان الدولة في بعض الأحيان. وأخطر ما في هذه المجامع أنها لم تقتصر على معالجة القضايا الشكلية أو الإجرائية لتنظيم الكنيسة وأعمالها وإنما عالجت في كثير من الأحيان قضايا جوهرية ذات علاقة بأصول المعتقدات المسيحية كالتثليث و طبيعة السيد المسيح وما إلى ذلك.

المطلب الثاني

مجمع نيقية سنة ٣٢٥م

عقد هذا المجمع في مدينة نيقية قرب القسطنطينية تحت رعاية الإمبراطور قسطنطين بناءً على اقتراح تقدم به أسقف أسبانية، الذي أرسله الإمبراطور لحل قضية خلافية عمت أرجاء الدولة الرومانية بين آريوس ورئيسه بطريرك الإسكندرية، وكان آريوس يتبنى رأي الموحدين بينما يتبنى إلكسندروس بطريرك الإسكندرية رأي المؤلهين لعيسى عليه السلام، فكان الاختلاف في طبيعة المسيح عليه السلام والسبب في انعقاد هذا المجمع.

لقد كان الإمبراطور قسطنطين حريصاً على وحدة المسيحية لتأثير ذلك المباشر على وحدة الدولة الرومانية، ولذلك فإن المنطلقات السياسية هي التي دفعت بالإمبراطور إلى التدخل لعقد المؤتمر، وهي التي أثرت على سير أعمال المؤتمر والقرارات الناتجة عنه. لقد كان للإمبراطور دور بارز في توجيه المؤتمر إلى ما يتلاءم مع مصلحته السياسية واعتقاداته الوثنية، وهو الذي لم يكن قد مضى على اعتناقه الشكلي للمسيحية إلا بضع سنوات مع معرفة الدوافع السياسية من وراء هذا الاعتناق. ولقد سمع الإمبراطور هذه الآراء الخلافية حول طبيعة السيد المسيح وعالج القضية من وجهتين:

الأولى: أن همه الرئيس إزالة الخلاف الذي يهدد أمن الإمبراطورية.

الثانية: إرضاء غالبية شعب الإمبراطورية من الوثنيين إضافة إلى أن فكره لازال وثنياً. وبناءً على ذلك فقد رجح رأي القائلين بألوهية المسيح[1].

وعلى الرغم من أن الذين حضروا هذا المؤتمر في بدايته كانوا حوالي ألفين وثمانية وأربعين فإن من بقي منهم إلى نهاية المؤتمر ثلاثمائة وثمانية عشر عضواً فقط، وهؤلاء كما يقول ابن البطريق جعل لهم الإمبراطور مجلساً خاصاً وجلس في وسطه وقال لهم : لقد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوه مما هو قوام الدين وصلاح المؤمنين، فباركوا الملك وقلدوه سيفه وقالوا له : أظهر دين النصرانية [2]. وبينما خرجت الأغلبية محتجة على طريقة سير أعمال المؤتمر والإرهاب الفكري الذي مورس فيه فإن الأقلية قد مكنت من أن تصدر قرارات المؤتمر وأهمها:

١- الكنيسة الرسولية تحرم القول بأن الزمن قد خلا من ابن الله بتاتاً.

٢- طرد كل من يخرج على هذه العقيدة.

وقد حكم المجمع على آريوس ومن تبعه باللعنة والحرمان، وصدر مرسوم إمبراطوري يأمر بحرق كتب آريوس جميعها ويجعل إخفاء أي كتاب منها جريمة يعاقب عليها بالإعدام [3]. ثم صدر قانون الإيمان النيقاوي الذي اكتمل فيما بعد في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م ونص على الإيمان بالأقانيم الثلاثة الأب والابن و الروح القدس. ومما يلاحظ على هذا المجمع:

١- اتخذ المجمع قراره بأقلية مغلوب على أمرها.

---

(١) محمد الحاج ، النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، ص ١٨٧.

(٢) محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ١٣٩

(٣) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ١١ : ٣٩٦ .

٢ – كان للملك قسطنطين اليد الأولى في ترجيح مذهب المؤلهين الذي انتهى إليه المجمع.

٣- كيف يؤخذ برأي قسطنطين في ترجيح مسألة في العقيدة مع ملاحظة أنه ليس قديساً ولا قسيساً ولا حتى مسيحياً إلا بالاسم.

٤- ما سلطة المجمع الدينية لتحل أو تحرم من غير الرجوع إلى النصوص الإنجيلية[1].

المطلب الثالث
مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١م

يعد هذا المجمع من المجامع المهمة عند النصارى لأنه كان مكملاً لمجمع نيقية الذي أقر ألوهية المسيح وأنه ابن الله لكنه لم يبحث علاقة الألوهية بالروح القدس حيث أقر هذا المجمع ألوهية الروح القدس ليتم الثالوث المسيحي.

ويبدو أن هناك أفكاراً قد ظهرت في مسألة التأليه التي فرضت على المجتمع المسيحي، ومن ذلك فكرة حملها القسيس مكدونيوس ملخصها أن الروح القدس ليس بإله وإنما هو مخلوق، وشاعت في المجتمع فتقبلها الموحدون وخالفها المؤلهون وعلى رأسهم بطريرك الإسكندرية فانعقد هذا المؤتمر من أجل ذلك وكان عدد المجتمعين فيه لا يزيد عن مائة وخمسين أسقفاً وقرر ما يلي:

١- إثبات أن الروح القدس هو روح الله وهي حياته فهي من اللاهوت الإلهي، وإضافة ذلك إلى قانون الإيمان النيقاوي.

٢- لعنة مكدونيوس وأتباعه وكل من يخالف هذا القرار.

---

(١) أحمد شلبي، أضواء على المسيحية، ص ٩٩.

المطلب الرابع
مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ م
ومجمع أفسس الثاني سنة ٤٥١م

١ـ مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ م

والغرض من عقد هذا المجمع كما يقول صاحب تاريخ الأقباط محاكمة أصحاب البدع التي ظهرت في ذلك الحين، ومنهم بيلاجيوس ونسطور، أما الأول فيعتقد أن خطيئة آدم قاصرة عليه، وبذلك أنكر قضية الخلاص والفداء فناقشه المجمع ثم حرمه وأسقطه من رتبته. وأما نسطور فقد كان أسقفاً على القسطنطينية ما لبث أن نادى بأن طبيعة المسيح اللاهوتية منفصلة عن طبيعته الناسوتية . وعلى الرغم أن نسطور قد حضر إلى المجمع ومعه أربعون أسقفاً من أتباعه إلا أن المجمع حرمه وأسقطه من رتبته وفرزه من كل خدمة كنسية.

ونسطور وإن كان يعتقد أن المسيح فوق البشر إلا أنه أنكر ألوهيته وقد جاء في تاريخ الأمة القبطية عن نحلته ما نصه: (أما هرطقة نسطور هذه فلم تكن كغيرها، نشأت عن اختلاف في العقائد التي وضعها الآباء والأحبار بل هي جوهرية، ذلك أن نسطور ذهب إلى أن ربنا يسوع المسيح لم يكن إلها في حد ذاته، بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة أو هو ملهم من الله لم يرتكب خطيئة).

وأما أهم قرارات المجمع فهو تأليه مريم العذراء، وذلك رداً على نسطور الذي قال بأن مريم لم تلد الإله. وقد بلغ عدد أعضائه نحو مائتين من الأساقفة وقرروا كما ذكر ابن البطريق: " أم مريم العذراء والدة الله، وأن المسيح إله حق وإنسان معروف بطبيعتين متوحد بالأقنوم". ومع نفي نسطور وطرده فقد انتشر مذهبه، يقول ابن البطريق: تكاثرت النسطورية في المشرق والعراق والموصل والفرات والجزيرة وطبيعي أن ينتشر هذا المذهب، لأن الناس في ذلك الوقت لم

يكونوا على اقتناع بألوهية المسيح [1]. وقد زاد هذا المجمع على فكرة ألوهية المسيح بقوله بالطبيعتين الإلهية والناسوتية للمسيح.

٢ـ مجمع أفسس الثاني سنة ٤٥١م

عقد هذا المجمع سنة ٤٥١م وحكم ببراءة أوطاني الذي كان رئيساً لدير بالقرب من القسطنطينية تطرف في تعبيره في مجال الجدال مع الآريوسيين، فحكم عليه أسقف القسطنطينية بقطعه في مجمع مكاني(محلي) فعقد هذا المجمع استئنافاً للحكم. فحكم ببراءته بعد اعترافه بتمسكه بالإيمان النيقاوي. وأهم ما نلمسه من هذا المجمع أن رجال الكنيسة المؤيدين للتثليث يقفون بالمرصاد لحرمان كل مخالف، وبذلك انتشرت آراؤهم بالقوة والرهبة. [2].

المطلب الخامس
مجمع خلقيدونية
سنة ٤٥١م

وموضوع هذا المجمع يتعلق بطبيعة السيد المسيح وقد كان هذا المجمع حاداً فقد تعددت فيه الآراء والاختلافات، وقد طرد منه بطريرك الإسكندرية ديسفورس بالقوة فكان هذا المجمع أساس الانشقاق بين الكنائس.

وقد حضره كما يروي صاحب تاريخ الأنباط أساقفة روما، وحضره البابا ديسفورس بطريرك الإسكندرية حول طبيعة السيد المسيح ، وقد منع ديسفورس وأساقفته من حضور الجلسة في اليوم التالي، وحكموا بعزل ديسفورس ونفيه ونادوا بعقيدة الطبقتين والمشيئتين مخالفين بذلك قانون الإيمان وقد رفض ديسفورس أمر

---

(١) أحمد الحاج ، النصرانية ، ص ١٨٥ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٨٥ .

الإمبراطور فأمر بنفيه ومات ، وظلت الكنيسة القبطية محافظة على الإيمان الذي استشهد في سبيله ، لذلك فإن الكنيسة القبطية لا تعترف بهذا المجمع ولا بقراراته[1].

وقد نتج عنه ظهور مذهب اليعاقبة وخالف هذا المجمع قرارات مجمع نيقية ومجمع إفسس الثاني وتم فيه لعن نسطورس وديسكورس وكل من يشايعهم في مقالتهم بالطبيعة الإلهية الواحدة للمسيح عليه السلام. والجو الذي ساد اجتماعات هذا المجمع كان عنيفاً غير مهذب البروتوكول إلى درجة أن رجال الحكومة وجهوا إنذاراً إلى الأساقفة جاء فيه: إنه لا يجدر بالأساقفة وأئمة الدين أن يأتوا بمثل هذه الأعمال الشائنة من صياح وصراخ وسب وضرب وقذف ولكم [2] .

هذه هي أخطر المجامع في تاريخ المسيحية ومن المعلوم أن مجامع كثيرة قد انعقدت. وقد ذكر صاحب كتاب سوسنة سليمان أنه قد أحصى المجامع العامة من القرون الأولى للمسيحية حتى سنة ١٨٦٩م فكانت عشرين مجمعاً. [3]، وكان آخر مجمع عام عقده النصارى سنة ١٩٦٤م وهو الذي أقروا فيه وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح. وبعد هذا العرض يمكننا أن نتساءل هل تصلح هذه المجامع لأن تكون مصدراً تشريعياً يحتج به ويعتد برأيه؟ لا شك في أن ذلك لا يمكن أن يكون وفي غاية الصعوبة.

---

(١) شنوده ، تاريخ الأقباط ، ج١ ، ص١٧٩ .

(٢) أحمد شلبي ، أضواء على المسيحية ، ص١٠٦.

(٣) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص١٢٣.

المبحث الخامس
الصهيونية المسيحية
المطلب الأول
المفهوم والبعد التاريخي للحركة

مفهوم : " الصهيونية المسيحية "

يقصد بهذا الاسم أنه بالإضافة إلى وجود حركة صهيونية يهودية ؛ فإنه يوجد حركة صهيونية مسيحية. فإذا كانت الصهيونية اليهودية هي : دعوة وحركة دينية قومية ، تدعو اليهود إلى العودة إلى جبل صهيون في فلسطين ، وإقامة دولة يهودية خاصة بهم في فلسطين. فإن الصهيونية المسيحية هي : حركة ودعوة ـ أيضاً ـ دينية ، لكنها مسيحية تدعو إلى العصمة الحرفية للكتاب المقدس ، والعودة الحقيقية للمسيح ، وقيام حكمه الألفي الذي تكون عاصمته مدينة القدس.

وصهيونيتها تأتي من دعوتها إلى وجوب عودة اليهود إلى أرض الميعاد (فلسطين) تحقيقاً للنبوءات التوراتية التي يؤمن بها المسيحيون.علماً أنه بالإضافة إلى هذا الاسم " الصهيونية المسيحية " ، فإنه يطلق عليها أحياناً أسماء أخرى ، مثل: **" الأصولية المسيحية " ، أو " الأصولية الإنجيلية " ، أو " الصهيونية غير اليهودية "**. وكل هذه الأسماء لمسمىً واحد.

عوامل ظهور الصهيونية المسيحية[1] :

١. الأصل في دين المسيحية هو التوحيد ، وهو دين الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام ، وما جاء عيسى عليه السلام إلا به ، التوحيد بكل شُعبه : في العبادة ، فلا يُعبد إلا الله وحده لا شريك له ، وفي الربوبية ، فالله خالق كل

---

(١) أرنولد توينبي ، تاريخ البشرية ، ترجمة : د. نقولا زيادة ج١ ، ص ٢٧٣.

شيء، وفي الأسماء والصفات، فليست ذات الله ـ جل جلاله ـ مركبة، كما أنها منزهة عن مشابهة المخلوقين، يقول الله تعالى: { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } (1).

ومع ما دخل كلاً من التوراة والإنجيل من تحريف عبر التاريخ، إلا أنه لا يزال يوجد فيهما الآن نصوص تدل على توحيد الله سبحانه، ففي التوراة مثلاً: (في البدء خلق الله السماوات والأرض)(2). (لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة مما في السماء فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن، ولا تعبدهن؛ لأني أنا الرب إلهك، إله غيور) (3).(فاحترزوا من أن تنغوي قلوبكم، فتزيغوا، وتعبدوا آلهة أخرى، وتسجدوا لها، فيحمى غضب الرب عليكم) (4).

وورد في الإنجيل: قال المسيح: " إن أول الوصايا هي: " اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد " (5). فقال له الكاتب: جيداً يا معلم، بالحق قلت، لأنه الله

---

(1) سورة المائدة، آية: ١١٦ - ١١٧.

(2) سفر التكوين، ١ / ١.

(3) سفر الخروج، ٢٠/٣ـ٥.

(4) سفر التثنية، ١١/١٦ـ١٧.

(5) إنجيل مرقس ١٢ / ٢٩.

واحد، وليس آخر سواه "[1]. وقال المسيح أيضاً: " إنه مكتوب للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد "[2].

ولكن بولس (شاؤل) اليهودي الذي اعتنق النصرانية عام ٨٣ م - أي بعد رفع المسيح عليه السلام - استطاع أن يغير اتجاهها، ويحدث فيها كل ما ليس من أصلها، حيث كان من أشدّ وألدّ أعدائها. ولقد كان دخوله المسيحية، كما يقول عنه لوقا: " وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق، فبغتة أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض، وسمع صوتاً قائلاً له: شاؤل، شاؤل، لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت يا سيدي؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده. فقال وهو مرتعد متحير: يا رب! ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة، فيقال لك ماذا ينبغي لك أن تفع "[3]. قال لوقا: « وللوقت جعل يكرز - أي بولس - في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله "[4]. هذه الجملة الأخيرة غيرت وجه التاريخ؛ إذ لم تكن معروفة من قبل، فأصبحت نقطة تحول في الدراسات المسيحية، وأصبح بولس معلم المسيحية[5]: " وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذي بُشِّرت به، إنه ليس بحسبِ إنسان؛ لأني لم أقبله من عند إنسان، ولا عُلِّمتُه، بل بإعلان يسوع المسيح "[6].

(١) إنجيل مرقس ٣٢/١٢.

(٢) إنجيل لوقا، ٤/ ٨.

(٣) أعمال، ٩ / ٣-٧.

(٤) لوقا، ٤/ ٨.

(٥) أعمال، ٩ / ٢٠.

(٦) غلاطية، ١/ ١١-١٢.

قال ذلك، مع أنه " لم ير المسيح قط، ولا سمعه يتكلم، ولكنه قال بصلة مباشرة بينه وبين المسيح. وبهذه الدعوى؛ لم يَصِر لأحد حتى في أن يناضله فيما ينشره من تعاليم ما دام أنه تلقاها مباشرة من السيد المسيح "[1]. إذن فالأصل في دين المسيحية التوحيد - كغيره من الأديان السماوية التي جاءت من عند الله سبحانه - كما شهدت بذلك الكتب السماوية الثلاثة: التوراة، والإنجيل، والقرآن.

فمن أين إذن جاء التثليث ليصبح جوهر العقيدة المسيحية بعد المسيح؛ مع ملاحظة أن التوراة وهي أصل المسيحية، وأن كثيراً من نصوص الإنجيل تنطق بالألوهية الواحدة؟ والجواب: ما يروى عن المسيح - عليه السلام - أنه قال لتلاميذه يوماً: " اذهبوا، وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب، والابن، والروح القدس "[2].

وقد سبق إيراد ما يخالف ظاهر هذا النص من الإنجيل نفسه؛ مما يدل قطعاً على دخول التحريف إلى الإنجيل والعبث به. ولعل الدافع لإقحام هذا النص فيه جعل المسيحية ديناً عالمياً من ناحية، وبث فكرة التثليث من ناحية أخرى. ولقد اتسعت عقيدة التثليث وانتشرت بين المسيحيين حينما دخل الوثنيون من الرومان، واليونان فيها، حيث كان أكثر من يحضر المجامع الكنسية من الرومان واليونان، ولهم السيطرة فقرر الرومان بسلطة قسطنطين[3]. وقوته هذه العقيدة في مجمع نيقية سنة

---

(١) انظر، أحمد شلبي، المسيحية، ص ٢١١.

(٢) إنجيل متى، ٢٨/ ١٩.

(٣) قسطنطين (٢٨٨ - ٣٣٧م): أحد ملوك الروم المتنصرة، تولى الملك سنة ٣٠٦ م، ودخل النصرانية بعد سنة واحدة من توليه الملك الذي دام ثلاثين سنة. وهو مؤسس مدينة القسطنطينية. وفي عهده عقد عدد من المجامع الكنسية كان أبرزها مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م، وفيه اعتمدت عقيدة التثليث وأقرت، وطرح ما سواها. وانظر علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)، مروج الذهب، تحقيق==:

٣٢٥ م، ثم قرروها في الآفاق، على الرغم من أن الآريوسيين[1].. ذهبوا إلى أن المسيح إنسان مخلوق من العدم، فنفاهم قسطنطين، وبقوا بضع سنين في المنفى، ثم عادوا إلى الإسكندرية. وبعودتهم نادى الأساقفة المكرهون على التوقيع بالتثليث - ببطلان مساواة عيسى لله في الجوهر. فاضطر قسطنطين أن يقيم مجمعاً جديداً في أنطاكية، وكثر فيه الجدل، ثم أقرّ فيه صحة مذهب آريوس، وبطلان رأي خصومه الذين دعوا أنفسهم أرثوذكس - (أي مستقيمي الرأي) - ولكن سرعان ما توفي آريوس فاستغل خصومه ذلك حجة على بطلان زعمه[2]، فغلبت عقيدة التثليث وراجت.

وجددت الكنيسة الكاثوليكية، والمذهب البروتستانتي عقيدة التثليث؛ مع اعترافهم أن أدلة التاريخ تخالف ذلك، وأنه طارئ على الديانة المسيحية[3]، وهكذا سيطر الرومان الذين دخلوا المسيحية، وأحدثوا فيها ما أحدثوا من الوثنيات، ولهذا قيل: " لم تتنصر الروم ولكن تروّمت النصارى " . واستمر حكمهم إلى القرن السادس الميلادي، حيث جاء الإسلام فاضطرهم بفتوحاته وانتصاراته إلى الانحصار على أوروبا. وهناك - وفي العصور الوسطى - سيطر رجال الكنيسة على أوروبا دينياً؛ فكان لهم الحق وحدهم في فهم الدين، وتفسيره.

== محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ١، ص٣١٧- ٣٢٠. وأنظر الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال، ص ٠٧٣١ .

(١) نسبة إلى القس آريوس؛ أسقف نيقوميدية الذي قال: إن المسيح ليس إلهاً.

(٢) عبد الله العلمي، كتاب سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس، ص: ١٧. وانظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج١ ص٤٢٠.

(٣) ورد هذا في دائرة المعارف لاروس الفرنسية للقرن التاسع عشر. انظر: عبد الله العلمي - سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية - ص ٩١.

كما سيطروا سياسياً ؛ حيث كان البابا هو الذي يعين الحكام. وسيطروا علمياً ؛ حيث فرضوا فهمهم الديني على ممالكهم.

٢ - وبعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢م ؛ بدأت محاكم التفتيش تفتك بالمسلمين واليهود معاً، فهاجر المسلمون إلى شمال إفريقيا ومعهم بعض اليهود، إلا أن أكثر اليهود هاجر إلى أوروبا، فحملوا معهم ثروة علمية ومالية جمعوها من الأندلس، وكان لها أكبر الأثر في تغلغل اليهود بالمجتمع الأوروبي، حيث وصل ذلك التغلغل إلى الكنيسة نفسها ؛ مما حدا بمارتن لوثر[1] .. ـ زعيم حركة الإصلاح ورائد المذهب البروتستانتي ـ أن ينشر كتاباً عام ١٥٢٣م بعنوان : (عيسى وُلد يهودياً). ووضعت حركة الإصلاح البروتستانتية العصمة في الكتاب المقدس، كما أدت القراءة الحرفية له إلى النظر إلى شعب اليهود بوصفه شعباً مميزاً، وإلى أن عودتهم إلى فلسطين شرطٌ لتحقيق المجيء الثاني للمسيح. وهكذا نفذ الفكر اليهودي والأدبيات اليهودية إلى صميم العقيدة المسيحية ؛ وتدور تلك الأدبيات حول أمور ثلاثة :

أ - أن اليهود هم شعب الله المختار، وأنهم يكونون بذلك الأمة المفضلة على كل الأمم «لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد اختار الرب إلهك ؛ لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض»[2].

---

(١) مارتن لوثر (١٤٨٣ ـ ١٥٤٦) قسيس ألماني، زار كنيسة روما سنة ١٥١٠م، وأنكر ما رأى فيها من الانحلال المتفشي في رجالها. وبعد عودته إلى بلده قرر الانشقاق عنها، وأنشأ مذهباً جديداً سمي بالمذهب البروتستانتي. ولقي في ذلك التعب والمعاناة، وكثيراً من ألوان الحرمان البابوي، لكن ذلك كله لم يثنه عن عزيمته. انظر : عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، ج٥/ ٧٩٤.

(٢) سفر التثنية ، ٧ / ٦.

ب - أن ثمة ميثاقاً إلهياً، يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين أعطاه الله لإبراهيم حتى قيام الساعة: "وقال الرب لأبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك، ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك. فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك، وأعظم اسمك، وتكون بركة، وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه... وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان.... وظهر الرب لأبرام، وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض"[1].

ج - ربط الإيمان المسيحي بعودة المسيح، بقيام دولة صهيون؛ أي بتجميع اليهود حتى يظهر المسيح فيهم مرة ثانية. هذه الأمور الثلاثة ألفت في الماضي، وهي تؤلف اليوم، قاعدة "الصهيونية المسيحية" التي سبقت الصهيونية اليهودية بثلاثة قرون، أي قبل المؤتمر الصهيوني الأول الذي عُقد في بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م برئاسة هرتزل[2]. في لقاء تم بين جريس هالسل ومسيحي أمريكي في فلسطين؛ تمنى ذلك المسيحي أن لو وُلد يهودياً، وقال: "إن خلق إسرائيل جديدة مع عودة اليهود إلى الأرض التي وعدهم الله بها؛ يعطينا دليلاً لا يناقش على أن خطة الله المباركة هي موضع التنفيذ، وأن العودة الثانية لمخلصنا قد تأكدت"[3]. وجاء في دائرة المعارف البريطانية: "إن الاهتمام بعودة اليهود إلى فلسطين قد بقي حياً في الأذهان بفعل النصارى المتدينين، وعلى الأخص في بريطانيا أكثر من اليهود أنفسهم"، ويؤكد هذا المعنى وايزمان بقوله: "إن من

---

(١) سفر التكوين. ١٢ / ١، ٢، ٥، ٧.

(٢) محمد السماك: الصهيونية المسيحية، ص ٣٣، ٤٣. بتصرف. وانظر: جريس هالسل، النبوءة والسياسة، ترجمة: محمد السماك، ص، ٩٤.

(٣) ريس هالسل ـ مصدر سابق، ص ٤٩.

الأسباب الرئيسية لفوز اليهود بوعد بلفور؛ هو شعور الشعب البريطاني المتأثر بالتوراة، وتغنيه بالشوق الممض لأرض الميعاد"[1].

لم تكتف " الصهيونية المسيحية " بهذا الحد من التغلغل الفكري في أوساط المسيحيين الغربيين، بل ذهبت إلى ما هو أبعد من ذلك وأعمق، فعندما ترجم الكتاب المقدس للغات القومية الأوروبية، أصبح ما ورد في العهد القديم من تاريخ، ومعتقدات، وقوانين العبرانيين، وأرض فلسطين أموراً مألوفة في الفكر الغربي. وغدت قصص العهد القديم وشخصياته مألوفة كالخبز، وأضحى كثير من البروتستانت يرددونها عن ظهر قلب. وأصبح المسيح نفسه معروفاً، ولم يُعتقد أنه ابن مريم، بل واحد من سلسلة طويلة من الأنبياء العبرانيين. وحل أبطال العهد القديم كإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب؛ محل القديسين الكاثوليك.

وأصبحت فكرة أن الحج للقدس يكفر الخطايا مرفوضة، كما أنكرت شفاعة القديسين وتبجيل رفاتهم. لكن ذلك لم يُنس الناس الأرض المقدسة تماماً، بل إنها حظيت بأهمية جديدة حيث ارتبطت بدلالات صهيونية.. وهكذا أصبحت فلسطين أرضاً يهودية في الفكر المسيحي بدلالات صهيونية.. وهكذا أصبحت فلسطين أرضاً يهودية في الفكر المسيحي في أوروبا البروتستانتية، وأصبح اليهود هم الفلسطينيون الغرباء في أوروبا والذين سيعادون إلى فلسطين

---

(١) إسماعيل الكيلاني، الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، ص: ١٠١، وايزمان: زعيم يهودي صهيوني، ولد عام ١٨٧٤م، قدم لإنجلترا خدمات علمية، حيث كان عالم كيمياء في وزارة الذخيرة الإنجليزية. واجتمع مع بلفور عام ١٩٠٦م.وبلفور(١٨٤٨ ـ ١٩٣٠م): سياسي بريطاني، وصهيوني مسيحي، صاحب الوعد المشهور عام ١٩١٧م حينما كان وزيراً لخارجية بريطانيا. انظر: عبد الوهاب الكيالي ـ موسوعة السياسة، ١/ ٥٦٠

عندما يحين الوقت المناسب "[1].

٣ - ويذكر الباحثون أن أول من دعا إلى البعث اليهودي في فلسطين هو اللاهوتي الإنجليزي توماس برايتمان (١٥٦٢ ـ ١٦٠٧م)، وتلميذه هنري فنش عضو البرلمان البريطاني الذي كتب عام ١٦٢١م أن اليهود سوف يعودون إلى بلادهم، ويعيشون بسلام هناك إلى الأبد؛ تحقيقاً لصالح الديانة المسيحية، بعد أن يسودوا أعدائهم الذين يسميهم الكتاب المقدس «جوج وماجوج». وفي هذا الوقت ـ أي القرن السابع عشر ـ قامت في إنجلترا حركة «تطهيرية» تعاطفت مع اليهود، واستخدمت العبرية في الصلوات، وفي تلاوة الكتاب المقدس، وشددت على أن العهد القديم يعطي مثالاً للحاكمية الإلهية في تاريخ أمة، وعلى مفهوم الشعب المختار[2]. وهذه الحركة التي يسميها المؤرخ سيسل روث: " حب السامية " ، تميزت بالخصائص الآتية:

أ - التأثر بالمثالية العبرية كما تظهر في الكتاب المقدس.

ب - شعور بالخجل تجاه آلام اليهود في الماضي والحاضر، والعطف عليهم.

ج - نقل يوم الاحتفال الديني ببعث اليهود؛ إلى يوم السبت.

وفي عام ١٦٤٩م وجّه كل من عالمي اللاهوت التطهيريين الإنجليزيين «جوانا»، و «أيينزر كاترايت» مذكرة إلى الحكومة البريطانية يطالبان فيها: أن

---

(١) ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية، جذورها في التاريخ الغربي. ترجمة: أحمد عبد العزيز ص٢٣.

(٢) محمد السماك، الصهيونية المسيحية، ص ٣٧ - ٤٠. وأنظر شفيق مقار، المسيحية والتوراة، بحث في الجذور الدينية لصراع الشرق الأوسط، ص ٩٣- ٩٧. وانظر ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية، ص ٥٥ - ٥٩. وانظرطارق متري ـ مقال بعنوان: الأصول الدينية والثقافية للقرار الغربي في الصراع على فلسطين. مجلة الفكر الإسلامي ـ السنة (١٩) جمادى الأولى سنة ١٤٠٩هـ، ص، ٤٧، ٥٧، ٦٧.

لبريطانيا شرف حمل أولاد إسرائيل إلى الأرض التي وُعد إياها أجدادهم. هذه المذكرة لها أهمية من حيث:

أ- أنها تعبِّر عن مدى التحول في النظرة إلى فلسطين والقدس؛ من كونها أرض المسيح المقدسة، إلى كونها وطناً لليهود.

ب- أنها أول تعبير عن التحول من الإيمان بأن عودة المسيح تسبقها عودة اليهود إلى فلسطين، وأن العودتين لن تتحققا إلا بتدخل إلهي، تحول من ذلك الإيمان إلى الإيمان بأن هاتين العودتين يمكن أن تتحققا بعمل البشر. واعتمد هذا الربط كرومويل سنة ١٦٥٥م في مؤتمره للتشريع لعودة اليهود إلى بريطانيا.

وقد حضر هذا المؤتمر العالم اليهودي ناسخ بن إسرائيل الذي ربّط الصهيونية المسيحية بالمصالح الاستراتيجية لبريطانيا. وبناء عليه فإن توظيف الدافع الديني لتحقيق مكاسب سياسية ذات بعد استراتيجي، أسسّ القاعدة الثابتة للصهيونية المسيحية في أوروبا ثم في أمريكا.

ولكن حركة " حب السامية " تضاءلت بعد موت كرومويل، وارتقاء الستيورات عرش الحكم في إنجلترا سنة ١٦٦٠م التي هزمت فيها البيوريتانية " التطهيرية "، غير أن البعث اليهودي من حيث هو تمهيد للمجيء الثاني للمسيح شقت طريقها بين المسيحيين في إنجلترا، وكثير من البلدان الأوروبية، وهي تندرج في سياق النظرة " الألفية " إلى المستقبل والقائلة: إن العالم يشرف على النهاية، وإن ألفاً من السنين تتميز بالمودة والسلام والأخوة ستبدأ بعد تلك النهاية.

وفي مطلع القرن التاسع زاد زخم هذه الفكرة في إنجلترا، فتأسست في لندن عام ١٨٠٧م جمعية لنشر المسيحية بين اليهود! وعمل القس لويس ـ الذي أصبح عام ١٨٠٩م مديراً للجمعية ـ على ترويج فكرة عودة اليهود إلى فلسطين تحقيقاً

للنبوءات التوراتية [1]. وعملت هذه الجمعية، بل تخصصت في تثقيف " المهتدين " من اليهودية إلى المسيحية ودعمهم، ثم تحولت بسرعة إلى دعم الصهيونية.

وهنا وقفة جديرة بالتأمل والملاحظة وهي: ظاهرة تحول بعض اليهود إلى المسيحية، مع ما عرف عن اليهود من انغلاق! فهل يهدف المسيحيون لإدخال بعض اليهود في المسيحية ؟ أو أن ذلك من قبيل اختراق اليهود للمسيحية والعبث بها، وتسخير المسيحيين لمصلحتهم[2] ؟ ولقد عمل اللورد شافتبري على معارضة اندماج اليهودية في المجتمع الإنجليزي، ويرى وجوب بقاء اليهود غرباء في كل بلد إلا فلسطين. إلا أن اليهود لم يتحمسوا كثيراً للذهاب إلى فلسطين، بل همهم الأول نيل الحقوق المدنية، والسياسية في مختلف البلدان. ثم بدأ الأمر يتغير تدريجياً مع قيام حركة سياسية، أطلقها مجموعة من اليهود الأوروبيين الذي عقدوا المؤتمر الصهيوني عام ١٨٩٤م: وحينما رفع هرتزل شعار" **أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض** " استفادت منه الحركة الصهيونية اليهودية.

ومما يجدر ذكره والتنويه به أن كلاً من "**آرثر بلفور** "، و" **دافيد جورج** " رئيس الحكومة البريطانية في تلك الفترة، ينتميان إلى تيار " **الصهيونية المسيحية** ". وفي

---

(١) راجت في بريطانيا، أعقاب الحرب الأهلية التي سبقت ظهور الحركة البيوريتانية «التطهيرية» - فكرة تقول: إن هذه المعاناة مردها إلى غضب الله؛ بسبب سوء معاملة اليهود. كما يروج اليوم في أمريكا أن الله ينعم على أمريكا بالقوة والثروة بسبب تأييدها لليهود، ودعمها لإسرائيل. أنظر محمد السماك، مرجع سابق، ص: ٤٠.

(٢) والشعار الذي رفعه هرتزل، كان أول من رفعه اللورد شافتسبري (١٨٠١ - ١٨٨٥م). أبرز أركان جمعية لندن لنشر المسيحية بين اليهود، وذلك عام ١٨٣٩م. يقول توينبي: «تحول فريق يهودي إلى كنيسة مسيحية مسكونية؛ أمر يدعو إلى الدهشة».

منتصف القرن التاسع عشر انتشرت فكرة " **الألفية** "[1] على يد المبشر البريطاني جون داربي الذي قسم التاريخ إلى حقبات تحددها كيفيات التدخل الإلهي، وبشّر بقرب تحقيق النبوءات ـ مع التشديد على " **الأمر الإلهي** " بعودة اليهود إلى فلسطين ـ بالمجيء الثاني الحقيقي للمسيح.

٤ - في عام ١٨٧٨م أصدر رجل الأعمال المسيحي وليم بلاكستون: (١٤٨١ ـ ١٥٣٩م) كتابه " **يسوع آت** "، ووزع منه أكثر من مليون نسخة في الولايات المتحدة الأمريكية، وترجم إلى (٤٨) لغة، وعُدّ أكثر الكتب انتشاراً في القرن التاسع عشر[2]. وفي هذا العام أسس بلاكستون منظمة تدعى " **البعثة العبرية من أجل إسرائيل** "، جمع خلالها توقيعات (٤١٣) شخصية أمريكية بارزة من أعضاء الكونجرس، والقضاة، ورجال الأعمال والصحافيين. ورفعها ضمن عريضة للرئيس الأمريكي هاريسون (١٨٨٩ـ ١٨٩٣م) وذلك سنة ١٨٩١م يطلبون فيها تجميع اليهود في وطنهم فلسطين.

وعندما تردد هرتزل في أمر فلسطين كأرض تقام عليها دولة إسرائيل أرسل بلاكستون إليه نسخة من الكتاب المقدس، تظهر فيها علامات وضعها هوتشير إلى عودة اليهود إلى الأرض المقدسة. وهكذا فقد استطاعت الحركة الصهيونية اليهودية ـ

---

(١) الألفية: (Millennium) من أهم عقائد وأفكار «الصهيونية المسيحية»، وتعني: أن المسيح سيملك حقيقة على مملكة أرضية لمدة ألف سنة. ووردت كلمة الألف سنة ست مرات في رؤيا يوحنا، ٢٠/ ٢- ٧. انظر محاضرات في علم اللاهوت النظامي، هنري ثيسن، ترجمة: د. فريد فؤاد عبد الملك، ص، ١٧٦.

(٢) انظر يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، دراسة في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية، ص، ١٤، ٢٤، ٣٤. ومحمد السماك ـ مرجع سابق، ص ٨٥، ٩٥.

ولفترة طويلة توظيف مشاعر التأييد في الأوساط الصهيونية المسيحية، إلى حد أن اقترح الرئيس الأمريكي توماس جفرسون (١٨٠١ـ ١٨٠٩) اتخاذ رمز لأمريكا يمثل أبناء إسرائيل تظللهم غيمة في النهار، وعمود من نار في الليل، توافقاً مع ما يتضمنه سفر الخروج (١٣: ٢٠ ـ ٢٢). ومنذ عام ١٨١٤م ارتفعت في أمريكا دعوات " **الصهيونية المسيحية** " لتوطين اليهود في فلسطين، بل إن أحد رواد هذه الحركة القس وردر جريسون، هاجر من أمريكا إلى فلسطين، واعتنق الديانة اليهودية، وقد ترقى في الأعمال الوظيفية إلى أن أصبح قنصلاً عاماً لأمريكا في فلسطين، وكان متحمساً لعودة اليهود إلى فلسطين. وهكذا تفاعل شعور الحركتين الصهيونيتين: المسيحية واليهودية؛ بوجوب توطين اليهود في أرض الميعاد " **تحقيقاً لوعد الله** "!، وتنامي على مستويات عدة: سياسية ودينية ومادية ونتج عنه مطالبة اليهود للمسيحيين الالتزام بثلاثة مواقف:

١- رفض العداء للسامية ومحاربتها، وتطهير المؤسسات المسيحية، والطقوس الدينية، بل

والأدب الديني ـ بما فيه الذاكرة ـ من كل أثر سلبي لها.

٢- الكف عن دعوة اليهود إلى الدخول في المسيحية.

٣- الاعتراف بحق اليهود في دولة خاصة بهم، والانتباه إلى العلاقة الخاصة التي تشد يهود العالم إلى هذه الدولة. وقد قبلت معظم الكنائس المسيحية الغربية الموقف الأول، وإن اختلفت في شكل التعبير عنه.

ومن صور ذلك ما تم في مؤتمر الجمعية العامة لمجلس الكنائس العالمي المنعقد في نيودلهي سنة ١٩٦١م، حيث خرج المؤتمرون بوثيقة فيها: (العداء ضد السامية خطيئة ضد الله وضد الإنسانية، وعلينا في التعليم المسيحي ألا نلقي الأحداث

التاريخية التي أدت إلى صلب المسيح على عاتق الشعب اليهودي، فالمسؤولية تقع على إنسانيتنا المشتركة، وليست محصورة بجماعة معينة أو قوم).

وإزاء هذه المقررات أصدر المجمع الفاتيكاني وثيقة خاصة بالعلاقة مع الأديان غير المسيحية، وذلك عام ١٩٦٥م، وأصدرت البروتستانتية في مجمعها العام بكنيسة هولندا عام ١٩٧٠م بياناً جاء فيه: "إن لليهود الحق في إقامة دولة خاصة بهم".

كما أصدرت اللجنة الأسقفية الفرنسية الكاثوليكية عام ١٩٧٣م وثيقة خاصة بالعلاقة مع اليهود، وعنونتها بـ "الموقف المسيحي من اليهودية". ولكن موجةً من رياح التغيير هبت على هذه المواقف الكنسية المنساقة خلف اليهود، ففي عام ١٩٧٥م عقد مجلس الكنائس العالمي مؤتمراً له في نيروبي بكينيا أدان فيه إسرائيل، ودعاها للانسحاب إلى حدود عام ١٩٦٧م، وأيد حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني. كما حدث مثل هذا الموقف في اجتماع عام ١٩٨٣م في فانكوفر بكندا، وظهر أيضاً في بعض فعاليات مؤتمر التنصير في كلورادو بالولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٧٨م[1]. ولعل هذا التغيير في المواقف له أسباب منها:

أ- تظاهر الكنيسة بالتضامن مع الفقراء والمقهورين.

---

(١) محمد الرميحي، مجلة العربي الكويتية، العدد ٤٢٥ - مقال بعنوان: «العودة إلى الله» ص: ١٨، أجرى فيه الكاتب دراسة حول كتاب The Revenge of God (العودة إلى الله) لمؤلفه الفرنسي جيليه كيبل، وفيه أن المجمع المسكوني الفاتيكاني توصل في دورته الثانية عام ١٩٦٥م لما عرف بمبدأ الأجرامنتو (عصرنة وتطوير الكنيسة) سواء الكاثوليكية أو البروتستانتية بسبب ضغط الحداثة. وأنظر منى فياض، جريدة الحياة، العدد: ١٠٤٠٣ - مقال بعنوان: الجذور الثقافية والاجتماعية لنهوض الأصولية في أوروبا - ص: ٨.

ب- تنامي قوة كنائس العالم الثالث التي لا تدين بفكر الصهيونية المسيحية.

ج- ما قام به المسيحيون العرب وخاصة الفلسطينيين.

ورغم كل ذلك فإن هناك تياراً مسيحياً يشق طريقه بقوة، ينظر إلى المستقبل بعين النبوءات، ويرى لزاماً عليه أن يساهم في بناء دولة إسرائيل لتتم للمسيحيين بعد ذلك الوراثة الكبرى بتهيئة الأجواء والأوضاع لعودة المسيح وقيام الحكم الألفي. هذا التيار مؤثر وقوي في الولايات المتحدة، وفي أوروبا إلا أنه برز أكثر في أمريكا بعد منتصف هذا القرن.وسمى هذا التيار " بالصهيونية المسيحية ".

ويرى أصحاب هذا التيار" الصهيونية المسيحية "، أن تأييدهم لإسرائيل ليس موقفاً سياسياً جاء نتيجة انفعالات معينة، بل هو مذهب ورأي صادر عن اعتقاد ديني يقيني مستنده قراءة النبوءات الخاصة بالمجيء الثاني للمسيح في العهد القديم والجديد، زكاه وأكده قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م، ثم تنامى وتعمق بعد حرب ١٩٦٧م واحتلال مدينة القدس.

ومنذ السبعينيات من هذا القرن الميلادي والعالم الغربي يشهد نمو هذه الحركة، بل صار لها قوة سياسية يُحسب لها، فبلغ عدد المنتسبين إليها في أمريكا أربعين مليوناً حسبما جاء في العريضة الموجهة للرئيس ريجان في عام ١٩٨٢م، والتي وقّعها عدد من قادة هذه الحركة. ومما جاء فيها: وجوب عودة أمريكا إلى تطبيق تعاليم الكتاب المقدس. ومن جهة أخرى، فإن أحداث الشرق الأوسط - عموماً - أطلقت سيلاً من النبوءات بعضها يبشر بالمجيء الثاني للمسيح الذي بات وشيكاً! وبعضها الآخر يعلن أنه لو قامت حرب عالمية ثالثة (هرمجدون نووية)، فإنهم إنما تصرفوا بمشيئة الله وإرادته! لقد توسعت مثل هذه المشاعر

أفقياً، وترسخت عمودياً، حتى أصبحت العودة الثانية للمسيح حلماً وهاجساً يراود أفكار قطاع عريض من الغربيين.

وبناء على ما تقدم يتبين لنا أن أوروبا في العصور الوسطى كانت حبلى نتيجة تفاعل ظرفين مهمين في حياتها، هما الظرف السياسي، والظرف الديني، كثمرة طبيعية لتسلط الكنيسة، وبيروقراطيتها[1]. فولدت عملية الانعتاق منها ظهور طائفة البروتستانت، والتي تزامنت مع تململ اليهود وتشوقهم إلى الرجوع لأرض الميعاد، ومع التململ والرغبة في التخلص منهم أيضاً.

وهذه العوامل متضافرة أسفرت عن مولودٍ حمل صفاتٍ وراثية عدة: سياسية، ويهودية، ومسيحية شاردة منفلتة من قيود كنيسة روما، ذلك المولود هو ما سمي بـ (الصهيونية المسيحية). وهنا يقفز إلى الذهن سؤالان مهمان لعل الجواب عنهما يسهم في اكتمال الرؤية عن عوامل ظهور تلك الحركة:

السؤال الأول: كيف انبعثت حركة الصهيونية المسيحية من طائفة البروتستانت، مع ما بينهما من اختلاف ظاهري؟! فالبروتستانت أحدثوا انقلاباً، وتمرداً ضد الكنيسة الكاثوليكية في روماء أطاح بحق البابوات في احتكار تفسير الكتاب المقدس وفهمه، بل وأطاح بالبيروقراطية الكهنوتية التي كانت جاثمة على صدر أوروبا في القرون الوسطى.

وأما الصهيونية المسيحية؛ فإنها تدعو إلى الالتزام الحرفي بنصوص الكتاب المقدس، وخاصة نبوءات العهد القديم، إلا أنه في الحقيقة ليس هناك خلاف

---

(١) البيروقراطية: Bureaucracy تنظيم إداري، يقوم على السلطة الرسمية، وعلى تقسيم العمل وظيفياً بين مستويات متدرجة، وعلى الأوامر الرسمية التي تصدر من رئاسات إلى مرؤوسين. أنظر نبيلة داود، الموسوعة السياسية المعاصرة، ص ٣٢.

جوهري يُذكر بين الحركتين ؛ لأن كلاً منهما هُجِّن بالفكر اليهودي، والعقائد التوراتية، كما أفرغ محتواهما من الكثير الذي يجعلهما ديانة مسيحية مستقلة جديدة. وإن وجد شيء من ذلك الخلاف، فإنما هو خلاف فكري أقرب من أن يكون عقائدياً. حيث تؤمن " **الصهيونية المسيحية** " بالحكم الحرفي للمسيح بينما يؤمن البروتستانت - خاصة اللوثرية منهم - بالحكم المعنوي للمسيح، فعودة المسيح الثانية عند " **الصهيونية المسيحية** " حقيقية، لكنها عند البروتستانت عودة معنوية، تتمثل في انتشار المسيحية، وتمكنها وهيمنتها.

وأما السؤال الثاني فهو: ما السر في تبني حركة " **الصهيونية المسيحية** " لقضية اليهود في العودة لأرض الميعاد (فلسطين)، على الرغم من العداء التاريخي بين أهل الملتين: المسيحية واليهودية؟! وهذا العداء التاريخي كان بسبب الخلاف العقائدي العميق بينهما:

أ - فالمسيحيون يؤمنون بأن " **يسوع الناصري** " الذي تضمنت الأناجيل تاريخه، وتعاليمه في " **العهد الجديد** "، هو المسيح الذي بشرت بمجيئه نبوءات " **العهد القديم** "، ولهذا عظَّم النصارى وقدَّسوا العهد القديم. في حين يرفض اليهود ذلك، ويتمسكون بأن المسيح الموعود لم يأت بعد. والذي لا سبيل إلى المراوغة في شأنه، أن ذلك الانتظار لمجيء المسيح المنتظر يظل حجر الزاوية في الإيمان اليهودي[1].

ب - وفي " **التلمود** " ورد أن " **المسيح الناصري** " ابن غير شرعي، حملته أمه وهي حائض، وأنه شرير، ومجنون، ومخبول، وساحر، ومشعوذ، ووثني، وقد

---

(١) شفيق مقار، مصدر سابق، ص ٧٥.

صُلب في ليلة عيد الفصح اليهودي[1]. كما أنهم يعتقدون أن كل ما جاء به " المسيح الناصري " كذبٌ وهرطقة، ولذا يعتقدون أنه في جهنم[2].

ج - وهذه الخلافات، كانت مثار النزاع بين أرباب الديانات، فحينما يتمكن اليهود من المسيحيين فإنهم يُثخنون فيهم القتل، والتمثيل والتعذيب، فقد فتكوا بالمسيحيين عام ١٤٠م، ودبروا مذابح عديدة في عهد تراجان (٩٨ - ١١٧م)، ذهب ضحيتها حوالي نصف مليون مسيحي، في همجية لا نظير لها. كما قضى يوسف ذو نواس في مذبحة الأخدود على عشرات الألوف من المسيحيين حرقاً سنة ٤٢٥م[3].

د - وكذلك رد المسيحيون على اليهود باضطهادهم؛ ففي سنة ٢٥٣م ثار اليهود في فلسطين، فأخمدت ثورتهم، وقتل الآلاف منهم، وشرد الآخرون. ثم تتابعت الاضطهادات المسيحية لهم: ففي إيطاليا سنة ١٢٤٢م، وسنة ١٥٤٠م، وفي بريطانيا سنة ١٢٩٠م. وفي فرنسا في عهد لويس التاسع، ثم في عهد فيليب. ومحاكم التفتيش في أسبانيا عام ١٤٩٢م، وقد طُرِدوا من أسبانيا، وهذا ما اعتبره مؤرخوهم أكبر كارثة حلّت بهم بعد التدمير الثاني للهيكل سنة ٧٠م، وهزيمة باركوخبا[4] سنة ١٣٥م. وآخر مذابحهم على أيدي المسيحيين نفذها هتلر الألماني في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م[5].

---

(١) عيد الفصح: هو ذكرى خروج بني إسرائيل من مصر، ومن العبودية التي كانوا يخضعون لها.

(٢) الأب آي بي براناتيس - فضح التلمود، تعاليم الحاخامين السرية، زهدي الفاتح، ص٥٧ -. و انظر، نجيب الكيلاني، دم لفطير صهيون، ص٣٣.

(٣) عبد الله التل، جذور البلاء ص ١٩، ٢٩.

(٤) باركوخبا: اسم متمرد يهودي، قاد اليهود إلى مجزرة قتل فيها الرومان أكثر من نصف مليون يهودي، إبان الاضطهاد الروماني لليهود سنة ١٣٥م. انظر معجم المصطلحات الصهيونية، أفرايم ومناحم تلمي، ص: ٧٩.

(٥) محمد علي البار - المسيح المنتظر وتعاليم التلمود، ص: ٢٨.

ولكن ومع كل ما سبق من صور العداء، فإن " الصهيونية المسيحية " تبنت قضية اليهود في الرجوع لأرض الميعاد، وبقوة. وسبب ذلك يعود إلى عاملين بارزين، سياسي وديني[1]: أما السياسي، فيتمثل في صراع الملك الإنجليزي المزواج هنري الثامن مع الكنيسة، فقد طلب من الكنيسة الموافقة على طلاقه من زوجة لم يستطع التخلص منها، فأصدر سنة ١٥٣٨م أوامره إلى كل كنائس إنجلترا، بإنهاء الوصاية الكهنوتية على الكتاب المقدس، وتفسيره، وتمكين كل فرد " مؤمن " من الإطلاع على نصوصه، وتفسيرها، كما يمليه عليه عقله وضميره.

وانضم إلى هنري الثامن، وأيد خروجه ذلك، الطبقة الرأسمالية الناشئة الصاعدة في تلك الفترة، والتي كانت تعاني من سطوة وقيود الكنيسة في روما التي تفرضها على حرية التجارة، والمعاملات، وضرائبها التي تجبيها منهم. وقد أصدر هنري الثامن أوامره تلك بعد ثلاث سنوات من حلوله محل بابا روما رئيساً أعلى لكنيسة إنجلترا، فكسر بذلك حاجزاً ضخماً، كان يُعد تجاوزه جريمة عقابها الموت حرقاً، بتهمة الكفر، وإفساد الدين.

هذا الموقف، عزز تيار ما سمي بالإصلاح الديني الذي بدأه مارتن لوثر، ثم تبعه كالفن الفرنسي (١٥٠٩ ـ ١٥٦٤ م). والذي اتخذ شعار"العودة إلى الأصول"، أي العودة إلى حرفية " الأسفار المقدسة". تمازج " الورع الإصلاحي" مع السياسة، ليهدما مفهوم: " الكنيسة الكاثوليكية المعصومة من الخطأ! "، وتحل سلطة الكتاب المقدس ـ باعتباره معصوماً من الخطأ حقيقة (كما يعتقدون)، لأنه كلام الله! ـ محلَّ سلطة البابوية الغاشمة.

---

(١) نظر، شفيق مقار، مصدر سابق، من ص ٦٥ - ٧١.

فهذا التمازج فتح الأبواب على مصاريعها لفهم نصوص الكتاب المقدس، وصياغاته الملغزة التي أكد أحبار اليهود باستمرار أنها تحتمل التفسير بأي معنى من ستمائة ألف معنى". هذا التوجه الذي قبلته البروتستانتية مرحلياً، الهدف منه إضعاف خصمها الكنيسة الكاثوليكية. إلا أن التقديرات تلك تجاوزت الهدف المنشود إلى ما هو أبعد منه بكثير إذ " أصبح يَهْوه إله اليهود إلهاً للمسيحية، وحل أبطال العهد القديم وأنبياؤه محل قديسي المسيحية " كما تقرره الكاتبة الصهيونية اليهودية بربارا توخمان[1].

واستمر اليهود الذين دخلوا المسيحية ـ ظاهرياً ـ ذلك، أمثال يهود المارّانو الذين ساعدوا كولمبس في رحلاته[2] وأمثال كالفن اليهودي الأصل[3]. بل إن عدداً من وعاظ الكنائس، هم يهود اعتنقوا المسيحية، ليقوموا بدور سلفهم شاؤل. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه لا بد من إدراك وملاحظة أن فكر " الصهيونية المسيحية " ومعتقدهم قائم على العمل على إعادة اليهود إلى فلسطين للتخلص منهم، ولتحقيق وعد الله لهم إلى أن يأتي المسيح، وحينذاك يتحولوا إلى مسيحيين مؤمنين. وما حصل من عداء وحروب بين أهل الديانتين: اليهود والمسيحيين، إنما نتج من خطأ في التطبيق والممارسة لتلك العقيدة، وعدم فهمٍ لنصوصها، وليس تطبيقاً لوصايا المسيحية ـ المحرفة ـ التي صيغت في جملتها لمصلحة اليهود.

---

(١) شفيق مقار، مصدر سابق، ص٧٠، وأما (يهوه) فهو: اسمٌ يعني به اليهود الله سبحانه وتعالى. وقد ورد بهذا الاسم في
مواضع عدة من العهد القديم.

(٢) نفس المرجع، ص٤٢١.

(٣) محمد السماك، مرجع سابق، ص، ١٢.

المطلب الثاني
أهم عقائد
الصهيونية المسيحية

تعد عقيدة المجيء الثاني من العقائد المتميزة في المسيحية، إذ تعدُّ إحدى الأركان الأساسية للإيمان المسيحي، فيؤمن المسيحيون بأن ملكوت الله يوجد الآن في العالم من خلال شعبه الذي يؤمن به، ويجعله ملكاً على حياته. وسوف يعلن ملك الله للعالم بقوة في اليوم الآخر؛ بالمجيء الثاني للمسيح، ونحن الآن - حسب اعتقادهم - نعيش زمن ما بين مجيئين للمسيح. فالمجيء الأول وقع منذ ألفي عام[1]، والصهيونية المسيحية ترقب الآن مجيئه الثاني، وهو أهم عقيدة عندهم، كما يقول الصهيوني المسيحي هنري ثيسن[2]. إلا أن هناك ممهدات يجب أن تسبق ذلك الانقلاب في حياة الناس عند نزول المسيح؛ هي:

١ - عودة اليهود إلى أرض الميعاد، ثم قيام دولة يهودية عليها، وقد تم هذا عام ١٩٤٨م حينما أعلن اليهود عن قيام دولتهم هناك.. "إن خلق إسرائيل جديدة، مع عودة اليهود إلى الأرض التي وعدهم الله بها يعطينا دليلاً لا يناقش على أن خطة الله المباركة هي موضع التنفيذ، وأن العودة الثانية لمخلصنا قد تأكدت. إن خلق دولة إسرائيل هو أهم حدث في التاريخ المعاصر، إنها تمثل الخطوة الأولى نحو بداية نهاية الزمن"[3].

٢ - الاستيلاء على مدينة القدس، وقد تم أيضاً سنة ١٩٦٧م. "لقد أعطانا الله إشارة في عام ١٩٦٧م، عندما منح النصر لإسرائيل على العرب، ومكن اليهود

---

(١) إكرام لمعي، الاختراق الصهيوني للمسيحية، ص ٥٨١.

(٢) هنري ثيسن - محاضرات في علم اللاهوت النظامي، ص ٢٨٥.

(٣) تصريح لأحد الصهاينة المسيحيين الأمريكيين، التقته جريس هالسل مؤلفة كتاب: "النبوءة والسياسة" في فلسطين. جريس هالسل، مصدر سابق، ص، ٤٩.

من أخذ الأرض التوراتية: يهودا والسامرة، والسيطرة العسكرية على مدينة القدس. فلأول مرة منذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة أصبحت القدس تحت سيطرة اليهود "(١). ويقول الصهيوني المسيحي كلايد: "نعم إن المسيح سيعود إلى هذه الأرض لإعادة حكم الله، ولتحقيق السلام العالمي، وسيتولى زمام قيادة العالم، وسوف يقوم بذلك كله من مركز قيادته في القدس "(٢).

٣ - معركة هرمجدون: إن قيام دولة إسرائيل، والاستيلاء على مدينة القدس؛ إرهاصات لقرب نشوب المعركة الفاصلة، واندلاع نيران هرمجدون. وهرمجدون: "هو اسم لمعركة نووية يعتقد الإنجيليون المتهودون أنها ستقع في سهل القدس وعكا، وأن التنبؤ بها ورد في أسفار حزقيال ويوحنا ويوشع، وتقول هذه النبوءات: إن قوات الكفار من المسلمين والملحدين سوف تُدمَّر فيها إلى أن يظهر المسيح فوق المعركة، ويرفع بالجسد المؤمنين به، ويخلصهم من الدمار، ومن ثم يحكم العالم مدة ألف عام حتى تقوم الساعة "(٣).

إن معظم المدارس الإنجيلية (الصهيونية المسيحية) في الولايات المتحدة تدرس النظام الديني ونظرية "هرمجدون" استناداً إلى (دال كراولي) وهو قسيس في واشنطن، وكان أبوه عضواً مؤسساً للمؤتمر الدائم للمذيعين الدينيين

---

(١) تصريح لأحد الصهاينة المسيحيين الأمريكيين، التقته جريس هالسل مؤلفة كتاب: "النبوءة والسياسة" في فلسطين. جريس هالسل، مصدر سابق، ص، ٤٩.

(٢) كلايد: رجل أعمال متقاعد، وقد كان عسكرياً يعمل في الجيش الأمريكي في أوروبا، أثناء الحرب العالمية الثانية، صحب جريس هالسل في رحلتها إلى فلسطين سنة ١٩٨٣م. انظر المرجع السابق، ص ٧٢.

(٣) محمد السماك، الصهيونية المسيحية، ص ٨٥ والمراد بالإنجيليين المتهودين هم الصهاينة المسيحيون.

الوطنيين[1]..وهناك في أمريكا (٨٥) مليون أمريكي يعتقدون أن الحرب النووية لا مفر منها، وذلك عبر " **هرمجدون** " النووية، وأن الإشارة إلى ذلك وردت في الكتاب المقدس. جاء هذا من خلال استفتاء تم عام ١٩٨٤م أجرته مؤسسة باتكيلوفيتش[2].

كما أن " معظم محطات التلفزيون الرئيسية الإنجيلية، تعلم ما قاله هول لندسي في كتبه المشهورة: وهو أن هذه الكرة الأرضية سوف تصبح في حياتنا آخر كرة أرضية عظيمة، إن الله يعرف أن ذلك سيحدث، إنه يعرف ذلك منذ البداية الأولى، ولكن الله أخفى مخططه عن بلايين البشر الذين عاشوا قبلنا، أما الآن - واستناداً إلى " لندسي " - فإن الله يكشف عن مخططه إلى" لندسي " وإلى الآخرين مثل: " جيري فالويل " و" جيمي سواجارت " و" بات روبرتسون" الذين يبشرون بنظرية هرمجدون "[3].

إن الإيمان بحتمية وقوع " **هرمجدون** "، لم يعد قاصراً على الأفراد، أو حتى على المؤسسات المنظمة التابعة للصهيونية المسيحية، أو المتأثرة بأفكارها، بل تعداه ليصل إلى أعلى المراكز. فالرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان قبل تفسيراً توراتياً لنبوءة تقول: بأن "**هرمجدون** " نووية، وأنها أمر لا يمكن تجنبه.كما قرأ كتاب هول لندسي "آخر أعظم كرة أرضية "وغيره من الكتب التي تتحدث عن "**هرمجدون**"[4].

---

(١) جريس هالسل، مرجع سابق، ص ٤٣.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٩.

(٣) جريس هالسل، مرجع سابق،، ص ٢٣. وقد طبع كاب هول لندسي "آخر أعظم كرة أرضية" وبيع منه حوالي (١٨).

(٤) جريس هالسل، مرجع سابق، ص ٢٦، ٣٦.

ولقد سرى تأثر هذه العقيدة وتعمق، إلى حد أن " جيمس وات "وزير داخلية أمريكي سابق " أشار إلى لجنة النواب الأمريكية المعنية بشؤون الغابات والأنهار؛ أنه لا يقلق كثيراً بشأن تدمير مصادر الأرض وقال: " لأنني لا أعرف كم من الأجيال المقبلة سوف نعتمد عليها قبل أن يعود الرب "(1).

وكانت هذه الفكرة أكثر وضوحا في خطاب بوش الابن في الكنيست الإسرائيلي الكنيست في عيد استقلالها الستين إذ بدأ خطابه بذكر إبراهيم عليه السلاموارض الميعاد مرات عديدة، لدرجة أنه كان توراتيا بامتياز، مزق فيه بوش بقية الأقنعة التي كان يحاول بها وعلى امتداد سنوات حكمه، إخفاء انحيازه الكامل لإسرائيل وكرهه الذي لا حدود له للعرب والمسلمين...

لقد وقف بوش في هذا الخطاب عاريا دون رتوش، واضحا دون موارية، صريحا دون دبلوماسية، صهيونيا من الطراز الأول دون منازع، ويهوديا أصوليا دونه أصولية "كهانا حاي" الدينية وأصولية ليبرمان القومية، وحاقدا على الإسلام والعرب والمسلمين دون مثقال حبة من خردل من تردد أو خجل... لقد كان خطابه بيعة أبدية ليهودية إسرائيل وصهيونية نظامها، ودعما بلا تحفظ لأيدلوجيتها العنصرية وسياساتها التدميرية والوحشية.

ولقد كان خطابه حكما بالإعدام على حلم التسوية السلمية والدولة الفلسطينية، وتراجعا صريحا عن وعده في إقامة هذه الدولة والتي ترك الحديث عنها لأولمرت الذي وضعها بدوره كالريشة في مهب الريح بلا لون أو طعم أو رائحة... مجرد حديث لطالما سمعه الفلسطينيون على مدى ستة عقود مرت منذ النكبة...

(1) نفس المرجع، ص٦٢.

وهكـذا جـدد الـرئيس الأمريكـي جـورج بـوش في خطابـه الـذي ألقـاه في الكنيست بعد ظهر الخميس (٥/١٥)، دعمه وتأييده الكامل لإسرائيل في حربه ضد ما أسماه "الإرهاب" في إشارة إلى فصائل المقاومة الفلسطينية واللبنانية، في وقت لم يذكر فيه الفلسطينيين إلا بشكل عابر... تحدث عن استقلال إسرائيل وتجسيدها لقيم الديمقراطية والحرية والمساواة، وخلع عليها من النعوت والأوصاف ما لم يقل جميل في (بثينه) ولا (روميو) في (جولييت)، بينما لم يشر إلى معاناة الشعب الفلسطيني لا من قريب ولا من بعيد، ابتداء من النكبة التي تسببت بها إسرائيل مرورا بجرائمها عبر ستة عقود ضد فلسطين الإنسان والوطن والمقدسات، وانتهاء برفضها القاطع لحقوق هذا الشعب في الحرية الكاملة والناجزة وفي الاستقلال والحرية والانعتاق... لا قيمة لكل ذلك في نظر بوش...

و إسرائيل في نظره رغم قوتها وجبروتها هي الضحية، والفلسطينيون رغم معاناتهم وبؤسهم وضعفهم هم الإرهابيون الذين انعقدت النية الأمريكو-صهيونية على إلغائهم معتدلين ومتطرفين، وعلى حربهم دون هوادة حتى يخضعوا لإملاءات إسرائيل ويستسلموا لإرادتها... لقد نسي بوش وعده للفلسطينيين وعهده أمام العالم في لحظة (حُلُولٍ) نادرة في الذات الإسرائيلية، حتى كأني به يَمُدُّ الأشهر الستة الباقية حتى قيام دولة فلسطين حسب الوعد (البوشي)، فيجعلها ستين سنة جديدة. فقال بنبرة التحدي: "ستحتفل إسرائيل بالذكرى الـ ١٢٠ وهي أقوى وأفضل تقدماً، والفلسطينيون سيكون لهم الوطن الذين حلموا به، الدولة التي ترفض الإرهاب، وحينها سيمحى حزب الله وحماس".

فبوش لم يخف عقيدته الدينية منذ تسلمه مقاليد الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية كما كنا شهودا، وفي أكثر من مناسبة على (صرعاته وتجلياته وفتوحاته!!!) التي عبر فيها عن أكثر الشطحات الدينية ظلامية وعدائية للإسلام

والمسلمين، إلا أنني لم أره قط كما رأيته في خطابة أمام الكنيست والتي جسد فيها مزيجا من (أصولية بطرس الناسك) و(فاشية موسيليني) إن لم يكن أسوأ... لقد شحن كلمته بِكَمٍّ هائل من العواطف الدينية والإشارات التوراتية، وأعلن عن إسرائيل وأمريكا كفرعين لشجرة حضارية ودينية واحدة لا يمكن الفصل بينهما. من هنا أعطى عهد الله!!! وميثاقه على أن تبقى أمريكا الراعية لإسرائيل إلى الأبد في وجه من يريدون إبادتها.

وقد علق سلفان شالوم احد أعضاء الكنيست على خطاب بوش فقال: إن الرئيس الأمريكي جورج بوش اثبت بخطابه أمام الكنيست وموقفه من حماس بأنه أكثر صهيونية من عدة وزراء يشاركون في الحكومة الإسرائيلية.. أما زعيم حزب المفدال زفولون اورليف الذي تأثر كثيراً بما جاء في خطاب الرئيس جورج بوش بالكنيست إن هذا الرئيس الأمريكي يتحدث مثل أعضاء حزب المفدال وان حبه اللامتناهي لإسرائيل أثار مشاعري. فالقناعات السابقة لدى حكام أمريكا المتصهينيين لم تفرزها عواطف، بل لم تأت تطلعاً إلى مصالح مادية، وإنما عن إيمان بنصوص توراتية وإنجيلية، تعدهم ـ حسب فهمهم ـ سعادة أبدية.

وأما من حيث ذكر الهرمجدون فلقد ورد التصريح بذكرها في سفر حزقيال (٣٨، ٣٩)، وكذلك في رؤيا يوحنا (١٦/ ١ ــ ٢٠، ٢٠: ١ ــ ١٠) وأشعياء (١١/ ١٥ ــ ١٦): (ثم سكب الملاك السادس جامه على النهر الكبير الفرات، فنشف ماؤه لكي يعد طريق الملوك الذين من مشرق الشمس. ورأيت من فم التنين ومن فم الوحش، ومن فم النبي الكذاب ثلاث أرواح نجسة شبه ضفادع. فإنهم أرواح شياطين، صانعة آيات تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم، يوم الله العظيم، يوم الله القادر على كل شيء. ها أنا آتي كلص.

طوبى لمن يسهر، ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عرياناً فيروا عريته. فجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية هرمجدون.

ثم سكب الملاك السابع جامه على الهواء، فخرج صوت عظيم من هيكل السماء من العرش قائلاً: قد تم. فحدثت أصوات ورعود وبروق. وحدثت زلزلة عظيمة، لم يحدث مثلها منذ صار الناس على الأرض زلزلة بمقدارها عظيمة هكذا"[1].

المطلب الثالث

بيان عقيدة " هرمجدون "

لخطورة فكرة المجيء الثاني وما يتبعها، وما يترتب عليها، ولكون نزول المسيح إلى الأرض آخر الزمان هو أيضاً من ضمن مسائل العقيدة عند المسلمين التي يجب الإيمان بها. وقد يقول قائل: إننا نؤمن بما آمنوا به، وجاءت نصوص تدل على ذلك، لذا أرى ضرورة توضيح هذا الأمر على ضوء الكتاب والسنة: فالمسلمون يؤمنون بأن عيسى - عليه الصلاة والسلام - رُفع حياً، وأنه ينزل قرب قيام الساعة، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، كما يقتل مسيح الضلالة الدجال، ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام.

قال تعالى: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ، بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}[2].

---

(١) رؤيا يوحنا، ١٦/ ١٢ـ ١٩.

(٢) سورة النساء، آية: ١٥٧ - ١٥٨.

وقال تعالى: {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا}[1] .

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال ﷺ: " والذي نفسي بيده! ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها "[2]، وبناء على ما تقدم فالفرق بين العقيدتين في هذه المسألة يتلخص فيما يلي :

١ - تؤمن الصهيونية المسيحية بمجيء المسيح عيسى ابن مريم مرة ثانية، ويؤمن المسلمون بذلك.

٢ - تعلن الصهيونية المسيحية عن وجود معركة نووية فاصلة، ويعلن المسلمون عن تلك المعركة، ولكن لا تحديد لكونها نووية في مصادرهم.

٣ - تعتقد " الصهيونية المسيحية " بأن المسيح عيسى ابن مريم إذا جاء سيدين الوحش، والنبي الكذاب، وأنه يخلص بني إسرائيل، وينجيهم، ويصنع معهم عهداً جديداً، كما يقيد الشيطان، ويدين الأمم، ويحاسبهم في موضع " هرمجدون "، وسوف ينقذ الخليقة، ويباركها، ثم يقيم مملكته، وعاصمتها أورشليم، بعد أن يضرب كل ممالك الأرض[3].

---

(١) سورة النساء، آية : ١٥٩ .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) هنري ثيسن، مرجع سابق، ص ٤٠٦ .

أما المسلمون فيعتقدون أنه سيكسر الصليب.. إلى آخر ما ورد في الحديث السابق. وسيحكم بالإسلام. فالفكرة لها أصل، ولكن كل فريق يفهمها حسب عقيدته، ويبقى الحكم الصحيح للنص اليقيني، والذي يثبته منهج البحث العلمي الدقيق، وذلك من كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ.

وخلاصة القول : فإن هناك حقيقة يجب أن تستقر في قلب كل مسلم وخاصة القائمين على أمر الدعوة ، وهي: أن وجود الإسلام في الأرض هو نفسه رعبٌ لأعداء هذا الدين في كل حين، وفي كل مكان، وأن الإسلام نفسه يثيرهم ويحفزهم، لأنه من القوة واليقين بحيث يخشاه كل مبطل، ويرهبه كل باغ، ويكرهه كل مفسد.

وعليه فيجب على المسلمين إدراك عداوة اليهود والنصارى للمسلمين، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله : {هَا أَنْتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}(1) . وهناك جهود ضخمة، وإمكانيات مادية عظيمة تمتلكها هذه الحركة، ومن ذلك(2) :

أ - شبكة تلفزيون (المحطة الجديدة) في فرجينيا بأمريكا، تعرض برامج دينية على مدار الساعة، والقائم عليها: الصهيوني المسيحي الأمريكي جيري فالويل.

ب - برنامج " يوم كشف النظام " التلفزيوني، للصهيوني المسيحي ريتشارد دي هان، ويصل إلى ٤,٧٥ ملايين منزل.

---

(1) سورة آل عمران، آية : ١١٩.

(2) جريس هالسل ـ مرجع سابق، ص ٢٣- ٣٣.

ج - برنامج المبشر الصهيوني المسيحي ديكس همبرد، ويصلى إلى ٣.٧ ملايين منزل، ويبشر بتعاليم سلفه سكوفيلد التي تقول: " إن الله يعرف منذ البداية الأولى أننا نحن الذين نعيش سوف ندمِّر الكرة الأرضية ".

د- ومن بين أربعة آلاف مبشر مسيحي يشتركون سنوياً في مؤتمرات الإذاعات الدينية والوطنية؛ هناك ثلاثة آلاف صهيوني مسيحي يعتقدون أن كارثة نووية فقط يمكن أن تعيد المسيح إلى الأرض.

هـ - كما أن من بين ثمانية آلاف قسيس إنجيلي مسيحي. يذيعون يومياً من خلال أربعمائة محطة إذاعة؛ فإن الأكثرية منهم ينشرون فكر الصهيونيَّة المسيحية. وغير ما ذكر كثير، هذا إضافة إلى ما تتمتع به الحركة من قدرات سياسية تقوي ذراعها.

وبناء عليه فان على المسلمين الإطلاع التام على ما وزد في السنة النبوية المطهرة من أحاديث آخر الزمان، ونزول المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، وقضائه على أبرز رموز وشعارات العقيدة المسيحية؛ فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير.

وفي هذا دليل قاطع على براءته من دينهم الذي يدينون به. وكذلك صلاته خلف المهدي المسلم، والذي هو على شريعة خاتم الرسل محمد عليه الصلاة والسلام، فالمسيح مسلم، وعبدٌ لله، ورسولٌ من عند الله جل وعلا. إن معرفة ذلك معرفة دقيقة، والإيمان به؛ يقي المسلمين والدعاة من الوقوع في الإحراج والتضليل الذي يبثه دعاة المسيحية، وخاصة الصهيونية المسيحية. ويجب ألا يغيب عن البال أن للصهيونية المسيحية فهمٌ خاصٌ في شأن الإسلام، ينطق به كبار مفكريهم:

❖ يقول سكوفيلد (١٨٤٣ ـ ١٩٢١م): " إن عالمنا سوف يصل إلى نهايته بكارثة وبدمار، وبمأساة عالمية نهائية"، ويقول: "إننا لا نستطيع أبداً أن نعيش في سلام"[١].

• وأظهرت دراسة لمؤسسة " نلسن " نشرت في أكتوبر سنة ١٩٨٥م أن واحداً وستين مليون أمريكي يستمعون بانتظام إلى مبشرين يقولون لهم: لا نستطيع أن نفعل شيئاً لمنع حرب نووية تتفجر في حياتنا. ومن أشهر من ينادي بذلك: بات روبرتسون، وجيمي سواجارت، وجيم بيكر، وأورال روبرتس، وجيري فالويل، وكينين كوبلاند[٢]، وغيرهم من الوعاظ السياسيين. ويرى كل هؤلاء أنه: «لن يكون هناك سلام حتى يعود المسيح، إن أي تبشير بالسلام قبل هذه العودة هو هرطقة، إنه ضد كلمة الله إنه ضد المسيح.

وأما جيمي سواجارت، فإنه يضع النقاط على الحروف في هذه الرسالة؛ إذ يقول: «كنت أتمنى أن أستطيع القول إننا سنحصل على السلام، ولكنني أؤمن بأن هرمجدون مقبلة، إن هرمجدون قادمة، وسيخاض غمارها في وادي مجيدو، إنها قادمة. إنهم يستطيعون أن يوقّعوا على اتفاقيات السلام التي يريدون، إن ذلك لن يحقق شيئاً، هناك أيام سوداء قادمة، إن مشكلات إفريقيا لن تحل، وكذلك مشكلات أمريكا الوسطى، ومشكلات أوروبا. إن الأمور ستتوجه نحو الأسوأ... إنني لا أكترث لمن تسبب هرمجدون له القلق والمتاعب، إنها تنعش روحي"[٣].

وأما من حيث ذكر الهرمجدون فلقد ورد التصريح بذكرها في سفر حزقيال (٣٨، ٣٩)، وكذلك في رؤيا يوحنا (١٦/ ١ ــ ٢٠، ٢٠: ١ ــ ١٠) وأشعياء (١١/ ١٥ ــ

---

(١) جريس هالسل. مرجع سابق، ص ٢٢.
(٢) جريس هالسل ، ص ٢٩ – ٣٧ .
(٣) نفس المرجع، ص ٧٣ .

١٦): (ثم سكب الملاك السادس جامه على النهر الكبير الفرات، فنشف ماؤه لكي يعد طريق الملوك الذين من مشرق الشمس.

ورأيت من فم التنين ومن فم الوحش، ومن فم النبي الكذاب ثلاث أرواح نجسة شبه ضفادع. فإنهم أرواح شياطين، صانعة آيات تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم، يوم الله العظيم، يوم الله القادر على كل شيء. ها أنا آتي كلص. طوبى لمن يسهر، ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عرياناً فيروا عريته. فجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية هرمجدون. ثم سكب الملاك السابع جامه على الهواء، فخرج صوت عظيم من هيكل السماء من العرش قائلاً: قد تم. فحدثت أصوات ورعود وبروق. وحدثت زلزلة عظيمة، لم يحدث مثلها منذ صار الناس على الأرض زلزلة بمقدارها عظيمة هكذا "(١).

المبحث السادس
الفرق النصرانية

مع بداية الخلاف حول طبيعة المسيح عليه السلام بين النصارى نشأت فرق وطوائف كثيرة اتخذت كل فرقة منها مذهبا خاصا في هذه المسالة وتشكلت هذه الآراء بداية على شكل آراء فردية لبعض رجال الكنيسة سرعان ما تحولت إلى مذاهب واتجاهات وتعصب كل أصحاب اتجاه لرأيهم حتى أصبحوا فرقة سميت باسم صاحب هذا الرأي .

وقد أخبر خاتم الأنبياء والمرسلين وهو الصادق المصدوق أن النصارى افترقت إلى ثنتين وسبعين فرقة . ولا شك في أن هذا الافتراق يبين مدى الانقسامات الحادة بين رجال الكنيسة حتى لم تعد هناك كنيسة واحدة بل كنيستان، الشرقية

(١) رؤيا يوحنا ،١٦/ ١٢ ـ ١٩.

الأرثوذكسية والغربية الرومانية الكاثوليكية. ولما ظهرت حركة الإصلاح الديني في أوروبا انبثق عنها كنيسة ثالثة هي الكنيسة البروتستانتية الإنجليزية.

وصار لكل كنيسة من هذه الكنائس نظامها ومعتقداتها وطوائفها المنتمية إليها، وقبل الحديث عن هذه الكنائس الثلاث لابد من الحديث عن الفرق القديمة التي تشكلت حول طبيعة المسيح عليه السلام والتي تعد الطوائف الحديثة امتدادا لها. وسأقتصر في حديثي على أهم فرقتين عرفتا في التاريخ النصراني ونشأت عنهما الكنيستان الشرقية والغربية.

المطلب الأول
فرقة اليعاقبة أو اليعقوبية

وهم أصحاب يعقوب الباذعي أو البردعاني المتوفى في سنة٥٧٨ م وهو انشط الدعاة إلى هذا المذهب ولم يكن المؤسس الأول له، وأول من أعلنه بطريك الإسكندرية في القرن الخامس الميلادي، قال الشهرستاني في هذه الفرقة قال ابن تيمية: (هم شر الأصناف الثلاثة).

ويدور مذهبهم على القول بأن المسيح هو الله، وقالوا بالأقانيم الثلاثة، إلا أنهم قالوا إن الكلمة انقلبت لحماً ودماً، فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو. فهم يقولون باتحاد الله بالإنسان في طبيعة واحدة هي المسيح؛ فالله ـ تعالى عن عظيم كفرهم ـ مات وصلب وقتل، وبقي العالم ثلاثة أيام بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان.

وهكذا جمعوا بين الخالق والمخلوق، أو كما قال بعض أهل العلم " جمعوا بين القديم والمحدث، وهو محال كالجمع بين القاعد والقائم أو الحار والبارد". وذكر بعضهم أن القرآن عناهم في قوله: " لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ". فهم يزعمون أن اللاهوت والناسوت اتحدا وامتزجا كامتزاج الماء والخمر،

فهما جوهر واحد وأقنوم واحد وطبيعة واحدة. وقال ابن كثير: " قالت اليعقوبية: كان فينا الله ما شاء ثم صعد إلى السماء ". وقد عاش اليعاقبة في مصر والسودان والنوبة والحبشة.

وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد إلا أنه من جوهرين وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين، فجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان الحديث تركبا كما تركبت النفس والبدن فصارا جوهرا واحدا أو أقنوما واحدا وهو إنسان كله وإله كله فيقال: الإنسان صار إلها ولا ينعكس، كالفحمة تطرح في النار فيقال صارت الفحمة نارا ولا يقال صار الإنسان فحمه...... وكان هذا الرأي وهو القول بالصيغة الواحدة سائدا في كنائس المشرق فلما عقد مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م قرر ما يخالف هذه العقيدة وكان ذلك بسبب انفصال الكنيسة القبطية عن الكنيسة الرومانية، والكنيسة الأرثوذكسية اليوم امتداد في رأيها لما ذهبت إليه هذه الفرقة.

المطلب الثاني

فرقة الملكانية " الملكائية "

الملكانية مذهب جميع ملوك النصارى وأهل مالكهم حيث كانوا حاشا الحبشة والنوبة[1]، ويسميها الشهرستاني بالملكائية [2]. أما رأي الفرقة في طبيعة المسح فقد قالوا: أن الكلمة اتحدت بجسد المسيح و تدرعت بناسوته ويعنون بالكلمة أقنون العلم ويروح القدس أقنوم الحياة [3]. ويزعم أتباع هذه الفرقة: " بأن الله تعالى عبارة عن ثلاثة أشياء أب وابن وروح قدس كلها لم تزل وأن عيسى عليه السلام إله تام

---

(١) الشهرستاني، الملل و النحل، ج ٢، ص٦٢.

(٢) ابن حزم الفصل في الملل و الأهواء و النحل، ج ١، ص ٤٨

(٣) الشهرستاني، الملل و النحل، ج٢، ص٦٢

وإنسان تام كله ليس أحدهما غير الآخر، وأن الإنسان منه وهو الذي قتل، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك وأن مريم ولدت الإله والإنسان وأنهما معا شيء واحد ابن الله [1] .

ويفهم من هذا أن الملكانية تقول بأن للمسيح عليه السلام طبيعتين: لاهوتية وناسوتية، وهذا مذهب الكاثوليك الذين يعتقدون أن الإلهة ثلاثة متميزون ومنفصلون: الأب والابن والروح القدس. ويبين الدكتور السقا قول الكاثوليك في شرح الآية من إنجيل يوحنا عند قوله(والكلمة كان عند الله) متميز عمن ولده فالأب غير الابن والابن غير الأب ومع ذلك فهما شيء واحد في الطبيعة والذات[2]. وهذا هو الذي يفهم من قانون الإيمان النيقاوي الذي وضعوه فهو يفصل بين الأقانيم الثلاثة ويجعل كل أقنوم منها متميزا عن الآخر.

وقبل الحديث عن الطوائف المسيحية التي آلت إليها الكنيسة المسيحية لا بد من الإشارة إلى أن عهد المسيحية الأول الذي يسميه الأستاذ أبو زهرة عهد التوحيد أو يمكن أن نسميه عهد استقلال المسيحية الفكري عن الدولة الرومانية في هذا العهد قد عرف فرقا كثيرا، وصار بينها نزاعات حول طبيعة المسيح عليه السلام هل هو إنسان أوحى الله إليه إن فيها جزء من الألوهية، فمن الموحدين القائلية ببشرية المسيح ظهرت فرق مثل الأريوسية أتباع آريوس الذي انعقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م من اجله ومثل البولفانين أتباع بولس الشمشاطي بطريك انطاكية وكان يقول بصراحة إن عيسى عليه السلام ورسوله كان كأحد الأنبياء عليهم السلام [3] . ومن المؤلهين: المرقونين أتباع مرقيون الذي كان يقول أن الآلهة ثلاثة صالح طالح .وعدل بينهما

---

(١) ابن حزم، الفصل في الملل و الأهواء والنحل، ج ١، ص ٤٩.

(٢) السقا، أقانيم النصارى، ص ٦٨.

(٣) ابن حزم، الفصل في الملل و الأهواء و النحل، ج١، ص ٤٨ .

وزعموا أن مرقيون رئيس الحواريين وأنكروا بطرس[1] . ومن المؤلهين كذلك الربانية: ويقولون أن عيسى وأمه إلهان من دون الله عزل وجل [2]، وقد انقرضت هذه الفرق وانقرضت فرق أخرى ظهرت بعد ذلك مثل أتباع مقدنيوس الذي أنكر أن يكون روح القدس إلها والنسطورية أتباع نسطور الذي أنكر أن تكون مريم ولدت الإله بل الإنسان.

المطلب الثالث
الطوائف النصرانية الحديثة

المطلب الأول
الكاثوليكيـــة

الكاثوليكية كلمة لاتينية تعني العامة، لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها ولأنها وحدها التي تنشر المسيحية في العالم. وقد أطلقت على الكنيسة الكاثوليكية أسماء، مختلفة مثل الكنيسة الزومانية الغربية والكنيسة البطرسية أو الرسولية، أو الكنيسة اللاتينية، ورئيسها البابا في الفاتيكان بروما. وقد سميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتين وبخاصة إلى بلاد إيطاليا وبلجيكا وفرنسا واسبانيا والبرتغال وأن كان لها أتباع فيما عدا ذلك من البلدان. وسيمت الكنيسة البطرسية أو الرسولية لأن أتباعها يدّعون أن مؤسسا هو طرس كبير الحواريين ورئيسهم والبابوات في روما خلفاؤه. [3] .

والمذهب الكاثوليكي هو امتداد لمذهب الملكانية الذي كان يرى أن المسيح عليه السلام يتكون من طبيعتين أو مشيئتين ، وكانت الكنائس الغربية تتبنى هذا الرأي

---

(١) شلبي، أضواء على المسيحية، ص ٩٨ .

(٢) ابن حزم الفصل في الملل و الأهواء والنحل، ج ١، ص ٤٨

(٣) أحمد شلبي ، المسيحية ، ص ١٣- ١٣٩.

بعكس ما كانت تتبناه الكنيسة القبطية وكثير من الكنائس الشرقية من القول بالطبيعة الواحدة للمسيح عليه السلام وهي الطبيعة الإلهية .

وظل الأمر مجرد آراء وخلافات نظرية حتى كان مجمع خلقيدونية سنة ٤٣١ بحيث كان قرار هذا المجمع موافقا لما عليه الكنائس الغربية وبخلاف رأي ديسفورس بطريرك الإسكندرية القائل بالطبيعة الواحدة، فقرر المجمع طرد ديسفورس ولعنه مما أثار غضب المصريين الذين تعصبوا لبطريركهم فكان الانفصال بين الكنيستين الشرقية والأرثوذكسية والغربية الكاثوليكية.

وقد ذكر الأستاذ أحد شلبي مجوعة أسباب لانقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية منها أسباب سياسية تعود إلى التقسيم الذي حصل على الإمبراطورية الرمانية إلى غربية عاصمتها روما وشرقية عاصمتها القسطنطينية وصار لكل إمبراطور قسم خاص وهذا التقسيم أتاح للمسيحية مركزين للسلطة والنفوذ. ومنها أسباب دينية خلاصتها أن منطقة الإمبراطور الشرقية متصلة بأرض الديانات فتأثرت كنيسة روما بالدم الألماني ونشر المسيحية بين الوثنيين. أما كنائس الشرق فقد تأثرت بالتفكير الشرقي ونشر المسيحية بين قوم قديمي العهد بالأديان، وقد بدأ الخلاف بين الكنيستين ثم أخذ ينو ويزداد حينما تساهلت كنيسة روما لتجذب إليها الجرمان واللادينيين، فأحلت أكل دم المخنوق وأباحت للرهبان أكل دهن الخنزير وغير ذلك مما لم تفعله الكنائس الشرقية .

هذا بالإضافة إلى الخلاف الذي ذكرته حول طبيعة المسيح عليه السلام. وقد لعبت الكنيسة الكاثوليكية طوال القرون الماضية دورا هاما في حياة أوروبا، ففي حركة التاريخ الكنسي كانت الكاثوليكية تنهاهض حكومات أوروبا وأحيانا تتغلب قوى الكنيسة وأحيانا تتغلب قوة الدولة وكان الصراع بين القوتين بين مد وجزر محل

نزاع بين مثقفي أوروبا حول من هو صاحب السلطة الأعلى هل الدولة يجب أن تخضع للكنيسة أو أنه لابد من الفصل بينها [1] .

نظام الكنيسة الكاثوليكية :

والنظام الذي تتبعه الكنيسة الكاثوليكية هو النظام الباباوي والذي يرأسه البابا والكرادلة (جمع كاردينال) وهم أصحاب الحق في تنظيم الكنيسة ، إذ يتكون منهم المجمع الكنائسي الذي يصدر إرادات بابوية سامية هي إرادات إلهية لأن البابا هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض فهو ممثل الله ، ومن هنا كانت إرادته لا تقبل الجدل والمناقشة [2] .

وعندما يموت البابا ينتخب واحدا خلفًا له عن طريق الكرادلة وبعد انتخابه يكون صاحب الحق في إبرام قوانين لها صفة الإلزام والطاعة من الشعب الكاثوليكي وهكذا تبدو سلطة البابا واسعة وعظيمة إلى درجة أنه يحدد الكتاب الذي يجز أن يقرأ والكتاب الذي لا يجوز لأحد أن يقرأه ، وكانت العاقبة لهذا التصرف أنه في القرون الوسطى التي كانت سلطة للبابا الكاثوليكي كانت أوروبا تعيش في الظلمات . ولضيق ساحة الحركة في أوروبا كثر الأشخاص الذين يخرجون على أوامر البابا الكاثوليكي ومعنى الخروج على البابا يعني الحكم على الخارج وقد يكون الحكم بالموت بطريقة غاية في الفظاعة وكلما كثر المحكوم عليه من الكنيسة الكاثوليكية بهذه الطريقة الفظة للإنسانية كلما قويت المعارضة المثقفة واستعصت على سلطان الكاثوليكية الأوروبية وقوانينها وأوامرها ، وأوجدت الكاثوليكية حركة تنصير جبرية فأوجبت على كل شخص أن يكون كاثوليكيا ومن لم يعتنق الكاثوليكية سوف

---

(١) احمد شلبي ، التفكير ، الديني في العالم قبل الإسلام ، ص ٤٤٧.

(٢) احمد شلبي ، المسيحية ، ص ٢٣٩.

يعذب حتى الموت[1] . وقد مارست الكنيسة الكاثوليكية أبشع أنواع الاضطهاد الديني ضد معارضيها ومحاكم التفتيش جزء من هذه الحملة الكاثوليكية الشرسة على معارضيهم سواء كانوا مسيحيين أم غير مسيحيين.

المطلب الثاني
عقائد الكاثوليكية

يعتقد الكاثوليك بما كان يعتقده الملكانيون من قبل بأن الأقانيم متميزة ومنفصلة فالأب غير الابن، والابن غير الأب، والروح القدس غيرهما، ويفهمون من النص الوارد في بداية إنجيل يوحنا والكلمة كان عند الله أن الكلمة متميز عمن ولده ومع هذا فهما شيء واحد في الطبيعة والذات والحكمة.

والعقيدة التي يتمسك بها الكاثوليك هي القانون الذي نادى به أثناسيوس (وكان يمثل أكبر المتحمسين لفكرة تأليه المسيح وهو الذي تسدى لآريوس في مؤتمر نيقيه وناظره). وصورة هذا القانون يعرضها القس إلياس قصار بالنقاط التالية :

- إن كل من ابتغى الخلاص، وجب عليه قبل كل شيء أن يتمسك بالإيمان الكاثوليكي أي الإيمان الجامع العام للمسيحية.
- الإيمان الكاثوليكي هو ان نعبد إلها واحدا في تثليث، وثالثا في توحيد
- لا تمزج الأقاليم ولا نفصل الجوهر
- إن الأب أقنوم على حدة والابن أقنوم على حدة وللروح القدس أقنوم آخر
- ولكن الأب والابن والروح القدس لاهوت واحد، ومجد متساو، وجلال أبدي معا .
- الأب غير مخلوق، والابن غير مخلوق والروح القدس غير مخلوق .

---

(١) احمد شلبي ، التفكير الديني في العالم قبل الإسلام ،ص ٤٤٨.

❖ الأب غير محدد والابن غير محدد والروح القدس غير محدد.

❖ الأب سرمد والابن سرمد والروح القدس سرمد ولكن ليسوا ثلاثة سرمديين بل سرمد واحد.

❖ وكذلك ليسوا ثلاثة غير مخلوقين ولا ثلاثة غير محددين بل واحد غير مخلوق وواحد غير
محدد.

❖ وكذلك الأب ضابط الكل والابن ضابط الكل والروح القدس ضابط الكل ولكن ليسوا ثلاثة
ضابطي الكل بل واحد ضابط الكل.

❖ وهكذا الأب إله والابن إله والروح القدس إله ولكن ليسوا ثلاثة آلة بل إله واحد

❖ وكما أن الحق المسيحي يكلفنا أن نعترف بأن كلا من هذه الأقانيم بذاته إله ورب فإن الدين
الكاثوليكي ينهانا عن أن نقول بوجود ثلاثة آلهة وثلاثة أرباب.

❖ فالأب غير مصنوع من أحد ولا مخلوق ولا مولود وكذلك الابن وحده وروح القدس وحده

❖ أب واحد لا ثلاثة آباء وابن واحد لا ثلاثة أبناء وروح قدس واحد لا ثلاثة أرواح قدس

❖ يجب أن نعبد الوحدانية في ثالوث والثالوث في وحدانية.

❖ من أراد أن يلزم له الخاص فعليه أن يؤمن بهذا الثالوث وبتجسد يسوع المسيح •

❖ الإيمان المستقيم هو أن نؤمن ونقر بأن يسوع المسيح ابن الله هو إله إنسان ، وأنه إله من

جوهر الأب ومولود قبل الدهور وإنسان من جوهر أمه مولود في هذا الدهر . إله تام وإنسان تام كائن بنفس ناطقة وجسد بشري .

- والابن مساو للأب بحسب لاهوته ودونه الأب بحسب ناسوته وهو وإن يكن إلها وإنسانا

فإنما هو مسيح واحد لا اثنان.

- المسيح تألم لأجل خلاصنا، ونزل إلى الجحيم (أي عالم الأموات) وقام أيضا في اليوم

الثالث من بين الأموات ثم صعد إلى السماء وهو جالس عن يمين الرب.

- ومن هناك يأتي ليدين الأحياء والأموات ، الذي عند مجيئه يقوم أيضا جميع البشر بأجسادهم ويؤدون حسابا عن أعمالهم الخاصة ، فالذين فعلوا الصالحات يدخلون الحياة الأبدية والذين عملوا السيئات يدخلون النار الأبدية.

- هذا هو الإيمان الكاثوليكي الذي لا يقدر الإنسان أن يخلص من دون أن يؤمن به بأمانة ويقين.هذه خلاصة العقيدة الكاثوليكية كما نقلها الدكتور أحمد حجازي السقا عن كتاب إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى للقس إلياس قضار[1] .

ومن خلال النظر في هذه الأصول الإيمانية نجد أن هناك تناقضا واضحا لا يستطيع العقل الإنساني أن يجمع بين تلك المتناقضات، إذ كيف للعقل أن يفهم أن المسيح عليه السلام إله تام في نفس الوقت الذي يكون فيه إنسانا تاما ، وكيف يمكن لنا أن نستوعب أن كل أقنوم إله تام بذاته وهو غير الآخر في الوقت الذي يقول فيه الكاثوليك إنهم لا يؤمنون بثلاثة آلهة بل بإله واحد !!

---

(١) احمد السقا، أقانيم النصارى ، ص ٦٩-٧٢

فالعقل لا يستطيع أن يستوعب هذه التناقضات والنصارى يعترفون بذلك ويقرون بأن العقل عاجز عن فهم كنه الثالوث لكن علينا أن نؤمن بذلك سواء استوعبت عقولنا أم لم نستوعب والعقل يستطيع أن يدحض هذه العقيدة تماما لأن وجود الله داخل بطن مريم تسعة أشهر يستلزم منه أن يكون غافلا عن شؤون العالم في هذه المدة، ووجوده مقتولا مصلوبا يستلزم منه أن يكون عاجزا عن حماية نفسه فضلا عن حماية غيره.

إن التصور الإسلامي لطبيعة المسيح عليه السلام هو التصور الذي يستطيع العقل أن يفهمه فالمسيح عليه السلام بشر مولود من مريم العذراء، ولو لم يكن من أب بشري فهو كلمة الله وهي كلمة ألقاها إلى مريم البتول العذراء، فحملت به وولدته ولادة طبيعية بشرية وكان صبيا ترعرع ونما نموا طبيعيا وصار شابا ثم أوحى الله تعالى إليه ليكون رسولا لبني إسرائيل وهم به اليهود ليقتلوه ويصلبوه إلا أن الله تعالى نجاه منهم وألقى شبهه يهوذا الإسخربوطي وأكرمه الله تعالى فرفعه إليه ومع كل هذه الرفعة وكل هذا التكريم فإنه عبد الله تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون.

هذه عقيدة المسلمين في المسيح عليه السلام واضحة مفهومة معقولة لا لغز فيها ولا أحاج ولا تناقض فيها ولا تمويه. أما بالنسبة لمعتقداتهم في غير قضية المسيح عليه السلام فإن الكنيسة الكاثوليكية تعتقد بأنه يوجد بعد الموت مكان ثالث يسمى المطهر تعتقل فيها النفوس التي لم تصل إلى درجة النقاوة كما تعتقد أن المغفرة حق من حقوق الكنيسة ورجالها. وتحرم الكاثوليكية الزواج على رجال الكنيسة وتحرم الطلاق على جميع النصارى حتى عند الخيانة الزوجية.

المطلب الثالث

الطوائف التابعة للكاثوليكية

هناك طوائف تتبع الكنيسة الكاثوليكية وإن كانت تخالفها في اعتقادها بطبيعة المسيح ومشيئته ومن هذه الطوائف :

أ) المارونيــة

ومقر هذه الطائفة لبنان، وتنسب إلى القديس يوحنا مارون الذي أعلن سنة ٦٦٧ م أن المسيح ذو طبيعتين ، ولكنه ذو إرادة واحدة أو مشيئة واحدة ، ولم تقبل الكنائس المسيحية هذا الرأي لذلك اجتمع المجمع السادس في القسطنطينية سنة ٦٧٠ م وقرر رفض نحلة مارون وحرمانه ولعنه وتكفير كل من يذهب إليه ، وقد نزلت بأتباع يوحنا مارون الاضطهادات وصنوف الأذى فلم يجدوا أمامهم إلا الفرار والاعتصام بجبال لبنان . وقد تحيلت الكنيسة الكاثوليكية وقربتهم إليها فأعلنوا لها الطاعة والولاء والاتحاد معها سنة ١١٨٢ م على أن يبقوا على رأيهم وبطريركهم الخاص بهم وإن كان يقر الرئاسة لبابا روما [1] .

ب) السريان :

هم طوائف من المسيحيين يقولون بالطبيعة الواحدة للمسيح عليه السلام مثل اليعاقبة والأرثوذكس لكنهم يتعرفون برئاسة الكنيسة الكاثوليكية بروما مع أن لهم بطريكهم الخاص بهم وتعد الرها ونصيبين ودمشق مراكز رئيسية لهم .

ثانيا : الأرثوذكسية

الأرثوذكسية كلمة لاتينية تعني المتشددون أو المتعصبون ، وتسمى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكس أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية لأن أكثر أتباعها من الروم

---

(١) محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ١٧٧.

الشرقيين ومن البلاد الشرقية على العموم كروسيا والبلقان واليونان ومقرها الأصلي القسطنطينية ، وقد فصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية أيام ميخائيل كارولاريوس بطريرك الإسكندرية سنة ١٠٥٤م وهي الآن مؤلفة من عدة كنائس مستقلة [١].

والكنيسة الأرثوذكسية تتبع نظام الأكليروس وليس البابوية ويبدأ نظام الإكليروس من البطريرك ويليه مرتبة المطران ثم الأسقف ثم القس المتميز ويسمى القمص ثم القس العادي وهؤلاء جميعا أصحاب الرأي والكلمة في كل ما يدور حول الكنيسة [٢] . ولا يعترف الأرثوذكس بالبابا في روما، وليس للأرثوذكسية مقر رئيس مثل الكاثوليكية وإن كانت القسطنطينية المركز الاول لهم، وتعد الآن أثينا والإسكندرية وروسيا أيام القياصرة، مراكز رئيسية لها.

عقيدة الأرثوذكس:

يعتقد الأرثوذكس أن الله واحد في ثلاثة أقانيم ويقولون: إن الله (عز وجل) نزل من السماء واختبأ في بطن مريم العذراء تسعة أشهر، وكان لما دخل بطنها نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم أصبح جنينا كاملا ثم خرج طفلا كاملا اسمه عيسى أو يسوع، ونما كما ينمو الأطفال ولما بلغ سن الثلاثين بلغ الرسالة وبعد سنتين وأشهرا قتله اليهود وصلبوه ثم دفن في القبر ثلاثة أيام ،ونزل إلى جحيم وهو في القبر ، ثم خرج في اليوم الثالث وصعد إلى السماوات .

ويسمى الأب قبل التجسد ثم الابن بعد التجسد ويسمى الروح القدس الاسم الذي كان عليه قبل إنشاء العالم أي أن عيسى هو الله خالق السماء والأرض والله هو عيسى ويستدلون على مذهبهم هذا بقول القديس بولس (الله ظهر في

---

(١) احمد شلبي، المسيحية ،ص ٢٣٩ .

(٢) احمد شلبي، المسيحية ،ص ٢٤١

الجسد ، تبرر في الروح ، تراءى للملائكة ، كرز به بين الأمم أؤمِنَ به في العالم ، رفع في الجد) (١).

والقضية الأساسية التي تميزت من أجلها الكنيسة الأرثوذكسية وانفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية هي قضية طبيعة المسيح عليه السلام وقد بينا أن مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م قد انعقد لبحث هذه المسألة وخرج بقرارات تخالف ما ذهب إليه القائلون بالطبيعة الواحدة من الأرثوذكس وقرر المجمع كذلك طرد بطريرك الإسكندرية ولعنه فكانت ردة الفعل هي ذلك الانقسام الذي أدّى إلى انفصال الكنيسة الشرقية عن الغربية فالأرثوذكس يقولون بالطبيعة الواحدة للمسيح في أقانيمه الثلاثة. ولتوضيح ذلك يقول حبيب جرجس، وإن فادينا العظيم قد تنازل عن سماء مجده وقبل أن يتحد بالإنسان باتخاذه جسدا حقيقيا بنفس عاقلة ناطقة تم الحبل به في بطن القديسة الطاهرة مريم العذراء. وقد مثل آباء الكنيسة اتحاد اللاهوت بالناسوت بأن الإنسان مركب من جزأين أحدهما الجسد الكثيف المأخوذ من التراب وثانيهما النفس العاقلة الناطقة.

ومع وجود هذين الشيئية واتحادهما دن اختلاط ولا امتزاج يصيران شخصا واحدا ذا طبيعة واحدة، فاللاهوت هو الجزء البسيط من النفس الناطقة، وباتحادهما معا دون اختلاط ولا امتزاج صار المسيح ذاتا واحدة، جوهرا واحدا، وطبيعة واحدة ومشيئته واحدة) (٢). ويمكن أن نوجز أهم الأصول الاعتقادية للأرثوذكس بما يأتي :-

(١) تيماثاوس الأولى ، ١٦/٣ .

(٢) احمد السقا ، اقانيم النصارى ، ص ٦٨

١- المسيح له طبيعة واحدة ومشيئة واحدة في أقانيمه الثلاثة فهو في كل أقنوم منها يحمل هذه الطبيعة الإلهية، ولذلك كان الرد القرآني على أصحاب هذا المذهب بقوله (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) [(١)] .

٢- روح القدس نشأ عن الإله الأب فقط.

٣- يفهم من نصوصهم أفضلية الأب عن الأب.

٤- رفض الأرثوذكس ما ذهبت إليه الكنيسة الكاثوليكية من جواز أكل دم المخنوق ومن إباحة أكل لحم الخنزير للرهبان.

ومن أشهر الطوائف التابعة للكنيسة الشرقية الأرثوذكسية ما يلي :

أ- الكنيسة القبطية المصرية:

يعتقد الأقباط أنهم أساس نشأة الكنيسة الأرثوذكسية، ومقر هذه الكنيسة كانت الإسكندرية ثم أصبحت القاهرة مقر بطريرك هذه الكنيسة وهو الآن الأب شنودة، ويطلق عليه بابا الإسكندرية ورئيس الأفارقة المسيحيين، ويتبعه في هذه الرئاسة بالإضافة إلى الأقباط المصريين، الأحباش المسيحيون حيث يعين لهم أسقفا يرعى شؤونهم الدينية. وتحمل الكنيسة القبطية لب اعتقاد الأرثوذكس في الطبيعة الواحدة للسيد المسيح. وللأقباط في مصر تاريخ عريق يعتزون به ويلتفون حوله، وهم متعصبون لكنيستهم ومعتقداتها ويعتز أقباط مصر بحوادث أربعة هي :

١. قدوم العائلة المقدسة إلى مصر هربا من اضطهاد ملك اليهود الذي كان يريد قتل طفل يسوع حيث ورد في إنجيل متى وبعدما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف (ويعني هنا يوسف النجار) في حلم قائلا وخذ الصبي وأمه

---

(١) سورة المائدة، آية : ١٧

واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك، لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه فقام واخذ الصبي وأمه ليلا وانصرف إلى مصر [1] .

٢. تأسيس كنيسة الإسكندرية على يد الرسول مرقس.

٣. النشاط الفكري لمدرسة الإسكندرية.

٤. تأسيس الرهبنة التي وجدت في أرض مصر. و يبين الدكتور جورج قنواتي أن الأقباط في مصر كانت ثقافتهم تابعة للثقافة الإغريقية إلي أن فتح عمر بن العاص مصر في القرن السابع ميلادي حيث تحولت إلى الثقافة العربية. ويمكننا أن نقسم العصر القبطي لمصر على النحو الآتي :

- عصر الثقافة الإغريقية .
- مرحلة استقرار المسيحية والسيادة القبطية.
- مرحلة سيادة الثقافة العربية وفيها أخذت القبطية تتلاشى تدريجياً وأصبحت الكنيسة تتمثل اللغة العربية فتمكن علماؤها من التعبير بلغة عربية فصحة عن العقيدة المسيحية وتعاليمها وتدوين قوانينها وتاريخها.

ب- الأرمـــن :

وهم طوائف من المسيحيين موطنهم الأصلي أرمينية وهم اليوم أقليات متناثرة موجودة في مصر والأردن وسوريا وتركيا ولبنان . يعتقدون في المسيح اعتقادات الكنيسة القبطية لكن لهم طقوسهم وتقاليدهم الدينية الخاصة بهم كما أن لهم بطاركة مستقلون بهم لا يتبعون الكنائس الأخرى ولا يندمجون معها.

وخلاصة القول فأن ثقل الأرثوذكسية هم يتمركز بعد مصر، في روسيا واليونان وبلاد البلقان وأكثر الشعوب تعصبا للأرثوذكسية هم الصرب، ولذلك رأينا

---

(١) متى ، ٢/ ١٣-١٤ .

تعاطفا واضحا من الروس واليونان للصرب رغم احتجاج العالم على وحشيتهم ضد المسلمين في البوسنة.

ثالثا : البروتستانتية

البروتستانتية كلمة لاتينية تعني (المحتجون)، وهي فرقة نشأت نتيجة حركة الإصلاح الديني التي تزعمها مارتن لوثر وتلميذه جون كلفن في أوروبا ضد ممارسات الكنيسة الكاثوليكية وتسلط رجال الدين في أوروبا وطغيانهم باسم الدين، وما آلت إليه أمور الكنيسة من ابتداع صكوك الغفران واحتكار الدين عليهم فقط وعدم جواز إطلاع العامة على الكتاب المقدس الذي كان بلغات قديمة لا يفهمها عامة الناس واضطهاد المعارضين وتعذيبهم.

كل هذا وغيره قاد إلى بروز حركة احتجاجية واسعة في أوروبا ضد الكنيسة سميت بحركة الإصلاح الديني أو حركة المحتجين أدت إلى بروز البروتستانت الذين انشئوا الكنيسة الخاصة بهم أضيفت إلي الكيستين السابقتين ولها أصولها وطقوسها الخاصة. وتسمى كنيستهم الكنيسة البروتستانتية أو الإنجيلية إشارة منهم إلى أن الإنجيل هو مصدر الوحيد لفهم المسيحية بعيدا عن تفسيرات رجال الكنيسة وإلهاماتهم وإضافاتهم التي تسلطا من خلالها على الناس بحجة أنها تعاليم شفوية للباباوات.

وتنتشر البروتستانتية في ألمانيا وإنجلترا والدانمرك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية. ولكن الإنجليز اعتقدوا أن حركة الإصلاح الديني حرة عادلة رشيدة، وأنها هي الأصل فيما يجب أن تكون عليه الكنيسة الكاثوليكية فاستبقى الإنجليز استعمال كلمة الكنيسة لكاثوليكية على الكنائس الإنجليزية الإنجيلية والكنيسة لكاثوليكية الأصلية أطلقوا على كنيسة روما وأتباعها اسم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. وعندما انطلقت حركة الإصلاح الديني في أوروبا وبداية في

ألمانيا وجدت آذان صاغية وتأييدا شعبيا واضحا نتيجة الظلم والابتزاز الذي مارسته الكنيسة ورجالها. وقد ساعد هذه الحركة بعض الآراء من النبلاء والإشراف الذين كانوا يحسون بأنهم متضررون جدا من سلطان الكنيسة وطغيانها.

ولم ينبثق فجر القرن السادس عشر حتى انبثقت عنه أصوات قوية جريئة تدعوا إلي إصلاح الكنيسة وتنقد حالها وتندد بأعمالها و تنشر عيوب القوامين علها عساهم يصلحون أمرهم. وقد بدأت حركة الإصلاح هادئة في البداية وعلى مراحل طويلة حتى أن بعضهم يرى أنها بدأت في القرن العاشر حيث قام (جيرارد) بإنشاء كنيسة في اللورين سنة ٩١٤ م تبنت إصلاح فساد الكنيسة واستمرت موجات الإصلاح للكنيسة تترى في كل جيل وقرن حتى ظهرت حركتا الكاترين والوالدنين في جنوب فرنسا .

ولكن البابوية تمكنت من القضاء عليها .... ثم ظهرت هيئة الفرير (الرهبان أو الأخوان في حركة الإخوان الفرنيسيكان والدومينيكان في القرن الثالث عشر وكانت تهدف إلى حياة البساطة وحماية الكنيسة من الهراقطة.... ثم ظهر حنا وكلف)الذي عكف علي وضع الحلول للعلاقة بين السلطتين العلمانية والكنيسة، ووصل إلى أن الأب وحدة هو ملك السماوات والأرض، وأن الصالحين جميعا لهم في ملكية الأرض وهي حق مشاع بينهم لأن الملكية الفردية جاءت لخطيئة آدم وعلى ذلك لا يصح أن تقع الكنيسة في هذه الخطيئة، وكانت عاقبته الطرد هو وأتباعه من أكسفورد وتوفي سنة ١٣٨٣م .

ثم كان (حنا هس) الذي هاجم صكوك الغفران وقال بأن أوامر البابا تعد ملغاة لأنها تتعارض مع تعاليم المسيح إلا أن مجمع كونستانس سنة١٤١٥ حكم عليه بالإعدام حرقا ثم دعا أرزم إلى قراءة الكتب المقدسة من مصادرها وكان آخر

المعارضين الهادئين توماس مور وهو إنجليزي ثائر علي طقوس الكنيسة وقد أعلن أن سيادة البابا واجبة مع وجوب إصلاح الكنيسة .

أما مارتن لوثر فيعد أول من أدخل حركة الإصلاح إلى مرحلة الثورة والتمرد علي نظام الكنيسة فكان ينادي بأعلى صوته أن صكوك الغفران دجل ، وأن الذنب لا يغفر إلا بالندم والإقلاع عن المعاصي وطالب الكنيسة بإلغاء صكوك الغفران وقد طلبه البابا ليحاكمه إمام محاكم التفتيش فرفض وحكم غيابيا بالحرمان.

ومن مبادئه التي دعا إليها أن البابا ليس خليفة المسيح وان زواج القساوسة أمر ضروري لإصلاح نفسية رجال الأكليروس وان كل مسيحي له الحق في فهم الكتاب المقدس ونادى بإنكار مبدأ الاستحالة في العشاء الرباني. وهاجم الرهبنة وقال بعدم جواز استعمال الصور والتماثيل وعلى هذه المبادئ قامت الكنيسة المعارضة أو البروتستانتية ويعد كلفن من أشهر من ساعد لوثر في نشر مبادئ البروتستانت في فرنسا[1].

أشهر عقائد البروتستانت:

بالرغم من أن ثورة الإصلاح الديني كانت ثورة شاملة زلزلت أركان الكنيسة الغربية وخرجت على نظامها وحدّت من طغيانها و طاعة الناس العمياء لها، إلا أنها لم تكن إصلاحا عقائديا دخل في عمق جوهر الفساد العقائدي الذي طرأ على المسيحية. فلم يبطل البروتستانت أصلا من أصول المسيحية ، ولم تتعرض لمسالة طبيعة المسيح عليه السلام وما دار حولها من جدل طويل وخلاف حاد وانقسام بين الكنائس، ولم تتعرض إلي مسألة الصلب التي اعتقدها النصارى وما لحقها من عقائد الفداء والتفكير والتضحية.

(١) جورج القنواتي ، المسيحية و الحضارة العربية ، ص٧٣ . وأنظر احمد شلبي ، المسيحية ، ص ٢٤١

ولقد اقتصرت حركة الإصلاح على الشكليات والممارسات الخاطئة لرجال الكنيسة وتستطيع أن تقول إن حركة الإصلاح لم تكن إصلاحا للمسيحية وإنما كانت إصلاحا للكنيسة ولذلك فإن المعتقدات الإيمانية للكنيسة البروتستانتية بما في ذلك اعتقادهم بطبيعة المسيح عليه السلام لا تختلف عن معتقدات الكاثوليك.

واكتفوا بمعارضة تسلط الكنيسة وطغيان رجالها، ودعوا إلى إبطال عبادة الصور والتماثيل، ودعوا كذلك إلى إبطال فكرة الاستحالة وهي تحول الخبز والخمر في عيد الفصح إلى جسد المسيح ودمه، وأبطلوا صكوك الغفران والحرمان، كما أن الكنيسة البروتستانتية لا تؤمن بنظام الكهنة ولا بالبخور في الهيكل، ولا تتقيد إلا بالكتاب المقدس، ولا تؤمن بالأسرار السبعة التي تؤمن بها الكنيسة الكاثوليكية، كما أنها لا تؤمن بالصوم كفريضة ولا بالأعياد التي تقيمها الكنائس الأخرى. ولا تؤمن بنظام الرهبنة وأخيرًا فإن الكنيسة البروتستانتية لا تؤمن بالأسفار السبعة التي أضافها الكاثوليك للكتاب المقدس[1].

---

(١) احمد شلبي، يا أهل الكتاب، ص ٢٦٧-٢٧٠.

الخاتمة

بعد رحلة مع عقائد أهل الكتاب نجد أنها عقائد قد جاءت تخالف تماما ما جاء به أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، ومن خلال دراسة العقيدة اليهودية نجد أن لتلك العقيدة مفهوما خاصا عن الإله، وتصورا خاصا عن البعث، واتجاها خاصا في مبادىء الأخلاق وأسس الاجتماع الإنساني.

وكل هذه التصورات متعارضا تماما مع التصورات الأساسية كما نزلت من السماء وكما حفظتها الكتب التي حفظها الله من التحريف والتزييف. فقد وصفوا الإله بما لا يليق به من الصفات وألحقوا به النقائص التي يتنزه عنها عامة البشر. وأنكروا البعث الأخروي وادعوا أن الحساب والعقاب في الدنيا فقط. ووضعوا لأنفسهم مجموعة من المبادىء الأخلاقية التي تقوم على الأنانية وحب الذات واعتبار أنفسهم جنسا مميزا مفضلا على سائر الأجناس، لذلك استباحوا كل ما حرم الله في حق الخلق من القتل والسرقة والزنا وغيرها من الكبائر التي ادعوا أنها مباحة لهم في حق غير اليهود.

والدين اليهودي هو عصب العنصرية اليهودية، وهو دين يختلف عن باقي الأديان من حيث طبيعته ونشأته وتاريخه، فهو مجموعة من العقائد والشرائع والطقوس وقواعد السلوك والأخلاق، تراكمت وتبلورت ونضجت على مدى الآلف من السنين، لم تنزل على رجل واحد، إذ أن تاريخ النبوة في إسرائيل يواكب التاريخ الاجتماعي والسياسي لتلك المجموعة البشرية، منذ مجاهل التاريخ الأولى إلى بداية القرن الرابع قبل الميلاد، عند المدققين من اليهود في التزام النقول المروية من النصوص المقدسة، وإلى ما بعد ذلك بقرون عند غير الملتزمين، ممن يرون

في الكهنة والأحبار الذين تلوا الأنبياء الأخيرين: دانيال، واستر وعزرا، ونحميا، وملاكي، استمرارا للوحي والنبوة في هذا المجتمع.

ويظل باب النبوة هذا مفتوحا عند مؤرخي الفكر الإسرائيلي ليدخل منه أنبياء أنكرهم اليهود وكفروا بهم، أمثال يوحنا المعمدان "يحيى" والمسيح عيسى بن مريم عليهما السلام، بل إن كثيرا من العلمانيين اليهود، ممن ألهبت أرواحهم نيران الصهيونية الحديثة، يبقون باب النبوة هذا مفتوحا حتى القرن العشرين ليدخل منه تيودور هرتسل أيضا. ويقسم اليهود أنبياءهم إلى قسمين:

١- الأنبياء الكبار، مثل: أشعيا- أرميا – دانيال.

٢- الأنبياء الصغار مثل: هوشع – وعاموس – ويونان.

ولا شك في أن هذا التقسيم لا أساس له من الصحة، فليس هناك نبي صغير وآخر كبير، بل كل الأنبياء في النبوة سواء قد يفضل بعضهم على بعض كأولي العزم من الرسل مثلا ولكن مثل هذا التقسيم غير جدير بالاحترام.

ويعتقد اليهود أن الأنبياء كسائر البشر، وأن كل ما يجوز على البشر من الوقوع في المعاصي وعدم العصمة من الخطأ يجوز عليهم، ومن هنا نسبوا إليهم ما لا يليق بهم من المعاصي والذنوب سواء كانت من الكبائر أو من الصغائر. ومن صفات الأنبياء عندهم: الكذب، وشرب الخمر، والزنا، وعبادة الأوثان، والبله، وعدم الفطانة، وغير ذلك مما لا يجوز عليهم.

وإذا انتقلنا إلى العقيد النصرانية نجد أنها ليست بأحسن حال من اليهودية فقد أدخلت إلى عقيدتها ما يعرف بعقيد التثليث بمعنى أنه يوجد ثلاثة أقانيم (أشخاص) آلهة منفصلة ومتميزة في الثالوث الأقدس وهي: الله الأب، الله الابن، الله الروح القدس. وهذا ما قرره قانون الإيمان الأثناسيوسي إذ يقرر أنه: يوجد شخص واحد للأب، وآخر للابن، وآخر للروح القدس، إلا أن هذا الثالوث

الأقدس المكون من: الأب والابن والروح القدس هم واحد: متساوون في المجد، متساوون في الأزلية. الأب هو الله. الابن هو الله. الروح القدس هو الله ومع هذا فهؤلاء ليسوا بثلاثة آلهة ولكن إله واحد، هذا ما يقوله النصارى.

ولكن الحقيقة غير ذلك تماما، فتصور المسيح لله لا يختلف أبداً عن نظرة أنبياء بني إسرائيل السابقين الذين بشروا دائما بأن الله واحد أحد ولن يكون ثلاثة. وقد ردد يسوع المسيح فقط قول موسى حين قال: فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد. وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك. هذه هي الوصية الأولى .مرقص ١٢ : ٢٩ إن المسيح كان يؤمن بشخص الإله الواحد. كما هو ظاهر من قوله التالي:

"مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" متى ٤ : ١٠.

وبنظرة تاريخية في تاريخ النصرانية نجد أن عقيدة التثليث قد صاغها المسيحيون بعد رحيل يسوع المسيح بحوالي ثلاثمائة سنة. وإن الأناجيل المعتمدة الأربعة التي دونت ما بين عام ٧٠ وعام ١١٥ لا تحوي أي إشارة إلى هذا الثالوث بهذا المفهوم الذي يؤمن به النصارى.

وهكذا فإن عقيدة التثليث لم تكن من تعاليم يسوع المسيح، وإنها لم تكن في أي موضع من الكتاب المقدس (كلا العهد القديم والعهد الجديد) إنها بكل تأكيد غريبة على العقلية النصرانية وغريبة كذلك عن عقلية المسيحيين الأوائل. فعقيدة التثليث نشأت كنتيجة لتأليه يسوع المسيح ونتيجة السر الغامض في الروح القدس وصلتهما بالله سبحانه وتعالى. ثم أدخلوا عقيدة الصلب والعشاء الرباني وغير ذلك من العقائد التي لا تتفق وروح الأديان السماوية الصحيحة، ولم يكتف أتباع النصرانية بذلك بل إنهم ناصروا اليهود في المحافل الدولية ضد المسلمين تحت ما يسمى بالصهيونية المسيحية.

وهكذا انزلقت المسيحية إلى تأليه البشر، فظهر الإسلام ليبدد هذه الأساطير ويدعو إلى وحدانية الله سبحانه وتعالى الذي لا شبيه له.إنه الإسلام المحرر من الأساطير والأوهام، وفي الوقت نفسه يؤكد الإسلام على يؤكد وحدانية الله ويقول أن الله لا نظير له في لاهوته إنه فرد صمد وواحد في ذاته: " لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ " الأنبياء/ ٢٢.

إن الله قائم بذاته وإنه مكتف بنفسه وعليه يعتمد الجميع وهو لا يعتمد على أحد، إنه الخالق رب العالمين إنه المحسن القادر العليم الودود الرحيم الأبدي إنه لم يلد ولم يولد لم ينبثق شيء منه ليصبح مساويا له وشريكاً في لاهوته وفي هذا يقول الله في سورة الإخلاص من القرآن الكريم : "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ " .

ويقول الله سبحانه وتعالى:(وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) البقرة /١٦٣- ١٦٤.

حتى أن الكنيسة المسيحية أدركت عدم معقولية القول بأن هناك إله واحد في ثالوث وثالوث في إله واحد، لأن جميع الطوائف النصرانية تعتقد بأن كل أقنوم من الأقانيم متميز عن الأقنوميين الآخرين، في كل شيء، ومن ثم أعلنوا أن عقيدة التثليث سر غامض وعلى الإنسان أن يحرز إيمانا أعمى. وبناء عليه فان المسيح عليه السلام ذاته لم يذكر إطلاقا هذا الثالوث الأقدس بهذا المفهوم الذي

يؤمن به النصارى، إن المسيح عليه السلام ما عرف ولا قال شيئا على الإطلاق بأنه يوجد ثلاثة أشخاص آلهة في الثالوث الأقدس.

وأما إذا انتقلنا إلى المصادر النصرانية واليهودية فإننا نجده متناقضة متضاربة، توحي للقارىء بأن اليد البشرية قد عبثت فيها بصورة مريعة أفقدت تلك المصادر هيبتها وقدسيتها. وبناء على ما تقدم فانه من الضروري بيان بعض التوصيات في هذا السياق ومن ذلك ما يلي:

١- ضرورة دراسة عقائد أهل الكتاب وتفنيدها بصورة علمية موضوعية وتقديمها للقارىء بصورة تتناسب وامكاناته وقدراته العقلية.

٢- العمل على بيان خطط أهل الديانات الأخرى والتي تعمل على الكيد للإسلام والمسلمين للناس وخاصة الشباب المسلم، حتى يتسنى لهم التعرف على كيفية التعامل مع الأحداث عند وقوعها.

٣- بيان مدى عداوة اليهود والنصارى للإنسانية، وخاصة أنه يوجد قطاع كبير من المجتمعات الإسلامية لا تدرك عداوة اليهود والنصارى للمسلمين، لكن إذا عُرِّف هذا العداء بلغة العصر، وبأرقام وإحصائيات ونتائج دراسات متعددة، ومتابعةٍ لتصريحات وجهائهم، اقتنع ذلك العدد الكبير من المسلمين - وخاصة أنهم يشاهدون على مسرح الأحداث أمثلة عملية: كالبوسنة والفلبين، والصومال وإريتريا وأفغانستان وفلسطين والعراق - وأدركوا حقيقة عدائهم، ووجدوا تفسيراً واضحاً وعملياً للآيات القرآنية. والأحاديث النبوية التي تتحدث عن عداوة اليهود والنصارى، وأنهم لن يرضوا عنا أبداً حتى نتبع ملتهم.

٤- دراسة العقائد اليهودية والنصرانية والتصريحات الصادرة من قادتهم الدينيين والسياسيين دراسةً جديةً، والنظر إليها بمنظور علمي، وليس من منظور العقائد الكامنة، ثم دراسة تأثيرها في رجال السياسة، وقراراتهم،

ومحاولة التأثير من خلال تلك العقائد في الرأي العام الغربي، والأمريكي والمسيحي عامة.

٥- ضرورة بيان خطر الصهيونية المسيحية، والتي تسعى جاهدة للوصول إلى هدفها وبتخطيط دقيق، وجاد وهو تحقيق الحلم اليهودي بإقامة دولة إسرائيل الكبرى في فلسطين.وفي نهاية دراستي هذه أدعو الله ألعلي القدير أن يكون عملي هذا خالصا لوجهه الكريم .

{وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} الحج / ٤٠.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد).

١. إبراهيم أنيس، مؤلف مشارك – المعجم الوسيط، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢. إبراهيم الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، مراجعة وتقديم عبدالكريم الرفاعي، بدون ط.

٣. أحمد حجازي السقا، البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، ط١، ١٩٨٩، دار الجيل، بيروت.

٤. ________، المسيا المنتظر نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، ط١، ١٩٧٧، مكتبة الثقافة الدينية.

٥. ________، نقد التوراة، ط ١٩٧٦، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.

٦. أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى (مقارنة أديان)، بدون ط، مكتبة النهضة المصرية، مصر.

٧. ــــ، اليهودية (مقارنة الأديان)، ط٥، ١٩٧٨، مكتبة النهضة المصرية، مصر.

٨. اسماعيل الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، ط٢، ١٩٨٨، مكتبة وهبة، القاهرة.

٩. أحمد بن حنبل، المسند، بدون ط، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٠.أحمد سوسة ، مفصل العرب واليهود في التاريخ، حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، ط٥.

١١.أحمد عصام، – عقيدة التوحيد في فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط١ ، ١٩٨٣ ، منشورات دار الآفاق، بيروت.

١٢.أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، المتوفى ١١٨٦ هـ، مقامع هامات الصلبان، تحقيق عبدالمجيد الشرفي.

١٣.أحمد محمد علي داود، عقيدة التوحيد، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

١٤.أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، بدون ط ، المكتبة العصرية ، بيروت.

١٥.أحمد فائز، اليوم الآخر في ظلال القرآن، ط٤، ١٩٨١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٦.أحمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الإيمان (مريم جميلة)، بدون ط، المختار الإسلامي، القاهرة.

١٧.إلياس مقار، إيماني، بدون ط ، دار الثقافة ، القاهرة.

١٨.إيلي ميلكو، اللآلئ في النصوص الكنعانية، ترجمة مفيد عرنوق، ط٢، ١٩٨٩م.

١٩.أمين القضاة، أديان وفرق، ط١ ، ١٩٩٠ ، عمان.

٢٠.أنور الجندي، الإسلام والعالم المعاصر، بدون ط، ١٩٧٣ ، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٢١.أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، الجامع الصحيح، ط١ ، ١٩٩٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت.مطبعة دار الجيل ، بتقديم أحمد شاكر، بيروت.

٢٢.ابن سيناء، أبو علي الحسن بن عبدالله – رسالة أضحوية في أمر المعاد، تحقيق سليمان دينا، ط ١٩٤٩ ، دار الفكر العربي، مصر.

٢٣.ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق جماعة من العلماء، ط٧، ١٩٨٣ ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٤.ابن القيم الجوزية ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، تحقيق حامد الفقي ، ط٢ ، ١٩٣٩ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر.

٢٥.ـــــــ، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء، ١٩٩٢، دار الفكر، بيروت.

٢٦.ابن كثير، أبو الفداء الحافظ إسماعيل، المتوفى ٧٧٤هـ، تفسير القرآن العظيم، ط١ ، ١٩٨٨ ، الدار المصرية اللبنانية.

٢٧.ـــــــــــــ، النهاية في الفتن والملاحم، ضبطه وصححه أحمد عبدالشافي، ط١ ، ١٩٨٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٢٨.ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، السنن، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، بدون ط ، دار الحديث ، مصر.

٢٩.ابن هشام، أبو محمد عبدالملك (ت٢١٣هـ)، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط ١٩٣٦ ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة.

٣٠.. أبو الجزائري، أبو بكر جابر، عقيدة المؤمن، ط٢، ١٩٧٨، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

٣١.أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، تصحيح السيد هاشم المحلاتي، والسيد فض الله اليزيري، ط١، دار المعرفة، بيروت.

٣٢.أبو بكر عمرو الضحاك، المتوفى ٢٨٧ هـ - السنة، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط١، ١٩٨٠، المكتب الإسلامي، بيروت.

٣٣.أبو الحسين بن الحجاج مسلم، المتوفى ٢٦١ هـ - صحيح مسلم، ط٢، ١٩٧٨، دار الفكر، بيروت.

٣٤.أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، المتوفى ٢٧٩هـ - الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، بدون ط، دار الحديث، القاهرة.

٣٥.أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، ط١، ١٩٨٠، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت.

٣٦.أبو عبدالله النيسابوري الحاكم، المستدرج على الصحيحين، بدون ط، دار المعرفة، بيروت.

٣٧.أبو محمد علي بن أحمد الظاهري ابن حزم ، المتوفى ٤٥٦هـ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ط٢ ، ١٩٧٥ ، دار المعرفة ، بيروت.

٣٨.أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف، المتوفى ٧٥٤هـ - تفسير البحر المحيط، ط٢، ١٩٨٣، دار الفكر، بيروت.

٣٩.أبو السعود، محمد بن محمد العمادي – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ط (بدون) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

٤٠.أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، المتوفى ٥٤٨هـ - الملل والنحل، ط٢ ، ١٩٧٥ ، دار المعرفة، بيروت/ لبنان.

٤١.أبو الحسن احمد الزيدي، المتوفى ٤٢١هـ، إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق خليل أحمد الحاج، ط (بدون)، المكتبة العلمية، بيروت.

٤٢.أبو الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدا لسلام هارون، ط ١٩٧٩ ، دار الفكر ، بيروت.

٤٣.أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، (ت٥٠٥هـ) – إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.

٤٤.ألفت محمد جلال، العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود كما يصورها العهد القديم، ط ١٩٧٤ ، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة.

٤٥.آي بي برانئيس، فضح التلمود، تعاليم الحاخاميين السرية، إعداد زهدي الفاتح، بدون ط، ١٩٧٤ ، دار النفائس، بيروت.

٤٦.تقي الدين أحمد بن تيمية ابن تيمية، المتوفى ٧٢٦هـ - العقيدة الواسطية: شرح محمد صالح العثيمين ، ط٢ ، ١٤١٥هـ ، دار ابن الجوزي، السعودية .

٤٧.التهامي نقرة، – عقيدة البعث في الإسلام، ط٢، الجامعة التونسية، تونس.

٤٨.جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، بدون ط، دار صادر، بيروت.

٤٩.جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ط١ ، ١٩٨٧ ، دار الطليعة، بيروت.

٥٠.حمدي عبدالعال، الملة والنحلة، ط١ ، ١٩٨٩.

٥١.حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، ط٢ ، ١٩٨٧ ، دار القلم، دمشق، دار العلوم، بيوررت.

٥٢.حسين العودات، الموت في الديانات الشرقية، ط٤ ، ١٩٩٥ ، الأهالي للطباعة والنشر، بيروت.

٥٣.خير الدين الزر كلي، الأعلام، ط١٠ ، ١٩٩٢ ، دار العلم للملايين، بيروت.

٥٤.راشد عبدالله الفرحان، الأديان المعاصرة، ط٢، ١٩٨٥ ، دار الكتب الوطنية.

٥٥.رشدي عليان، أصول الدين الإسلامي، ط١ ، ١٩٧٧ ، دار الحرية، بغداد.

٥٦.رومانو كوارديني، الأسبوع العظيم في آلام المسيح ، ترجمة الأب جرجيس المرديني ، ط٢ ، دار الشرق ، بيروت.

٥٧.زياد خليل الدغامين، عقيدة البعث وكيف تناولها القرآن، رسالة ماجستير، ١٩٨٧م، الجامعة الأردنية، كلية الشريعة.

٥٨.سعيد أيوب، المسيح الدجال، ط ١٩٩١ ، دار الهادي، بيروت.

٥٩.سويلم بن عقاب التوم، عقيدة البعث الآخر، رسالة ماجستير، السعودية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، فرع العقيدة، ١٣٩٨هـ ١٣٩٩هـ.

٦٠.الأب سليم بسترس البولسي، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، ط٢، ١٩٨٩م، منشورات الكتب البولسية.

٦١.سهيل ديب، التوراة بين الوثنية والتوحيد، بدون ط، دار النفائس، بيروت.

٦٢.السيد محمد بن محمد الحسني الزبيدي، – إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، بدون ط، دار الفكر العربي، بيروت.

٦٣.السيد سابق، العقائد الإسلامية، ط١، ١٩٦٤، المؤتمر الإسلامي.

٦٤.سيد قطب، في ظلال القرآن، ط٧، ١٩٧١، دار إحياء التراث العربي، لبنان.

٦٥.ــــ ، مشاهد القيامة في القرآن الكريم، ط ٧، ١٩٧١، دار إحياء التراث العربي، لبنان.

٦٦.سعيد بن منصور ابن كمونة، – تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، بدون ط، دار الأنصار.

٦٧.ــــ، الجديد من الحكمة، تحقيق حميد الكبيسي، ط٢، ١٩٨٢، مطبعة جامعة بغداد.

٦٨.سليمان مظهر، قصة الديانات، ط١، ١٩٨٤م، الوطن العربي، القاهرة، مصر.

٦٩.شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، المتوفى ٦٧١هـ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ط١، ١٩٨٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٠.ـــــ الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت.

٧١.الشهاب أحمد بن أبي بكر البوصيري، المتوفى ٨٤٠هـ - مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة، تحقيق موسى محمد علي وعزت علي عطية، بدون ط، دار الكتب الحديثة، بيروت.

٧٢.صابر طعيمة، التاريخ اليهودي العام، ط١، ١٩٧٥، دار الجيل، بيروت.

٧٣.عبدالرحمن الإيجي، المواقف في علم الكلام، بدون ط، مكتب المتنبي، القاهرة.

٧٤.علاء الدين ابن بلبن، المتوفى ٧٣٩هـ - الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط١، ١٩٩١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧٥.عبدالرحمن حسن حبنكة، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط٢ن ١٩٧٩، دار القلم، دمشق.

٧٦.عبدالباقي أحمد عطا الله، اليوم الآخر في الكتاب والسنة، ١٩٨٨، دار المنار.

٧٧.عطية محمد عطية، العقيدة الإسلامية، ط١، ١٩٩٠، دار الفكر، بيروت.

٧٨.عباس العقاد، إبراهيم أبو الأنبياء، مطابع أخبار اليوم، القاهرة.

٧٩.عرفان عبد الحميد، بحث حول المسيحية، بدون ط.

٨٠.ــــــ، اليهودية عرض تاريخي عام.

٨١.عبد القادر شيبة الحمد، – الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، مطبوعات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٨٢.علي عبد الواحد وافي، الأسفار الخمسة، بدون ط، دار نهضة مصر، القاهرة.

٨٣.ــــــ، اليهودية واليهود، ط ١٩٧٠، مكتبة غريب، القاهرة.

٨٤.عبدالحميد علي، إطلالة على عقيدة البعث في الإسلام، بدون ط، ١٩٨٧، دار المنار، القاهرة.

٨٥.علاء الدين الهندي، كنز العمال في سنن الأفعال والأقوال، تحقيق صفوت السقا، ط ١٩٨٩، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٨٦.عبدالله نعمة، عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، بدون ط، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.

٨٧.فاروق أحمد الدسوقي، محاضرات في العقيدة الإسلامية، بدون ط، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع.

٨٨.فراس السواح، لغز عشتار الألوهية وأهل الدين والأسطورة، ط١، ١٩٨٥، سوما للدراسات والنشر والتوزيع، بغداد.

٨٩.فالح مهدي، البحث عن المنقذ دراسة مقارنة بين ثماني ديانات، ط٢، ١٩٩٠، مكتبة مدبولي.

٩٠.فؤاد خزرجي العقيلي، – دراسات في العقيدة الإسلامية، بدون ط.

٩١.فؤاد حسنين علي، اليهودية واليهودية المسيحية، ط ١٩٦٨، معهد البحوث والدراسات العربية.

٩٢.فهيم عزيز، المدخل إلى العهد الجديد، دار الثقافة المسيحية، بدون ط، القاهرة.

٩٣.فايز فارس، حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، ط٢، دار الثقافة، القاهرة.

٩٤.فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩٥.كامل سعفان، اليهود تاريخ وعقيدة، بدون ط، دار الاعتصام، القاهرة.

٩٦.ـــــــ، لوامح الأنوار البهية وسواطع الأسرارالأثرية، بشرح الدرة المضية في عقد الفرق المرضية، ط٢، ١٩٨٢، مؤسسة الخافقين، دمشق.

٩٧.مجد الدين الفيروز أبادي، القاموس المحيط، بدون ط، دار الجيل، بيروت.

٩٨.محمد نعيم ياسين، الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، ط ٢، ١٩٧٩م.

٩٩.مجموعة من المؤلفين، علم اللاهوت (النظامي)، دار الثقافة المسيحية، دار الجيل، بيروت.

١٠٠.محمد الباشا، الكافي، ط١، ١٩٩٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

١٠١.منير البعلبكي، المورد، إنجليزي –عربي، ط٣، ١٩٩٦م، دار العلم للملايين، بيروت.

١٠٢.محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية – ط ٦، ١٣٩٩هـ.

١٠٣.مصطفى حلمي، الإسلام والأديان: دراسة مقارنة، ط١، ١٩٩٠، دار الدعوة، القاهرة.

١٠٤.محمد طاهر التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تحقيق محمد عبدالله الشرقاوي، ط١٩٩٣، دار عمران، بيروت.

١٠٥.مصطفى الخن، مبادئ العقيدة الإسلامية، ط٢، ١٩٨٤/٨٣، مطبعة طربين، دمشق.

١٠٦.محمد بن أحمد السفاريني، لوائح الأنوار السنية ولواقع الأفكار السنية، تحقيق عبدالله البصيري، ط١، ١٩٩٤، مكتبة الرشد، الرياض.

١٠٧.محمد أبو زهرة، – الديانات القديمة، ط ١٩٦٥، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٠٨. ـــــ - النصرانية، ط٣، ١٩٨٢، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٠٩.محمد عبد الله الشرقاوي، – الكنز المرصود في فضائح التلمود، ط١، ١٩٩٣، دار عمران، بيروت.

١١٠.محمد ابن الشريف، الأديان في القرآن، ط٤، ١٩٧٩، دار عكاظ.

١١١. محمد الغزالي، (ت ١٩٩٦) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ط٢، ١٩٩، دار الصحوة، القاهرة.

١١٢.محمد بن علي الشوكاني، المتوفى ١٢٥٠هـ - إرشاد الثقات في اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، ط١٩٨٤، ١، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٣.محمد سيد الطنطاوي، بنو إسرائيل في الكتاب والسنة، ط١ ، ١٩٦٨، مصر.

١١٤.محمد عزت الطنطاوي، النصرانية والإسلام، بدون ط ، دار الأنصار، القاهرة

١١٥.محمد أحمد عبد الحافظ ، أضواء على اليهودية من خلال مصادرها، ط ١٩٨٥ ، دار المنار، عمان.

١١٦.محمد بن صالح العثيمين، مجموع فتاوى ورسائل، ط٢، ١٩٩٤، دار الثريا للنشر، السعودية.

١١٧.محمد العربي، الديانات الوضعية المنقرضة، ط١ ، ١٩٩٥، دار الفكر اللبناني، بيروت.

١١٨.ميخائيل نعيمة، من وحي المسيح، ط١، ١٩٧٤ م ، مؤسسة نوفل ، بيروت.

١١٩.محمد الصادوقي، عقائدنا، ط١ ، ١٩٧٢ ، دار الصادق، بيروت.

١٢٠.مراد فرج، القراؤون الربانيون، بدون ط، مطبعة الرغائب.

١٢١.موسى ابن ميمون، دلالة الحائرين ترجمة حسين آتاي، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت.

١٢٢.ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بدون ط ، دار الجيل، بيروت.

١٢٣.نور الدين الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة.

١٢٤.النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب – السنن الكبرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ودار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩١، بيروت.

١٢٥.ندرة اليازجي، رد على اليهودية واليهودية المسيحية، بدون ط، دار طلاس، دمشق.

١٢٦.نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ط٩، دار الثقافة، مصر.

١٢٧. هاشم معروف الحسني، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، ط ١٩٧٨، دار القلم، بيروت.

١٢٨. ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، ط٢، ١٩٦٥، جامعة الدول العربية، القاهرة.

١٢٩.ياقوت شهاب الدين أبو عبدالله الحموي، معجم البلدان، بدون ط، دار الفكر، بيروت.

١٣٠.ياقوت شهاب الدين أبو عبدالله الخطيب، الله والإنسان، ط٢، ١٩٧١، دار الفكر العربي، بيروت.

١٣١.يسر محمد مبيض، اليوم الآخر في الديانات السماوية والديانات القديمة، ط١، ١٩٩٢، دار الثقافة، قطر.

١٣٢.يوسف حنا نصر الله، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ط٢، ١٩٦٨ م.

الفهـــرس

البيان	الصفحة

البيان	الصفحة

البيان	الصفحة
الفصل الأول الديانة النصرانية نشأة وتاريخ	٤٤٥

البيان	الصفحة

البيان	الصفحة
	٦٤١

الصفحة	البيان

رقم الإيداع	٢٠٠٩/١٥٧٣٨
الترقيم الدولى	I.S.B.N
978-977-328-632-0	

عقائد أهل الكتاب

كما يصورها القرآن الكريم

دراسة مقارنة



الدكتور

محمد خليل محسن الديسي

دار الجامعة الجديدة

عقائد أهل الكتاب

كما يصورها القرآن الكريم

دراسة مقارنة



الدكتور

محمد خليل محسن الديسي

دار الجامعة الجديدة

عقائد أهل الكتاب

كما يصورها القرآن الكريم

دراسة مقارنة



الدكتور

محمد خليل محسن الديسي

دار الجامعة الجديدة



دار الجامعة الجديدة

٣٨-٤٠ ش سوتير - الازاريطة - الاسكندرية

تليفون: ٤٨٦٣٦٢٩ - فاكس: ٤٨٥١١٤٣ - تليفاكس: ٤٨٦٨٠٩٩

Email.darelgamaaelgadida@hotmail.com

www.darggalex.com info@darggalex.com